
ديفيد معتدل
مكتبة ميزوبوتاميا
https://t.me/Mesopotamia1972
في سبيل الله والفوهرر
النازيون والإسلام في الحرب العالمية الثانية
نقله إلى العربية : محمد صلاح علي
مدارات للأبحاث والنشر

في سبيل الله والفوهرر

النازيون والإسلام في الحرب العالمية الثانية

ديفيد مُعتَدِل (David Motadel)

أكاديمي ومؤرِّخ ألماني من أصول إيرانية. يعمل أستاذًا للتاريخ الحديث بكلّيّة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية (London School of Economics and Political Science - LSE). وبجانب تأليفه لهذا الكتاب، فقد حرَّر كتابي: *Islam and the European Empires* [بالعربية: **الإسلام والإمبراطوريات الأوروبية**] الصادر عن منشورات جامعة أكسفورد ٢٠١٤، و *The Global Bourgeoisie: The Rise of the Middle Classes in the Age of Empire* [بالعربية: **البرجوازية العالمية: صعود الطبقات الوسطى في عصر الإمبراطورية**] الصادر عن منشورات جامعة پرنستون ٢٠١٩. وله عدد من المقالات الأكاديمية المنشورة في كبريات المجلّات العلمية المعنيّة بالتاريخ الحديث. كما نال عددًا من الجوائز الأكاديمية. وقد تُرجم هذا الكتاب إلى الفرنسية، والألمانية، والإسبانية، والإيطالية، والهولندية، والروسية، والتركية، والفارسية.

محمد صلاح علي

باحث دراسات عليا في العلوم السياسية ومترجم مصري. يكتب المقال في عدد من المواقع الثقافية العربية. صدر له من التَّرجمات: **ابن خلدون** (بيروت، ٢٠١٧)، **والدولة في المجتمع**، (القاهرة، ٢٠١٨). كما راجع ترجمات: **الدولة ذات السيادة ومنافِسوها: تحليلٌ لتغيُّر الأنظمة**، (بيروت، ٢٠١٨)، وصنع الدولة الحديثة، (القاهرة، ٢٠١٩).

ديڤيد مُعتَدِل

في سبيل الله والفوهرر

النازيون والإسلام في الحرب العالمية الثانية

نقله إلى العربية : محمد صلاح علي



في سبيل الله والفوهرر

النازيون والإسلام في الحرب العالمية الثانية

ديفيد مُعتدل

هذه هي الترجمة العربية الشرعية الكاملة لكتاب:

Islam and Nazi Germany's War

by: David Motadel

صدر هذا الكتاب للمرة الأولى بالإنكليزية عام ٢٠١٤

تنشر هذه الترجمة بموجب اتفاق خاص مع المؤلف:

في سبيل الله والفوهرر: النازيون والإسلام في الحرب العالمية الثانية

تأليف: ديفيد مُعتدل

نقله إلى العربية: محمد صلاح علي

الخطوط: عبده الجمّال

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠١٩/٢١٣٢٢

الترقيم الدولي ISBN 978-977-6459-41-0

الطبعة الأولى: يناير ٢٠٢١م - جمادى الأولى ١٤٤٢هـ

مدارات للأبحاث والنشر

٥ شارع ابن سندر - الزيتون - القاهرة - جمهورية مصر العربية

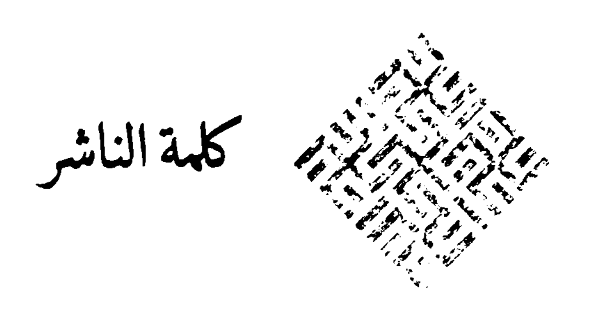
٠١٠٢٤٤٤٦٣٧٠/١/٢

info@madarat-rp.com

مدارات للأبحاث والنشر


والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين
صدق الله العظيم
العنكبوت: ٦٩

المحتويات



كلمة الناشر

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وآله وصَحبه الكرام

وبعد..

فهـذه هـي الترجمـة العربيـة الشـرعية الكاملـة الأولـى لكتـاب (*islam and Nazi Germany's War*)، للمـؤرِّخ الألمانـيِّ -إيرانـيِّ الأصـل- ديڤيـد مُعتَـدِل (David Motadel). استغرق هـذا العمـل مـن مؤلِّفه ما يقرب من عشر سنوات مـن البحث الدءوب في أكثر من ثلاثين أرشـيفًا ودار محفوظات في أربع عشـرة دولة، أثمرَ ثروة وثائقيـة هائلـة، تشـمل أوراقًـا وتقاريـر وأدلَّـة سياسـية وعسـكرية، وأوامـر إداريـة، ومنشـورات دعائيـة، وتسـجيلات مراقبـة إذاعيـة، وخطبًـا، ورسـائل بريـد ميدانيـة ومذكِّـرات، ومضابـط محاكمـات نورمبـرغ، والتماسـات، بالإضافة إلـى العديد من الأوامـر العسـكرية، وأخيرًا الصور. وذلك بخلاف المـوادِّ الهائلة المتعلِّقة بموضوع كتابه من مصادر نظرية، ومذكِّرات شخصية منشورة وغير منشورة، وكتابات تاريخية.. إلـخ. وقـد تجلَّـى أثـر ذلك في هـذا الكـمِّ الهائل مـن التفاصيـل الدقيقة التـي تتبَّعها المؤلِّـف بـدأب يثير الإعجاب والعجَب في آن معًـا، كما تجلَّى في ذلك الكمِّ الهائل من المصادر والمراجع التي توفَّرت عليها حواشي الكتاب.

وهذا الكتاب -فيما نحسب- هو أشمل تقصٍّ لعَلاقة ألمانيا النازية بعالم الإسلام والمسـلمين؛ فهو -بلا جدال- أوسـع من جميع الكتب والسِّيَر التقليدية التي ركَّزت على عَلاقة أمين الحسيني، مفتي القدس، بالنازي. كما أنه يرسم صورةً أشمل لعَلاقة

ألمانيـا النازيـة بديار الإسـلام مـن كتاب **ألمانيـا الهتلرية والمشـرق العربـي** للمؤرّخ البولنـدي لـوكا هيرزويـز الـذي تُرجِم في السـتينيّات مـن القرن الماضـي وصدر في مصر، حيث يركِّز الكتاب الأخير على عَلاقة ألمانيا النازية بالعالم العربي من الناحية السياسية فقط. وهو كذلك أشمل من كتاب **العرب والمحرَقة النازية: حرب المرويّات العربيـة - الإسـرائيلية** لجلبير الأشـقر، الذي اقتصر في تناوله علـى مواقف التيارات الفكريـة والأيديولوجيـة فـي العالم العربي من المحرَقة النازية. كما أنه أوسـع بما لا يقاس من كتاب **العرب في المحرَقة النازية: ضحايا منسيون** للمؤرِّخ الألماني غِرهرد هُـب، الـذي مسَّ الموضوع مسًّـا خفيفًـا دون التعمُّق فيه، مع الاقتصـار على ضحايا النازية من العرب دون غيرهم من المسلمين.

ومما يدلُّ على أهمية كتابنا هذا وجدَّته وجَودته: إقبال دور نشـر تنشـر في لغات متعدِّدة على ترجمته ونشره، فقد تُرجِم الكتاب الصادر بالإنكليزية للمرة الأولى عام ٢٠١٤ عن منشـورات جامعة هارڤارد (Harvard University Press) إلى سبع لغات، هي: الفرنسـية، والألمانية، والإسـبانية، والإيطالية، والروسية، والهولندية، والتُّركية، والفارسـية. أي إنـه تُرجـم إلـى ثمانـي لغات في غضون سـبع سـنوات فقـط، وذلك بخلاف هذه الترجمة العربية.

أمـا ديڤيـد مُعتـدل؛ مؤلِّف الكتاب، فهـو مؤرِّخ ألمانـي من أصـول إيرانية، يعمل -حاليًا- أسـتاذًا للتاريـخ الحديث بكليَّة لندن للاقتصاد والعلوم السياسـية (London School of Economics and Political Science - LSE). وهـذا الكتـاب هو أطروحته التـي نـال عنها درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث من جامعة كامبردج عام ٢٠١٠. وقـد نالـت الأطروحة عـدَّة جوائـز أكاديمية، منها جائـزة پرنس كونسـورت (Prince consort) العريقة، كما حازت وسام سيلي (Seeley Medal) لأفضل أطروحة تاريخية في جامعة كامبردج لعام ٢٠١٠، وغيرها من الجوائز الأكاديمية المرموقة.

***

يشـيع اعتقـادٌ مفاده أن الحرب العالميـة الثانية، وفي القلب منهـا التجربة النازية، تجربـة غربية خالصة ولا عَلاقة لديار الإسـلام بهـا، وقد يكون هذا الاعتقاد صحيحًا

من الناحية المعرفية، بحسب ما بيَّنت كتابات زيغمونت باومان وعبد الوهاب المسيري على سبيل المثال، لكنه ليس كذلك من الوجهة التاريخية. فقد امتد أُوار الحرب ليشملَ أكثر ديار الإسلام، بل لعلَّنا لا نجاوز الحقيقة كثيرًا إن قلنا إن الحرب دارت جلُّها في ديار الإسلام بعد مراحلها الأولى في أوروبا، وأنها لم تعُد إلى أوروبا مرة أخرى إلَّا في عامها الأخير، مع إنزال النورماندي وتحرير فرنسا وهولندا وبلجيكا غربًا، وأوكرانيا وپولندا والبلقان شرقًا، وصولًا إلى قلب الرايخ.

ويزيد من سطوع هذه الحقيقة، الموقع الإستراتيجي للعالم الإسلامي، وهيمنة أعداء ألمانيا النازية على أكثر بقاعه آنذاك. فقبل أن يصل الألمان إلى ستالينغراد كانوا قد احتلُّوا جميع أراضي أوروبا الشرقية التي تقطنها أغلبيَّات أو أقليَّات مسلمة، وصولًا إلى جزيرة القِرم في البحر الأسود جنوب الاتحاد السوڤيتي. ودعمًا لحلفائهم الإيطاليين، احتلُّوا تونس لمدة وجيزة وصولًا إلى مصر عبر ليبيا، حتى هزيمتهم الشهيرة في العَلَمين على مشارف الإسكندرية. ولم تسلَم المغرب والجزائر، اللتان كانتا تحت سيطرة حكومة ڤيشي الموالية لهم في باريس المحتلَّة، من التدخل الألماني ومحاولات استمالة السكان المسلمين والتودُّد إليهم، بل وتجنيدهم في فِرَق عسكرية مسلمة موالية لهم. وقد اجتاح الحلفاء إيران في عام ١٩٤١؛ حفاظًا على نفطها من الوقوع في أيدي النازيين الذين كانوا قد وصلوا إلى تُخومها الشمالية الغربية في القوقاز.

وأخيرًا امتدَّ أُوار الحرب ليصل بقاعًا مسلمة في الشرق الأقصى، فلم تكد اليابان الإمبراطورية تنظر بأمِّ عينَيها إلى هولندا وفرنسا تحت أقدام حليفتها ألمانيا النازية، وإلى مدرَّعات البانزر وتكتيكات الحرب الخاطفة تستبيح حماهما، حتى سارعت إلى الاستيلاء على مستعمراتهما في الشرق الأقصى، وصولًا إلى حقول البترول الغنية في إندونيسيا، بعد أن حرمتها الولايات المتحدة من الموادّ الخام، وأهمها النفط[أ]؛ عقابًا لها على غزوها ڤيتنام الفرنسية في عام ١٩٤٠. وسيعرِّج المؤلف في بعض مواضع الكتاب على الجهود اليابانية المنظَّمة لاستمالة المسلمين وتجنيد زعاماتهم الدينية في الشرق الأقصى.

(أ) كانت اليابان -آنذاك- تستورد ٨٠٪ من احتياجاتها النفطية من حقول النفط الأمريكية في تكساس.

ولا يتوقف الأمر على اتساع البقاع المسلمة التي طالتها الحرب، بل سيجد القارئ، في القسم الثالث من هذا الكتاب، أن مقتضيات الحرب والنقص الشديد في القوى البشرية، أرغما النازيين على تجنيد جميع من تصل إليه أيديهم من المسلمين في أوروبا الشرقية والبلطيق ومنطقة القوقاز، وتُخوم الاتحاد السوڤييتي الجنوبية والغربية؛ آسيا الوسطى وصولًا إلى إيران وأذربيجان، ثمَّ جزيرة القِرم في البحر الأسود، وأوكرانيا ولاتڤيا وليتوانيا. ثمَّ الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، بل وفي الهند وأفغانستان!

في هذا السِّياق يمكن القول إن الكتاب يدرس العَلاقة بين ألمانيا النازية والإسلام من خلال ثلاثة محاور:

المحور الأول هو محور الفكر والأيديولوجيا، ويدرس الكتاب فيه كيف مفهَمت أجهزة الدولة الألمانية المتنوعة الدينَ عمومًا، والإسلامَ بالأخصِّ، وكيف أجابت عن الأسئلة المتعلِّقة به، كما يدرس الدَّور الذي أدَّته ثلَّة من المستشرقين الألمان، من أمثال: ماكس فون أوپِّنهايم وكارل بيكر ومارتن هارتمان وغيرهم في وضع هذه التصورات والمفاهيم، ومقدار التأثير الذي مارسته اعتبارات السياسة عليهم.

أما المحور الثاني، وهو المحور التنفيذي، فيدرس فيه الكتاب الإجراءات التنفيذية التي اتَّخذتها السُّلطات الألمانية في سبيل تحقيق أهدافها السياسية والإستراتيجية من خلال توظيف الإسلام والتودُّد إلى المسلمين، وكيف تفاعلت المؤسسات والأجهزة والأذرع المختلفة للنظام، المنخرطة في «المسألة الإسلامية»، مع بعضها البعض؛ متعاونة مع بعضها حينًا ومتنافِسة في أحايين كثيرة أخرى. ويسلِّط الضوء على الپروپاغندا الدينية التي وجَّهها النازي للمسلمين في مناطق الصراع، معرِّجًا على مواقف المسلمين المتباينة منها، وعلى بعض التحالفات التكتيكية التي عُقِدت بين النازي وبعض الزعامات المسلمة؛ محاوَلةً منها للخروج من ربقة الاتحاد السوڤييتي واضطهاده أقليَّاته المسلمة الذي طال أمده، كما في حالة جزيرة القِرم والقوقاز، أو تأسيسًا لدول إسلامية مستقلَّة داخل موزاييك القوميات والأعراق والملل المختلفة في البلقانِ الخارج لتوِّه من الظل العثماني الطويل.

في هذا السِّياق جاب الكتاب ساحات الحرب من ميادين القتال الأوروبية في فرنسا والپروپاغندا الموجَّهة إلى المسلمين المقاتلين في صفوف الجيش الفرنسي، مرورًا بمسلمي شمال إفريقيا والشرق الأوسط والقوقاز وشبه جزيرة القِرم وأوروبا الشرقية، والبلقان. وفي ثنايا هذه الجولة درس تفصيلًا سياسات البيروقراطية المدنية والعسكرية النازية نحو الإسلام والمسلمين، ممثَّلة في وزارات الخارجية والشرق والمستعمرات والدِّعاية، ثمَّ قيادة القوات المسلَّحة الألمانية وقيادة وحدات الحماية النازية (SS).

أما المحور الثالث، فيدرس الكتاب من خلاله التعبئة العسكرية المباشرة لمسلمي الأراضي المحتلة وتجنيدهم لحساب القوات المسلَّحة الألمانية ووحدات الحماية النازية، وكيف تفاعلت السُّلطات الألمانية مع هؤلاء القادمين الجدد. فيسلِّط الضوء على حملات التجنيد التي قامت عليها قيادة القوات المسلَّحة، والفِرَق العسكرية الإسلامية الخالصة التي أنشأتها القوات المسلَّحة ووحدات الحماية النازية، ويفصِّل القولَ في كيفية إدارة القيادات العسكرية لأوضاع المسلمين في الجيش، والامتيازات التي حصلوا عليها مقابل تجنيدهم، وعَلاقاتهم بغيرهم من المجنَّدين الألمان وغير الألمان، مسلِّطًا الضوء على الپروپاغندا الإسلامية العسكرية التي استهدفت الحفاظ على ولاء المجنَّدين وشحذ روحهم القتالية.

وليس الشأن هنا استعراض فصول الكتاب، فقد كفانا المؤلِّف مؤونة ذلك في مقدِّمته، ولكن لأن التاريخ يُقرأ على خلفيَّة الحاضر وفي معيَّته، ولأن أهمية كتابنا هذا لا تقتصر على الجانب التاريخي، بل تمتدُّ لتسلِّط الضوء على الكثير من القضايا الفكرية والسياسية المعاصرة؛ نظنُّ أنه لا ضَير من لفت انتباه القارئ الكريم إلى بعض المسائل التي يمكن -إن شاء- أن يستصحبها في ذهنه في أثناء مطالعته للكتاب بوصفها رءوس أقلام.

من القضايا التي يثيرها الكتاب: العَلاقة بين الاستشراق الألماني ومشروع توظيف الإسلام لحساب المصالح الألمانية في الحربَين العالميتَين الأولى والثانية. فكما هو معروف، كان للاستشراق الألماني تقليد طويل في دراسة الإسلام، وتحديدًا

في أثناء حقبة الاستشراق الفيلولوجي الطويلة الممتدَّة إلى نهاية الحرب العالمية الثانية. ويعلم الباحثون في حقول العلوم العربية الإسلامية حجم الجهود التي بذلها المستشرقون الألمان في دراسة النصوص التُّراثية الإسلامية وتحقيقها ونشرها. في هذا الإطار، يسود في الدراسات المتعلِّقة بالاستشراق والمستشرقين رأيٌ مفاده أن الاستشراق الألماني تميَّز في غالبه بالحياد والتحرُّر من دائرة المصالح السياسية، وأنه اتَّسم بأكبر قدر ممكن من الموضوعية العلمية، وأنه لم يخضع لغايات سياسية أو استعمارية أو دينية. ويُرجِعون هذا إلى غياب المشروع الاستعماري الألماني، أو بالأحرى تأخره الذي يرَدُّ إلى تأخر توحيد ألمانيا حتى عام ١٨٧١. ورغم أن ألمانيا كان لها بعض التجارب الاستعمارية في إفريقيا، جريًا على عادة جيرانها في القارَّة، لكنها تظل رغم كل شيء تجارِب محدودة، فلم تتجاوز أقصاها مدَّة الثلاثين عامًا. وبالتالي يصعب -عند البعض- القول بأن الاستشراق الألماني أو المستشرقين الألمان كانوا يعملون في خدمة مشروع استعماري محدَّد، مثل نظرائهم الإنكليز والفرنسيين ثمَّ الأمريكيين في القرن العشرين، بقدر ما كانوا يعملون في الإطار الثقافي العامِّ للرؤية الأوروبية للإسلام، بما يتضمَّنه ذلك من سلبيَّات وإيجابيَّات[أ].

ويدفع كتابنا هذا إلى إعادة النَّظر في فرَضية موضوعية الاستشراق الألماني تلك والاستدراك عليها؛ إذ يستعرض لحظتَين تاريخيتَين كانت الدراسات الاستشراقية الألمانية وبعض كبار المستشرقين الألمان فيهما مجنَّدَين لخدمة الأهداف الاستعمارية الألمانية، وصياغة إستراتيجياتها السياسية وتكتيكاتها الدِّعائية. كانت اللحظة الأولى هي حملة الجهاد المشترَكة بين ألمانيا والدولة العثمانية في أثناء الحرب العالمية الأولى، أما الثانية فهي خطَّة الفوهرر وأجهزته لتوظيف الدين في تعبئة المسلمين وحشدهم في جميع ميادين القتال في الحرب العالمية الثانية.

(أ) انظر على سبيل المثال: رضوان السيد، **المستشرقون الألمان: النشوء والتأثير والمصائر**، (بيروت: المدار الإسلامي، ٢٠١٦)، ص ص ٣٣-٤٠؛ محمد سعدون المطوري، «الاستشراق الألماني ودوره في الدراسات الشرقية»، **دراسات استشراقية**، ع٣، السَّنة الثانية، شتاء ٢٠١٥م/١٤٣٦هـ، ص ص ٢٠٥-٢٠٦؛ صلاح الدين المنجد، **المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية**، (بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٧٨)، ص ٧.

ففي الحرب العالمية الثانية، كانت الأيديولوجيا النازية نفسها من العقبات الكبرى أمام توظيف الإسلام في البروباغندا النازية؛ ذاك أنها تحقِر كل ما هو غير آري. وقد أيّد منظِّرها الأساسي، ألفريد روزنبرغ، إخضاع العالم الإسلامي للحكم الإمبريالي الأوروبي. هنا تدخَّل الاستشراق الألماني لتيسير سبل تجاوز هذه العقبة، وذلك من خلال أعمال إرنست كونل وهانز شيدر وفرديناند كلاوس عن الصِّلة بين النورمان والجرمان والإسلام، وكتابات يوهان فوك عن النبي ﷺ.

لكن المنظِّرين النازيين لم يكتفوا بذلك، فقد حاولوا إظهار شيء مما ظنُّوا أنه قواسم مشتركة تجمع النازية بالإسلام؛ من ذلك المماثَلة بين مفهوم الأمة الجرمانية المرتكِز على العِرق ومفهوم الأمة الإسلامية المرتكِز على الدِّين، بما ينطويان عليه من مثالية ونقاء متخيَّل، ومن ذلك أيضًا المماثَلة بين الفوهرر والنبي، اللذين لا تتأسَّس سُلطتهما على قاعدة نظام قانوني سابق عليهما، بل على أمر جوهري كامن فيهما، هو الهوية العِرقية والإرادة الواعية الخلَّاقة عند الفوهرر، والاتصال بالسماء عند النبي[أ]. كما حاولت الدِّعاية النازية توظيف أحداث السيرة النبوية المتعلِّقة بيهود المدينة وصراعاتهم مع النبي ﷺ وبعض الآيات القرآنية التي ذكرت ما كان من أمَّة بني إسرائيل في العصور الخالية، في إيجاد أوجه للشَّبه بين الموقف النازي المعادي لليهود، الساعي لإبادتهم أينما كانوا، والموقف الإسلامي منهم بوصفهم أهل كتاب، وأخيرًا، حمَلت البروباغندا النازيَّة الموجَّهة للعالم الإسلامي عامَّة، وتُخوم الاتحاد السوڤييتي الإسلامية خاصة، حملة شديدة على الشيوعية السوڤييتية، بدعوى إلحادها وإباحيَّتها، وكان الاضطهاد السوڤييتي للمسلمين، في مرحلة ما بين الحربَين، خير معين لها على اجتذاب الأسماع والقلوب، حيث دعَت إلى تأسيس تحالف ألماني إسلامي لمقاومته.

وعلى ذلك فالسؤال الذي يطرحه الكتاب فيما يتعلَّق بهذه المسألة: هل فرضت المصلحة السياسية، التي قد يكون لها نصيبٌ من اتِّخاذ الاستشراقَين البريطاني والفرنسي

(أ) انظر: جورجو أغامبين، **حالة الاستثناء**، (القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، ٢٠١٥)، ص ص ١٨٨- ١٨٩.

مواقف سلبية من الإسلام، على الاستشراق الألماني في الحقبتَين القَيصرية والنَّازية -في المقابل- اتخاذ موقف إيجابي منه، بل ومحاولة إيجاد أوجه للشَّبه بين مفاهيمه وأفكاره -بحسب معرفة المنظِّرين الألمان بها ورؤيتهم لها- وبين أفكار الاشتراكية القومية؟[أ]

كما يتعرَّض الكتاب -في هذا الإطار- للرؤى الإيجابية التي شاعت عن الإسلام بين أقطاب النظام النازي ورءوسه، ومنهم هتلر وهملر؛ حيث يسلِّط الضوء على المصادر النظرية والتاريخية والواقعية التي استقى منها هؤلاء رؤيتهم للإسلام، وأثر هذه الرؤية في تخطيطهم لتحالف ألماني إسلامي طويل الأمد، يجابه رأسمالية الغرب وشيوعية الشرق في آنٍ معًا.

ومن القضايا المهمَّة التي يثيرها الكتاب، قضية معنى التاريخ السياسي للإسلام؛ إذ يمنحنا هذا الكتاب نبذة واقعية عن الفصل الأول من قصة إخضاع الإسلام واستتباعه للدولة في العصر الحديث عقب سقوط الخلافة العثمانية[ب]. نعني بذلك تلك اللحظة التي انتقل فيها المسلمون من عالَم الخلافة، وانتقل وعيهم بالعالَم من كونه نظامًا مواليًا للإسلام كما كان طيلة ثلاثة عشر قرنًا سبق، أو على الأقل غير معادٍ له، إلى نظام لا يأبه له إن لم يكن يُعاديه. فهذا الكتاب يروي لنا وجهًا من وجوه هذه اللحظة الانتقالية التي لم يكن وعي المسلمين فيها قد غادر حقبة الخلافة؛ إذ لم يكن مرَّ على نهايتها أكثر من جيل واحد، بينما لم يستقر بعد، لا في وعيهم ولا في واقعهم، نظام القوميات والدول الوطنية الحديثة[ج].

(أ) من نافلة القول أن هذا الحكم العام لا ينطبق بالضرورة على جميع أعيان المستشرقين المنتَمين إلى أي تقليد استشراقي.

(ب) ولا يعني ذلك بطبيعة الحال مثالية العلاقة بين الإسلام والدولة قبل العصر الحديث، فمحاولات تغليب السياسة على الدين، وجعل الدين وطاءً لأهواء السَّاسة والحكام، كانت موجودة طيلة التاريخ الإسلامي، لكنها اكتسبت في العصر الحديث سمات خاصة وفعالية خاصة، حقيقةً بالالتفات إليها ودراستها.

(ج) حول أوجه أخرى لهذه اللحظة التاريخية التأسيسية في أطراف أخرى من العالم الإسلامي، انظر: عِزَّة حسين، **سياسات تقنين الشريعة: النُّخب المحليَّة، والسُّلطة الاستعمارية، وتشكُّل الدولة المسلمة** (القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، ٢٠١٩).

أما قضية القضايا التي يثيرها الكتاب فهي مسألة العَلاقة بين الدولة النازية بوصفها دولة شمولية؛ «دولة البنى المزدوجة» بتعبير الفيلسوف الإيطالي جورجو أغامبين[أ]، والإسلام؛ فهذا الكتاب، في جانب منه، تأريخٌ وسرد بديع لموقف البيروقراطية النازية بأفرُعها: المدنية والعسكرية وشبه العسكرية من الإسلام، وأثر الحكم من خلال حالة الاستثناء النازية الطويلة، المتجذِّرة في الأيديولوجيا العِرقية، على النظرة العامة للإسلام وكيفية توظيفه واستخدامه لخدمة المصالح الألمانية.

كانت عاقبة ذلك على مستوى الممارَسة أن وقع العبء الأكبر لـ «المسألة الإسلامية» -بحسب سردية الكتاب- على كاهل القوات المسلَّحة الألمانية، ثمَّ وحدات الحماية النازية، ثمَّ وحدات الحماية وحدها تقريبًا مع اقتراب الحرب من نهايتها، أي إن التعامل مع «المسألة الإسلامية» كان محصورًا في الأجهزة المنوطة بإنفاذ حالة الاستثناء، سواء كانت في إطار جهاز الدولة الرسمي، أو من البنية القانونية الموازية؛ فوقعت مناطق مسلمة كاملة في شرق أوروبا، في البوسنة وكرواتيا وغيرها، تحت حكم وحدات الحماية حصرًا دون غيرها من أجهزة الدولة، بما فيها القوات المسلَّحة، وتولَّت أشد أفرع النظام النازي وحشية ودموية الدِّعاية للإسلام، ومحاولات استمالة المسلمين.

وتجلِّي مسيرة أمين الحسيني، مفتي القدس، مع النازية على هذه الفكرة؛ إذ جَلبته وزارة الخارجية الألمانية من العراق فارًّا بعد فشل انقلاب رشيد عالي الكيلاني

(أ) يذهب أغامبين إلى أن أدولف هتلر لم يكن، من الناحية الفنية، ديكتاتورًا بالمعنى المتعارَف عليه، فقد وصل إلى السُّلطة من خلال انتخابات شرعية، كما أنه ترك دستور ڤايمار الشرعي قائمًا ولم يمسَّه بسوء، ولكنه خلق بنية ثانية لا تتمتَّع بصفة رسمية قانونية -على الأغلب- لتكون موازية للدستور الشرعي، وأصَّل وجود هذه البنية من خلال تعطيل الدستور، بموجب القانون، والحكم من خلال حالة الاستثناء، حتى عُدَّت الحقبة النازية أطول حالة حكم استثنائي داخل أوروبا. تلكم هي «دولة البنى المزدوجة» عند أغامبين، ويعني بها ازدواج البنية القانونية والسياسية للدولة، بحيث يكون لها ظاهر شكلي له أثرٌ محدودٌ في مجريات الأمور، وباطن خفي يمارِس السِّيادة الفعلية من خلال احتكار سُلطة اتخاذ القرارات الحقيقية المهمَّة. وبحسب سردية الكتاب، تولَّى هذا الباطن أكثر شئون العلاقة مع الإسلام والمسلمين.

المدعوم من الألمان، لكنه تحول، شيئًا فشيئًا، إلى عميل لوحدات الحماية، يعتقد أن هاينريش هملر صديقه، وأن وحدات الحماية النّازية قد تعمل لصالح فلسطين والإسلام والمسلمين.

أما على مستوى الخطاب، فقد أنتجت بروباغندا الشمولية النازية «خطابًا إسلاميًا جامعًا» لم يصدر إلّا عن تلك النظرة الهوياتية المغلقة للمسلمين بالصورة التي تدفع إليها القوميات الحديثة، وكانت النازية المعبأة بالأيديولوجيا العِرقية صورتها القصوى، في التعامل مع الجماعات الإنسانية، دونَ وضع الاختلافات الإنسانية الطبيعية بينهم، سواء كانت اختلافات أخلاقية على المستوى الفردي أو اختلافات في المطالب والغايات السياسية والاقتصادية على المستوى الجماعي، موضع الاعتبار.

وكذلك يلفت الكتاب انتباهنا إلى مسألة اختلاف نظرة اليمين الأوروبي للإسلام طيلة النصف الأول من القرن العشرين عن نظرته الحالية له وموقفه منه، فقد تحول اليمين الأوروبي من موالاة المسلمين وخطب ودِّهم في الحربَين العالميتَين الأولى والثانية، إلى معاداة كل رمزٍ إسلامي ظاهر وكل جانب من جوانب الحياة الدينية الإسلامية في أوروبا.

وأخيرًا وليس آخرًا: يلفت الكتاب انتباهنا إلى أوجه التشابه مع الحالات الأخرى لاستغلال الإسلام وتوظيفه في الصراعات العالمية في العصر الحديث، كما في حالة الحرب الباردة والجهاد الأفغاني، وكما في حالة حرب المحاور العربية الباردة التي دارت في أعقاب الربيع العربي على سبيل المثال.

***

كانت رحلة الترجمة والتحرير شديدة الإمتاع، وإن لم تكن سهلة يسيرة. وقد واجهتنا فيها عقابٌ عدَّة، سواء على مستوى بعض الأحداث أو الأعلام المجهولة لنا في العالم العربي، أو على مستوى متابعة المؤلِّف في بحثه عن التفاصيل الدقيقة لسرديَّته، الذي أثمر أكثر من مائتي صفحة من الحواشي تتضمن مصادر الكتاب ومراجعه وتعليقات المؤلِّف واستطراداته، بذل المترجم جهدًا هائلًا في متابعتها وترجمتها.

وقد حرصنا على أن يوافق النصُّ العربي أصله الإنكليزي حذو القُذَّة بالقُذَّة، في التفقير واستعمال الخطوط الغليظة من عدمه وإثبات الكلمات من اللغات الأجنبية في مواضعها. كما حرصنا على إثبات جميع أسماء الأعلام والوقائع والأماكن كما تُنطَق في لغاتها الأصلية بما لا يتناقض تناقضًا بيِّنًا مع ذَوق اللسان العربي، واستثنينا من ذلك بعض الكلمات الألمانية الشائعة المعروفة بصيغة معيَّنة عند القراء العرب، وإن كانت غير صائبة، مثل: «رايخ» التي تُنطَق في الألمانية «رايش»، و«فوهرر» التي تُنطَق «فيورر». كما زوَّدنا الكتاب بكشَّاف للأعلام والبقاع والجماعات والمؤسَّسات، اعتمدنا فيه على الكشَّاف الموجود في الأصل الإنكليزي، وإن وسَّعناه ببعض الموادِّ التي رأينا ضرورة وجودها فيه.

ولعلَّ القارئ الكريم يلحَظ أن عنوان الترجمة العربية ليس ترجمة حَرفية لعنوان الأصل الإنكليزي، وقد تمَّ هذا التعديل بالاتفاق بين الناشر والمؤلِّف.

لا يسعنا أن نختم هذه الكلمة من دون توجيه جزيل الشكل للمؤلِّف الدكتور ديڤيد مُعتَدِل على وقته، ومتابعته الدائمة، والإجابات المستفيضة التي وافانا بها حول جميع المواضع التي أشكَلت علينا في أثناء ترجمة الكتاب وتحريره. كما نشكره جزيل الشكر على مجموعة الصور التي خصَّ بها النَّشرة العربية للكتاب، وأضفناها إليها في ملحَق خاصٍّ للصور.

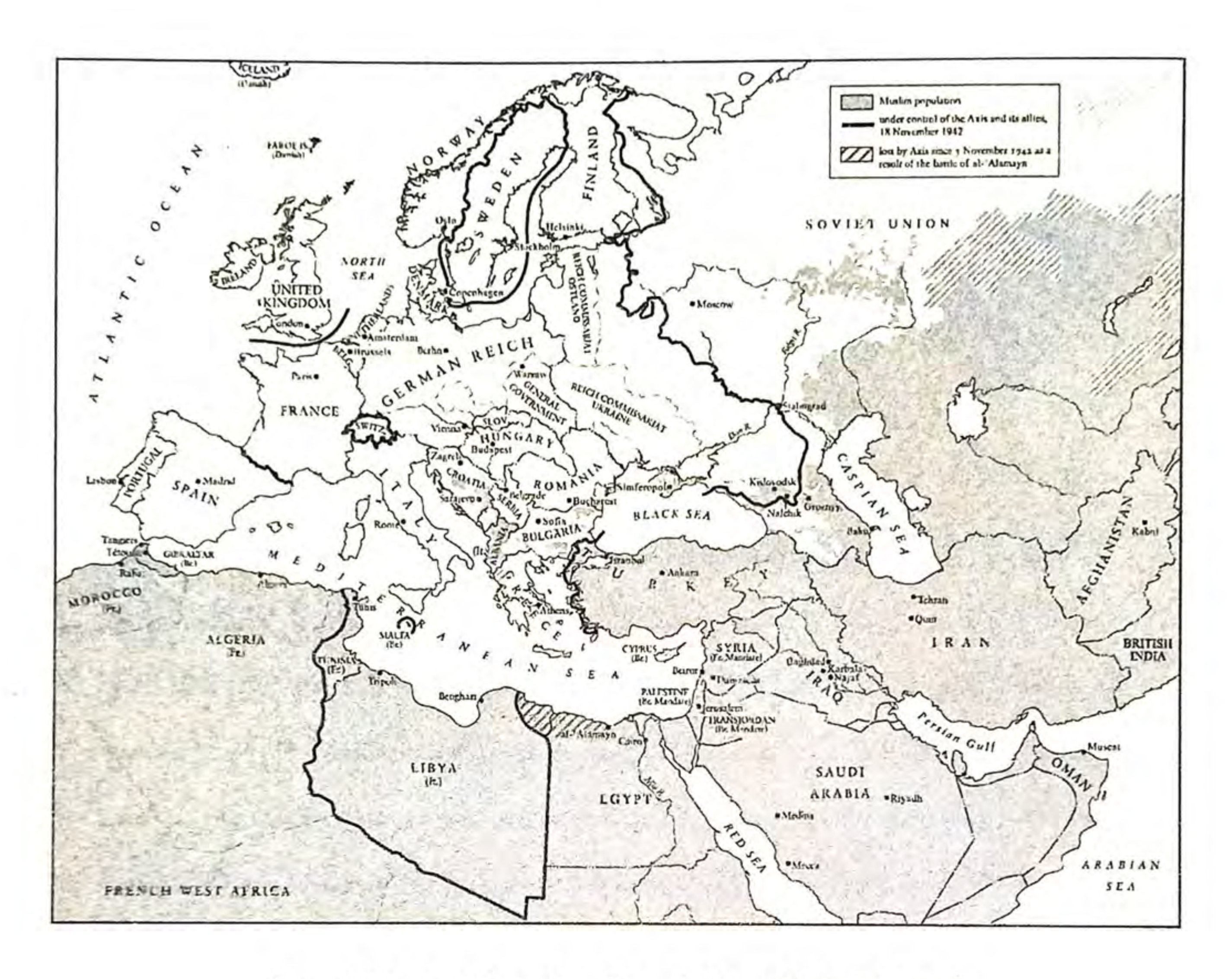
كما نتوجَّه بالشكر الجزيل أيضًا إلى الدكتور عمر رياض، أستاذ الدراسات الإسلامية والعربية، ورئيس قسم الدِّراسات الشرق آسيوية والعربية بمركز لوڤان لدراسة الإسلام والثقافة والمجتمع، جامعة لوڤان، بلجيكا، والذي كانت جهوده الحثيثة وعَلاقته الوثيقة بمؤلِّف الكتاب وناشر الترجمة العربية سببًا رئيسًا في خروج هذه الترجمة إلى النور.

ولا نجد ما يكفي من عبارات الشكر للمترجم الصديق والأخ العزيز، الأستاذ محمَّد صلاح علي، الذي كانت عنايته الهائلة بالكتاب -ترجمةً ومراجعةً وتدقيقًا وتحقيقًا- السبب الأساسي في خروجه على ما تراه بين يديك.

ونحـن مدينـون بالشـكر الجزيل كذلـك للباحثة والمترجِمـة الجزائريـة القديرة، الأستاذة عومرية سلطاني، التي تفضَّلت بالاطِّلاع على مسوَّدة الترجمة وإبداء بعض الملحوظات عليها، كان لها أكبر الأثر في تجويدها وتحسينها.

وإنَّنـا إذ نتشـرَّف بتقديم هذا العمـل الرصين إلى قرَّاء العربيـة، نرجو أن نكون قد وفِّقنا في خدمته وإخراجه بالصورة التي تليق به، وتُرضيهم؛ راجين المولى تعالى أن ينفَع به.

والحمد لله أوَّلًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.



ألمانيا النازية والعالم الإسلامي (قسم الجغرافيا، جامعة كامبردج)

شكرٌ وعرفان

استغرق العمل على هذا الكتاب ما يقرب من عقد من الزمن، وفي خلال هذه المدة أفدت من عدد لا يُحصى من الأشخاص الذين أرشدوني ومدُّوا إليَّ يد المساعَدة. أدين بشكر خاصٍّ للسير ريتشارد ج. إيڤانز (Sir Richard J. Evans) الذي كان له فضلٌ لا يُنكر في الصورة التي خرج عليها هذا الكتاب، من خلال دعمه ونصائحه وتشجيعه الذي لم يفتُر أبدًا. لقد كان نبعًا للمعرفة لا ينضب، ليس فيما يتعلَّق بالنظام النازي والحرب العالمية الثانية فحسب، بل بوصفه مرجعية تاريخية عامة. كما أنني في غاية الامتنان لهوتشناغ إ. شهابي (Houchang E. Chehabi)؛ لقراءته مسوَّدة الكتاب بعينٍ شديدة الانتباه للتفاصيل، ومعرفته الموسوعية فيما يتعلَّق بتاريخ ديار الإسلام، كما أنه كان مصدرًا لا ينضُب للإلهام. فضلًا عن ذلك، أودُّ أن أُعرب عن امتناني لكيميل آيدن (Cemil Aydin)، وإيڤو باناك (Ivo Banac)، وجون كاسي (John Casey)، وروبرت د. كروز (Robert D. Crews)، وتيم هارپر (Tim Harper)، والسِّير نويل مالكولم (Sir Noel Malcolm)، وألكسندر موريسون (Alexander Morrison)، ومايكل أ. رينولدز (Michael A. Reynolds)، ونيكولاس ستارغردت (Nicolas Stargardt) الذين خصَّصوا جزءًا من وقتهم لقراءة مسوَّدات الكتاب، سواءً كانت كليةً أو جزئيةً، وأثرَوها بتعليقاتهم.

وفي خلال سنوات تأليفي لهذا الكتاب، كنت محظوظًا بالعمل في المجتمع الثقافي في كامبردج، أولًا بصفتي طالبًا في كلية پيمبروك (Pembroke College)، ولاحقًا عندما انضممت إلى كلية غونڤيل وكايوس (Gonville and Caius College)

بصفتي باحثًا. لقد كانت كامبردج البيئة المُثلى للقراءة والتفكير والكتابة. كما أنني أفدت أيّما إفادة من النقاشات التي جمعتني بعدد من الأكاديميين، مثل: ديڤيد أبو العافية (David Abulafia)، وأندرو آرسان (Andrew Arsan)، وكريستوفر كلارك (Christopher Clark)، ومايكل فريستش (Michael Frisch)، وبيانكا غاودنتسي (Bianca Gaudenzi)، وستيفان إيريغ (Stefan Ihrig)، وهيوبرتس جان (Hubertus Jahn)، وأليوس مادرسباتشر (Alios Maderspacher)، وتوبي ماتثيزن (Toby Matthiesen)، وتوم نيوهاوس (Tom Neuhaus)، وليزا نيماير (Lisa Niemeyer)، ويعقوب نوريس (Jacob Norris)، وڤالنتينا پوغليانو (Valentina Pugliano)، وچيمس ل. و. روزلينغتون (James L. W. Roslington)، وكريستوفر ن. ب. روس (Christopher N. B. Ross)، وهوغو سيرڤيس (Hugo Service)، وتوبي سيمپسون (Toby Simpson)، ومراد سيولوغلو (Murat Siviloglu)، وچون سلايت (John Slight)، وأستريد سوينسن (Astrid Swenson)، ومحمد ييرچيل (Mehmet Yercil). كما أفدتُ كثيرًا من تعليقات المشاركين في ورشة التاريخ الألماني الحديث في كامبردج (Cambridge modern German history workshop).

لقد مررت على العديد من الأماكن في خلال سنوات بحثي، وأينما حللت كنت أجد من يقدّم لي الدعم. بادئ ذي بدء، لقد خطرت لي فكرة هذا الكتاب في أثناء سنوات دراستي في جامعة فرايبوغ (Freiburg University)، حيث كنت محظوظًا بالدراسة مع اثنين من ألمع الأكاديميين، وهما أولريش هربرت (Ulirch Herbert)، وڤيلي أوبركروم (Willi Oberkrome)، وأنا أشكرهما على تشجيعهما واهتمامهما الدائم بعملي. وفي أثناء الوقت الذي أمضيته في جامعة هارڤارد، بصفتي باحثًا زائرًا في قسم التاريخ، أفدت مما لاقيته من الدعم والإرشاد من كلٍّ من ديڤيد بلاكبورن (David Blackbourn)، ونيال فرغسون (Niall Ferguson)، وإيما روتشيلد (Emma Rothschild)، وكذلك من الوقت الذي اختصوني به. وجعل عبّاس أمانات (Abbas Amanat)، وچون لويس غاديس (John Lewis Gaddis)، وپول كينيدي (Paul Kennedy) من السّنة التي أمضيتها زميلًا باحثًا في جامعة يال (Yale University) وقتًا

ممتعًا ومنتجًا. وفي برلين استمتعت بضيافة أولريكه فرايتاغ (Ulrike Freitag)، وغودرون كرامر (Gudrun Kramer) ودعمهما. وفي النهاية، أودُّ أن أتوجّه بالشكر إلى زملائي الذين لم يبخلوا عليَّ بنصيحتهم خلال مراحل مختلفة من بحثي، وهم: نير أرلي (Nir Arielli)، وپول بيتس (Paul Betts)، وخافيير بوغاريل (Xavier Bougarel)، وموريتس دويتشمان (Moritz Deutschmann)، وديتليف هيلفيير (Detlev Hellfaier)، وباستيان هيربست (Bastian Herbst)، ودانيال يوته (Daniel Jütte)، وألكسندر كاتسيروني (Alexandre Kazerouni)، وآنّا أولچِنِك (Anna Olejnik)، وشتيفان پيتكه (Stefan Petke)، وأولكسي پوپوف (Oleksiy Popov)، وداغمار رايدل (Dagmar Riedel)، وبِنغ رونغ (Bing Rong)، وعمر رياض (Umar Ryad). ومازال هناك الكثير ممن كان لهم أثرٌ على هذا الكتاب وتطويره، ولكل أولئك الذين لم أذكر أسماءهم مباشرة أُرسل لهم أسمى آيات الشكر.

لقد عمدت في كتابة هذا الكتاب إلى موادَّ في لغات عديدة، ولم أكن لأتمكَّن من كتابته بدون بعض المساعدة في الترجمات. أتوجَّه بالشكر إلى روزاليا غريپوفا (Rozaliya Garipova)، وڤيسنا نوڤاكوڤيتش (Vesna Novakovic)، وريڤي پانديها (Revi Panidha)، وحارث بن رملي على المساعدات التي قدَّموها في الترجمة من التترية والبوسنوية والألبانية والعربية على الترتيب. فضلًا عن ذلك، أتوجَّه بالشُّكر إلى فيليپ ستيكلر (Philip Stickler) الذي أمدَّني بالخريطة الموجودة في أولِّ الكتاب.

وممن جعلوا البحث أيسرَ: أمناء عدد من المكتبات ودور المحفوظات عبر العالم. وإني مدينٌ بشكر خاصٍّ لـ ساندرا بورخاردت (Sandra Burkhardt)، وسويلا تشوتشي (Suela çuçi)، وچيني غور (Jenny Gohr)، وسينييزنا جيرجيكا (Snježana Gregić)، ومارتن كروغر (Martin Kröger)، وألما ليكا (Alma Leka)، وسونيا مارتينوڤيتش (Sonja Martinović)، ولوتس موسر (Lutz Möser)، وإرڤن أوبرلندر (Erwin Oberländer)، وفاطمة قازِها (Fatimah Qaziha)، وتوماس رِپّر (Thomas Ripper)، وغابرييل تايشمان (Gabriele Teichmann)، ويان ڤارسيتشك (Jan Warßischek)،

وأليسـون تسامر (Alison Zammer)، أشـكرهم لمساعدتي في التحصُّل على الوثائق والمقـالات والكتـب. كما كانـت مكتبة جامعة كامبـردج، ومكتبة وايدنـر الحكومية (Widener State Library)، ومكتبة سترلينغ التذكارية (Sterling Memorial Library)، ومكتبـة برليـن الحكومية (Berlin State Library) بمثابة كنوز ثمينة، وأتوجَّه بالشـكر الخاصّ إلى العاملين في هذه المكتبات.

كمـا أن العمـل على هذا الكتاب أصبح ممكنًا بفضل بعض المنح السـخيَّة، مثل: منحـة كامبـردج غيتـس (Cambridge Gates Trust)، ومجلـس بحـوث الآداب والإنسـانيات (The Arts and Humanities Research Council)، ومؤسسـة سـميث ريتشاردسـون (Smith Richardson Foundation)، والسِّـير جـون پلمـب (Sir John Plumb Trust)، والجمعية التاريخية الملَكية (Royal Historical Society)، والجمعية التاريخيـة الألمانيـة (German History Society)، ومعهد التاريخ الألماني بواشـنطن (German Historical Institute Washington)، ومركـز كامبـردج للتاريـخ والاقتصاد (Cambridge Center for History and Economics)، وكلية التاريخ بجامعة كامبردج (Cambridge History Faculty)، وكلية پمبروك (Pembroke College)، وكلية غونفيل وكايوس (Gonville and Caius College).

ظهرت أجزاء من الفصلَين الرابع والخامس في مقالات نُشرت في **مجلَّة التاريخ المقـارن** (*Journal of Contemporary History* 48, 4) فـي عـام ٢٠١٣، ص ص (٧٨٤-٨٢٠)، وفـي **المجلَّة التاريخيـة** (*Historical Journal 56, 4*) في عام ٢٠١٣، ص ص (١٠٠٧-١٠٣٩)، وأشـكر الناشـرَين على السـماح لي باستخدامها في هذا الكتاب.

وفـي النهايـة أودُّ توجيـه الشـكر إلـى المحرريـن المجهولين لمنشـورات جامعة هارڤـارد (Harvard University Press) علـى دعمهـم، وكذلـك المحرِّر إيان مالكولم (Ian Malcolm) الذي كان متحمسًـا لكتابي من البداية وقرأه بعناية شـديدة. وكذلك أتوجَّـه بالشُّـكر إلـى چـوي دنـغ (Joy Deng)، وچـون دونهيـوي (John Donohue)، وكارول هـوك (Carol Hoke)، الذيـن حرصـوا علـى أن تسير عملية تحرير الكتاب

ورقنه بسـهولة ويُسر. كما أنني ممتنٌ لفريق وكالة وايلي (Wylie Agency) الذين كان لهـم فضـل كبيـر فـي إدراك قيمـة الكتاب. وقـد دقَّق چيرمـي لـوي (Jeremy Lowe) مخطوطة الكتاب كاملة، وصوَّب الكثير من التصحيفات والأخطاء.

وأديـن بعظيم الشـكر إلى عائلتي: رايتشـيل ج. هوفمـان (Rachel G. Hoffman)، الأكاديميـة اللامعـة، التـي قـرأت مخطوطـة الكتـاب مـرارًا، ودعمني حبُّها وحسُّـها الفكاهي وعنايتها. ووالديَّ: سابين (Sabine) وإيرچ مُعتدل (Iradj Motadel)، اللذين ساعدني حبهما وإيمانهما اللامحدود بعملي بأكثر مما يمكن التعبير عنه بالكلمات. أمَّـا جدَّتـي دوروثيـا دورن (Dorothea Dorn)، فقد سـاعدتني حكمتهـا وفطنتها على الاحتفاظ بمعنوياتي في السماء.. ولهم جميعًا أهدي هذا الكتاب.

المقدمة

امتدَّ أُوار الحرب العالمية الثانية ليَصِل أطرافًا واسعة من العالم الإسلامي؛ فقرابة مائة وخمسين مليونًا من المسلمين بين شمال إفريقيا وجنوب شرق آسيا كانوا يعيشون تحت الحكم البريطاني والفرنسي، وأكثر من عشرين مليونًا منهم كانت تحكمهم موسكو. وفي أوج الحرب، عندما تقدَّمت اليابان في أراض إسلامية في جنوب شرق آسيا، ودخلت القوات الألمانية أراضي إسلامية في البلقان وشمال إفريقيا والقِرم والقوقاز، واقتربت من الشرق الأوسط وآسيا الوسطى؛ شرعت قوى المحور والحلفاء الرئيسة في النظر إلى الإسلام من زاوية أهميته السياسية والإستراتيجية.

وكانت برلين في ذلك الوقت، بين عامي (١٩٤١-١٩٤٢)، قد شرعت في التحالف مع العالم الإسلامي ضد من زُعِم أنهم أعداءٌ مشتركون، ولا سيَّما الإمبراطورية البريطانية والاتحاد السوڤييتي واليهود، فقدَّم الألمان أنفسهم في مناطق المسلمين، حيث دارت رحى الحرب في شمال إفريقيا والقِرم والقوقاز والبلقان، بوصفهم أصدقاء المسلمين وحُماة دينهم، وبدأ في الوقت عينه تجنيد عشرات الآلاف من المسلمين في القوات المسلَّحة الألمانية «الڤيرماخت» (Wehrmacht) ووحدات الحماية النازية «إس إس» (SS)[أ]. وكان أكثر هؤلاء المجنَّدين من الاتحاد السوڤييتي، بينما كان بعضهم من البلقان، بالإضافة إلى عدد أقل من الشرق الأوسط، وأنشأت

(أ) على امتداد صفحات الكتاب، سنستعمل اصطلاحات: «الڤيرماخت» أو القوات المسلَّحة الألمانية، والـ «ڤافن إس إس» أو «إس إس» اختصارًا أو وحدات الحماية النازية، بالتبادل. وستكون الغلَبة للاصطلاح العربي بطبيعة الحال. (المترجم)

السُّلطات الألمانية عددًا من المؤسسات الإسلامية، مثل: معهد برلين الإسلامي المركزي (*Islamisches Zentralinstitut*) الذي افتُتح عام ١٩٤٢، ووظفت العديد من الزعامات الدينية من جميع أنحاء العالم الإسلامي لدعم جهودها، وكان من أبرز هؤلاء: المفتي اللِّتواني يعقوب شينكييتش (Jakub Szynkiewicz)، من ڤيلنيوس (Vilnius)[أ]، الذي روَّج لنظام هتلر الجديد بوصفه أساسًا للوحدة والإحياء الإسلامي في الأراضي الإسلامية في أوروبا الشرقية وآسيا الوسطى، ومحمَّد پانچا (Muhamed Pandža)، أحد وجهاء البوسنة المسلمين وعلماء سراييڤو البارزين وحليف الألمان في البلقان، ومفتي القدس الشهير: أمين الحسيني، الذي دعا المؤمنين من المغرب إلى الملايو إلى جهاد الحلفاء. وقد مثَّل هذا الجهد -الذي امتدَّ على بساط ثلاث قارَّات- محاولةً كبرى لتسييس الإسلام وتوريط المسلمين في الحرب إلى جانب الألمان.

لقد جاء اهتمام برلين بالمسلمين في سياقَين ارتبط كلاهما بتحول عام حدث في مسار الحرب العالمية الثانية بين عامي (١٩٤١-١٩٤٢). من الناحية الجغرافية، وبينما تحولت الحرب الأوروبية إلى حرب عالمية، أضحت ديار الإسلام ساحات حرب؛ ففي عام ١٩٤٢، كان الجنود الألمان قد احتلُّوا مساحةً شاسعةً تمتد من جزر القنال الإنكليزي غربًا إلى جبال القوقاز شرقًا، وكانوا يبسطون سيطرتهم من شبه الجزيرة الإسكندناڤية إلى الصحراء الكبرى، وفجأة، أصبح الألمان وجهًا لوجه مع شعوب مسلمة ضخمة في القوقاز والقِرم والمغرب والبلقان، وسَمِقَ عددٌ لا يحصَى من المآذن على أراض احتلَّها هتلر، وسيطرت ألمانيا على عواصم مسلمة، مثل: تونس وسراييڤو وبغچه سراي (Bakchisarai)[ب]. وكان غالب ما احتلَّه الألمان من أراض خارج أوروبا يقطنه مسلمون، بل حتى في أوروبا، أحكمت برلين قبضتها على مناطق إسلامية في البلقان. وتجدر الإشارة هنا إلى أن النظام الألماني قد توقَّع -بطبيعة الحال- أنه سيسيطر على أراض إسلامية أخرى مع احتلال الحزام الإسلامي

(أ) عاصمة دولة لتوانيا. (المترجم)

(ب) مدينة تترية أسِّست عام ١٥٣٢، وهي عاصمة جزيرة القِرم شمال البحر الأسود. (المترجم)

الواصل بين الساحتَين الآسيوية والأوروبية، وأصبح من الأهمية بمكان السعي للحصول على دعم المسلمين في هذه المناطق، عندما تحول هذا الحزام -لفترة وجيزة- إلى ميدان الحرب الحاسم.

ومن الناحية الإستراتيجية، لم تكن محاولات الألمان لتعبئة المسلمين ضد أعدائهم ثمرة تخطيط طويل الأمد، بل نشأت في أثناء الحرب عندما انقلب الوضع ضد دول المحور. ويمكن أن يُنظَر لهذه الجهود على هذا الصعيد بوصفها جانبًا من تحول أشمل نحو البراغماتية الإستراتيجية (strategic pragmatism) ومنطق التعبئة الشاملة[١]. في أواخر عام ١٩٤١، كان المسئولون في برلين لا يزالون على اعتقادهم بأن النصر آتٍ لا محالة، وكانت السياسة الألمانية موجَّهةً نحو المستقبل البعيد، وهو ما تبلور بشكل واضح في «الخُطَّة العامة للشرق» (General Plan East). إلَّا أن هذه الرؤية بدأ يعتريها التغيُّر بعد الهزيمة على مشارف موسكو، وانخراط الولايات المتحدة في الحرب أواخر عام ١٩٤١. وعندها لحظ الألمان أن إستراتيجية الحرب الخاطفة (Blitzkrieg) قد فقدت فعاليتها، وأن الحرب ستستمر. ومع نهاية العام التالي، أدَّت هزائم ستالينغراد والعَلَمين، وتصاعد وتيرة التمرد الداخلي في الأراضي المحتلَّة، إلى حدوث تغيير في الإستراتيجية الألمانية؛ فمالت سياسة برلين تدريجيًّا إلى الأهداف قصيرة المدى والضرورات العاجلة للحرب. وسعت زُمرٌ شتى في برلين إلى بناء تحالفات عسكرية أكبر، مُبدية درجة كبيرة من البراغماتية، وأصبحت العوائقُ الأيديولوجية أقل تأثيرًا، وغدت الحواجز العرقية -فجأة- أقل صرامة كذلك. ومع تصاعد هزائم الحرب واتضاح النقص الحادِّ في عَديد القوات، شرعت القوات المسلَّحة ووحدات الحماية النازية في تجنيد متطوعين من جميع أنحاء الأراضي المحتلَّة، كما شرعت برلين في الدعوة لحلف أوروبي مناهِض للبلشفية[٢]. وحتى في البلدان التي عانَت ويلات الحرب أكثر من غيرها، مثل: پولندا والاتحاد السوڤييتي، حاول الضباط الألمان نَيل الدعم لفكرة نضال أوروبي موحَّد ضد البلشفية. وكان هجوم برلين على الإمپريالية إحدى صور هذا التحول أيضًا؛ إذ موَّلت ألمانيا النازية العديد من القادة القوميين المناهِضين للاستعمار -من بينهم

هنود وعراقيون وفلسطينيون- وحاولت دعم الانتفاضات المناهِضة للإمبريالية في جميع أنحاء العالم[٣]. وكانت مقتضيات الحرب، وليس أي اعتبارات أيديولوجية، هي ما فرض هذه التطورات جميعها. ويمكن النظر إلى مساعي برلين لتعبئة العالم الإسلامي بوصفها وجهًا مهمًّا من وجوه هذا التحول نحو البراغماتية الإستراتيجية، والتعبئة الشاملة.

لم يكن تودُّد ألمانيا للمسلمين مجرد محاولة للسيطرة على أراضيهم الواقعة خلف الجبهة أو تحييدها فحسب، بل كان يروم كذلك -وهو الأمر الأكثر أهمية- إثارة الاضطراب خلف خطوط العدو، وخاصة في التُّخوم الإسلامية غير المستقرة في الاتحاد السوڤييتي، وكذلك في المستعمَرات البريطانية (ثم الفرنسية الحرة) في إفريقيا والشرق الأوسط وآسيا، وأخيرًا، استهدفت تعبئة المسلمين في الجيوش الألمانية.

لقد حاولت السُّلطات الألمانية محاولات مُضنية لتوظيف الإسلام؛ بغية الفوز بدعم المسلمين؛ فقد وُظِّفت السياسات والپروپاغندا الدينية في سبيل إحكام السيطرة الاجتماعية والسياسية على المناطق المحتلَّة وساحات الحرب، وتجنيد المسلمين في القوات المسلَّحة الألمانية ووحدات الحماية النازية، وتأليب المؤمنين في أراضي الأعداء وجيوشهم. وقد شملت هذه السياسات الألمانية المؤسسات الإسلامية والمرجعيات الدينية. واعتمدت الپروپاغندا على الفروض الدينية والنصوص المقدسة والتمثيل الرمزي الإسلامي، بغية إسباغ الشرعية الدينية على انخراط المسلمين في الحرب. وعلى الرغم من أن هذه السياسات كانت مرتجَلة وظرفية، شأنها شأن سياسات ألمانيا جميعها في أثناء الحرب، إلَّا أنها كانت متماسكة بشكل لافت.

كانت سياسات برلين تجاه المسلمين تعبيرًا عن مجموعة محدَّدة من الفرضيات والأفكار والرؤى التي اعتنقها المسئولون الألمان عن الإسلام، فقد اختَزلوا المسلمين مرارًا في هُويتهم الدينية، بقطع النظر عن درجة تقواهم أو ماهية تصوراتهم عن الإسلام. وبالفعل، غدت مصطلحات «الإسلام» (*Islam*) أو «المحمَّدية» (*Mohammedanertum*) و«مسلم» (*Muslim – Moslem*) أو «محمَّدي»

(*Mohammedaner*) أو «مزلمـان» (*Muselmane*) تصنيفـات بيروقراطيـة أساسـية في الوثائق الرسمية. وعلى الرغم من أن السُّلطات الألمانية غالبًا ما أدركت مدى التنوع والتعقُّد الذي يتسم به العالم الإسلامي من جهة المبدأ، ارتدَّت في غمار التطبيق مرارًا إلى الأفكار الجوهرانية عن الإسلام بوصفه كيانًا ذا سمات خاصة. وكان مفهوم الإسلام بوصفه قوةً سياسيةً وفكرة الوحدة الإسلامية العالمية (global Islamic unity) هما الأكثر أهمية؛ إذ افترَض المسئولون الألمان دومًا أن الدين والسياسة على صلة وثيقة في «العالم الإسلامي». ونُظِر إلى الإسلام في جوهره بوصفه قوة سياسية، بل ومحارِبة. والأكثر أهمية أن جهود برلين قامت على فرضية أن الإسلام يمكن توظيفه واستعماله في سبيل تحقيق الأهداف السياسية والعسكرية الألمانية؛ إذ عُدَّ الإسلام مدوَّنة دينية شاملة ومتماسكة يمكن توظيفها، وبدا أن الفروض الدينية التي يلتزم بها المسلمون توفر أرضيةً مثالية لإضفاء الشرعية على القوة والسُّلطة. ولذلك، بدا أن توظيف الدين في البروپاغندا والسياسات الموجَّهة للمسلمين أداة مثالية للسيطرة عليهم وتعبئتهم. فضلًا عن ذلك، نزَع المسئولون في برلين إلى تصور العالم الإسلامي (*Muslimische Welt - Moslemische Welt*) أو العالم المحمَّدي (*Mohammedanische Welt - Weltmuselmanentum*) بوصفه كيانًا جغرافيًّا وسياسيًّا متجانسًا، وهو تصورٌ كان له أثر مباشر على النطاق الجغرافي لسياساتهم. وهو ما تجلَّى في مفهوم عالم الإسلام (*Weltislam - Weltmuselmanentum - All-Islam*) الذي أحال إليه المسئولون الألمان بانتظام. ولا غرو أن هذه الفرضيات والتصورات اصطدمت بالواقع على الأرض مرارًا[٤].

يستكشف هذا الكتاب الطُّرق التي تفاعلت بها السُّلطات الألمانية -وعلى رأسها القوات المسلَّحة الألمانية ووحدات الحماية النازية، بالإضافة إلى وزارة الخارجية (*Auswärtiges Amt*)، ووزارة الرايخ للدعاية والإعلام (*Reichsministerium für Volksaufklärung und Propaganda*)، ووزارة الرايخ للأراضي الشرقية المحتلَّة (*Reichsministerium für die besetzten Ostgebiete*)- مع الإسلام، في محاولة منها لبناء تحالف مع المسلمين في الأراضي التي احتلتها ألمانيا، وفي بقية أنحاء العالم.

ويتساءل الكتاب عن الكيفية التي وُظِّف بها الإسلام عمليًا في مناطق الحرب، وفي عمليات التجنيد والتعبئة العسكرية، وفي الوقت نفسه، يتعرض الكتاب للتصورات السياسية الكامنة عن الإسلام، والتي ألهمت صنَّاع القرار والمسئولين في العاصمة الألمانية، وفي ميادين القتال.

ويتناول الكتاب -متبنِّيًا رؤية عبر إقليمية- أراضي الحزام الإسلامي الممتدَّة من الصحراء الكبرى وحتى شبه جزيرة البلقان وإلى حدود الاتحاد السوفييتي وما وراءها، آخذًا في الحُسبان الأوضاع الدينية والسياسية المختلفة في هذه المناطق(٥). في الواقع، واجه المسئولون الألمان ضروبًا شتى من الإسلام، تتراوح بين الحركات الصوفية في المغرب، مرورًا بالصور الأكثر تسنُّنًا لدى العلماء الحَضريين في البلقان، وحتى الضروب البِدعية منه في الأطراف الجنوبية للاتحاد السوفييتي. لقد كان تفاعل ألمانيا مع الإسلام على الأرض معقَّدًا، وينطوي على أسئلة عن السياسات التي يجب اتباعها مع الغجر المسلمين واليهود المتحولين إلى الإسلام. للتأكيد، يسلِّط هذا الكتاب الضوء على السياسات الألمانية، ولا يمكن عدُّه تاريخًا اجتماعيًّا لحياة المسلمين في ميادين القتال وساحاتها في الحرب العالمية الثانية، ولا عَرضًا لاستجابات المسلمين لألمانيا النازية، لكنه يتعرض لمن انخرط من المسلمين بشكل مباشر في السياسات الألمانية تجاه الإسلام؛ خدمة لأجنداتهم الخاصة.

لم توضَع حتى الآن أيَّة دراسة شاملة عن سياسات ألمانيا نحو الإسلام في أثناء الحرب العالمية الثانية. وبوجه عام، عندما حلَّل المؤرِّخون علاقة ألمانيا النازية بالعالم الإسلامي، ركَّزوا على الجوانب الجغرافية والقومية والإثنية، وليس الدينية. وقد صدر العديد من الدراسات حول السياسات الألمانية في شمال إفريقيا والشرق الأوسط والبلقان والقِرم والقوقاز(٦). وتندرج السِّير المؤلَّفة عن مفتي القدس ضمن الدراسات التي وُضعت عن سياسات ألمانيا تجاه الشرق الأوسط(٧). وقد أشار بعض هذه الدراسات المناطقية والسِّير الذاتية إلى دَور الإسلام(٨). لكن الدراسات التي تناولت العالم العربي والحسيني أشارت، بشكل خاص، إلى السياسات

والپروپاغندا الدينية؛ لذلك، يعتمد هذا الكتاب على هذه الدراسات المناطقية والسِّير الذاتيـة، ويركِّـز على الدور الخاص الذي لعبه الدين في سياسـات برلين تجاه العالم الإسلامي. ويمتد النطاق الجغرافي للكتاب من شمال إفريقيا وحتى الشرق الأوسط ومـن البلقـان إلـى الحـدود السـوڤييتية. ويرسـم الكتاب، لأول مـرة، صورةً شـاملة لسياسـات ألمانيا النازية تجاه الإسـلام في أقصى اتساعها، وهو ما لم تبيِّنه أيَّة دراسة مناطقية أو قُطرية (كتلك التي تناولت سياسـات ألمانيا النازية في الشـرق الأوسط أو الاتحاد السـوڤييتي أو البلقان) أو أية سـيرة ذاتية (كتلك التي تناولت مفتي القدس). ويمثل الكتاب محاولةً لوضع الإسلام على الخريطة السياسية والإستراتيجية للحرب العالمية الثانية.

وبذلك، يسـهِم الكتاب في التأريخ الأشـمل لسياسـات برلين الدينية في الحرب العالميـة الثانيـة. وفـي حيـن أن العديـد من الدراسـات تنـاول التفاعـل الألماني مع الجماعـات المسـيحية مـن الكاثوليك، والپروتسـتانت، والأرثوذكس الشـرقيين في أثنـاء الحـرب، وتطرَّق عـددٌ لا يحصَى منها للسياسـات الدموية تجـاه اليهود؛ أُهمل المسـلمون بشـكل مثير للدهشـة، رغم أنهم كانوا أكثر الجماعات الدينية انتشارًا في مناطق الحرب(٩).

لكـن ألمانيـا النازيَّة لم تكن القوة الوحيدة التي حاولت توظيف الإسـلام لحشـد الدعـم فـي العالـم الإسـلامي؛ ففـي الواقـع، بذلت شـريكتاها فـي المحـور؛ اليابان وإيطاليـا، جهـودًا مماثلـة، وفي أواسـط الحـرب نافسـهم البريطانيـون والأمريكيون والسـوڤييت؛ إذ تعهـدوا جميعًا بالدفاع عن الإسـلام ونُصـرة المؤمنين، وهي ظاهرة يمكن تسميتها باللحظة الإسلامية في الحرب. ففي أوائل عام ١٩٣٧، نظَّم الدوتشي (Il Duce) احتفـالًا عامًّـا فـي طرابلـس [الغـرب]، حصل فيه على «سـيف الإسـلام» المرصَّع بالجواهر (والمصنوع في إيطاليا على الحقيقة)، ليُعلن نفسه -رمزيًّا- حامي حمى العالم الإسلامي(١٠)، وأعلن أن إيطاليا ستجلُّ «شريعة النبي [ﷺ]». وقد علَّق غوبلز (Goebbels) في يومياته قائلًا: «يجوب موسـوليني (Mussolini) إفريقيا مشـيدًا بالإسـلام، وهو تصرفٌ ماكرُ شـديد المكر، أثار -من فوره- قلق باريس ولندن»(١١).

وبلغ توظيفُ إيطاليا للإسلام ذروته في أثناء الحرب، عندما جال الدِّعائيون الطليان في جميع أنحاء العالم الإسلامي، ممجِّدين موسوليني بوصفه «حامي حمى الإسلام». لكن محاولة اليابان استخدام الإسلام كانت أكثر شمولًا وأحكَم تنظيمًا؛ إذ استهدفت تعبئة المسلمين في جميع أنحاء آسيا ضد بريطانيا وهولندا والصين والسوڤييت[١٢]. وعلى الرغم من أن أصول هذه السياسات يمكن إرجاعها إلى أواخر الثلاثينيات، عندما أُنشئت «رابطة اليابان الإسلامية الكبرى» (*Dai Nippon Kaikyo Kyokai*)، ومسجد طوكيو عام ١٩٣٨، كثَّفت اليابان من تفاعلها السياسي والدعائي مع الإسلام في أثناء غزوها [جُزر] الهند الشرقية الهولندية عام ١٩٤٢، فنظَّم مبعوثون مسلمون مأجورون المساعدة في دخول القوات اليابانية مع الزعماء والجماعات الإسلامية المحلية. ولإضفاء الصبغة الإسلامية على النظام الغازي، حاولت السُّلطات العسكرية استقطاب العلماء المحليين الذين كان يداخلهم شعور بالقمع تحت حكم الهولنديين. وبدأ اليابانيون في فرض نصوص معدَّة على الأئمة ليضمِّنوها في خُطبهم للجمعة، ويحضُّوا المؤمنين على الدعاء؛ نُصرةً للإمبراطور، والانتصار في الحرب. وكذلك أرغموا بعض الجماعات على المشاركة في كيان تمثيلي سُمِّي «مجلس المسلمين الإندونيسيين» (*Majlis Sjuro Muslimin Indonesia*) أو (*Masjumi*). وفي أوائل إبريل/ نيسان من عام ١٩٤٣، استُدعي العلماء والوجهاء المسلمون من سومطرة والملايو إلى مؤتمر في سنغافورة، أعلن فيه اليابانيون لمسلمي جنوب شرق آسيا أن طوكيو هي حامي حمى دينهم الحقيقي. وخرج العلماء من الاجتماع، معربين -بشكل رسمي- عن رضاهم بالتزام اليابان نُصرة الإسلام، وأعلنوا دعم المسلمين للجهود الحربية. وعُقد اجتماع آخر للزعماء الدينيين في ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤٤ في كوالا كانغسار (Kuala Kangsar) في شبه جزيرة الملايو. ومن العاصمة اليابانية، قدَّم عبد الرشيد إبراهيم، «إمام مسجد طوكيو» و«إمام العالم الإسلامي المبجَّل»، تأويلًا حربيًا للجهاد؛ إذ زعم في صيف عام ١٩٤٢ أن «غاية اليابان في حرب شرق آسيا العظمى غايةٌ مقدسة، وأن هذه الحرب لا تقلُّ ضراوةً عن الحروب التي خاضها النبي محمَّد [ﷺ] ضد الكفار»[١٣].

أما بالنسبة للحلفاء، فقد بدا الإسلامُ تهديدًا محتمَلًا، وفي الوقت نفسه أداةً فعَّالة في المعركة السياسية؛ فكان ونستون تشرشل (Winston Churchill)، الذي خَبِر الأهمية السياسية للإسلام عندما كان ضابطًا شابًّا في أثناء حروب أواخر القرن التاسع عشر على الحدود الشمالية الغربية [للهند][أ]، وفي انتفاضة المهدي السوداني، يأخذ المناهَضة الإسلامية للإمبريالية على محمل الجدّ[١٤]؛ إذ شدَّد في أوائل عام ١٩٤٢ على أن بريطانيا «يجب ألا تقطع صِلاتها مع المسلمين، أيًّا كان السبب». لقد كان المسلمون قوةً هائلة في الإمبراطورية، وشكَّلوا عنصرًا مهمًّا من عناصر العسكرية البريطانية، ولا سيَّما في الجيش الهندي البريطاني[١٥]، وكان الرأي نفسه شائعًا بين المسئولين البريطانيين[١٦]، وقد دشَّنت بريطانيا برنامجًا مكثفًا لتعزيز العلاقات بين الإمبراطورية والعالم الإسلامي بعد اندلاع الحرب؛ فافتتحت السُّلطات البريطانية مسجد شرق لندن (East London Mosque)، وقرر مجلس وزراء الحرب في عهد تشرشل بناء مسجد لندن المركزي (London Central Mosque) في متنزَّه ريغنت (Regent's Park)؛ إظهارًا لاحترام لندن للإسلام[١٧]. وأدركت واشنطن أيضًا أهمية الإسلام، فمنذ أوائل نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٤٠، تساءلت جريدةٌ يومية رئيسة بقلق: «مَن سينالُ دعمَ المسلمين في الحرب الأوروبية؟»[١٨]. وبمجرد وصول القوات الأمريكية إلى أراضٍ إسلامية، وضعت السياسات والبروباغندا الإسلام في اعتبارها مرارًا؛ ففي عام ١٩٤٣، وزَّع الجيش الأمريكي كتيِّبات دينية تدعو للجهاد ضد قوات روميل (Rommel) في شمال إفريقيا[١٩]، ودرَّبت وزارة الحرب الأمريكية جنودها على كيفية التعامل الصحيح مع المسلمين، وأعدَّت لهم كتيِّبات تُدرِّسهم أصول الإسلام. حتى الكرملين الذي قمع الإسلام بقسوة في فترة ما بين الحربين، غيَّر من سياسته عام ١٩٤٢، وأسَّس أربعة مجالس إسلامية سوفييتية، أو «إداراتٍ روحية» (spiritual directorates)[٢٠]. وبُنيت مساجد جديدة، ونُظِّمت مؤتمرات إسلامية، وبدأت موسكو في دعم الممارسات الدينية الإسلامية علانية، بل أجازت حتى الحجَّ الذي كان محظورًا قبل الحرب، وأطلق عبد الرحمن رسولوف (Abdurrahman Rasulaev)، «مفتي ستالين الأحمر»، من مقر «الإدارة الإسلامية الروحية المركزية» (Central Muslim Spiritual

---

(أ) أي دولة باكستان في الوقت الحالي. (المترجم)

Directorate) في أوف (Ufa)، سلسلةً من الدعوات الموجَّهة إلى مسلمي الاتحاد السوفييتي للانتفاض في وجه المعتدي النازي، والابتهال نصرةً للجيش الأحمر، وكان ذلك ردًّا مباشرًا على الحملة الألمانية التي استهدفت تعبئة المسلمين على التُّخوم الجنوبية للاتحاد السوفييتي. وإجمالًا، لم يقتصر هدف السياسات الدينية لدى الحلفاء والدعاية لهم على موازنة محاولات المحور لإثارة الاضطراب في أراضي المسلمين والعالم الإسلامي بشكل واسع فحسب، بل كانت تهدف أيضًا إلى تعبئة الرعايا المسلمين للمشاركة في المجهود الحربي.

ويمكن عدُّ تاريخ سياسة الإسلام خلال الحرب العالمية الثانية جزءًا من قصة أوسع عن محاولات القوى غير المسلمة استخدام الدين الإسلامي لأغراض سياسية وعسكرية؛ إذ استخدمت الإمبراطوريات الأوروبية في العصر الإمبريالي السياسات والبروبغندا الدينية -بشكل منتظم- بغية تحريض الرعايا المسلمين لمنافسيهم من القوى الاستعمارية الأخرى. فقد سعى البريطانيون والفرنسيون والعثمانيون في حرب القِرم إلى تحريض المسلمين القاطنين في شبه جزيرة القِرم والقوقاز(٢١). وكانت مساعي قوى المركز (Central Powers)(أ) لتثوير المسلمين المتدينين في الحرب العالمية الأولى من أبرز محاولات توظيف الإسلام في الإستراتيجية السياسية والعسكرية(٢٢)؛ ففي خريف عام ١٩١٤، كلَّفت الحكومتان الألمانية والعثمانية شيخ الإسلام، أرفع سُلطة دينية في دار الخلافة بالقسطنطينية، بإعلان الجهاد دفاعًا عن الإسلام، ثم وُزِّع الإعلان في جميع أنحاء العالم الإسلامي بالتركية العثمانية والعربية والفارسية والأُردية والتَّترية، داعيًا المسلمين إلى جهاد قوى الوفاق (Entente powers)(ب). وطوال الحرب، كثَّفت برلين والقسطنطينية من

(أ) قوى المركز، أو دول الوسط، أو الدول الوسطى: تعبير يستعمل للإشارة إلى التحالف بين القيصرية الألمانية، والإمبراطورية النمساوية - المجرية والدولة العثمانية والمملكة البلغارية، في أثناء الحرب العالمية الأولى. (المترجم)

(ب) الوفاق الثلاثي أو دول الوفاق: حلف عسكري عُقِد في عام ١٩٠٧ بين إنكلترا وفرنسا وروسيا القيصرية، وفق المعاهدة الأنجلو-روسية. وهو التحالف الذي خاض الحرب العالمية الأولى في مواجهة قوى المركز. (المترجم)

جهودهما بغية تحريض «العالم المحمَّديّ[أ] أجمع على ثورة عارمة» -على حدِّ تعبير ڤيلهلم الثاني (Wilhelm II)- ضد الإمبراطوريات البريطانية والروسية والفرنسية[٢٣]. ووظَّفت السُّلطات الألمانية والعثمانية شعارات وشبكات إسلامية في شمال إفريقيا والشرق الأوسط وروسيا والهند، وردَّ البريطانيون والفرنسيون والروس على ذلك بسياساتهم ودعاياتهم الدينية الخاصة[٢٤]. لقد نُظِر إلى الإسلام بوصفه قوةً سياسية هائلة يمكن أن تؤثر في مسار الحرب؛ إذ كتب الباحث الأمريكي دوايت إ. لي (Dwight E. Lee) عام ١٩٤٢: «يبدو أن الدعوة إلى فكرة الوحدة الإسلامية دائمًا ما تقف وراءها أو بإزائها السياسةُ الإمپريالية لقوة أوروبية ما تنسجم مصالحها وأهدافها في اللحظة عينها مع الإسلام أو مع زعيم مسلم ما»[٢٥]. ثمَّ أُتبعت محاولات المحور والحلفاء للتعاطي مع الإسلام في الحرب العالمية الثانية، بالدعم الغربي للحركات الإسلامية المناهِضة للشيوعية في أثناء الحرب الباردة، في سلسلة كانت آخر حلقاتها دعم **المجاهدين** في أفغانستان؛ إذ لم توزِّع واشنطن صواريخ ستنغر (stinger) فحسب، بل وزَّعت المصاحف أيضًا[٢٦].

لقد أبدى الباحثون بعض الاهتمام بتاريخ تفاعل القوى العظمى مع الإسلام، لكن أكثر ما بُحث كان الحملة الألمانية العثمانية للتعبئة الإسلامية في الحرب العظمى[٢٧]، ولا يقتصر إدراك أهمية هذه الحملة على مؤرِّخي الحرب العالمية الأولى[٢٨]، بل إن دارسي التاريخ الإسلامي يعدُّونها حدثًا مهمًّا في التاريخ السياسي الحديث للإسلام[٢٩]. لكن في المقابل، لم يُلتفَت إلى الحرب العالمية الثانية بالقدر نفسه[٣٠]، ومَن التفت إليها من مؤرِّخي الإسلام الحديث؛ إما هوَّن من شأنها أو أنكر أهميتها، وكان من جُملة هؤلاء، يعقوب م. لانداو (Jacob M. Landau)، الذي قال

(أ) اصطلاح استشراقي عتيق استُعمل قديمًا للإشارة إلى المسلمين، وهو من جملة اصطلاحات غربية قديمة، مثل: السراسنة، والتُّرك، وغيرها استعملها الغربيون قديمًا للدلالة على العرب والمسلمين، قبل أن يشيع اصطلاح «المسلمين» بينهم، ربما منذ ستينيَّات القرن العشرين فقط. وقد آثرنا إيراده في المواضع التي ورد فيها في الأصل الإنكليزي كما هو بدلًا من استعمال لفظتي «المسلم» أو «الإسلامي»، وهما صحيحتان لكنهما لا تناسبان السياق التاريخي لأحداث الكتاب. كما أن المؤلف حرص على إيرادها كما هي في المواضع التي استشهد بها أو اقتبس منها، فآثرنا اتباعه. (المترجم)

في كتابه واسع الأثر عن سياسات الوحدة الإسلامية: «لا أثر للإسلام في الحرب العالمية الثانية، حتى مع وجود مسلمين وجماعات مسلمة على الجانبين»[٣١]. لكن الفصول التالية ستثبت أن تفاعل برلين مع الإسلام في الفترة من ١٩٤١ إلى ١٩٤٥ كان -على الأقل- بالقدر نفسه من تفاعلها معه في الفترة من ١٩١٤ إلى ١٩١٨، بل إنه بخلاف الحرب العالمية الأولى، جنَّد الألمان منذ أواخر عام ١٩٤١ آلافَ المسلمين في صفوف جيوشهم. وفي الواقع، تُشكِّل تعبئة المسلمين في أثناء الحربَين العالميتَين جانبًا أساسيًّا من التاريخ السياسي للعالم الإسلامي في النصف الأول من القرن العشرين.

وبشكل أكثر عمومية، تتناول هذه الدراسة العلاقة بين الدين والسُّلطة، وعلى الأخصِّ، دور الدين بوصفه أداةً موظَّفة في السياسة العالمية والصِّدام العسكري؛ إذ تُسهم في تعميق إدراكنا للطرق التي سعت من خلالها الحكومات حثيثًا لتوظيف الدين في مدِّ نفوذها السياسي وشنِّ الحروب. فمحاولات تعبئة الجماعات الدينية وحشدها كانت جانبًا من جوانب سياسة القوى العظمى طيلة القرنين التاسع عشر والعشرين. لقد كانت الجماعات الدينية -أي السكان بعد تصنيفهم على أسس دينية- يُنظَر إليها دومًا بوصفها قوًى سياسية هائلة يمكن استغلالها، وكان رجال الدولة ومسئولو القوى الكبرى يقدِّمون أنفسهم دومًا بوصفهم حُماةً لجماعات دينية معينة، تُكأة لبسطِ نفوذ سياسي وإثارة الاضطراب والانقسام والتمرد في المناطق الخاضعة لحُكم قوةٍ خَصم أو عدوَّةٍ، وكذلك من أجل الغزو أو إحلال السلام في المناطق المحتلَّة في أثناء الصِّدامات العسكرية. فقد زعمت روسيا القَيصرية أنها راعية للجماعة المسيحية الأرثوذكسية في أوروبا والشرق الأوسط، وزعمت فرنسا الإمبراطورية أنها راعية المسيحية في الشرق الأوسط، وزعم العثمانيون أنهم حرَّاس الإسلام في جميع أنحاء العالم، وشدَّدت القوى الأوروبية الكبرى دومًا على أنها تسعى لحماية الجماعات المسيحية والأقليات اليهودية والسكان المسلمين خارج أراضيها. ولنَيل دعم الجماعات الدينية وتعبئتها في سبيل تحقيق هدف سياسيٍّ ما، انتُهجت سياساتٌ وپروپاغندا دينية متنوعة مُصاغة لدغدغة المشاعر الدينية. وقد

أقيمت هذه السياسات على سلسلة من الفرضيات؛ إذ كان الدين -عادة- مصدر سُلطة يخوِّل حقَّ إسباغ الشرعية على الانغماس في صراع ما، بل وتسويغ العنف. واختُزل الناس في هُوياتهم الدينية؛ إذ افتُرض أنهم متدينون منساقون خلف عقيدتهم الدينية. إجمالًا، نُظِر إلى الجماعات الدينية بوصفها أشياء يمكن استغلالها جيوسياسيًا، وعمليًا، تحولت السياسات الدينية إلى سياسات متعلقة بالشئون الدولية والصراع الدولي.

لكن بشكل عام، لم تسترعِ هذه الظاهرة انتباه الباحثين كما ينبغي؛ فبينما يشهد حقل التاريخ العالمي اهتمامًا متصاعدًا بالفاعلين من غير الدول، تصاعدت وتيرة الاهتمام بسياسة السكَّان في الصراعات والحروب، وفي السياسات الموجَّهة إلى شعوب بأكملها(٣٢)؛ لذا، ركَّز المؤرِّخون على سياسة الجماعات السكانية المعرَّفة على أسس إثنية وعِرقية في أثناء الصراعات والحروب(٣٣)، فأبرزوا كيف كانت لجماعات إثنية كاملة -وخاصةً تلك التي لم يكن ولاؤها لحكَّامها راسخًا- أهمية سياسية وإستراتيجية، وبحثوا السُّبل التي طرقتها القوى العظمى لاستغلالها، وفحصوا كيف أدَّت هذه السياسات إلى حدوث شقاقات وتصدُّعات إثنية. أما الاهتمام الذي نالته دراسة استخدام الجماعات الدينية في تناحرات القوى الكبرى وصداماتها فقد كان أضعف، باستثناء التعبئة الإسلامية في الحرب العالمية الأولى(٣٤). إن ما نعرفه عن التوظيف الفعلي للسياسات والپروپاغندا الدينية محدود؛ ولذلك، يمثل تاريخُ حملات التعبئة الإسلامية في الحرب العالمية الثانية، وخاصةً سياسة ألمانيا النازية تجاه الإسلام، حالة مثالية لدراسة سياسة الدين في الصراع والحرب، وقد يسهِم في تطوير فهمنا للدين بوصفه أداةً في السياسة العالمية والصِّراعات العسكرية بشكل أعمّ.

تستكشف الفصول التالية السُّبل التي مفهَمت بها السُّلطات الألمانية الدينَ ووظَّفته في تحقيق غايات سياسية وإستراتيجية، ويفحص الكتاب عمَل السياسات الدينية، مستعرِضًا التفاعل مع المؤسسات والسُّلطات والتقاليد الدينية، مع تسليط الضوء على توظيف العقيدة والخطاب والرموز الدينية، وكذلك على الپروپاغندا الدينية.

يناقش الكتاب مسألة دور الإسلام في السياسات والپروپاغندا الألمانية من خلال ثلاثة أقسام: يستعرض **القسم الأول** النقاشات الإستراتيجية والأيديولوجية العامة التي ثارت في برلين، ويدرس **القسم الثاني** السياسات والپروپاغندا الألمانية في أراضي المسلمين، وخاصةً على الجبهة الشرقية وفي البلقان وشمال إفريقيا والشرق الأوسط، أما **القسم الثالث** فيتناول التعبئة العسكرية لمسلمي الأراضي المحتلَّة.

يؤسِّس القسم الأول للإطار العام لتفاعل ألمانيا مع الإسلام في أثناء الحرب العالمية الثانية؛ إذ يبحث في مدى استمرارية تفاعل الرايخ الثالث مع الإسلام، مقارنة بسياسة ألمانيا الإمبراطورية نحو الإسلام في المستعمَرات قبل عام ١٩١٤، وحملتها للتعبئة الإسلامية في أثناء الحرب العالمية الأولى، ويُبرز هذا القسم كيف أن الإسلام ظلَّ على جدول أعمال خبراء السياسة الخارجية الألمانية في أثناء فترة ما بين الحَربين، وكيف أنه أضحى مشكِلًا بعد اندلاع الحرب عام ١٩٣٩. ويفحص أوراق سياسات ومذكرات كان موضوعها الدور الإستراتيجي للإسلام، ومناقشات جرَت حوله في أروقة وزارة الخارجية والقوات المسلَّحة الألمانية ووحدات الحماية النازية ووزارة الشرق. لم تكن هذه الحوارات الإستراتيجية منفصلة -في الغالب- عن الخطاب الأيديولوجي حول الإسلام والنازية الذي روَّج له عددٌ من المنظِّرين النازيين وأعضاء النخبة النازية، ومن بينهم هتلر (Hitler) وهملر (Himmler).

ويدرس القسم الثاني دور الإسلام في السياسات الألمانية تجاه المسلمين في مناطق الحرب، أعني تلك المحتلَّة وفيما وراء الخطوط الأمامية، وخاصةً في المناطق الشرقية والبلقان وشمال إفريقيا والشرق الأوسط. لقد نظرت السُلطات الألمانية مرارًا إلى الإسلام، في مناطق الحرب، من زاوية أهميته السياسية؛ إذ أُمِر الجنود الألمان باحترام التقاليد والأعراف الدينية عند التعامل مع المسلمين. وأمَر ضباط الجيش، في الجبهة الشرقية، بإعادة بناء المساجد والمدارس والأوقاف، واستعادة الشعائر والأعياد الدينية بغية تقويض الحكم السوفييتي، واستغلَّت السُلطات العسكرية الألمانية العديد من العلماء في المناطق الشرقية والبلقان وشمال

إفريقيا استغلالًا مكثفًا. ويستكشف هذا القسم أيضًا الكيفية التي وظَّف بها المسئولون الألمان الإسلامَ في دعاياتهم الموجَّهة إلى ساحات الحرب الإسلامية في المواقع الأمامية المحتلَّة، وبشكل أكثر أهمية فيما وراء خطوط المواجهة.

ويتناول القسم الثالث دور الإسلام في السياسات الألمانية تجاه المسلمين في صفوف الجيش الألماني؛ إذ منذ عام ١٩٤١ فصاعدًا، جنَّدت القوات المسلَّحة الألمانية ووحدات الحماية النازية آلاف الجنود المسلمين في تشكيلاتٍ، مثل: فيالق القوات المسلَّحة الشرقية المسلمة، وفيلق القوات المسلَّحة العربية، وفرقة وحدات الحماية الشرقية المسلمة، ووحدات الحماية الإسلامية في البلقان. ويناقش هذا القسم الدَّور الذي لعبه الدين في التجنيد والرعاية الروحية والتلقين الدعائي (propagandistic indoctrination) لهؤلاء الجنود. ويُبرز كيف أن ضباط الجيش الألماني منحوا المجنَّدين المسلمين كمًّا وافرًا من الامتيازات الدينية، آخذين في اعتبارهم المناسبات والتشريعات الدينية كالذبح الشرعي. وكذلك شرعت القوات المسلَّحة ووحدات الحماية في برامج تلقين أيديولوجي خاصة للجنود المسلمين، وكانت البروباغندا العسكرية تُوزَّع في هيئة منشورات وكتيبات وجرائد، وتلك الأخيرة كانت الصورة الأهم. كما لعب الأئمة العسكريون دورًا بارزًا في الوحدات؛ إذ لم يقتصر دورهم على تقديم الرعاية الروحية للجنود، بل امتدَّ ليشمل التلقين السياسي.

يعتمد الكتاب على مصادر ألمانية وإنكليزية وفرنسية وبوسنوية (صربو -كرواتية) وألبانية وعربية وفارسية وتترية، من أكثر من ثلاثين سجل محفوظات محليًّا وقوميًّا، في أربع عشرة دولة. وكان من بينها مجموعات في برلين، وفرايبورغ، وكوبلنز، وفرانكفورت، وميونخ، وشتوتغارت، وكولونيا، وبون، ولَيبِسك، وڤيينا، وواشنطن، ولندن، وباريس، وموسكو، ووارسو، وبراغ، وريغا، وسيمفروبول، وزغرب، وسراييڤو، وتيرانا، وطهران. لقد كان العمل على إعادة بناء قصة التفاعل الألماني مع الإسلام مضنيًا في الغالب، ليس لتناثر الوثائق الخاصة بالموضوع في مكتبات وسجلَّات محفوظات مختلفة فحسب، بل أيضًا لأن الملفات المتعلقة بـ «الإسلام»

في سجلَّات المحفوظات التي عُدت إليها لم تكن متوفرة عادةً؛ وبالتالي، قضيت وقتًا طويلًا في مراجعة ملفات عامة بدا أنها قد تحوي معلومات عن الإسلام. وبدا العديد من الإشارات في مصادر معينة من هذه الملفات عشوائيًّا وغير مفهوم في حال عدم إدراك أن محتواها يتصل بسياسة أعم. لكن الصورة العامة تكشَّفت تدريجيًّا، واتضح أن برلين حاولت محاولةً كبيرةً ومتناسقةً بشكل لافت في كثير من الأحيان، تهدُف إلى توظيف الإسلام في جهودها الحربية.

القسم الأول

الأسس

الفصل الأول
الأصول

في الخامس والعشرين من يوليو/ تموز عام ١٩٤٠، وبعد سقوط فرنسا مباشرة وبدء معركة بريطانيا، أرسل الدپلوماسي المتقاعد ماكس فون أوپِّنهايم (Max von Oppenheim) مذكِّرة من سبع صفحات إلى وزارة الخارجية الألمانية، كان موضوعها التحريض على التمرد في الأقاليم الإسلامية التي يحوزها الأعداء(١)، وفصَّل القول فيها بأنه حان الوقت لإطلاق إستراتيجية شاملة لتعبئة العالم الإسلامي ضد الإمبراطورية البريطانية. فمن خلال التعاون مع رموز دينية مؤثرة، مثل: الزعيم شكيب أرسلان؛ داعية الجامعة الإسلامية، ومفتي القدس أمين الحسيني، سيثير المسئولون الألمان القلاقل في كامل الممرِّ الإسلامي الواصل بين مصر والهند. لقد كان أوپِّنهايم الثمانيني خبيرًا بما تحدَّث عنه، فقد كان من القلَّة التي شكَّلت السياسة الألمانية تجاه الإسلام في أواخر العهد القَيصري.

تنقَّل أوپِّنهايم بين إفريقيا والشرق الأوسط طويلًا؛ إذ تأهَّل في المحاماة، وكان يُجيد عدة لغات شرق أوسطية(٢)، وقد استقطبته وزارة الخارجية عام ١٨٩٦ وعَمِل مدة اثني عشر عامًا في القاهرة، حيث تابع التطورات السياسية في العالم الإسلامي. وكانت أولى مواجهاته مع الإسلام، بوصفه قوة سياسية، في أثناء الانتفاضة المهدية في السودان، وقد ناقش أوپِّنهايم مسائل السياسة والإسلام مع شكيب أرسلان عندما كان في ميعة شبابه، كما ناقشها أيضًا مع إصلاحيين إسلاميين بارزين كمحمَّد عبده. وتحاور مع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني حول فكرة الجامعة الإسلامية التي دعا إليها الباب العالي لحشد الدعم للإمبراطورية داخليًّا وخارجيًّا. وكان ڤيلهلم الثاني يطَّلع على تقارير أوپِّنهايم السياسية حول العالم الإسلامي بنفسه.



(الشكل ١-١): شرطيون مسلمون يعتمرون الطرابيش
في مستعمَرة الكاميرون الألمانية، ١٨٩١ (BPK).

الإسلام في السياسات الإمبراطورية

تصاعدت وتيرة تفاعل الدبلوماسيين والسياسيين والمسئولين الاستعماريين الألمان مع الإسلام في أواخر القرن التاسع عشر، فألمانيا الإمبريالية كانت تحكم عددًا ضخمًا من المسلمين في مستعمراتها في توغو، والأهم من تلك، في الكاميرون وشرق إفريقيا الألماني، وقد سعى الألمان -من البداية- إلى توظيف الدين بوصفه أداةَ حكم في هذه المستعمرات[٣]؛ إذ تركوا البنى الإسلامية المحلية على حالها طالما قَبِل الزعماء المسلمون الوجود الاستعماري؛ فأقرُّوا المحاكم الشرعية، ولم يمسُّوا الأوقاف بسوء، وأبقَوا على المدارس مفتوحة، وأقرُّوا العُطَل الدينية.

وزاول المسئولون الألمان الحكم من خلال وسطاء ووجهاء مسلمين، أسبغوا الشرعية – في المقابل – على الدولة الاستعمارية. وكانت سياسةُ الحكم غير المباشر تلك فعَّالة للغاية من منظور المسئولين الاستعماريِّين الألمان المَعزولين غالبًا، والمَهمومين بحفظ النظام وتلافي الانتفاضات. ولم يشرعوا في إحكام قبضتهم على المناطق الإسلامية، والصدام مع الزعماء الدينيين الراغبين عن التعاون معهم إلَّا في مطالع القرن العشرين؛ إذ قاتلت القوات الألمانيةُ الثوارَ المَهديِّين في شمال الكاميرون عام ١٩٠٧، واحتشدت عندما أثارت ما سُمِّي «رسائل مكة» (Mecca letters)[أ] الاضطرابَ في توغو عام ١٩٠٦، وشرق إفريقيا الألماني عام ١٩٠٨[٤]، إلَّا أن هذه الاحتكاكات لم تغيِّر من سياسات ألمانيا التي استمرت في تعزيز السيطرة الاستعمارية عن طريق استخدام الإسلام. (الشكل ١-١).

ومع تصاعد وتيرة انخراط الألمان في العالم الإسلامي، تصاعدت وتيرة نقاش الخبراء ومسئولي الدولة حول الإسلام بوصفه مقولة سياسية[٥]. وكانت أشكال السياسات الموجَّهة نحو الإسلام، أو **سياسة الإسلام** (*Islampolitik*)، مثارَ جدل كبير في الدوائر الاستعمارية والحكومية. وكان الإسلام والسياسة الاستعمارية تجاه المسلمين على رأس جدول الأعمال في المؤتمرات الاستعمارية. وقد لعب خبراء الدراسات الإسلامية دورًا مهمًّا في هذه النقاشات؛ ذاك أنهم وإن كانوا قد انشغلوا فيما مضى بالبحث في الإسلام الكلاسيكي، فقد شرعوا الآن في بحثِ العالم الإسلامي المعاصر، ومناقشة ممارسات السياسات الإمبراطورية تجاه الإسلام. فوضعَ علماءُ، مثل: كارل هاينريش بيكر (Carl Heinrich Becker) الذي درَّس في المعهد الكولونيالي الألماني (*Deutsches Kolonialinstitut*)، الذي أُسِّس حديثًا في

(أ) مجموعة رسائل انتشرت في المستعمَرات الألمانية في إفريقيا بين عامي ١٩٠٦ و١٩٠٨، ونُسبت إلى الشيخ أحمد، حارس قبر النبي ﷺ، الذي ادَّعى أنه رأى النبي ﷺ في المنام، وأمره بتحذير الأمة من الذنوب والخطايا، ودعوتها إلى التوبة إلى الله والأوبة إليه قبل يوم القيامة الذي دنا. وقد فسَّرت الإدارة الاستعمارية الألمانية انتشار هذه الرسائل على أنه محاولة لإثارة انتفاضة إسلامية في شرق إفريقيا الألمانية شبيهة بانتفاضة «الماغي ماغي» التي اشتعلت قبل ذلك بسنوات قليلة. (المترجم)

هامبورغ، ومارتن هارتمان (Martin Hartmann) وديتريتش ڤيسترمان (Diedrich Westermann)، اللذان درَّس كلاهما في برلين، جميع معارفهم في خدمة الإمبراطورية. وفي مطلع القرن، دعمت وزارة الرايخ للمستعمَرات (*Reichskolonialamt*) بحوثَهم حول الإسلام في المستعمَرات، وكان عليهم جمع معلومات عن انتشار الإسلام وأثره وتهديده المحتمَل للحكم الألماني، وعن علاقة المسلمين بالعالم الإسلامي الأوسَع؛ فأطلق الثلاثة أوسع ثلاث دراسات استقصائية؛ بيكر عام ١٩٠٨(٦)، وهارتمان عام ١٩١١(٧)، وڤيسترمان عام ١٩١٣(٨)، رغم أن ڤيسترمان فقط هو مَن نشر نتائج دراساته. وتحولت الجمعية الألمانية للدراسات الإسلامية (*Deutsche Gesellschaft für Islamkunde*) ودوريَّتها (*Die Welt des Islams*) [بالعربية: **عالم الإسلام**]، وقد تأسَّست كلتاهما عام ١٩١٢، إلى منتدًى مهمٍّ للدراسات التخصصية حول الإسلام والسياسات الاستعمارية، وقبلهما بعامين، صدرت مجلَّة (*Der Islam*) [بالعربية: **الإسلام**] عن المعهد الكولونيالي بهامبورغ لتكون وسيطًا آخر للنقاشات الدائرة حول الإسلام والسياسة المعاصرَين.

لقد أيَّدت غالبية الخبراء توظيفَ المسئولين الاستعماريين الألمان للبنى الدينية. وبخلاف الأديان الوثنية الأصلية التي نُظِر إليها على أنها همجية، نُظِر إلى الإسلام على أنه دين متحضِّر تحكمه مجموعةٌ محدَّدة من القواعد والمعايير والعقائد التي يمكن دراستها واستغلالها. وكان بيكر أبرز مؤيِّدٍ للاستغلال الفعَّال للإسلام في السياسات الاستعمارية(٩)؛ إذ زعم أن الإسلام لا يمثِّل تهديدًا للحكومة الاستعمارية، بل يمكن استخدامه في تعزيز الحكم الاستعماري وحفظ السلام والاستقرار والنظام، بل ينبغي ذلك، ورأى أن «خطر الإسلام» سيتلاشى مع تبنِّي السياسة الاستعمارية الصحيحة؛ فيجب أن تخضع المؤسسات الإسلامية والدُّعاة الجائلون والحجيج لرقابة مشدَّدة، مع الإبقاء على الاعتراف الرسمي بالشريعة الإسلامية والمدارس والأوقاف. وقد تمتَّع بيكر بنفوذ كبير على عملية وضع السياسات في برلين. واكتسبت رؤاه الدَّعم من قِبل علماء آخرين، كان من بينهم ديتريتش ڤيسترمان(١٠). ولم يعارض التفاعل مع الإسلام مطلقًا إلَّا قلةٌ من الخبراء، كان من

أبـرز رموزهـا مارتـن هارتمـان[١١]، الـذي رأى في الإسـلام تهديدًا يجـب احتواؤه، فحذَّر المسـئولين الاستعماريين من الاعتماد على الهيئات والمؤسسات الإسلامية، مشـيرًا إلـى الروح النضالية للإسـلام -حسـبما زعـم- والحَميَّـة الدينيـة والمَهدوية وخطر الجهاد، لكن إجمالًا، اقتصر نقد السياسات الاستعمارية الألمانية على دوائر التبشـير المسـيحي، التي رأت في الإسـلام تهديدًا لجهودها وللدولة الاسـتعمارية، واتهمت المسـئولين الألمان مرارًا بالسـماح للإسـلام بالتمدُّد في المسـتعمَرات من خلال تفضيلهم المسـلمين[١٢]، لكن من الناحية العملية، لم يكن لنشـاطهم كبيرُ أثر.

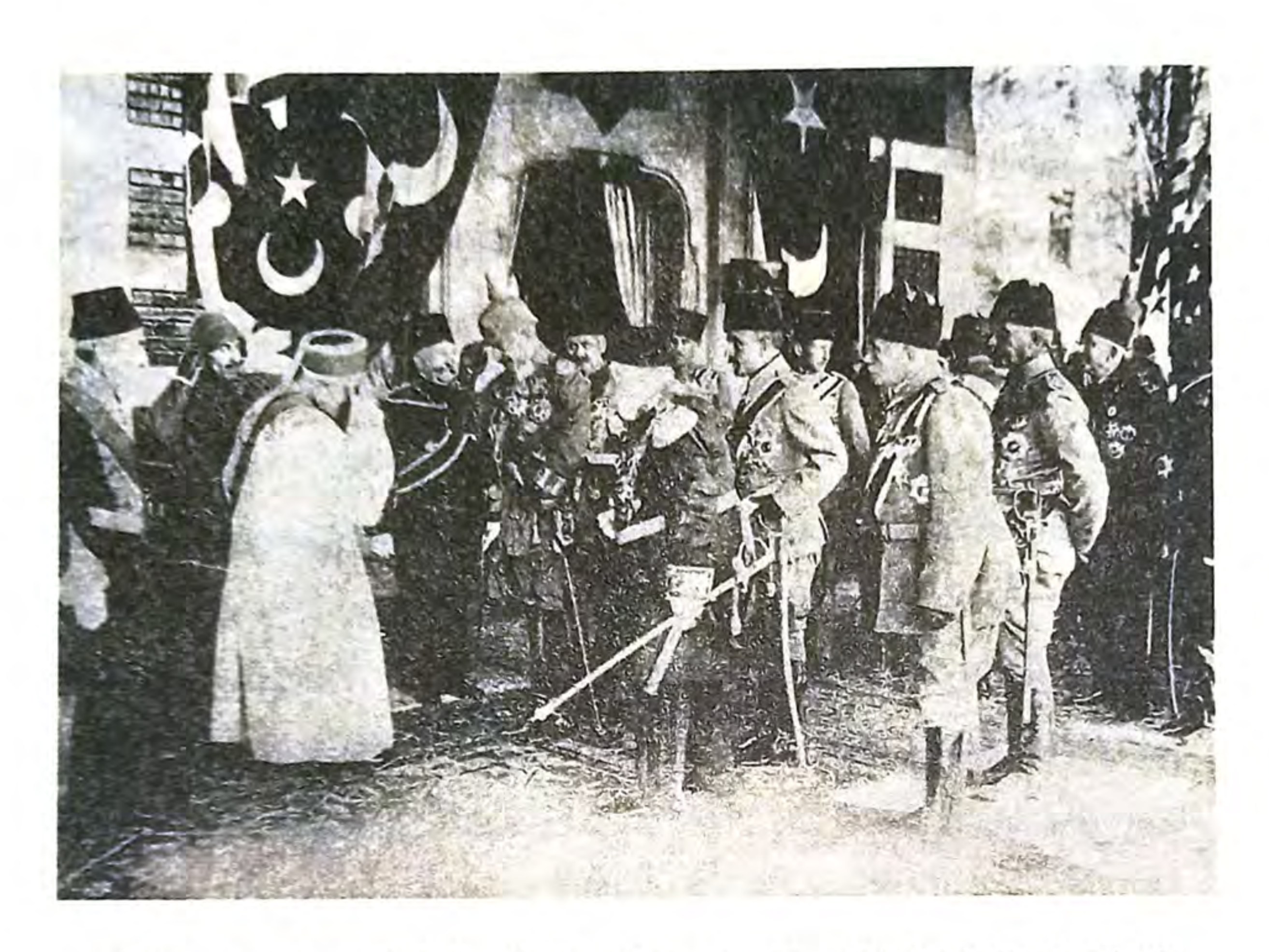
وعلى النقيض من نظرائهم البريطانيين والفرنسيين والروس، لم ينظر المسئولون الاستعماريون الألمان إلى المناهَضة الإسلامية للإمپريالية، وفكرة الجامعة الإسلامية بوصفهـا تهديـدًا[١٣]. ففـي برليـن، نُظِـر إلـى الإسـلام بوصفـه فرصة، ليـس فقط في المسـتعمرات، بل في سياق **السياسـة العالمية** (*Weltpolitik*) التي تبنَّاها ڤيلهلم الثاني أيضًـا، وقـد تجلَّى ذلك -أيَّما جلاء- في غضون جولته الشـرق أوسـطية في خريف عـام ١٨٩٨، وفـي خطابـه الاسـتعراضي بعـد زيارته لقبر صـلاح الدين في دمشـق، والذي أعلن فيه نفسـه «صديقًا لثلاثمئة مليون محمَّدي» في العالم[١٤]. وفي الواقع، كان أوپِّنهايـم أحـد محفِّـزي هـذه الجهود؛ إذ كان قد غدا سـاعتها أحـد أكثر مؤيِّدي الجامعـة الإسـلامية إصـرارًا علـى ما ينطـوي عليه دعمهـا من فرص سياسـية. وكان المسئولون الألمـان علـى وعـي كامل بأن شـبح الثـورة الإسـلامية وتعبئـة الجامعة الإسلامِية قد خيَّم على أروقة الحكم في لندن وباريس وسان بطرسبرغ[١٥]. حقًّا، لقد لعب الإسـلام دورًا رئيسًـا في العديد من النضالات المناهِضة للاستعمار في العالم الإسـلامي، من خلال إسباغه الشـرعية على مقاومة العـدوان الإمپريالي وتوحيدها وتنظيمهـا[١٦]. وقـد وصل التودُّد الألماني للإسـلام إلى ذروته في جهود برلين لتعبئة المسلمين في غضون الحرب العالمية الأولى.

تعبئة المسلمين في أثناء الحرب العالمية الأولى

في الحادي عشـر من نوفمبر/ تشـرين الثاني عام ١٩١٤، أصدر شـيخ الإسـلام العثمانـي [مصطفـى] خيـري الأوركوبـي (Ürgüplü Hayri) خمسَ فتـاوَى تدعـو

المسلمين إلى جهاد قوى الوفاق، وتعدهم بالشهادة إن هم قُتلوا في المعركة[١٧]، وبعد ثلاثة أيام، تُلي الفرمان علنًا باسم السلطان محمَّد الخامس، أمير المؤمنين، على حشد كبير أمام مسجد الفاتح الكبير في القسطنطينية، ثم تحركت حشودٌ بالرايات واللافتات في مسيرة نظَّمتها الحكومة، وجالت في شوارع العاصمة العثمانية حاضَّة على الجهاد. خرجت نصوص الفتاوى على النمط المعتاد؛ سؤالٌ نظري وافتراضي موجَّه لشيخ الإسلام، يليه الجواب. ولمَّا كان إعلان [الجهاد] غير مقتصر على الرعايا العثمانيين، بل موجَّه أيضًا للمسلمين القاطنين في إمبراطوريات الوفاق، فقد تُرجم إلى العربية والفارسية والأُردية والتَّترية، وفي الشهور التالية، تفاعل العلماء المحليون، بمن فيهم كبار مجتهدي الشيعة في النجف وكربلاء مع الفتاوى، داعمين الدعوة إلى إعلان الجهاد[١٨]، وفي جميع أنحاء الإمبراطورية، نقل الأئمة رسالة الجهاد إلى المؤمنين في خطب الجمعة.

لقد استندت فتاوى شيخ الإسلام إلى دلالة غير مطروقة لـ «الجهاد». تاريخيًّا، كان معنى «الجهاد» فضفاضًا إلى حدٍّ كبير؛ إذ اتسعت دلالته لتشمل طيفًا واسعًا من الممارَسات، يمتدُّ من جهاد النَّفس إلى قتال الكفار[١٩]. وثمَّة تأويل للجهاد يتمتَّع بأهمية خاصة؛ إذ يميَّز فيه بين «الجهاد الأصغر» الذي يعني قتال الكفار، و«الجهاد الأكبر» الذي يعني مجاهَدة الإنسان لنفسه؛ تزكية لها، لكن من المثير للاهتمام أن فتاوى شيخ الإسلام لم تنصَع لهذا التأويل، وأعلنت أن قتال أعداء السلطان جهادٌ أكبر، وعلاوةً على ذلك، لم يكن الفرمان -إذا ما قورن بإعلانات الجهاد السابقة عليه- موافقًا للسُّنَّة من الناحية العقَدية (وإن لم يكن مبتدَعًا أيضًا)؛ إذ دعا إلى جهاد عسكري انتقائي ضد البريطانيين والفرنسيين وسكان الجبل الأسود والصِّرب والروس، لكن ليس ضد حلفاء العثمانيين من النصارى، أعني: ألمانيا والنمسا والمجر؛ ولذلك، لم تكن هذه الحرب حربًا دينية بالمعنى التقليدي بين «مؤمنين» و«كفار». فطالما أن بريطانيا وفرنسا وروسيا وصربيا والجبل الأسود فحسب، هم من نابذوا الخلافة الإسلامية العداء؛ فهُم -فقط- أعداءُ الإسلام. وأعلنت الفتاوى أنه يجب على كل مسلم خاضع لهذه القوى أن يجاهد ضد حكامها، في حين أعلنت أن قتال حلفاء الخلافة هو من كبائر الذنوب.



(الشكل ٢-١): ڤيلهلم الثاني يلتقي شيخ الإسلام في القسطنطينية عام ١٩١٧ (Ullstein).

لكن على الرغم من أن إعلان الجهاد يمكن عدُّه جانبًا من جوانب السياسة العثمانية المتعلِّقة بالجامعة الإسلامية التي أطلقها الباب العالي منذ عهد عبد الحميد الثاني؛ تعزيزًا للوحدة في إمبراطوريته غير المتجانسة، واستجلابًا للدعم الخارجي، إلَّا أن المسئولين الألمان وخبراء الإسلام انخرطوا في خُطَّة الجهاد تلك بشكل كبير[٢٠]. في الحقيقة، كان الألمان هم من دفعوا لإصدار إعلان الجهاد منذ بداية الحرب[٢١]، وكان المشروع مثار نقاش طويل في برلين. ففي ذروة أزمة يوليو/ تموز[أ]، أطلق ڤيلهلم الثاني تصريحه الشهير عن إشعال العالم الإسلامي. وأقرَّ هلموت فون مولتكه (Helmuth von Moltke)، رئيس هيئة الأركان، الفكرة رسميًا في مذكِّرة في الشهر التالي، عندما أمر بـ «إحياء الأصولية

(أ) سلسلة من التصعيدات الدبلوماسية والعسكرية المتداخلة بين القوى الأوروبية العظمى في صيف عام ١٩١٤، أدَّت إلى نشوب الحرب العالمية الأولى. (المترجم)

الإسلامية» في مستعمرات أعداء ألمانيا التي يقطنها المسلمون (الشكل ٢-١). وفي أكتوبر/ تشرين الأول من عام ١٩١٤، وقبل أن ينخرط العثمانيون في الحرب، وضع ماكس فون أوپِّنهايم ورقة سياسات مكوَّنة من مائة وستٍّ وثلاثين صفحة، كان عنوانها: **مذكِّرةٌ حول تثوير الأراضي الإسلامية الخاضعة لأعدائنا** (*Denkschrift betreffend die Revolutionierung der islamischen Gebiete unserer Feinde*). وبعد أن عُقِد الحِلف الألماني العثماني، كان من المقرَّر أن يُثار العنف الديني في المناطق الإسلامية، في مستعمرات الأعداء وعلى تُخوم إمبراطورياتهم[٢٢]، وأن تُثار القلاقل في الأعماق الإسلامية النائية في الإمبراطوريات المناوئة، بغية إشغال قواتهم عن جبهات أوروبا. وألحَّ أوپِّنهايم على أنه يجب «إعلان الجهاد بمجرد أن تنخرط تركيا في الحرب»، ووصف «الإسلام» بأنه «أحد أهم أسلحتنا»، ويمكنه أن يكون ذا أثر «حاسم في إنجاح الحرب». ثم قدَّم أوپِّنهايم عددًا من الاقتراحات المتماسكة: التحريض على ثورة دينية في الهند بأسلحة ألمانية مهرَّبة، وتحويل القوقاز إلى مهدٍ لانتفاضة إسلامية، وغزو مصر، والتودُّد إلى الأسرى المسلمين من الجيوش الاستعمارية للوفاق ثم حشدهم ضد أسيادهم الإمبرياليين السابقين. وشدَّد أوپِّنهايم على أن لحظة «ثورة الإسلام» قد أطلَّت.

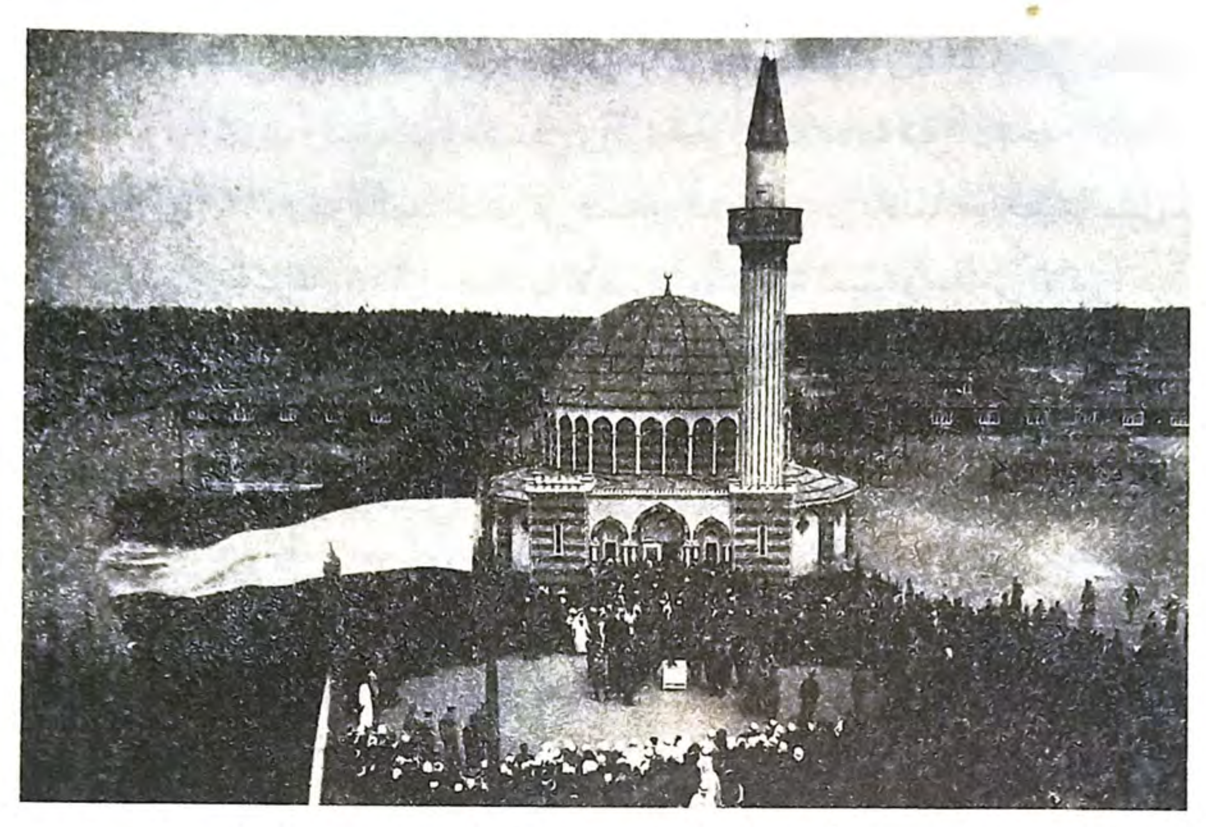
لعب العلماء والخبراء الألمان دورًا مهمًّا في الدعوة لاستخدام الإسلام كما فعلوا قبل الحرب؛ إذ وضَع إرنست چيك (Ernst Jäckh)، عالِمُ السياسة الألماني الشاب المهتمُّ بالإسلام الذي سيشارك عام ١٩٤٨ في تأسيس مركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة كولومبيا (the Middle East Institute of Columbia University)، مبكرًا في أغسطس/ آب من عام ١٩١٤، مخطَّطًا للتصور الذي سيعبئ به إعلانُ الجهاد العثماني قوى «الجامعة الإسلامية» (Pan islam) بـ«كراهية عميقة» للحُكمَين البريطاني والفرنسي «من الهند إلى المغرب»[٢٣]. وكتب هارتمان، وقد غدا الآن مؤيِّدًا لاستغلال الإسلام؛ خدمة لغايات إستراتيجية، نصوصًا مشابهة في أثناء الحرب[٢٤]. وبعد اندلاع الحرب وقبل أن تنخرط الإمبراطورية العثمانية فيها، نشر

كارل هاينريش بيكر في خريف عام ١٩١٤، وكان ساعتها أستاذًا في بون، كتيّبًا عَنونه بـ **ألمانيا والإسلام** (*Deutschland und der Islam*)[٢٥]. وأوضح فيه أن الإسلام هو كعب أخيلِ روسيا وبريطانيا وفرنسا. فقد ظلَّت ألمانيا لعقود تَعُدُّ «الإسلامَ فاعلًا دوليًّا»[٢٦]. ونظرًا لجهودها قبل الحرب، عُرفت الإمبراطورية الألمانية بأنها صديقة للإسلام، وهي مكانة يجب على برلين أن تستغلها الآن، ويجب أن يكون أيُّ تحالف مع القسطنطينية تحالفًا مع الإسلام الذي يمكن أن يصبح «فاعلًا ذا أهمية قصوى» في الحرب[٢٧]. وعلى الرغم من أن التوظيف السياسي للشعور الديني لا يمكنه أن يحسم نتيجة الحرب، لكنه قد يسهم -بشكل كبير- في الجهود الحربية. لكن خبير الإسلام الهولندي كريستيان سنوك هِرخرونيَه (Christiaan Snouck Hurgronje)، أحد أرفع قامات دراسات الإسلام المعاصر، اتهم زملاءه الألمان ساخطًا بأنهم يُشِيعون الكراهية الدينية، ولا سيَّما بيكر وهارتمان[٢٨]. ففي مقالة نشرها عام ١٩١٥، حاجَج بأن الألمان هم من دفعوا بفكرة شحن الحرب شحنًا دينيًّا، محيلًا إلى عدد لا يحصَى من العبارات التي صدرت عن باحثين ألمان عن الأهمية السياسية للإسلام، منتقدًا إياهم لإهانتهم شرف مهنتهم. لم يوافقه بيكر على ذلك، وردَّ في مقالة أن الدين طالما كان أداةً مشروعة في السياسة العالمية[٢٩]. وفي سنوات الحرب الأولى، راج الهوسُ بالإسلام في جميع أرجاء الرايخ؛ إذ كانت الصحافة الألمانية تطفَح بمقالات عن الجهاد، وحاضَر خبراء الإسلام محاضراتٍ عامة عن التحالف مع العالم الإسلامي، وصدر العديد من الكتيبات والبحوث الموجزة عن الجهاد[٣٠].

كان مركز حملة ألمانيا الإسلامية هو **مكتب استخبارات الشرق** (*Nachrichtenstelle für den Orient*) التابع لوزارة الخارجية والقيادة العليا، وكان على رأسه ماكس فون أوپّنهايم، ثم القنصل كارل شابينغر فون شوينغن (Karl Schabinger von Schowingen)، بعدما ذهب أوپّنهايم للعمل من القسطنطينية، ثم العالِم أويغن متڤُخ (Eugen Mittwoch)[٣١]. وظَّف المكتبُ عددًا كبيرًا من الخبراء الأكاديميين والدپلوماسيين والمسئولين العسكريين، والمتعاونين المسلمين، كالفقيه التونسي

الشهير صالح الشريف التونسي، والداعية المصري عبد العزيز جاويش، والداعية التتري البارز إلى فكرة الجامعة الإسلامية عبد الرشيد إبراهيم. وقد نظَّم هؤلاء البروپاغندا الموجَّهة للأراضي الإسلامية، من شمال إفريقيا إلى الهند البريطانية، ونسَّقوها. واعتمادًا على لغة الجهاد والشهادة؛ احتل الدين موضع القلب من هذه البروپاغندا. وكذلك فقد تُرجِمت بعض النصوص إلى الألمانية، كان من أبرزها نصُّ الشَّيخ التونسي المشهور صالح الشَّريف التونسي، المعَنون: **حقيقة الجهاد** (*Die Wahrheit über den Glaubenskrieg*)، وهو كتيب نشرته -بالألمانية- الجمعية الألمانية لدراسة الإسلام، وقدَّم له مارتن هارتمان ووضع خاتمته كارل شابينغر فون شوينغن[٣٢]. وكان **مكتب استخبارات الشرق** مسئولًا كذلك عن أسرى الحرب من المسلمين، ممن كانوا يجنَّدون للقتال في صفوف قوات المركز.

في شتاء عام (١٩١٤-١٩١٥)، أنشأ الجيش الألماني معسكرات خاصة بأسرى الحرب المسلمين في ڤنسدورف (Wünsdorf) وتسوسِن (Zossen) جنوبي برلين[٣٣]. وقد شغل هذه المعسكرات بضع آلاف من الجنود من إفريقيا والهند والإمبراطورية القَيصرية، ممن قاتلوا في صفوف الجيوش البريطانية والفرنسية والروسية، ومن البداية، اجتهد الألمان في استمالة الأسرى، ولإثبات احترامهم للإسلام، قدَّموا امتيازات عديدة، واعترفوا بحقوق دينية خاصة للمسلمين (الشكلان ٣-١ و٤-١)؛ إذ سمحوا لهم بأداء صلواتهم اليومية، والاحتفال بأعيادهم الدينية، والذَّبح ذبحًا شرعيًّا، ودفن موتاهم وفقًا للشريعة الإسلامية، بل إن الألمان بنَوا مسجدًا في معسكر ڤنسدورف على طراز مسجد قبَّة الصخرة في القدس، وكان بذلك أول دار عبادة إسلامية في ألمانيا. وكان هناك اهتمام بالغ بالبروپاغندا والتلقين السياسي؛ فكان مكتب استخبارات الشرق يوزِّع العديد من جرائد البروپاغندا على الأسرى؛ كان من أبرزها **الجهاد**، التي صدرَت بالعربية والروسية والتترية، وفُرِض على المتعلِّمين من الأسرى قراءتها لزملائهم[٣٤]. وكذلك عُيِّن أئمةٌ في المعسكرات لتوفير الرعاية الدينية ونشر البروپاغندا السياسية، وكان أبرز هؤلاء عالم چان إدريس (Alimjan Idris) (والإدريسي أيضًا) من تتر



(الشكل ٣-١): مسجد الأسرى المسلمين في معسكر الحرب بڤنسدورف قرب برلين عام ١٩١٦ (Ullstein).



(الشكل ٤-١): أسرى الحرب يؤدُّون الصلاة في معسكر المسلمين بڤنسدورف قرب برلين، د.ت (١٩١٤-١٩١٨) (Ullstein).

الڤولغا[٣٥]. ففي أواخر عشرينياته، درَس عالم چان العقيدة والفلسفة في بخارَى وإسطنبول ولوزان وليبغ، ثم وُظِّف في وزارة الحربية العثمانية قبل أن يخدم الألمان أوائل عام ١٩١٦، وسرعان ما اشتهر في ڤنسدورف وتسوسِن بكلماته وخطبه المثيرة، ولاحقًا في خريف عام ١٩١٨، خاطب الأسرى بمناسبة العيد الإسلامي الأكبر؛ عيد الأضحى، والذي يُحتفَل به في ختام مَوسم الحجِّ، مندِّدًا بقوة بأن «أقدس» أجزاء العالم الإسلامي يعاني «تحت نير الإنكليز والفرنسيين»، وعدَّ الحرب «صرخة مدوِّية لاستنهاض» عزائم المؤمنين[٣٦]. جُنِّد بضع مئات من المسلمين في ڤنسدورف وتسوسِن، ثم بُعث بهم إلى القسطنطينية ليقاتلوا في صفوف الجيش العثماني، على الرغم من أن الأعداد التي تطوعت كانت أقل مما أمَّلت فيه السُّلطات الألمانية.

نشرت السفارات والقنصليات الألمانية پروپاغندا الجامعة الإسلامية في جميع أنحاء العالم، ونشر دعائيون مأجورون رسالةَ الألمان والعثمانيين عن الجهاد في المساجد والأسواق، ونظَّمت برلين كذلك العديد من المهام الاستخباراتية التي استهدفت التحريض على التمرد في المناطق الإسلامية النائية من إمبراطوريات الوفاق[٣٧]. ففي شهور الحرب الأولى، أُرسل بعض البعثات إلى شبه الجزيرة العربية لاستمالة البدو وتنظيم الپروپاغندا بين مواكب الحجيج. وكانت هناك محاولات لنشر پروپاغندا مناهِضة للحكم الإنكليزي-المصري في السودان[٣٨]. وفي الشام، كان على الدپلوماسي كورت پروفه (Kurt Prüfer) -الذي عَمِل قنصلًا في القاهرة، حيث أصبح مرؤوسًا لأوپِّنهايم- أن يجمع المعلومات الاستخباراتية، وينظِّم الپروپاغندا والتمرد المسلَّح في مصر البريطانية[٣٩]. وفي بَرقة، حاول المبعوثون الألمان إقناع مجاهدي الطريقة السنوسية بمهاجمة مصر [٤٠]، وكان السنوسيون قد قاوموا الغزو الإمپريالي في العقد السابق مقاومة شديدة؛ إذ دعوا للجهاد ضد القوات الفرنسية جنوبي الصحراء الكبرى، وقاتلوا الطليان بعد غزو طرابلس عام ١٩١١، وبعد مفاوضات مطوَّلة مع الشيخ أحمد الشريف السنوسي ومبالغ ضخمة، حمل السنوسيون أسلحتهم وهاجموا الحدود الغربية لمصر، إلَّا أن الجيش البريطاني أوقفهم بعد تحقيقهم بعض الانتصارات الأولية. وكذلك لاقت محاولات تسليح

حركات المقاومة الإسلامية وتحريضها في شمال إفريقيا الفرنسي وغربها الفرنسي والبريطاني نجاحًا محدودًا، لكنها في المجمَل لم تمثِّل أي خطر حقيقي[٤١]. وفي أوائل عام ١٩١٥، انطلقت بعثة ترأسَها الرائد فريدريش كلاين (Friedrich Klein) إلى جنوب العراق للقاء مجتهدي الشيعة في مدينتي كربلاء والنجف المقدَّستَين[٤٢]. وعلى الرغم من أن العلماء الشيعة كانوا قد أعلنوا بالفعل دعمهم للفتاوى العثمانية التي صدرت عام ١٩١٤، إلَّا أن الألمان أقنعوا خمسة علماء آخرين بإصدار فتوى جديدة بالجهاد، بعد محادثات طويلة ورِشًا باذخة. وقد تلا تلك الفتاوى بعض أعيان الشيعة في إيران[٤٣]. وكذلك كانت هناك مجموعات من العملاء الألمان ينشطون في إيران للتحريض على التمرد الداخلي ضد الوجود العسكري الروسي والبريطاني[٤٤]، وكان القنصل ڤيلهلم ڤاسموس (Wilhelm Wassmuss) على رأس أكثر هذه المجموعات شهرةً. لكن أكثر البعثات الألمانية إلى العالم الإسلامي أهمية كانت تلك التي استهدفت إشعال الثورة من أفغانستان إلى منطقة الحدود الإسلامية للهند البريطانية، وهي الحدود الشمالية الغربية الشهيرة. كانت هذه المهمَّة تحت قيادة أوسكار ريتر فون نيدَرماير (Oskar Ritter von Niedermayer)، ضابط المدفعية الباڤاري الذي درس الجغرافيا والدراسات الشرقية، وسافر إلى إيران والهند قبل الحرب، وتحت قيادة الدپلوماسي ڤيرنر أوتُّو فون هينتغ (Werner Otto von Hentig) الذي خدم سابقًا في بكين والقسطنطينية وطهران[٤٥]. وعلى الرغم من أن نيدَرماير وهينتغ كانا يقودان بعثتَين متنافستَين، إلَّا أنهما اتحدا في طهران وتوجَّها إلى أفغانستان لتحريض الأفغان ضد الراج (Raj)[أ]. وعندما شارفت الحرب على نهايتها، ومع وصول القوات الألمانية إلى الحدود الجنوبية للإمبراطورية القَيصرية المحطَّمة؛ بدأ الألمان في التواصل مع مسلمي القوقاز والقِرم[٤٦]، وكان ذلك نهاية حملة مكلِّفة، استهدفت الدعاية لألمانيا بوصفها نَصيرة الإسلام[٤٧].

لكن في المجمل، أخفقت المساعي الألمانية العثمانية لتوظيف الإسلام في الجهود الحربية. على أن ذلك أثار قلق المسئولين في لندن وباريس وسان بطرسبرغ،

(أ) الهند البريطانية. (المترجم)

فأبقَوا على الاحتياطيات العسكرية في مستعمراتهم الإسلامية، والتي كان يمكنها بـدلًا مـن ذلك أن تحارب في خنادق أوروبا. وقد أشـار تقريرٌ للجيش الفرنسـي عام ١٩١٦ إلى أن جهود تحريض المسلمين في جميع أنحاء العالم المستعمَر «قد سببت عـددًا لا حصـر له من المشـاكل لقـوى الوفـاق»(٤٨). ومع ذلك، لم تنجح برلين ولا القسـطنطينية مطلقًا في إثارة انتفاضات ضخمة. لقد كانت فكرة أن «الإسلام» يمكن استخدامه في إشعال ثورة منظَّمة فكرة مغلوطة، وكان تقدير مدى تأثير فكرة الجامعة الإسلامية مبالغًا فيه؛ إذ كان العالم الإسلامي غيرَ متجانس إلى حدٍّ كبير، والأهم من ذلـك أن الحملـة كانـت تفتقـر إلى المصداقيـة. فقد كان مـن الواضح أن المسلمين يُستَغلُّون لحسـاب الأهداف الإسـتراتيجية لقـوى المركز، وليس لتحقيـق غاية دينية حقيقيـة؛ إذ لـم يكـن لـدى «تركيـا الفتـاة» أيَّـة مقومـات دينيـة، وكانت قـوة الخلافة محدودة؛ فقد افتقر السـلطانُ إلى الشـرعية الدينية، وتضاءل القبول العالمي لخلافته عمَّا أمَّل فيه المسئولون في برلين.

أخيـرًا، نظَّمـت قوى الوفاق حملـة دينية مضادة ناجحة؛ فوزَّع الفرنسـيون بيانات لعلماء موالين لهم تنكر أحقية السـلطان العثماني في الدعوة للجهاد، وتعلن أن دعم الوفـاق الثلاثـي فريضـة إلهيـة(٤٩)، وفـي الوقت نفسـه، أصـدرت باريس منشورات وكرّاسـات ودوريـات تمجِّد فرنسـا بوصفها قـوةً مسـلمة (*puissance musulmane*) وانخـرط الزعماء الدينيون بنشـاط في تعبئة المسـلمين للقتال علـى جبهات أوروبا. وكذلك ردَّ البريطانيون على دعوة القسطنطينية للجهاد بدعايتهم الدينية الخاصة(٥٠)؛ إذ حضَّت قامات إسلامية عديدة، في جميع أنحاء الإمبراطورية البريطانية، المسلمين علـى دعـم قوى الوفاق، واسـتنكرت شـخصيَّات عـدَّة مـن الدَّاعين لفكـرة الجامعة الإسـلامية، كرشـيد رضا، الدعوة إلى الجهاد بوصفها مغامرة أنانية منعدمة الضمير، متَّهمًا «تركيا الفتاة» بالردَّة عن الإسلام. وأفتى بعض علماء الهند البريطانية، بتشجيع من الحكومة الاستعمارية، بنقض دعوة السلطان للجهاد(٥١). بل إن الزعيم المهدي، عبد الرحمـن المهدي السـوداني، نجل المتمرد المهدوي الأسـطوري في ثمانينيات القرن التاسـع عشـر، تَعاونَ مع البريطانيين، ودعا لقتال القسطنطينية(٥٢). واستعملت

السُلطات القَيصرية أيضًا الشخصيات الدينية الرفيعة للتنديد بحملة الجهاد الألمانية العثمانية[٥٣]؛ فعقيب صدور الفتاوى العثمانية بفترة وجيزة، دعا مفتي أورنبرغ (Orenburg) وأحد أرفع الشخصيات الإسلامية في إمبراطورية رومانوف (Romanov)، المؤمنين لقتال أعداء الإمبراطورية. وحرص القَيصر في جولته الإمبراطورية، عقب اندلاع الحرب عام ١٩١٤، على زيارة بعض المساجد داعيًا لنفسه بوصفه نصيرًا صادقًا للإسلام. وفي النهاية، أثبت العديد من المسلمين ولاءهم لحكومات الوفاق؛ إذ قاتل المئات منهم في صفوف جيوشهم الاستعمارية، بل إن لندن نجحت من خلال الثورة العربية -على عكس دول المركز- في نشر التمرد في قلب المناطق النائية الملتهبة في إمبراطوريات خصومها، ليس من خلال البروباغندا فحسب، بل من خلال وعود ملموسة بالاستقلال[٥٤]. وقد اتضح بجلاء أن البروباغندا الألمانية العثمانية قد أخفقت عندما تحول شريفُ مكة الأكبر، الحسين ابن علي، وابنَيه فيصل وعبد الله، إلى الجانب الآخر، وهاجموا الحاميات والمدن الساحلية. وفي الواقع، ألحق انشقاق خدَّام الكعبة ضررًا جسيمًا بشرعية الخلافة العثمانية. فقد كان للثورة العربية طابعًا دينيًّا لا تخطئه عين، خاصةً في بدايتها؛ إذ سوَّغت البروباغندا الشريفية، عبر صفحات جريدة الحسين بريطانية التمويل: **القِبلة**، التمرد على القسطنطينية من خلال استعمال مصطلحات دينية، متهمةً العثمانيين بالعبث بالدين وخيانة الأمة. وعُدَّ المتمردون الاتحاديون، وفقًا لتوماس لورنس (T. E. Lawrence)، «كفارًا طَغَوا على دينهم وإنسانيتهم»، و«خانوا روح العصر ومصالح الإسلام العليا»[٥٥]. بل دعا البريطانيون لفكرة خلافة عربية في مكة؛ إذ يمكن للشريف حسين التذرُّع بأنه من نسل قريش؛ قبيلة النبي [ﷺ]، على عكس الخليفة العثماني. فتجلَّى بذلك أن البروباغندا الإسلامية يمكن استخدامها أيضًا ضد قوى المركز.

بعد الحرب، اعتقد بعض المراقبين أن الإسلام لا ينطوي على أهمية سياسية، فقد أخفقت التعبئة المستندة إلى فكرة الجامعة الإسلامية، وأُلغيت الخلافة عام ١٩٢٤، وفي بعض البلدان حاولت نُخَبٌ سياسية جديدة فرضَ رؤى علمانية حداثية

بشكل قَسري، وكان من أبرزها تركيا الكمالية وإيران البهلوية وألبانيا الزوغوية[أ]. غير أنه لا ينبغي المبالغة في تقدير هذه التطورات. ففي الواقع، يمكن عدُّ حقبة ما بين الحربين حقبة إحياء إسلامي عالمي إلى حدٍّ كبير؛ إذ تَبع إلغاء الخلافة اضطرابٌ سياسي في جميع أنحاء العالم؛ فقد اهتزت الهند البريطانية بفعل حركة الخلافة[٥٦]، وتغلَّب وهابيو ابن سعود في شبه الجزيرة العربية على حُسين مكة المدعوم من لندن، عندما ادَّعى هذا الأخير لنفسه الخلافة عام ١٩٢٤[٥٧]، وواجه الحكام العلمانيون، سواءً كانوا في أنقرة أو طهران أو تيرانا (Tirana)، مقاومةً عنيفة من جانب متديِّني رعاياهم[٥٨]، وفي أفغانستان، تورَّطت حكومة الملك أمان الله التحديثية، طيلة عقد العشرينيات، في صراع مع المعارضة الإسلامية، كلَّفت الملك عرشه في النِّهاية[٥٩]. وفي العديد من أركان العالم الإسلامي، كان الإسلام في قلب الحركات الجماهيرية السياسية الناشئة؛ ففي مصر، أصبحت جماعة الإخوان المسلمين، التي أسَّسها المدرِّس حسن البنَّا في عام ١٩٢٨، حركةً جماهيريةً في بضع سنوات، وألهمت حركات سياسية أخرى من غرب إفريقيا حتى جنوب شرق آسيا[٦٠]. وعُقِدت مؤتمرات الخلافة الإسلامية في مكة والقاهرة (كلاهما عام ١٩٢٦) وفي القدس (١٩٣١) وفي جنيف (١٩٣٥)، مشكِّلةً بذلك أممية إسلامية من العلماء والمثقفين والزعماء السياسيين[٦١]. ولمَّا اتضح أن القوى العظمى ليست على استعداد لمنح المسلمين في الشرق الأوسط وإفريقيا وآسيا حقَّ تقرير المصير. بُعِثت المناهَضة الإسلامية للإمبريالية جنبًا إلى جنب الحركات العلمانية المناهِضة للاستعمار[٦٢]. فطوال العشرينيات والثلاثينيات، واجه البريطانيون والفرنسيون والهولنديون والطليان والسوڤييت، في مستعمَراتهم الإسلامية، جماعات مقاومة محلية تدعو إلى الجهاد ضد المحتلِّين الأجانب[٦٣]. بل إن شبح التمرد الإسلامي على الحدود الشمالية الغربية الشَّهيرة خيَّم على عدد من أفلام هوليوود الشهيرة؛ مثل فيلم **حياة رمَّاحٍ بنغالي** (*Lives of a Bengal Lancer*) (١٩٣٧) بما فيه من مشاهد

(أ) نسبة إلى أحمد زوغو أو إسكندر بك الثالث ملك الألبان، واسمه الكامل أحمد مختار بك زوغولي (١٨٩٥ - ١٩٦١). وهو ملك ألبانيا في الفترة ما بين (١٩٢٨ - ١٩٣٩). وكان قد تقلَّد قبلها منصب رئيس وزراء ألبانيا (١٩٢٢-١٩٢٤)، ثم رئيس ألبانيا (١٩٢٥-١٩٢٨). (المترجم)

مثيرة للإعجاب تصوِّر جماهير المسلمين يصلُّون ويقاتلون. وبدا أن هذا هو فيلم هتلر المفضَّل؛ إذ شاهده مرارًا مع حاشيته في دار العرض الخاصة به في البيركهوف (Berghof) (مقر إقامته في جبال باڤاريا)(٦٤).

نقاشات حقبة ما بين الحربين وجيوپوليتيك الإسلام

ظل الإسلام على جدول أعمال مسئولي الحكومة الألمانية طيلة حقبة ما بين الحَربين(٦٥)، وفي الوقت نفسه، نشر العديد من الخبراء في السياسات الألمانية مجموعة كبيرة من المقالات والكتب عن دور الإسلام في الشئون العالمية والنظام العالمي، وخاصَّة خلال عَشرية الثلاثينيات، مدشِّنين بذلك خطابًا سيمتد إلى سنوات الحرب (١٩٣٩ – ١٩٤٥). وربما كان **معهد الجيوپوليتيك** (*Institut für Geopolitik*) لـكارل إرنست هاوسهوفر (Karl Ernst Haushofer)، أهم مركز لهذه النقاشات؛ إذ ناقَش الباحثون الدور المستقبلي للإسلام في السياسة العالمية(٦٦). ونشرت (*Zeitschrift für Geopolitik*) [بالعربية: **مجلَّة الجيوپوليتيك**] التي تصدر عن المعهد مقالاتٍ عن مسألة الخلافة والسياسات الإمپريالية الأوروبية تجاه الإسلام وإحياء الجامعة الإسلامية. وبالفعل، تناول خبراء المعهد الدين بجدِّية تامة بوصفه قوةً في الشئون العالمية، متحدِّثين عن **جيوپوليتيك الدين** (*Religions Geopolitik*)(٦٧). وكان هاوسهوفر نفسه شديد الاهتمام بالعالم الإسلامي، ولديه شغف عامٌّ بالأفكار «الوحدوية» كافة؛ آسيوية كانت أم أوروبية أم إسلامية(٦٨).

كان الموضوع المتكرر في هذه النقاشات المتعلِّقة بالإسلام هو افتقاره لمركز سياسي وديني بعد إلغاء الخلافة. ففي نوفمبر/ تشرين الثاني من عام ١٩٣٨، ناقش أحد كتَّاب **مجلَّة الجيوپوليتيك**، ويُدعى هانز رابل (Hans Rabl)، مؤسَّسةَ الخلافة من وجهة الجيوپوليتيك(٦٩)؛ إذ طالما أن الحرب العالمية الأولى قد برهنت على أن قوة الخلافة كان مبالغًا في تقديرها، فإن إلغاءها لن يؤثر إلَّا تأثيرًا محدودًا على الأهمية السياسية للإسلام(٧٠)، فحتى بغير مركز، ستظل **حيوية الإسلام** (*Kräfte des Islams*، كما سمَّاها الكاتب، قوةً سياسية هائلة؛ إذ إن القرآن والشريعة بمنزلة نُظم

مطلقة، وسيظل نفوذ الأئمة والعلماء قائمًا في العالم أجمع[٧١]، وفي غضون مناقشته لتبعات ذلك على القوى الأوروبية، أكَّد رابل لقرائه على وجود تنافر سياسي بين الإسلام والإمبراطوريتَين الفرنسية والبريطانية، في الوقت الذي أثنى فيه على «سلوك موسوليني الاستثنائيِّ الفطنة والتفهم» نحو الإسلام، موضِّحًا أن الدوتشي نُظِر إليه في «دوائر إسلامية عريضة على أنه نصير الإسلام»[٧٢].

وقدَّم عالم السياسة هانز لنديمان (Hans Lindemann)، بعد شهرين من اندلاع الحرب العالمية الثانية، عرضًا شاملًا لجيوبوليتيك الإسلام[٧٣]، وحاجَج في مقاله (Der Islam im Aufbruch und Angriff) [بالعربية: «الإسلام ينهض ويهاجم»]، بأن الإسلام قد شكَّل رابطةً قوية بين القارات، ويجب عدُّه قوةً سياسية بارزة في الشأن العالمي[٧٤]. أما صور الإسلام بوصفه سلبيًّا وسُباتيًّا وتابعًا من الناحية السياسية فهي صورٌ خاطئة، روَّج لها المبشِّرون النصارى بالأساس. درَس لنديمان الحركات الإسلامية حول العالم وآثارها على القوى الأوروبية[٧٥]، وأشار إلى سياسات الصداقة اليابانية والإيطالية تجاه الإسلام، بحسبانها أدواتٍ فعَّالة في تقويض الإمبراطوريتين الفرنسية والبريطانية[٧٦]، ثم بلور هذه الأفكار بعد عامين في كتابه (*Der Islam im Aufbruch, in Abwehr und Angriff*) [بالعربية: **الإسلام ينطلق ويدافع ويهاجم**] الصادر عام ١٩٤١[٧٧]، وشدَّد على أن الإسلام هو كعب أخيلِ قوى الحلفاء. وعلى النقيض، ليس في الإسلام ما تخشى منه ألمانيا وإيطاليا، بل إنه يهمهما «أهميةً كبرى» أن تنتهجا السياسة الصحيحة تجاه المسلمين، ويجب ألا «تستفزا عاطفتهم الدينية»[٧٨]. وكانت هذه الرؤى محل اتفاق واسع بين أقرانه.

وفي مارس/ آذار وإبريل/ نيسان من عام ١٩٤٢، وعندما كانت المدرعات الألمانية تحثُ الخطى نحو القاهرة وتقترب من الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتي بالفعل، نشرت المجلَّة مقالة من جزأين بعنوان: (*Die britische Islampolitik*) [بالعربية: «السياسة البريطانية تجاه الإسلام»] نوقشت فيها السياسات البريطانية تجاه مسلمي الهند والشرق الأوسط، وبصورة هامشية، إفريقيا[٧٩]. اعتمد الكاتب على مفهوم التضامن الإسلامي وقدَّم الإسلام بوصفه قوةً سياسية[٨٠]؛ فقال إن

«المطبوعات والجرائد ربطت محمَّديي الهند، بشكل وثيق وثابت، بالعالم الإسلامي»، وشدَّد على أن حركة الخلافة الهندية نهضت شاهدًا على ذلك[٨١]، وكان السبب الوحيد لإخفاق التعبئة الإسلامية، في أثناء الحرب العالمية الأولى، هو أن العثمانيين كانوا قد نبذوا الإسلام منذ زمن بعيد[٨٢]، وشدَّد الكاتب على أن العالم الإسلامي يعارض الإمبراطورية البريطانية؛ نظرًا لأن سياسة لندن تجاه المسلمين، وخاصةً في فلسطين، أدت إلى تصاعد حدَّة «المشاعر المناهِضة للإنكليز في الإسلام»[٨٣]. ونوقش تورط الإمبراطورية البريطانية مع الإسلام في مناطق أخرى من العالم في مقالاتٍ أخرى في فترة الحرب؛ إذ ناقشت بعض الإسهامات سياسة فرِّق تسُد التي اتبعتها بريطانيا في الهند مع الهندوس والمسلمين[٨٤]، وتناولت مقالاتٌ أخرى التمرد الإسلامي المناهِض للبريطانيين على الحدود الشمالية الغربية [للهند][٨٥]. وفي عام ١٩٤٠، تناول خبير الجيوپوليتيك ڤالتر لايفر (Walter Leifer) التورط البريطاني في العالم العربي، معتبرًا الإسلام قوةً سياسيةً هائلةً[٨٦]، وأنَّ إخفاق التعبئة الدينية العثمانية للمسلمين في الحرب العالمية الأولى، ما كان إلَّا نتيجة للصراع السياسي التاريخي بين التُّرك والعرب على «زعامة الإسلام»[٨٧]. وفي العدد التالي من **مجلَّة الجيوپوليتيك**، والذي كان عددًا خاصًّا عن «تصدُّع حدود الإمبراطورية» (Rupture Lines of the Empire)، كان هناك مقال عن مصر زعم أن الإمبراطورية البريطانية لم تكن تحارب فقط «حربها التقليدية ضد النَّزعة العروبية»، بل كانت تحارب أيضًا «القومية الإسلامية ودين الإسلام»[٨٨]. لقد كانت سياسات لندن «اعتداءً على بلد عربي» و«اعتداءً على الإسلام» كذلك[٨٩].

وقبل الحرب، كانت مقالات المجلَّة المهتمَّة بتورط القوى الكبرى في العالم الإسلامي قد شدَّدت بالفعل على الأهمية السياسية للإسلام، ولحركات الجامعة الإسلامية، وللتنافر المزعوم بين الإسلام والإمبراطوريات الأوروبية، واختُتمت إحدى المقالات المكتوبة عن التفاعل الفرنسي مع الإسلام بقولها: «إن أحد أهم مشكلات السياسة الاستعمارية الفرنسية -إن لم تكن أهمها- هي علاقة فرنسا بالإسلام»[٩٠]. وبالمثل، زعم أحد تحليلات الإمپريالية في جزر الهند الشرقية

الهولندية في العام التالي أن «العلاقة بين هولندا والإسلام» تمثِّل «أحد أهم مشكلات السياسة الاستعمارية الهولندية»[٩١]. وكذلك نوقشت سياسات بريطانيا الهادفة إلى الإبقاء على «الانشقاق بين الهندوس والمحمَّديين» في الهند[٩٢]. وفي عام ١٩٣٦، كتب خبير الدراسات الأوروبية الشرقية، هاينريش إيك (Heinrich Eck)، في إحدى مقالاته عن آسيا الوسطى السوفييتية، واصفًا «المسألة الدينية» بأنها «مفتاح فهم العلاقة بين شعوب آسيا الوسطى والكرملين»[٩٣]، وزعم أن «الحكومة السوفييتية انتهَجت سبيل الحذر لمَّا أدركت أن حربًا مفتوحةً على الإسلام ستثير مقاومةً شرسة بين الآسيويين»، رغم أنه أوضح أن محاولات موسكو للتحكم في الإسلام باءت بالفشل: «فرغم ذلك، ولَّدت الحركة الإلحادية مرارة عميقة بين شعوب آسيا الوسطى، الذين كانت حَمِيَّتهم الدينية والتقاليد القديمة المحيطة بهم راسخةً في طبائعهم»[٩٤]، وأخيرًا، ربط آسيا الوسطى بالعالم الإسلامي الأوسع عندما عدَّ فكرة الوحدة الإسلامية هي أشدَّ قوى المقاومة صلابة: «إن الجامعة الإسلامية عاملٌ حاسم لن يقتصر عمله على تحديد مصائر من يقطنون آسيا الوسطى، بل من يقطنون الشرق كلِّه»[٩٥].

لقد كانت مقالات **مجلَّة الجيوبوليتيك** جانبًا من نقاشٍ أوسع عن الإسلام والسياسة العالمية، وكان أبرز كتابين في هذا الصدد، هما: كتاب پول شميتز (Paul Schmitz) (*All-Islam! Weltmacht von morgen?*) [بالعربية: **الإسلام كله! القوة العالمية الجديدة؟**] الصادر عام ١٩٣٧، وكتاب توماس رايكارت (Thomas Reichardt) (*Der Islam vor den Tore*) [بالعربية: **الإسلام على الأبواب**] الصادر عام ١٩٣٩[٩٦]. أشار كتاب رايكارت، الذي صدر بعد شهور قليلة من اندلاع الحرب العالمية الثانية، إلى أن الإسلام أصبح -مرةً أخرى- قوةً سياسيةً هائلةً ذات نطاق تأثيرٍ عالمي[٩٧]، وفصَّل قائلًا: «هناك تباينات في الإسلام، لكنها ليست جوهرية»[٩٨]. وإن لم يكن الإسلام «قوةً عالمية»، فإنه «فاعلٌ عالميٌّ من الدرجة الأولى»[٩٩]. وكتب في رفض المعتقَد الشائع الذي يقضي بأن القومية ستحل محل الدين في النهاية، قائلًا: «إن القول بأن الدين شأن شخصي هو فكرة منحطَّة من بنات

أفكار الغرب، ولن يستوعبها الشرق ولن يسلِّم لها أبدًا»[١٠٠]. وما كانت الدعوة للجهاد في الحرب العالمية الأولى لتفشل إلَّا لأن «تركيا الفتاة» هي من دَعَت إليها؛ إذ كانت رؤاها الإلحادية معروفة للجميع[١٠١]. لقد تعمَّق رايكارت في المقاربات السياسية التي استخدمتها القوى الكبرى في التعاطي مع الإسلام والمناهَضة الإسلامية للإمبريالية[١٠٢]؛ فناقش السياسات الهولندية في إندونيسيا والسياسات الأمريكية في الفلبِّين والسياسات الفرنسية في إفريقيا، وشدَّد على أن بريطانيا تدفع بسياسة قمع للدين الإسلامي[١٠٣]، «وبذلك، تلتقي التوجهات الإنكليزية تجاه الإسلام في النهاية مع التوجهات الفرنسية؛ توجهات الكراهية والنزاع والثورة»[١٠٤]. لقد استفزَّت السياسات الدينية التي تبنَّتها الإمبراطوريات الليبرالية المسلمين: «فعندما ينظر الإسلام إلى الغرب، فإنه يرى في الديمقراطية، والبرلمانية، والرأسمالية، والفردانية، والميكَنة الجامحة، والإيمان الأعمى بالتقدم، كلَّ ما يناصبه العداء»[١٠٥]. وكذلك درس رايكارت القمع السوڤييتي للمؤسسات الدينية وتدميره للمساجد واضطهاده للرموز الإسلامية، مستنتجًا أن «الإسلام يرى في البلشفية عدوه الرئيس»[١٠٦]. وعلى النقيض، استوعبت اليابان وإيطاليا الإسلام في سياساتهما[١٠٧]. ومَثَلُها مَثُل «الدول التسلطية والشمولية» جميعها؛ ليس ثمَّة شيء في صعود الإسلام تخشاه ألمانيا[١٠٨]. أما العلاقة بين ألمانيا والإسلام، فقد دُرِست بعناية وتفصيل في فصل أخير كتبه الطبيب المصري والداعية النشط للجامعة الإسلامية، زكي علي[١٠٩](أ). أشار علي إلى سياسات ألمانيا الإمبراطورية، وخطاب ڤيلهلم الثاني في دمشق، وتوجُّه ألمانيا فيما يخصُّ الإسلام في مستعمراتها[١١٠]. وقبل مناقشة المسائل محل الاتفاق الأيديولوجي بين النازية والإسلام، زعم رايكارت أن: «رائده هو احترام الإسلام، وثقافته الدينية، ومؤسساته وأبنيته الدينية»[١١١].

(أ) كان الدكتور زكي علي ناشطًا ومفكرًا إسلاميًّا بارزًا في منتصف القرن العشرين. انتقل من مصر إلى ڤيينا ثم إلى جنيف بدعوة من الأمير شكيب أرسلان، وشارك في تنظيم أول مؤتمر إسلامي في أوروبا. له عدة مؤلَّفات، من أبرزها: **الإسلام في العالم**. (المترجم)

ومثَلُه مثُل رايكارت، شـدَّد شـميتز في كتابه **الإسـلام كله** على الأهمية السياسية العالمية للإسـلام(١١٢)، وبلُغة **الجيوبوليتيك**، وصف شـميتز رؤيته لتكتُّل من الدول الإسـلامية بدلًا من دولة إسـلامية جامعة(١١٣)، ومن خلال ترابطه الديني، قد يصبح هذا التكتل **القوة العالمية القادمة** (*Weltmacht von morgen*)(١١٤). وقد تعزَّز التضامن الإسـلامي بوجود شـعب إسـلامي عابـر للحدود، وبالحـجِّ إلى مكة، وقـد ولَّد هذا الحجُّ، فيما يرى شـميتز، «وعيًا سياسيًّا عظيمًا بأن هناك ما يدعَى أمة إسلامية»(١١٥). ومن غير المستغرب أن يدرس شميتز كذلك سياسات القوى العظمى تجاه الإسلام، شـارحًا تودُّد إيطاليا واليابان للإسلام وللمقاومة الإسلامية الموجَّهة ضد الفرنسيين والبريطانييـن والـروس، ولـم يتـرك شـميتز مجـالًا للشـكِّ فـي الطابع الدينـي لهذه المقاومة، واسـتخدام القادة الإمبرياليين للقرآن في سبيل «إثارة روح الحميَّة الدينية بيـن الجماهيـر»(١١٦). وقد اسـتقبلت الدوائر الأكاديمية كتاب **الإسـلام كله** بحفاوة، علـى الرغم من أن شـميتز لم يكن باحثًا أكاديميًّـا مختصًّا، بل صحفيًّا عاش في عدة بلـدان إسـلامية، وكان يعمـل سـاعتها مراسـلًا رسـميًّا لجريـدة الحـزب النـازي (*Völkischer Beobachter*) [بالعربية: **الرقيب الشعبي**][أ] في مصر. لم تقتصر الإحالة إلى شميتز على خبراء الجيوبوليتيك، بل امتدت لتشمل باحثي الدراسات الإسلامية. وعندما شـرعت ألمانيا في التفاعل مع الإسـلام، في مناطق الحرب، في غضون عام ١٩٤٢، نشـرت **مجلَّـة الإسـلام** مراجعـةً إيجابيـة للكتـاب(١١٧)؛ إذ كتـب المُراجـع ريتشـارد هارتمـان (Richard Hartmann) أنـه «نظـرًا للأهميـة المسـلَّم بهـا للبلـدان الإسـلامية وجـلاء تزايد الاهتمام بالإسـلام في العديـد من الدوائر فـي ألمانيا؛ فإن لهذا الكتاب أهمية فائقة»(١١٨). وقد شـارك هارتمان نفسـه، وهو أسـتاذ الدراسـات الإسـلامية فـي برلين، الـذي عَمِل قـرب نهاية الحرب مستشـارًا لوحـدات الحماية النازية، في النقاشات المتعلقة بسياسة الإسلام في أثناء الحرب، ودعم فكرة شميتز عن تعايش الإسلام والقومية، وخاصةً في كتابه (*Die Religion des Islam*) [بالعربية: **دين الإسلام**](١١٩).

(أ) سنقتصر على إيرادها باسم جريدة الحزب النازي على مدى الكتاب؛ تخفيفًا على القارئ. (المترجم)

وكذلـك، أبـدى خبـراء السياسـة الألمان مـن خـارج **معهـد الجيوبوليتيك** طوال الثلاثينيات والأربعينيات اهتمامًا كبيرًا بالإسـلام؛ إذ كانت (*Zeitschrift für Politik*) [بالعربية: **مجلَّة السياسة**]، التي تقوم على تحريرها **كلِّية السياسة الألمانية** (*Deutsche Hochschule für Politik*)، أيضًـا منتـدًى مهمًّـا للنقـاش حـول هذا الموضـوع[١٢٠]، وعلـى الرغم من أن بعض كتَّاب المجلَّة، ومنهم كورت پروفه، شـكَّكوا في الأهمية السياسـية التي ينطوي عليها الدين في العالم الإسـلامي، ظل البعض على قناعته بأن الإسـلام قوةً جيوپوليتيكية رئيسـة[١٢١]. وفي أوائل عام ١٩٣٨، وقبل سـتة أشهر من طرق **مجلَّة الجيوپوليتيك** للموضوع، تناولت **مجلَّة السياسـة** مسـألة مركز الإسـلام، وعـدَّت مكـة، تحت حكـم ابن سـعود، بمنزلة «قطب الإسـلام» الجديـد[١٢٢]. فبعد الحرب العالمية الأولى، نما الإسلام ليصبح «قوةً سياسية ودينية بارزة»[١٢٣]. وطوال فتـرة مـا بيـن الحربيـن، تناولـت **مجلَّـة السياسـة** أيضًـا مسـألة المناهَضة الإسـلامية للاسـتعمار في الإمبراطوريات الأوروبية، فنشـرت إسـهامات تـدور حول المقاومة الإسـلامية في الإمبراطورية الفرنسية، والجامعة الإسـلامية في جزر الهند الشـرقية الهولنديـة، والتمـرد الإسـلامي في منطقـة الحـدود الشـمالية الغربية [للهنـد][١٢٤]. وناقـش بعـض المقالات أيضًا الجهاد في الحرب العالمية الأولى، وأعاد النظر ليس فقـط في المحاولات الألمانية لإشـعال ثورة إسـلامية، بل في الإجـراءات المضادة التـي تبنَّتهـا قوى الوفاق الثلاثـي أيضًا[١٢٥]. وفي عـام ١٩٤١، عندما تورطت ألمانيا في المغرب الإسـلامي، نشـرت **مجلَّة السياسة** نقاشًـا مفصَّلًا لحملة الجهاد في عام ١٩١٤، بلغـت حـدَّ الإشـارة إلـى أنها لـم تكن إخفاقًـا كاملًا بل يمكـن أن تكون قد نجحـت إلـى حدٍّ كبيـر[١٢٦]. وفي أثناء الحرب، نشـرت المجلَّة بعـض الكتابات عن المتعاونيـن المسـلمين مـع ألمانيـا، وأبرزهـم مفتـي القدس، فـي إطار مسـائل أكثر عمومية عن جيوپوليتيك الإسلام[١٢٧]. وإجمالًا، كان هناك تداخل كبير في النقاشات المتعلِّقـة بالإسـلام فـي الثلاثينيـات والأربعينيات بين **مجلَّـة الجيوبوليتيـك** و**مجلَّة السياسـة**. وأخيـرًا بعـد أن اندلعـت الحـرب، أبـدت المجـلَّاتُ العسـكرية اهتمامًـا بالقضايـا الإسـلامية؛ ففـي عـام ١٩٤٢، أكـدت مجلَّـة (*Militärwissenschaftliche Rundschau*) [بالعربية: **المجلَّة العلمية العسـكرية**] لقرائها أن الإسـلام ينطوي على

«حيوية استثنائية»، وأن نجمه «في صعود»، وأنه ليس «جامدًا ولا قريب الاضمحلال»، وأنه يمثّل رابطةً سياسية عالمية معزّزة بما تنطوي عليه من «تعاهد وتضامن»[١٢٨].

وكان من بين الجوانب المهمّة للنقاش، دورُ الإسلام في الأراضي الإسلامية في الاتحاد السوڤييتي، وكان المؤيّد الرئيس لفكرة أن الإسلام هو أقوى المتاريس أمام النظام السوڤييتي هو يوهانس بينسنغ (Johannes Benzing)، الباحث في الشئون التركية والمتخصّص في الإسلام، والذي سيصبح أحد أهم المستشرقين في ألمانيا ما بعد الحرب. قدّم يوهانس هذه الدعوى للمرة الأولى عام ١٩٣٧ في مقال له نُشر في جريدة (*osteuropa*) [بالعربية: **أوروبا الشرقية**] عن البلشفية والشعوب التركية في الاتحاد السوڤييتي والإسلام[١٢٩]، وفصّل بينسنغ القول في شرحه لقمع الكرملين للهيئات الدينية في المناطق الإسلامية، وهجومه على العلماء والمساجد والتقاليد والشعائر[١٣٠]، وزعم أن حرب السوڤييت على الإسلام كانت أشرس من قمعهم للمسيحية الأرثوذكسية؛ إذ كان الإسلام «أشدَّ خطرًا» عليهم[١٣١]. لقد كان التصدّي الإسلامي لموسكو مشحون دينيًا، وكان «الملالي» هم «حمَلَة رسالة المقاومة»[١٣٢]. وقد روّج بينسنغ لهذه الأطروحة في أثناء الحرب، ونصح وحدات الحماية بتعبئة المسلمين في الاتحاد السوڤييتي[١٣٣]، وقد شاركه رؤاه تلك زميله البارز، وخصمه، غِرهرد فون منده (Gerhard von Mende)، الباحث في الشئون التركية المولود في ريغا (Riga)، والذي درسَ المناطق التركية الشرقية في برلين ثم انضم إلى وزارة الشرق في أثناء الحرب. ناقش منده في كتابه (*Der nationale Kampf der Russlandtürken*) [بالعربية: **النضال القومي لشعوب روسيا التركية**] صعود القومية بين أتراك روسيا (المشار إليهم بالأتراك الشرقيين (*Osttürken*)) منذ أواخر القرن التاسع عشر، آخذًا في اعتباره بقوة دورَ الإسلام في مقاومتهم الدولة المركزية[١٣٤]. وعلى الرغم من قناعته بأن الإسلام قد تضعضعت أركانه سياسيًا بحلول نهاية هذا القرن، إلّا أنه حاجج بأن الدين جزءٌ لا يتجزأ من الوعي القومي لدى الأتراك الشرقيين، وأنه أثبت قوّته مؤخرًا أمام النظام السوڤييتي؛ فتحمّس الباحث البارز في

الإسـلاميات غوتهـارد يشـكه (Gotthardt Jäschke) فـي مراجعتـه للكتـاب في مجلَّة (*Die Welt des Islams*) [بالعربيـة: **عالـم الإسـلام**]، وشـدَّد علـى «الأهميـة القصوى للإسـلام فـي معركة حفظ الـذات القومية»(١٣٥)، وأوجز بأن الإسـلام قدَّم للشـعوب التركية حصنًا منيعًا أمام «سياسـة التفسـيخ (disintegration) البلشفية»(١٣٦)، فكتب أنه «سـيكون من المثير معرفة عدد المسـاجد التي أُغلِقت حتى الآن»(١٣٧)، وبعد عامين، نشـر يشـكه، الذي كان سـاعتها أسـتاذًا في برليـن وعَمِل لفترة قصيـرة لصالح مكتب **استخبارات الشـرق** فـي أثناء الحرب العالميـة الأولى ثم دبلوماسـيًّا ألمانيًّا في تركيا والقوقـاز، أفكاره المتعلِّقة بالشـيوعية في **عالم الإسـلام**(١٣٨)، فأشـار إلى أن «كل من أَلِـفَ ديـن النبي محمَّد [ﷺ] وتعاليم اليهودي كارل ماركس (Karl Marx) وتمثُّلاتها اللينينيـة والسـتالينية المفجِعـة، حتـى وإن كانـت أُلفـة سـطحية، يعلم كـم بينهما من المفـاوز»، وأضـاف أنه «كما أن كل مسـلم ورع ينبذ الاشـتراكية الماركسـية شـعوريًّا وبشـكل بدهي، فإن أيَّ بلشـفي حقيقي يجب عليه أن يعدَّ الإسلام «أفيونًا للشعوب» كأي دينٍ آخر، وأن يحاربه بالشراسة نفسها التي يحارب بها القومية»(١٣٩).

كان پـول شـميتز، مـرةً أخـرى، هو أكثر من أسـهم في نشـر هذه الأفـكار، فكتابه (*Moskau und die islamische Welt*) [بالعربية: **موسكو والعالـم الإسلامي**] المنشور عام ١٩٣٨ في سلسـلة **البلشـفية** (*Bolschewismus*) الشَّهيرة التي أصدرتها دار النشر المركزيـة للحـزب النـازي (NSDAP) فرانـز إيبـر (Franz Eher) ، درسَ سياسـات الكرملين تجاه المسـلمين(١٤٠). وقد فصَّل شـميتز القول في عرض القمع السـوڤييتي للإسلام، مستنكرًا «العدوان السياسي والديني» الذي تُقدِم عليه موسكو تجاه شعوبها المسـلمة(١٤١)، وزعـم أن القمع السـوڤييتي كان «بلا جدوى»؛ إذ أكد على أن «الدِّين الإسـلامي» لـم يقتصـر بقـاؤه على أن ظـل «قاعدة حيـاة» غالبية المسـلمين، بل ظل كذلك الحامل الأقوى للمقاومة المناهِضة للسـوڤييت(١٤٢). وشـرح شميتز في الجزء الأخير من الكتاب تبعاتِ ذلك الوضع على ألمانيا قائلًا: «نحن الألمان، تحت قيادة أدولـف هتلـر، أدركنا دور البلشـفية وفضحنـاه أمام العالـم، ونحن نـدرك أيضًا أهمية العالم الإسلامي في الصراع مع الكومنترن (Comintern)، ومن هنا تنشأ صداقتنا مع

الشعوب الإسلامية»[١٤٣]. وقد أوصى يوهانس بينسنغ في مراجعته لكتاب شميتز في **عالم الإسلام** به بوصفه «مدخلًا جيدًا»[١٤٤]. امتدَّ النِّقاش إلى سنوات الحرب. فعلى سبيل المثال، نشر كارل كروغر (Karl Krüger)، الأستاذ الجامعي في برلين وخبير الشئون الشرقية، بعد غزو روسيا مباشرةً في صيف عام ١٩٤١، مقالًا عن مسلمي الاتحاد السوڤييتي لدى **مكتب رابطة المشرق الألماني** (*Organ des deutschen Orient Vereins*)، شدَّد فيه على أن الإسلام في آسيا الوسطى يمكنه أن يصبح فاعلًا له شأنه في الحرب، بل قدَّم في المقال اقتراحات محدَّدة لشعارات الپروپاغندا[١٤٥].

ومن الجدير بالذكر في الختام أن خبراء جنوب شرقي أوروبا سيسهمون أيضًا إلى حدٍّ ما في النقاشات الدائرة حول سياسة الإسلام، وذلك بمجرد دخول القوات الألمانية أراضي البلقان الإسلامية، وكان من بينهم فرانز رونابرغر (Franz Ronneberger) مدير فرع وزارة الخارجية للاستخبارات والبحوث في جنوب شرقي أوروبا، في ڤيينا، والمعروف بـ**مؤسسة د. رونابرغر** (*Dienststelle Dr. Ronneberger*)، وأحد أبرز خبراء البلقان الصاعدين لدى النظام؛ ففي خريف عام ١٩٤٢، نشر رونابرغر مقالةً مطولة عن أهمية الإسلام في جنوب شرقي أوروبا صدَّرت بها **جريدة الحزب النازي** صفحتها الأولى[١٤٦]. فمسلمو البلقان ليسوا شيئًا من جهة تعدادهم الذي لا يتجاوز المليونين إذا ما قورنوا بملايين المسلمين خارج أوروبا، لكن رونابرغر كتب أنه «قد يكون من الخطأ استنتاجُ أهمية المسلمين الأوروبيين في العالم الإسلامي اعتمادًا على نسبتهم العددية فقط». وزعم أن «كل شيء» يقع لمسلمي البلقان «ترصده بقيةُ العالم المحمَّدي (*Mohammedanertum*) وتلحَظه، وفي المقابل، يهتم محمَّديُّو أوروبا -لأقصى درجة- بإخوانهم في الدِّين، وخاصةً في الشرق الأدنى وشمال إفريقيا». وذهب رونابرغر إلى أن تعاطي ألمانيا مع الإسلام في البلقان يجب أن يأخذ في اعتباره علاقاته بالعالم الإسلامي، وقال لقرَّائه إنَّ مسلمي الاتحاد السوڤييتي لم يكونوا وحدهم مَن يخوضون معركة «دفاعهم الشرس ضد البلشفية»، بل كان «العالم الإسلامي أجمع» مستعدًّا لمساندة قوات المحور والقتال في صفوفه. وفي صيف عام ١٩٤٣، نشرت مجلَّة (*Volkstum im Südosten*)

[بالعربية: **العِرق في الجنوب الشرقي**]، المتخصصة في دراسات جنوب شرق أوروبا، والتي يقوم على تحريرها رونابرغر وآخرون، مقالةً بعنوان: (Zum Mohammedanerproblem in Bosnien und der Herzegowina) [بالعربية: «حول المسألة المحمَّدية في البوسنة والهرسك»]، والتي درست سياسة الإسلام في جنوب شرق أوروبا بشكل أكثر عمقًا، وعدَّت المسلمين كذلك حلفاءَ لألمانيا النازية(١٤٧).

وعلى الرغم من تعقُّده وسيولته، اتسم الخطاب الخاص بالإسلام والسياسة ببعض الفرضيات والسرديات المتواترة؛ إذ اعتمد على مفهوم جوهراني للإسلام بوصفه كِيانًا أنطولوجيًّا قائمًا بذاته، ونُظِر لهذا الكيان على أنه سياسيٌّ بطبيعته. وكذلك أبرزت النقاشات مفهومًا قُطريًّا عن «الإسلام» من خلال دمج مفاهيم الدين والجغرافيا، وفُهم «الإسلام»، أو بشكل أدق «العالم الإسلامي»، بوصفه وحدةً جغرافية تمتد من شمال إفريقيا وحتى شرق آسيا. وعلى أعتاب الحرب العالمية الثانية، كان قد غلَب على الخبراء الألمان الاتفاق على الأهمية السياسية للإسلام ونطاق تأثيره العالمي، والذي أُشير إليه غالبًا بـ«عالم الإسلام» (*Weltislam*) أو «الوحدة الإسلامية» (*All-Islam*) أو (*Pan-Islam*)، وإن اختلف تقييمهم لمضاءِ الوحدة الإسلامية بوصفها قوةً سياسية. وكانت الحملة الفاشلة لتعبئة المسلمين في الحرب العالمية الأولى أحد أكثر الموضوعات إثارةً للجدل. ومما يلفت النظر أنه ما من أحد تقريبًا عدَّ فشلَ الحملة دليلًا على انعدام الأهمية السياسية للإسلام، لكنهم أشاروا إلى انعدام مصداقية «تركيا الفتاة» العلمانية، والدوافع اللادينية الواضحة وراء الدعوة للجهاد. وأبدى الخبراء أيضًا اهتمامًا ملحوظًا بإلغاء الخلافة ومسألة عدم وجود مركز للإسلام، وناقشوا مسائل السُّلطة الدينية العالمية والنفوذ السياسي العالمي؛ إذ تحولت أنظار البعض تلقاء مراكز جديدة (مكة والقاهرة)، واعتقد آخرون أن الخلافة لا تلائم القوة السياسية للإسلام. وكذلك كان الانفصام بين الدين والقومية من الموضوعات المتكررة، رغم أن غالبية الكُتَّاب رفضوا الفكرة التي تقضي بأنهما لا يجتمعان(١٤٨). وأخيرًا، تناول الكُتَّاب جميعهم سياسات القوى العظمى تجاه الإسلام، واتفقوا على أن سياسات البريطانيين والفرنسيين والهولنديين

والـروس قـد استَعْدَت العاطفـة الدينية الإسـلامية، في حين عـدُّوا مقاربتَـي إيطاليا واليابـان أكثـر وعيًا. وفي كل حديث سياسـي متعلِّق بألمانيا، كان يُنظَر إلى الإسلام بوصفـه فرصةً سياسـية بشـكل عام. في حين عـدَّه عددٌ قليل مـن الباحثين خاملًا من الناحية السياسية، وعدَّه عددٌ أقل تهديدًا سياسيًّا[١٤٩].

كان المراقبـون الأجانـب على وعي بالأثـر العملي للخبراء على صنع سياسـات ألمانيا في العالم الإسـلامي. وفي تحليله لجهود ألمانيا الحربية ودعايتها في شـمال إفريقيـا والشـرق الأوسـط، تتبَّع خبير السياسـة الخارجية البريطانـي روبرت ل. بيكر (Robert L. Baker) أثـر «الجنـرال د. كارل رودولـف فون هاوسـهوفر (Karl Rudolf von Haushofer)»، مشـيرًا إلى أن «باحثي الجيوپوليتيك التابعين له حاولوا جاهدين تطبيق قواعد علمهم على الشـرق الأوسـط»[١٥٠]، بل إن بيكر سـيناقش -بالتفصيل- بعض المقالات المنشـورة عن الإسـلام في **مجلَّـة الجيوپوليتيك**، ومنهـا مقالة رابلر «عـن الخلافـة»، ونـصٌّ لنديمان «الإسـلام يتقـدم»، والمقـال الشـهري الخاص عن «الهند والشـرق الأدنى» الذي كتبه هاوسـهوفر بنفسه لعدة سنوات موجِّهًا إياه لقرائه الأمريكيين والإنكليز[١٥١]. لقد كان كلُّ أولئك «يغذُّون السَّعي بحثًا عن حركة عِرقية أو سياسـية يمكـن اسـتغلالها لتحطيـم قوة بريطانيا في الشـرق الأوسـط»[١٥٢]. وكما يؤكد بيكر، كان للإسلام دورٌ مركزي في ذلك:

> «لقد أدَّت الحرب إلى حدوث تغيُّر في التوجه الجيوپوليتيكي تجاه فكرة الوحدة الإسـلامية. وههنا أيضًا كانت الپروپاغندا النازية مسـئولة عن ذلك؛ لأنها كانت تأمل في تحريض العالم الإسلامي ليعلن جهادًا أو حربًا مقدسة على بريطانيا وفرنسا. فلسنوات عدة قبل الحرب، كان باحثو الجيوپوليتيك ينظـرون إلـى فكرة الوحدة الإسـلامية بوصفها حلمًا مثيـرًا للإعجاب، لكنه مسـتحيل التحقـق؛ نظـرًا للاختلافـات العرقيـة واللغويـة والمذهبيـة، ولأن الحركة أيضًا كانت خاملةً من الناحية السياسية وتفتقر إلى دولة مركزية»[١٥٣].

كان بيكـر على قناعة بأن كتابات هؤلاء على صلة مباشـرة بالسياسـات الألمانية: «إن هـذه الكتابـات، بالإضافـة إلـى الپروپاغندا الإذاعيـة الألمانية باللغـة العربية، قد

شجَّعت الإسلام على تحدِّي «طغيان» بريطانيا ... فقد استخرج باحثو الجيوپوليتيك مادةً يمكن أن تستغلها پروپاغندا د. غوبلز الإذاعية الفَّعالة الموجَّهة بالعربية ولغاتٍ أخرى في التودُّد للعرب والمسلمين»[١٥٤]. لكن بيكر ألمَح أيضًا إلى عدم وجود تنازلات ملموسة [من جانب السُّلطات الألمانية]: «فشركاء المحور الثلاثة كانوا مهتمِّين للغاية بفكرة الوحدة الإسلامية بوصفها سلاحًا ضد البريطانيين، غير أن العهود التي قطعوها على أنفسهم للمتشدِّدين [من المسلمين] -بقدر ما نعلم- كانت مبهَمة»[١٥٥]. وتستدعي هذه الانتقادات الموجَّهة إلى خبراء الإسلام الألمان -بطريقة ما- اتهامات سنوك هِرخرونيَه نفسها التي وجَّهها لهم في أثناء الحرب العالمية الأولى.

إن تأثير **الجيوپوليتيك**، وخاصةً نظرياتها حول **المجال الحيوي** (*Lebensraum*) في الشرق، على صنَّاع السياسة والإستراتيجيين النازيين، وعلى هتلر نفسه في الواقع، مما هو شائعٌ معروف[١٥٦]؛ إذ كان العديد من الدراسات المتعلقة بالإسلام يُطَّلَع عليه في وزارات برلين وأجهزتها المسئولة عن العالم الإسلامي في أثناء الحرب[١٥٧]. أما القول بوجود تأثير لهذه الكتابات التي كان الإسلام موضوعها -كما زعم بيكر- فهو محض تكهُّن. لكن المفاهيم التي برزت في خضمِّ هذا الجدل الأكاديمي انعكست -إلى حدٍّ ملحوظ- على النقاشات والقرارات التي اتخذتها سُلطات النظام في برلين بعد أن أصبح العالم الإسلامي محطَّ تركيزها.

الفصل الثاني
اللحظة الإسلامية في برلين

كان لمذكِّرة ماكس فون أوبِّنهايم في عام ١٩٤٠، والتي كانت في الكثير من جوانبها نسخة منقَّحة من خُطَّته لعام ١٩١٤، بعضُ الأصداء في وزارة الخارجية[١]، وقد أبلغه وكيل الوزارة، تيودور أوغست هابيشت (Theodor August Habicht)، أن «المسائل التي أثارها هي موضع نظر تفصيلي بالفعل في وزارة الخارجية»[٢]. لكن عمليًّا، لم يكن لدى المسئولين الألمان حتى ذلك الوقت كبيرُ اهتمام بالشرق الأوسط أو بقية العالم الإسلامي؛ إذ لم تفرض أيَّة خُطَّة من خُطط هتلر التي كان قد وضعها قبل عام ١٩٣٣ للسياسة الخارجية، ولا أيَّة إستراتيجية من إستراتيجيات الثلاثينيات سياسةً كتلك[٣]؛ إذ كانت خُطط هتلر تركِّز على أوروبا الشرقية. لكن في خارج العالم الأوروبي، والذي يشمل الأراضي الإسلامية، اعترفت برلين بالمصالح الإمپريالية لإيطاليا وإسبانيا وبريطانيا، الذين سعى هتلر للتحالف معهم.

إلَّا أن هذه الرؤية تغيَّرت مع اندلاع الحرب، لكن الأهم أنها تغيَّرت مع الإخفاق العسكري الإيطالي في شمال إفريقيا والبلقان في أوائل عام ١٩٤١. وعندما واجه الألمانُ فِرق المسلمينَ المنضَوية تحت لواء الجيش الفرنسي في عام ١٩٤٠، اجتهد الجيش الألماني ومسئولو وزارة الخارجية في استغلال الإسلام في دعايتهم، إلَّا أنها كانت جهودًا ارتجالية غير منظَّمة. ولم يبدأ صنَّاع السياسة في برلين في الاهتمام بالدور الإستراتيجي للإسلام بشكل أكثر تنظيمًا إلَّا في عام ١٩٤١، مع تورط القوات الألمانية في شمال إفريقيا وتقدُّمها نحو الشرق الأوسط. وكان مسئولو قِسم الشرق في الإدارة السياسية بوزارة الخارجية هم أول من أولَى الإسلام عنايته، وذلك في سياستهم تجاه المناطق المسلمة.

وزارة الخارجية وتشكُّل سياسة ألمانيا نحو الإسلام

في صيف عام ١٩٤١ وخريفه، ناقش مسئولو وزارة الخارجية الألمانية الأهمية السياسية للعالم الإسلامي، وتوظيف الإسلام في الجهود الحربية الألمانية، وكان أول من عرض فكرة التوظيف الممنهَج للإسلام هو الدبلوماسي إبرهارد فون شتورر (Eberhard von Stohrer) في مذكِّرة له بتاريخ الثامن عشر من نوفمبر/ تشرين الثاني لعام ١٩٤١[٤]. وقد اقترح إبرهارد، بعد تشديده على أن العالم الإسلامي سيكون أكثر أهمية في المسار المستقبلي للحرب، أنه يجب وضع «خُطَّة شاملة للإسلام» تشتمل على بيان لـ «التوجه العام للرايخ الثالث من الإسلام». وأوصى شتورر بتشكيل لجنة من خبراء الإسلام بغية وضع هذه الخُطَّة. ولقناعته بأن الأيديولوجيا الاشتراكية القومية تتسق مع «العديد من المبادئ الإسلامية»، كتب: «يحظى الفوهرر بمكانة متميزة في الإسلام؛ جرَّاء حربه على اليهودية». وعلى كلٍّ، فإن الإسلام «يشبه الاشتراكية القومية» لما فيه من نبذ لفكرة «الكهنوت» (clergy)، وفسَّر قوله بأن الأئمة هم «مدرِّسون وقضاة، لكنهم ليسوا كهنة». لقد كان شتورر يعي تمامًا أن خُطَّته المقترحَة يمكنها الاستناد إلى تراثٍ من «سياسة الصداقة مع الإسلام منذ ما قبل الحرب العالمية [الأولى]، وفي أثنائها». ولذلك اقترح اسم ڤيرنر أوتُّو فون هينتغ الذي شارك في تعبئة المسلمين في أثناء الحرب العالمية الأولى، وكان مديرًا لإدارة الشرق قبل عام ١٩٣٩، ليقوم على تشكيل لجنة الخبراء. وألَحَّ شتورر على أنه قد آن الأوان لذلك. فبعد هزيمة فرنسا، غدت ألمانيا «تحتل موقعًا متميزًا في أراضي الإسلام في شمال إفريقيا»، وقد استجلبت تعاطف العديد من المسلمين؛ جرَّاء حربها ضد بريطانيا «المتسلِّطة على مساحات عريضة من ديار الإسلام»[٥].

كتب شتورر، الذي خدَم طويلًا في القاهرة ثم شغَل منصبَ السفير الألماني في مدريد، هذه المذكِّرة في أثناء عطلة كان يقضيها في برلين، حيث ناقش هذه القضايا مع بعض أصدقائه، ومن بينهم پيير شرومپف-پيرون (Pierre Schrumpf-Pierron)، الضابط في جهاز استخبارات القوات المسلَّحة الألمانية، **آبڤير** (*Abwehr*)، والذي كان فيما مضى عميلاً في القاهرة[٦]. وكان شرومپف-پيرون بدوره قد أرسل مذكِّرةً

قبلها بأشهر قليلة إلى وزارة الخارجية تعرَّض فيها لتوظيف الدين في شمال إفريقيا والشرق الأوسط(٧). وقد وجب على برلين أن تستعد لإعادة تنظيم المنطقة وإقناع السكان المسلمين بألا يتركوها للإيطاليين الذين كانوا موضع ازدرائهم. واقترحت المذكِّرة أنه للحصول على دعم المسلمين يجب أن تقوم السياسة والپروپاغندا الألمانية على أساسٍ من الدين الإسلامي. كانت هذه السياسة واعدةً في المنطقة العربية؛ إذ إن «العرب المسلمين ... بالفعل متشدِّدون». وكذلك ألمح شرومپف-پيرون إلى وجود تقارب مزعوم بين النازية والإسلام، يمكن التحالف بينهما استنادًا إليه، وزعم قائلًا: «ومن قبيل أن الشيء بالشيء يذكَر، تتشارك بنية الإسلام الكثير من القواسم مع الاشتراكية القومية، من ذلك مبدأ: في الأعلى سُلطة؛ في الأسفل 'ديمقراطية'». وأضاف شرومپف-پيرون أن هتلر أثار إعجاب العالم الإسلامي أجمع؛ إذ «هزم فرنسا، وهو يلتزم الآن -بصورة غير مباشرة- بالقيام على سياسة مؤيدة للإسلام ومناهِضة لليهود في شمال إفريقيا»، وأصرَّ على أنه يجب تبنِّي النهج نفسه مع بقية أركان الشرق الأوسط.

اختلف مسئولو ڤيلهلم شتراسه (Wilhelmstraße) [وزارة الخارجية]، في البداية، حول ما إذا كان الدين هو أفضل قاعدة للتحالف الإستراتيجي مع العالم الإسلامي، أم أن القوميات العِرقية المتنوعة (كالعربية أو الطورانية أو التركية أو البربرية أو الإيرانية) تَفضُله في ذلك. فرغم كل شيء، ظلَّت ذاكرة الدپلوماسيين معلَّقة بإخفاق توظيف الإسلام في أثناء الحرب العالمية الأولى. وكذلك تمحورت النقاشاتُ التي دارت بين الدپلوماسيين حول الانفصام المزعوم بين «الدين» و«القومية»، كما كانت الحال في النقاشات الأكاديمية. ففي وقت مبكر، في مارس/ آذار عام ١٩٤١، أشار مدير الإدارة السياسية بوزارة الخارجية إرنست ڤيرمان (Ernst Woermann)، في مذكِّرة له عن العالم العربي، إلى أن «فكرة (الجهاد) الإسلامية لا يمكن استخدامها في الوضع الحالي»(٨)، وفسَّر ذلك بقوله: «إن العروبة والإسلام لا يتقاطعان»؛ فعرب شمال إفريقيا والشرق الأوسط الذين سينضمون إلى جانب المحور، لن يقاتلوا «في سبيل أهداف دينية، بل في سبيل أهداف سياسية». لكن ڤيرمان نفسه لم يستطع

تجاهل دور الدين تمامًا؛ إذ ألحَّ على أن «مسائل الإسلام في حاجة إلى تعامل لبق». ورغم أن النزاع لم يُفضَّ نهائيًا قطُّ، إلَّا أن ڤيرمان تخلَّى، شيئًا فشيئًا، عن معارضته للپروپاغندا الإسلامية على مدار الأشهر التالية.

وفي أوائل عام ١٩٤٢، عقد مسئولو الإدارة السياسية اجتماعًا للنقاش بشكل منظَّم حول ما إذا كان من الواجب القيام بحملة دعائية «إسلامية عامة» في العالم الإسلامي، «إلى جانب تلك الپروپاغندا القومية (العربية والهندية على سبيل المثال)»[٩]، وعلى الرغم من أن الإرشادات التي وُضِعت في هذه النقاشات أكدت على وجوب تجنُّب «الپروپاغندا الإسلامية العامة القائمة على أسس دينية، ووجوب تجنُّب شعارات كالجهاد»، إلَّا أنها شدَّدت على ضرورة استغلال الدين: «فإن من المرغوب فيه التوظيف المحسوب للفكرة الإسلامية في البيانات الدعائية المنشورة في البلدان العربية وبين محمَّديي الاتحاد السوڤييتي»[١٠]. ومع استمرار النقاشات على مرِّ الشهور التالية، زالت التحفظات المتبقِّية تدريجيًا، وفي ربيع عام ١٩٤٢، أرسل ڤيرمان تقريرًا إلى رئيسه، وكيل الوزارة، إرنست فون ڤايتسكر (Ernst von Weizsäcker) يخبره فيه أن «المسألة الإسلامية تُبحَث الآن بحثًا شاملًا» في الإدارة السياسية «من الجانبين السياسي والدعائي ... وعليه، فإن المبادئ الدينية للإسلام ستوظَّف، وخاصَّة في الپروپاغندا الموجَّهة لمحمَّديي الاتحاد السوڤييتي والبلدان العربية»[١١]. لكن في الهند وحدها، لم تكن «الپروپاغندا الإسلامية ... مفيدة ... آنذاك»؛ إذ حاول المسئولون الألمان تجنب التورط في الصراع المحتدِم بين المسلمين والهندوس[١٢]. وعمليًا، اعتمد مسئولو وزارة الخارجية على الإسلام في سياساتهم الموجَّهة للعالم الإسلامي على نحو مطَّرد؛ إذ نظَّمت وزارة الخارجية حملة دعائية كبرى من خلال المنشورات والبثِّ الإذاعي في شمال إفريقيا والشرق الأوسط ثم في الهند، ولم تقتصر هذه الحملة على توظيف الخطاب القومي فحسب، بل اعتمدت كذلك على خطاب ديني قوي في الدعوة لقيام تحالف إسلامي ألماني (انظر القسم الثاني).

وقد قامت إدارةُ الشرق على تنسيق هذه الجهود بشكل أساسي[١٣]. وكانت الإدارة المسئولة عن شمال إفريقيا والشرق الأوسط والهند تحت قيادة الدپلوماسي

المحنَّك ڤيلهلم ميلشرز (Wilhelm Melchers) الذي خدم سابقًا في أديس أبابا وطهران وحيفا. وكان فريتز غروبًا (Fritz Grobba) من بين الشخصيات البارزة في إدارة الشرق، وهو مستشرق قاد كتيبةً من المتطوعين المسلمين الذين جُنِّدوا من معسكرات ڤنسدورف وتسوسِن إلى الإمبراطورية العثمانية، في أثناء حملة التعبئة الإسلامية في الحرب العالمية الأولى، ثم خدم بعد ذلك في فلسطين. كان «الأريب شديد التهذيب د. غروبًا»، كما وصفته مجلَّة **فورين آفيرز** (*Foreign Affairs*)، سفيرًا لألمانيا في العراق، وتولَّى حينها مسئولية الشئون العربية ومن بينها الپروپاغندا[١٤]. وكذلك كان العجوز كورت پروفه، الذي شارك في السياسات الألمانية الموجَّهة إلى العالم الإسلامي في غضون الحرب العالمية الأولى، من بين المهتمِّين بالسياسات والپروپاغندا الألمانية في شمال إفريقيا والشرق الأوسط[١٥]. وبين صيف عام ١٩٤١ ونهاية عام ١٩٤٢، وضعت وزارة الخارجية خُطَّة للإسلام، شملت توظيف عددٍ من الرموز الدينية وتأسيس معهد إسلامي مركزي في برلين.

كان مفتي القدس، المزهوُّ بنفسه، أمين الحسيني هو أبرز الرموز الدينية التي وظَّفتها وزارة الخارجية. وُلد أمين في مستهل القرن العشرين لعائلة الحسيني الأرستقراطية، وقد درس في الأزهر لفترة وجيزة، وفي مدرسة رشيد رضا[أ]، قبل أن يخدم في الجيش العثماني برتبة ضابط في الحرب العالمية الأولى[١٦]، وسرعان ما سطع نجم الحسيني في فلسطين في أثناء فترة الانتداب، رغم أنف خصومه الذين كان من أبرزهم أبناء عشيرة النشاشيبي التي كانت -لفترة طويلة- غريمة للحسينيين. وفي عام ١٩٢١، نصَّبته السُّلطات البريطانية مفتيًا للقدس، وخلعت عليه لقب «المفتي الأكبر» المستحدَث، وبعد عام واحد أصبحَ رئيسًا للمجلس الإسلامي الأعلى ورئيسًا للجنة الأوقاف العامة في فلسطين. وكان كلُّ ذلك دون أن يتوقع البريطانيون أن الحسيني، الناقم على اليهود، سيغدو عمَّا قريب معارِضًا أساسيًّا للحُكم البريطاني والهجرة اليهودية إلى فلسطين[١٧]. وفي خريف عام ١٩٣٧ أُرغم

(أ) الإيماءة إلى «دار الدعوة والإرشاد» التي أسَّسها الشيخ رشيد رضا في القاهرة عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م. عن المدرسة، انظر: محمد رشيد رضا، المنار، مجلَّد ١٤، ص ٧٨٥-٨٢١. (المترجم)

المفتي على اللجوء إلى لبنان، وانتقلَ من هناك إلى العراق ثم إلى طهران، بعد فشل الانقلاب العراقي المؤيّد لقوى المحور[أ]. وفي خريف عام ١٩٤١، فرَّ الحسيني إلى إيطاليا عبر تركيا بعد أن غزا الحلفاء إيران. وفي السادس من نوفمبر/ تشرين الثاني لعام ١٩٤١، وصل إلى برلين على متن طائرة ألمانية[١٨].

استقبل هتلر أمين الحسيني في دار مستشارية الرايخ الجديدة (الشكل ٢-١)، في حضور ريبِّنتروب (Ribbentrop) وغروبًا ومترجمَين ألمانيين[١٩]. وقد وصف المفتي في مذكراته، مدفوعًا برغبته في تقديم نفسه بوصفه رجل دولة عظيم، روعة الاستقبال بالتفصيل:

«لم أكن أتوقَّع استقبالي في دار المستشارية الشهيرة استقبالًا رسميًا، بل توقَّعت مقابلةً خاصة مع الفوهرر، ولكنني لم أكد أصل إلى الساحة الواسعة أمام دار المستشارية، وأترجَّل من السيارة أمام مدخل الدار الفخم، حتى فوجئت بعزف الموسيقى العسكرية، وبحرس شرفٍ مؤلَّف من نحو مائتي جندي ألماني، مصطفِّين في الساحة، وطلب إليَّ مرافقيَّ من رجال وزارة الخارجية أن أستعرض الحرس، ففعلتُ، ثم دخلنا إلى دار المستشارية، وسرنا في أروقتها الطويلة بأبهائها الفخمة، إلى أن انتهينا إلى قاعة الاستقبال الكبرى، كان هناك رئيس تشريفات رئاسة الدولة، فاستقبلني، وبعد نحو دقيقة أدخلني إلى غرفة الفوهرر الخاصة. استقبلني هتلر استقبالًا حارًا، بوجه طَلق وعينين معبِّرتَين، وبسرور ظاهر»[٢٠].

اقتصر الحوار بين هتلر والحسيني على تبادل عبارات المجامَلة الشَّكلية، والتأكيد على أنهما يحاربان العدو نفسه؛ الإنكليز واليهود والبلشفية[٢١]. وعندما طلب الحسيني من هتلر ضمانة مكتوبة باستقلال العرب وخاصةً استقلال فلسطين، تهرَّب من الأمر، وعندما كرَّر الحسيني طلبه، أخبره هتلر أن الوقت لم يحِن بعدُ لهذا النوع من المطالب، لكنه أكد على «كفاحه ضد اليهود بلا هوادة»، بما فيهم يهود البلاد العربية. وقد طلب الحسيني لقاء هتلر مرةً أخرى في عام ١٩٤٣، لكن هذا اللقاء لم يحصل أبدًا[٢٢].

(أ) الإيماءةُ إلى انقلاب رشيد عالي الكيلاني في العراق، ١٩٤١. (المترجم)



(الشكل: ٢-١): أمين الحسيني وهتلر في دار مستشارية الرايخ الجديدة، برلين، ٢٨ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤١[أ] (BAK, .Image 146- 1987- 004- 09A, Hoff mann)

استقر المفتي في برلين، وحاول في السنوات التالية التأثير على السياسات الألمانية تجاه العالم الإسلامي، لكن سرعان ما ساءت سُمعته لما عُرف عنه من الكَيد لخصومه الذين كان من أبرزهم رئيس الوزراء العراقي السابق رشيد عالي الكيلاني الذي حضر إلى برلين أيضًا بعد هزيمته في العراق[٢٣]. وقد حظي الكيلاني بدعم غروبًا الذي كان مسئولًا عن المتعاونين من العرب. ولإنهاء النزاع، عُيِّن العميد في وحدات الحماية (*SS- Brigadeführer*) إرڤن إيتل (Erwin Ettel)، والدبلوماسي وقائد إحدى فرق وحدات الحماية النازية والسفير السابق في طهران؛ للإشراف على

(أ) وردَ في مذكِّرات الحاج محمَّد أمين الحسيني أن مقابلته مع هتلر كانت في الساعة الرابعة والنصف من مساء يوم الجمعة ٢١ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤١. (المترجم)

الحسيني[٢٤]. لكن في الشهور التالية، نجح إيتل والمفتي بدعم من پروفه في التآمر على غروبًا والكيلاني. وفي أواخر عام ١٩٤٢، أُبعد غروبًا من وزارة الخارجية وفقَد الكيلاني نفوذه.

لقد تناولت أدبيَّات عديدة نشاط الحسيني في برلين، وكان من أبرزها السِّيَر التي كتبها يوزف شختمان (Joseph Schechtman) وكلاوس غينزيكه (Klaus Gensicke) وچيني ليبل (Jennie Lebel)[٢٥]. لكن السير التي أُلِّفت عن المفتي بالغت في تقدير مدى نفوذه في برلين، ففي المحصِّلة كان نفوذه محدودًا للغاية؛ إذ فشلت خُطَّته في تحقيق هدفها الرئيس بالحصول على امتيازات وضمانات واضحة باستقلال العرب والمسلمين[٢٦]، ولم تُفعَّل مقترحاته إلَّا بقدر اتفاقها مع المصالح الألمانية. وكانت أكثر الأمثلة دراماتيكية على ذلك هو تدخله لإيقاف هجرة اليهود إلى فلسطين من دول جنوب شرق أوروبا الخاضعة لألمانيا[٢٧]. إذن، وبدلًا من وضع المفتي محورًا للسردية، يبدو أن عدَّه جزءًا من سياسةٍ ألمانية عامة تجاه العالم الإسلامي أكثر معقولية؛ إذ كان المسئولون الألمان يستعملونه بوصفه رمزًا دعائيًّا كلما اقتضى الأمر. وعلى كلٍّ، كان الحسيني يتقاضى راتبًا جيدًا مقابل خدماته؛ إذ كان يتلقى شهريًّا ما لا يقل عن تسعين ألف مارك (reichsmarks)، بالإضافة إلى سكن خاصٍّ له ولمرافقيه[٢٨].

استخدمت وزارة الخارجية المفتي -بشكل أساسي- في تغذية دعايتها الموجَّهة للعرب والعالم الإسلامي. وعلى الرغم من أن الحسيني قدَّم نفسه أولًا بوصفه زعيمًا عروبيًّا وليس اسلاميًّا، إلَّا أن اهتمام برلين بدوره الديني تصاعد تدريجيًّا[٢٩]؛ فقد كتب غروبًا في أكتوبر/ تشرين الأول من عام ١٩٤٢، وقبل فصله مباشرةً، أن المفتي «يتمتع بهذه الثقة الخاصة لدى الدّوائر السياسية والعسكرية الألمانية لما يرتديه من عباءة دينية»[٣٠]. وفي الوقت نفسه، أكَّد إيتل لريبّنتروپ أن المفتي لا يقتصر نفعه على استعماله في الپروپاغندا الألمانية في شمال إفريقيا والشرق الأوسط فحسب، «بل يتجاوز الأمر ذلك إلى الشعوب الإسلامية كافة؛ من شمال إفريقيا وحتى

الأرخبيل الإندونيسي»[٣١]. وبطبيعة الحال كان ذلك ينطوي على مبالغة في النفوذ الديني والسياسي الفعلي للحسيني.

وكان الإمام عالم چان إدريس (الشكل ٢-٢) من بين الرموز الإسلامية الأقل شهرة التي عملت تحت إشراف وزارة الخارجية، وإن لم يكن أقل إثارة للاهتمام[٣٢]. أبقت وزارة الحرب الپروسية على عالم چان مسئولًا عن أسرى الحرب السابقين حتى عام ١٩٢١ بعد عمله في معسكرات الأسرى المسلمين في ڤنسدورف وتسوسِن في أثناء الحرب العالمية الأولى. وفي العام التالي، أُرسل إدريس إلى الاتحاد السوڤييتي لتشجيع طلَّاب آسيا الوسطى المسلمين على الدراسة في ألمانيا، لكن السُّلطات السوڤييتية ارتابت في أمره واعتقلته، ثم أُطلق سراحه بعد أشهر بمساعدة ألمانية، فعاد إلى برلين. وفي عام ١٩٣٣، عُيِّن إدريس مستشارًا في قسم الشرق بالإدارة السياسية في وزارة الخارجية. وبدا أنه يحمل بعض الهواجس الأيديولوجية جرَّاء عمله لحساب النظام الجديد. فقد نشرت **مجلَّة المنار**، منبر رشيد رضا المنافِح عن الوحدة الإسلامية، رسالةً من إدريس احتقر فيها اليهود بوصفهم أرذل الأقوام وأشنعهم، ولإفسادهم في الأرض، واستفتى فيها رشيد رضا في تعارض بعض الآيات القرآنية المتعلقة بهم[٣٣]. وبعد اندلاع الحرب في عام ١٩٣٩، عُيِّن إدريس في قسم الشرق بإذاعة الدعاية الأجنبية، التي كانت تحت إدارة مشتركة من وزارة الخارجية ووزارة الدعاية بقيادة غوبلز. عمِل عالم چان في البداية بالبرنامج العربي ثم في الإذاعات التركية، وظل في قسم الدعاية حتى نهاية الحرب، على الرغم من التصاعد التدريجي لاهتمام القوات المسلَّحة، ثمَّ وحدات الحماية لاحقًا، بخدماته. كان إدريس يتحدث لغات تركية عدَّة، من بينها التركية والأوزبكية والقيرغيزية، إلى جانب الروسية والفارسية والعربية والفرنسية والألمانية. حتى أن وزارة الخارجية كلَّفته بترجمة كتاب **كفاحي** (*Mein Kampf*) إلى الفارسية. وقد وظَّفت وزارة الخارجية العديد من المعاونين المسلمين لدعم جهودها الدعائية؛ وكان من بينهم العربيَّان عبد الحليم النجَّار ومحمَّد الصفتي، اللذان قاما على إدارة المعهد الإسلامي الجديد التابع لوزارة الخارجية، المعهد الإسلامي المركزي، والذي سيغدو مركزًا للپروپاغندا الإسلامية الألمانية.



(الشكل ٢-٢): عالم چان إدريس (١٨٨٧- ١٩٥٩) (إلياس جابيد عبد الله Ilyas Gabid Abdulla، *Islam in West Deutschland*) [بالعربية: **الإسلام في ألمانيا الغربية**]، ميونخ، د.ت).

افتُتح المعهد الإسلامي المركزي في الرابعة والنصف بعد عصر الثامن عشر من ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤٢، في مبنى شرفي من مباني القوات الجوية «اللوفتفافه» (Luftwaffe) وهو مبنى **نادي الطيّارين** (*Haus der Fleiger*) الكائن في

البناية الخامسة من شارع پرينتس ألبرشت (Prinz-Albrecht-Straße) في قلب برلين[٣٤]. وكان اختيار اليوم اختيارًا دينيًا؛ إذ كان العالم الإسلامي يحتفل بعيد الأضحى، وقد دُعي إلى الحفل مئتا ضيف[٣٥]. استغلت السُّلطاتُ الألمانية السياق الديني والافتتاح الكبير لتطوير دعايتها السياسية والدعاية للصداقة الألمانية الإسلامية. فألقى الحسيني الخطاب الافتتاحي، وغلَّف رسالته السياسية بقشرة خَطابية دينية، فاستهلَّه قائلًا: «بسم الله أفتتح هذا المعهد الإسلامي»، واستكمل خطابه عن معنى عيد الأضحى بتأمل عقَدي ومسيَّس إلى حدٍّ كبير[٣٦]. وأكد أن اليوم «يذكِّرنا بواجب التضحية بالنفس وأسمى درجات الالتزام»، ثم انتقل إلى حثِّ المسلمين على إدراك أهمية التضحية في الجهود الحربية، ثم تحدث عن معنى الحرب في الإسلام، وزعم أن عدد المسلمين «الهائل» و«استعدادهم للتضحية» سيضع المسلمين في موقف جيد يسمح لهم بتحقيق أهدافهم من الحرب. وأعلن أن «هذه الحرب التي أشعلتها اليهودية العالمية، تمنح المسلمين فرصةً عظمى، إن هم انتهزوها، لتحرير أنفسهم من الطغيان والاضطهاد ... وأن فرصة كهذه لن تتوفر مرةً أخرى قبل فترة طويلة». كان الخطاب طافحًا بسيول من البغضاء، المشحونة دينيًا، لمن زُعم أنهم أعداء مشتركون لألمانيا والإسلام:

> «إن اليهود وأشياعهم من أعدى أعداء المسلمين، وقد أبرزوا العداء لهم من قديم، وقابلوهم بكل غدر ومكر ... ويقف القرآن وسيرة النبي ﷺ شاهدَين على سوء سُمعة اليهود وخبثهم وافترائهم وخيانتهم، وكفى بهما نذيرًا للمسلمين من خطرهم الداهم وعداوتهم إلى يوم القيامة. وقد ظلَّ اليهود دائمًا على ما كانوا عليه في حياة النبي الجليل ﷺ؛ مبغضين للمسلمين ومتآمرين عليهم في كل فرصة تسنح لهم».

ثم أعلن صارخًا أن الأمريكيين والبريطانيين احتلوا الأراضي الإسلامية في شمال إفريقيا، وأن إنكلترا على وجه الخصوص «لم تقنع بابتزاز مسلمي الهند ... وقمع مصر وفلسطين وغيرها من البلاد ... فوسَّعت من اضطهادها للمسلمين ونقلت شرارة الحرب إلى بلدانٍ إسلامية أخرى» باحتلالها العراق وإيران وسورية على سبيل المثال. وفي البلقان، منح البريطانيون المال والسلاح للشيوعيين لتمكينهم من

«افتراس رجال المسلمين ونسائهم وأطفالهم في البوسنة». وعلّق الحسيني أيضًا على الإسلام في الاتحاد السوڤييتي قائلًا: «وإلى جانب اليهود والأمريكيين والإنكليز، لدينا البلاشفة الذين يبغضون الإسلام بغضًا شديدًا؛ إذ يضطهدون أربعين مليون مسلم ويقمعونهم داخل إمبراطوريتهم، وقد حطّموا مؤسساتهم الدينية والقومية، ومنعوهم حرياتهم وحقوقهم، وأغلقوا معاهدهم وجمعياتهم الخيرية بالقوة». ثم دعا في النهاية إلى مقاومة إسلامية عالمية بوصفها فريضة دينية، فقال: «لا يظل المسلم مسلمًا إن خشي أحدًا غير الله وخضع لأعدائه وأسلَم حياته لهم طوعًا». والاستعداد للتضحية هو وحده سبب النصر، وختم خطابه بشهادة أن «لا إله إلا الله!»[٣٧].

أحكَمت وزارة الخارجية سيطرتها على الحفل تمامًا[٣٨]؛ إذ أجاز ريبّنتروپ الخطاب شخصيًا، وأُذيع الحفل في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، ولفتَ الحفل أيضًا انتباه الكثيرين في ألمانيا؛ فصدَّرت **جريدة الحزب النازي** صفحتها الأولى بعنوان: «يمكن لهذه الحرب أن تحرِّر الإسلام!»، ونشرت تقريرًا بطول الصفحة عن احتفال عيد الأضحى، والمُثل العليا للتضحية بالنَّفس في الإسلام، والخطاب، وافتتاح المعهد[٣٩]. وكذلك، نشرت **دويتشه ألغماينه تسايتونغ** (*Deutsche Allgemeine Zeitung*) تقريرًا عن «معركة تحرير الإسلام»[٤٠]. ونشرت صحيفة محليَّة في برلين مقالًا بعنوان: «المتحدث باسم أربعمئة مليون مسلم يتَّهِم»، ونشرت أخرى صورًا للحسيني وهو يُلقي «خطبته الاتِّهامية ضد مضطهِدي الإسلام»[٤١].

وفي الواقع، كان المعهد قد تأسس بالفعل عام ١٩٢٧ باسم المعهد الإسلامي (*Islam-Institut*) على يد نشطاء من مسلمي برلين[٤٢]. لقد نمَت الأقلية المسلمة في العاصمة في أثناء حقبة ما بين الحربين حول المسجد في حي ڤيلمرسدورف (Wilmersdorf) ببرلين الذي افتُتِح في عام ١٩٢٨، وحول منظمات أخرى متنوعة كالمعهد الإسلامي[٤٣]. وبعد سنواتٍ من الخمول، حاول بعض المسلمين تحت قيادة الصحفي السوداني الأزهري كمال الدين جلال إعادة فتح المعهد في سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٤١، وقد دعمت وزارة الخارجية مساعيهم؛ فأُعيد تأسيس المعهد

في صيف عام ١٩٤٢. وقد خضع المعهد لإدارة النظام، وإن أداره بعض مسلمي برلين من الناحية الرسمية. وكان حفل الافتتاح المنظَّم تحت رعاية وزارة الخارجية حدثًا سياسيًّا محضًا، وجلَّى بوضوح درجة حضور الدولة الألمانية. وكان ڤيلهلم ميلشرز وكورت پروفه القوة الدَّافعة وراء هذا الأمر في وزارة الخارجية(٤٤). وكذلك كانت وزارة الخارجية مسئولة عن الشئون المالية للمعهد(٤٥). وكان المسلمون القائمون على المعهد مقرَّبين -إلى حدٍّ كبير- من وزارة الخارجية؛ فإلى جانب الأمين العام [كمال الدين] جلال، كان رئيسه عبد الحليم النجَّار (ثم حسن أبو السعود) ومديره محمَّد الصَّفتي يعملان لحساب خدمة الدعاية الإذاعية في وزارة الخارجية. وللتأكيد على الطبيعة الإسلامية للمعهد، ضمَّت وزارة الخارجية سوريين وفلسطينيين وأتراكًا وأفغانًا لمجلس إدارته(٤٦). وكان مقره في منزل تابع لوحدات الحماية النازية في شارع كلوپشتوك (Klopstockstraße) في حي سيلندورف (Zehlendorf) الرَّاقي(٤٧). ومع افتتاح المعهد الإسلامي المركزي، كانت وحدات الحماية، وأفرع أخرى من النظام، قد بدأت تولي الإسلام اهتمامها بالفعل.

الوزارات الأخرى وتوسُّع سياسة ألمانيا تجاه الإسلام

مع تطور مجريات الحرب، انتقلت القوات الألمانية إلى أراض إسلامية في البلقان والاتحاد السوڤييتي والقِرم والقوقاز، فبدأت أفرعٌ أخرى من النظام بمتابعة هذه السياسات والاستفادة من البنى القائمة بالفعل.

وكان نفوذ وزارة الخارجية، التي هُمِّشت منذ بدء الحرب، في الأجزاء الإسلامية من الأقاليم الشرقية وفي البلقان، نفوذًا ضعيفًا، غير أن اليد الطولى ظلت لها في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، وستستمر في سياساتها ودعايتها هناك حتى نهاية الحرب. وقد حدَّدت وزارة الخارجية مسار العمل من خلال تفاعلها المبكر مع الإسلام، ووضعت هيكلًا للسياسات تضمَّن استغلال الرموز الدينية والسياسية الإسلامية، كالحسيني وإدريس.

وقد أخفقت محاولات وزارة الخارجية في الحفاظ على بعض النفوذ في الأقاليم الشرقية؛ إذ كانت «لجنة روسيا» في الوزارة، تحت إشراف فريدريش ڤيرنر غراف فون در شويلنبرغ (Friedrich-Werner Graf von der Schulenburg)، غير ذات صلة بالأمر إلى حدٍّ كبير[٤٨]. وكان القائم على اللجنة المسئولة عن الأراضي الإسلامية في الاتحاد السوڤييتي هو ڤيرنر أوتُّو فون هينتغ، ويساعده عالم چان إدريس[٤٩]. وبعد معالجة مختلف القضايا المرتبطة بالشرق الأوسط في أثناء سنوات الحرب الأولى، وجد هينتغ نفسه مسئولًا عن شئون المسلمين التُّرك في الاتحاد السوڤييتي، وعمِل في الفترة ما بين خريف عام ١٩٤١ وصيف عام ١٩٤٢ ممثلًا لوزارة الخارجية في القِرم. دعا هينتغ إلى تشكيل كتلة إسلامية مناهِضة لموسكو؛ ففي نهاية عام ١٩٤١ كان قد أعدَّ خُطَّة مفصَّلة لتعبئة مسلمي الاتحاد السوڤييتي سياسيًّا، واقترح نشر البروباغندا من خلال الإذاعة والمنشورات والبعثات[٥٠]، ولقناعته بقوة التضامن الإسلامي، شدَّد هينتغ مرارًا على ما تنطوي عليه السياسات الموجَّهة لمسلمي الأقاليم الشرقية من «أثرٍ متفشٍّ» على بقية العالم الإسلامي، وربط النقاشات المتعلقة بمسلمي الاتحاد السوڤييتي بسياسات ألمانيا العامة تجاه الإسلام[٥١]. وكتب في مذكِّرة في أوائل عام ١٩٤٢: «إن التعاطي معهم لا يمكن فصله عن التعاطي مع بقية الشعوب المحمَّدية»، وهي الشعوب التي وضعت لها ألمانيا «شعارات» واضحة[٥٢]. لكن في المجمَل، كان نفوذ هينتغ ورفاقه في وزارة الخارجية على السياسات في الجبهة الشرقية محدودًا للغاية. وكذلك كانت مشروعاتُ السياسات العامة المتعلقة بالخُطَّة المستقبلية عن النظام الجديد في الشرق، والتي نوقشت في وزارة الخارجية، غير ذات صلة؛ إذ كانت بعض الدوائر التابعة لشويلنبرغ تؤيد استقلال القِرم، وكانت مجموعةٌ من الدول المصطنعة في القوقاز ستؤسَّس، وستقيم معها وزارة الخارجية العلاقات، بل إن شويلنبرغ قام على تنظيم مؤتمر باهظ الكُلفة لأكثر من أربعين سياسيًّا منفيًّا من القوقاز في فندق آدلون (Adlon Hotel) للتباحث حول إدارة المنطقة بعد الحرب. وكان المسئولون في وزارة الأراضي الشرقية المحتلَّة، برئاسة ألفريد روزنبرغ (Alfred Rosenberg)، ينظرون إلى نشاط وزارة الخارجية في هذه المسائل

بعين الريبة، وفي النهاية، استصدر روزنبرغ قرارًا رسميًّا من هتلر يقضي بعدم اختصاص وزارة الخارجية بالأقاليم السوڤييتية المحتلَّة(٥٣).

لكن وزارة روزنبرغ أيضًا لم يكن لها كبيرُ نفوذ في الأجزاء الإسلامية من مناطق الحرب الشرقية في القِرم والقوقاز(٥٤)؛ إذ كانت هناك فصائل متنوعة، داخل الوزارة نفسها، يحمل كلٌّ منها رؤية مختلفة حول دور هذه المناطق في الخُطَّة المستقبلية للنظام الجديد. لقد توخَّت الخُطط الأولية ألمَنة (Germanization) القِرم بكاملها، وتأسيس مفوضية للرايخ في القوقاز. ومع تردِّي أوضاع الحرب، سعى فصيلٌ آخر لاستجلاب دعم الأقليات العِرقية غير الروسية لتحطيم الاتحاد السوڤييتي. وكان تتر القِرم والشعوب القوقازية من بين هذه الأقليات، على الرغم من أن روزنبرغ كان يفضِّل كتلةً قوقازية تحت قيادة جورجية بدلًا من الهيمنة الإسلامية؛ ولذلك، جمعت وزارة الشرق بعض المهاجرين السوڤييت من غير الروس، وشكَّلت لجانًا قومية. وكان غِرهرد فون منده هو القوة الدافعة وراء هذه السياسات، بعد أن تخلَّى عن حياته الأكاديمية في صيف عام ١٩٤١ ليعمل في القسم السياسي بوزارة روزنبرغ، حيث كان القوقاز مسئوليته الأساسية. كان منده قلقًا من أن الأفكار التي تنادي بوحدات سياسية أوسع، وأهمها الجامعة الطورانية والجامعة الإسلامية، تناقض إستراتيجية تفكيك الاتحاد السوڤييتي إلى وحدات أصغر يمكن السيطرة عليها، وأنذر بوجوب السيطرة على التضامن الإسلامي وضبطه. وشرح منده لأحد المؤرِّخين بعد الحرب أن «العالم الإسلامي كلٌّ واحد، ولذلك يجب ألَّا تضر السياسة الألمانية الموجَّهة للمسلمين في الشرق بموقف ألمانيا لدى الشعوب الإسلامية كافَّة»(٥٥). لكن بعض الفصائل الأخرى في الوزارة كانت أكثر تصالحًا مع استخدام الإسلام، فقد شُدِّد في مذكِّرة للقسم السياسي، في خريف عام ١٩٤١، على دَور الإسلام في الحرب، وأُكِّد على أن الدعاية للرايخ الثالث بوصفه «حامي حمى الإسلام» يَعِدُ بـ «نجاحات سياسية عظيمة»(٥٦). لكن في النهاية، لم تصدر عن وزارة الشرق سياسة خاصة تجاه الإسلام، فقد كان الإسلام جزءًا من مشروعات السياسة الدينية العامة في الوزارة،

والتي تعاملت مع الدين بوصفه جانبًا من جوانب الثقافة القومية، ودعمته في إطار سياسة شقِّ الصف القومي. ومَثَلُها مَثَل خُطط وزارة الخارجية، افتقرت هذه المشروعات إلى أية أهمية في الأجزاء الإسلامية من الأقاليم الشرقية، باستثناء مفوضية الرايخ للأراضي الشرقية (the Reich Commissariat Ostland) في منطقة البلطيق وأقليتها التترية (انظر القسم الثاني). وظلت القِرم والقوقاز طيلة فترة احتلالهما خاضعتين لإدارة عسكرية.

كانت القوات المسلَّحة هي المَنوطة بإدارة السياسات الألمانية في مناطق الحرب الإسلامية الشرقية في القِرم والقوقاز(٥٧)، وقد انخرط الجيش في سياسات دينية أساسية تجاه مسلمي هذه المناطق؛ ففي نوفمبر/ تشرين الثاني من عام ١٩٤١، وبعد خمسة أشهر من غزو الاتحاد السوفييتي، صدر عن القوات المسلَّحة تقريرٌ بعنوان: «انتشار الإسلام بين أسرى الحرب» لتقييم مستوى تديُّن أسرى الحرب المسلمين الذين كانوا يقاتلون في صفوف الجيش الأحمر، وذلك للكشف عن دور الإسلام في الاتحاد السوفييتي بشكل عام(٥٨)، وعلى الرغم من إشارة التقرير إلى أن سياسات موسكو قد استطاعت سلب بعض المسلمين دينَهم، إلَّا أنه شدَّد على أنه من المتوقع أن العاطفة الدينية ظلَّت بالقوة نفسها في المناطق الريفية الإسلامية، وأشار إلى «الحَميَّة الدينية القائمة عادةً عند المحمَّديين»، وأوضح أن الإسلام هو جناح السوفييت الضعيف، «ولذلك، فإن مهمة الرايخ هي دعم كل جهد يعزِّز الإسلام»، وأن سياسةً كتلك ستُظهِر ألمانيا بوصفها «نصيرة الإسلام»(٥٩). وإجمالًا، ستنطوي أيَّة عملية «إحياء إسلامي» على آثار سياسية إيجابية. وشدَّد تقييمٌ مماثل، صدر في مايو/ أيار من عام ١٩٤٢ عن إدارة الاستخبارات الحربية في القوات المسلَّحة في مذكِّرة بعنوان: «الاتحاد السوفييتي والإسلام»(٦٠)، على أن «البروباغندا الشيوعية في روسيا السوفييتية لم تتمكن من إضعاف الإسلام»، وأن الشعور الديني الإسلامي (والقومية القبَلية) يجب «استغلالهما». قدَّمت الورقة تقييمًا مفصَّلًا للسياسات السوفييتية تجاه الإسلام داخل الأراضي الإسلامية السوفييتية وخارجها منذ ثورة أكتوبر/ تشرين الأول [١٩١٧]، وقد أثبت المسلمون أنهم عقبة كؤود أمام الشيوعية؛

لأن «الدين المحمَّدي على النَّقيض تمامًا من الرؤية الفلسفية البلشفية» وعقيدتها الإلحادية(٦١). وطيلة عام ١٩٤٢، وفي خضم كفاح الجيش لإحكام قبضته على القِرم وتقدُّم القوات الألمانية إلى داخل القوقاز، أصبحت فكرة توظيف الإسلام ضد موسكو أكثر شيوعًا بين ضبَّاط القوات المسلَّحة، وبالفعل، انخرطت السُّلطات العسكرية، في مناطق الحرب الإسلامية في القوقاز والقِرم، في سياسة أساسية لمنح الامتيازات الدينية والپروپاغندا الدينية، بهدف الحصول على متعاونين محليين وإحلال السِّلم في هذه المناطق، وعلى طول التُّخوم الإسلامية في جنوب الاتحاد السوڤييتي، بدأت السُّلطات العسكرية الألمانية في الدعاية للرايخ الثالث بوصفه محرِّر المؤمنين من قبضة البلاشفة (انظر القسم الثاني).

فضلًا عن ذلك، شرعت القوات المسلَّحة في تجنيد آلافٍ من أسرى الحرب المسلمين في إطار ما سمَّته الفيالق الشرقية (*Ostlegionen*)، وبعد موافقة هتلر، شُكِّلت هذه الوحدات تحت إشراف المحارب الساكسوني المخضرم رالف فون هايغندورف (Ralph von Heygendorff) وأوسكار ريتر فون نيدَرماير؛ غريم هينتغ القديم منذ حملة الجهاد في أثناء الحرب العالمية الأولى(٦٢). في البداية، كان نيدَرماير ملحقًا عسكريًا بالسفارة الألمانية في موسكو، في أثناء فترة ما بين الحربين، ثم درَّس بدرجة أستاذ دراسات الحرب في برلين وأصبح خبيرًا سياسيًا بارزًا في الاتحاد السوڤييتي والإسلام والجيوپوليتيك، وأخيرًا عاد مرةً أخرى إلى القوات المسلَّحة في عام ١٩٤١. ونظرًا لخبرته، بدا أن نيدَرماير أنسب من يتعامل مع المجنَّدين المسلمين من الاتحاد السوڤييتي(٦٣). وكانت القوات المسلَّحة تستغل عالم چان إدريس بشكل منتظم، وكان ما يزال يعمل ساعتها في خدمة وزارة الخارجية، في حين كان مسئولوها أقلَّ اهتمامًا بالمفتي(٦٤). وفي بعض الحالات، تعاونت قيادة الجيش مع وزارة الشرق، خاصةً في تجنيد أسرى الحرب والپروپاغندا في الوحدات. قُدِّمت الرعاية الدينية، وانطلقت حملة پروپاغندا دينية للتأثير في المجنَّدين المسلمين سياسيًا. وكذلك أسَّست القوات المسلَّحة مشروعًا إسلاميًا آخر في ألمانيا، تمثَّل في عقد دورات للأئمة في جامعة غوتنغن (University of Göttingen) لتدريس ملالي الجيش (انظر القسم الثالث).

وأخيرًا، بدأت وحدات الحماية النازية في الاهتمام بالشئون الإسلامية منذ أوائل عـام ١٩٤٣، وبدأت مشـاركتها في السياسـات الإسـلامية في البلقـان، حيث أصبح الألمـان أكثـر تورطًـا هناك منـذ أوائل عـام ١٩٤٣ فصاعدًا، ثم توسـعت المشـاركة لتشـمل مسلمي الاتحاد السـوفييتي. لكن في النهاية، أضحت وحدات الحماية أكثر أجهزة الدولة استغلالًا للإسلام في خدمة الجهود الحربية؛ فقد كان العديد من قادة الجهاز البارزين على قناعة بأن استغلال الإسلام ينطوي على العديد من المنافع[٦٥]، وذلـك بحسـب تصورهـم عـن الطبيعـة القتاليـة للإسـلام، وكان أهـم هـؤلاء القادة هاينريش هملر (Heinrich Himmler)، وإرنسـت كالتنبرونر (Ernst Kaltenbrunner) رئيـس مكتب أمـن الرايخ الرئيسـي (*Reichssicherheitshauptamt*)، وڤالتر شـلنبرغ (Walter Schellenberg) مديـر جهـاز الاسـتخبارات الخارجيـة التابع لـه، والجنرال الشڤابي (Swabian)[أ] المتعجرف غوتلوب برغر (Gottlob Berger) الذي كان مديرًا لمكتـب الوحـدات الرئيسـي (*SS-Hauptamt*)، وهـو المكتب المسـئول عـن تجنيد وحـدات الحمايـة ڤافـن - إس إس (Waffen-SS) وتنظيمهـا. وقـد أدت مشـاركة وحـدات الحمايـة النازيـة إلـى حـدوث احتـكاكات متعددة مـع الأجهـزة الأخرى، كـوزارة الخارجيـة فـي البلقـان، أو وزارة الشـرق والقـوات المسـلَّحة فـي المناطق الشرقية.

اتبعت وحدات الحماية في البلقان سياسـة دعم جذرية للمسلمين، وشنَّت حملة بروپاغنـدا إسـلامية قاومتهـا وزارة الخارجيـة (انظر القسـم الثانـي)[٦٦]، وفي الوقت نفسـه، بدأ مكتب برغر الرئيسـي في تشـكيل وحـدات حماية إسـلامية بمجنَّدين من البوسنة والهرسك وألبانيا، كان لها طابع ديني متفرِّد (انظر القسم الثالث).

ومنـذ أواخـر عام ١٩٤٣ فصاعدًا، بدأت وحدات الحماية في توسـيع نطاق هذه السياسة لتشمل مسلمي الاتحاد السوفييتي[٦٧]. وسعى المكتب الرئيسي ساعتها إلى اسـتغلال الإسـلام والأيديولوجيا الطورانية في تثوير رعايا سـتالين المسـلمين ضد

(أ) نسبة إلى منطقة شڤابيا (schwaben)، وهي منطقة تاريخية ولغوية ألمانية يقع الجزء الأكبر منها اليوم في ولاية بادن-ڤرتمبيرغ (Baden-Württemberg). (المترجم)

موسكو. وكانت وحدات الحماية الشرقية الإسلامية الجديدة حجر الزاوية في هذه الحملة. كان المسئول عن تنفيذ هذه السياسة ضابط وحدات الحماية برتبة نقيب (*SS- Hauptsturmführer*) راينر أولتسا (Reiner Olzscha) من «القسم التطوعي» العام لوحدات الحماية الذي كان يرأسه العقيد في وحدات الحماية (*SS-Standartenführer*) إريش شپارمان (Erich Spaarmann) بمكتب وحدات الحماية الرئيسي(٦٨). كان أولتسا رجلًا عمليًا محترفًا في أوائل الثلاثينيات من عمره، وكان أحد خبراء النظام الصاعدين في آسيا الوسطى، ورئيسًا لفريق بحثي عن تركستان في وحدات الحماية (*Arbeitsgemeinschaft Turkestan*)(٦٩). قدَّم أولتسا أوسع مقاربة لهذه الخُطَّة الشاملة لتعبئة مسلمي الاتحاد السوفييتي في مذكِّرة بتاريخ الرابع والعشرين من إبريل/ نيسان لعام ١٩٤٤(٧٠)، ذكر فيها أن ضرورة مشاركة وحدات الحماية النازية نشأت عن افتقار وزارتَي الشرق والخارجية للحِرفية والكفاءة في استغلال أقليات موسكو غير الروسية؛ فبدلًا من تقسيم الجماعات التركية كما فعلت القوات المسلَّحة في فيالقها الشرقية، يجب أن يجمَع مسلمو الاتحاد السوفييتي، «أقوى أقلية غير سلافية وغير مسيحية»، في كتلة واحدة صلبة يمكن توجيهها ضد موسكو. وكما عبَّر أولتسا: فإن الإسلام، بـ «طبيعته المعادية للروس والمسيحيين»، هو أنسب قوة يمكنها تقويض دولة ستالين. وعلى الرغم من أن القمع السوفييتي قد أوهن الحَميَّة الدينية، إلَّا أن الإسلام له دور مهمٌّ يجب أن يضطلع به في الإستراتيجيات السياسية الألمانية على الجبهة الشرقية. ودعا أولتسا في الواقع إلى «توثيق عُرى الإسلام» بين مسلمي الاتحاد السوفييتي من أجل «خلق فتيل مفجِّر آخر لتفكيك العدو السوفييتي». لكن على الرغم من أن «فكرة الوحدة الإسلامية» لا تتسم هناك بحيوية تماثل حيويتها في العالم العربي، إلَّا أنه يجب «إحياؤها» بحرص. وأكَّد أولتسا على هذه الأفكار مرة أخرى بعد شهر واحد في تقرير جديد، حثَّ فيه كذلك على استغلال «ما يقرب من ثلاثين مليون محمَّدي تركي» في الاتحاد السوفييتي(٧١)، وأنه يجب كذلك دعم «الإيمان المشترك» لجنود وحدات الحماية الشرقية الإسلامية دعمًا قويًا. وأعلن أن إحياء الإسلام يعني تعضيد القوى المناهِضة للبلشفية(٧٢). وعلى الأرض، شرعت وحدات الحماية في

توظيف التشكيلات الشرقية المسلمة، وزوّدت جنودها برعاية دينية خاصة، وتلقين سياسي مشحون دينيًا، وفي عام ١٩٤٤ افتتحت مدرسة للملالي في درسدن (Dresden) لتدريس الأئمة الميدانيين، وانتُدب عالم چان إدريس لإدارتها (انظر القسم الثالث). ولدعم هذه السياسة، وظَّفت وحدات الحماية أيضًا خبراءَ بالإسلام في الاتحاد السوڤييتي، كان من أبرزهم يوهانس بينسنغ. كان أولتسا على وعي بأن خُطَّة التعبئة الإسلامية هذه لها سابقاتها في سياسات ألمانيا الإمبراطورية، وذكَّر من حقَّق معه بعد الحرب أنه كان ثمَّة أحكام خاصة ومسجدٌ لأسرى الحرب المسلمين في الحرب العالمية الأولى، وهو ما تكرَّر في الحرب العالمية الثانية(٧٣).

لاحقًا، حاولت وحدات الحماية، قرب نهاية الحرب، توسيع نطاق تعبئة مسلمي البلقان والمسلمين الشرقيين في حملة تعبئة إسلامية جامعة تستهدف المسلمين في جميع أنحاء العالم. وقد ذكر ميلشرز في تحقيقات نورمبرغ (Nuremberg) أن سياسة وحدات الحماية كانت تتحرك تدريجيًا «في اتجاه تعبئة كل محمَّدي ممكن وتسليحه»(٧٤). وقد شرح أولتسا بعد ذلك أنه «في ذلك الوقت، كان مكتب الوحدات الرئيسي يتلاعب بقوة بفكرة الوحدة الإسلامية»(٧٥)؛ فقد جنَّد المكتب الرئيسي مسلمي البلطيق، ووضع خططًا لبناء فيلق عربي وجيش إسلامي هندي، وفكَّر في تجنيد مسلمي بلغاريا، بل بدأ في فرز أسرى الحرب المسلمين من شرق إفريقيا. وأمست مذكرات المكتب الرئيسي الآن تحمل عناوين من قبيل: «تعبئة الإسلام»(٧٦). كانت جميع هذه التشكيلات، وبشكل أعم جميع الشئون السياسية المتعلقة بالمناطق الإسلامية من شمال إفريقيا وحتى تركستان والهند، تحت رعاية قسم في مكتب الوحدات الرئيسي، يديره أولتسا(٧٧)، وقد احتوى القسم على «مكتب إسلامي» يستهدف التأكد من تناسق السياسات التي تستهدف الجماعات المسلمة، ورغم أن القسم أُعيد تنظيمه أكثر من مرة في أثناء عام ١٩٤٤، لم ينشَط للعمل أبدًا (انظر القسم الثالث)(٧٨).

ويمكننا إيضاح السيطرة المتزايدة لوحدات الحماية على الشئون الإسلامية من خلال عرض حالة المفتي الذي تصاعد استخدام الوحدات له تدريجيًا، في حين

كانت أهميته تتضاءل من منظور وزارة الخارجية. في أوائل عام ١٩٤٣، انتقل الإشراف على المفتي من إيتل إلى پروفه وميلشرز، ثم إلى هينتغ الذي لم يكن متحمسًا له. وفي أثناء التحقيق معه في نورمبرغ، أكد ميلشرز على علاقته السيئة بالمفتي[٧٩]، وذكر أن ريبِّنتروپ فقد اهتمامه به تدريجيًا، بل إن المفتي، بعد انشغاله المتزايد مع وحدات الحماية، لم يعد يُعلِم وزارة الخارجية بأنشطته، وقد قدَّم نفسه للوحدات النازية، التي كان اهتمامها منصبًا أكثر على البلقان والاتحاد السوڤييتي، بصفته زعيمًا إسلاميًا.

لم يكن الانخراط الألماني في الإسلام، في أثناء الحرب العالمية الثانية، انخراطًا مخطَّطًا له، فقد تطور في غضون الحرب وتوسَّع تدريجيًا ليشمل مناطق حرب جديدة وأطرافًا أخرى من النظام. وقد اعتمدت هذه السياسة -إلى حدٍّ ما- على التقاليد السياسية والإستراتيجية للانخراط الألماني السابق في الإسلام، وخاصةً في أثناء الحرب العالمية الأولى. وإن نحن أمعنَّا النظر فسيتكشَّف لنا نمط متكرر على مستوى الشخصيات والأفكار؛ إذ انخرط عدد ملحوظ من الضباط الذين شاركوا في حملة ألمانيا لتعبئة المسلمين في الحرب العالمية الأولى في الأمر مجددًا، وأبرز مثال على ذلك هو الجدُّ أوپِّنهايم. وفي وزارة الخارجية، شارك العديد من المحاربين القدامى، مثل: فريتز غروبًا وكورت پروفه وڤيرنر أوتو فون هينتغ في الشئون الإسلامية مرةً أخرى، وظل بعضهم على صلة وثيقة بمعلِّمهم السابق أوپِّنهايم، وكان أبرز هؤلاء هينتغ وپروفه[٨٠]. وفي شهادة قدَّمها بعد الحرب، كتب أوپِّنهايم أن إدارة الشرق في وزارة الخارجية استشارته أكثر من مرة، وأكَّد على أنه حافظ على «أفضل علاقات ممكنة» مع تابعيه القدامى بل حتى مع ميلشرز[٨١]. وقد وظَّفت القوات المسلَّحة أوسكار ريتر فون نيدرماير، أما عالم چان إدريس، الذي كان يعبئ المؤمنين في معسكرَي ڤنسدورف وتسوسِن في أثناء الحرب العالمية الأولى، فقد عمل لحساب وزارة الخارجية، ثم القوات المسلَّحة، ووحدات الحماية النازية.

بطبيعة الحال، يبدو أن إبراز الكيفية التي اعتمد بها المسئولون النازيون على مخزون من أفكار وسياسات تشكَّلت منذ العهد الإمبراطوري؛ مسألة معقدة[٨٢]، ومع

هـذا يمكننـا تقديـم بعض الملحوظـات العامة. لقد غلـب على المسـئولين والخبراء الألمان، منذ العهد الإمبراطوري، تصورٌ مفاده أن الإسـلام أداة سياسـية، وترسَّخت لديهم فكرة عن الإسلام مفادها أنه شيء لا يقتصر استخدامه على السيطرة الاجتماعية والسياسـية فـي المسـتعمَرات، بل يمكن اسـتخدامه كذلـك في التعبئة النشـطة، وهو التصور الذي ألهم السياسـات الألمانية في أثناء الحرب العالمية الأولى، ولم تختفِ فكرة الإسلام بوصفه قوةً سياسية بعد عام ١٩١٨؛ ففي حقبة ما بين الحربين، وخاصةً في أثناء الثلاثينيات، ناقش العديد من الخبراء سياسـات الإسـلام، وأشاروا إلى أنه ما زال قـوةً بـارزة في الشئون العالميـة وجناحًـا ضعيفًا فـي الإمبراطوريـات البريطانية والفرنسـية والسـوڤييتية، وذلك على الرغم من فشـل حملة التعبئة الإسـلامية في عام ١٩١٤. ولم يقتصر الاضطلاع بهذا الدور على مفكِّري الجيوپوليتيك لدى هاوسهوفر، بل امتد ليشمل خبراء دراسات إقليمية، مثل: غِرهرد فون منده ويوهانس بينسنغ.

لقد كانت إحدى مميزات استغلال الإسلام، بدلًا من الشعارات العِرقية والقومية، أن برلين سـتتجنَّب تشـجيع إعلانات الاسـتقلال القومي، وكانت السُّلطات الألمانية تسـعى لتجنـب مسـائل الاسـتقلال القومـي، وذلك لقلقهـا من حـدوث تضارب مع المصالح الإيطالية والإسبانية ثم مصالح الڤيشي (Vichy) بعد ذلك في شمال إفريقيا والشـرق الأوسـط، والسـيادة الكرواتية في البوسـنة والهرسـك، وحرصًـا منها على تجنب منح وعود بوضع سياسـي مسـتقبلي للأقليات القومية في الاتحاد السوڤييتي. علاوةً على ذلك، بدا أن الدين أداةٌ سياسـية ودعائية مفيدة في التعامل مع الشـعوب غيـر المتجانسـة عِرقيًّـا ولغويًّـا واجتماعيًّـا؛ إذ كان تنظيم سياسـة وپروپاغندا موحَّدة أيسـر في حالة «المسـلمين» من تنظيمها في حالة الجماعات العِرقية والقومية بشكل مسـتقل، كتنظيم حملات مسـتقلة للبربر والعرب في شـمال إفريقيا، وللأقليات غير المسـلمة في القوقاز والقِرم وآسـيا الوسـطى، ولشـعوب البوسنة والهرسـك وألبانيا والبلقان، وهلم جرًّا. وأخيرًا، وفي سـياق العلاقة الحرجة بين النظرية العِرقية النازية والشـعوب غيـر الأوروبيـة، مكَّـن اسـتخدامُ الديـن الألمانَ مـن تجنـب التصنيفات العِرقية.

معضلة الأيديولوجيا

لم تكن الأيديولوجيا هي الدافع وراء الدعوة للتحالف مع العالم الإسلامي، بل كان الدافع الأول والأخير هو المصالح المادية والإستراتيجية. لكن إرادة التعاطي العملي البراغماتي مع المسألة العِرقية وعدم وجود توجهات مُعادية للإسلام لدى قادة النظام، هو ما جعل من هذه الدعوة للتحالف أمرًا ممكنًا. فرغم كل شيء، كان الرايخ الثالث دولة أيديولوجية وكانت الحرب العالمية الثانية حربًا أيديولوجية (*Weltanschauungskrieg*). لقد كان للأيديولوجيا أهميتها.

لكن العقبة الأوضح أمام سياسة النظام تجاه العالم الإسلامي كانت عنصريته؛ إذ كان كان هتلر قد افترض بالفعل في كتابه **كفاحي** الانحطاط العِرقي للشعوب غير الأوروبية، وخاصةً العرب والهنود، وسَخِر، في معرِض مدحه للهيمنة الإمپريالية الأوروبية، من الحركات المناهِضة للإمپريالية، ملقِّبًا إياها: **ائتلاف العُرج** (*Koalition von Krüppeln*)، الذين يستحيل أن يكونوا حلفاءَ للشعب الألماني؛ نظرًا لـ «انحطاطهم عِرقيًّا»[٨٣]. ورحب مُنظِّر هتلر الأساسي، ألفريد روزنبرغ، في كتابه (*Der Mythus des 20. Jahrhunderts* [بالعربية: **خُرافة القرن العشرين**]، ترحيبًا حارًّا بإخضاع العالم الإسلامي للحكم الإمپريالي الأوروبي[٨٤]. لكن بعد فترة وجيزة من الاستيلاء على السُّلطة، أبدى المسئولون الألمان نزوعًا أوسع نحو البراغماتية.

ولأسباب دپلوماسية، حاولت برلين من البداية تجنب أي تمييز عِرقي واضح تجاه الجماعات غير اليهودية في الشرق الأوسط، وفي الواقع، استُثني الأتراك والإيرانيون والعرب من القيود العِرقية النازية بعد أن أدى تمرير تشريعات نورمبرغ، وهي تشريعات حماية الدم والشرف الألماني وقانون مواطنة الرايخ، في عام ١٩٣٥ إلى توترات دولية مع تركيا وإيران ومصر[٨٥]. وفي أوائل عام ١٩٣٦ حثَّت وزارة الخارجية الألمانية، بعد مطالبات عدَّة من السفارة التركية تتعلَّق بالتمييز القانوني ضد الأتراك والألمان من أصل تركي، على ضرورة اتخاذ قرار محدَّد بشأن التصنيف العِرقي للأتراك[٨٦]؛ وخشية الإضرار بالعلاقات مع تركيا، وافقت وزارات الخارجية

والداخلية والدعاية ومكتب الحزب النازي للسياسة العِرقية (*Rassenpolitisches Amt der NSDAP*) على إرسال رسالة واضحة لأنقرة[٨٧]. فعلى الرغم من أن تشريعات نورمبرغ أشارت إلى «اليهود» وإلى أصحاب «الدم الجرماني أو من ينتسبون إليه»، إلّا أن هذه التصنيفات نُقِّحت عند التطبيق إلى «الأشخاص أصحاب الدم الجرماني ومن ينتسبون إليه»، و«اليهود وغيرهم من الأجانب»، مع حاشية رسمية تحدد أن شعوب أوروبا ونسلهم في العالم غير الأوروبي، الذين حفظوا نقاءهم العِرقي، يمكن عدُّهم ممن «ينتسبون إليه». وفي قرار داخلي، أوضحت السُّلطات الألمانية أن تركيا جزءٌ من أوروبا، لكن لا يمكن لبلدان الشرق الأوسط الأخرى، كمصر وإيران، أن تدَّعي مثل ذلك. وسرعان ما سُرِّبت هذه الإفادة للصحافة الأجنبية وأحدثت عاصفةً دبلوماسية دولية؛ ففي الرابع عشر من يونيو/ حزيران من عام ١٩٣٦، نقلت جريدة **لو تومب** (*Le Temps*) أن برلين قررت استثناء الأتراك من تشريعات نورمبرغ مع عدِّ الإيرانيين والمصريين والعراقيين «غير آريين»[٨٨]، وفي اليوم التالي، صدرت مقالات أخرى شبيهة في جريدة **البورصة المصرية** (*La Bourse égyptienne*)، وفي جريدة **الجمهورية** (*République*) التركية، مثيرةً صخبًا شديدًا بين المسئولين الإيرانيين والمصريين[٨٩]. فأصدرت وزارة الخارجية من فورها بيانًا صحفيًا أعلنت فيه أن هذه التقارير لا أساس لها من الصحة، وأن ذلك وجبَ أن يكون واضحًا منذ البداية وبشكل مباشر؛ لأن تشريعات نورمبرغ لم تُشِر مطلقًا إلى لفظ «آري»[٩٠]. وأُكِّد للسفيرَين المصري والإيراني في برلين، اللذين أصرَّا على أن شعبيهما «ينتسبان» للجرمان؛ على أن تشريعات نورمبرغ تستهدف اليهود فحسب[٩١]. لكن السؤال الدقيق عن مدى «انتساب» العرب والإيرانيين للجرمان ظل مطروحًا، وفي حين اقتصر مطلب السفير المصري في برلين على ضرورة إيضاح أن التشريعات العِرقية الألمانية لا تستهدف المصريين، أصرَّ سفير طهران على بيان محدَّد بأن الإيرانيين معدودون على صلة بالألمان من الناحية العِرقية[٩٢]. على كلِّ حال، كان رضا شاه قد أمر قبل عام بتغيير اسم بلاده، في المعاملات الدولية، من «فارس» إلى «إيران»، و«إيران» اسمٌ مشتق من «آري» (Aryan)، يعني «أرض الآريين»، ولم يُخفِ المسئولون الإيرانيون فيما بينهم اعتقادهم في نَفع هذا الاسم؛ نظرًا لأن «بعض البلدان تفاخِر بانتسابها إلى الآريين»[٩٣].

وقد اجتمع ممثلو الأجهزة الرئيسة في وزارة الخارجية في الأول من يوليو/ تموز من عام ١٩٣٦ لمناقشة هذا الأمر[٩٤]، وقال رئيس مكتب الحزب النازي للسياسة العِرقية ڤالتر غروس (Walter Groß) بشكل واضح إن أي إعلان رسمي يخص العلاقات العِرقية هو أمر مرفوض. لكن اتُّفِق على إبلاغ السفيرين أن التشريعات العِرقية لا تستهدف المواطنين الأجانب (غير الألمان)، وعليه فإن المواطنين المصريين والإيرانيين سيحظَون بالمعاملة نفسها التي يحظى بها الأجانب الأوروبيون (وغير الأوروبيين بالطبع)؛ فزواج الرجال غير الألمان (غير اليهود) من النساء الألمانيات (غير اليهوديات) أمر مقبول، وكذلك زواج النساء غير الألمانيات (غير اليهوديات) من الرجال الألمان (غير اليهود)، بعد فحص عِرقي للنساء؛ أمر مقبول. وحرص الألمان على تجنُّب السؤال الخاص بالمواطنين الألمان من أصل عربي أو إيراني. وقد تقبَّل المصريون الأمر[٩٥]، وبدا أن الإيرانيين راضون أيضًا بعدما أكَّد غروس في لقاء مع السفير الإيراني في برلين أن التشريعات العِرقية الألمانية لا تنطبق على الإيرانيين، رغم أنه تجنَّب أية تصريحات واضحة حول مسألة الانتساب العِرقي [بين الجنسين][٩٦]. وفي العام التالي، أكَّد غروس في ملحوظة داخلية أنه على الرغم من أنه لم تكن لديه نية لقصر-التشريعات العِرقية على اليهود فحسب، إلَّا إن السُّلطات الألمانية يجب أن تتصرف ببراغماتية عندما يتعلَّق الأمر بمصالح السياسة الخارجية[٩٧]. باختصار، أثبت النظام أنه مستعد للتعامل ببراغماتية عندما يتعلَّق الأمر بمسألة السياسات العِرقية والعلاقات مع الأتراك والعرب والإيرانيين.

وفي حين أن استثناء الفرس والأتراك من التمييز العِرقي يمكن تدعيمه بجوانب من النظرية العِرقية، كانت حالة العرب أكثر إشكالية؛ إذ كان أكثر المنظِّرين العِرقيين يعدُّونهم «ساميين»[٩٨]، وكان مسئولو النظام على وعي تامٍّ بأن اللفظ مشكِل؛ إذ كان يحيل إلى جماعات لم يرغبوا في إثارة حنقها؛ ومن ثمَّ وجَّهت وزارة الدعاية، في أوائل عام ١٩٣٥، الصحافةَ بتجنب عبارات «معاداة الساميين» (antisemitisch) و«معاداة السامية» (Antisemitismus)، واستعمال عبارات من قبيل «معاداة اليهود» (antijüdisch)؛ لأن المعركة كانت ضد اليهود فحسب وليس الساميين عامَّة[٩٩].

وعندما أصبح العالم العربي جزءًا من خُطط برلين الإستراتيجية في أثناء الحرب، وأصبح المسئولون الألمان أكثر اهتمامًا بعدم الإساءة إلى الحساسيات العربية، تكاثفت جهود منع استعمال مثل هذه العبارات؛ فعُدِّل اسم مكتب «النشاط المعادي للساميين» في وزارة الدعاية إلى «النشاط المعادي لليهود» في أوائل عام ١٩٤٢[١٠٠]. وفي العام نفسه، كرَّر غوبلز توجيهاته الخاصة للصحافة بتجنب استعمال ألفاظ «السامية» و«معاداة السامية» في دعايتهم[١٠١]. وفي أثناء الحرب ستصدر وزارة الخارجية ومكتب روزنبرغ (*Amt Rosenberg*) ووحدات الحماية توجيهات تعضد هذه القرارات[١٠٢]. وفي النهاية، سيدعم مكتب الحزب النازي للسياسة العِرقية إلغاء هذه التعبيرات؛ ففي خطاب مفتوح وجَّهه ڤالتر غروس لرشيد عالي الكيلاني ونُشر في جريدة (*Weltkampf*) [بالعربية: **المعركة العالمية**] التابعة للحزب النازي أواخر عام ١٩٤٤، أكَّد غروس على أن اليهود «يجب تمييزهم بشكل قاطع» عن شعوب الشرق الأوسط[١٠٣]؛ ولذلك، كان تعبير «معاداة السامية» تعبيرًا خاطئًا، ويجب تعديله إلى «معاداة اليهودية»، وختم قائلًا: «إن النظرية العِرقية الاشتراكية القومية تَعُدُّ العرب أبناءَ عِرق رفيع ذي ماضٍ عريقٍ تليد»[١٠٤]. وكرر أدولف آيشمان (Adolf Eichmann) الأمر نفسه في أثناء محاكمته بالقدس، وقال إن لفظ «معاداة السامية ... غير صحيح» وأنه يجب أن يُعدَّل إلى «معاداة اليهودية»؛ إذ إن تصنيف «الساميين» يشمل العرب أيضًا[١٠٥].

ولمَّا أدى الوضع العسكري المتدهور إلى ضرورة تجنيد مسلمي البلقان والاتحاد السوڤييتي، خُفِّفت القيود العِرقية مرةً أخرى. فعندما دخل الألمان إلى البوسنة والهرسك، في عام ١٩٤٣، أعلنت وحدات الحماية النازية أن مسلمي البلقان جزء من «شعوب أوروبا الراقية عِرقيًا»[١٠٦]، وكانوا هم عمليًا أول من سُمح لهم بالانضمام إلى صفوف وحدات الحماية من غير الجرمان (انظر القسم الثالث). ولقَّب الجنرال إدموند غليس فون هورستناو (Edmund Glaise von Horstenau)، المفوَّضُ العامُّ للقوات المسلَّحة في كرواتيا، مازحًا، هؤلاء الحلفاءَ الجددَ بـ «الجرمان المسلمين» (*Muselgermanen*)[١٠٧].

وقد تبنَّت برلين نهجًا مشابهًا مع الشعوب التركية المسلمة في الاتحاد السوڤييتي التـي اسـتهدفها مسـئولو التجنيـد الألمـان[١٠٨]. وعلـى الرغم مـن أن الأقليـات غير السلاڤية في المناطق الشرقية نُظِر إليها عادةً بوصفها جنسًا أرقى من السلاڤ، إلَّا أن هذه التمييزات لم يكن لها أي أثر تطبيقي، بل كان هؤلاء «الآسيويون» السوڤييت من القوقازيين وشـعوب آسـيا الوسـطى، للمفارقة، هم الهدف الأسـاسـي لحملة النظام الشـهيرة علـى **الأجناس الدنيـا** (*Untermensch*)، أكثر من الـروس أو الأوكران. وقد انطوى لفظ «التتر» على دلالة تحقيرية في البروباغندا القومية الاشـتراكية، وكان في أصلـه تعبيـرًا يجمع التُّرك الشـرقيين، فعدَّل الألمان لغتهم مـرةً أخرى. ففي مارس/ آذار من عام ١٩٤٢ وجَّهت وزارة الشرق بعدم استعمال لفظ «التتر»[١٠٩]، فعُدِل عنه إلى تعبيرات مثل: شـعوب منطقة إيدل-أورال (*Idel-Uraler*) لسـكان منطقة الڤولغا والأورال، وأتـراك القِـرم (*Krimtürken*) والأذَر (*Aserbeidschaner*). وبعـد أشـهر، أمـرت وزارة الدعاية الصحافةَ بتجنُّب الهجوم على هذه الجماعات[١١٠]. بل إن فون هينتغ طرح في مقالة له في **مجلَّة السياسة** أن مصطلح «التتر» ليس مصطلحًا تحقيريًّا، بل يبعث على الشرف[١١١]. وقد بذلت البروباغندا الألمانية الموجَّهة للتُّرك الشرقيين المسـلمين المحاربيـن فـي صفوف جيـوش هتلر جهـدًا حثيثًا لإبداء الاحتـرام. فقد شـرحت إحـدى المقالات المنشـورة في المجـلَّات الميدانية التي كانـت تُوزَّع على المتطوعين في شـمال القوقاز، أن قبائل شـمال القوقاز كافة تمثل وحدةً قومية تنتمي للعِـرق الهندو-جرمانـي (Indo- Germanic)[١١٢]. وشـدَّدت مقالةٌ أخرى، مسـتلهمةً غروس، على أن «نظرية العِرق الجرماني ... لا تستهدف شعبًا آخر» سوى اليهود[١١٣]. إلَّا أنـه وجـب تجنب اختـلاط الأنسـاب بيـن الألمـان والتـرك الشـرقيين لمصلحة الشـعبين. وتلقَّـى المسـئولون الألمان توجيهات بأن يشـرحوا لـ «الشـعوب التركية» أنهـم «أبنـاء عِـرق كريم»، لكـن «مجرى دمائهـم» يختلف عن مجرى دمـاء الألمان، وبالتالـي فـإن اختلاطهمـا سـيكون لـه عواقب سـلبية علـى الجانبيـن[١١٤]. وفي عام ١٩٤٤، وبعد ارتفاع عدد المتطوعين الترك الشرقيين في خدمة الرايخ، صدرت ورقة توجيهـات تأمـر الجنـود الألمـان بالتأكُّـد مـن أن «المتطوعيـن يتعاملـون مع النسـاء الألمانيـات بالاحتـرام والتحفـظ الواجـب»، وذلـك في سـبيل الحفاظ علـى «النقاء

العِرقي»(١١٥). لم تكن السُلطات الألمانية على استعداد للتخلّي عن مبادئها العِرقية، لذا وجب عليها إقامة توازن بين الأيديولوجيا والضرورات العسكرية. لكن، على الأرض، تعرّض المسلمون مرارًا للتمييز العِرقي، ليس فقط التُرك الشرقيون منهم، بل أيضًا مسلمو الشرق الأوسط والبلقان (انظر القسمين الثاني والثالث).

وفي حين كان العِرق عقبةً أمام السياسات الألمانية تجاه المسلمين، كان الأمر مختلفًا في حالة الدين؛ إذ وُصف الإسلام مرارًا، في النظريات العِرقية الأوروبية التقليدية، بأنه دين الساميين (العرب) أو أنه «دينٌ ساميٌّ» أدنى درجة، وهي رؤية دعا لها المستشرق الفرنسي البارز، والمنظِّر العِرقي، إرنست رينان (Ernest Renan) في محاضرته الشهيرة: «الإسلام والعلم»، والتي ألقاها في السوربون (Sorbonne) عام ١٨٨٣(١١٦). إلَّا أن مفهوم الإسلام بوصفه «دينًا ساميًّا» الذي كان ينطوي على نظرة عِرقية للدين، لم يكن له دور أساسي في تفكير المسئولين والمنظِّرين النازيين عن الإسلام، بل في الواقع، ميَّز كثيرٌ منهم، ومن بينهم هتلر، بين العِرق والدين عند الحديث عن الإسلام.

وقد عبَّر بعض أعضاء النخبة النازية عن تعاطفهم مع الإسلام. وربما كان هملر أكثر المنبهرين بالدين الإسلامي والمتحمسين له؛ لِمَا كان يعتقده من تماثل بين الاشتراكية القومية والإسلام(١١٧). فقد أشار إدموند غليس فون هورستناو إلى أنه في فبراير/ شباط من عام ١٩٤٣، وبعد مناقشة أمر الوحدات الإسلامية التابعة لوحدات الحماية في البلقان مع هملر وهتلر في برلين، عبَّر هملر عن ازدرائه للمسيحية، وقال بأنه وجد أن الإسلام «يبعث على الإعجاب للغاية»(١١٨)، وأشار هتلر إشارةً مماثلة. وبعد بضعة أشهر، نقل هورستناو أن هملر ذكر الأمر مرةً أخرى، فقال: «ثم تحدثنا عن المسألة الإسلامية أيضًا، فتحدث، أي هملر، مرةً أخرى عن الطابع البطولي للدين المحمَّدي، في حين عبَّر عن ازدرائه للمسيحية، وخاصة نسختها الكاثوليكية»(١١٩). ونجد أكثر التأملات قربًا من رؤية هملر للإسلام في المذكرات الشهيرة لطبيبه فيلكس كرستن (Felix Kersten)(١٢٠). كتب كرستن في مذكراته فصلًا كاملًا عن «حماسة هملر للإسلام». وقد حُذِف هذا الفصل من الترجمة الإنكليزية

لسبب مجهول[١٢١]. لقد جمع هملر العديد من الكتب عن الإسلام وسيرة النبي [ﷺ]؛ لقناعته أن محمَّدًا [ﷺ] كان من أعظم رجالات التاريخ[١٢٢]. وفي الثاني من ديسمبر/ كانون الأول لعام ١٩٤٢، أخبر هملر كرستن أنه يرغبُ في زيارة البلدان الإسلامية لاستكمال دراساته فور انتهاء الحرب[١٢٣]، وبحسب الطبيب، عدَّ هملر الإسلام دينًا رجوليًّا باسلًا، وقال له في أواخر عام ١٩٤٢:

«لقد عَلِم محمَّدٌ أن أكثر البشر شديدو الجُبن والحماقة، لذا وعدَ كل محارب يقاتل بشجاعة ويموت في المعركة باثنتين من النساء الجميلات (الحور العين) [كذا وردت] ... هذه هي اللغة التي يعيها كلُّ جندي، فالجندي إن آمن بأن جزاءه في الآخرة على هذه الشاكلة، سيكون على أتمِّ استعداد للتضحية بحياته، وسيندفع إلى المعركة راغبًا فيها، ولن يهاب الموت. قد تَعُدُّ ذلك سلوكًا بدائيًّا وتسخر منه ... لكن ثمَّة حكمةً أعمق تكمن خلفه؛ إن الدين يجب أن يلبِّي حاجات الإنسان»[١٢٤].

قارن هملر، الذي نبذ الكاثوليكية في عام ١٩٣٦، بين فكرة الإسلام وفكرة المسيحية، وخاصة الكاثوليكية، وعبَّر عن استيائه من أن المسيحية لم تَعِد قتلى الحرب من الجنود بأي شيء، ولم تكافئهم على الشجاعة: «قارن ذلك يا سيد كرستن بدين المحمَّديين؛ دين جنود الشعب»[١٢٥]. لقد كان الإسلام في نظره دينًا عمليًّا يُرشد المؤمنين به في شئون الحياة اليومية: «انظر فطنة هذا الدين»[١٢٦]. وكذلك سيتحدث القائد العام (*Reichsführer*) هملر مع كرستن عن تفسيره للتاريخ الإسلامي؛ إذ كان يتحسَّر على إخفاق الجيوش التركية المسلمة في غزو أوروبا في القرن السابع عشر، قائلًا:

«دعنا نفترض أن الأتراك، الذين كان بعضُ الأوروبيين يقاتلون في صفوفهم، احتلوا ڤيينا وأوروبا عام ١٦٨٣ بدلًا من إرغامهم على الانسحاب. لو أن المحمَّديين انتصروا ساعتها، وانتشر الإسلام ظافرًا في جميع أنحاء أوروبا؛ لنُزع الطابع السياسي عن الكنائس المسيحية بالكامل ... ولتركَ الأتراك، لسماحتهم الدينية، كل دين قائمًا، شريطة ألَّا ينغمس في السياسة، فإن فعل قُضي عليه»[١٢٧].

أكّد كرستن بعد ذلك أنه «تعلّم شيئًا ... عن المحمّدية» من تعليقات هملر[١٢٨]. وقرب نهاية الحرب، استُدعي كرستن في خريف عام ١٩٤٤ إلى هوخفالد (Hochwald)، مقر هملر الميداني، شرق پروسيا (Prussia). فقد أعلنت فنلندا لتوّها الحرب على ألمانيا، وكان هملر طريح الفراش بسبب تقلصات في المعدة، وعندما دخل كرستن غرفة هملر لحَظ «أنه ما زال في فراشه يتألم بشدة، وكان القرآن على طاولة بجانب السرير»[١٢٩]. ووفقًا لكرستن، عرف هملر القرآن من خلال ردولف هيس (Rudolf Heß)[١٣٠].

ولا غرو أن تعتري هملر الحماسة للإفصاح عن أفكاره حول الإسلام للمفتي الأكبر بشكل خاص[١٣١]. فكتب الحسيني في مذكراته أن معظم نقاشاته مع هملر دارت حول العالم الإسلامي والعربي. وأُعجب الحسيني خاصة بأفكار هملر عن الحروب الدينية الأوروبية:

> «ومن أحاديث هملر الطريفة التي سمعتها في إحدى الزيارات قوله في أثناء بحثه عن تاريخ ألمانيا، إنَّ الحروب الدينية السَّالفة بين الكاثوليك والپروتستانت في القرون الوسطى المظلمة أطاحت بالشعب الجرماني، كحرب المئة عام، وغيرها من الحروب، فقد خفضت عدد الشعب الألماني من خمسة وثلاثين مليونًا، إلى خمسة ملايين ... وإن الشعب الألماني المقاتل الشجاع كان دائمًا أكثر الشعوب الأوروبية تكبُّدًا للخسائر في هذه الحروب، ثم قال: كانت هناك فرصتان لنا ولأوروبا قاطبةً للنجاة من هذه المذابح، ولكنّا أضعناهما؛ أما الأولى فكانت في الزحف العربي من الغرب (من الأندلس)، وأما الثانية كانت الزحف العثماني من الشرق، ومن المؤسف أن الشعب الألماني في كلا الزحفين كان له النصيب الأكبر في صدّهما، وفي حرمان أوروبا من النور الرُّوحي والحضارة الإسلامية الزاهرة»[١٣٢].

لم يُخفِ الحسيني، في سرده لتأملات هملر التاريخية تلك بعد الحرب، إعجابه الشديد بـ «ذكائه ودهائه وسعة اطلاعه»[١٣٣].

وقد شارك غوتلوب برغر، ذراع هملر اليمنى في وحدات الحماية، قائدَه رؤاه عن الإسلام والتاريخ، واعتقد أيضًا بوجود صلة قوية بين الثقافتين الإسلامية

والجرمانية. فقد تحدث إريش فون ديم باخ - تسيلفزكي (Erich von dem Bach-Zelewski)، أحد ضباط وحدات الحماية النازية، أمام محققيه الأمريكيين في نورمبرغ عن أفكار برغر المتعلقة بالإسلام، والتي عبَّر عنها في أثناء الحرب في اجتماع جمعه بهملر والحسيني:

«لقد أطلق برغر نظرية تاريخية جديدة بقوله إن ألمانيا كانت لتصبح أفضل حالًا ولَمَا اندثرت الثقافة الجرمانية القديمة لو لم يُعِن الربُّ الأوروبيين، أي الجرمان، في ڤيينا، وأعان بدلًا منهم المسلمين أو المحمَّديين؛ لأنهم لو انتصروا في ڤيينا، لما تمكَّنت المسيحية اليهودية من الانتشار في جميع أنحاء أوروبا، ولحُزنا ثقافة جرمانية لا ثقافة يهودية»[١٣٤](أ).

لا نعلم ما إن كان برغر قد استقى هذه الأفكار المتعلقة بعام ١٦٨٣ من هملر أو من مصدر آخر، أو أن الموقف هو الموقف نفسه الذي حكاه الحسيني. وأيًّا ما كان الأمر، فإن توجُّه برغر الإيجابي نحو الإسلام تجلَّى في توجيهاته في أثناء إدارته للوحدات الإسلامية (انظر القسم الثالث).

وأخيرًا، أبدى هتلر نفسه انبهاره بالإسلام؛ إذ تحدث في **كفاحي** عن «التقدم» السريع لـ «الدين المحمَّدي» في إفريقيا وآسيا، مقارنةً بـ «النجاح المحدود للغاية» الذي حقَّقته الإرساليات التبشيرية المسيحية هناك[١٣٥]، لكنه أشار رافضًا إلى أن «حربًا مقدسةً» في مصر سيُقضَى عليها بالسلاح البريطاني[١٣٦].

وذكرت إلزه (Ilse)، شقيقة إيڤا براون (Eva Braun)(ب)، بعد الحرب أن هتلر كان يتناقش معها ومع شقيقتها مرارًا عن الدين الإسلامي[١٣٧]. ففي حواره معهما على المائدة، كان يقارِن بين الإسلام والمسيحية ليحُطَّ من قَدْر المسيحية، وخاصةً

(أ) يغلب على الظنِّ أن برغر وهملر وهتلر لم يطلِقوا أيَّة نظرية جديدة؛ إذ تكاد كلماتهم وما عبَّروا عنه من رؤًى بشأن الإسلام تتطابق تطابقًا حَرفيًّا مع آراء الفيلسوف الألماني نيتشه (Nietzsche)، التي سجَّلها في كتابه **نقيض المسيح**، حول الإسلام والحضارة الإسلامية. (المترجم)

(ب) خليلة هتلر، ثم زوجته ليوم واحد، قبل انتحارهما معًا في الثلاثين من إبريل/ نيسان ١٩٤٥. (المترجم)

الكاثوليكيـة. فعلى عكس الإسـلام الذي وصفه بأنه ديـنٌ قوي وعملي، وصف هتلر المسيحية بأنها دينُ معاناة ليِّن وضعيف ومصطنَع[١٣٨]. وقال بأنه في حين أن الإسلام هو دين الآن وهنا، فإن المسيحية هي دين مملكة مستقبلية؛ مملكة قميئة للغاية إذا ما قورنت بالجنَّة الموعودة في الإسلام.

لقـد كان الديـن، عنـد هتلر، وسـيلة عملية لدعم الحيـاة الإنسـانية على الأرض، وليـس غايـةً فـي حـدِّ ذاته. فقـد ذهب فـي أكتوبـر/ تشـرين الأول من عـام ١٩٤١، وبحضور هملر، إلى أن «التعاليم التي تأمر الناس بالاغتسـال وتنهى عن مشـروبات معينة، وتأمرهم بالصيام في أوقات بعينها، وبالرياضة والاستيقاظ مع الفجر والصعود إلـى قمـم المآذن، قـد ابتكرها أنـاسٌ أذكياء»[١٣٩]. وقـال متحمسًـا: «إن الحضَّ على القتـال بشـجاعة هـو أيضًـا أمـر في غنى عـن البيـان. الحَظْ كيـف أن المزلمـان [كذا وردت] يُوعَـدون بجنَّـة تسـكنها الحـور العين، وتجري فيهـا أنهار الخمـر؛ إنها جنَّة أرضيـة حقًّـا». وفي المقابل، لم تَعِد المسـيحيةُ بشـيء مماثل: «وفـي المقابل، يعلن المسـيحيون رضاهم إن سُـمِح لهم بعد الموت بالترنُّم بهاليلويا!»[١٤٠]. وعلَّق تعليقًا شـبيهًا بعد شـهرين قائلًا: «يمكنني تخيل حماسـة الناس لجنَّة محمَّد [كذا وردت]، لكن ليس لجنَّة النصارى المليخة!»[١٤١][أ]. ثم قارن هتلر الإسـلام بالأديان الآسـيوية الأخرى التي كان معجبًا بها، فأعلن في الرابع من إبريل/ نيسان لعام ١٩٤٢ أنه «كما هـي الحال في الإسـلام، لا نجد فـي دين الدولة اليابانى أي نـوع من الإرهاب، فقط وعـدٌ بالسـعادة»[١٤٢]. لكـن في المقابـل، «عولمت» المسـيحيةُ «الإرهـابَ الديني»، والذي نشـأ في تصوُّره عن «العقيدة اليهودية». وبعد بضعة أشـهر، وفي أثناء هجومه المعتـاد علـى الكنيسـة الكاثوليكيـة، التي قال لمستَمعيه إنَّها فُرِضـت على الجرمان بـواسطة «الرجـس اليهـودي والهـراء الكهنوتـي»، عبَّـر عـن غضبه مـن أن الجرمان اجتالتهم المسيحية، «في حين أنه في أماكن أخرى من العالم، نجد تعاليم دينية كتلك التي جاء بها كونفوشيوس وبوذا ومحمَّد تقدِّم -لا ريب- أساسًا عميقًا للمتدينين»[١٤٣]. وفي إنكاره الشـديد على الكنيسـة المسيحية تمسُّـكها بما «ثبتَ كذبُه»، عاد ليتحدث

(أ) المليخة: التي لا مذاق لها. (المترجم)

مرةً أخرى عن الإسلام[١٤٤]، فقال: «لا تستتمُّ معرفتنا بالخالق حين يقدِّم لنا شخصٌ ما تصوُّره عن الإله على أنه نسخة باهتة من الإنسان. وفي ذلك على الأقل، يكون المحمَّدي أكثر تنوُّرًا عندما يقول: إن تصور الإله أمرٌ حُرِّم على الإنسان». وتوسَّع في ذلك الموضوع متأملًا التاريخ الإسلامي؛ فوصَف فترة الحكم الإسلامي لشبه جزيرة آيبيريا [الأندلس] بأنه «أكثر العصور ثقافةً ومعرفةً وسعادةً وأفضلها من جميع النواحي في التاريخ الإسباني ... أما ما تلاه فقد كان عصرًا من الاضطهادات المتواصلة»[١٤٥].

وقد عبَّر هتلر عن هذه الرؤية قبل ذلك؛ إذ ادَّعى ألبرت شپير (Albert Speer) بعد الحرب أن هتلر كان شديد الإعجاب بتأويل تاريخي أخذه عن بعض المسلمين البارزين. قال شپير:

> «لقد أخبره زوَّارُه بأن المحمَّديين عندما حاولوا تجاوز فرنسا إلى أوروبا الوسطى في القرن الثامن، ردَّتهم معركة تور [بلاط الشهداء]. فلو أن العرب انتصروا في هذه المعركة؛ لكان العالم كله اليوم محمَّديًا؛ لأن دين المسلمين يؤمن بنشره بحدِّ السيف وإخضاع الأمم جميعها تحت رايته، ولكانت الشعوب الجرمانية هي وارثة هذا الدين، فهذا الدين يلائم طباع الجرمانيين تمامًا. وقال هتلر إن العرب؛ لكونهم أحطَّ عِرقيًا لم يكونوا ليتحملوا الطقس القاسي وأوضاع البلاد، ولا استطاعوا الإبقاء على حكم الشعوب الأصلية الأقوى منهم؛ ولذلك لم يكن العرب هم من سيقفون على رأس هذه الإمبراطورية المحمَّدية في النهاية، بل الجرمان المسلمون»[١٤٦].

وهنا ميَّز هتلر بين الإسلام و«عِرق» أتباعه، ففي حين عدَّ الإسلام دينًا راقيًا، وصف أتباعه من العرب بأنهم «عِرق» منحط. لكن هتلر لم يَعُدَّ الإسلام دينًا «ساميًا» في ذاته، فاصلًا الدين عن «العِرق». وعلى الرغم من انبهاره بالإسلام بوصفه دينًا، ظل «عِرق» أتباعه مشكلة صامتة لكنها كامنة. ثم اختتم تأمله التاريخي في الغزو الإسلامي لأوروبا بتعليقه: «وكما ترون، من نكد الطَّالع أن وصلَنا الدينُ الخاطئ ... فالدين المحمَّدي ... كان أكثر توافقًا معنا من المسيحية. فلماذا ابتُلينا بالمسيحية بوداعتها وضعفها؟» [١٤٧].

وذكـر معاون هتلر نيكولاس فون بيلـو (Nicolaus von Below) أيضًا في مذكراته كيـف أن هتلـر أُعجِب بالفكرة القائلة بأن انتصار شـارل مارتل (Charles Martel) في عام ٧٣٢م قد أسهم في تفكيك أوروبا، وأن أغا خان الثالث (Aga Khan III)، خرِّيج جامعـة إيتون، والذي كان سـاعتها رئيسًـا لعصبـة الأمم، هو من أقنـع هتلر بفكرة أن «الإسـلام كان يمكنه حفظ وحدة أوروبا» عند زيارته لأوبرسالزبرغ (Obersalzberg) في أكتوبر/ تشـرين الأول من عام ١٩٣٧[١٤٨]. وأشـار بيلو إلى أن «هتلر وجد تأكيدًا لرؤيته الخاصة عن مجرى التاريخ لدى أغا خان، وسـيبدي تعاطفه مع الإسـلام أكثر من مرة». وبعد عامين، ناقش هتلر، في صيف عام ١٩٣٩، الأمر نفسـه مع المبعوث السـعودي خالد آل هود القرقني عندما استقبله في البيركهوف. ونقل ڤيرنر أوتو فون هينتـغ الـذي حضر الاجتماع: «ناقش الاجتماع الأفكار التي أثارها خالد آل هود عن شـكل أوروبا لو لـم يهزم شـارل مارتل السَّراسِـنة [المسـلمين – م]، وبدلًا من ذلك، غرس فيهم الروح الجرمانية، فيحوِّلوا الإسـلام، مدفوعين بالحَركية الجرمانية، على طريقتهـم»، وأضـاف فون هينتـغ أن «الفوهرر وصف هذا النوع مـن التفكير بأنه مهمٌّ للغاية»[١٤٩]. لكن سيظل السؤال قائمًا عما إذا كان آل هود هو من أوحى لهتلر بالفكرة (كما ادعى هينتغ) أم أنه التقطها قبل عامين من أغا خان (كما ذكر بيلو) ثم استدعاها مـرةً أخـرى مع المبعـوث العربي. وأيًّا كان الأمر، فإن هتلـر كان مفتونًا بالكامل بهذا التأمل التاريخي. وكذلك أشار المبعوث الخاص لوزارة الخارجية في البلقان هرمان نيوباخـر (Hermann Neubacher)، فـي سـيرته الذاتيـة، إلـى أن «هتلـر أبـدى تعاطفًا شـديدًا مع الإسـلام»، وأنه كان على قناعة بأنه «لو كان الألمان مسـلمين؛ لكان لهم دور أكبر في التاريخ»[١٥٠]. بل إن هتلر مضى أبعد من ذلك ووصف الإسلام في أحد الحـوارات أنـه «دين الرجـال» (*Männerreligion*). لقد اسـتخدم هملر وهتلر العديد من المفاهيم الجنسانية (Genderd) للتعبير عن الإسلام، كفكرة أنه دين قوي ورجولي وعسـكري. وذكـر هنري پيكـر (Henry Picker)، أحد موظفي مقر الفوهرر الرئيسـي والمسـئول عـن تدويـن أحاديـث المائـدة، أن هتلـر امتدح «سـلوك جنود الإسـلام» مرارًا[١٥١].

لا شك أن معرفتنا بالأفكار المتعلِّقة بالإسلام التي تداولتها النخبة النازية إنما نستقيها غالبًا من مذكرات وشهادات ما بعد الحرب، والتي يجب أن نقرأها بحذر. لكن هذه السرديات ترسم لنا صورة متماسكة عن المفاهيم الأيديولوجية الشائعة عن الإسلام بين أقطاب النظام. كما أن الإعجاب بالإسلام لم يكن مقتصرًا على حوارات داخلية بين النخبة النازية فحسب، بل في الحقيقة، برزت توجهاتٌ مماثلة في عددٍ من الكتب والمقالات الأيديولوجية التي نُشرت في ألمانيا في الثلاثينيات والأربعينيات.

فقد كان الدعائي النازي يوهان فون ليرز (Johann von Leers) من بين أبرز الرموز التي دعت إلى تفسير أيديولوجي للإسلام، ودفع ليرز بفكرة العداء التاريخي بين الإسلام واليهودية؛ إذ زعم في مقال نشره في المجلَّة الدعائية (*Die Judenfrage*) [بالعربية: **المسألة اليهودية**]، أواخر عام ١٩٤٢، أن القرآن وصف اليهود بأنهم شياطين(١٥٢)، وأن العالم الإسلامي كبَت اليهود، في حين سمحت لهم أوروبا بالتحرر. وقال إن الإسلام هو الذي حمى العرب من أن تسيطر عليهم اليهودية، وأن صراع الإسلام مع «المسألة اليهودية» بدأ بالفعل منذ عهد النبي [ﷺ](١٥٣). وأعلن أنه «لا شكَّ في أن من آثار عداء محمَّد [ﷺ] لليهود أن الإسلام شلَّ حركة الجماعة اليهودية الشرقية بالكامل ... ولو أن بقية العالم اتبع النهج نفسه؛ لما واجهتنا مسألة يهودية اليوم»(١٥٤). وأكمل ليرز قائلًا: إن اليهود أصبحوا أشرس المتآمرين على الإسلام نتيجة غضبهم من المعاملة التي تلقَّوها في ديار الإسلام، حتى أنهم كانوا يتحكَّمون في الجدل الديني المسيحي مع المسلمين. «ويمكننا القول -إذن- إن الحروب الصليبية كانت -إلى درجة معقولة- نتيجة التحريض اليهودي». وفي الخاتمة مدح «المشاركة الإسلامية الخالدة» في صدِّ اليهودية، وختم قائلًا: «إن الإسلام مهَّد الطريق أمام العديد من الشعوب نحو ثقافة عليا ومنح أتباعه تربية وهيئة إنسانية ما زالت تجعل من المسلم الجاد في أمر دينه أحد أجلِّ الظواهر في هذا العالم الفوضوي»(١٥٥). وحذَّر يوهان فون ليرس في مقال آخر من «الجدل اللاهوتي المسيحي» مع الإسلام: «لا ريب أن المسلم التقيَّ يرى في اليهودي عدوًّا له، لا

مجرد كافر يمكن أن يعتنق الإسلام أو يكون إنسانًا له قيمته بغضِّ النظر عن دينه. إن اليهودي هو العدو الأزلي الذي يروم نقض ما بناه النبي [ﷺ]»(١٥٦). وقد استقر ليرز بعد الحرب في مصر، حيث تحول إلى الإسلام وتسمَّى «عمر أمين فون ليرز». وكذلك كانت إلزه ماركردسن-كامفوفنر (Else Marquardsen- Kamphövener) إحدى دعائيِّ النظام الذين نشروا أفكارًا مماثلة، فقد كانت إلزه إعلاميةً نشأت في إسطنبول، وستستمر في كتاباتها عن الإسلام في ألمانيا ما بعد الحرب. نشرت ماركردسن-كامفوفنر مقالًا في ذروة الحرب بعنوان: «الإسلام ومؤسِّسُه» في مجلة (*Wir und die Welt*) [بالعربية: **نحن والعالم**]، قدَّمت فيه تأويلًا لحياة النبي [ﷺ] بوصفه عدوًّا لليهود(١٥٧)، وفصَّلت القول بأنه على عهد محمَّد [ﷺ]، واجه اليهود لأول مرة عداءً «ما زال قائمًا إلى اليوم، وسيظل كذلك طالما ظل هناك محمَّديون»(١٥٨).

وفي سنوات الحرب، نشرت الجرائد الألمانية العديد من المقالات المتنوعة التي حملت رسائل مماثلة(١٥٩). وفي الواقع، أمرت وزارة الدعاية الصحافةَ مرارًا بترويج صورة إيجابية عن الإسلام، بل منذ ما قبل الحرب، حذَّر غوبلز هيئات تحرير الجرائد والمجلَّات من أن أي نقد للإسلام «غيرُ مرغوب فيه»(١٦٠). وحملت وزارة الدعاية الصحفيين على عدِّ «العالم الإسلامي فاعلًا ثقافيًّا». ووجَّهت المجلَّات في خريف عام ١٩٤٢ بتجاهل أيَّة صورة سلبية عن الإسلام نشرها مجادلو الكنيسة على مرِّ القرون، والدعوة -بدلًا عنها- إلى تحالف مع العالم الإسلامي الذي وُصِف بأنه معادٍ للبلشفية واليهودية في آنٍ معًا(١٦١)، مع وجوب تجنُّب أيَّة إشاراتٍ إلى أوجه الشَّبه القائمة بين اليهود والمسلمين، كتحريم الخنزير والختان الشرعي. وبعد أشهر، أوجبت الوزارة أيضًا على المجلَّات الكتابة عن أن «الولايات المتحدة الأمريكية عدوٌّ للإسلام»(١٦٢)، وأوجَبت التَّشديد على عداء الولايات المتحدة وبريطانيا للإسلام، مرةً أخرى، في أوائل عام ١٩٤٣ (١٦٣). وفي ربيع العام نفسه، وجَّهت الوزارةُ الصحفيين الألمان بالكتابة عن «اضطهاد السوفييت للمحمَّديين»(١٦٤)؛ فاستُغِلَّ بعض قضايا العنف الموجَّه ضد المسلمين ودينهم على التُّخوم السوفييتية والبلدان المحتلَّة ذريعةً لعدِّ الاتحاد السوفييتي عدوًّا للإسلام بشكل أعم. إن سبب

عداء «اليهود السوڤييت» للإسلام يكمن في أن المسلمين كانوا الأشدَّ مقاومةً للبلشفية، مقارنةً بالأقليات الأخرى في الاتحاد السوڤييتي. لكن هذه التوجيهات لم تكن فعَّالة دائمًا؛ إذ لم يلتزم الدعائيون ومنظِّرو الحزب جميعهم بالخطاب الرسمي عن الإسلام، فعندما نشر الصحفي النازي البارز هلموت زوندرمان (Helmut Sündermann)، في أواخر عام ١٩٤٤، مقالةً في جريدة الحزب النازي ضاهى فيها بين الإسلام والبلشفية، انزعج مسئولو وحدات الحماية النازية، وتذمروا من أن المقالة أهانت القراء المسلمين، وطالبوا بتشديد الرقابة(١٦٥).

كذلك يمكننا أن نجد في الكتابات الأكاديمية بعد عام ١٩٣٣، ومن أبرزها كتابات المستشرقين الألمان، تأويلات أيديولوجية للتاريخ الإسلامي تُردِّد ما كان يدور بين نخبة النظام ومنظِّريه ودعائييه، وإن كان بصورة أكثر حذقًا(١٦٦). فقد بنى المستشرق المرموق إرنست كونل (Ernst Kühnel)، في محاضرة عامة عن الفن الإسلامي ألقاها في عام ١٩٤٣ في برلين، نظريةً عن التقارب بين الثقافة النوردية (Nordic) والإسلام(١٦٧). وقال كونل لمستَمعيه إنَّه نظرًا للتماثلات الثقافية بينهما، انجذب النورمان انجذابًا شديدًا للفن والثقافة الإسلامية بعد غزوهم صِقلِّية؛ إذ كان الإسلام أكثر توافقًا مع «الطبيعة النورمانية» (*nordisches Menschentum*) للغزاة من ثقافة «العالم الإفرنجي»، والتي لطالما عدَّها النورمان شيئًا غريبًا عنهم(١٦٨). لم يكن كونل هو خبير الدراسات الشرقية الوحيد الذي أقام هذه الصلات مع الإسلام؛ ففي كتابه: (*Remarks on Modern Islam*) [بالعربية: **ملحوظات حول الإسلام الحديث**]، أشار المستشرق البارز هانز هاينريش شيدر (Hans Heinrich Schaeder) إلى أن هناك تقاربًا بين الشعوب الجرمانية والمسلمين(١٦٩). وكذلك شدَّد شيدر على عداء النبي [ﷺ] لليهود، مثلما فعل زميله فرانز تيشنر (Franz Taeschner) من جامعة مونستر (University of Münster)(١٧٠). وصوَّر يوهان فوك (Johann Fück)، أستاذ الدراسات الشرقية بجامعة فرانكفورت، محمَّدًا [ﷺ] على أنه «فوهرر (Führer) بطبيعته»، وأن الإسلام بمنزلة حصن قومي (*völkisch*) أمام «الاختراق الأجنبي» (*Überfremdung*)(١٧١). وكذلك نجد تأويلاتٍ مماثلة في كتابات المنظِّر العِرقي

فرديناند كلاوس (Ferdinand Clauß) الذي كان مقربًا لهانز فريدريش كارل غونتر (Hans Friedrich Karl Günther) ومنافسًا له. كان كلاوس أحد أبرز المنظِّرين العِرقيين لدى النظام، وكان كتابه (*Rasse und Seele*) [بالعربية: **العِرق والروح**] أحد أكثر الأعمال تأثيرًا في الحقل. لقد افترض كلاوس في كتاباته أن هناك تقاربًا كبيرًا بين «العِرق النوردي» والإسلام(١٧٢)، وقُبيل نهاية الحرب، كتب كلاوس أيضًا بعض التقارير للمكتب الرئيسي في وحدات الحماية النازية عن «نقاط الالتقاء» بين «نضال تحرير الإسلام» ومعركة ألمانيا، مقترِحًا الترويج لـ «القواسم المشتركة بين رؤية العالم في الاشتراكية القومية والقرآن»(١٧٣). وتحت عنوان: «التجهيز لعملية استمالة الشعوب الإسلامية»، تأمل كلاوس علاقة الصداقة القديمة بين الألمان والإسلام، مشيرًا إلى «التقارب الأيديولوجي» بين «الاشتراكية القومية» و«المعتقَدات الإسلامية»(١٧٤)، لكن محاولاته للمشاركة في السياسات الألمانية تجاه الإسلام باءت بالفشل. وظل كلاوس أحد كبار المولَعين بالإسلام بعد الحرب، ثم اعتنقه.

ختامًا، أشار جميع كتَّاب الجيوبوليتيك البارزين إلى أوجه التقارب الأيديولوجية بين النازية والإسلام، وكان من أبرز هؤلاء شميتز ولنديمان ورايكارت؛ إذ استشهد شميتز -بشكل واضح- بآياتٍ قرآنية مُعادية لليهود(١٧٥)، وزعم لنديمان أن «الإسلام والاشتراكية القومية يتشاركان العديد من أوجه التماثل والتشابه»، وأشار إلى أن مبدأ الفوهرر في القيادة النازية (*Führerprinzip*) يشبه فكرةَ الخلافة من وجهة نظره: «فوهرر المؤمنين» (Führer der Gläubigen) على حدِّ تعبيره؛ إلى جانب تفاني كليهما التام في سبيل قضاياهما ونضالاتهما، وفضيلة الانضباط [في كليهما](١٧٦). وقد اعتمد لنديمان على أمثلة من القرآن وسيرة النبي [ﷺ]؛ تدعيمًا لمزاعمه(١٧٧). أما توماس رايكارت، فقد وصفَ الإسلام من جانبه بأنه قوةٌ سياسية «تسلطية وشمولية»(١٧٨). لقد وُصف الإسلام بأنه «العدو اللدود ... للقوى الديمقراطية والبلشفية»(١٧٩)، لكن لمواجهة المفاهيم الخاطئة السلبية التي آمن بأن الكنيسة هي من بثَّها، وصف رايكارت الإسلام بأنه حديث وثوري في جوهره(١٨٠). وفي الفصل الأخير من كتاب رايكارت، فصَّل الناشط الإسلامي زكي علي القول في هذه الأفكار (١٨١)، حيث أكَّد على أن

الإسـلام مـرَّ بعملية تجديد بعد الحـرب العالمية الأولي كالتي حدثـت مع ألمانيا في عهد هتلر؛ فالنازية والإسـلام يتشـاركان بُغض البلشـفية، ولا تبتعد فكرةُ الخلافة أبدًا عن كونها «فوهرر المؤمنين»، (سبق علي زكي لنديمان إلى استعمال هذا التعبير)[١٨٢]، وزعـم أن «النمـوذج المثالـي للدولة في الإسـلام يتحقَّق من خلال مبـدأ الفوهرر في القيادة؛ لأنه -أي الإسلام- لا يعرف أسرة حاكمة، وهو في ذلك يتفق مع الاشتراكية القومية».

وقد دعا كتَّابٌ مسـلمون آخرون في ألمانيا لرؤًى شـبيهة؛ ومن الكتب البارزة في هـذا الصدد، كتـاب محمَّد صبـري (*Islam, Judentum, Bolschewismus*) [بالعربية: **الإسـلام واليهوديـة والبلشـفية**] الصـادر فـي عـام ١٩٣٨[١٨٣]. يمثِّل القـرآن والدين الإسلامي، عند صبري، أشدَّ الحصون منعَة في وجه البلشفية؛ إذ يقول: «إن العلاقة الوثيقة بين المسـلمين ودينهم هي أفضل ضمانة لإحباط مساعي البلشفية للحصول علـى موطـئ قدم في ديار الإسـلام إلى الأبـد»[١٨٤]. وفضلًا عن ذلك، شـدَّد صبري علـى أن اليهوديـة كانـت العدو اللدود للإسـلام منذ القِدَم[١٨٥]. وبنـاءً على الاعتقاد النازي بأن هناك علاقة بين اليهودية والبلشفية، فصَّل قائلًا: «إن العقلية اليهودية هي التي خلقت البلشفية، والبلشفية هي رافعة العقلية اليهودية. لقد صنعها يهودٌ وقادها يهـود، ولذا فالبلشـفية هي العدو الطبيعي للإسـلام»[١٨٦]. وقد حـاول تدعيم أفكاره بآيـاتٍ قرآنيـة، ونصـوصٍ دينيـة أخـرى، وإشـارات إلى سـيرة محمَّـد [ﷺ]. صدر الكتاب عن دار نشـر **مدرسة السياسـة الألمانية** (*Deutsche Hochschule für Politik*) فـي سلسـلتها **أفـكار الاشـتراكية القوميـة وطبيعتهـا** (*Ideen und Gestalt des Nationalsozialismu*)، المخصَّصـة للتلقين الأيديولوجي للألمان[١٨٧]. وعلى النمط نفسـه، وضـع أحد المسـلمين، في باريـس المحتلَّة، كتيبًا عن الإسـلام والاشـتراكية القوميـة[١٨٨]. وفـي عام ١٩٤٠، بتَّت الرقابـة الألمانية في أمر نشـر مخطوط بعنوان: (*Der Prophet Mohamed und die Juden*) [بالعربيـة: **النبـي محمَّـد [ﷺ] واليهـود**] للكاتب السوري زكي كرَّام، الذي خدم في الجيش العثماني وجاء إلى برلين في أثناء الحرب العالمية الأولى[١٨٩]. كان كرَّام إعلاميًّا إسـلاميًّا شـهيرًا وتلميذًا لرشيد رضا،

عمِل مترجمًا لفترة قصيرة لصالح وزارة الخارجية، لكن نصَّه لم يُجَز في النهاية؛ نظرًا لبعض «الأخطاء والثغرات الوقائعية»[١٩٠]. وفي عام ١٩٤٢، حاول مرةً أخرى وقدَّم مخطوطةً بعنوان: (*Nordischer Gottglaube, Islam und Geist der Zeit*) [بالعربية: **الإيمان النوردي والإسلام وروح العصر**] لدار نشر مركز **الإينيربه** (*Ahnenerbe*)[أ] التابع لوحدات الحماية النازية[١٩١]، لكن هذا المشروع أخفق أيضًا؛ إذ اتفقت وحدات الحماية مع كرَّام في رؤاه حول الإسلام وهجومه الشرس على الكنيسة الرومانية، لكنها انزعجت من فكرة أن المسيحية ارتبطت بالطبيعة العِرقية النوردية للجرمان[١٩٢]. لكن نشر سيرة ألمانية للمفتي الحسيني، ألَّفها الإعلامي العربي منصور الدين أحمد، حظي بقبول أكبر من السُّلطات الألمانية؛ ففي أواخر عام ١٩٤٢، أرسلت وزارة الخارجية مخطوطة الكتاب إلى وزارة الدعاية وقالت إنه لا مشكلة لديها في نشره[١٩٣]. اعتزمت وزارة الدعاية نشر عشرة آلاف نسخة، وهو ضعف عدد النُّسخ المعتاد في تلك الفترة من الحرب، لكن يبدو أن الكتاب لم ير النور أبدًا، رغم إجازة نشره. ومع ذلك، نشرت برلين في عام ١٩٤٣ سيرة ألمانية للمفتي كتبها كورت فيشر-ڤيت (Kurt Fischer-Weth)[١٩٤]، وكالمعتاد، حوى الكتاب المديح نفسه للإسلام، وأعلن «انبعاث القوة الإسلامية»[١٩٥].

وفي سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٤٣، أعلن الحزب النازي صراحةً قبول أعضاء «مسلمين» بين صفوفه[١٩٦]، وشدَّدت المذكِّرة، التي وقَّعها مارتن بورمان (Martin Bormann) بنفسه، على أنه ما من سبب لإقصاء المسلمين من العضوية طالما قُبل المسيحيون. وقد عبَّر هذا القرار تعبيرًا قانونيًّا عن عدم وجود تحفُّظات أيديولوجية حقيقية على الإسلام.

(أ) مركز تراث الأجداد. (المترجم)

القسم الثاني

المسلمون في ساحات الحرب

الفصل الثالث
الإسلام والحرب في شمال إفريقيا والشرق الأوسط

صبيحة الحادي عشر من فبراير/ شباط لعام ١٩٤١، نزلت القوات الألمانية على شواطئ طرابلس في ليبيا التي تحكمها إيطاليا، ثمَّ تقدمت في الشهور التالية نحو القاهرة والشرق الأوسط. وفي الوقت نفسه، أطلقت برلين حملة دعائية كبرى مشحونة دينيًّا وموجَّهة للمنطقة، مروِّجة لألمانيا بوصفها خطَّ الدفاع عن المؤمنين.

لقد كان سكان غالب المناطق في شمال إفريقيا والشرق الأوسط خاضعين -آنذاك- للحكم الإمبريالي المباشر أو غير المباشر، فعندما تهاوت الإمبراطورية العثمانية، في القرن التاسع عشر، سيطرت القوى الأوروبية على شمال إفريقيا، وبعد الانهيار العثماني الكامل، هيمنت على أجزاء أساسية من الشرق الأوسط؛ إذ كانت إيطاليا الفاشية، عشيَّة الحرب العالمية الثانية، تحكم ليبيا من خلال نظام استعماري قمعي، وحكمت فرنسا الجزائر، كما فَرضت الحماية على تونس والمغرب، باستثناء الشريط الساحلي للمغرب الإسباني، وانتُدبت على الأراضي الشامية في سورية ولبنان، وسيطرت بريطانيا العظمى على أراضي مصر وفلسطين وشرق الأردن والعراق وغيرها؛ فأسَّست إمبراطورية واسعة، وإن كانت غير معلَنة، في الشرق الأوسط[1]. وفي الوقت نفسه، عُدَّت الهجرة الصهيونية الجماعية إلى فلسطين الواقعة تحت الانتداب محاولةً أوروبية للاستيطان في البلاد، مما أثار مزيدًا من الاضطرابات، كان أبرزها ثورة أعوام (١٩٣٦-١٩٣٩).

لقد جوبهت السُّلطات الإمبريالية الأوروبية بأشكال متنوعة من المقاومة من البداية، وكانت القومية (الدينية منها والعلمانية) المناهِضة للاستعمار في تصاعد،

وخاصةً بين النُّخب الحَضرية، وكان الدين من أشدِّ قوى التعبئة المناهِضة للإمبريالية صلابة وأوسعها انتشارًا في المجتمع. وفي واقع الأمر، كثيرًا ما انضفرت مناهَضة الاستعمار والإسلام في جديلة واحدة؛ إذ تزعمت قامات إسلامية العديد من الحركات المناهِضة للإمبريالية، واستعملت خطابًا إسلاميًا في سبيل توحيد المسلمين، وهي ظاهرة يمكن ملاحظتها في شمال إفريقيا على وجه الخصوص؛ إذ اقترنت كلُّ ثورة كبيرة مناهِضة للاستعمار تقريبًا، منذ القرن التاسع عشر، بالدعوة للجهاد المسلَّح(٢). وكافحت الإمبراطورية البريطانية مرارًا انتفاضات إسلامية، كانت أشهرها ثورة المَهدي السوداني الأسطورية. وتلت الغزوات الفرنسية في شمال إفريقيا عددٌ من الثورات الشبيهة، من بينها ثورات [الأمير] عبد القادر والطريقة القادرية. وفي مطلع القرن العشرين، تورَّط الفرنسيون في حرب استعمارية ضد محاربي محمَّد علي السنوسي وطريقته [الصوفية] الإسلامية في جنوب الصحراء الكبرى. وستعلن الحركة السنوسية الجهادَ بعد ذلك ضد الغزو الإيطالي لبرقة. وقد بطش الإيطاليون بالمتمردين بقسوة شديدة، وجعلوا من شنق الزعيم السنوسي المسنِّ عمر المختار، علنًا في عام ١٩٣١، علامة على سحق المقاومة(٣).

لم يخطِّط هتلر للتقدُّم في شمال إفريقيا أو التورُّط في الشرق الأوسط؛ لأنه طالما عَدَّ هذه البقاع حقيقةً بالخضوع للحُكم الإمبريالي الأوروبي، ولم تكن برلين تولي التحالف مع سكان المنطقة المسلمين كبير اهتمام طيلة عقد الثلاثينيات. وكانت اتفاقية الهعفراه (Haavara-Transfer Agreement) التي وقَّعتها برلين مع وكالة الهجرة اليهودية في صيف عام ١٩٣٣؛ دعمًا لهجرة اليهود من ألمانيا إلى فلسطين، أحد الأمثلة على عدم الاهتمام بالشئون العربية، وقد أثارت اتفاقية الهعفراه العديد من الشكوك بين مسلمي فلسطين وغيرهم(٤). وبشكل عام، عَدَّت برلين المنطقة واقعة في نطاق مصالح الإيطاليين والإسبان والفرنسيين والبريطانيين، بل إن هتلر سمح لحكومة ڤيشي، بعد سقوط فرنسا، بالاحتفاظ بالمستعمرات الفرنسية في المغرب والمشرق، مع بقية إمبراطوريتها الاستعمارية. ولم يتحدَّث «التصريح العربي» الشهير الذي أصدرته برلين في عام ١٩٤٠، إلَّا حديثًا مبهمًا عمًّا تكنُّه ألمانيا من «مشاعر الصداقة للعرب»(٥).

لكن الوضع العسكري هو ما أدَّى إلى تورط الألمان في المنطقة[٦]؛ ففي أواخر عام ١٩٤٠، أُرغمت القوات الإيطالية تحت قيادة الجنرال رودولفو غراتسياني (Rodolfo Graziani) على التراجع والدفاع أكثر من مرة في معركتها ضد البريطانيين في شمال إفريقيا؛ ومن ثمَّ وافق هتلر أخيرًا على تقديم الدعم لمنع وقوع كارثة عسكرية، ونَشر الفيلق الإفريقي بقيادة رومل (Rommel) في أوائل عام ١٩٤١، وطوال العامين التاليين حارَبت القوات الألمانية في تونس والصحراء الليبية وعلى مشارف مصر، حيث تقدَّمت القوات حتى وصلت إلى محطة القطار الصحراوية الصغيرة في العَلَمين في يوليو/ تموز من عام ١٩٤٢، على بعد مئة وخمسين ميلًا فقط من القاهرة، لكن سرعان ما انسحب الألمان بعد هزيمتهم في أوائل نوفمبر/ تشرين الثاني على يد الجيش الثامن بقيادة برنارد مونتغمري (Bernard Montgomery)، وفي الشهر نفسه، وصلت القوات الأنكلو-أمريكية إلى الجزائر والمغرب في إطار «عملية الشعلة» (Operation Torch) لدعم مونتغمري في معركته ضد فلول جيش مدرَّعات رومل، وأخيرًا، انسحب الألمان إلى تونس في يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٤٣، وفي الثالث عشر من مايو/ أيار لعام ١٩٤٣، استسلم في تونس الجنرال هانز-يورغن فون آرنيم (Hans-Jürgen von Arnim) الذي خَلَف رومل.

لقد أدى التورط العسكري في المغرب إلى حدوث تغيير في الفكر الإستراتيجي الألماني فيما يتعلَّق بالشرق الأوسط[٧]؛ فعقب غزو الاتحاد السوڤييتي في صيف عام ١٩٤١، وضعت قيادة الجيش الألماني خُططًا للتقدم من شمال إفريقيا نحو الشرق الأوسط والتوحد مع القوات الألمانية القادمة من القوقاز؛ وبذلك، انتقلت إيران -من فورها- إلى نطاق الاهتمام العسكري الألماني[٨]. ومبكرًا في صيف عام ١٩٤١، كانت برلين قد تورَّطت في انقلاب رشيد عالي الكيلاني في العراق، وأرسلت بعثة خاصة إلى بغداد تحت قيادة الفريق هلموت فيلمي (Hellmuth Felmy)[٩]، وفي ذلك الوقت، دعا الحسيني، الذي كان في العراق ساعتها، عبر الإذاعة الحكومية إلى «الجهاد» ضد بريطانيا العظمى[١٠]. أحبط البريطانيون الانقلاب بالقوة العسكرية الغاشمة، وفي الفترة نفسها، احتلت القوات البريطانية

وقـوات فرنسـا الحرة سـورية ولبنـان اللَّتين تسـيطر عليهما حكومة ڤيشـي، في حين غـزت إيـرانَ القـواتُ الأنكلو-أمريكيـة والقـوات السـوڤييتية[١١]. لقـد كان للمنطقة أهميَّتها عند الريطانيين والأمريكيين والسـوڤييت لا لأجل حقولها النفطية فحسب، بل لأجل موقعها الجيوسياسي كذلك، فمن منظور أوسع، لم يكن هناك شكٌّ قطُّ في أن الحرب في شمال إفريقيا والشرق الأوسط كانت حربًا إمپريالية[١٢].

ومع الانخراط الألماني في المنطقة، أصبح يُنظَر إلى السكان المحليين في شمال إفريقيـا، وخلـف خطـوط العدو الأماميـة، من منظـور أهميَّتهـم الإسـتراتيجية؛ ففي المغـرب، حيث اعتمد الجيش على خطـوط إمداد طويلة، لم تكن برلين لتتحمَّل أية صدامات مع السـكان المسـلمين المحليين بطول الطرق الساحلية، والأهم من ذلك أن وجـود أهـال داعميـن للألمـان، خلف خطـوط العـدو الأمامية في شـمال إفريقيا والشرق الأوسط، يمكنه الفَتُّ في عضد الحلفاء.

وفي محاولة لاستمالة السكان المسلمين، أطلقت برلين حملة دعائية ضخمة في شمال إفريقيا والشرق الأوسط؛ فوُضعت تصميمات لمنشورات وبرامج إذاعية لنَيل دعم المسـلمين فـي الخطوط الخلفية الألمانية في المغرب العربي، وترسـيخ أجواء الانهزاميـة، وتحريض الأهالي على الخروج في ثورة مفتوحة خلف خطوط الحلفاء الأمامية في مصر وبقية الشـرق الأوسـط. وكتب غوبلز في يوميَّاته بتاريخ الثامن من أغسطس/ آب لعام ١٩٤٢ أن المسئولين في الحكومة البريطانية «يخشَون المسلمين خشـية كبيرة، وتلك حقيقةٌ تهمُّنا للغاية، ونحن نستغلها في دعايتنا الموجَّهة للمنطقة العربية»[١٣]، وبالفعل، كانت پروپاغندا المحور الموجَّهة إلى شـمال إفريقيا والشـرق الأوسـط قـد تكثَّفت بحلول ذلك الوقت، وقد نظَّم هـذه الپروپاغندا ووجَّهها مكتب الشـرق في الإدارة السياسـية بوزارة الخارجية، بالتعاون مع وزارة الدعاية، وإلى حدٍّ ما مع الجيش.

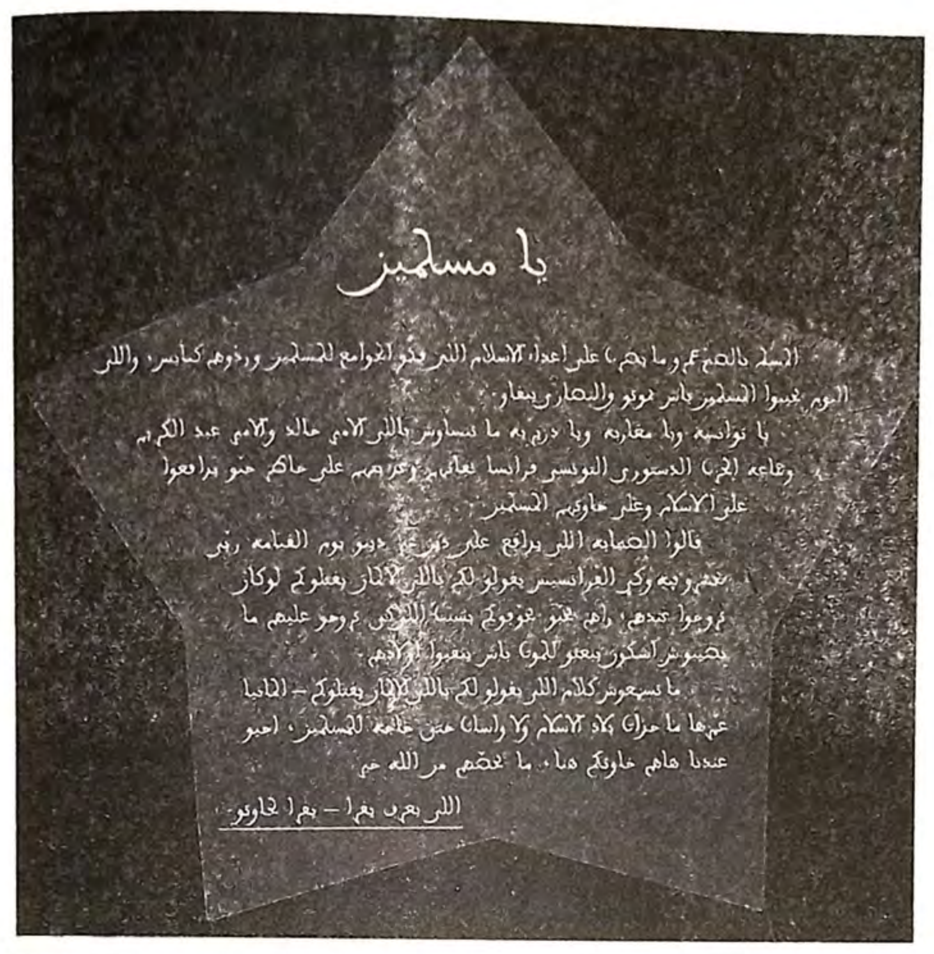
وعلـى حـدِّ تعبيـر مجلَّـة **فوريـن آفيـرز** (*Foreign Affairs*)، وزَّع عمـلاء المحور كُتيِّبات تنشـر «إنجيلهم وسـط الحُجَّاج المرتحِلين إلى المشـاعر المقدسة والقافلين منهـا»[١٤]؛ فقد نشـرت برلين قصصًـا عن اعتداءات الحلفاء المزعومة على الإسـلام

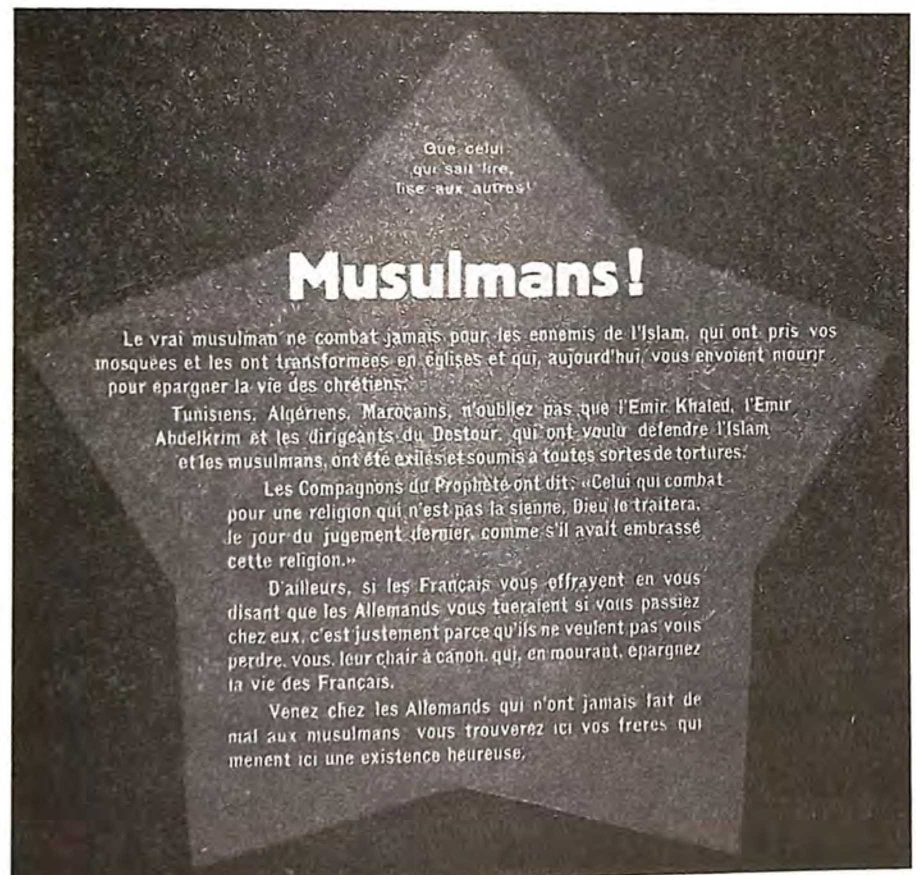
«وإساءاتهم، خاصة تجاه المساجد والأماكن المقدسة». وأشارت الجريدة نفسها بعد أشهر إلى أن «هتلر له عملاء يعملون منذ أشهر على إثارة السخط الإسلامي على إنكلترا، وأنه يأمل أن يُفيد من المسلمين بوصفهم أعظم مضطهِدي اليهود في العالم ... إن هتلر يسعى بوضوح إلى تحريض المسلمين جميعهم ضد بريطانيا»(١٥).

وبالفعل، روَّجت البروپاغندا الألمانية في المنطقة لنسخة مسيَّسة من الإسلام تعُدُّ ألمانيا صديقةً للإسلام والحلفاء أعداءَه، ووظَّفت برلين الخطاب والاصطلاحات والاستعارات الدينية توظيفًا صريحًا، وسعَت للتفاعل مع العقيدة والتصورات الدينية، وإعادة تأويلها للتلاعب بالمسلمين في سبيل تحقيق غايات سياسية وعسكرية، وسُيِّست النصوص المقدسة، كالقرآن، والفرائض الدينية، كالجهاد؛ بغية إثارة العنف الديني ضد من زُعم أنهم أعداءٌ مشتركون، كانت الإمبراطورية البريطانية والولايات المتحدة والبلشفية واليهودية أبرزهم، وإلى جانب الإشارات إلى من زُعم أنهم أعداءٌ مشتركون، كان من بين الموضوعات المتكررة في البروپاغندا الألمانية التنويهُ عن القيم التي زُعم أن النازية والإسلام يشتركان فيها، كقيم النظام والقيادة والقوة.

الإسلام ومناهضة الاستعمار ومعركة فرنسا

في أثناء معركة فرنسا، كان جنود المستعمَرات، الذين يقاتلون في صفوف الجيش الفرنسي، من بين أوائل المسلمين الذين استهدفتهم البروپاغندا الألمانية في الحرب العالمية الثانية(١٦)؛ إذ حضَّ الألمان هذه القوات المسلمة على الانضمام إليهم من خلال استخدام المنشورات ومكبِّرات الصوت، واعتمد جلُّ هذه البروپاغندا اعتمادًا كبيرًا على الخطاب والشعارات والرموز الدينية. ففي أوائل عام ١٩٤٠، على سبيل المثال، ألقى دعائيو الجيش منشورات خلف الخطوط الفرنسية مطبوعةً بلون أخضر -لون النبي [ﷺ]- ومُصاغة بالفرنسية والعربية، وموجَّهة إلى «مسلمي» فرنسا من شمال إفريقيا(١٧)؛ وللوصول إلى جنود المستعمرات العاديين، وُضعت النصوص العربية للمنشورات باللهجة المغاربية، أو **الدَّارجة**، لا العربية الفصحى. كان أحد المنشورات على هيئة راية مزدانة بسيف فضِّي، وقد حذَّر هذا المنشور المتدينين من



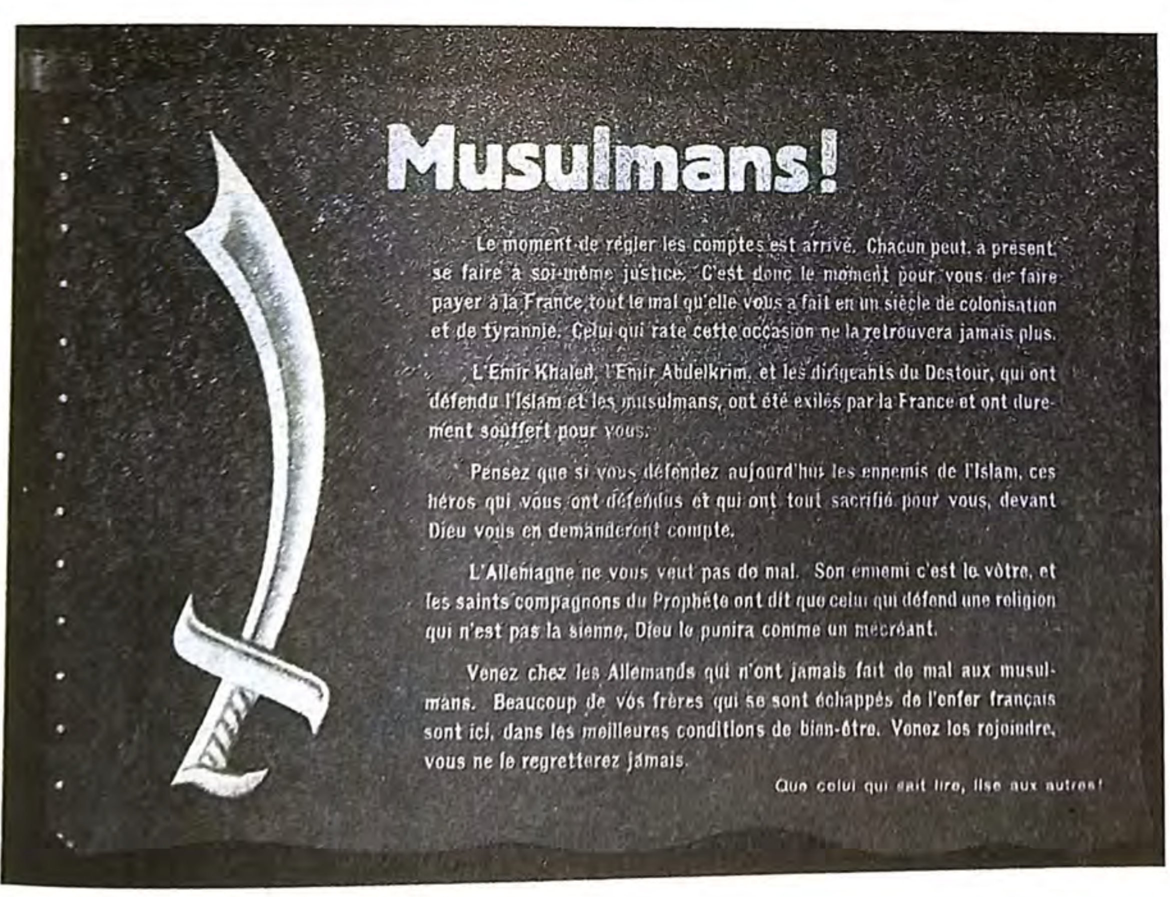


الشكلان (٣-١أ، ٣-١ب): منشور دعائي ألماني، ١٩٤٠ (من الجانبين) (BA-MA).

الدفاع عن «أعداء الإسلام»، ودعاهم إلى الفرار من الجيش: «هلمُّوا إلى الألمان، الذين لم يؤذوا المسلمين أبدًا» (الشكل ٣-١ أ و ب). وأعلن منشورٌ آخر يحمل الرسالة نفسها أن «المسلم الحقيقي لا يقاتل أبدًا لصالح أعداء الإسلام، الذين استولوا على مساجدكم عَنوة وأحالوها كنائس، وأرسلوكم اليوم لتموتوا دفاعًا عن النصارى» (الشكل ٣-٢ أ و ب). وقد استند المنشوران إلى التاريخ القريب لمقاومة الاستعمار في شمال إفريقيا، فأشارا إلى جهاد عبد الكريم [الخطَّابي] في الريف المغربي، وقائد المقاومة الجزائرية خالد بن هاشم (الأمير خالد)، حفيد عبد القادر، والحركة المناهِضة للاستعمار في تونس. وكانت قد بدأت في أواخر عام ١٩٣٩ بعضُ النقاشات المتناثرة في دوائر الجيش ووزارة الخارجية عن البروباغندا الموجَّهة للجنود المسلمين في القوات الفرنسية، والدعاية للرايخ الثالث بوصفه «صديق المحمَّديين»[١٨]، وكان من أوائل الاقتراحات إنتاج تمائم صغيرة على شكل «يد فاطمة» (الخميسة)[١٩].

تعاملت السُّلطات بحذر مع الأسرى المسلمين من الجنود الذين قاربت أعدادهم، في أثناء معركة فرنسا، التسعين ألف أسير[٢٠]، وبعد الانخراط العسكري في شمال إفريقيا في عام ١٩٤١، تنامت الأهمية السياسية لطريقة معاملتهم؛ إذ حاول الضباط الألمان إظهار احترامهم للإسلام، ومنحوا المسلمين امتيازات عدَّة، كما كانت الحال في الحرب العالمية الأولى؛ ففي الثاني عشر من مايو/ أيار لعام ١٩٤١، أمرت القوات المسلَّحة بالتسامح مع الأعراف الدينية للأسرى[٢١]، وفي أوائل عام ١٩٤٢، صدرت توجيهات بخصوص دفن الأسرى الفرنسيين تقضي بأن من وافته منيَّته من المسلمين توضع على قبره لوحةٌ خشبيةٌ تحمل رمز الطربوش لا الصليب[٢٢]. وبالإشارة إلى «أسباب تتعلق بالسياسة الإسلامية»، أمر الجيشُ في النهاية باحترام فروض الطعام والشراب الإسلامية، مع استبدال لحم البقر أو الضأن بالخنزير[٢٣]، وفي سجن حربي قرب برلين، بُني مسجدٌ على الطراز المغاربي[٢٤]، وفي معسكرات أخرى، أُنشئت مساجد ومصلَّيات صغيرة، ووُظِّف الأئمة من قارئي القرآن، الذين كانوا في الغالب من الأسرى العاديين؛ لتقديم الرعاية الدينية والعمل





الشكلان (٣-٢أ – ٣-٢ب) منشور دعائي ألماني، ١٩٤٠ (من الجانبين)، (BA-MA).

في الدعاية، بغية إسباغ الشرعية الدينية على التعاون مع الألمان[٢٥]؛ ولتلقين الأسرى، وزَّع الألمان منشورات في المعسكرات[٢٦]. لم يكن الغرض من هذه السياسات مجرد استقطاب الأسرى ليكونوا مرشدين ومخبرين ودعائيين في المغرب العربي فحسب، بل خلق صورة إيجابية عن ألمانيا ينشرها الجنود عند عودتهم إلى بلدانهم، وبالفعل، عندما تورط الألمان عسكريًّا في شمال إفريقيا، أُطلق سراح العديد من هؤلاء الأسرى، ومع ذلك، بدا أن الأسرى كانوا أقل استجابة للتقارب الألماني مما أمَّل فيه الضباط الألمان؛ ففي واقع الأمر، عانى العديد من الأسرى المسلمين من سوء معاملة حُرَّاسهم الألمان، كما قاسى العديد من الأسرى من مسلمي أفارقة جنوب الصحراء الكبرى -خاصة- وحشية المعاملة، وأُردي مئات منهم في بداية الحرب[٢٨].

وقد أبدى كبار الشخصيات الدينية في **مسجد باريس الكبير** (*Grande Mosquée de Paris*) اهتمامًا كبيرًا بمصير أسرى الحرب من شمال إفريقيا، وكان المسجد، الكائن على الضفة اليسرى [النهر السِّين] في الحي الخامس، قد بنَته الحكومة الفرنسية بعد الحرب العالمية الأولى؛ تعبيرًا عن امتنانها لجهود المسلمين الحربية، وأشرف عليه عالِم الدين الجزائري، ذي الشخصية الكاريزمية، سي قدُّور بن غِبريط الذي ساند الفرنسيين سياسيًّا ودعائيًّا بين عامي ١٩١٤ و١٩١٨[٢٩]، وبعد سقوط فرنسا، تواصل بن غِبريط مع الألمان (الشكل ٣-٣)، فقد تشاور مع موظفي السفارة الألمانية في باريس، في أوائل عام ١٩٤١، بخصوص سلامة المسلمين في السجون الحربية، وطالب بأحكام خاصة لهم[٣٠]، بل إنه عرض إرسال بعض الأئمة من شمال إفريقيا، وضَمِن للسُّلطات أنه سيكون مسئولًا عن ولائهم مسئولية شخصية، وكذلك عرض خدماته بأن يشرِف على الشئون الدينية للأسرى، وأشار إلى أنه على استعداد للعمل في قسم الدعاية بإذاعة ألمانيا الناطقة بالعربية، لكن الألمان لم يكونوا على استعداد لفتح معسكراتهم لأئمة مغاربة لا يأمنون جانبهم[٣١]، في حين ظلُّوا حريصين على بناء علاقات جيدة مع المسجد؛ لأنه مع كونه أحد أهم المراكز الإسلامية في



الشكل (٣-٣): سي قدُّور بن غِبريط، إمام مسجد باريس الكبير، يحيِّي ضباط القوات المسلَّحة الألمانية

(سجلُّ محفوظات نُصب المحرَقة التذكاري في باريس)

.(Archive of the Mémorial de la Shoah Paris)

أوروبا الغربية التي تحتلُّها ألمانيا، كان قلبَ الجماعة المسلمة في فرنسا، التي نما تعدادها ليصل إلى أكثر من مئة ألف مسلم في أثناء الحرب. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل كانت له أيضًا علاقات وثيقة بالمغرب العربي؛ فدعمَ المسئولون الألمان في باريس سي قدُّور بن غِبريط وحاولوا أحيانًا استخدام المسجد في دعايتهم[٣٢]، ومن جانبه، حاول بن غِبريط تحسين وضع الجماعة المسلمة من خلال إقامة علاقات وثيقة مع السُّلطات. ومع ذلك، راقب الألمان المسجد عن كثب؛ إذ ارتابوا في أنه يزوِّد اليهود بشهادات تثبت أنهم مسلمون[٣٣]، وبعد الحرب، زُعم أن المسجد ساعد المئات من اليهود، لكن لم تظهر أية أدلة وثائقية تعزِّز من مصداقية هذه الروايات.



الشكل (٣-٤): قوات الفيلق الإفريقي في طرابلس عاصمة ليبيا في عام ١٩٤١ (Ullstein).

وفي أثناء الحرب ضد فرنسا، دشَّنت برلين بعض المحاولات الأولى للتأثير على مسلمي المستعمَرات الفرنسية، من خلال البثِّ الإذاعي والبروباغندا المطبوعة؛ فأعدَّت وزارة الخارجية منشورًا يحضُّ المسلمين على الثورة على حكامهم الإمبرياليين، وكان المنشور محمَّلًا بخطاب يمزج بين الطابع المناهِض للاستعمار والطابع الديني، ووزَّعته في شمال إفريقيا الفرنسي في ربيع عام ١٩٤٠[٣٤]. وقد صوَّر المنشور الحرب على أنها فرصة مقدسة للثورة على البطش الإمبريالي: «لقد أنعم الله عليكم بهذه الفرصة، وعليكم ألَّا تضيعوها!»؛ بل تجاوز ذلك ليعلن أن المقاومة المناهِضة للاستعمار «فريضة دينية»، وأن «عذاب الله» سينزل بمن يمتنع عنها[٣٥]. امتلأ المنشور بإشارات إلى الاضطهاد (المزعوم) للإسلام تحت الحكم الفرنسي؛ متهمًا فرنسا بإبطال الشريعة، وتجريم تدريس القرآن في المدارس، ومهاجَمة المساجد، ومحاولة تحقيق أهداف تبشيرية؛ ومن ثمَّ، فالجهاد ضد النظام الاستعماري أمرٌ إلهيٌّ، كما يقول المنشور: «سيُعينك الله إن أخلصت لمعركتك»،

ويقول في وعده من يشارك في الحرب بمنزلة الشهادة: «ستُفتَح لك أبواب الجنة، وأولئك هم الفائزون». طَبعت وزارة الخارجية عشرة آلاف نسخة من المنشور، وأُرسلت إلى المغرب العربي عبر السفارة الألمانية في مدريد[٣٦]، وألهم ذلك المنشور أسلوبَ البروباغندا التي ستنتشر في الأعوام التالية. لكن، لمَّا كان توجه السياسة الألمانية تجاه العالم الإسلامي لم يتضح بعد، ظلَّت هذه الجهود المبكرة للتعامل مع مسلمي فرنسا ظرفية ومؤقتة، ولم تبدأ الحملةُ الأكثر تنظيمًا لتعبئة المسلمين إلَّا مع بداية التورط العسكري في شمال إفريقيا في ربيع عام ١٩٤١.

الإسلام والبروباغندا المطبوعة في ميدان الحرب في شمال إفريقيا

لقد كان تقدُّم **الفيلق الإفريقي** (*Panzerarmee Afrika*) في المغرب العربي مصحوبًا بحملة دعائية ضخمة؛ إذ ألقت الطائرات الألمانية أطنانًا من المنشورات والبطاقات البريدية والكتيبات على ميادين الحرب وخلف خطوط الجيش البريطاني، موجَّهة إلى السكان المسلمين المحليين، وقد وقع عبء تنظيم هذه الحملة على كاهل وزارة الخارجية بالتعاون مع القوات المسلَّحة، وأدار الدبلوماسي الألماني قسطنطين ألكسندر فون نُويرات (Konstantin Alexander von Neurath) -نجل قسطنطين فون نُويرات الحاكم الألماني لمحمية بوهيميا ومورافيا ووزير الخارجية الألماني الأسبق- الحملة على الأرض. كان ألكسندر ضابط الاتصال بوزارة الخارجية في جيش رومل منذ مايو/ أيار من عام ١٩٤١[٣٧]، وكان يُولي الجيوبوليتيك والإسلام اهتمامًا خاصًّا، كما بدا من قائمة كتب ومجلَّات طلبها من برلين[٣٨].

وعلى الرغم من أن هذه المنشورات اعتمدت على موضوعات متنوعة، تمتد من الإشادة بتفوق النظام التقني والاقتصادي والعسكري إلى القومية المناهِضة للاستعمار، إلَّا أن عددًا معتبرًا منها اعترته مسحة دينية؛ إذ كان أحد المنشورات الصادرة في خريف عام ١٩٤١، حينما كانت القوات الألمانية تقترب من الحدود المصرية، يهيِّئ المدنيين فيما وراء خط النار للهجوم، ويشرح أن «الفكر العِرقي الألماني» يعترف بأن كل عِرق هو «عطيةٌ من الله»، باستثناء «العِرق اليهودي الخبيث الطفيلي»، ويؤكد لقرائه أن الشعب الألماني «يتعاطف مع نضالكم ضد الإنكليز

واليهود بحرارة، وقريبًا إن شاء الله بأكثر من ذلك»[٣٩]، وصُدِّر منشورٌ آخر -صَدَر في الوقت نفسه- بآيات سورة الأنفال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ [الأنفال، ١٥]، والأخرى ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال، ١٦][٤٠]، ثم يأتي النصُّ بعد الآيات ليضعها في السياق السياسي للحرب، فيصوِّر السوڤييت كفارًا والبريطانيين سيوفهم المسلولة، وحذَّر المنشور من مؤامرات موسكو على العالم الإسلامي الأوسع، مع عرض مفصَّل لاضطهاد «ملايين البشر» تحت «وطأة ستالين الشيطانية». لكن «ألمانيا وحدها يمكنها إنقاذ العالم، وستنقذكم أنتم ودينكم أيضًا من الخضوع لوعيد الراية الحمراء»، وختم المنشور، معتمدًا مرةً أخرى على مرجعية القرآن، بآية من سورة الفتح: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح، ٢٧]. لكن الهجوم البريطاني المضاد في أواخر عام ١٩٤١ أحبط خُطط رومل لشنِّ هجوم شامل على الأراضي المصرية[٤١]. وسيستغرق الأمر من رومل حتى نهاية العام الذي يليه ليبدأ هجومه التالي شرقًا، وذلك بعد أن كان قد دُفع إلى الحدِّ الغربي من إقليم برقة.

وكان الزحف الثاني عبر برقة في ربيع عام ١٩٤٢ مصحوبًا بحملة أشدَّ كثافة من المنشورات، وفي أثناء تقدُّم القوات الألمانية نحو القاهرة، بدأت وزارة الخارجية والقوات المسلَّحة في إعداد منشورات للمصريين؛ ففي الثامن من إبريل/ نيسان لعام ١٩٤٢، طلبت قيادة الفيلق الإفريقي -رسميًّا- حملة دعائية في مصر، وهو ما أيده نُويرات بعدها بشهر، وفي الخامس والعشرين من يونيو/ حزيران لعام ١٩٤٢، وبعد أن عبرت القوات الألمانية الحدود الليبية المصرية، نقل نُويرات مرةً أخرى إلى برلين طلب رومل لحملة دعائية في مصر[٤٢]، فردَّت وزارة الخارجية على نُويرات بأن مليونًا ومئة ألف منشور جديد طُبعوا بالفعل، منها مئة ألف نسخة من منشور «راية المسلمين الخضراء»[٤٣]، وبعد ثلاثة أيام، انطلقت الشُّحنة الأولى المكوَّنة من أربعمئة وخمسين ألف منشور متجهةً إلى برقة لتوزيعها في مصر[٤٤]، وأُرسلت بقية المنشورات على مرِّ الأيام التالية، كما أن مليون منشور آخر كان قيد الطباعة، وأكثر

من هذا العدد قيد الإعداد[٤٥]، وفي الثلاثين من يونيو/ حزيران لعام ١٩٤٢، نقلت أربعُ طائرات ما لا يقل عن مليون وثلاثمئة ألف منشور إلى شمال إفريقيا، وفيها ستة آلاف بطاقة بريدية تحمل (**الخميسة**)، وألف بطاقة تحتفي باستقبال مفتي فلسطين في برلين[٤٦]. وفي الثاني من يوليو/ تموز لعام ١٩٤٢، أُرسل مليونًا منشور آخر، وفيهما مئة ألف من «راية المسلمين الخضراء» وستة آلاف بطاقة تحمل **الخميسة**[٤٧]، وفي الثاني عشر من يوليو/ تموز لعام ١٩٤٢، وصل سبعمئة وستون ألفًا من النشرات الدعائية، بينها مئتا ألف نسخة من النشرة الجديدة «دعوةٌ من المفتي»[٤٨]، واستمر هذا الإغراق طَوال الصيف. ومن بين الدعايات العربية التي وُزِّعت، كان هناك ثلاثمئة ألف نسخة من منشور «يا مصر»[٤٩] الذي وعد المصريين بتحريرهم من البطش الإمبريالي؛ مؤكِّدًا على وعد الله بالنصر: «سيُنعِم الله على مصر بالعدل، وسيوبق عسف بريطانيا وإمبراطوريتها الباغية الباطشة المجرمة»[٥٠]. وبنهاية أغسطس/ آب، كانت وزارة الخارجية قد أعدَّت عشرة ملايين منشور عربي، ووزِّع منها بالفعل أكثر من ثمانية ملايين[٥١]. وكانت الخُطط قد وُضعت في برلين بالفعل لتحويل القاهرة إلى مركز جديد للپروپاغندا الألمانية في العالم الإسلامي، ولاستقطاب زعماء الأزهر الدينيين، لكن هزيمة العَلَمين والهجوم البريطاني المضاد أحبطا هذه الخُطط تمامًا[٥٢].

تصاعدت وتيرة هجوم المنشورات على الولايات المتحدة أيضًا بعد عملية الشُّعلة؛ فقد أصدرت وزارة الخارجية في يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٤٣، على سبيل المثال، منشورًا عربيًّا بعنوان: «الإسلام والديمقراطيات» يشجب لندن وواشنطن[٥٣]، وزعم أحد المنشورات أن «الإنكليز والأمريكان واليهود وحلفاءهم هم ألدُّ أعداء العروبة والإسلام!»[٥٤]، واستُهلَّ منشورٌ آخر، صُدِّر بصورة **الخميسة**، بآية قرآنية معادية لليهود: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [**المائدة**، ٨٢]، واستطرد في إطار ديني قائلًا: إن «اليهود والمُرابين يسلبون المؤمنين ما يملكون، ومن ثمَّ فقد حقَّ عليهم العذاب، وإن الأمريكان والإنكليز، غزاة المغرب العربي، أصدقاءُ لليهود، وإن روزفلت وتشرشل يأتمران بأوامر اليهود،

ويجب على كلٍّ من يعادي اليهود، أن يعادي الأمريكان والإنكليز أيضًا»(٥٥)، ومن اللَّافت أن المنشور استند كذلك إلى نصٍّ إسلامي كان إليه المرجع في القياس: اليهود هم أعداء الإسلام، والأمريكان والإنكليز هم أصدقاء اليهود؛ إذن، الأمريكان والإنكليز أعداء الإسلام، وكان مضمون **سورة المائدة** المعادي لليهود الذي وُظِّف هنا قد نوقش بالفعل في إصدارات ألمانية أخرى منذ أواخر الثلاثينيات، وخاصةً في كتاب پول شميتز **الإسلام كله!** وكتاب محمَّد صبري **الإسلام واليهودية والبلشفية**(٥٦).

وعندما طُرد جيش رومل من الصحراء الليبية والمصرية، انسحب في النهاية إلى تونس، وهناك أكمل الدعائيون الألمان عملَهم. وكان رودولف ران (Rudolf Rahn)، القنصل الألماني في تونس، يدير العمل على الأرض، ومن ثمَّ فقد كان أرفع ممثل مدني للرايخ في شمال إفريقيا. وكانت توجيهات الپروپاغندا في تونس واضحةً في ضرورة تجنُّب أي وعد بالاستقلال الوطني، بل استغلال الإشارات الدينية في الدعاية لقوى المحور بوصفها «صديقة المحمَّديين»، والتنديد بـ «الطغاة الأنكلو-أمريكيين ... والبلشفية الملحدة» التي لم تقتصر على «اضطهاد المؤمنين وتدمير المساجد» في الاتحاد السوفييتي فحسب، بل اضطهدت المسلمين في «بلدانٍ محمَّدية أخرى»، وكذلك «اليهودية» التي «طردت المحمَّديين من فلسطين ومن مقدساتهم»(٥٧). وقد طُبِّقت هذه التوجيهات بالفعل. وكان من بين المواد الدعائية الموزَّعة في تونس كرَّاس صغير عنوانه: **ألمانيا والإسلام**، كان طافحًا بالرسومات مع القليل من العبارات، وكان يروِّج للصداقة الألمانية مع الإسلام(٥٨). وفي نهاية المطاف، كان عدد المنشورات التي وزِّعت في تونس لا يقلُّ عن ستة ملايين نسخة(٥٩).

غدت المغرب الإسبانية المحايدة المصدرَ الرئيس لتوزيع المنشورات الألمانية في الأجزاء الغربية من شمال إفريقيا، وكانت وزارة الخارجية واستخبارات القوات المسلَّحة الألمانية تدير مكتبين للپروپاغندا هناك؛ أحدهما في العاصمة تطوان والآخر في مدينة طنجة الساحلية، وأصبحت منطقة طنجة، التي يزيد عدد سكانها قليلًا عن مئة ألف نسمة، والتي كانت تحت الوصاية الدولية حتى احتلتها إسبانيا في صيف عام ١٩٤٠، الخطَّ الأمامي في حرب الپروپاغندا بين المحور والحلفاء في

المغرب[٦٠]. وفي صيف عام ١٩٤٢، نقل أحد مسئولي مكتب طنجة، الكائن في القنصلية الألمانية العامة، تقريرًا عن نجاح المنشورات الألمانية الموزَّعة على السُّلطات المحلية[٦١]. وكان من بين الشعارات الأساسية في هذه البروپاغندا شعارًا «إنكلترا عدوة الإسلام!»، و«النصر حليف ألمانيا بإذن الله». وبمناسبة عيد الأضحى في عام ١٩٤٢، وزَّع المكتب عشرة آلاف نسخة من منشور ورَد فيه:

> «أيها الإخوة المسلمون، نتمنى لكم في عيد الأضحى أن يحفظكم الله ويبارككم! إنكم تعلمون أنه طيلة تاريخكم، كان لديكم صديق عظيم واحد: ألمانيا! وتعلمون أيضًا أن أعداءكم من اليهود والإنكليز والأمريكان هم كذلك أعداء ألمانيا، وأن أملَكم في مستقبلٍ أفضل للشعوب العربية هو أمل ألمانيا وغايتها! والسلام عليكم ورحمة الله»[٦٢].

ودعا منشور آخر، وُزِّع في المغرب في الوقت نفسه، المؤمنين إلى الثورة على الغُزاة الإنكليز والأمريكان «حلفاء اليهود والبلاشفة» للدفاع عن «دين النبي [ﷺ]»[٦٣]. وكذلك، أصدرت القنصلية منشورات تحضُّ المغاربة على «مناهَضة ... الكفار واليهود ... من البريطانيين والأمريكان والخونة الفرنسيين»، وحلفائهم من «البلاشفة» الحاقدين «على الإسلام»[٦٤]. وفي ربيع عام ١٩٤٣، نشر الألمان، في أثناء مواجهتهم ضغطًا عسكريًا شديدًا، دعوةً عاجلة للجهاد في المغرب، اعتمدوا فيها على المقارنة بين الصراع القائم وغزوات الرسول [ﷺ][٦٥]؛ استُهلَّ المنشور بالإشارة إلى المعارك العظيمة في أُحُد وبدر، وأعلن أن محاربي محمَّد [ﷺ] لم يفقدوا بسالتهم، وقد أفلحوا في هذا الابتلاء الذي كتبه الله عليهم؛ فالحرب الحالية، «ولأول مرة منذ قرون ... هي ابتلاءٌ جديد»، «فاحذروا، أيها الإخوة، أن تكونوا ممن يرتقبون ويأبَون الصراط المستقيم، كأولئك الذين استخفُّوا برسول الله ﷺ ساعة شدَّته»، والآن، يجب على الجميع الاختيار بين «سبيل الله والسَّلف ... وخزي البلشفية»؛ بين «الإيمان ... والعبودية لليهود»، ووُشِّي الكتاب بثلاثة استشهادات طِوال من القرآن، من بينها آياتُ سورة آل عمران التي تتناول معركتَي أُحُد وبدر. وحتى بعد أن انسحبت القوات الألمانية من شمال إفريقيا، نقل مكتب معلومات

الحرب الأمريكي أن العملاء الألمان ظلوا ينشرون الشائعات بين مسلمي المغرب العربي بأنهم سيُكرَهون على التنصُّر حال انكسار المحور في الحرب(٦٦)؛ فضغط الحلفاء بشدة على السُّلطات الإسبانية لإغلاق القنصلية الألمانية العامة في طنجة، واستجاب فرانكو (franco) في النهاية في صيف عام ١٩٤٤.

وقد وُزِّعت بعض منشورات الپروپاغندا الصادرة في برلين في مناطق مختلفة أوسع في شمال إفريقيا؛ فقد أرسلت وزارة الخارجية آلاف النسخ من منشور «نضال المحمَّديين» إلى المغرب الإسباني وتونس(٦٧)، وطُبعت صور مفتي القدس على ملصقات وبطاقات بريدية، ونُقشت قصائده على التمائم، ووزِّعت منشورات تحمل خطابه الذي ألقاه في افتتاح المعهد الإسلامي المركزي، لا في تونس وحدها، بل في طنجة، وأحيانًا في أماكن أخرى من بينها أنقرة وأثينا وصوفيا وبوخارست وزغرب(٦٨).

وأخيرًا، أعدَّ مسئولو وزارة الخارجية پروپاغندا مادية لميدان الحرب في شمال إفريقيا؛ فوزِّعت مكعباتٌ من السكَّر في غلاف حمل عبارات سياسية دينية بالعربية: «بعون الله، انتصار ألمانيا محتَّم»(٦٩)، وكذلك ناقش المسئولون في برلين إنتاج أكياس صغيرة من الشاي تُعلَّق بها أحجبة أو منشورات، لكن لا نعلم هل نُفِّذت الفكرةُ أم لم تُنفَّذ(٧٠)، وكانت الأحجبة الدعائية تُوزَّع أيضًا، وقد ورد في وثيقة داخلية أن الأحجبة «تحتوي على تمائم، بالإضافة إلى الصليب المعقوف ودعاء أو لعن»، بالإضافة إلى المنشورات المعطَّرة التي حملت حكمةً قرآنية ونداءً للصداقة(٧١)، وقد جمعت هذه الأشياء، في مخاطبتها حواسَّ التذوق والشم والرؤية، بين الثقافة المادية والدين والپروپاغندا السياسية.

وأخيرًا، استهدفت المنشورات الألمانية أيضًا مناطق أخرى في الشرق الأوسط؛ في سورية ولبنان وفلسطين وغيرها. وقد نقلت جريدة **نيويورك تايمز** (*New York Times*) أن الدعائيين النازيين في الشرق الأوسط يصوِّرون هتلر على أنه «حامي حمى الإسلام»(٧٢)؛ ففي أغسطس/ آب من عام ١٩٤٢، على سبيل المثال،

ألقت الطائرات الألمانية مئتين وستة وتسعين ألف نسخة من المنشورات على سورية، تحذر فيها من دولة يهودية كبرى ستنشأ بعد الانتصار الأنكلو-أمريكي، وتنتزع مساحات شاسعة من الشرق الأوسط، وأن الأمل «بعون الله» في هزيمة الحلفاء[٧٣]. وكذلك أنتجت برلين خمسين ألف نسخة من منشور دعائي يحمل صورًا لاجتماعات الحسيني مع ضباط وحدات الحماية المسلمين للتوزيع في شرق المتوسط[٧٤]. ويبدو أن الدعائيين النازيين في سورية ولبنان نشروا أنشودة تقول: «لا مسيو ولا مستر؛ الله بالسما وفي الأرض هتلر»[٧٥]. وفي قلب ديار الإسلام، وزع العملاء اليابانيون منشورات بين صفوف الحجيج في مكة، تدعو جميع المسلمين للتوحُّد، حاشدة إيَّاهم للجهاد، ومقدِّمة هتلر بوصفه أنموذجًا لرجل الدولة ذي الشجاعة والكفاية اللازمتَين للتصدِّي للبريطانيين»[٧٦].

وكذلك خرجت البروپاغندا الألمانية المطبوعة في العالم العربي في هيئة كرَّاسات وجرائد؛ كان من أبرزها جريدة **بريد الشرق** التي قام على تحريرها كمال الدين جلال من المعهد الإسلامي المركزي في برلين، وموَّلتها وزارة الدعاية . وقد نُشر من الجريدة ووُزِّع منها خمسةٌ وخمسون عددًا في أثناء الحرب، وخصة بين السكان في ميدان الحرب في شمال إفريقيا وأسرى الحرب المسلمين، وعلى الرغم من نمو معدَّل تداولها، إلَّا أن النُّسخ في كلِّ عدد لم تزد عن خمسة آلاف نسخة. وقد اعتمدت مقالات **بريد الشرق** على موضوعات دينية، إلى جانب التحريض المعتاد ضد البريطانيين والشيوعيين واليهود[٧٨]، وتناولت قمع الدين في الاتحاد السوڤييتي واستغلال الأمريكان والإنكليز للعالم الإسلامي من ناحية، ومن ناحية أخرى صداقة الألمان للإسلام وأنشطة المعهد الإسلامي المركزي في برلين. نشرت الجريدة أيضًا خطبًا عدَّة لبعض أعضاء النخبة النازية، وللحسيني (متضمنة دعواته للجهاد)، وخطبة شيخ الأزهر العجوز محمَّد مصطفى المراغي بمناسبة موسم الحجّ في عام ١٩٤٤، وذلك على الرغم مما ذاع عنه من المَيل للبريطانيين. وكان من بين المُسهمين في الجريدة، من الداعين إلى الوحدة الإسلامية، اللبناني شكيب أرسلان، وعبد الرشيد إبراهيم الذي أصبح إمامًا لمسجد طوكيو بعد خدمته

لألمانيا في الحرب العالمية الأولى، وهو ما صبغ الجريدة بصبغة إسلامية جامعة. وقد كتب يوهان فون ليرز عن قضايا من قَبيل: معاناة المسلمين في الهند، والتنافر بين الشيوعية والإسلام. وكذلك أصدر محرِّرو **بريد الشرق** منشورًا باللغة العربية بعنوان: **الإسلام واليهود**، استند إلى مقالات أصدرتها الجريدة سابقًا حملت العنوان نفسه، ووُزِّع منه العديد من النسخ في تونس[٧٩]. وفي ربيع عام ١٩٤٢، نقلت القنصلية الألمانية في طنجة، في تقرير لها، «مصادرة» الموظفين الإسبان لبعض صناديق المنشور[٨٠]. وتشير الملفات المحفوظة في وزارة الخارجية في برلين إلى أن توزيع **بريد الشرق** في منطقة طنجة كثيرًا ما أثار الشِّقاق بين المسئولين الألمان والإدارة الإسبانية المحلية في أثناء حملة شمال إفريقيا[٨١].

أما وحدات الحماية النازية فلم تلعب إلَّا دورًا محدودًا في جهود البروپاغندا الألمانية الموجَّهة إلى الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وربما كان أبرز الأمثلة على ذلك هو محاولتها تصوير هتلر بوصفه رمزًا دينيًّا؛ فقد أشار شتورر في مذكِّرة له بالفعل إلى أن القرآن «يحتوي على بعض السور التي يمكن لأي فقيه مسلم تأويلها بسهولة لتشير إلى خروج فوهرر»[٨٢]. وفي الرابع عشر من مايو/ أيار لعام ١٩٤٣، وبعد شهرين من هزيمة الجيش الألماني في شمال إفريقيا، أمر هملر مكتب أمن الرايخ الرئيسي بـ «البحث عن أيَّة آيات قرآنية تصلح أن تُبرهن للمسلمين على صحة الرأي القائل بأن القرآن قد تنبأ بالفوهرر، وأنه مخوَّلٌ باستكمال عمل النبي [ﷺ]»[٨٣]، وبعد قرابة أربعة أشهر، قال إرنست كالتنبرونر رئيس مكتب أمن الرايخ الرئيسي إنه لا توجد آيات في القرآن يمكن استخدامها، لكن بعض المسلمين يعتنقون عقائد مشيحانية تُلمح إلى «رجوع نور النبي [ﷺ]»، ويمكن «ربطها بالفوهرر»[٨٤]، وأشار في خطاب آخر إلى فكرة «المهدي» التي قال إنها فكرةٌ مركزية في «الإيمان الإسلامي بالآخرة»؛ «فمن المفترض أن يظهر المهدي في آخر الزمان للدفاع عن الدين ونُصرة العدل»[٨٥]، وبالفعل، كانت الأفكار المشيحانية سائدةً في العالَمين الشيعي والسُّني لقرون؛ حيث عرقلت الانتفاضاتُ المَهدوية القوى الإمپريالية عدَّة مرَّات منذ أواخر القرن التاسع عشر[٨٦]، وكان خبراء كالتنبرونر على دراية بذلك على الأرجح. ومن

ناحية أخرى، أقحَم كبيرُ مساعدي هملر، رودولف برانت (Rudolf Brandt)، مكتب الوحدات الرئيسي التابع لغوتلوب برغر، وكذلك مركز الأبحاث التابع للوحدات (مركز الإينينيربه) في دعم البحث في هذا الموضوع، على الرغم من عدم قدرة كليهما على تقديم أي جديد[٨٧]. وسرعان ما نقل برغر أن خبراء الإسلام لديه لم يستطيعوا العثور على أي شيء مفيد[٨٨]. وطلب ڤولفرام زيفرس (Wolfram Sievers)، مدير الإينيربه، مساعدة باحث الشئون الهندية الشهير ڤالتر ڤوست (Walther Wüst)، رئيس جامعة ميونخ، لكنه بدوره قدَّم تقريرًا عديم الفائدة[٨٩]. لكن بعد فترة أحرز المسئولون في مكتب أمن الرايخ الرئيسي بعض التقدم؛ ففي السادس من ديسمبر/ كانون الأول من عِام ١٩٤٣، أرسل كالتنبرونر تقريرًا آخر لهملر يحتوي على بعض النتائج العملية؛ فقد توصَّل خبراء قسم «الشرق» البحثي في مكتب أمن الرايخ الرئيسي إلى أن «الفوهرر» لا يمكن تصويره «لا بوصفه نبيًّا ولا مهديًّا»، لكن يمكن الدعوة له -بشكل مناسب- «بوصفه المسيح العائد، الذي تنبأ به القرآن، والذي سيهزم الدجَّال ملك اليهود العملاق في آخر الزمان، تمامًا كالفارس جورج»[٩٠]. وبذلك أصدر مكتب أمن الرايخ الرئيسي منشورًا دعائيًّا بالعربية؛ يقول المنشور مصوِّرًا العدو اليهودي في صورة الدجَّال:

«لقد عُلِّمنا أن الدجَّال وحشٌ سيُضِل الناس ويفتِنهم، وأنه سيخرج في آخر الزمان، وسيكون ذلك زمن اضطهاد رهيب للمؤمنين. لقد قال المؤرِّخ العربي [كذا وردت] الشهير أبو جعفر محمَّد بن جرير الطبري إنَّ الدجَّال ملك يهودي عملاق سيحكم العالم كله. وقال محمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله الجُعفي البخاري إنَّ الدجَّال سمين ذو شعر جعد. أيها العرب: ألا ترون أن زمن الدجَّال قد حل؟ ألا تعرفونه؛ ذلك اليهودي السمين جعد الشعر الذي يضل العالم أجمع ويحكمه ويسطو على أرض العرب؟ إنه وحش حقيقي، وإن حلفاءه لشياطين! لكننا عُلِّمنا أن حكم الدجَّال قصير الأمد؛ فقد قال عبد الله بن عمر البيضاوي إنَّ الله سيرسل عبده ليقتل الدجَّال برمحه ويدمر قصورَه. أيها العرب، أتعرفون من هو عبد الله؟ لقد ظهر بالفعل، وقد أدار رمحه إلى الدجَّال وحلفائه وأدماهم. إنه، كما عُلِّمنا، سيقتل الدجّال ويدمر قصوره ويرسل حلفاءه إلى الجحيم»[٩١].

وعلى الرغم من أن المَهدي والدجَّال وعيسى [ﷺ] رموز بارزة في الأُخرويات الإسلامية، إلَّا أن هذه الصورة التي قُدِّموا بها كانت مستحدَثة. أبدى هملر موافقته على النصِّ فورًا، وأمر بطباعة المنشور[٩٢]، فأنتجت وزارة الدعاية مليون نسخة[٩٣]. قد تبدو فكرة المنشور سخيفةً اليوم، لكن كما أسلفنا، كانت فكرة الثورة المَهدوية قد أثبتت أنها قوةٌ أساسية مثيرة للشغب في الإمبراطوريات الأوروبية في العقود السابقة، كما أن المشيحانية أثبتت دائمًا أن لها مفعولها الخاص في فترات الحروب.

لكن الدعوة لهتلر وأفكاره على أنها أفكارٌ إسلامية لم يكن جديدًا؛ فمبكرًا في عام ١٩٣٨، أصرَّ ڤيرنر أوتُّو فون هينتغ على طلب المساعدة من أحد علماء القرآن لترجمة **كفاحي** إلى العربية[٩٤]؛ إذ وجَب أن تخرج الترجمة متسقةً مع الإسلام، ومُصاغةً بـ «النغمة المَهيبة» نفسها التي يتسم بها القرآن، وهي النغمة «المفهومة والمقدَّرة» في «العالم الإسلامي أجمع». لقد كان من الضروري إضفاء دلالات دينية على رسالة هتلر السياسية، «فإن نجح ذلك، ستجد الترجمة العربية لكتاب الفوهرر أرضًا خصبة وقبولًا من المغرب إلى الهند». واقترح هينتغ أن يهدي المبعوثون الألمان في مكة أولى نسخ الترجمة للزعماء المسلمين في أثناء الحج. وكتبت جريدة (*L'orient*) [بالعربية: **الشرق**] الموالية للبريطانيين في بيروت عن هذه الخُطط قائلة: «يُعِدُّ المستشرقون الألمان نسخة محرَّفةً من القرآن لأغراض سياسية. إنهم يعرضون مقاطع من **كفاحي** في صورة آيات قرآنية؛ كي يعتقد المسلمون أن هتلر رسولٌ من عند الله، وأن كتابه موحى به»[٩٥]. ونشرت الجرائد الأوروبية مقالات شبيهة[٩٦]. وقد حاولت وزارة الخارجية أكثر من مرة ترجمة **كفاحي** إلى العربية، وبحلول الثلاثينيات كان هناك بعض المقتطفات العربية من الكتاب تُتداول في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، لكن ترجمة الكتاب لم تكتمل مطلقًا قبل نهاية الحرب[٩٧]. وكان شكيب أرسلان أبرز المكلَّفين رسميًّا بترجمة الكتاب في الثلاثينيات، لكنه لم يُتِمَّ الترجمة[٩٨].

وفي أواخر الحرب، وبعد فترة طويلة من مغادرة الألمان للمغرب العربي، بدأت منشورات البروباغندا في استهداف الجنود المسلمين في صفوف جيوش الحلفاء

استهدافًا خاصًا، وبنبرة دينية قوية، حضَّت المنشورات جنود شمال إفريقيا المقاتلين في أوروبا على «الإفاقة» من «غفلتهم» لينضموا إلى «أصدقائهم الألمان» ويستخدموا أسلحتهم ضد عدوهم لتحرير بلادهم و«نَيل رضا الله»[٩٩]. وذكَّر منشورٌ آخر «محاربي شمال إفريقيا البواسل» بما ارتكبه في حقِّهم «الطغاة المستبدون»، فقد استولوا على بلادهم ومنحوها لليهود والبلاشفة؛ «أعدى أعداء الإسلام»، وختم المنشور قائلًا: «كبيرة الكبائر أن تقاتل إلى جانب أعدائك وتخون بلادك وتعصي تعاليم دينك وأوامره. لماذا تقاتل إخوانك الألمان؛ أصدقاءك وأحبابك؟»[١٠٠]. وادَّعى منشور آخر أن انتصار الحلفاء قد يُطيل استعباد بلاد العرب ويزيد من ضعف «الإسلام كله»، زاعمًا بنبرة مثالية عالية: «واجبك هو الدفاع عن وطنك ودينك؛ فاحفظ دماءك لهذه الغاية الشريفة»[١٠١]، وقد مُهِر المنشور بتوقيع الحسيني، مثل هذا النداء الآخر الذي رنَّت جوانبه بالدعوة للتضحية:

> «أنت اليوم في طريقك للموت! فإن أردت بذل نفسك، فلا يجوز لك أن تبذلها إلَّا في سبيل الله وسبيل وطنك؛ فهذه ميتة الشهيد المخلَّد في جنة الله أبدًا، وإن بذلتها في سبيل أعدائك الحلفاء، حماة اليهود وأعداء الإسلام والنبي [ﷺ]؛ فهذه ميتة الخونة، الملعونين في الدنيا، الذين يلقَون العذاب الأليم في الآخرة»[١٠٢].

وفي المجمل، تضمَّنت المنشورات الألمانية الموزَّعة على شعوب شمال إفريقيا والشرق الأوسط مجموعةً متنوعةً من الموضوعات، تراوحت بين مدح التفوق العسكري الألماني والهجوم على أعداء ألمانيا، ومع ذلك، كان حضور الإسلام فيها مركزيًا. وبالاعتماد على النصوص الدينية من الآيات القرآنية وخلافه، سعت المنشورات المصاغة بلهجة دينية إلى الإفادة من مرجعية الإسلام الكلية في سبيل دعم رسائلها السياسية العنيفة. لكن العائق الأكبر كان الأُميَّة المستشرية في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، والتي حدَّت بشدة من تأثير البروباغندا، حتى إن أخذنا في الاعتبار أن المتعلِّم سيقرأ المنشورات لغيره وينشر رسالتها شفهيًا. أما مادية المنشور، أي التصميم باللون والشكل والرسومات، فكانت تعوِّض ذلك إلى حدٍّ ما، وكان

الأكثر شيوعًا هو استخدام اللون الأخضر، وشكل (**الخميسة**)، وأحيانًا الطعم والرائحة، وجميع الوسائل التي يمكنها مخاطبة جمهور أمِّي، وأخيرًا، تطلَّب الأمر اللجوء إلى وسيلة جديدة لتجاوز عقبة الأمِّية، هي البثُّ الإذاعي.

الإسلام والپروپاغندا الإذاعية في شمال إفريقيا والشرق الأوسط

كانت پروپاغندا برلين الإذاعية الموجَّهة لشمال إفريقيا والشرق الأوسط أشدَّ فعالية في نشر رسالة ألمانيا عن الثورة الدينية من المنشورات والجرائد. فإيطاليا الفاشية كانت قد أطلقت خدمة بثٍّ عربية من إذاعة باري (Bari) مبكرًا في عام ١٩٣٤[١٠٣]. وفي عام ١٩٣٩، وقبل أشهر من اندلاع الحرب، شرعت برلين أخيرًا في بثٍّ برامج قصيرة موجهة للمغرب العربي والشرق الأوسط. وقد تصاعدت وتيرة هذه الجهود بقوة عقب إرسال هتلر جنوده إلى شمال إفريقيا، وأصبحت المحطات الألمانية تبثُّ دعايتها يوميًّا لتصل إلى أبعد من ذلك، حتى وصلت مكةَ والمدينة. وكان «إذاعة المحور تلتحف بالإسلام» عنوانَ مقال رئيس في **نيويورك تايمز** في أثناء الحرب في المغرب العربي، يحذِّر من محاولات «تلقيح بذور السخط التقليدية التي تنمو في العالم الإسلامي»[١٠٤].

كان جهاز الإرسال الرئيس للپروپاغندا الألمانية الموجَّهة إلى شمال إفريقيا والشرق الأوسط (إذاعة برلين) يقع في بلدة تسيزن (Zeesen) الصغيرة جنوب برلين[١٠٥]؛ فمنذ أولمپياد برلين في عام ١٩٣٦، استضافت المدينة أحد أقوى أجهزة إرسال الموجات القصيرة في العالم، الذي أضحى القلب النابض للپروپاغندا النازية في أثناء الحرب، وبدءًا من عام ١٩٣٩ فصاعدًا، كانت تسيزن تُبثُّ بالعربية الفصحى يوميًّا، وسرعان ما أضافت اللهجات المغاربية، وقُرِّر بثُّ برامج موجَّهة للأتراك والإيرانيين والهنود. وفي الواقع، كان لـ «مكتب الشرق» في محطة الإذاعة التي أدارها الصحفي غوستاف بوفينغر (Gustav Bofinger)، أولوية مطلقة على جميع مكاتب البثِّ الأجنبي في تسيزن[١٠٦]؛ لقد كان يعمل به قرابة الثمانين موظفًا، بين كُتَّاب ومترجمين ومذيعين[١٠٧]. ومع تصاعد لهيب الحرب، استخدم الألمان

محطاتٍ أخرى في أوروبا المحتلَّة، فبثُّوا باللهجات المغاربية وبالأمازيغية من باريس (إذاعة باريس-مونديال)، وبعد ذلك بالعربية الفصحى من أثينا (إذاعة أثينا)، واستمرت إذاعة برلين في البثِّ طَوال فترة الحرب حتى أُغلقت في النهاية في إبريل/ نيسان من عام ١٩٤٥.

نسَّقت وزارة الدعاية برنامج البروپاغاندا، وخاصةً إدارة الإذاعة فيها، مع خبيرها في الشرق الأوسط ليوپولد إتز فون ميلدنشتاين (Leopold Itz von Mildenstein)، ووزارة الخارجية، وإدارة الدعاية في القيادة العليا للقوات المسلَّحة الألمانية، ووقعت المسئولية الأساسية عن محتوى الدعاية الموجَّهة لشمال إفريقيا والشرق الأوسط على كاهل وزارة الخارجية، وخاصةً إدارة الإذاعة التي أدارها النازي المخضرم غيرد روله (Gerd Rühle) ونائبه الشاب كورت غيورغ كيسنغر (Kurt Georg Kiesinger)، الذي أصبح مستشار الجمهورية الفيدرالية بعد ذلك، وقد أشرف على قسم الشرق فيه كورت مونسِل (Kurt Munzel)[١٠٨]. وكذلك انخرط قسم الشرق، الذي قام عليه إرنست ڤيرمان في الإدارة السياسية، في العملية. وقد اتُّفِق على الموضوعات الأساسية للبرنامج في اجتماعات أسبوعية لما سمِّي لجانًا مناطقية من الخبراء المنتَمين إلى إدارات مختلفة في وزارة الخارجية لكل دولة؛ فقد أدار فريتز غروبًّا «اللجنة العربية» لفترة طويلة على سبيل المثال، ، وكان عالم چان إدريس من بين الموظفين المسلمين، وعمِل في الإذاعتين العربية والتركية[١٠٩].

عيَّن الألمان بعض الشخصيات البارزة؛ إذ كان المذيع الرئيس في النسخة العربية الرسمية من إذاعة برلين هو الصحفي العراقي يونس بحري[١١٠]. في أوائل عام ١٩٣٩ وصل بحري، الذي كان في نهاية ثلاثينياته، إلى العاصمة الألمانية ليبدأ عمله من فوره في تسيزن. وقد أشار تقرير استخباراتي بريطاني إلى أن «برلين ما كان لها أبدًا أن تجد أنسب من بحري ليكون أداتها الدعائية عبر الإذاعة ... فلم يشتهر بحري بشيء قدر بذاءته، ومكائده، وقدرته الفائقة على اختلاق الأكاذيب والشائعات، وفوق كلِّ شيء، كان على استعداد دائم للعمل مع كلِّ من يدفع له مقابلًا جيدًا»[١١١]. جاب بحري العالمَ الإسلامي، بوصفه ناشطًا فاعلًا في مناهَضة الاستعمار، وعَمِل

أولًا دعائيًّا سياسيًّا في الهند الشرقية الهولندية، ثم استقر في العراق حيث أصدر جريدةً وعمِل مذيعًا في إذاعات الدولة، ومن خلال صوته الحاد وخطاباته العدائية وقدرته الملحوظة على رفع صوته، سرعان ما أضحَت برامجه الإذاعية العلامةَ المميِّزة لخدمة ألمانيا العربية. وقد أشار العجوز ماكس فون أوپِّنهايم، الذي التقى بحري في برلين وقت الحرب، بعد ذلك إلى أنه «كان رجلًا نصف متوحش، متوهجًا للغاية، يهوى إحاطة نفسه بالألمانيات الشابَّات، وذا صوت جيد في البثِّ أكثر من أيِّ عربي آخر في برلين؛ ولمزاجه الحادِّ وفظاظته، اعتاد صفع زملائه في محطَّة الإذاعة على سبيل التنمُّر»(١١٢).

ورغم أن بحري كان أبرز مذيع عربي في برلين، استعان الألمان بمتحدثين آخرين من جميع أنحاء العالم العربي تقريبًا(١١٣)؛ وكان من أبرز هؤلاء الرمز الديني تقي الدين الهلالي، الفقيه المغربي والمفكر الوحدوي الإسلامي والناشط المناهِض للاستعمار الذي حاز شهرةً عالمية بعد الحرب بوصفه مترجمًا للقرآن إلى الإنكليزية(١١٤). درس الهلالي في ألمانيا في فترة ما بين الحربين وكان تلميذًا لرشيد رضا قبل أن ينضم إلى إذاعة برلين بتوصية من ريتشارد هارتمان ومستشرقين آخرين، وسرعان ما أصبح بدوره أحد أبرز المحرِّضين الإذاعيين العرب في تسيزن .

وعلى الرغم من أن الألمان هم من كانوا يحدِّدون محتوى البرنامج، كان لدىالمتحدِّثين مساحة من الحرية للتلاعب بالمحتوى؛ فسرعان ما اشتكى أحد خبراء الشرق الأوسط في وزارة الخارجية من أنه بعد تجارب البثِّ الأولى، أضفى المذيعون المسلمون، «وتحديدًا المذيع العراقي يونس بحري»، على البرنامج «مَسحةً شخصية ... لا تخدم مصالحنا بالضرورة»(١١٥). وعلى الرغم من أن الألمان هم من كانوا يضعون نصوص الپروپاغندا، وأنهم استحدثوا نظامًا محكَمًا للسيطرة على المترجمين والمذيعين، استطاع بحري طرح رسائله الخاصة، غير مرة. واحتجَّ الموظَّف قائلًا: «ليس سرًّا أن المذيع يونس بحري قد عدَّل مرارًا في النصِّ المرسَل إليه»؛ ولمَّا كانت هذه التعديلات هامشية في الغالب، لم يكن عالم چان إدريس، المسئولُ عن مراجعة المادة المسجَّلة قبل بثِّها، يتدخل في الأمر. وكذلك كانت

مرحلة التعديل، أي المرحلة التي تسبق البرنامج الرسمي عند تعديل طول الموجات، بمثابة فرصة أخرى للمذيعين للتلاعب بالمحتوى، فعلى الرغم من أن المذيعين كان يفترَض بهم الردُّ على رسائل المستمعين في هذه الفترة، إلَّا أن بحري عادةً ما استخدمها لطرح آرائه الخاصة[١١٦]. وفي مذكراته، أظهر بحري نفسَه على أنه كان يدير المحطة وحده تقريبًا، وأشار إلى نفسه بـ «عميد البثّ الإذاعي الألماني في الخارج»، في حين همَّش، على سبيل المثال، دورَ إدريس، «المجاهد التركستاني المسلم»، بوصفه «مترجمًا بالقطعة» لديه[١١٧].

تصاعدت أهمية الإذاعة المقدَّمة بالعربية الفصحى عند الألمان، بعد أن وصلت إلى مستمعين لا في الشرق الأوسط فحسب بل في أجزاء عدة من المغرب العربي أيضًا، وتقدِّم لنا نصوص البرنامج العربي مصدرًا ثريًّا للمعلومات حول محتوى البروپاغندا النازية الموجَّهة لشمال إفريقيا والشرق الأوسط[١١٨]؛ ولأن هناك بالفعل عرضًا عامًّا للبرنامج[أ]، لا تركز الفقرات التالية إلاَّ على حالات منتقاة؛ إبرازًا لدور الشعارات والمصطلحات والخطابات الدينية في هذه الإذاعات[١١٩].

كان برنامج إذاعة برلين المقدَّم بالعربية الفصحى متفردًا للغاية عن بقية الإذاعات الموجودة في المنطقة، وقُدِّم عادةً بنبرة تجمع بين الحدَّة والإثارة. كان البثُّ يبدأ عادةً بإذاعة آيات قرآنية، وهي فكرة عالم چان إدريس[١٢٠]، وحرص دعائيو وزارة الخارجية بشدَّة على الحصول على تلاوات من بلدان العالم الإسلامي؛ إذ كانوا على قناعة بأنها أكثر أصالة من مثيلاتها التي أُنتجت في الرايخ، وبعد احتلال تونس، على سبيل المثال، لم يتوانَوا عن تسجيل تلاوات لأئمة تونس المحليين[١٢١].

وكما كانت الحال مع البروپاغندا المطبوعة، استُخدم الدين في هذه البرامج لتصوير الإمبراطورية البريطانية والولايات المتحدة والبلشفية واليهودية أعداءً للإسلام. وربما كان الموضوع الأبرز دعوة برلين لمقاومة الحكم البريطاني؛ ففي التاسع والعشرين من يوليو/ تموز من عام ١٩٤٢، عندما تقدَّم رومل نحو القاهرة، أعلنت الإذاعات الألمانية أنه «يجب على المسلمين، أينما أسرف البريطانيون في

(أ) في المصادر الواردة في الحاشية رقم ١١٨ من حواشي الفصل الثالث. (المترجم)

طغيانهم وتسلُّطهم، الاستعانة بالله على قتالهم»[١٢٢]. وسَعَت إذاعة برلين العربية سعيًا حثيثًا لئلا يغفُل المسلمون عن هذا «الطغيان»، فنقلت مرارًا عن الاضطهاد البريطاني (المزعوم) للمسلمين حول العالم؛ إذ رثَت «شهيدًا» أُعدِم في فلسطين بوصفه «بطلًا يذكِّرنا في قتاله في سبيل الحرية بصحابة النبي [ﷺ]»[١٢٣]، واستَخدمت قصصًا عن حوادث اضطهاد بريطاني (مزعومة) للمسلمين في الهند لتعلن أن «البريطانيين هم العدو الأخير للإسلام»[١٢٤]، وكذلك نقلت قمع البريطانيين للحركات الإسلامية في مصر؛ مدَّعيةً أن البريطانيين «ينشرون الفجور» في الأراضي الإسلامية، وأنهم مسئولون عن «جرائم ارتُكبت بحقِّ الإسلام»[١٢٥]. ومن بين الموضوعات الدينية المركزية: عدمُ احترام البريطانيين للمساجد والأماكن المقدسة؛ إذ نقل أحد ضباط مكتب معلومات الحرب الأمريكي في أكتوبر/ تشرين الأول من عام ١٩٤١ أن «البروپاغندا الإيطالية والألمانية تشدِّد دائمًا على تدمير الغارات البريطانية للأماكن المقدسة»[١٢٦]. وفي صيف العام التالي، زعمت إذاعة برلين العربية أن لندن استخدمت المدن المصرية لتكون مخازن ذخيرة ومعسكرات لجنودها، ومن ثمَّ عرَّضت الآثار التاريخية والمساجد لضررٍ محتمل[١٢٧]. وأنحَت الإذاعة بلائمة إسقاط الخلافة وحظر الاحتفالات الدينية في مصر على لندن[١٢٨].

ففي شتاء عام ١٩٤٢، أفادت إذاعة برلين أنه نظرًا لخشية البريطانيين من اجتماع المسلمين؛ حظرت سفر الحجيج في مصر والهند[١٢٩]. وكذلك ردَّت برلين على «مزاعم بثَّتها إذاعات الأعداء» عن أن الغواصات الألمانية كانت مستعدةً لضرب سفن الحجيج[١٣٠]؛ فأكدت الإذاعة للمُستمعين على أن القوات الألمانية لن تهاجم أية سفينة تحمل حجيجًا؛ أيًّا يكن العَلَم الذي ترفعه، طالما أنها أُعلمت بالجدول الزمني مسبقًا، وبعد فترة، عندما نُقل خبر الوصول الآمن للحجيج المصريين إلى شبه الجزيرة العربية، فاخرت الإذاعة بأنه «من الواضح أن سفن الحجِّ التي عبرت البحر الأحمر قد وصلت بأمان إلى جدَّة؛ لأن قوات المحور أرادت ذلك»[١٣١]، وادَّعت برلين أن الحكومة البريطانية حاولت -بأقصى استطاعتها- إفساد الحجِّ. وبمناسبة موسم الحجِّ التالي في سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٤٣، اتهمت تسيزن بريطانيا بمنع الحجَّاج الفلسطينيين والهنود من السفر[١٣٢]، وقبل ذلك بشهر، أعلنت المحطة أن

«الديغوليين، أولئك الدجَّالون الذين نصَّبهم البريطانيون في سورية، قرروا حظر الحجِّ برًّا وبحرًا»[١٣٣]. فرجال فرنسا الحرة وأمثالهم كالبريطانيين تمامًا في «بغضهم، لا للمسلمين فحسب، بل للدين الإسلامي نفسه». إن لندن كانت تعي أن «المسلمين إن توحدوا، فلن تهزمهم أيَّة قوة على الأرض أو تُرهبهم». وبعد فترة، غدت إذاعة برلين أكثر صراحةً؛ فقد ادَّعى المذيع، مستخدمًا بياناتٍ إحصائية، أن أربعمئة مليون مسلم سيشكلون قوةً أكبر بكثير من قوة الحلفاء، وأعلن أن «هذه القوة المسلمة ستقف لبريطانيا بالمرصاد إن هي أبت النزول على رغبات المسلمين وتطلُّعاتهم»[١٣٤].

لقد كان الداعم الرئيس والمستفيد الأول من هجوم البريطانيين على الإسلام، وبالطبع من الإمبريالية الأوروبية بشكل عام، وفقًا لإذاعة برلين، هم اليهود، وبالفعل، كلما اقتربت قوات روميل من القاهرة؛ اشتدَّ التحريض ضد اليهود؛ ففي أوائل يوليو/ تموز من عام ١٩٤٢ عندما عبر روميل الحدود المصرية، زعم المذيع العربي أن اليهود يفرُّون من البلاد: «ونحمد الله مرةً أخرى على أن مصر ستتطهَّر من رجس هؤلاء السفلة المفسدين»[١٣٥]. وفي الشهر التالي عندما اقترب جيش المدرعات الإيطالي الألماني من قلب مصر، أعلنت إذاعة برلين أن «اليهود يخططون لانتهاك حرمات نسائكم وقتل أولادكم وتدميركم. والدين الإسلامي يأمرنا بالدفاع عن النفس، وهو ما لن يتحقق إلَّا بإهلاك اليهود»[١٣٦]؛ وبالفعل، دعا المذيع للعنف صراحةً بقوله «اقتلوا اليهود قبل أن يقتلوكم». وفي ربيع عام ١٩٤٣، وبعد أن غادرت القوات الألمانية قارة إفريقيا، أكدت إذاعة برلين لمستمعيها تضامن المسلمين في الصين واليابان والهند وبقية أنحاء العالم، وهم الذين وقفوا معًا يدًا واحدة في وجه أعدائهم، والأهم من ذلك، ضد اليهود[١٣٧]. وبنهاية ذاك العام، زعمت الإذاعة أن القرآن لعن اليهود؛ لـ «خبثهم»، وأن «محمَّدًا [ﷺ] بغضهم؛ لأنهم حاولوا قتله غيلة»[١٣٨]. ومستندًا إلى القرآن، صرَّح أحد الخطباء التعبويين العرب في إذاعة برلين بعد شهر أن «أشدَّ الناس عداوةً للإسلام هم اليهود، وقد كانوا كذلك دومًا»[١٣٩].

واستمرت تسيزن في بثِّ هذا النوع من الخطابات المناهِضة لليهود بلا هوادة، وربما كان أبرزها خطاب الكراهية الشهير الذي ألقاه الحسيني في الأول من مارس/ آذار

من عام ١٩٤٤، وهاجم فيه اليهودية هجومًا عنيفًا، قائلًا: «اقتلوا اليهود حيث ثقفتموهم، في سبيل الله والتاريخ والدين»[١٤٠]. ومن الجدير بالذكر أن إذاعة برلين لم تحاول إثارة القلق فيما يتعلّق بالاحتلال اليهودي لفلسطين فحسب، بل تجاوزت ذلك لتوظِّف السرديات والصور النمطية ونظريات المؤامرة النازية حول اليهود، ودعت في النهاية إلى اجتثاثهم. وبالفعل، دمجت الپروپاغندا الألمانية الإسلام في التَّحريض ضد اليهود إلى درجة لم نعرفها حتى اليوم في العالم الإسلامي الحديث.

أما الپروپاغندا المناهِضة للأمريكان فكانت في المجمل أقل شحنًا على المستوى الديني؛ فلَم يستخدم المذيعون في ألمانيا الإسلام إلَّا في مناسبات معينة؛ بغية إظهار الأمريكان أدنى درجة من الناحية الثقافية والأخلاقية؛ فعلى سبيل المثال، أعلنت [إذاعة] برلين بحدَّة في الخامس من سبتمبر/ أيلول لعام ١٩٤٢، قائلة:

> «لم نندهش عندما بثَّت إذاعة بوسطن منذ أيام حديثًا أثار الكثير من الاستهزاء؛ إذ بدأ البرنامج بموسيقى رقص شاذَّة، ثم صرخ مذيع قائلًا: «الله أكبر». إنهم قومٌ لا يعلمون أيُصلُّون لله أم للشيطان. إنها أمة من الغرباء ذوي الأعراف الغريبة. والآن، يجرؤ هؤلاء الأمريكان، الذين يطئون بأقدامهم مشاعر المسلمين بأفعالهم ونمط حياتهم اللاديني، على القول بأن الألمان لا يُجِلُّون الدين»[١٤١].

وفي العام التالي، أنحَت إذاعة برلين العربية باللائمة على الأمريكان؛ كونهم «عبيدًا للمال»، وانتهازيين، وذوي معايير أخلاقية متدنِّية، مؤكدةً أن «الجهود الأمريكية ستتحطم على صخرة قاسية؛ صخرة الإسلام»[١٤٢].

وأخيرًا، استخدم المكتب العربي في إذاعة تسيزن الإسلام في التحريض ضد السوڤييت؛ فعلى شفير معركة العَلَمين، وحين كانت المدرَّعات الألمانية تجول في شمال القوقاز، أعلن المذيع في برلين أنه «يجب علينا محاربة البلشفية كما حاربنا اليهود والإمپرياليين»[١٤٣]. ومع انسحاب القوات المُسلَّحة الألمانية من جبال القوقاز بعد بضعة أشهر، نقلت إذاعة برلين قصصًا مروِّعة عن الاضطهاد السوڤييتي للمسلمين في المنطقة: «كان الأئمة يُعدَمون شنقًا في الأماكن التي يُعظِّمها

المسلمون، كالمساجد والمدارس الإسلامية، أو يطلَق عليهم النار أمام أتباعهم وأقربائهم». وبالفعل، كانت قصص اضطهاد ستالين (Stalin) للمسلمين وتدمير الإسلام في الاتحاد السوفييتي تُبَثُّ كل بضعة أسابيع. وذُكِّر المستمعون مرارًا بإغلاق المساجد وحظر الشعائر الإسلامية: «إن روسيا كانت وما زالت الدولة الأكثر عداءً للمسلمين»[١٤٤]. وفي ربيع عام ١٩٤٣، بُثَّ برنامج إذاعي عن «الشيوعية والإسلام»، معبأ بقصص المجازر وإغلاق المساجد: «إن الشيوعية قامت على اتِّباع الشيطان»[١٤٥]. وبعد بضعة أشهر، تلا المذيع العربي نصَّ خطاب أرسله اثنان من جنود المقاومة القوقازية إلى المراغي في القاهرة، يسردان فيه المآسي التي ارتكبها البلاشفة بحقِّ الإسلام[١٤٦]. وفي أواخر عام ١٩٤٣، أكَّدت تسيزن للمستمعين، في معرِض تحذيرها من التوغل السوفييتي في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، أن ستالين قد أدرك أن الإسلام «عقبة كؤود» أمام مخططاته؛ لأن المبادئ البلشفية والمبادئ الإسلامية «على طرفي نقيض»[١٤٧]. ولاحقًا في أغسطس/ آب من عام ١٩٤٤، أذاعت برلين أن موسكو «دمَّرت المساجد ... وأحرقت المصاحف ... ومنعت المسلمين من ممارسة شعائر دينهم ... إن البلشفية نقيضُ الإسلام»[١٤٨].

وفي المقابل، وسَمَت بروباغندا برلين الإذاعية العربية الألمانَ بأنهم حماةٌ للدين الإسلامي يوثَق بهم؛ فقد أُتبع «التصريح العربي»، في الخامس من ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤٠، ببيان إذاعي مفصَّل عن الصداقة الألمانية للعالم العربي والإسلام، مشدِّدًا على إرث الدراسات الألمانية للقرآن والتاريخ الإسلامي، وكذلك على إعجاب ألمانيا بالمسلمين، وفاخر المذيع قائلًا: «إن دراسات الباحثين الألمان قد أولَت شخص النبي [ﷺ] وسيرته عناية خاصة»[١٤٩]. وكذلك أشار البرنامج الألماني إلى ما زُعم أنها مبادئ يتشاركها الإسلام والنازية. وفي الثاني والعشرين من مايو/ أيار من عام ١٩٤٣، ركَّز حوارٌ عن «الإسلام والاشتراكية القومية» على فضيلة النظام التي افترضت أصالتها في القرآن وتعاليم الاشتراكية القومية معًا، إلى جانب «هيام بالقوة» لا حدَّ له، زُعم أنهما يتشاركانه[١٥٠]. وكانت تلك التقارير المتعلِّقة بحياة المسلمين تحت الاحتلال الألماني في أنحاء أخرى من العالم، وخاصةً البلقان

والأقاليم الشرقية؛ مهمَّة أيضًا؛ فقد أذاعت برلين، في الخامس من أغسطس/ آب لعام ١٩٤٢، أن السُّلطات الألمانية والإيطالية في ألبانيا تُرمِّم المساجد المهدَّمة[١٥١]. وفي حلقات متعددة، زعمت ألمانيا أنها تحمي المسلمين في جنوب شرق أوروبا من الجرائم التي يرتكبها في حقِّهم مقاتلو التشيتنيك (Četniks) الصِّرب والپارتيزان[أ] الشيوعيون بدعم من لندن وواشنطن[١٥٢]؛ ففي أوائل عام ١٩٤٤، نقلت الإذاعة تقريرًا مفصَّلًا عن غارة قاسية للپارتيزان الشيوعيين على قرية مسلمة، وزعمت أنهم استولوا على المسجد، وأرغموا جميع المسلمات على دخوله منتَوين الاعتداء عليهن داخله، ولم ينقذهن إلَّا سرعة وصول الجنود الألمان[١٥٣]. وبعد أشهر، أكَّد تقريرٌ أن «ألمانيا العظمى» على استعداد للدفاع عن حقوق مسلمي البلقان[١٥٤]. وبُعيد محاولة اغتيال هتلر في العشرين من يوليو/ تموز لعام ١٩٤٤، أعلن مذيع من تسيزن أن «مسلمي البلقان ابتهجوا بخبر نجاة الفوهرر بعد الحادثة الأخيرة»[١٥٥]، وأن صلوات الشكر قد أقيمت في جميع مساجد البلقان الجمعة الماضية»؛ لأن المسلمين، وفقًا للإذاعة، كانوا يعدُّون هتلر «منقذهم من البلاشفة المجرمين»[١٥٦]. وكذلك فاخرت برلين بسياساتها الدينية في الأقاليم الشرقية المسلمة، لكن بوتيرة منخفضة؛ ففي الثالث عشر من أكتوبر/ تشرين الأول لعام ١٩٤٣، على سبيل المثال، قيل للمُستمعين إن: «البلاشفة أعدموا عشرات الآلاف من القساوسة والعديد من العلماء المسلمين، ودمَّروا المساجد وصادروا الممتلكات وأضرموا النيران في المنازل، لكن عندما استولت الجيوش الألمانية على القِرم، أعادت للمسلمين حقوقهم وفتحت لهم مساجدهم»[١٥٧]. لكن مشكلة المتطوعين المسلمين في الجيوش الألمانية كانت أكثر حساسية، وقد أبانت هذه المعضلة عن نفسها، في الثاني والعشرين من مايو/ أيار لعام ١٩٤٤، عندما نقل البرنامج العربي أولًا أن

(أ) الپارتيزان عمومًا هو المقاتل اللأنظامي الحديث. والپارتيزان هنا: الميليشيات الشيوعية اليوغوسلافية بقيادة يوسيپ تيتو، التي قاتلت -مدعومة من السوڤييت والإنكليز معًا- النازيين وميليشيات التشيتنيك الأرثوذكسية الموالية للملَكية اليوغوسلافية السابقة ونظام الأوستاشا الكرواتي، في أثناء الحرب العالمية الثانية. تفصيلًا انظر: الفصل الخامس من هذا الكتاب، وانظر أيضًا: كارل شميت، **نظرية الپارتيزان: استطرادٌ حول مفهوم السياسي**، (القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، ٢٠٢٠). (المترجم)

الحلفاء يستغلون الجنود المسلمين من شمال إفريقيا ليكونوا «طعمة مدافع» على الجبهة الإيطالية، ثم أثنى بعدها بساعاتٍ قليلة على المسلمين الذين يقاتلون تحت لواء الألمان في البلقان[١٥٨].

وقد تجاوز توظيف ألمانيا للإسلام في دعايتها الإذاعية الموجَّهة للعالم العربي مجرد المقابلة بين أصدقاء الإسلام وأعدائه؛ إذ كانت إذاعة برلين تبثُّ برنامجًا دينيًا محضًا، يسمَّى **الأحاديث الدينية الأسبوعية** (*religiöser Wochentalk*)، ولم تكن الرسائل السياسية فيه إلَّا كامنة أو غير موجودة على الإطلاق. وقد شرح غيرد روله في مذكِّرة داخلية أن هذه البرامج كانت تهدف، في المقام الأول، إلى إثارة الاهتمام بالبرامج الألمانية عامةً، رغم أنه أضاف أنها اعتمدت على الدين بغية الحضِّ على ضرورة مقاومة الحكم الأجنبي[١٥٩]. كانت **الأحاديث الدينية الأسبوعية** تبدأ عادةً بمخاطبة المستمعين بعبارة: «أيها المسلمون» أو «يا عباد الله»، وهي صيحات للحشد كانت تتكرر، وكانت الغاية من الأحاديث تقديم النصائح الأخلاقية للمسلمين وتثقيفهم حول المسائل الأخلاقية والقيم الدينية. أُلقيت الأحاديث في شكل الموعظة، وكانت مفعَمة بالإشارات إلى القرآن وسيرة النبي [ﷺ] وسيرة السَّلف. ونصحت الأحاديث التي كان موضوعها «التقوى»، أو «الصدق» أو «حُسن معاملة الخدم والعبيد والحيوانات» أو «صدق الإيمان وقوته» أو «الحجّ»، المستمعين بالتقوى واتباع سنن النبي [ﷺ] وفكرة الأمة[١٦٠]. وأشار العديد من هذه الأحاديث بين ثناياه إلى أن المسلمين قد نالهم من الضعف ما نالهم؛ لأنهم انحرفوا عن منهج الإسلام، وأنه ما من سبيل لاستعادة قوَّتهم ومساعدتهم في الدفاع عن أنفسهم ضد أعدائهم، سوى الإحياء الديني؛ ففي حديث عن «الكَرم» في شهر ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤٠، على سبيل المثال، زعم المذيع أن الإمبراطورية الإسلامية استمدّت عظمتها من القيم الدينية، وأن الانحراف عن الإسلام استجلب «غضب الله ورسوله [ﷺ]»، وأدى إلى ما لحق ذلك من تدهور[١٦١]. وبعد شهر، أعربَ المذيع، في حديث عن «الأثَرة»، عن رغبته في حدوث إحياء إسلامي: «نسأل الله أن يعين المسلمين على الالتزام بأوامر دينهم، ليعودوا لسابق عزِّهم بعد الانكسار فيغلبوا

عدوهم»(١٦٢). وفي الشهر التالي، حضَّ المذيع المستمعين أن «أفيقوا!»، لائمًا إياهم على غفلتهم العميقة التي أدَّت بهم إلى الضعف وانهيار الإمبراطورية الإسلامية وتفكك الأمة(١٦٣). وكان من السرديات المتكررة كذلك أن أعداء الإسلام أبقَوا على جهل المسلمين وإيمانهم بالخرافة عن عَمد؛ ففي حديث عن «العلم والتعليم»، أشار المذيع إلى حقيقة أن العديد من المسلمين يُزعَم أنهم لا يعلمون إلَّا ظاهرًا من دينهم، وأنحى باللائمة على أولئك الذين أبقَوا عليهم في إسار الأمِّية عمدًا؛ بغية قمعهم والسيطرة عليهم(١٦٤). وبالمثل، دعا حديثٌ عن «التجديد والخرافة في الإسلام» إلى العودة إلى أصول الإسلام وسنَّة النبي [ﷺ]، فالحداثة والخرافة لم ينشرهما إلَّا أعداء الإسلام، «وما هم إلَّا اليهود»، حسبما زعم المذيع، مع الإشارة المعتادة إلى آية سورة **المائدة**: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [**المائدة**، ٨٢](١٦٥). لم يقدَّر للكثير من نصوص هذه الأحاديث النجاة من الحرب، والقليل الذي بقي، محفوظٌ الآن في دور المحفوظات الألمانية. أما العديد من نصوص الرصد الأمريكية؛ فلا يحتوي على هذه البرامج. لكن المسئولين في واشنطن كانوا على علم كامل بها، فقد سَخِر أحد ضباط الاستخبارات في مكتب معلومات الحرب في ربيع عام ١٩٤٢، قائلًا: «لقد كان أحد برامج برلين العربية ينضح كالمعتاد بأناشيد دينية، وآياتٍ قرآنية، ولهجة حُلوة متزلفة»(١٦٦).

وأخيرًا، استغلَّت برلين المناسبات الدينية استغلالًا مكثفًا؛ فالبثُّ الإذاعي في أثناء العُطلات الإسلامية مزج بين التأملات في الأعياد وخطاب الحرب، فمبكرًا في يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٤١، صدحت الإذاعة بتكبيرات **عيد الأضحى** مع خواطر حول فضيلة «التضحية» في جهاد الرجل لأعدائه، وتقدير «الرجولة والبطولة» وقوة الدين بوصفها سلاحًا في وجه الأعداء: «حقًّا، إن الله مع المؤمنين»(١٦٧)، وبعد يومين، قرَن المذيع العربي من برلين ابتهالاته في عيد الأضحى بحديثه عن حياته في الرايخ، منكرًا «التقارير الكاذبة» التي تبثُّها پروپاغندا الحلفاء حول الوضع في ألمانيا(١٦٨). وبالمثل، بثَّت إذاعة برلين العربية، مع أدعيتها الاحتفالية في غُرَّة العام الهجري الجديد، أملَها في النصر على الطغاة الإمپرياليين، مستشهدةً بـ**سورة الأنفال**:

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال، ١٠](١٦٩)، وبعدها بيومين، بثَّت الإذاعة موعظةً حثَّت المؤمنين على التقوى واستدعت دروسًا من سنَّة النبي محمَّد [ﷺ]: «كونوا كنبيكم [ﷺ] رجال أفعال لا أقوال، واعتبروا بالماضي في سعيكم للمستقبل»(١٧٠). ومنذ أن استقر الحسيني في برلين، احتوى هذا النوع من البرامج على خُطبه؛ ولذلك، لم تقتصر إذاعة برلين في عيد الأضحى، في ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤٢، على بثِّ التهاني والأدعية المعتادة في الأعياد المقرونة بالدعوة إلى التضحية في الحرب ضد أعداء الإسلام، بل اشتملت أيضًا على خطاب الحسيني في افتتاح المعهد الإسلامي المركزي(١٧١). وفي التاسع عشر من مارس/ آذار لعام ١٩٤٣، بُثَّت محاضرته في المعهد الإسلامي المركزي بمناسبة احتفالات المولد النبوي التي حرَّض فيها قائلًا: «لم ينجُ بلد إسلامي واحد من ضفاف الأطلنطي وحتى الشرق الأقصى ... من الطغاة الأعداء ... والله وحده العدل الرحيم سينصرهم»(١٧٢). وفي عيد الفطر في الأول من أكتوبر/ تشرين الأول من عام ١٩٤٣، بُثَّ خطابه الموجَّه لإخوانه «المحمَّديين في جميع أنحاء العالم»، تتخلَّله الآيات القرآنية، وقد حثَّ الحسيني المسلمين فيه على الصمود في إيمانهم وحربهم ضد الطغيان الإمبريالي، قائلًا: «اتبعوا إيمانكم، فثمَّ النصر!»(١٧٣). ولاحقًا في سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٤٤، دعت إذاعة برلين العربية المؤمنينَ في رسالة العام الجديد إلى الدعاء بهزيمة اليهود والإمبريالية البريطانية(١٧٤). وكان من أبرز الفعاليات في هذا السياق، البرنامج الذي أُذيع بمناسبة احتفالات المَولد النبوي في مارس/ آذار من عام ١٩٤٤، وورد فيه تقرير عن مسجد برلين، حيث وصفه ضابط رصد أمريكي بما يلي:

> «قال المذيع إنَّ احتفال هذا العام يختلف عن أي عام سبق؛ إذ اتَّشح بالحزن والألم؛ لأن المسجد دمرته غارات الحلفاء البرابرة، فالحلفاء لا يُعيرون حُرمة الآثار الدينية اهتمامًا، فهم محض بهائم. لقد أغاروا على المسجد في الثالث عشر من فبراير/ شباط. ثم قال المذيع إنَّه ستُبثُّ مسرحيةٌ قصيرة تصف أحداث ذلك اليوم المشهود. وبعد صمتٍ قصير، سُمع صوت إمام المسجد يتلو آياتٍ من القرآن بصوتٍ رخيم هادئ؛ كانت الآيات تسأل الله حفظ حياة المسلمين ورفعة شأن الإسلام، وفي لحظة، هدرَ صوت

الطائرات البعيدة، وسُمع دويُّ قنبلة تتهاوى، تلاه هدير انفجار، لكن في أثناء ذلـك كلّـه، ظل القارئ يتلو الآيات بالصوت الرخيم نفسـه، ثم خرج المذيع في المشـهد وقال: وقف إمام المسـجد، في اليوم التالـي، في البرد القارس، لكنه ظل يتلو. ثم سُمع صوت الإمام مرةً أخرى يقول: «الله أكبر، الله أكبر!»، ويكـرر آيـات أخرى من القرآن بصوتٍ هادئ، ثم خرج المذيع ثانيةً وقال إن صوت الإمام هو صوت الحق [كذا وردت]، يخبر العالم الإسلامي أن أعداء الإسـلام [كذا وردت] لن يكفُّوا عن مساعيهم حتى يقضَى عليه تمامًا. وقال إنه في أثناء ذلك الدمار كان احتفال المولد النبوي، واجتمع المسلمون لتهنئة بعضهم بعضًا، ثم سُمِعت أصوات صادرة عن الجَمع»(١٧٥).

وعلى وجه الإجمال، يمكن تقسيم پروپاغندا ألمانيا الإذاعية الإسلامية الموجَّهة إلى شمال إفريقيا والشرق الأوسط إلى قسمَين (على الرغم من أنهما في الواقع كانا مرتبطين في مقطوعة دعائية واحدة): تقارير عن أعداء الإسلام وتقارير عن أصدقائه. فكمـا كانت الحال في الپروپاغندا المطبوعة، قدَّم الإسـلام لغة واسـتعارات وتعاليم وظَّفهـا الدعائيـون الألمان في سـبيل قضيتهم السياسـية؛ فقد اسـتعملت الپروپاغندا النازية لغة دينية مثقَلة بمفاهيم دينية وإحالات على نصوص مقدَّسة، وكان التحريض علـى البريطانييـن والبلاشـفة واليهـود زاخـرًا باستشـهادات قرآنيـة، بـل صيغـت المصطلحـات غيـر الدينيـة -أحيانًـا- فـي لغـة دينيـة، كمـا حـدث في حالـة الجملة الألمانيـة: **قاذفـة القنابـل شـتوكا** (*Sturzkampffugzeug*) التي عُرِّبـت بصيغة: «طائرة تشبه عُقاب النبي[أ] الذي ينقضُّ من السـماء ليدمِّر العدو على الأرض»(١٧٦). علاوة علـى ذلك، وظَّفت الپروپاغندا الإذاعية المقدَّمة بالعربية الفصحى -بانتظام- قاماتٍ وحذويّةً إسلامية لنقل الأخبار، على سبيل المثال، عن الإسلام في الاتحاد السوڤييتي أو الهند أو ألمانيا، كما اقترحت، في الوقت نفسه، فكرة معركة إسلامية عالمية تُشَنُّ إلى جانب المحور.

(أ) الإيماءة هنا إلى راية العُقاب، وهي راية مربعة كانت لواء النبي ﷺ، وكانت مصنوعة من الصوف، على اختلاف في ألوانها بين الأبيض والأسود والأصفر، مكتوب عليها «لا إله إلا الله محمّد رسول الله». والتشبيه هنا وفي كثيرٍ غيره من استعمالات الپروپاغندا النازية ظاهر التلفيق والتعسُّف. (المترجم)

كان محتوى إذاعة برلين باللهجة الدَّارجة المغاربية قريبًا -إلى حدٍّ ما- من برنامج العربيـة الفصحـى، وملتزمًا بالموضوعات الدينية السياسـية نفسـها، علـى الرغم من تركيـزه الإقليمـي على شـمال إفريقيا، ويصدق الأمر نفسـه على البرامـج العربية في إذاعـة أثينـا وإذاعـة باريس-مونديـال؛ إذ كانـت إذاعـة باريس-مونديـال تنقل أخبار المسلمين في فرنسا تحت حكم المحور، ففي أوائل عام ١٩٤٣، على سبيل المثال، بثَّـت الإذاعة برنامجًا وثائقيًـا، ألقاه مذيعها الرئيس، الريفـي المغربي، محمَّد بوزيد، عن العمال المسـلمين على سـواحل الأطلنطي، ناقلًا ثناءهـم على هتلر[١٧٧]. وعلى الرغم من الأولوية التي منحتها السُّـلطات الألمانية للبرامج العربية في شـمال إفريقيا والشرق الأوسط، زادت أيضًا من عدد البرامج التركية والفارسية والأُردية.

غيـر أن محـاولات اسـتغلال الإسـلام فـي البرامج التركيـة كانت محـدودة[١٧٨]؛ فعندما اسـتخدمت برلين بعض البروپاغندا الدينية البسـيطة في أوائل الحرب، ردَّت الصحافـة التركيـة ردًّا فوريًّا مليئًا بالسـخرية والنقد، مشـدِّدةً علـى أن الدين يجب ألَّا يغـدو مطلقًـا موضوعًـا للبروپاغندا السياسـية، وعدَّت هـذه المحـاولات دليلًا على انعـدام الحشـمة لـدى الألمـان، وذكَّـرت القراء بمحـاولات ڤيلهلـم الثاني الفاشلة لاستغلال الإسلام قبل عقود[١٧٩]. وحذَّر سفير هتلر في أنقرة، فرانز فون پاپن (Franz von Papen)، مـن أن «مخاطبـة العاطفـة الدينية» لن يجذب «إن فعـل» إلَّا «الطبقات الدنيـا»، رغـم أنهـا لا يمكن أن تسـتجيب لبروپاغنـدا دينية صادرة عـن «مركز ثقافي غربي»[١٨٠]. ومع ذلك، أسَّس المسئولون الألمان، بعد عام، محطَّة مقرصَنة هاجموا من خلالها اللائكية واللادينية وقمع الإسـلام في تركيا[١٨١]. لكن في المطلق، ظلت تركيـا العلمانيـة (رسـميًّا) حالةً خاصة، كما كانت في النقاشـات الدائـرة بين الخبراء الألمان قبل الحرب.

وعلى النقيض، اعتمدت الخدمة الفارسـية للإذاعة الألمانية، بشـكل متزايد، على الموضوعـات الدينيـة، وكان من بين العاملين فيها دعائيون معروفون ككبير المذيعين شاه بهرام شاروخ (Shah-Bahran Shahrukh)، والمعارض السياسي نظام الدين آخوي (Nezameddin Akhavi)، وداوُد مُنشـي زاده (Davud Monshizadeh) الذي سيؤسِّس

حزب سومكا (Sumka) الفاشي في إيران بعد الحرب. وبعد احتلال إيران في صيف عام ١٩٤١، ستنطلق البروباغندا الألمانية لتتهم الحلفاء -كعادتها- بانتهاك المقدسات والمشاعر الدينية هناك. و كان الزعم بأن «القوات الأنكلو-سوفييتية» «دنَّست المساجد في إيران» من بين الشعارات الدعائية المتكررة[١٨٢]. لكن مع تقدُّم الألمان نحو الحدود الجنوبية للاتحاد السوفييتي في صيف عام ١٩٤٢، لتصبح قربَ الحدود الإيرانية، صدرت توجيهاتٌ جديدة تؤكد على الدعائيين، بالإضافة إلى الشعارات المعتادة، مهاجمة «سياسة القمع» البريطانية والسوفييتية في «البلدان المحمَّدية الأخرى»[١٨٣]؛ فاتهمت إذاعة برلين واشنطن بالضلوع في «أنشطة تبشيرية» في إيران، واتهمت لندن بالعبث لا في الشئون «السياسية» للبلاد فحسب بل في شئونها «الدينية» أيضًا، كما اتهمت موسكو بـ «العداء العام للدين»[١٨٤].

وكانت فكرة المهدوية الشيعية من بين الاستعارات الشائعة في البروباغندا الألمانية في إيران؛ فمبكرًا منذ فبراير/ شباط من عام ١٩٤١، قدَّم إرفن إيتل، الذي كان سفيرًا لدى طهران آنذاك، بعض الاقتراحات في هذا الصدد؛ فمن العاصمة الإيرانية، نقل إيتل أن عددًا من «الفقهاء» الشيعة يخبرون الناس بأن هناك «رؤى ونبوءات قديمة أوَّلوها بأن الإمام الثاني عشر أعاده الله إلى العالم في صورة أدولف هتلر»[١٨٥]، واقترح إيتل دعم هذه الماجَريات، ومحاولة «التشديد على محاربة محمَّد [ﷺ] لليهود في الماضي، ومحاربة الفوهرر لهم في الحاضر. وبالمماهاة بين البريطانيين واليهود، ستكون البروباغندا المناهِضة للإنكليز فعَّالةً للغاية في الوصول إلى الشيعة الإيرانيين»، واعتمد إيتل في اقتراحه، على المزاوجة بين الآية الثانية والثمانين من **سورة المائدة** واقتباس من كتاب **كفاحي** يقول فيه هتلر: «إنني أؤمن بأنني أسلك الآن سلوكًا يتفق مع إرادة الخالق العظيم؛ فمن خلال دفاعي عن نفسي ضد اليهود أقاتل في سبيل الرب»؛ ليثبت أن المسلمين والنازيين متفقون على الأهداف نفسها في القتال. وكان مسئول البروباغندا في السفارة الألمانية في طهران قد جمع مادةً بالفعل حول هذا الموضوع، تعيَّن على الدعائيين الألمان الاعتماد عليها في برامجهم، ثم استكمالها بالدعاية المطبوعة إذا ما أثبتت فعاليتها، لكن إيتل

حذَّر من أن «الپروپاغندا غير المتقَنة» قد تجرح «مشاعر المؤمنين العميقة». وكذلك بدا أن القنوات المحلية هي الأنسب لنقل الرسائل الدعائية، وشدَّد إيتل بالأخص على ضرورة أن يحاول الألمان استغلال الأهمية السياسية للفقهاء في إيران، بما لديهم من معلومات فعَّالة وشبكات پروپاغندا متنوعة في مشهد وقُم(١٨٦). وكان زملاء إيتل متفقون معه في هذا الرأي. وفي تقييمه للپروپاغندا الألمانية في إيران في أوائل عام ١٩٤٢، كتب هانز ألكسندر ڤينكلر (Hans Alexander Winkler)، الذي كان ملحقًا ثقافيًّا في السفارة الألمانية بطهران قبل احتلال الحلفاء، أن أنجع موضوعات الپروپاغندا في إيران هي تلك التي تستند إلى المعتقدات الدينية ومطامح الإيرانيين، وخاصةً عودة الإمام الثاني عشر(١٨٧). وأكد ڤينكلر أن سكان الريف ومثقفي المدن كليهما أظهرا معتقدات تقرن بين صعود أدولف هتلر وخروج المهدي. بل إن الفقهاء الشيعة أنفسهم، وفقًا لهذا الدبلوماسي، أولَوا نشر هذه الأفكار عنايتهم. ونظرًا لـ «مَيل الإيرانيين للتعصُّب الديني»، رأى ڤينكلر في هذه المعتقدات، بما تنطوي عليه من ارتباط مثالي بالمشاعر المُعادية لليهود، «قوى هائلة» يمكن للپروپاغندا الألمانية توظيفها. وفيما يبدو، قدَّمت الپروپاغندا الألمانية هتلر - بالفعل- في صورة المنقذ الإلهي(١٨٨). وسرعان ما عبَّر محمَّد رضا بهلوي، الشاه الجديد، عن قلقه من إذاعة المحور التي تصوِّر الطاغية الألماني في صورة الرمز الديني المنافح عن الإسلام(١٨٩).

أما الپروپاغندا الموجَّهة إلى مسلمي الهند البريطانية، والتي كانت أيضًا جزءًا من عمل «مكتب الشرق» في إذاعة تسيزن، فقد كانت لها حساسية خاصة. وقد بثَّت برلين ثلاثة برامج يومية موجَّهة للهند، منها **آزاد مسلم** (مسلمون أحرار) بالأُردية. لكن في عام ١٩٤٣، كانت لا تَبثُّ غير خمس عشرة دقيقة في اليوم، وبدلًا من مخاطبة الجماعات الدينية، ركَّزت الإذاعة النازية في الهند عادةً على لوم إنكلترا على نشر الكراهية الدينية(١٩٠). وكان من المستحيل على تسيزن الدعوة للجهاد في الهند عبر برامجها الإذاعية؛ لأن المعاون الهندي الأساسي لبرلين كان شُبهاس تشاندرا بوس (Subhas Chandra Bose)، الذي كان يسعى رسميًّا إلى وحدة

الجماعات الدينية المختلفة في الهند. لكن مع تقدُّم الحرب، ازداد اعتماد الپروپاغندا الألمانية على الإسلام، وكان من أبرز الأمثلة على ذلك ترجمة خطاب المفتي إلى الأُردية في يوم الأحد، الثالث والعشرين من أغسطس/ آب لعام ١٩٤٢، والذي خاطب فيه المسلمين مهاجمًا عداء لندن للإسلام حول العالم، وداعيًا إيَّاهم لمقاومة الحكم البريطاني(١٩١)، وسرعان ما ردَّت لندن عبر إذاعتها العربية مؤكدةً للمُستمعين على دعم المسلمين الهنود الثابت للحلفاء(١٩٢). وفي الشهر التالي، بثَّت الإذاعة الإيطالية الهندية بيانًا للشيخ البشتوني الأسطوري المتمرد ميرزا علي خان (Mirza Ali Khan)، المعروف بفقير إيبي وكان يقاتل [البريطانيين] في وزيرستان، يؤيد فيه خطاب الحسيني ويشير إلى أن أعداء المحور هم أعداء الإسلام والهند(١٩٣)، وفي الواقع، كان نصُّ تصريح علي خان قد صيغ في مكتب پروپاغندا إيطالي في روما، لا في جبال شمال وزيرستان(١٩٤).

ومع ذلك، كان الألمان في الواقع على اتصال بميرزا علي خان وأتباعه في الحدود الشمالية الغربية للهند، وهي معقلٌ للاضطرابات في الهند البريطانية منذ القرن التاسع عشر(١٩٥). وفي فترتَي ما بين الحربين والحرب العالمية الثانية، برز علي خان ليصبح زعيمًا أساسيًّا للتمرد في المنطقة، وكالعديد من سابقيه، لم يكن مجرد زعيم سياسي، بل رمزًا دينيًّا يدعو للجهاد ضد التدخل الإمپريالي. ووضع البريطانيون عددًا كبيرًا من فيالق الجيش الهندي في المنطقة للقضاء على الأعمال التخريبية، وإعاقة الهجوم على البنية التحتية الإمبراطورية. وكان المسئولون الألمان يتدارسون منطقة الحدود الشمالية الغربية قبل فترة، ففي تقرير مكوَّن من اثنتين وخمسين صفحة عن المنطقة، صدر في عام ١٩٤١، شُدِّد ليس فقط على الأهمية الإستراتيجية للأغلبية السُّنية التي هي «عدو أصولي للبريطانيين»، بل أيضًا على أهمية «حميَّتها الدينية»(١٩٦). وفي الوقت نفسه تقريبًا، دعمت برلين -بالتعاون مع الإيطاليين- علي خان بانتظام من خلال إمداده بالمال والسلاح والذخيرة(١٩٧). وتبيِّن الوثائق الألمانية أن البعثة الألمانية إلى كابول، التي أدارها الدپلوماسي المخضرم هانز پلغر (Hans Pilger)، قامت على تنظيم عملية الإمداد بالتعاون مع عملاء محليين. وعلى الجانب

البريطاني، كشفت تقارير استخباراتية عن القلق الإمبراطوري من هذه العلاقات[١٩٨]، وبيّنت أن السُلطات المحلية الأفغانية قد بذلت وسعها بالفعل لإعاقة تنقلات المحور عبر خطّ ديوراند (Durand Line)[١٩٩]. وطيلة الحرب، ضيَّقت بريطانيا الخناق على تدفق الدعم حتى توقف نهائيًّا في عام ١٩٤٢؛ ففي خريف عام ١٩٤٢، أرسل علي خان إلى الحسيني والكيلاني خطابًا، عبر أحد رسله إلى البعثة الألمانية في كابول، يؤكد فيه على استكماله للقتال رغم نقص السلاح والذخيرة[٢٠٠]. لقد كان علي خان «بطل الحرية في وزيرستان» من منظور الجمهور الألماني[٢٠١].

لكن باستثناء متمردي منطقة الحدود الشمالية الغربية، ظل أكثر مسلمي الهند على هدوئهم. فرابطة مسلمي عموم الهند، التي أصبحت أكبر منظمة جماهيرية إسلامية في فترة الحرب، أثبتت ولاءها لبريطانيا. وحاول [محمَّد علي] جناح (Jinnah) استغلال الموقف في سبيل الدفع بالتقسيم[أ]، لكنه ظل -في كل الأحوال- مواليًا لبريطانيا[٢٠٢]، ودعا زعماء المسلمين في الأقاليم الهندية إلى محاربة المحور[٢٠٣]. لكن لا يمكننا بالطبع قصر توجهات الحركات والجماعات الإسلامية الهندية على الرابطة الإسلامية؛ فقد كان هناك منها من هو أشد عداءً للبريطانيين بالفعل، كبعض أعضاء **جمعية العلماء** المكوَّنة من أبرز العلماء الهنود تحت قيادة مولانا كفاية الله الذي كان مفتيًا غير رسمي للهند مجاهِرًا بمناهَضة للإمبريالية، وقد اعتُقِل أكثر من مرة، بل إن المسئولين الألمان أنفسهم راودَتهم -لفترة وجيزة- فكرة مدِّ خطوط التواصل مع كفاية الله مباشرةً[٢٠٤].

ردود الفعل الإسلامية على التودُّد الألماني للإسلام

يصعب علينا تقييم الاستجابة للپروپاغندا الإذاعية الألمانية ومدى فعاليتها؛ فلَم تكن هناك آليات واضحة لقياس الرأي العام في غالبية أنحاء شمال إفريقيا والشرق الأوسط، ولم تقدّم التقارير الاستخباراتية صورةً مفصَّلة؛ ففي حين مالت سُلطات الحلفاء إلى الاعتقاد بأن السكان يوالونها، مال مسئولو المحور إلى العكس؛ نظرًا لردود الأفعال التي وردتهم من جانب متعاونيهم الموثوقين، الذين كانت لهم

(أ) يعني تقسيم الهند البريطانية إلى الهند وباكستان الذي أُقرَّ عام ١٩٤٧. (المترجم)

مصلحة شخصية في الترويج لنجاح أعمالهم الدعائية، وعلى الجانب الآخر، لا تمثل كتابات المفكرين المسلمين في العادة إلَّا شريحةً محدودة من المجتمع، لكن من المؤكد أن البروباغندا الألمانية واجهت عِقابًا عديدة.

أولًا، كانت هناك عقبات فنية؛ ففي حين كانت الأُميَّة عائقًا أساسيًا أمام البروباغندا المطبوعة، كان انتشار الإذاعة محدودًا لعدة أسباب؛ فالقليل من السكان في شمال إفريقيا والشرق الأوسط كان يملك أجهزة المذياع، ووفقًا لدراسة أعدَّها مكتب معلومات الحرب الأمريكي في عام ١٩٤١، كان أعلى عدد لأجهزة المذياع ذات الموجات القصيرة في العالم العربي يوجد في مصر، بواقع خمسة وخمسين ألف (٥٥,٠٠٠) جهاز، في حين كان عددها في السعودية ستةً وعشرين (٢٦) فقط[٢٠٥]. وبالطبع، كان الكثير منها، إن لم يكن أغلبها، في حَوزة الأوروبيين. وفي برقة؛ ميدان الحرب الرئيس، لم يكن لدى السكان المسلمين أي مذياع تقريبًا، وفقًا لتقرير ميداني لنويرات[٢٠٦]. لكن أجهزة المذياع كانت غالبًا ما توجد في الأماكن العامة؛ المحلات والميادين والمقاهي، حيث يجتمع الناس، وكان الألمان يعون جيدًا أهمية المذياع في هذه الأماكن؛ فقد حاول فريتز غروبًا، عندما كان ما يزال في بغداد، رشوة ملَّاك المقاهي لمتابعة تسيزن[٢٠٧]، ومع ذلك، لم تتمكن البروباغندا الإذاعية أبدًا من الوصول إلى جمهورٍ يماثل حجم الجمهور الأوروبي، وحتى أولئك الذين أمكنهم الوصول إلى أجهزة المذياع، قابلتهم عادةً مشكلات تقنية؛ أهمها انقطاع الكهرباء وعدم القدرة على التقاط الموجات، وكذلك فرضَ الحلفاء، بوصفهم حكَّام المنطقة، رقابةً صارمة، وخاصةً في الأماكن العامة، وبذلوا جهودًا مكثَّفة للتشويش على الإذاعات الألمانية.

وكذلك، واجهت البروباغندا النازية عقباتٌ عدة على مستوى المحتوى؛ فأولًا، كانت النبرة العدائية واللهجة السوقية والمحتوى العنيف الذي اتسمت به البرامج، يستهدف بالأساس الشرائح الأُميَّة من المجتمع، وربما كان خطابها الموجَّه للنُّخب المثقَّفة، التي تملك في الواقع غالبية أجهزة المذياع، وتمثِّل أكثر روَّاد المقاهي في

المدن، أضعف من سابقتها، وفي ذلك قال مايلز لامپسون (Miles Lampson) (لورد كيلرن (Lord Killearn) لاحقًا)، السفير البريطاني إلى مصر، متأملًا في «ضراوة اللغة المستعمَلة في الإذاعة الألمانية»: «يمكن أن يجذب هذا العنفُ المستمعَ البسيط، لكنه يناقِض غايته، أو هكذا نأمل، في أوساط الشرقيين الأكثر تمدنًا ممن يُعَدُّون أكثر ميلًا للحشمة»[٢٠٨]؛ إذ أخبر أحد الدپلوماسيين المصريين نظيره البريطاني أن الروايات المفزِعة المتعلِّقة بالجنود البريطانيين في البلاد المسلمة، أي «قصص الاغتصاب والقتل والحفلات الجنسية المليئة بالسُّكر»؛ تكون في الغالب فاحشة للغاية، حتى أن زوجته تصر مرارًا على إغلاق المذياع؛ لأن هذا البرنامج يثير اشمئزازها[٢٠٩]. وقال ممثِّلُ بريطانيا في سورية إن إذاعات برلين «تبثُّ فقط الأمورَ التي يريد منها المتطرفون إثارة العناصر المتعصِّبة ... لكن الأوساط المعتدلة استخفَّت بها»[٢١٠]. ولحَظ زميله من البعثة [الدپلوماسية] إلى الخليج الفارسي أن المسلمين من أهل البلاد «يستمتعون بفكرة أن يونس بحري [**كذا وردت**] يمكنه التحول، كلما شاء، إلى قمة الإثارة»[٢١١]. ثانيًا، تجنَّبت الپروپاغندا الألمانية، المطبوعة والإذاعية، السؤال الشائك المتعلِّق بالاستقلال عن الحكم الاستعماري؛ ونتيجة لاحترامهم المصالح الإمپريالية لإيطاليا وفرنسا ڤيشي وإسبانيا فرانكو في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، اضطُرت السُّلطات في برلين إلى قبول أن تحالفاتها تكلفها فقدان جزء كبير من تعاطف المسلمين. ثالثًا، تأذَّى العديد من المؤمنين من الاستغلال السافر للدين، أي التدين الحاد الذي روَّجت له الپروپاغندا الألمانية[٢١٢]. ورابعًا، واجهت الپروپاغندا الألمانية مشكلاتٍ متعلقة بالمصداقية والأصالة؛ لأنه حتى أشد المستمعين سذاجةً، كان يدرك أن الپروپاغندا تروم هدفًا سياسيًّا دنيئًا. وأخيرًا، وربما الأكثر أهمية، لم يكن الألمان يهيمنون على الرأي العام؛ فقد نظَّم الحلفاء، بوصفهم القوى العظمى في المنطقة، حملةً شاملة تقاوم الپروپاغندا [الألمانية]، وسوف نناقشها لاحقًا.

في المجمَل، أخفقت الپروپاغندا الألمانية في إثارة الانتفاضات ضد الحلفاء في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، وكذلك، ظل فرار الجنود المسلمين من صفوف

الأعـداء هامشـيًّا[٢١٣]؛ فمـن دون سـلاح ولا مسـاعدة فعليـة، مـع سـيطرة الحلفـاء المحكَمة، وحتى في حالة من يستجيبون لدعوات الجهاد الألمانية، كانت الثورة أو حتى مجرد التخريب الشـديد خيارًا مسـتحيلًا من الناحية العملية. ويشير البحث في مدى التجاوب مع النازية، في مناطق متفرقة من شمال إفريقيا والشرق الأوسط، إلى وجـوب عدم المبالغة فـي تقدير تأثيرها[٢١٤]. وإجمالًا، كانت الآراء في المجال العام شـديدة التبايـن، وتتـراوح بين الانبهـار والتعاطف والقلـق والازدراء، وهو ما عكَس عـدم تجانـس المجتمعات فـي المنطقة، لكـن أيًّا كانت رؤاهـم، فإن الغالبيـة لم تبدِ تفاعـلًا مـع دعـوات برلين للعنف والثـورة الدينية، علاوة على ذلـك، من اللافت أن الشـعارات الإسـلامية التي رفعتها البروباغندا الألمانية لم تحصل على كبير تجاوب في الأوساط الدينية ولدى كبار العلماء، كما نرى من منظور أوسع.

وقيـل: إنـه كان مـن بيـن مسـتمعي إذاعة برليـن في إيـران الملَّا الشـاب روح الله الموسوي في مدينة قُمٍّ المقدسة[٢١٥]. كان الموسوي يمتلك مذياعًا من صنع الشركة البريطانيـة پـاي (Pye)، وكان يسـتضيف كل ليلة عـددًا من الملالي وطـلَّاب الحَوزة يستمعون إلى البرنامج الفارسي في إذاعة تسيزن ، وقد بدا أن الملَّا الموسوي، الذي عرفـه العالـم بعد ذلك باسـم آيـة الله الخمينـي، لم يكن شـديد الإعجـاب بالبرنامج الألمانـي. وفـي عـام ١٩٤٢، أصدر الخمينـي تعليقتـه (the tract) التـي حوت أولى بياناته السياسـية: **كشف الأسـرار**، والتي حرَّض فيها ضد الهرطقات اللَّادينية للدولة البهلويـة ودعـا لنظام يسـتند إلى مبادئ الإسـلام، لكنـه هاجم أيضًـا الأنظمة القمعية بشـكل عـام، وحطَّ من شـأن «الأيديولوجيا الهتلرية» بوصفها «أشـدَّ مـا أنتجه العقل الإنسـاني خطرًا وبشـاعة»[٢١٦]. لكن كان هناك من الفقهاء الأصغر سنًّا مَن يميل إلى الألمـان، وكان مـن أشـهرهم مناهِـض الإمبريالية المتقد حماسـة آية الله أبو القاسـم الكاشـاني، الـذي اعتقلته السُّـلطات البريطانية فـي عام ١٩٤٣ لقيامه بأنشـطة مؤيدة للألمـان، وكان والـده الراحل آية الله مصطفى الكاشـاني قد لقـي حتفه في قتاله ضد القوات البريطانية في جنوب العراق في أثناء جهاد الحرب العالمية الأولى[٢١٧]. لكن المؤسسة الفقهية المحافِظة في إيران زهدت في السياسة وانسحبت إلى حوزاتها[٢١٨]؛

إذ دعا بعض كبار الفقهاء، كآية الله محمَّد حسين بروجردي، الذي أصبح بعد الحرب **مرجع التقليد** الوحيد، وهي أعلى مرجعية دينية في الإسلام الشيعي، إلى السكون سياسيًّا[٢١٩]. وخارج إيران، ظلت المراجع الشيعية حذرة، فشيعة النجف وكربلاء لم يكونوا متحدين خلف ألمانيا كما كانوا في الحرب العالمية الأولى[٢٢٠]. وفي أوائل عام ١٩٤٠، حاول أمين الحسيني، عندما كان في بغداد، إقناع المرجعيات الشيعية في جنوب العراق بدعم جهاده، فاقترب من كبار الفقهاء، أمثال عبد الكريم الجزائري ومحمَّد كاشف الغطاء، اللَّذين لعبا دورًا كبيرًا في السياسة العراقية في سنوات ما بين الحربين[٢٢١]، وفي حين تجاهل الجزائري المفتي الفلسطيني، كان كاشف الغطاء أكثر انفتاحًا، وأصدر فتوى تدعو لجهاد الإمبراطورية البريطانية، أذاعها يونس بحري في إذاعة برلين في الثالث عشر من فبراير/ شباط لعام ١٩٤٠، وإن لم يكن لها أثر كبير[٢٢٢]؛ إذ لم تندلع انتفاضات شيعية كبيرة في أثناء الحرب. ولم يسجِّل الألمان ما يثير الإعجاب أكثر من رسم بعض الرسومات في الشوارع؛ ففي أوائل عام ١٩٤٢، أفاد دبلوماسي ألماني أن شعار «هتلر خليفة علي»، الذي ظهر على الجدران في بيروت ودمشق، كتبه شيعة متمردون، أو ربما عملاء الألمان[٢٢٣].

وفي المشرق، تلقَّت البروباغندا الألمانية ردود فعل متباينة؛ ففي أطراف العالم العربي وفي منطقة الخليج الفارسي، استحضر [سلطان بن] محمَّد القاسمي، الذي سيصبح أمير الشارقة في الإمارات العربية المتحدة، بروباغندا الحرب في مذكراته، قائلًا: «كانت الأخبار التي تنقلها الإذاعة الألمانية، بنبرة المذيع العراقي يونس بحري الحادة، تثير حنق مؤيدي الحلفاء، بالضبط كما كانت الأخبار التي تنقلها إذاعة بي بي سي (BBC) في الشرق الأوسط بصوت المذيع السوري منير شمَّا تُغضب مؤيدي المحور، ومن النوافذ التي تُطِلُّ على ساحة الحصن الأمامية، كنَّا نحن الأطفال نشاهد القتال الدائر بين الفريقين»[٢٢٤]. ووفقًا للقاسمي، أثارت بروباغندا الحرب الانقسام بين المستمعين؛ «فشطرٌ من الناس أيَّد الحلفاء وأيَّد الشطر الآخر المحور». وقد شاع مثل هذا التنوع في العديد من أطراف المنطقة. لكن العلماء والمراجع الدينية البارزة ظلوا على صمتهم، مع استثناءات قليلة ملحوظة؛ فعقب اجتياح الشام

الخاضعة لحكم ڤيشي في عام ١٩٤١ على سبيل المثال، انحاز الشيخ محمَّد توفيق خالد، مفتي لبنان القوي، انحيازًا علنيًّا للحلفاء[٢٢٥].

وبالقرب من جبهة شمال إفريقيا، في مصر، كان توجه السكان متباينًا؛ فقد زعَم أنور السادات، الذي كان ساعة الحرب ضابطًا شابًّا في القاهرة، أنه كان هناك انحياز قوي للألمان بين صفوف السكان: «كان الشعور العام في مصر ضد الإنكليز، ومن ثمَّ في صفِّ أعدائهم ... فخرجت المظاهرات تهتف: «إلى الأمام يا رومل»، فقد رأت الجماهير في هزيمة الإنكليز الطريق الوحيد لخلاص البلاد منهم»[٢٢٦]. كان السادات عضوًا في تنظيم «الضباط الأحرار»[أ] الثوري، الذي سعى، باسم الشعب، إلى إشعال ثورة مسلَّحة[ب] في أثناء الحرب، بل تعاون مع عملاء ألمان، وهو ما أدَّى إلى اعتقاله في صيف عام ١٩٤٢. لكن التقارير البريطانية تقدِّم تقييمًا أدق للمزاج العام، مشيرة إلى أن المواقف السياسية لم تكن ثابتة، بل تغيَّرت باستمرار طوال سني الحرب؛ إذ أبرق مايلز لامپسون من القاهرة قائلًا إن هجوم روميل الأول في برقة في ربيع عام ١٩٤١ «أفزع المصريين عامة بشدة»[٢٢٧]. وحتى الدعائيون الألمان أنفسهم كانوا يعون تمامًا انعدام التعاطف مع الألمان في ذلك التوقيت[٢٢٨]. لكن الأمر اختلف في الهجوم الثاني بعدها بعام، الذي تزامن مع الأزمة بين الإنكليز والحكومة المصرية في الرابع من فبراير/ شباط لعام ١٩٤٢، ومظاهرات الطلبة الكبرى المعادية للإنكليز، فكانت المظاهرات في القاهرة تصحبها هتافات مؤيدة للألمان، كتلك التي ذكرها السادات فيما بعد[٢٢٩]. فذكر لامپسون -هلِعًا- هتافات «يحيا روميل»، ونقلها المسئولون الألمان بحماس من القاهرة[٢٣٠]. لكن عندما تقدَّم روميل

(أ) ربما يكون تنظيم «الضباط الأحرار» نشأ في توقيت متأخر عن ذلك، عامين أو ثلاثة، لكن الجيش كان مليئًا بأنصار التوجُّهات السياسية المختلفة منذ أن سُمح للعامة وأبناء الطبقة الوسطى بالالتحاق بسلك ضبَّاطه في نهاية الثلاثينيَّات. (المترجم)

(ب) كان الأمر لا يعدو أن أقدَم أنور السادات على مساعدة عزيز باشا المصري في الفرار إلى العراق، رفقة حسين ذو الفقار صبري وعبد المنعم عبد الرءوف، مستقلّين طائرة عسكرية لمساندة انقلاب رشيد عالي الكيلاني المناهِض للإنكليز والموالي للألمان، ثم نقل تجربة الانقلاب العسكري إلى مصر بمساعدة الألمان، إن أمكن. لكن الطائرة تعطَّلت بهم فاضطروا للهبوط بها في أرض زراعية بالقُرب من مدينة بنها، جنوب الدلتا في مصر. (المترجم)

في صيف عام ١٩٤٢، وعبر الحدود المصرية بالفعل ليغدو فجأةً تهديدًا حقيقيًا، تغير المزاج مرةً أخرى، ولحَظ لامپسون ساعتها «انخفاض درجة العداء بين السكان المصريين»[٢٣١]. وفي برقية للحكومة البريطانية ذكر أن «بعض العناصر المناهِضة للبريطانيين، والتي كانت متحمسة للألمان على مبعدة منهم، بدا أنهم ذُعروا بشدة عندما اقترب التهديد الألماني»[٢٣٢]. ولمَّا توقف التقدم الألماني، كرَّر لامپسون قائلًا: إن «تقدم المحور السريع ناحية الشرق قد عمَّ البلاد بخوف شديد ... رغم أن موقف المصريين، وخاصةً المسلمين منهم، كان جيدًا وهادئًا بشكل ملحوظ»[٢٣٣]. وبالمثل، أوجز الأمر في ذروة معركة العَلَمين في قوله: «إن ظهور العدو على بوابة مصر نشر إدراكًا عامًّا بكراهة الوقوع تحت احتلال المحور، حتى بين أولئك الذين عُرفوا بمناهضتِهم للبريطانيين حتى وقتها؛ وكانت النتيجة حدوث تحول شعوري كبير لصالحنا»[٢٣٤]. وكذلك رحبت الأغلبية في مصر بتقدم مونتغمري؛ إذ ذكر لامپسون في برقية في أوائل عام ١٩٤٣: «تسبَّب احتلالنا لطرابلس في ابتهاج عارم؛ إذ أنقذ مصر بالتأكيد من احتلال مفزِع»[٢٣٥].

وكذلك لم يكن لدعوة ألمانيا للجهاد صدًى لدى الجماعات والتنظيمات الدينية في البلاد؛ فالمؤسسة الدينية امتنعت عن إصدار بيانات سياسية، وكان الشيخ عبد المجيد سليم، مفتي الدِّيار المصرية المتنفِّذ في سنوات الحرب، أحد كبار مؤيِّدي الحياد السياسي في البلاد[٢٣٦]. وحتى غريمه القوي محمَّد مصطفى المراغي، شيخ الأزهر الإصلاحي، معقل العلماء التقليدي، سار على النهج نفسه. كان المراغي تلميذًا لمحمَّد عبده، وشغل مناصب قاضي قضاة السودان ورئيس محكمة مصر الكُليَّة الشرعية في القاهرة، وكان على علاقة جيدة بالبلاط[٢٣٧]، ووصفه تقريرٌ بريطاني في عام ١٩٤١ بأنه «عديم النَّظير بين فقهاء أهل مصر»[٢٣٨]، ورغم أنه دافع بشراسة عن حياد العالم الإسلامي في الحرب، كان المراغي شريكًا وفيًّا للإمبراطورية البريطانية في غالب الأحيان، واحتفت به جريدة **ديلي تلغراف** (*Daily Telegraph*) بوصفه أحد أجدر حلفاء التاج بالثقة بقولها: «إنه من الخطأ، كما قد يظن ذو الجهالة، أن مناهَضة البريطانيين تتصاعد في دوائر المحافظين من المسلمين»، وأشارت إلى المراغي بوصفه أحدَ «أحَدِّ المصريين ذهنًا وأنشطهم طابعًا»، ممن كانوا على وفاق مع

الإمبراطورية البريطانية في «غالب القضايا»[٢٣٩]. وكانت أنشطة طلَّاب الأزهر، الذين كان الكثير منهم أكثر جذريةً وتأييدًا للألمان من شيخهم، تحت سيطرة السُّلطات.

لكن في حين كان العلماء التقليديون مستكينين، كانت الحركات الإسلامية الإحيائية الجماهيرية، مثل: جماعة الإخوان المسلمين، بما تحمله من عداء متَّقد للإمبريالية البريطانية، أكثر تقبلًا لتقدم أعداء أعدائها[٢٤٠]. وكانت المفوَّضية الألمانية في القاهرة قد دعمت الجماعة ماليًّا في الثلاثينيَّات[٢٤١]. وفي أثناء الحرب، أعربت بعض فصائل الإخوان، التي كانت قد أصبحت أكبر تنظيم إسلامي في مصر، عن تعاطفها مع المحور. وكشفت تقارير الشرطة أن بعض أتباعها وزَّعوا منشورات تخريبية داعمة للمحور في أثناء تقدم رومل نحو القاهرة[٢٤٢]؛ فقد ورد في تقرير استخباراتي بريطاني أن «الإخوان كانوا متحمسين بطابعهم لتقدم العدو تجاه العَلَمين، وألقوا بعض الخطب المؤيدة للألمان»[٢٤٣]؛ ففزعت السُّلطات إلى وضع الجماعة تحت السيطرة الحازمة؛ إذ مُنعت جرائدها من الصدور مؤقتًا، وأُغلق عددٌ من مقرَّاتها، وخضعت اجتماعاتها للمراقبة، واعتُقل بعض قادتها في المحافظات، واقتحمت الشرطة منزل حسن البنَّا بحثًا عن منشورات ثورية، ثم سرعان ما اعتُقِل رفقة ذراعه اليمنى أحمد السكَّري، وفي النهاية، أعلن حسن البنَّا ولاءه للسُّلطات الحاكمة[٢٤٤]. ومع ذلك، ظل البريطانيون على حذر؛ خشية حدوث قلاقل إسلامية. ولاحقًا في عام ١٩٤٤، وبعد فترة طويلة من هزيمة الألمان في شمال إفريقيا، وصف تقريرٌ استخباراتي الجماعةَ بأنها «خطر محتمَل لا يمكن التغافل عنه»[٢٤٥].

أما في المغرب العربي، فقد قوبلت دعوات الثورة الدينية التي أطلقتها ألمانيا بتحفُّظ؛ ففي الميدان الرئيس في قِفار برقة، لحَظ قسطنطين فون نُويرات تباينًا في مواقف المسلمين، يتراوح بين الصداقة والعداء الصريح[٢٤٦]. قاومت غالبية المسلمين في المنطقة موسوليني وحليفه الألماني، وذلك بعد أن عانوا من الاستعباد الإيطالي الوحشي[٢٤٧]. وكانت الجماعات الدينية، التي كانت أبرزها -بطبيعة الحال- الطريقة السنوسية الإسلامية؛ أقوى قوة دينية وسياسية في المنطقة، هي رأس حربة هذه المقاومة المناهِضة للاستعمار، فبعد أن حاربت السنوسية إلى جانب

الألمان في الحرب العالمية الأولى، بدَّلت الآن مواقعها؛ إذ دعا زعيم الجماعة، محمَّد إدريس السنوسي، الذي خَلَف ابن عمِّه الأكبر أحمد الشريف السنوسي بعد هزيمته في الحرب العالمية الأولى، أتباعه من منفاه في مصر إلى حمل السلاح إلى جانب الحلفاء[٢٤٨]؛ فقاتل السنوسية مع الجيش البريطاني ضد المحور؛ سعيًا لتأسيس إمارة سنوسية بعد الحرب، وبمجرد دحر قوى روml وإسقاط الحكم الإيطالي، أُعيد تأسيس شبكة **الزوايا** السنوسية في أماكن عدَّة من برقة، لتشكِّل مراكز دينية وإدارية جديدة. وكذلك انحازت الجماعة الدينية القوية في إقليم طرابلس المحرَّر إلى الحلفاء. وفي أوائل عام ١٩٤٣، أصدر مفتي طرابلس بيانًا عامًّا أثنى فيه على تشرشل وبريطانيا العظمى[٢٤٩]. وبدا أن قلَّة من الناس على جبهة الحرب في شمال إفريقيا، قد قَبِلت الألمان بوصفهم محرِّرين للإسلام.

وكذلك أثارت دعوات برلين للعنف الديني ضد اليهود استجابات متباينة في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، ومن المؤكد أن سنوات الحرب شهدت تصاعدًا في مشاعر السَّخط على الصهيونية، وعلى اليهودية بطبيعة الحال، في جميع أنحاء المنطقة، وكان أن صاعدت البروباغندا الألمانية من وتيرة حدَّتها. لكن على المستوى المحلِّي، غلب التعقيد على العلاقات بين الجماعات اليهودية والمسلمة، على خلفية الظروف الاجتماعية والسياسية، وأصبح من غير الممكن تعميمها بسهولة. لكن لم تكن هناك حالات شغب مُعادية لليهود في أثناء الحرب، وكانت أبرز هبَّة مُعادية لليهود هي مذبحة العراق المعروفة باسم **الفرهود** التي هاجم فيها بعض الغوغاء من المسلمين منازل اليهود ومحالَّهم بعد فشل انقلاب الكيلاني في عام ١٩٤١، وقتلوا فيها ١٧٩ يهوديًّا[٢٥٠]. وفي حين تبنَّت السُّلطات الإيطالية، والفرنسية التابعة لڤيشي، العديد من السياسات المناهِضة لليهود، لم يكن لدى القوات الألمانية، على جبهة الحرب في شمال إفريقيا، ما يكفي من الوقت لتنظيم إبادة ممنهجة للسكان اليهود[٢٥١]. وقد تباينت ردود فعل المسلمين على هذه الإجراءات، وتراوحت بين التعاون والتربُّح، وصولًا إلى اللامبالاة والتعاطف في بعض الحالات. وكذلك كانت هناك بعض حالات التضامن من جانب المسلمين مع جيرانهم اليهود.

وانزعاجًا من تشريعات حكومة ڤيشي المُعادية لليهود، وقف محمَّد الخامس، سلطان المغرب، وقفته الشهيرة؛ دعمًا لرعاياه من اليهود[٢٥٢]، وكذلك أبى عدَّ المتحولين من اليهودية إلى الإسلام (وإن كانوا قلَّة) يهودًا، وناهضَ التعريف العنصري لليهودية. وكذلك في الجزائر، أعلنت أطرافٌ من المؤسسة الإسلامية تضامنًا مفتوحًا مع السكان اليهود[٢٥٣]، وأصدر الطيب العقبي، القامة الإسلامية البارزة، نداءات لحظر الهجمات على اليهود. وأبدى بايات تونس تضامنًا مع أقليتهم اليهودية[٢٥٤]. وكذلك لم يهاجم المسلمون جيرانهم اليهود في أثناء الحرب في ليبيا[٢٥٥]. وفي مصر، امتنع المسلمون عن المشاركة في أية أعمال عنفٍ معادية لليهود قبل عام ١٩٤٥، على الرغم من أن سنوات الحرب شهدت نموًّا كبيرًا في التحريض ضد الصهيونية، ترافقت مع نغمةٍ معادية لليهود بشكل واضح في بعض الأحيان[٢٥٦].

وفي المجمَل، يصعب الوصول إلى استنتاجاتٍ قاطعة حول ردود الفعل على البروپاغندا الدينية الألمانية في المنطقة، لكن هذه المشاهد السريعة تشير إلى أنها كانت أقل نجاحًا مما أمَّل فيه المسئولون في برلين. وعلى الأبحاث المستقبلية تنقيح هذه الصورة، آخذةً في اعتبارها الظروف المحلية بشكل أشمل.

وكذلك من الجدير بالذكر أن المسلمين في شمال إفريقيا والشرق الأوسط أجمع، شاركوا، بوصفهم جنودًا، في الجهود الحربية للحلفاء؛ فآلاف المسلمين حاربوا تحت الراية البريطانية[٢٥٧]، وشكَّلوا -في الواقع- الجماعة الدينية الأكبر في الجيش الهندي البريطاني، الذي تنامى عديده ليتجاوز المليوني رجل، وشكَّل أكبر قوة متطوعة في الحرب، وخدم المسلمون الإمبراطورية في جميع أنحاء العالم الإسلامي؛ ففي فلسطين، شارك قرابة تسعة آلاف مسلم في وحدات الجيش البريطاني، بمساعدة غريم الحسيني اللدود، فخري النشاشيبي، وكذلك خدم المسلمون بولاء تحت إمرة البريطانيين في الفيلق العربي الشهير في شرق الأردن، الذي استُعمل في مناطق عدة من الشرق الأوسط، وفي شمال إفريقيا، انخرط المقاتلون السنوسيون الليبيون في القوة العربية السنوسية (القوة العربية الليبية

لاحقًا)، وفي الوقت نفسه، قاتل آلاف المسلمين في صفوف قوات فرنسا الحرة؛ فقد جُنِّد من شمال إفريقيا الفرنسي وحده ما لا يقل عن مئتين وثلاثة وثلاثين ألفَ رجل (٢٣٣,٠٠٠)، منهم مئة وأربعة وثلاثون ألفَ جزائري (١٣٤,٠٠٠)، وثلاثة وسبعون ألفَ مغربي (٧٣,٠٠٠)، وستة وعشرون ألفَ تونسي (٢٦,٠٠٠) لقتال ألمانيا النازية، ثم تحرير أوروبا في النهاية[٢٥٨].

لكن الحلفاء ظلُّوا جادِّين في تعاملهم مع الپروپاغندا الألمانية؛ فقد حذَّرت **فورين آفيرز** في يوليو/ تموز من عام ١٩٤١ قائلةً: إنه «نظرًا لموقع مصر في العالم المحمَّدي، فنحن في غُنية عن شرح مدى اتساع الآثار السيئة لأي اضطراب يبدأ من وادي النيل»[٢٥٩]. وحاول الدعائيون البريطانيون والأمريكيون، ودعائيُّو فرنسا الحرة الردَّ على الپروپاغندا الألمانية عبر برامجهم الإسلامية الخاصة، ليشتبكوا في حرب دعائية حول المعنى السياسي للإسلام في النزاع.

ردود أفعال الحلفاء على التودُّد الألماني للإسلام

بعد فترة وجيزة من وصول قوات رومل إلى شمال إفريقيا، أشارت صحيفة **فرانكفورتر تسايتونغ** (*Frankfurter Zeitung*) إلى أن لندن كانت تحاول «جاهدة» قلبَ العالم الإسلامي ضد ألمانيا النازيَّة، واتَّهمت «الپروپاغندا البريطانية» بتوظيف القرآن لإثبات وجود «تقارب أيديولوجي بين الإسلام والديمقراطية»[٢٦٠]. وفي الواقع، بدأت المناقشات في الحكومة البريطانية حول الدور السياسي والدعائي للإسلام منذ بداية الحرب[٢٦١]، وعلى طريقة الألمان، اعتمد الدعائيون البريطانيون اعتمادًا كبيرًا على المرجعية الإسلامية في سبيل نشر رسائلهم السياسية.

كانت لندن تُدير أو تتحكم في بعض أقوى محطات الإذاعة في المنطقة؛ لتقف في وجه ما تبثُّه النازية من كراهية[٢٦٢]. ردَّت خدمة البي بي سي للبثِّ العربي قصير الموجة من داڤنتري (Daventry) على الاستشهادات بالقرآن وتلاواته التي تبثُّها تسيزن؛ فعشيَّة الحرب، قال ستيوارت پيرون (Stewart Perowne)، أحد المسئولين عن البرنامج العربي في المحطة: «بمجرد أن استمعتُ إلى البرنامج الأول في ليلة

افتتاح إذاعة برلين، اتخذت خطوات في سبيل زيادة عدد تسجيلات القرآن لدينا»[٢٦٣]. وكان المسئولون البريطانيون، نظرًا لما يحوزونه من إمكانات بوصفهم إمبراطورية عالمية، في موقف يسمح لهم بتوظيف صفوة قرَّاء العالم، واستغلال مشاهير القرَّاء في الإذاعة المصرية التي تسيطر عليها لندن[٢٦٤]، وطيلة الحرب، كانت التلاوات تزداد وأصبحت في النهاية تُبثُّ في مستهلِّ نشرة الأخبار العربية، وعادة ما كان الإسلام يظهر بصورة بارزة في البرنامج نفسه.

وفي الوقت نفسه، أغرق الدعائيون البريطانيون شمالَ إفريقيا بالمنشورات، وهنا أيضًا استغلوا الإسلام بغية تحقيق أغراض سياسية[٢٦٥]، وصحِب الهجوم على النظام الألماني عادةً رميه بالإلحاد. ففي عام ١٩٤١، وُزِّع منشور يحذِّر المسلمين من الألمان «الملاحدة» الذين يسعون إلى «محو الدين من العالم»؛ نظرًا لأنه «العنصر الوحيد الذي سيجابه طغيانهم»[٢٦٦]، وزعموا أنه «بموجب أوامر من هتلر، ستدكُّ الطائرات الألمانية من الآن فصاعدًا، المساجد والزوايا وأضرحة الأولياء والمقامات الأخرى». واستنادًا إلى القرآن، تضمَّن المنشور أيضًا إحالة إلى الآية الرابعة عشرة بعد المئة من **سورة البقرة**[أ] التي تُنذر من يسعَون في خراب مساجد المسلمين بعقاب الله. واتهمت منشوراتٌ أخرى الدِّعائيين الألمانَ باستغلال الدين؛ ففي عام ١٩٤١، أنحى منشور يهاجم استخدام الإسلام في البروباغندا النازية باللائمة على برلين لـ «تدنيسها الدين الإسلامي ... وإضلال» المؤمنين[٢٦٧]، واستَشهد المنشور بمقاطع من الحديث [النبوي] عن الصدق؛ ليُدين أشكال الأكاذيب التي تروِّج لها البروباغندا النازية كافَّة. ووزِّع منشور آخر في العام التالي حملت واجهته صورة غوبلز[٢٦٨]. كما استشهد منشورٌ آخر بآيات قرآنية تحرِّم الزنا، وُضعت إلى جوار شعارات نازية تحضُّ الألمان على زيادة النسل بأيَّة وسيلة ممكنة[٢٦٩]، وعلَّق أحد المسئولين في لندن على النصِّ قائلًا: «هذا النوع [من البروباغندا] شديد الفعالية

(أ) الإيماءةُ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾. (المترجم)

هنا، حيث يحظى الدين المحمَّدي بأهمية بالغة»[٢٧٠]. وكانت أكثر المنشورات تلقِّب هتلر بـ **الخنزير**، بما ينطوي عليه ذلك من دلالات دينية واضحة.

وكذلك، أنتجت لندن منشورات تصوِّر بريطانيا العظمى على أنها نصيرة للإسلام والدين بعامة؛ إذ شرح متن منشور وُزِّع في عام ١٩٤١ أن سببًا من أسباب انتصار بريطانيا العظمى سيكون أن «البريطانيين يؤمنون بالله وشرائعه»، ولذلك «لا يمكن أن يهزمهم عدو مثل هتلر الذي لا يُعرَف له ربٌّ أو دين»[٢٧١]. وفي العام التالي، وزَّع البريطانيون منشورًا في جبهة الحرب في شمال إفريقيا تظهر فيه **الخميسة** (يد فاطمة) وتحتها الحرف العربي «ن» (رمزًا للنصر)، ومنقوش عليها عبارة: «النصر حليف بريطانيا لا ريب»[٢٧٢]. ومثلُهم مثَل نظرائهم الألمان، استغل دعائيو لندن المناسبات الدينية من خلال اختيار عطلات إسلامية بعينها لتوزيع منشورات تدمج الرسائل السياسية مع التهنئة بالمناسبة؛ ففي غرَّة رمضان من عام ١٩٤١، وزَّع البريطانيون بطاقات بريدية ترجو للناس «شهر رمضان سعيد مبارك» باسم «شعب إنكلترا وحلفائها»[٢٧٣]، وفي عام ١٩٤٢، خاطب منشور عن رمضان، مليء بالرسومات وتتخلَّله استشهادات قرآنية، المؤمنين قائلًا: «بمناسبة شهر رمضان المعظَّم، يرجو أبطال الحرية وإخوة الرجال في الأمم البريطانية والأمريكتين لإخوانهم المسلمين سلامًا مباركًا وعيد فطر سعيد»[٢٧٤]. لكن أبرز مناسبة إسلامية في البروپاغندا البريطانية كانت شعيرة الحجِّ السنوية. ففي الواقع، بذلت لندن جميع ما في وسعها لتيسير الحجِّ في أثناء سنوات الحرب، وأعلنت عن هذه الإجراءات بحماسة لا تخلو من دعائية[٢٧٥]؛ ففي أواخر عام ١٩٤١، وفي نهاية موسم الحج، وزَّع المسئولون بطاقةً بريدية عربية تمدح جهود الإنكليز في تمكين مسلمي الإمبراطورية من السفر بأمان إلى الحجاز وحمايتهم من اعتداءات هتلر[٢٧٦]. وفي الموسم التالي، أكَّد منشور للمؤمنين أنه حتى في زمن الحرب، تكون الإمبراطورية على أُهبَة الاستعداد لتوفير السفن والحماية للحجيج في رحلتهم إلى مكة: «وفي ضوء المودَّة والدعم الذي يقدِّمه المسلمون لبريطانيا، فإنها تَعُدُّ تمكين الحجَّاج المتدينين من الوصول إلى شواطئ مشاعرهم المقدسة»، مما يُسبغ عليها حُلَّة الشَّرف[٢٧٧]. ولعرض الروابط بين بريطانيا والإسلام عرضًا مرئيًّا، تضمَّن المنشور صورًا ملوَّنة لمسجد ووكينغ (Woking Mosque) قرب

لندن، وسجادة نُقشت عليها صورة الكعبة، وسفينة تحمل الحجيج. وفي العام نفسه، أُهدي زعماء العالم الإسلامي الموالون لبريطانيا منشورًا عن الحجِّ يحمل رسومات لامعة وآيات قرآنية[٢٧٨]. وأخيرًا، ستتجاوز بعض المنشورات التي وزَّعها مبعوثو لندن في شمال إفريقيا إلى تأويل الحرب في بلاد المغرب العربي بوصفها جزءًا من صراعٍ أوسع يقف فيه العالم الإسلامي في وجه المحور، بل إن أحد الملصقات الدعائيّة مدح «المحاربين المسلمين الصينيين» الذين كانوا يقاتلون المحور في آسيا تحت قيادة تشيانغ كاي – شيك (Chiang Kai-shek)[٢٧٩].

وبعيدًا عن المنشورات، أصدرت لندن عددًا من جرائد الحرب بالعربية، منها **أخبار الأسبوع** و**أخبار الحرب** و**المستمع العربي**، وكانت كلها تنشر موضوعات إسلامية؛ فقد زعم العدد الأول من **أخبار الأسبوع** (الأول من مايو/ أيار من عام ١٩٤٢) أنه لم يفُت بعدُ أوان إعلان المسلمين الجهاد على دكتاتوريات المحور وحلفائها[٢٨٠]. ونشرت **المستمع العربي** مقالات عن موضوعات من قبيل التناقضات بين الاشتراكية القومية والإسلام أو الاضطهاد النازي المزعوم لمسلمي پولندا[٢٨١]. وقد نظر الألمان لكل هذه الأنشطة بتوجُّس، ومن بين المواد الدعائية البريطانية التي درستها برلين كان منشور الحجِّ الملوَّن الذي وُزِّع في عام ١٩٤٢، وملصق **يد فاطمة (الخميسة)**، ومنشور عن عبد الله، ملك الأردن، المروَّج له بوصفه سليل النبي [ﷺ]، ومن ثمَّ ركَّز البريطانيون على النَّسب الشريف لحلفائهم الهاشميين، كما فعلوا في الحرب العالمية الأولى، وكذلك عبارة «النصر حليف بريطانيا لا ريب، إن شاء الله»[٢٨٢].

أما حلفاء برلين من المسلمين فغالبًا ما تجاهلتهم الپروپاغندا البريطانية، وخاصةً أمين الحسيني، ومن البداية، نصح المفوَّض السامي البريطاني في فلسطين، هارولد ماكمايكل (Harold MacMichael)، بتجنُّب الهجوم المباشر عليه[٢٨٣]، واقترح أن «السبيل الوحيدة الصائبة هو تجنُّب أي ذكر للحاج أمين ... لأن هجومنا عليه لن يؤدي إلَّا إلى زيادة شعبيته»[٢٨٤]؛ ولمَّا كان كل هجوم على رجل الدين المنشقِّ تردُّ عليه برلين بقوة، فلن يكون لهذه الهجمات أثرٌ إلَّا أن تترك انطباعًا بأن الحسيني شخصية لها حيثيَّتها في العالم الإسلامي. وفي ذروة الحملة على شمال إفريقيا،

كتب ماكمايكل قائلًا: «أشعر أنه ما زال من الأفضل تجنُّبه، عدا عن إمكانية الإشارة العَرَضية إليه بازدراء»[٢٨٥]. وكانت سُلطات الانتداب قد أزاحت الحسيني من جميع مناصبه المدنية، لكنها قررت ألَّا تنزع عنه لقب «المفتي الأكبر» منها؛ حرصًا على تجنب الانطباع بالتدخل البريطاني في شئونٍ يراها المسلمون دينية[٢٨٦].

وظَّفت لندن رموزها الدينية الخاصة لمواجهة البروباغندا الألمانية، وكان أبرز هؤلاء في جبهة الحرب في شمال إفريقيا هم زعماء الطريقة السنوسية، وخاصةً لا حصرًا، محمَّد بن إدريس السنوسي نفسه؛ ففي التاسع عشر من ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤٢، نظَّم الجيش البريطاني استعراضًا احتفاليًّا بعيد الأضحى في مدينة بنغازي الساحلية في إقليم برقة للاحتفال بالعطلة الدينية مع القوات السنوسية[٢٨٧]. كان القائد السنوسي رضا المهدي السنوسي من بين الحضور. وأسَّس البريطانيون، في القاهرة والإسكندرية، منظمةً دعائية متطوعة تشكَّلت من قامات دينية، كانوا جميعًا من خرِّيجي الأزهر[٢٨٨]. وفي جميع أنحاء الإمبراطورية، شجَّعت السُّلطات البريطانية زعماءَ المسلمين على دعوة المؤمنين لدعم المجهودات الحربية. وفي عام ١٩٤٠، اقترح لورد لينلثغو (Lord Linlithgow) إقامة «مؤتمر إسلامي جامع» لإثبات أن «توسع المحور في الأقاليم المحمَّدية ... يناقِض مصالح الإسلام»، لكن مسئولي الحكومة البريطانية أجهضوا الاقتراح؛ خوفًا من سهولة تحول هذا الجمع إلى «نشاط معاد لبريطانيا»[٢٨٩].

وأخيرًا، كان لواشنطن جهود دعائية مشابهة؛ فعندما نزلت القوات الإنكليزية الأمريكية إلى الجزائر والمغرب لإطلاق عملية الشُّعلة، ألقى عملاء مكتب الخدمات الإستراتيجية (OSS) منشورات تخاطب الناس بالعربية، «الحمد لله وحده، وبسم الله الرحمن الرحيم؛ أيها المسلمون»، وتخبرهم أن «المجاهدين الأمريكان قد أتوا ... ليجاهدوا جهاد الحرية الأكبر»[٢٩٠]. وضع نصَّ المنشور اثنان من عملاء الولايات المتحدة السريين، كانا يعملان في جبال أطلس بالمغرب، وهما كارلتون كون (Carlton Coon) وغوردون هـ. براون (Gordon H. Brown) من مكتب الخدمات الإستراتيجية، وذلك بأمر من مدير مكتب الخدمات الجنرال وليام ج. دونوفان

(William J. Donovan). وذكر كون بعد ذلك أنهما عندما كتبا النصَّ بالإنكليزية، أعطياه إلى عربي من أهل البلاد، فتلاه كما يُتلَى القرآن، وقد دُهش الرجلان من الغنائية التي تسربت إلى النصِّ في أثناء تلاوته، لذا قررا استخدام نصٍّ مراجَع قائم على الأداء العربي، لا على نسختهم الأصلية. وقد مُهِر الخطاب باسم «روزفلت» (Roosevelt). واستخدمت الإذاعات الدعائية الأمريكية الدينَ أيضًا؛ ففي رمضان من عام ١٩٤٣، بثَّت إذاعة صوت أمريكا خطابًا بالعربية لعالم مسلم من الولايات المتحدة، أكد فيه على وجود عدة مساجد في ديترويت، ومسجد في بروكلين، وآخر في شيكاغو[٢٩١]. وبعد شهر، أشار تقريرٌ لمكتب الحرب قائلًا: «لدينا الآن برامج دينية للمناسبات الإسلامية الأساسية»[٢٩٢]، وكذلك قال: «إننا نشعر بأن وجود تلاوات قرآنية كل جمعة لن يكون محبَّبًا ... ذلك أن الألمان أفرطوا في استخدامها بصورة بدت معها علامة مميَّزة للپروپاغندا الخاصة بالمحور»، لكن بحلول عام ١٩٤٤، كانت واشنطن تبثُّ تلاوات قرآنية أكثر من مرة في اليوم الواحد[٢٩٣].

وإلى جانب الدين، رأى دعائيو الحلفاء أنه من المناسب كذلك التشديد على الأيديولوجيا العِرقية لألمانيا النازية ومعتقداتها العنصرية عن انحطاط الشعوب الأخرى، وخاصةً الشعوب غير الأوروبية، وكذلك تصورها عن العرب بوصفهم «ساميين»[٢٩٤]، وكان الفرنسيون قد اتبعوا هذا النهج منذ البداية.

اتخذت السُّلطات الفرنسية التي كانت ترقب الجهود الألمانية لاستغلال الإسلام، من البداية، إجراءات مضادة متنوعة[٢٩٥]؛ ففي بواكير الحرب، وزَّع الفرنسيون منشورًا مناهِضًا للألمان عُنون بـ **العنصرية والإسلام** (*Le Racism et l'Islam*) في جميع أنحاء المغرب العربي، شُدِّد فيه على التنافر بين الإسلام والاشتراكية القومية[٢٩٦]. وفي أوائل عام ١٩٤٠، حضر مسئولو فرنسا الإمبراطورية من ذوي المناصب العليا الاحتفالات الدينية، ودعوا لعدِّ الجمهورية [الفرنسية] الثالثة حصنًا للإسلام، وحطُّوا من شأن پروپاغندا برلين الإسلامية؛ لأنها ستخفق لا محالة، كما أخفقت في عام ١٩١٤[٢٩٧]، واستمرت سُلطات فرنسا الحرة في هذه السياسات بعد ذلك؛ فبعد أن طُردت سُلطات ڤيشي من شمال إفريقيا، أعلن شارل ديغول (Charles de Gaulle) في

الإذاعة أن «فرنسا صديقة المسلمين المخلصة والموثوقة، وستظل كذلك»[٢٩٨]، بل إن پروپاغندا موسكو في شمال إفريقيا والشرق الأوسط اعتمدت على الإسلام، مستخدمةً الإذاعة والمنشورات، وأرسلت قامات إسلامية موثوقة إلى هناك للترويج لستالين بوصفه وليًّا للمؤمنين[٢٩٩].

وقد حاول الألمان -بكلِّ ما أوتوا من قوة- إثبات عدم مصداقية هذه الپروپاغندا؛ ففي يوليو/ تموز من عام ١٩٤٢، هاجم البرنامج العربي في إذاعة برلين افتتاح مسجد لندن في متنزَّه ريغنت بوصفه پروپاغندا رخيصة وثمرة لـ «نية البريطانيين خداع الشعوب المسلمة»، وأكد على أن «المسلمين لن ينسوا أبدًا إذلالهم» على يد الإمبراطورية البريطانية[٣٠٠]. ووصفت تسيزن أحدَ البرامج الدينية على إذاعة البي بي سي بأنه كفرٌ بواح، وأعلنت إذاعة برلين أن: «البريطانيين يستهزئون بقرآنكم[٣٠١] ... فهل ستسمحون بأن يصبح عرضةً لسخريتهم؟». وأُعلِنت البي بي سي «محطةً كافرة». وادَّعى المذيع أن لندن دنَّست «لسنواتٍ عديدة ... قداسة التراث الإسلامي ... وأن البريطانيين لن يغيِّروا أبدًا من سياستهم التي أطلقوها منذ أمدٍ بعيد، ويأملون أن تؤدي بهم إلى القضاء على الإسلام». وناشدت تسيزن المستمعين العرب، بنبرة غاضبة إلى حدٍّ ما، قائلةً:

> «إننا نتساءل أين أولئك الذين يدَّعون أنهم يدافعون عن الإسلام. أين العلماء والشيوخ؟ أين أولئك الذين تظاهروا في حلب ودمشق دفاعًا عن دينهم؟ وأين، بربكم، شهداء القاهرة؟ أين شجعان بغداد؟ أين أبطال دمشق الذين ادَّعوا أنهم حُماة دينهم وتراثهم وقرآنهم؟»[٣٠٢].

الجنود الألمان والإسلام في جبهات الحرب في شمال إفريقيا

لقد اقتصرت محاولات ألمانيا لتوظيف الإسلام في جهودها الحربية، في شمال إفريقيا، على الپروپاغندا المطبوعة والإذاعية إلى حدٍّ كبير، لكن نادرًا ما نجد تدخلًا مباشرًا في الحياة الدينية للسكان المحليين، كما حدث في الأقاليم الشرقية أو -إلى حدٍّ ما- في البلقان؛ إذ إن ألمانيا لم تحتلَّ أبدًا أيَّة مناطق في شمال إفريقيا ولا أقامت إدارةً عسكرية أو مدنية هناك؛ فمن الناحية الرسمية، اعترفت برلين بأولوية مصالح

إيطاليا وفرنسا ڤيشي وإسبانيا في الريف [المغربي]، وبأن وجودها هناك هو وجود عسكري محض؛ فظلَّت ليبيا تحت حكم موسوليني، وظلَّت تونس تحت إدارة ڤيشي، أي فعليًّا تحت إدارة المقيم العام (*résident général*) چان - پيير إستيڤا (Jean-Pierre Estéva)، واسميًّا تحت حكم باي تونس. ولم يهيمن الألمان على قسم من الإدارة إلَّا قُرب نهاية الحملة في نوفمبر/ تشرين الثاني من عام ١٩٤٢، حين تراجعت القوات الألمانية - الإيطالية إلى تونس، وذلك بالتزامن مع احتلال هتلر لبقية فرنسا، ورغم ذلك، اعتمدت القيادة الألمانية على الإدارة الفرنسية[٣٠٣]. وفي الفترة ما بين خريف عام ١٩٤٢ وربيع عام ١٩٤٣، وهي الفترة نفسها -تقريبًا- التي خضع فيها سكان الجبال المسلمين في القوقاز للحكم العسكري الألماني، أصبح عدد المسلمين التونسيين الخاضعين للاحتلال النازي قرابةَ مليونين ونصف مليون مسلم تونسي، وذلك بالرغم من أن الألمان كانوا قد احتشدوا في تونس العاصمة التي كان يسكنها زُهاء أربعمئة ألف نسمة.

وعلى الرغم من أن انخراطها الإداري مع الأهالي المسلمين كان في حدِّه الأدنى، إلَّا أن القوات المسلَّحة الألمانية كانت على تواصل يومي مع سكان سواحل شمال إفريقيا بين أوائل عام ١٩٤١ وأوائل عام ١٩٤٣ في تونس وليبيا، وفي غرب مصر لفترة وجيزة (الأشكال ٣-٥، ٣-٦، ٣-٧)، واجتهدت قيادة الجيش بشدة في تجنب تنفير المسلمين. وفي المجمل، روَّجت البروپاغندا الألمانية في شمال إفريقيا والشرق الأوسط لصورة واضحة للرايخ الثالث بوصفه صديقًا للإسلام، وحرص الجيش على تدعيم هذه الصورة على الأرض، وحاولت قيادة القوات المسلَّحة تدريب الجنود على احترام المشاعر الدينية لدى السكان المسلمين؛ وذلك لقناعتها بما ينطوي عليه الدِّين من أهمية إستراتيجية.

ومبكرًا منذ عام ١٩٤١، وزَّعت القيادة العليا للقوات المسلَّحة الألمانية على الجنود المحاربين في شمال إفريقيا دليلًا عسكريًّا مكوَّنًا من أربعٍ وستِّين صفحة بعنوان: **الإسلام**، وذلك لتدريبهم على كيفية إحسان التصرف مع المسلمين (الشكل ٣-٨). لم يستهدف الدليل تقديم توجيهات عملية للجنود حول ما يجوز وما لا يجوز لهم فعله



(الشكل ٣-٥): ضباط ألمان وزعماء محليون، برقة، سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٤٢ (Ullstein).



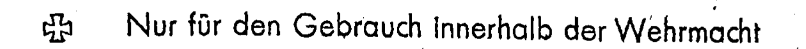
(الشكل ٣-٦): جنود الفيلق الإفريقي، واحة سيوة (غرب مصر)، ١٩٤٢ (Ullstein).

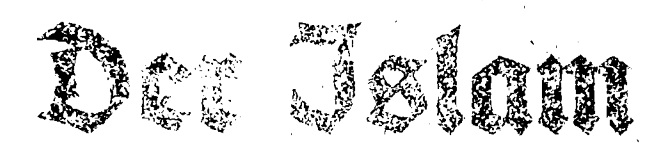


(الشكل ٣-٧): فتى مسلم وألماني، ليبيا، ١٩٤٢ (Ullstein).

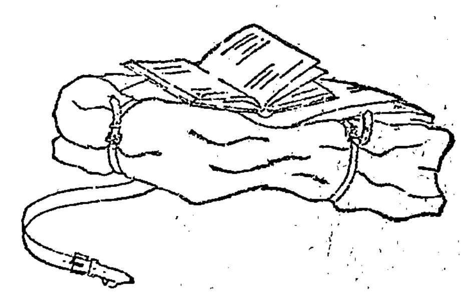
مع المسلمين في الميدان فحسب، بل تزويدهم برؤية متماسكة حول تاريخ الثقافة الإسلامية وتراثها[٣٠٤]، وكان الهدف المعلَن للدليل حظر أشكال السلوك التي يراها المسلمون مهينة أو عدوانية، وقد حذَّر من أن جهل الجنود الألمان وتصوراتهم الخاطئة عن الإسلام قد يضعهم في مواقف «مزعجة ومعرقِلة، بل وخطيرة في ظروفٍ معينة»[٣٠٥]، وقد استهدف الدليل مساعدة جنود القوات المسلَّحة على استيعاب «تفكير المسلم الورِع وسلوكه»[٣٠٦]، وذلك لتجنب الاضطرابات الدينية. تحدَّث الدليل عن «المسلم» بصيغة المفرد كثيرًا، ووعد بأن يكون أداةً لفكِّ شيفرة نفسيته.

ويقدِّم الجزء الأساسي من الدليل رؤيةً عامةً موجزة عن التاريخ الإسلامي، ويوفِّر لقرائه معلومات عن التعاليم والمذاهب والشعائر والأعياد والأعراف الأساسية الإسلامية، وشرح الكتاب قائلًا: «إن معرفة الأسس الدينية لحياة الشعوب الإسلامية ... ستجنِّبنا الأخطاء»[٣٠٧]، وخُتم الكتاب بتسعة عشر توجيهًا عامًّا يجب على الجنود اتباعها على الأرض[٣٠٨]. كان المبدأ المتواتر الذِّكر هو احترام


Nur für den Gebrauch innerhalb der Wehrmacht


Der Islam

VON
OBERFELDARZT
PROF. DR. ERNST RODENWALDT



1941 Heft 52

Tornisterschrift des Oberkommandos der Wehrmacht Abt. Inland

Nicht [illegible] sondern weitergeben!

(الشكل ٣-٨): الإسلام: حقيبة القيادة العليا للقوات المسلحة (إرنست رودنقالد)، ١٩٤١ (BA-MA).

المسلمين، وأشار النص إلى أن إبداء المسلك الخطأ نحو المسلمين «سيضع كل إمكانية للتواصل والتعاون المتعاطف في خطر منذ البداية، وأحيانًا سيمنعه تمامًا»[٣٠٩]، وفي المقابل، أوضح الدليل أنه «ليس ثمَّة مدخل أفضل لنفسية المسلم من أن يشعر أنك تعرف دينه وتحترمه»[٣١٠]؛ لذا، ناشد الكتاب الجندي الألماني أن يُبدي «احترامًا غير مشروط» للإسلام[٣١١].

تضمنت قائمة التوجيهات العملية نصيحةً براغماتية؛ إذ أخبر الكِتابُ الجنودَ أنه: «إن أردت إجراء حوار مع مسلم عن الإسلام، فاجعل دينه على قدَم المساواة مع دينك»، متجاهلًا بذلك البروپاغندا الألمانية الاستعلائية[٣١٢]، وأُعطي الرجال أمثلة فعلية حول كيفية توظيف الدين لمصلحتهم، وأضفى الدليل على الحاجِّ إلى مكة قيمةً خاصة في قوله: «احترم أولئك الذين قد سبق وحجُّوا إلى مكة»[٣١٣]، وهم يُعرَفون بسَمتهم الخارجي: «فغالبًا ما يمكن تمييزهم من خلال العمامة واللحية والرداء الأبيض»[٣١٤]، بل قدَّم الدليل توجيهات حول كيفية إقامة عَلاقة صداقة مع الحُجَّاج: «إن الحوار مع أحد الحجَّاج حول خبرته في الحجِّ تُحيي فيه أشدَّ تجاربه فخرًا، وتقنعه بأن الغريب أيضًا يُولي مكانته المتميزة التقدير الملائم»[٣١٥]، ونصح الكِتابُ الجنودَ أيضًا بمنح الشحَّاذين المسلمين شيئًا من المال إن صادفوهم: «أعطِ الشحاذين صدقات صغيرة بمبالغ ضئيلة بوجه طلق، ولا تصدَّهم بفظاظة، فإن لم تكن تملك عملات معدنية أو لم تُرِد إعطاءهم شيئًا، فقل بلطف وباللغة العامية: «الله يعطيك»[٣١٦]. ونُصِح الجنود باستخدام لغة دينية في مناسباتٍ أخرى: «فإن كنت تحدد موعدًا مستقبليًّا مع أحد المسلمين، أضف إلى الترتيب عبارة (إن شاء الله)، كأن تقول: نلتقي غدًا في الساعة الثانية إن شاء الله»[٣١٧].

وكذلك أولَى الدليل عناية خاصة بالأماكن المقدسة من المساجد والمقامات والأضرحة التي وجدها الجنود في جميع أنحاء شمال إفريقيا[٣١٨]؛ فشدَّد على أن المساجد يجب أن تُعامل بحرص شديد، حتى في أوقات القتال: «لا تدخل مسجدًا إلَّا إن دُعيت لزيارته، أو أذِن لك حارسه بالدخول، وتراجع عند إبداء أيَّة علامة على الرفض، ورغم ذلك، لا تحاول أبدًا دخول المسجد يوم الجمعة أو وقت صلاة

الظهر»[٣١٩]. لكن أحيانًا قد تتناقض الضرورات العسكرية مع الاحترام الديني: «فإن كانت الزيارة تستوجب أمورًا معينة، كترك السلاح أو خلع الحذاء، فإن كبرياءك يوجب عليك إلغاء الزيارة»[٣٢٠]. وسعى الدليل أيضًا إلى الموازنة بين الحساسية المتعلقة بالمواقع الدينية والضرورة العسكرية: «يجب تجنب بناء المواقع الدفاعية التي يمكن أن تدمر ضريحًا إسلاميًا بقدر الإمكان، فالأضرحة مقدسة إلى حدٍّ كبير»[٣٢١].

ودُرِّب الجنود بشكل جيد على احترام الشعائر الإسلامية، وخاصةً الصلاة: «احترم المسلم الذي يصلِّي، على عادته، في مكان عام، ولا تحملق فيه في أثناء فعلٍ يراه مقدسًا. لا تزعجه. ولا تحاول -تحت أي ظرف- تصويره في صلاته»[٣٢٢]. وكذلك، نُبِّه الجنود إلى ضوابط الطعام والشراب عند المسلمين؛ فشرح لهم الدليل أنه «من الخطأ وغير اللائق» عرض الكحول على المسلمين[٣٢٣]: «لا تُكره أحدهم على طعام أو شراب تحرِّمه الشريعة (الخنزير أو الخمر)، ولا تَحتَل عليه تحت أي ظرف في طبيعة الطعام الذي تقدمه له»[٣٢٤]. وكذلك، عُلِّم الجنود أن المسلمين كاليهود: مَختونون؛ «ففي البلدان المسلمة، من الشرف أن تدعوك عائلة إلى المشاركة في حفل ختان أحد أطفالهم»؛ إذ تعني هذه الدعوة أنهم رأوا فيك «صديقًا للإسلام»[٣٢٥].

وأخيرًا، حُذِّر الجنود بشكل خاص من الأدوار الجنوسية (المتصوَّرة) لدى المسلمين: «في أية مدينة مسلمة، لا يهم عدد الفتيات أو النساء الفضوليات اللواتي تنظرن من المشربيات، فلا يليق بك أبدًا أن تحييهم أو تلوِّح لهم ... ويُحظَر عليك أن تخاطب امرأة أو فتاةً مسلمة في الشارع أو في متجر، حتى وإن رفعت حجابها»[٣٢٦]. وفصَّلت التوجيهات من الثالث عشر إلى الخامس عشر القول في تنظيم التفاعل بين الجنسين، فحتى في المواقف العسكرية، يجب على الجنود تكييف ممارساتهم: «إن اضطُررت إلى جمع معلوماتٍ من بيت مسلم، دُقَّ الباب أو الجرس، ثم أدر ظهرك للباب كي لا تُبصر المرأة التي قد تفتح الباب ... ولا تسَل أبدًا رجلًا مسلمًا عن امرأته أو أيَّة بالغات أُخريات من العائلة»[٣٢٧].

لقد استند الدليل، في العموم، إلى فرضية أن المسلمين يخضعون لنسَق محكَم من المعتقدات والممارسات الدينية التي يمكن تعلُّمها وتطبيقها عمليًّا. ومما يلفت النظر أن إرنست رودنڤالد (Ernst Rodenwaldt)، مؤلِّف الدليل، لم يكن دارسًا للإسلام، بل كان متخصصًا في الملاريا في معهد الطب الاستوائي بالأكاديمية الطبية العسكرية في برلين[٣٢٨]، ثم كان مسئولًا بعد ذلك عن إصابة منطقة سبخات پونتين (the Pontine marshes) [في إيطاليا] بالملاريا في عام ١٩٤٣، مما تسبَّب في إصابة مئة ألف إيطالي بالمرض على الأرجح، وتُوفِّي منهم عددٌ مجهول، وقد أقام رودنڤالد دليله على دراسات من العهد الإمبراطوري وأعمال المستشرقَين الألمانيَّين مارتن هارتمان (*Der Islam*) [بالعربية: **الإسلام**] ١٩٠٩، وتراوغوت مان (Traugott Mann) (*Der Islam einst und jetzt*) [بالعربية: **إسلام الماضي والحاضر**] ١٩١٤، وأعمال خبيرَي الإسلام الهولنديَّين كريستيان سنوك هِرخرُونيَه (*Mekka*) [بالعربية: **مكة**] ١٨٨٨-١٨٨٩، وتيودور ڤليم يان ياينبول (Theodoor Willem Jan Juynboll) (*Handbuch des islamischen Gesetzes*) [بالعربية: **دليل الشريعة الإسلامية**] ١٩١٩، بل حتى أعمال المستشرق الهابسبورغي (اليهودي) إجناتس جولدتسيهر (Ignaz Goldziher) (*Mohammedanische Studien*) [بالعربية: **دراسات محمَّدية**] ١٨٨٩-١٨٩٠[٣٢٩]. وبذلك، اعتمد الدليل على تراث الدراسات الإسلامية التي كانت في خدمة المسئولين الاستعماريين، وكان رودنڤالد نفسه خبيرًا في سياسة الإسلام الإمبراطورية، بعد أن عَمِل في الإمبراطورية العثمانية، في أثناء الحرب العالمية الأولى، ثم بعدها في جزر الهند الشرقية الهولندية.

وزَّع الجيش الألماني منشورات مشابهة عن أمورٍ أخرى تثقِّف الجنود حول الظروف المحلية، كان منها على سبيل المثال، منشور خاص عن تونس[٣٣٠]، وكان هناك كتاب آخر بعنوان: (*Muhammed und der Islam*) [بالعربية: **محمَّد والإسلام**] استُخدِم في تدريب الطيارين المرسَل بهم إلى شمال إفريقيا[٣٣١]، وكذلك، كان الجنود يحصلون على تدريب مستمر عبر الملصقات والمقالات التي تُنشر في مجلَّة القوات المسلَّحة الألمانية الميدانية الرسمية؛ مجلَّة (*Die Oase*) [بالعربية: **الواحة**]،

ثم في مجلَّة (*Die Karawane*) [بالعربية: **القافلة**]، وهي مجلَّة الجنود في تونس[٣٣٢]. وبغض النظر عن الشكِّ في مدى الاستعداد الفعلي عند الجنود لاصطحاب المنشورات والمجلَّات والكتب معهم في حرارة الصحراء الكبرى، فإن الجهود التي بذلتها السُّلطات العسكرية لتوزيع هذه التوجيهات والمنشورات تُظهر أنهم آمنوا بأن الإسلام ينطوي على أهمية عسكرية. وقد اعترف تقرير أمريكي بالنجاح الألماني في تدريب القوات المسلَّحة في قوله: «لقد تعلَّم الجنود الألمان العديد من جوانب اللباقة العربية، وكانوا خاضعين لقيود صارمة تمنعهم من إيذاء السكان العرب»[٣٣٣].

وفي المقابل، حرص الدعائيون الألمان على استغلال الحَيرة التي اعترت السكان المسلمين المحليين بسبب سلوك القوات الأمريكية؛ ففي أواخر عام ١٩٤٢، اقترحت «اللجنة العربية» التَّابعة لغروبَّا الاستغلال الدعائي لما زُعم أنه سوء سَير جنود الولايات المتحدة وانحطاط سلوكهم[٣٣٤]. وفي الوقت نفسه تقريبًا، وصلت توجيهات إلى وحدة البروپاغندا في تونس تطلب منها «التشديد بشكل خاص على عدم احترام الأمريكان لأعراف المحمَّديين وتقاليدهم»، وتقترح استخدام الشعار القائل: «إنهم حلفاء البلاشفة الملاحدة، الذين يضطهدون المؤمنين ويهدمون المساجد في بلدان محمَّدية أخرى وفي الاتحاد السوڤييتي، لكن قوات المحور تبجِّل الدين. ومن ثمَّ، يبتهل العرب جميعًا إلى الله لينصرها»[٣٣٥]. وفي تقديرٍ لإحصائية أُعدَّت حول توجهات الجنود الأمريكيين، لحظَت استخبارات الجيش الأمريكي في صيف عام ١٩٤٣ أن «الجندي الأمريكي ينظر إلى العرب بازدراء»، وحذَّرت من أنه «يجب علينا احترام دور العبادة والممارسات المحمَّدية»[٣٣٦]، وبالفعل، وزَّعت وزارة الحرب الأمريكية أيضًا منشورًا عن الإسلام، صُمِّم لتثقيف الجنود الأمريكان في شمال إفريقيا حول تقاليد الإسلام، وكما كانت الحال في الكتاب الألماني، جرَت توعية الجنود بأهمية الدين لدى السكان[٣٣٧].

ولأن مسلمي ليبيا وغرب مصر لم يخضعوا قطُّ لإدارة ألمانية مباشرة؛ لم يتعامل ضباط القوات المسلَّحة الألمانية مع الشئون الدينية تعاملًا مباشرًا إلَّا فيما ندر؛ ففي



(الشكل ٣-٩): جندي ألماني وجمَّال مسلم، تونس، ١٩٤٣ (Ullstein).



(الشكل ٣-١٠): مسلمون يؤدُّون خدمة حراسة لدى الألمان، تونس، ١٩٤٣ (Ullstein).

بعض الحالات، دخلوا في مشاورات مع مشايخ الطرق الصوفية المحلية ذوي النفوذ السياسي في المناطق الحدودية[٣٣٨]. أما في تونس، حيث كان الألمان أكثر اتصالًا بالسكان المسلمين (الأشكال ٣-٩، ٣-١٠)، فقد سعَوا إلى الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع العلماء الحضريين والشخصيات الدينية، بل إن بعض هؤلاء العلماء، الذين كان من بينهم علماء دين مشهورون من جامع الزيتونة وجامعة تونس، عمل في البروپاغندا[٣٣٩]، وقد أُجلي عددٌ من الشخصيات الإسلامية المتعاونة مع جنود القوات المسلَّحة الألمانية لاحقًا، بل في أواخر عام ١٩٤٢، ناقش المسئولون في برلين إرسال مفتي القدس في جولة دعائية إلى تونس، لكن نظرًا للوضع العسكري غير المستقر، جرى تجاهل هذه الخُطط في النهاية[٣٤٠].

ثم أصبحت المحاولات الألمانية لتوظيف الدين على الأرض في تونس في أوضح صورها في الأعياد الإسلامية؛ فقد تزامن احتلال تونس العاصمة مع عيد

الأضحى، أو العيد الكبير كما يسمَّى في المغرب العربي، في التاسع عشر من ديسمبر/ كانون الأول لعام ١٩٤٢، أي اليوم نفسه الذي نظَّم فيه البريطانيون احتفالهم في بنغازي، وبالطبع، لم يفوِّت الألمان أيضًا فرصة استغلال اليوم وتسييسه؛ فتوجَّه كلٌّ من هانز-يورغن فون آرنيم وردولف ران آخر النهار في زيارة رسمية لباي تونس محمَّد المنصف السابع، للتعبير عن احترامهما للإسلام، وكما ذكَر ران، سار موكبهما المكوَّن من أربع سيارات كبيرة «بسرعة ثابتة مقدارها خمسة وعشرون كيلومترًا في الساعة»، على شارع باريس الرئيسي، مغادرًا تونس العاصمة باتجاه مدينة حمام الأنف الساحلية، حيث يقيم الحاكم الحسيني[٣٤١]، ووقف مئات المحيِّين أمام القصر الشتوي يلوِّحون للموكب، وقد استقبل حرس شرف الباي الزوَّار. وفي حوارهم معه -أعني الباي- تعهَّد الألمانُ أنه بحلول عيد الأضحى القادم سيكون السلام قد حلَّ. وشدَّد آرنيم على أنه يحاول إبعاد الحرب عن السكان قدر الإمكان. أما ما هو أهم من هذه الحوارات، فهو الإعلان العام عن احترام الألمان للإسلام. وقد أبرق ران بحماسٍ إلى برلين؛ حثًّا لها على الاستغلال الدعائي لهذا «الاستقبال الحار» في «العيد الكبير»، و«الترحاب الهائل من جانب السكان المجتَمِعين»[٣٤٢]. فطبعت المجلَّة الدِّعائية **سيغنال** (*Signal*) [بالعربية: **الإشارة**] مجموعةً كاملة من صور الاستقبال[٣٤٣]. وإثر ذلك، اتُّهم الباي بالتعاون [مع الألمان]، ونفاه الحلفاء.

لقد صَدرت العناية الألمانية باحترام الإسلام عن اعتبارات تكتيكية في الأساس، لكن كان للأولويات العسكرية أن تضع حدًّا لها، وقد تجلَّى ذلك أيَّما جلاء في النقاش حول الغارات الجوية على القاهرة؛ فبعد أن دكَّت طائرات المحور مناطق في العاصمة المصرية، في صيف عام ١٩٤١، عبَّرت الحكومة المصرية عن احتجاجها للسفارة الألمانية في ستوكهولم عبر وسيط سويدي؛ ولوعيهم بما يروِّجه الألمان عن صداقتهم للإسلام، دفع المصريون بأن القاهرة ليست مجرد «مدينة مفتوحة دون أية تحصينات»، بل هي أيضًا «مدينة مقدسة بالنسبة للعالم الإسلامي كما هي روما بالنسبة للعالم المسيحي»[٣٤٤]، ولم يبالِ بذلك إرنست ڤيرمان، المسئول بوزارة الخارجية، الذي كان دائمَ الاعتراض على التفاعل الألماني مع



(الشكل ٣-١١): مسجد مدمَّر في شمال إفريقيا، ١٩٤٢ (BPK).

الإسلام؛ ففي مذكِّرة داخلية، اعترض قائلًا إن القاهرة لا يُنظَر إليها من زاوية مقدساتها، بل من زاوية أهميتها الإستراتيجية والعسكرية؛ إذ تحوي مقراتٍ سياسية وعسكرية بريطانية كبرى، بالإضافة إلى ثُكناتٍ عسكرية ومخازن للسلاح ومستودعات للذَّخيرة[٣٤٥]. وكتب أنه إجمالًا «لا يمكن وضع القاهرة في مرتبة المدن المقدسة نفسها التي تختصُّ بها مكة والمدينة والقدس»، فمن الخطأ عدُّ القاهرة مدينة مقدسة أو حتى مفتوحة. كان رد ڤيرمان الشديد يتغيَّا تهدئة زملائه الذين غلَبت عليهم الحماسة لقَبول الدفوع المتعلِّقة بالإسلام؛ فكتب إلى سفارة

بلاده في ستوكهولم في الثامن عشر من سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٤١ أن احتجاج الحكومة المصرية يجب أن يوجَّه إلى الحكومة البريطانية التي تحوِّل مصر ومدينتها الكبرى إلى ساحات حرب[٣٤٦].

وبطبيعة الحال، كان سكان شمال إفريقيا معرَّضين دومًا إلى عنف الحرب، وقد أدَّى الصراع إلى حدوث تدمير شامل، وخاصة على سواحل إقليم برقة؛ إذ دُكَّت القرى والمدن بالقنابل ودُمِّرت المساجد والمقدسات (الشكل ٣-١١)، وعانى العديد من السكان في الجبهات الأمامية من نقص الماء والغذاء، وفوق ذلك، كان السلوك الألماني تجاه المسلمين على الأرض مختلفًا أحيانًا عن المعايير التي وضعها التدريب أو التوقعات التي أشاعتها البروباغندا؛ ويتجلى ذلك في عددٍ من التقارير الواردة من الجبهات الأمامية تشكو السلوك «شديد الحمق» الذي سلكه الجنود الألمان تجاه المسلمين، وفشلهم في فهم المسلمين بوصفهم جزءًا من «المجال الديني والثقافي» الذي مثَّل «عاملًا مهمًّا» في المجهود الحربي[٣٤٧]. ونجد بعض التأملات في توجهات الجنود الألمان العاديين تجاه مسلمي المغرب العربي في مذكِّرة كتبها أحمد بيُّوض، المنفي من شمال إفريقيا إلى فرنسا، في مارس/ آذار من عام ١٩٤٢، والذي عمِل مع الألمان وحاول تحذيرهم مما يعانيه الأسرى في شمال إفريقيا في تعاملهم اليومي مع حراس القوات المسلَّحة الألمانية[٣٤٨]. كان المسلمون يعلمون في الغالب «أن آراء الألمان ومشاعرهم الحقيقية على النقيض من بيانات الدوائر الحكومية الألمانية وإذاعاتها»، وزعم بيُّوض أنه «في كل مكان، نوصَم بأننا 'ملوَّنون' أو حتى 'سود'، وغالبًا ما نرى بوضوح أن الجندي الألماني يَعُدُّنا أحد أحطِّ الأجناس في العالم، بل تشيع أيضًا تعبيراتٌ من قبيل 'يهودي' أو 'زنجي' أو 'الأوغاد السود'، وغيرها». واعتمادًا على الدين، تذمَّر بيُّوض من «أننا نحن المسلمون» نشعر بشيء من النفور، جرَّاء استهلاك الجنود الألمان للخمر في معسكرات الأَسر، وأشار بيُّوض؛ دعمًا لحجَّته، إلى سياسة ألمانيا العامة تجاه الإسلام؛ فإن أرادت برلين «الالتزام بمانيفستو صداقتها للإسلام» الذي أصدرته سابقًا، فمن المهم أن تتأكد من أن الضباط الألمان يحترمون المسلمين في اللقاءات

الشخصية[٣٤٩]؛ وقد أخذت القوات المسلَّحة الألمانية مذكِّرة بيُوض على محمل الجدِّ[٣٥٠]؛ فشكاوى من هذا النوع لم تكن مفاجئة؛ ذلك أن مسلمي شمال إفريقيا مع أفارقة جنوب الصحراء كانوا موضوعًا ثابتًا لدى پروپاغندا الكراهية اليمينية في ألمانيا منذ احتلال الراينلاند (Rhineland) في عام ١٩٢٣[٣٥١]. ففي مذكراته، وصف المؤلف كلاوس مان (Klaus Mann) هذه الپروپاغندا الألمانية بتعبيرات قوية، مستحضرًا «الرسومات والتعليقات المروِّعة» عن «القوات الملوَّنة» في أقاليم الراين (Rhine) والرُور (Ruhr) قائلًا: «أذكر -بشكل خاص- رواية شنيعة مفادها أن مغربيًّا[أ] واحدًا اغتصب عشرات العذارى والأطفال، بل ووصل إلى ذروة فُسُوقه فاغتصب مُهرة جميلة وحيدة عزيزة على ملَّاكها المنتَمين إلى قبيلة فلَّاحين من الراين»[٣٥٢]. وكذلك برز هذا النوع من الصور النمطية السلبية في الپروپاغندا الألمانية في مراحل الحرب الأولى ضد فرنسا في عام ١٩٤٠، ورغم أنه اختفى سريعًا، إلَّا أنه كان له أثره على الجنود الألمان العاديين، سواءً في القارة أو في شمال إفريقيا[٣٥٣].

ختامًا، لعب الإسلام دورًا مهمًّا في الحرب الألمانية في شمال إفريقيا والشرق الأوسط؛ فقد شنَّت برلين حملة دعائية كبيرة مشحونة دينيًّا، لا لاجتذاب دعم المسلمين في أراضيهم المحتلَّة في المغرب العربي فحسب، بل أيضًا لإثارة العنف خلف خطوط القتال الأمامية، وفي الوقت نفسه، جرت محاولات لتدريب الجنود الألمان على احترام السكان المسلمين الأصليين، والتفاعل مع الزعماء الدينيين من أهل البلاد، لكنها لم تصادف نجاحًا ملموسًا، وفي ربيع عام ١٩٤٣، انسحبت القوات الألمانية من شمال إفريقيا، لكن الپروپاغندا الألمانية لم تنقطع.

(أ) وردت في الأصل الإنكليزي (moor)، وهو لفظ عامي أوروبي عتيق؛ يرجَّح أنه مشتقٌّ من الموريسكيين، أي بقايا المسلمين في الأندلس، ويُشار به عادة إلى سكَّان شمال إفريقيا أو المنطقة المغاربية، وتحديدًا إلى الأمازيغ منهم، وتدور معانيه غالبًا حول «مسلم»، «مغربي»، «بربري»، وآثرنا ترجمته بـ «مغربي»؛ لأن الأصل لا يبيِّن ماهية ذلك الشخص المقصود، وصفة «مغربي» جامعةٌ للإسلام والأمازيغية أو البربرية. (المترجم)

الفصل الرابع
الإسلام والحرب على الجبهة الشرقية

حين عبرت الدبّابات الألمانية نهر الدون (the Don River) وتقدمت نحو القوقاز في صيف عام ١٩٤٢، اشتدَّ قلق السُّلطات السوڤييتية من خاصرتها الجنوبية المسلمة، فذكَّر مسئول مفوَّضية الشعب للشئون الخارجية [وزارة الخارجية] والسفير السوڤييتي السابق في واشنطن، قسطنطين أومانسكي (Konstantin Umanskii)، مراسل بي بي سي ألكسندر ويرث (Alexander Werth)، بتاريخ المسلمين في المنطقة:

> «يجب أن أقول إنَّ شيئًا من القلق على القوقاز ينتابني ... فتتر القِرم لا يوالوننا إلى حدٍّ كبير ... ولم يحبونا قطُّ، ومن المعروف أنهم 'تعاونوا'، عن طيب خاطر، مع الإنكليز والفرنسيين في حرب القِرم. كما يمكننا القول الآن إن هناك عوامل دينية لم يتوانَ الألمان عن استغلالها. كما أنني لا أثق أيضًا في سكان جبال القوقاز؛ فهُم مسلمون مثل تتر القِرم، وما تزال ذكرى الغزو الروسي للقوقاز، الذي انتهى فقط في عام ١٨٦٣، حاضرة في أذهانهم»(١).

نعم، كان يُنظَر إلى سكان القِرم والقوقاز المسلمين، عادةً، على أنهم غير مأموني الجانب. لقد كان الإسلام، في واقع الأمر، مفتاحًا رئيسًا لمعارَضة الدولة المركزية ومقاومتها منذ توسُّع دوقية موسكو في القرن السادس عشر على حساب المناطق المسلمة في إقليم الڤولغا والأورال، وفي أثناء الضمِّ القَيصري للقِرم والقوقاز في القرنين الثامن عشَر والتاسع عشَر، ثم توسُّع روسيا في القرن التاسع عشر إلى آسيا الوسطى(٢). وعلى الرغم من أن الحكومة الروسية تبنَّت مجموعة متنوعة من

الإجراءات لتوظيف الإسلام في تعزيز دعائم حكمها في القِرم والقوقاز، كما فعلت مع مناطق إسلامية أخرى، عُدَّت هذه الأقاليم مِهادًا محتمَلةً للتمرد الإسلامي. وطَوال القرن التاسع عشر، انخرطت الجماعات الجبلية المسلمة في حرب عصابات مريرة ضد القوات الروسية في شمال القوقاز[٣]، وقادهم في غزواتهم تلك زعماء دينيون، أمثال الأئمة الأسطوريين الثلاثة: محمَّد غازي وحمزة بك والإمام شامل الشهير «أسد الشيشان»[أ]. لم يقتصر الأئمة على تنظيم مقاومة القَيصرية في جبال داغستان والشيشان فحسب، بل أعلنوا قيام إمامة، وهجَّروا الجماعات المسلمة التي أبت اتباع الشريعة الإسلامية وجهاد الغزاة الروس. قُتِل عشرات الآلاف من جنود القَيصر في حربهم على المتمردين، فيما كانت خسائر المسلمين أعلى، وكان المسئولون الروس، في جميع النقاط الحدودية جنوب الإمبراطورية، مهمومين بـ **الأصولية الإسلامية** (*musulmanskii fanatizm*).

وزاد وصول البلاشفة إلى السُّلطة الطين بلَّة؛ فبعد فترة من السياسات المعتدلة تجاه المسلمين؛ من تسامح مع المساجد والمدارس الدينية والمؤسسات الإسلامية، بل حتى محاولات بعض البلاشفة المسلمين من أمثال ميرسعيد سلطان غالييف (Mirsaid Sultan Galiev) الدعوة لـ «إسلام سوڤييتي»؛ استهدفت قوانين عام ١٩٢٩ قمع كلِّ ميل ديني[٤]. وفي عهد ستالين، عانَت المناطق الإسلامية تنظيمًا اقتصاديًا جماعيًّا جبريًّا، وكذلك اضطهادًا دينيًّا غير مسبوق؛ فقد رأت السُّلطات السوڤييتية أن الإسلام يقوّض النظام الاجتماعي والسياسي في تُخومهم الإسلامية الجنوبية، وصوّرت دعايتهم الإسلام بوصفه بقايا مجتمع إقطاعي رجعي، ومُنِعت غالبية الكتابات والدوريات الإسلامية من الصُّدور، كما صودرت جميع الأوقاف، وأدَّى حظر الشريعة الإسلامية إلى فقدان المحاكم الشرعية سُلطتها؛ رسميًّا على الأقل. وسعت موسكو إلى تحطيم نفوذ العلماء على السكان بكل وسيلة ممكنة؛ إذ نُظِر إلى الملالي على أنهم من أركان المجتمع التقليدي، وأنهم دعاة مقاومة السوڤييت، بل

(أ) «أسد الشيشان» لقبُ اشتهر به خطّاب؛ القائد العربي في الجهاد الشيشاني، في حين كان لقب الإمام شامل الداغستاني هو «أسد القفقاس». (المترجم)

اتُّهموا مرارًا بالتورط في مؤامراتٍ ثورية مضادة بتوجيه من أجهزة سرية أجنبية(٥)؛ فخضع بعضهم لمحاكمات صورية، وأُعدِم الكثيرون، وفي الوقت نفسه، استهدفت السُّلطات السوڤييتية المساجد والمدارس. ففي الثلاثينيات، أغرقت «رابطة الملحدين» (Society of the Godless) المعروفة، الأراضي الإسلامية بپروپاغندا إلحادية عدوانية، فأحيت العداء القديم للدولة المركزية؛ إذ احتل نشطاؤها المساجد، ونقشوا الشعارات السوڤييتية على جدرانها، ونصبوا الرايات الحُمر على مآذنها(٦)، وفي بعض المناطق، أرسل المسئولون فرقًا موسيقية إلى المساجد وأطلقوا الخنازير في أحرامها. ومع قُدوم الغزو الألماني في عام ١٩٤١، كانت غالبية المساجد، التي كان عددها يربو على عشرين ألف مسجد في الأراضي الإسلامية في عام ١٩١٧، قد هُدِّمت أو حُوِّلت إلى مدارس علمانية، ومكتبات عامة، ونوادٍ اجتماعية، ومطاعم.

لكن جميع هذه المحاولات التي رامت تحطيم البنى والمشاعر الدينية في المناطق الإسلامية باءت بالفشل، وظل للإسلام دورٌ حيوي في تشكيل الحياة الاجتماعية والسياسية(٧)؛ ففي أجزاء عديدة من شمال القوقاز، ظل المسلمون يفضُّون نزاعاتهم من خلال اللجوء إلى محاكم شرعية غير قانونية، تستتر تحت اسم «مجالس الصُّلح» (reconciliation commissions)، وكذلك ظلَّت للمدارس الدينية أهميتها؛ إذ كانت تدرِّس للأطفال في العطلات الصيفية للمدارس الرسمية، وفي المدارس الحكومية، تشكَّى المدرِّسون السوڤييت من أن الأطفال المسلمين يأبَون لمس الكتب الدراسية التي عدُّوها كتبًا إلحادية. وكذلك مُنيت حملة موسكو على الحجاب والأعياد الدينية -إجمالًا- بالفشل؛ ففي محرَّم، ظلَّ شيعة أذربيچان على ممارستهم لطقوس **العزاء**، وجَلد الذات بالخناجر المفلولة والسلاسل الحديدية في مواكب **عاشوراء**. وعندما نظَّمت السُّلطات المحلية احتفالات الشوارع مع موسيقى مبهجة، تحولت المواكب -بانتظام- إلى أعمال شغب عنيفة شارك فيها الآلاف. وجوبهت الاستفزازات المُعادية للدين -غالبًا- بمقاومة عنيفة؛ فعندما أقام السوڤييت مزرعة خنازير في قرية دارغو (Dargo) المسلمة في الشيشان، قَتَل الأهالي القطيع بأكمله في غضون ساعات. وكانت هذه النزاعات ذات طابع محلِّي أيضًا؛ إذ كانت

تقع بين المؤمنين المخلصين والمسئولين المحلِّيين. وفي شمال القوقاز، كانت الثورة الشعبية وحرب العصابات دائرة في فترة ما بين الحربين[٨]، وقاد العديد من هذه الانتفاضات زعماء دينيون، ولا سيَّما شيوخ الطرق الصوفية ذات النفوذ، رغم أنها كانت محظورة قانونًا، والذين أعلنوا الجهاد ضد موسكو مرارًا، وجدلوا الشعارات الدينية والدعوة للاستقلال في جديلة واحدة. وكانت البلشفية، من منظور الكثير من المسلمين، مجرد شكل جديد من أشكال الهيمنة الإمبريالية الروسية، وأضحى الإسلام، أكثر من أي وقت مضى في التاريخ الروسي، مَعلَمًا للخلاف مع الدولة المركزية ومقاومتها.

وإذا استعرضنا الماضي، ندرك أن قسطنطين أومانسكي كان محقًّا في قلقه، والآن في صيف عام ١٩٤٢، انتابت الكرملين الخشية من موجة من التمردات الإسلامية على أطرافه الجنوبية التي قد تنتشر إلى أقاليم آسيا الوسطى الشاسعة؛ إذ يمكن للمسلمين، الذين يربو عددهم على العشرين مليون مسلم، ويشكِّلون خمسة عشر في المائة من مجمل السكان، أن يصبحوا قوة سياسية خطيرة. ومع إتمام الاحتلال الألماني للقِرم في خريف عام ١٩٤١، غدا رُبع المسلمين السنَّة من التتر تحت الحكم النازي. وفي أوائل أغسطس/ آب من عام ١٩٤٢، تقدمت القوات المسلَّحة الألمانية إلى مناطق المسلمين في الجبال القوقازية الشمالية، التي كان من أهمها: أودية قراتشاي-تشيركيسيا (Karachai-Circassia) وقبردينو-بلقاريا (Kabardino-Balkaria)، وبحلول أكتوبر/ تشرين الأول، وقفت على حدود إقليم الشيشان-إنغوش (Chechen-Ingush) ولم تتقدَّم أبدًا نحو غروزني (Grozny). وخلف خطوط القتال الأمامية، انفجرت انتفاضات مناهِضة للسوڤييت استنزفت أعدادًا كبيرة من قوات الجيش الأحمر، وخاصةً في إقليم الشيشان-إنغوش، وبدرجة أقل في أقاليم قراتشاي-تشيركيسيا وقبردينو-بلقاريا[٩]. ومن بين أكثر جماعات المقاومة ثباتًا وفعاليةً كانت تلك التي يقودها الزعماء الدينيون، وأبرزهم ميليشيات الشيخ القادري قريش بيلخُوروف (Qureish Belkhoroev) الذي صمد في جبال إنغوشتيا وأوسيتيا الشرقية حتى عام ١٩٤٧. وفي القوقاز والقِرم كليهما، رحَّبت أغلبية المسلمين بنهاية

الحكم السوفييتي البغيض بحماس، وأمَّلَت في القوات الألمانية خيرًا بحُسن نية. وفي مناطق عدَّة، حُيي جنود القوات المسلَّحة بهتافات «المحرِّرين»، وأرسل المسلمون في القِرم فواكه ومنسوجات للقيادة الألمانية، لـ «أدولف أفندي»[١٠]. وفي القوقاز، دُهِش الألمان من الترحيب الدافئ[١١]؛ إذ أشار تقرير استخباراتي لمكتب أمن وحدات الحماية النازية إلى أنه في حين تحفَّظ الروس والأوكران؛ استقبل سكان الجبال المسلمون في إقليم قراتشاي الألمان بحماس[١٢].

لقد كان قلق أومنسكي من الاستغلال الألماني للإسلام في هذه المناطق له ما يُسوِّغه[١٣]؛ ففي ألمانيا، ألمَحت الصحافة بالفعل إلى تراث مقاومة القوقاز الطويلة للروس وجهاد الإمام شامل، الذي أثنَت عليه جريدة **دويتشه ألغماينه تسايتونغ** بوصفه «داعية الجهاد الديني واستئصال الروس»[١٤]. وعلى الأرض، لم تُفوِّت السُّلطات العسكرية الألمانية فرصة تقديم نفسها على أنها محرِّرة للإسلام؛ ففي محاولتهم فرض الاستقرار والسلام في مؤخرة الجبهة، استخدم الألمانُ الامتيازات والپروپاغندا الدينية استخدامًا مكثَّفًا، وسيَّسوا الممارسات والأعياد الإسلامية، وحاولوا إقامة سلطانهم على قاعدة من مؤسسات دينية؛ فأصبحت المسألة الدينية في القوقاز والقِرم كليهما سمةً أساسية للاحتلال الألماني وسياسته الدعائية، وكغالب الجهود الألمانية لتوظيف الإسلام، نشأت هذه السياسات عن مقتضيات الحرب.

لم يلعب المسلمون دورًا كبيرًا في خُطط برلين طويلة الأمد للأقاليم الشرقية[١٥]. لقد كان مخطَّطًا للقِرم أن يستوطنها الألمان وأن تُسمى غوتينلاند (Gotenland)، وفي الواقع، تضمَّنت خُطَّة هتلر لألمَنة القِرم إجلاء السكان المحليين بالكامل، لكن في القوقاز، كان الوضع مختلفًا؛ فقد استهدف غزو المنطقة -في الأساس- حماية حقول النفط في مايكوب (Maikop) وغروزني (Grozny) وباكو (Baku)، وفتح طريق إلى الشرق الأوسط، ولمَّا كانت القوقاز خارج نطاق خُطط الاستيطان الألمانية، فقد ظلَّت مخطَّطات برلين للمنطقة في إطار النظام الجديد المستقبلي مخطَّطات سطحية، ومع ذلك، خُطِّط لإدارة مدنية لكلتا المنطقتين. لكن في القِرم

لم تتبلور قطُّ المفوضية العامة للقِرم التي كان من المفترض أن يقوم عليها ألفريد فرونفلد (Alfred Frauenfeld)، الحاكم النازي (*Gauleiter*)، وأحد مخضرمي الحزب [النازي] النمساوي. سيطر فرونفلد على خمس مناطق فقط في الشمال تخلَّى عنها الجيش، وعلى وجه الدقة، تقع هذه المناطق خارج شبه جزيرة القِرم، وقد هُمِّش فرونفلد لصالح عدوِّه اللدود إريش كوخ (Erich Koch)، حاكم مفوضية الرايخ في أوكرانيا، وفي القوقاز، خطَّط روزنبرغ لمفوضية رايخ تشبه تلك التي في أوستلاند وأوكرانيا. ومبكرًا في السادس عشر من يوليو/ تموز لعام ١٩٤١، أقرَّ هتلر آرنو شيكيدانز (Arno Schickedanz)، تلميذ روزنبرغ، حاكمًا لهذه المفوضية المستقبلية، لكنه بدوره لم يحكم أبدًا؛ إذ لم تُنفَّذ قطُّ مخططات مسئولي برلين ولا خبرائها في الإدارة المدنية. وكذلك كانت كل الخُطط الجريئة لوضع حكومات قومية، كتلك التي وضعتها بعض أقسام وزارة الشرق حول منده ووزارة الخارجية حول شولنبرغ (Shulenburg) وأتباعهما المهاجرين في برلين، بعيدةً تمامًا عن واقع الاحتلال، بل إن شولنبرغ استقطب سعيد شامل؛ أحد أحفاد الإمام شامل، وقد ابتهج الدبلوماسي قائلًا: «إن اسمه يعرِّف بالفعل برنامج تحرير شمال القوقاز من الحكم البلشفي ... وأنه شخصية معروفة في العالم المحمَّدي أجمع»[١٦]، لكن ذلك لم يُفلح، ولأن القوقاز والقِرم ظلَّتا جبهتي قتال؛ ظلَّت السُّلطة في حَوزة الإدارة العسكرية طَوال فترة الاحتلال الألماني.

وقد تبنَّى قادة القوات المسلَّحة الألمانية في القِرم والقوقاز، نهجًا أكثر براغماتية عن ذلك المتَّبع في مناطق أخرى من الأقاليم الشرقية المحتلَّة، وذلك بعدما ازداد الموقف العسكري تردِّيًا بين عامي (١٩٤١-١٩٤٢)[١٧]؛ ففي القوقاز ذات الجبهة الطويلة المتقلِّبة والمناطق الجبلية، كان هدفهم الأساسي هو ضمان استقرار مؤخرة الجيش الألماني، وفي القِرم أيضًا، التي كانت موقعًا إستراتيجيًّا حساسًا على البحر الأسود خلف خطِّ النار، كان الجيش أكثر اهتمامًا بالحفاظ على استقرار الخطوط الخلفية؛ ولذلك، أصبحت الحاجة إلى المتعاونين أكثر إلحاحًا من منظور المسئولين، بسبب الوضع العسكري.

لقد رأت قيادة الجيش، في كلتا المنطقتَين، في السكان المسلمين حلفاء طبيعيين[١٨]، فعلى عكس الروس والأوكران، نُظِر إلى تتر القِرم وسكان الجبال القوقازيين بوصفهم معارضين أصلاء للدولة السوڤييتية المركزية، وكذلك عُدَّت هذه الجماعات، من الناحية العرقية، أرقى من السلاف الروس والبيلّاروس والأوكران، وفي النهاية، لعب الإسلام، دين تتر القِرم وغالبية سكان جبال القوقاز، دورًا مهمًّا، وكان تاريخ المقاومة الإسلامية في هذه المناطق معروفًا للجميع، وكان يُنظَر إليه بوصفه نقيضًا للبلشفية في ذاته. وفي المجمل، كان يُعتقد أن المسلمين هناك يمثِّلون جزءًا لا يتجزأ من العالم الإسلامي، وأن السياسات الألمانية على الأرض كانت معدودةً عنصرًا من عناصر الحملة الألمانية الإسلامية الأوسع.

وعلى مستوًى أكثر عمومية، كانت محاولات القوات المسلَّحة توظيف الإسلام في سياساتها في هذه المناطق جزءًا من سياسة أوسع تجاه الدين، استهدفت منح امتيازات دينية للمسلمين والمسيحيين الأرثوذكس والكاثوليك؛ أملًا في إبقاء مؤخرة الجبهة الجنوبية هادئة[١٩]. كان مدى الامتيازات التي أرادت قيادة الجيش تقديمها، وتملك تقديمها، محدودًا إلى حدٍّ ما، آخذًا في الاعتبار الخطَّ العام للسياسة الألمانية في الشرق؛ فقد عارضت الهيئات الاقتصادية، المعنيَّة بتوفير المؤن للجنود، الإصلاحات الاقتصادية وإبطال نظام **الكولخوز** (*Kolkhoz*)[أ]، اللذين كانا شعارًا أساسيًّا من شعارات الپروپاغندا الألمانية. وكذلك كان الاستقلال القومي، الذي طالبت به العديد من الأقليات غير الروسية، أمرًا غيرَ وارد؛ ولذلك، وجد الألمان أنه من الأيسر عليهم تقديمُ امتيازات دينية زهيدة يمكن منحها مباشرةً؛ فروَّجت الپروپاغندا النازية للدين بوصفه جزءًا من التراث المحلي قمَعه الحكم السوڤييتي، في حين تجنبت المسألة الحسَّاسة المتعلقة بالاستقلال القومي، وأمَّلت قيادة الجيش في أن تعزِّز الامتيازات الدينية والثقافية الزهيدة التعاونَ وأخلاقيات العمل، وتلفت أنظار السكان عن النشاط السياسي غير المرغوب فيه. وقد رأى المؤرِّخون أنه بمقارنة هذا الوضع مع بقية الأجزاء الخاضعة للاحتلال الألماني في الشرق، كانت

(أ) أحد أشكال المزارع الجماعية في الاتحاد السوڤييتي. (المترجم)

للمسألة الدينية أهمية خاصة في احتلال القِرم، وخاصةً في مناطقها الإسلامية[٢٠]، وكذلك كانت الحال في القوقاز، وبالفعل، احتلت محاولات ألمانيا وضع نفسها موضع حامي حمى الإسلام موضع الصدارة في المناطق الإسلامية في جبال شمال القوقاز.

الدين والأعمال الحربية في القوقاز

في صيف عام ١٩٤٢، زحفت القوات المسلَّحة الألمانية إلى القوقاز السوڤييتي[٢١]، لكن لمَّا لم تستطع السيطرة على هذه المنطقة الشاسعة غير المستقرة، سرعان ما اضطرت إلى التحول إلى موقع الدفاع؛ فسيطرت على وديان شمال القوقاز الخارجية حتى منتصف يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٤٣ فحسبُ، وفي أثناء الاحتلال، كانت القوقاز تحت الإدارة العسكرية لفرقة الجيش (أ) تحت قيادة الفيلد مارشال (General Field Marshall) ڤيلهلم ليست (Wilhelm List)، ثم منذ نوفمبر/ تشرين الثاني من عام ١٩٤٢ تحت قيادة الجنرال إيڤالد فون كلايست (Ewald Von Kleist)، بعد أن تولى هتلر القيادة بنفسه لفترة وجيزة، وعلى الأرض، أصبح الجنرال إرنست أوغست كوسترنغ (Ernst August Köstring)، الضابط العجوز الذي خدم في الإمبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الأولى ثم ملحقًا عسكريًّا ألمانيًّا في موسكو (بدلًا من نيدَرماير في عام ١٩٣٢)، «المفوض العام لشئون القوقاز» في فرقة الجيش، ومعه مساعدًا له الملازم المتمرِّس هانز-هاينريش هيرڤارت فون بتنفيلد (Hans-Heinrich Herwarth Von Bittenfeld). كان هؤلاء الضباط أكثر براغماتية من جميع نظرائهم في أي مكان آخر في الشرق، ورغم أن قسم القوقاز في وزارة الشرق برئاسة غِرهرد فون منده لم يكن له من الأمر شيء إلَّا الاستشارة، أرسل القسم أوتُّو برويتيغام (Otto Bräutigam) ليكون ضابط اتصال في القيادة العليا لفرقة الجيش (أ)، وقد وصل برويتيغام إلى مقر قيادة كلايست في ستاڤروپول (Stavropol) في أواخر نوفمبر/ تشرين الثاني من عام ١٩٤٢[٢٢].

أجمَع ضباط الجيش الميدانيين على أن تسامح القوات الألمانية الكامل مع التقاليد الدينية يمثل أمرًا محوريًّا لإحلال السلام في منطقة جبال القوقاز؛ ففي

مذكرته، واسعة التداول، التي أرسلها لقيادة القوات المسلَّحة، شدَّد تيودور أوبرلندر (Theodor Oberländer)، الـذي كان أحد مشـاهير خبراء أوروبا الشـرقية وضابطًا في الاسـتخبارات العسـكرية وقائدًا من قادة الجبهة القوقازية، على أن القوات الألمانية سـتجد «مسـلمين مخلصين» كُثرًا في شـمال القوقاز، وأن التعامل معهم ينطوي على أثر جيوسياسي: «سيكون للطريقة التي نعاملهم بها أهمية خاصة في تحديد الموقف المستقبلي للإسلام من ألمانيا العظمى»(٢٣)، ووافق على ذلك ليست وفريقه، وعندما دلَف الجنود الألمان إلى ممرات الجبال القوقازية، أصدر ليست أمرًا بمعاملة السكان بوصفهم حلفاء، والتسـامح مع معتقداتهم وتقاليدهـم الدينية، واحترام «شـرف نسـاء القوقـاز»(٢٤)، وبعد أسـابيع، وُزِّع كُتيِّب توجيهات طُلـب فيه من الجنود احترام الدين الإسـلامي(٢٥)، ونصَـح الكتيِّبُ الجنودَ بـ«ضرورة احتـرام الدين والتقاليد والأعراف الدينية التي يعتنقها القوقازيون، وعدم التسفيه منها ... حتى إن بدت غريبة». وقد تابع كلايسـت السياسـة نفسها عقب تسلُّمه القيادة. ولاحقًا في ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤٢، ووفقًا لتقرير عسكري، حثَّ كلايست قادته على إدراك عواقب قراراتهم الميدانيـة على الوعاء الإسـلامي الجامع: «لقد تقدمت فرقـة الجيش (أ) أكثر من أي فرقة أخرى، فنحن نقف على أبواب العالـم الإسـلامي، وفعلُنا وسلوكنا ههنا سيكون له تبعاته في العراق والهند وحتى حدود الصين. يجب علينا دائمًا إدراك الآثار بعيدة المدى لما نفعله وما لا نفعله»(٢٦). وفي اجتماع مع مسـئولي وزارة الشـرق والقوات المسـلَّحة، شـدَّد هيرڤارت فـون بتنفيلد، بوصفه ممثلًا عن كلايسـت، علـى أن إقامة سياسـة احتـلال براغماتيـة فـي الوديـان الإسـلامية فـي القوقاز أمرٌ ضـروري «بغية الحصول على الأثر السياسي المطلوب في العالـم الإسلامي»(٢٧). وقد سارت وزارة الشرق على الخطِّ نفسه الذي سارت عليه القوات المسلَّحة(٢٨)، فصدرت توجيهاتها لبرويتيغـام بـأن يتجنـب أي تعهُّـد بالاسـتقلال القومي ويركِّـز على محارَبة البلشـفية والاحترام الألماني لـ«العقيدة، وخاصةً الإسلام»(٢٩). ومن مكتب القوقاز في وزارة الشـرق، شـدَّد منده على أهمية الحقـوق الدينية وفروض الطعام والشـراب والأعياد الدينيـة وطقـوس الدفـن، وأخيرًا السـلوك تجـاه النسـوة المسـلمات(٣٠). وكذلك لم تعتـرض وحـدات الحماية؛ ففـي تقرير اسـتخباراتي لمكتب أمن وحـدات الحماية،

أُشير إلى أن القادة الميدانيين الألمان اتفقوا جميعًا على أن إحلال السلام في شمال القوقاز يتطلب استغلال «عداء السكان لروسيا ... وتجذُّرهم في المحمَّدية»[٣١].

وفورًا، فُتحت المساجد مرةً أخرى وبدت للعَيان علامات تغيُّر الحكم، وصدر أمر بأنه حتى دور العبادة التي أغلقها السوفييت واستخدموها لأغراض دنيوية، يجب ألا يحتلها الألمان وأن يُعاد فتحها للسكان من جديد[٣٢]؛ فمن مدينة تشيركسك (Cherkessk)، قال الضباط الألمان إنَّ الأمر لم يقتصر على استعادة المساجد، بل بُنيت مآذن جديدة[٣٣]، وكذلك، فُتحت المساجد مرةً أخرى في الأطراف الشمالية متعددة الأديان، وخاصةً في مايكوب؛ العاصمة الإقليمية السابقة[٣٤]. ومن على الجبهة، أفاد إرينفرد شوته (Ehrenfried Schütte)، أحد قادة وحدة أوبرلندر، أن المساجد قد أُعيد فتحها أو بناؤها في كل مكان ... وأنها أفضل وأكثف حضورًا من الكنائس القليلة التي عادت للعمل[٣٥]. وكذلك وافق الجيش الألماني على إعادة التعليم الإسلامي إلى المناهج الدراسية الابتدائية[٣٦]. وكان الإسلام في هذا استثناءً؛ إذ لم يُقدَّم التنازل نفسه لغير المسلمين إلَّا لاحقًا في أثناء الحملة[٣٧]؛ ففي ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤٢، أشار أحد التقارير إلى أن «المسلمين في الأساس» هم من رحَّبوا بـ «إدخال الدروس الدينية إلى المناهج الدراسية»[٣٨]، وفي الأسابيع الأولى من الحملة، أشارت وزارة الشرق إلى «وجوب إعادة المدارس التي صادرها السوفييت»[٣٩]، ولا نعلم مدى تحقُّق ذلك في الواقع، لكنه يظلُّ واردًا.

ومع اقتراب فترة الاحتلال القصيرة من نهايتها، أمرت الفرقة (أ) بأن يصبح يوم الجمعة في المناطق الإسلامية للقوقاز يوم راحة، بدلًا عن يوم الأحد؛ ليكون يوم صلاة الجمعة يوم عطلة[٤٠].

خضع إحياء الإسلام -غالبًا- لتنظيم حريص من جانب ضباط القوات المسلَّحة؛ فعلى سبيل المثال، أُهدي البلقار رمزيًا نسخةً من القرآن، وذلك بعد احتلال القوات الألمانية[٤١]، ووزَّع الجيش أيضًا كُتيِّبات تروِّج للامتيازات الدينية الممنوحة وتروِّج لألمانيا بوصفها صديقةً للإسلام[٤٢]، وعلى الرغم من أن هذه الكُتيِّبات قد وضعتها

وزارة الشـرق، التي درجَت منشـوراتها على معالَجة الدين بشكل عام وليس الإسلام خاصةً؛ ركَّز بعضها على الإسلام حصرًا؛ ففي دعوته لـ «تحالف مع رايخ أدولف هتلر الألمانـي الأعظـم»، ازدرى أحـد الكُتيِّبات «الخِسَّـة البلشـفية» التي قمعـت «الحرية والإيمـان»، وأكَّـد للقراء أنـه بالرغـم من أن الألمـان يعتنقون دينًا آخـر، احترم الرايخ الثالث جميع المعتقدات، وأنه على استعداد «لضمان حرية العقيدة للمستقبل»(٤٣). واعتمد كتيبٌ آخر على فكرة الأمة الإسلامية الأوسع من القوقاز قائلًا: «إن مسلمي القِرم، الذين عادوا يصلُّون أحرارًا في مساجدهم بعد ربع قرن، يقاتل عشرات الآلاف منهـم، مرتدِين الزي الألماني ضد البلاشـفة وعصابات الپارتيـزان»(٤٤). وقد تواترت إشـارات القِرم هذه؛ فقد زعم كتيبٌ آخر أن «إخوانكم من مسـلمي القِرم قد اصطفوا بـالآلاف لمحارَبة البلشـفية»، وأشـار إلى أن مسـلمي القِـرم «أعلنوا بالفعـل امتنانهم للقيـادة الألمانيـة علـى تحريرهم الروحي»(٤٥). ووُجِّهت رسـالة مشـابهة إلى الجنود القوقازيين في الجيش الأحمر في أثناء حصار سيڤاسـتوپول (Sevastopol) في أوائل عام ١٩٤٢؛ إذ أخبرهـم كتيبٌ دعائي أن المسلمين من كل مكان في الاتحاد السوڤييتي شـاركوا القوات المسـلَّحة الألمانية القتال «في سبيل التحرر من قبضة البلاشفة»(٤٦)، وأضاف أن «المسلمين أعربوا، في العديد من التلغرافات، عن اعترافهم بفضل فوهرر الرايـخ الألمانـي فـي أنهم، بعد عشـرين عامًـا من الاغتصـاب الدينـي، يمكنهم الآن ممارسة شعائرهم في مساجدهم مرةً أخرى»(٤٧)، ثم سقطت سيڤاستوپول [في أيدي النازيين] في يونيو/ حزيران.

وسـرعان مـا عـدَّ الألمان الدين أحـد أهم الأدوات السياسـية لحربهـم في جميع أنحـاء شـمال القوقـاز، وقد ذكر أحـد ضباط الجيش فـي قيادة مدينة تشيركسـك في تقريـر شـهريٍّ فـي نوفمبر/ تشـرين الثاني من عـام ١٩٤٢، أن تقدير أثـر الامتيازات الدينية ليس مبالغًا فيه(٤٨)، وأشـار إلى أن «الشراكسـة المحمَّديين» سـيكونون الأكثر عرفانًا بالجميل، وأن «السـماح بحرية العبادة سـيغدو، أكثر فأكثر، الأداةَ الأقوى في التأثيـر الدِّعائـي علـى السـكان»(٤٩)، وذَهِـل الضابـط مـن أنـه «على الرغـم من قمع السـوڤييت الكامـل للدين، فإن الشـباب المحمَّدي بدا، من بعـض الجوانب، مرتبطًا

بالإسلام للغاية، ويمكن جذبه من خلاله مرةً أخرى، في حين كان الشباب الروسي مغتربًا عن المسيحية الأرثوذكسية بالكامل». وكذلك أشار تقدير الموقف العام للمنطقة، في أكتوبر/ تشرين الأول ونوفمبر/ تشرين الثاني من عام ١٩٤٢، إلى أن «مشاركة شباب المناطق المحمَّدية في الشعائر الدينية أمرٌ ملحوظ»(٥٠). وأقرَّ إرينفرد شوته من الجبهة بأن «الأهالي المحمَّديين» أثبتوا أنهم الأكثر جدارة بالثقة؛ إذ «عانوا فرضَ النظام السوفيتي عليهم معاناةً لا تقارَن بمعاناة الجماعات المحلية الأخرى»(٥١). وفي ديسمبر/ كانون الأول، أشار تقرير استخباراتي لمكتب أمن وحدات الحماية إلى أن سكان الجبال المسلمين سيتجاوبون، «بامتنان»، مع «الحرية الدينية» الجديدة(٥٢).

وفي المجمل، غدا استرجاع الأعياد والاحتفالات الدينية الامتياز الأهم؛ نظرًا لأن احتلال الألمان للجبال القوقازية ترافق مع عيدين كبيرين، **عيد الفطر** (*Uraza Bairam*) في أكتوبر/ تشرين الأول، ثم **عيد الأضحى** (موسم الحج) (*Qurban Bairam*) بعد سبعين يومًا، وقد تحولت الاحتفالات الدينية إلى احتفالات تحرر مشهدية، تشير رمزيًّا إلى تغيُّر الحكم. واشتهرت فترة الاحتلال الألماني القصيرة للمناطق الإسلامية الجبلية بهذه الاحتفالات، ومن أهمها احتفالات عيد الفطر في مدينة كيسلوڤودسك (Kislovodsk) بإقليم قراتشاي، واحتفالات عيد الأضحى في مدينة نالتشيك (Nalchik) بإقليم قبردينو(٥٣).

ففي يوم الأحد الحادي عشر من أكتوبر/ تشرين الأول لعام ١٩٤٢، زار وفدٌ من كبار المسئولين الألمان مدينة كيسلوڤودسك التي احتُلَّت قبلها بشهرين، وكان من بينهم القادة كوسترنغ، وهومبرغ (Homburg)، وريكه (Riecke)، وفون روك (von Roques)، وفون غرايفنبرغ (von Greifenberg)، وعضو مجلس الحرب الأعلى (*Oberkriegsverwaltungsrat*) الخبير الزراعي أوتُّو شيلر (Otto Schiller)، وپول كورنر (Paul Körner) الذي كان مدير مكتب خُطَّة السنوات الأربع (Four- Year- Plan Office) التابع لغورنغ (Göring)(٥٤). كانت كيسلوڤودسك المحاطة بالوجه الصخري لهضبة جبل قراتشاي؛ مدينةً منتجعية شهيرة منذ العهد القَيصري، وتتسم

حاليًا بالنمط المعماري الحديث لمصحَّاتها السوفييتية. كانت الشوارع مزدحمةً منذ الصباح على غير العادة، وازدان مدخل المدينة براية الصليب المعقوف وراية النبي [ﷺ] الخضراء والهلال الإسلامي، وفي ساحة المدينة، أحاط إكليلٌ من الزهور بصورة لهتلر، وفي نهاية الطريق الرئيسي، كانت هناك لوحةٌ ضخمة تصوِّر جنود قراتشاي معتَلين ظهور خيولهم وهم يرفعون رايات التحرير، واختلط القراتشيون والبلقار والقبرديون بغيرهم من الجماعات المحلية الأخرى في الشوارع، وتهيأت المدينة لاحتفالات عيد الفطر في أواخر شهر رمضان المعظَّم.

تهيأ المؤمنون للاحتفال في جميع أنحاء جبال قراتشاي، وقد كانوا لا يُمكَّنون من استشراف عيد الفطر علنًا تحت الحكم السوفييتي، لكنهم مُكِّنوا الآن، للمرة الأولى بعد ربع قرن، من تنظيم احتفالات دينية؛ ولحرصه على إحلال السلام في خطوطه الخلفية، ووعيه بأثر هذا الأمر على مزاج السكان، أمر الجيش الألماني بالتسامح الكامل مع الفعالية(٥٥)؛ فأصبح الاحتفال علامة مميزة على الاختلاف بين الحكم السوفييتي والحكم الألماني، وبالفعل، لم تفوِّت قيادة القوات المسلَّحة الألمانية فرصة تصوير ألمانيا على أنها محرِّرة سكان الجبال المسلمين؛ لذا، لم يكن الاحتفال مجرد رمز للدين والإسلام، بل رمزًا للسياسة والتحرر من الحكم السوفييتي كذلك.

وقد تجلَّى ذلك -أيَّما جلاء- في كيسلوفودسك (الأشكال ٤-١، ٤-٢، ٤-٣)؛ فمنذ البداية، تلاعب الألمان بمعنى العيد خدمة لمصالحهم الإستراتيجية، ليصير عيد الفطر مناسبةً سياسية. لقد تبدَّى التغيُّر السياسي في صورة احتفال ديني؛ «عيد التحرر» كما سمَّاه أوتُّو شيلر، وكتب الخبير الزراعي، الذي خدم في سفارة موسكو وعُيِّن الآن لينظِّم الإصلاح الزراعي المستقبلي في القوقاز، تقريرًا من ستِّ صفحات -عن هذا الاحتفال- لصالح وزارة الشرق(٥٦).

لم تُظهِر الزِّينة العلنية في كيسلوفودسك صورًا رمزية إسلامية فحسب، بل صورًا رمزية نازية كذلك؛ فخلف المنصَّة الشَّرفية للزعماء المسلمين ورجال الدين وممثِّلي القوات المسلَّحة، وُضعت لوحة قرآنية كبيرة من عجينة الورق حملت جُملتين



(الشكل ٤-١): عيد الفطر في كيسلوڤودسك في القوقاز، ١١ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٤٢، عرضٌ عسكري (Ullstein).



(الشكل ٤-٢): عيد الفطر في كيسلوڤودسك في القوقاز،
١١ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٤٢، عرضٌ عسكري (Ullstein).



(الشكل ٤-٣): عيد الفطر في كيسلوڤودسك في القوقاز، ١١ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٤٢، الصلاة (Ullstein).

دينيَّتين عربيَّتين؛ فعلى اليمين كانت **الشهادة** «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمَّدًا رسول الله»، وعلى اليسار كانت الآية الشهيرة والشائعة ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [**الصف**: ١٣][٥٧]. كشف الشعار الأول عن حرية الدين الجديدة، في حين أحال الثاني، في سياق الحرب، وفي صورة فريضة دينية، إلى عزم القراتشيين على القتال إلى جانب الجيش الألماني ضد العدو البلشفي، وفوق القرآن سُمِّر نسرُ الرايخ الخشبي مع صليب معقوف، ودارت الأعلام حول المنصة من كل اتجاه؛ رايات الإسلام الخضراء ذات الهلال الصغير ورايات الصُّلبان المعقوفة.

كان بَسط النصِّ العربيِّ على الملأ في ذاته لافتًا؛ فالحروف العربية، حروف القرآن المقدسة، كانت إحدى الروابط القليلة التي جمعت بين مسلمي موسكو، قبل أن يفرض السوڤييت الحروف اللاتينية ثم الكيريلية، متَّهمين كلَّ من يعارض هذه الإصلاحات بالأصولية الدينية[٥٨]، وفي بعض المناطق الإسلامية في الاتحاد السوڤييتي، أضرم الدعائيون السوڤييت النيران في الكتب العربية جهارًا، وقد تسبَّب إلغاء الحروف العربية في استشراء سخط كبير بين المسلمين؛ ففي العشرينيات، دعا من تبقى من الملالي إلى إضراب عن الطعام في القوقاز والقِرم؛ احتجاجًا على هذه السياسة؛ ولذلك، كانت الحروف المنقوشة على اللَّوحة -في حدِّ ذاتها- مؤشِّرًا على زوال الحكم السوڤييتي.

أُقيم الجزء الأول من الاحتفال على تلَّة خارج المدينة، وكانت الصلاة وإحياء العيد في قلب الاحتفالات، ونقل أحد المراسلين الحربيين الألمان أنهم «يؤدُّون صلواتهم الخاشعة على تلَّة خارج المدينة مولِّين وجوههم جنوبًا شطر مكة[٥٩] ... يؤمُّهم القاضي، مردِّدين كلماته جماعةً». وفي الواقع، كان الإمام رمضان، أحد أرفع الشخصيات الدينية لدى القراتشيين، هو من أمَّ الصلاة، وذلك بحضور فقيه المنطقة القاضي إبراهيم[٦٠]. جثا القراتشيُّون مصطفِّين في صفوف طويلة على بُسُط الصلاة، ميمِّمين وجوههم شطر مكة، يسمعون الكلمات العربية. وكان الجزء الثاني من الدعاء سياسيًّا واضحًا؛ فقد أخذ المسلمون يردِّدون، وراء الإمام رمضان، حمد الله والثناء عليه؛ شكرًا له على تسخيره هتلر، «قائد الشعب الألماني العظيم»، والقوات

المسلَّحة الألمانية، لتحريرهم. وفي خُطبة هيَّجت العواطف، استرجع رمضان معاناة سكان الجبال المسلمين، ومن قضى من مسلمي قراتشاي في نضالهم ضد البلشفية،وأعلن قائلًا إن الله أرسل هتلر وجيشه محرِّرين، وإنَّ أهالي قراتشاي جميعهم «في مساجدهم وبيوتهم» يملؤهم الشكر، وسيبذلون الدعاء في صلواتهم اليومية لـ «الفوهرر والشعب الألماني والجنود الشجعان».

كان للضباط الألمان دورٌ أساسي في سَير الاحتفالات؛ إذ رفع الناسُ كوسترنغ على أكتافهم وتقاذفوه في الهواء تعبيرًا عن الثناء والمجد، وقد استغل كوسترنغ فرصة العيد الديني، وألقى خطبةً دعائية بالروسية هلَّل فيها للتحرر من قبضة السوفييت، وشكر القراتشيِّين على ثقتهم واحتفى بالعلاقات المشتركة، وأعلن أيضًا إبطال نظام **الكولخوز** (وهو ما لم يتحقَّق قطُّ)، وتشكيل كتيبة من القراتشيين للقتال إلى جانب القوات الألمانية، وكذلك اعتمدت خطبته على السردية التاريخية المتعلقة بمقاومة المسلمين في القوقاز. كان كوسترنغ سعيدًا بأدائه إلى حدٍّ كبير، فكتب بعد الحرب، في ذكر «الاحتفال الرائع» أن: «النجاح كان باهرًا، والسعادة لا توصَف»[٦١]. وأشار مساعده هيرڤارت فون بتنفيلد بعد ذلك إلى أنه احتُفي بالرجل كما لو كان «أميرًا»[٦٢].

بلغت الاحتفالات ذروتها عندما أقسم المسلمون على عزمهم القتال على الجبهة إلى جانب القوات المسلَّحة الألمانية، وتأكَّد التحالف العسكري لاحقًا من خلال عرض عسكري للخيَّالة القراتشاي وهم يحملون علَم الصليب المعقوف وراية الإسلام الخضراء، حيث اندمجت الرمزية النازية والدينية مجدَّدًا. وقبل اكتمال الجزء الرسمي من الحفل، نُظِّمت مسيرةٌ أخرى أمام «نُصُب الأبطال» في مركز المدينة؛ إحياءً لذكرى من قضوا في الثورة ضد موسكو، ثم كان العشاء في ساحة المدينة مع بعض الرقصات [الصوفية]، التي تضمَّنت «وِرد الشيخ شامل»، وهو ما كان إشارةً أخرى إلى الاستنادِ إلى تاريخ الجهاد في المنطقة.

أصبحت الاحتفالات جزءًا من المعركة السياسية للقوات المسلَّحة. إن نظرة واحدة إلى أعضاء الوفد الألماني، تُجلِّي الأهمية التي أولاها القادة العسكريون لهذا الحدث الديني، ولم يقتصر الأمر عليهم؛ إذ رأى الجيش الأحمر أن يحول دون إقامة

احتفالات عيد الفطر، وذلك لوعيه بأهمية سياسة الاحتفال الديني؛ ففي اليوم السابق على الحفل، ألقت الطائرات السوڤييتية منشورات تحذر السكان من حضور العيد وتتوعد بقصفه بالقنابل، لكنهم لم يُلقوا في النهاية إلَّا قنبلةً واحدة، وكانت بعيدة عن مركز المدينة، ولم تُثر ذعرًا.

وقد شهدت القوقاز عددًا من الاحتفالات الدينية المشابهة التي بدت كمشاهد للتحرر، وكان ثاني أكبر هذه الاحتفالات هو احتفال عيد الأضحى في الثامن عشر من ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤٢ لدى البلقار والقبرديين السنَّة في نالتشيك، عاصمة إقليم قبردينو-بلقاريا، التي احتُلَّت قبل ذلك التاريخ بنحو شهرين فقط[٦٣]. رأى ضباط القوات المسلَّحة الألمانية، الطامحون لتكرار نجاح احتفالات كيسلوڤودسك، في العيد فرصةً مثالية للبرهنة على الروابط التي تجمع بين القوات المسلَّحة والسكان المحليين، وبين ألمانيا والإسلام؛ لكونه العيد الإسلامي الأكبر والمتزامن مع ذروة شعيرة الحج. وقد شارك ممثلو المسلمين الألمانَ في الإعداد للحفل قبلها بأيام، بقيادة العمدة سليم زيدوف (Selim Zedov)، الموظف السابق الذي عاد إلى السُلطة بعد انسحاب السوڤييت، والذي سرعان ما أقرَّته الڤيرماخت على منصبه[٦٤]. وفي السابع عشر من ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤٢، انطلق وفدٌ يضم الجنرال ڤيلهلم شتوبنروخ (Wilhelm Stubenrauch)، قائد مؤخرة جيش الدبَّابات الأول، وأوتُّو برويتيغام، وتيودور أوبرلندر، ومجموعة من كبار القادة، بينهم جنرالان، ومجموعة من ضباط إدارة الدعاية في القوات المسلَّحة، مجتازين الطرق الثلجية على جبل ڤراتشاي المضبَّب حتى نالتشيك. التأم الشمل في اليوم التالي في قاعة سينما نالتشيك الكبرى من أجل احتفالات مَوسم الحجِّ، وكانت الشعيرة الدينية قلبَ الحدث. وأمَّ القاضي المحلي خانيوكوف (Khaniukov) القبردي الصلاة من على مسرح قاعة السينما، وكان الألمان في صفوف القاعة الأولى. وقد استذكر برويتيغام الحدث في مذكراته قائلًا: «كان هناك خمسون شخصًا من وجهاء القبرديين يصلُّون راكعين، وكانت حركة الأئمة هادئة ومتزنة، وتمت الاحتفالات كلها بجدَّة وقورة»[٦٥]. وقال أوبرلندر أيضًا في خطابٍ لزوجته: «لقد غزانا الانبهار من أقطارنا...

كان لهـذا الأداء المحمَّـدي أثـرٌ عظيم فـي نفسـي»[٦٦]. وفي أثناء الاحتفـالات، تقدَّم الجنرال شتوبنروخ ممثلًا عن كلايست، وكذلك أوتُّو برويتيغام لمدح التحالف علنًا. ووفقًـا لتقرير برويتيغام إلى وزراة الشـرق، تفاعل قرابة الأربعمئة مسـلم مع الحديث بحماس وهتاف. وقد شـكر ممثلو المسـلمين الألمانَ على «تحريرهم من البلشفية»، ومنحِهـم فرصـة الاحتفال بعيـد الأضحى مرةً أخرى، وأقسـموا على الولاء الرَّاسـخ لأدولف هتلر، وكذلك أهدوا الألمان بعض الهدايا؛ تتضمن سجادًا وملابس وخيولًا لهتلـر وكايتـل (Keitel) وكلايسـت. ووزَّع الألمـان الأسـلحة التـي اسـتولوا عليهـا، بالإضافـة إلـى قدَّاحات وسـاعات، وكذلك وزَّعـوا مصاحف؛ دلالةً علـى احترامهم للإسلام. وقد استمرت الاحتفالات حتى المساء. ولمَّا كانت احتفالات عيد الأضحى تستمر لأربعـة أيام، لم يفوِّت الوفد الألماني الفرصـة وزار مدينة أخرى في المنطقة؛ ففـي اليـوم التالي، انطلق الوفد إلى قرية غونديليان (Gundelen) الجبلية الصغيرة التي تمثل معقل البلقار في سـفح جبل إلبروس (Elbrus)؛ وهناك أُلقيت الخطب وعُقِدت المشاورات مع الوجهاء من الأهالي[٦٧].

غـدت احتفـالات نالتشـيك وكيسلوڤودسـك السـمة الظاهريـة المميِّـزة للحكـم الألماني في القوقاز؛ إذ نشرت الجرائد الألمانية تقارير مفصَّلة عن هاتين المناسبتَين؛ فقالت إحدى الصحف إن «هؤلاء الذين شهدوا هذه السـاعات خرجوا بانطباع راسخ عـن حـب الحريـة واحتـرام أولئـك الرجـال الذيـن يضحـون بأرواحهـم فـي سـبيل مُثُلهم»[٦٨]. وكتب أحد مراسـلي الحرب، مستثارًا بكثافة الرمزية الإسلامية والنازية؛ أنـه «إلـى جانب علَـم الرايخ، ترفـرف الراية الخضـراء ذات الهـلال والنجمة، والتي انتصر تحتها محمَّد [ﷺ] ذات مرة على اليهود»، فكلاهما يرمزان إلى «القوة التي لا تفتُر» لدى من يقاتلون «في سـبيل نظام عالمي أفضل»[٦٩]، وزعـم أن «عيد الفطر في عام ١٩٤٢ لم يكن مجرد إعلان جماعة صغيرة من سكان الجبال عن إيمانهم ... بل كان تظاهرة للفرح بتطور سياسـي عالمي»، وسـوف تتذكره الأجيال القادمة على أنه «بداية عصر جديد»[٧٠]. ونشـرت الجرائد صورًا لفعاليات كيسلوڤودسـك. واستذكر برويتيغام بعد الحرب قائلًا: «ما زلت أتحدث كثيرًا عن هذا الاحتفال»[٧١].

لكن لم يُكتَب التمام قطُّ لخُطط تأسيس منظمات إسلامية وإدارة دينية وبقرطة الإسلام، كما حدث في القِرم، وذاك نظرًا لوجازة فترة الاحتلال؛ إذ سرعان ما عُزِلت القوات الألمانية المتمركزة في القوقاز، وأعاقت معركة ستالينغراد وصول المؤن والإمدادات، وفي الوقت نفسه، كانت القوات السوڤييتية في الجنوب تحت قيادة الجنرال المحنَّك إيڤان ڤلاديميروڤيتش تيولينيف (Ivan Vladimirovich Tiulenev) قد استعادت قدراتها القتالية وبدأت في التقدُّم. وفي أواخر ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤٢، صادق هتلر على الانسحاب من جبال القوقاز؛ تجنبًا للإبادة الكاملة. وفي الرابع من يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٤٣ وبعد أسبوعين فقط من احتفالات عيد الأضحى، احتل الجيش الأحمر نالتشيك مرةً أخرى، وبعدها بأيام، رحلت آخر الدبَّابات الألمانية عن إقليم قبردينو-بلقاريا. وعلى الرغم من وجازة مدة الاحتلال الألماني للقوقاز، إلَّا أنه ربما كان أقوى محاولة قامت بها ألمانيا لإظهار نفسها في صورة نصير الإسلام في الجبهة الشرقية، لكن بالمقارنة، نجد أن أطول سياسة وُجِّهت للإسلام في الشرق، وأكثرها إحكامًا، كانت تلك التي انطلقت في شبه جزيرة القِرم.

الدين والحكم في القِرم

غزت القوات الألمانية والرومانية شبه جزيرة القِرم في خريف عام ١٩٤١ بقيادة الجنرال إريش فون مانشتاين (Erich von Manstein)[٧٢]. وفي سبتمبر/ أيلول، وصلت القوات إلى منطقة پيريكوپ (Perekop) وسرعان ما احتلت شبه الجزيرة بالكامل، عدا مدينة كيرتش (Kerch) التي سقطت بعد قتال عنيف في مايو/ أيار من عام ١٩٤٢، وسيڤاستوپول، أحد أشدِّ قلاع العالم منعة، التي سقطت بشكل مفاجئ في يوليو/ تموز من عام ١٩٤٢ بعد حصار طويل. سيطرت القوات المسلَّحة الألمانية بمساعدة وحدات الحماية النازية، وبالأخص **فرقة قوات المهمَّات (د)** (*Einsatzgruppen D*) تحت قيادة أوتُّو أولندورف (Otto Ohlendorf) ثم ڤالتر بركامپ (Walther Bierkamp) منذ يوليو/ تموز من عام ١٩٤٢، على شبه جزيرة القِرم بقبضة وحشية واستغلالية لمدة عامين ونصف تقريبًا حتى أوائل مايو/ أيار من عام ١٩٤٤،

وذلـك عندما استسـلم آخرُ المواقع الألمانية في شـبه الجزيـرة أمام الجيش الأحمر. كان التتـر السنَّة، الذيـن يصـل تعدادهم إلـى ربع مليون نسـمة تقريبًا، والذين سـعى الألمـان لاسـتمالتهم والتعـاون معهـم، يمثلون قرابة ربع سـكان شـبه جزيـرة القِرم، ويتمركزون في قلاع جبلية وفي المدن الكبرى، مثل: بغچه سـراي، ويالطا (Yalta)، وسيمفروپول (Simferopol) التي كانت تُعرف حتى القرن الثامن عشر بـ (آق مسجد)، أي المسجد الأبيض[٧٣].

وسـرعان ما منح الضباط الألمانُ المسـلمينَ كمًّا وافرًا من الحقوق والامتيازات الدينية بغية اسـتمالتهم، وبعد الغزو مباشـرة، أمر مانشـتاين جنوده باحترام الإسـلام؛ ففـي أمـره المُشـين، المؤرَّخ بالعشـرين من نوفمبر/ تشـرين الثاني مـن عام ١٩٤١، الـذي طالـب فيه بـ «محـو النظـام اليهودي-السـوڤييتي نهائيًّا»، والـذي أصبح وثيقةً رئيسـة في أدلَّة إدانته في محاكمات نورمبرغ بعد الحرب، حثَّ مانشـتاين قواته على معاملة السـكان المسـلمين معاملةً حسـنة بغية اسـتمالتهم والتعاون معهم؛ إذ «يجب احتـرام الأعـراف الدينية، وخاصةً أعـراف التتر المحمَّديـين»[٧٤]. ولم تكن تعبيرات من قَبيل «التتر المسلمين» أو «التتر المحمَّديين» أمرًا مستغرَبًا؛ إذ اعتاد الألمان على تعريـف التتـر لا مـن خـلال عرقيتهـم فحسـب، بل مـن خلال دينهـم أيضًـا. وبعدها بشـهرين، أوضح كُتيِّب إرشـادات موجَّه إلى الجنود أن التتر مسـلمون متدينون، وأن الإسـلام يجـب احترامـه[٧٥]. وأيد ڤيرنـر أوتُّو فـون هينتغ، الذي كان سـاعتها ضابط اتصال وزارة الخارجية في جيش مانشـتاين الحادي عشـر، مسعى هذا الأخير المؤيِّد للتتر[٧٦]، وأصبح هينتغ داعية نشطًا لسياسة استيعابية تجاه التتر المسلمين والإسلام؛ ففي رسـالة ميدانية أرسـلها إلى مرشـده القديم، ماكس فون أوپِّنهايم، في أواخر عام ١٩٤١، فاخرَ بأن الجيش في القِرم يولي «المسـألة الإسـلامية ... أعظم اهتمام»[٧٧]، ونبَّـه فـي ربيع عام ١٩٤٢ إلى أن سياسـة ألمانيا تجاه مسـلمي القِرم لها أثر إسـلامي واسـع على موقف ألمانيا فـي القوقاز وتركيا والعالم العربي وإيـران، بل والهند[٧٨]. وكان مانشـتاين علـى قناعـة بـأن الاحتـرام الكامل للممارسـات الدينية أمرٌ أساسـي للحصول على تعاون التتر، موضِّحًا في لقاء عقده في أغسطس/ آب من عام ١٩٤٢

مع مراسل **ناتسيونال – تسايتونغ** (*National-Zeitung*) أن «التتر يرحبون اليوم بالتحرر من موسكو؛ لأن كسر هذه القيود أعادهم مرةً أخرى إلى ممارسة شعائر الإسلام بحُرية»(٧٩).

وبالفعل، لحظَت الإدارة العسكرية للقِرم أن الحياة الدينية للسكان المسلمين تتطور بشكل خاص(٨٠)، وحتى الشباب الذين أصبحوا لا يبالون بالدين إلى حدٍّ ما في عهد الحكم السوڤييتي تمسكوا بالأعراف والقواعد العامة، وأشار أحد الضباط الألمان في مارس/ آذار من عام ١٩٤٢ إلى أن «التتر محمَّديون وملتزمون بدينهم التزامًا جادًّا، لكن دون تعصب»(٨١). وبعدها بعام، لحظَ أحد التقارير أنه «على عكس المسيحيين الأرثوذكس، ترتفع نسبة مشاركة شباب التتر في الحياة الدينية، وخاصةً في القرى»(٨٢).

وسرعان ما أعاد الألمان السماح بالاحتفالات الدينية الأسبوعية والسنوية بعد احتلالهم للقِرم؛ ففي البداية، كان يوم الراحة في شبه الجزيرة كلها هو يوم الأحد، لكن في بعض المناطق، حاول المسلمون إقناع السُلطات الألمانية بإحلال يوم الجمعة محلَّه(٨٣)، وسرت شائعات مفادها أن الزعماء المحليين، في بعض المناطق، أقرُّوا ذلك. وفي الثلاثين من مارس/ آذار من عام ١٩٤٣، أصدرت القيادة العليا في القِرم أمرًا بأن يكون الجمعة يومَ راحة عامًّا للمسلمين(٨٤)، وكذلك مُنِح المسلمون العطلات الدينية الأساسية، ففي الرابع عشر من أغسطس/ آب من عام ١٩٤٣، أمر الجيش بمنح المسلمين يوم عطلة في جميع الأعياد الإسلامية الأساسية؛ فاحتُفل في شبه الجزيرة بأكملها في عام ١٩٤٣ بالمولد النبوي في التاسع عشر من مارس/ آذار، وعيد الفطر في الأول من أكتوبر/ تشرين الأول، وعيد الأضحى في الثامن من ديسمبر/ كانون الأول، وغُرَّة العام الهجري الجديد في الثامن والعشرين من ديسمبر/ كانون الأول(٨٥)، ونظَّم الألمان في سيمفروپول احتفالًا أوسع بعيد الفطر شارك فيه المجنَّدون المسلمون في الجيش الألماني، ووصفته إحدى المجلَّات الدعائية الخاصة بالقوات المسلَّحة والموجَّهة إلى الجنود المسلمين بأنه «إثباتٌ للصداقة وحُسن التعاون، وأنه يومٌ للحرية»(٨٦). لقد سُيِّست الشعائر والأعياد الدينية باطراد،

بل إن استعادتها نفسها كانت في حدِّ ذاتها مسألة سياسية؛ إذ تشير التقارير الألمانية إلى أداء صلوات حَمد وشكر لله أن أنعَم عليهم بالقوات المسلَّحة الألمانية وهتلر[٨٧]. ففي إحدى المرات، نُظِّم احتفال لم يقتصر على الصلوات وإعلانات الولاء لسُلطات الاحتلال، بل تضمن، كما أشار أحد قادة الڤيرماخت، حفلَ ختان جماعي لـ «خمسين طفلًا، تغاضى عنه مكتب أمن وحدات الحماية النازية لدواعي المواءمة السياسية»[٨٨]. وكذلك بدأ بعض قادة المسلمين في مناطق عدة بجمع المال للطاغية الألماني[٨٩].

وربما كانت استعادة المساجد وقاعات الصلاة وإعادة فتحها بعد أن أغلقها السوڤييت، التغير الأبرز في الحياة الدينية للمسلمين[٩٠]؛ فبعد الحرب قال هيرڤارت فون بتنفيلد بنبرة رومانسية: «ومن مآذن قرى التتر، صدح الملالي بالأذان مرةً أخرى»[٩١]. وفي برلين، كتب غوبلز مسرورًا في يومياته بتاريخ الثلاثين من يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٤٢ أنه: «بعد أن سُمح لهم برفع الأذان من مآذنهم مرةً أخرى»، تخلَّى التتر عن احترازهم السابق تجاه القوات المسلَّحة: «من المثير الإشارة إلى أهمية هذا الاستغلال البارع للمسألة الدينية»[٩٢]. فبحلول مارس/ آذار من عام ١٩٤٣، أُعيد افتتاح خمسين مسجدًا في شبه الجزيرة[٩٣]، وتتحدث بعض المصادر عن عددٍ أكبر بكثير؛ إذ تشير إلى أنه في عام ١٩٤٣ فحسب أُعيد افتتاح مئة وخمسين مسجدًا، إلى جانب مئة قاعة مؤقتة للصلاة، بإمامة ما إجماليه أربعمئة إمام[٩٤]. لقد سيَّس الضبَّاط الألمان معنى البناء بشكل واضح، من خلال التسامح مع إعادة بناء المساجد أو دعمها، ومن فورها، أمست المآذن والمساجد، بما تمثِّله دينيًّا، موضع استغلال لحساب الأهداف السياسية الألمانية.

وكما كان الأمر في القوقاز، أعادت الإدارة العسكرية التعليم الديني إلى مناهج المدارس الترية العلمانية[٩٥]. ووُضِعت في الوقت نفسه خُططٌ لإعادة فتح المدارس الدينية، وكان من بين مشروعات الإحياء الكبيرة مشروع مدرسة بغچه سراي الكبرى، التي كانت قد دُمِّرت تمامًا تحت الحكم البلشفي[٩٦]، وفي يڤپاتوريا (Eupatoria)، نُظِّفت مدرسة المدينة ذات الستمئة عام وأُعيد افتتاحها، وهي المدرسة التي كان السوڤييت قد حوَّلوها إلى مستودَع. ولم تر السُّلطات الألمانية خطرًا في استعادة

التعليم الديني، طالما أنه يخضع لتنظيم ومراقبة كافية، بل كان ذلك تنازلًا زهيدًا ودِرعًا ملائمةً في وجه البروباغندا البلشفية.

خضعت عملية إعادة تأسيس البنية التحتية الإسلامية واستعادة المساجد والمدارس لمراقبة الألمان وسيطرتهم من خلال إدارة معقدة تأسَّست في المدن الكبرى في القِرم، وذلك عبر الأقسام الدينية فيما سُمي بـ **اللجان المحمَّدية** (*mohammedanisches Komitee*)[٩٧]، وقد عدَّت القوات المسلَّحة الألمانية هذه اللجان المحمَّدية امتدادًا لـ **اللجان الإسلامية** (*Müsülman Komiteleri*) التي كانت قائمةً زمن الحرب الأهلية والاحتلال الألماني لشبه الجزيرة في عام ١٩١٨[٩٨]. اهتمَّت اللجان -في الأساس- بالشئون الدينية؛ نظرًا لأن القوات المسلَّحة كانت قد حظرت أي نشاط سياسي، وفي النهاية، أصبح المجلس الديني، وهو القسم المهيمن في كل لجنة إسلامية، ركيزة أساسية للحكم الألماني ومعركة ألمانيا السياسية.

وسرعان ما مركز الألمان عمل اللجان في حوزة لجنة إسلامية مركزية تأسست في الثالث من يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٤٢ في سيمفروبول (وعُرِفت أيضًا باسم لجنة سيمفروبول التترية)[٩٩]. كانت سيمفروبول معقل الإسلام في شبه الجزيرة في العهد القَيصري، ومقر إقامة مفتي القِرم. وقد رأسَ جميل عبد الرشيدوف (Jamil Abdurashidov) اللجنة، ثم حلَّ محلَّه مؤقتًا، بين أواخر عام ١٩٤٢ وأوائل عام ١٩٤٣، رجب قره سعيدوف (Eredzhep Qursaidov)[١٠٠]. كان القسم الأهم هو المجلس الديني الذي أصبح السُّلطة الدينية المركزية لدى مسلمي القِرم تحت الحكم الألماني، وقد هيمن المجلس على اللجان المحلية ونسَّق بينها وتحكَّم في حياة المسلمين وأدارها في جميع أنحاء شبه الجزيرة، تحت قيادة القامة الإسلامية البارزة عالِمسيت جميلوف (Alimseit Jamilov).

وقد تابع المجلس الديني في لجنة سيمفروبول جميع خُطط بناء المساجد وتجديدها، وتأسيس المدارس الجديدة، وإعادة إدخال التعليم الديني إلى المدارس العلمانية[١٠١]، وكذلك، صيغ المجلس الديني بهدف التحكُّم في تفاصيل عمل هذه المؤسسات، فعلى الرغم من أن الأئمة والمعلِّمين الدينيين كانوا منتخَبين من قِبل

السكَّان المحليين، وجب على المجلس الديني في اللجنة المركزية التأكد من كفايتهم، وكانت له الكلمة الأخيرة في التعيينات. وحاز سُلطة تأهيل الأئمة وتزويدهم بإرشادات عملهم. وأخيرًا، كان عليه توفير المناهج الموحَّدة للدورات الدينية والمدارس الإسلامية.

وفي أواخر عام ١٩٤٢، أحكم الألمان النظام بصورة أكبر؛ فدمجوا اللجان الإسلامية المحلية في إطار مؤسسي أكثر إحكامًا[١٠٢]. فتأسَّست **مجالس المساجد المحلية** (*Moscheen-Rat*) لتكون مراكز إدارية في الأقاليم. وضمِنَ إنشاء هذه المجالس أن تظل الأحياء حول المساجد منظَّمة ومتحكَّمًا فيها. فكانت مجالس المساجد تتسلَّم لوائحها من سيمفروپول، وتوجَّب عليها إصدار تقارير دورية عن عملها. وكان أعضاء حيٍ كل مسجد محلي ينتخبون مجلس المسجد المكوَّن من عشرة إلى خمسة عشر شخصًا، وهو ما كان يتم بسلاسة. ففي فبراير/ شباط من عام ١٩٤٣، أفادت وحدات الحماية أن عددًا من اللجان الإسلامية المحلية تبنَّت بالفعل لوائح سيمفروپول الجديدة، ومنها لجان فيودوسيًّا (Feodosiia) ويالطا وبغچه سراي، وأنها على وشك تنظيم المجالس المحلية وفقًا لتلك اللوائح[١٠٣].

لم تكن مأسسة الإسلام في هياكل كَنسية أمرًا جديدًا في القِرم، بل كانت لها سابقة في الإمبراطورية القَيصرية أسماها روبرت كروز (Robert Crews) بوضوح «كنيسةً للإسلام»[١٠٤]. ولم يقتصر الأمر على أن تصوِّر البروپاغندا النازية هذه الهياكل وما شاكلها على أنها تحرير ديني، بل إن السُّلطات الألمانية وظَّفتها لحساب مصالحها الإدارية والعسكرية؛ فقد أقرَّت لوائح لجنة سيمفروپول بوضوح أن الغرض منها هو تمثيل المسلمين، و«تقديم دعم نشط لمصالح القوات المسلَّحة الألمانية والإدارة المدنية الألمانية والشرطة الألمانية»[١٠٥]. وأشار هينتغ إلى أن لجنة سيمفروپول كانت تحت السيطرة الكاملة لسُلطات الاحتلال[١٠٦]. وقد استخدم الألمان النظام لغرضَين أساسيَّين؛ أن يكون أداةً للحكم والسيطرة، وللپروپاغندا والتعبئة العسكرية.

فقد وُظِّفت المجالس وإطارها المؤسّسي المركزي، بوصفها أداةً للحكم والسيطرة، في مراقبة الحياة الإسلامية وتنظيمها. فوُضِعت لجنة سيمفروپول المركزية تحت سُلطة **شرطة وحدات الحماية النازية** (*Sicherheitspolizei*) أو (Sipo)، ومكتب أمن وحدات الحماية (SD)[١٠٧]، وكان عليها أيضًا رفع تقارير عن عملها[١٠٨]. وعلى الأرض، انتهجت وحدات الحماية سياسة تدخلية كاملة، وصلت إلى حدِّ الإطاحة بأشخاص وأئمة عدَّتهم غير جديرين بالثقة. فقد أبدى الألمان اهتمامًا بالغًا بألَّا يسيطر الانفصاليون التتر على المجالس، وبالفعل، استتر أعضاء **الحزب القومي التتري** (*Milli Firka*) الذين سعوا إلى تأسيس دولة مسلمة مستقلة في شبه جزيرة القِرم، تحت غطاء اللجان الإسلامية. وفي أواخر عام ١٩٤٢، أقامت بعض اللجان جمعيةً عموميةً ناقشت فيها تأسيس كيان حكومي تتري[١٠٩]، وكان المهندس الأساسي لهذه الجهود، هو الطبيب أحمد أوزنباشلي (Ahmed Ozenbashli) الذي لعب دورًا قياديًّا في لجنة سيمفروپول، عقيب الغزو الألماني، لكن الألمان كانوا في موقع السيطرة؛ فأوقفوا النشاطات، ومنذ ذلك الحين عُطِّلت وظائف لجنة سيمفروپول، وأُضعف تأثيرها.

ولكونها أداةً للپروپاغندا والتعبئة، استغلت الإدارة العسكرية اللجان، وبالأخص مجالسها الدينية، استغلالًا مكثفًا؛ فقد كان مجرد وجودها يضفي شرعية دينية على التعاون مع الألمان؛ فوفقًا للوائحها، كان على لجنة سيمفروپول استغلال «شئون الحياة الثقافية كافة» استغلالًا دعائيًّا[١١٠]. ووُجِّهت اللجنة بإطلاق حملة بين السكان المسلمين، وتعبئتهم في المعركة ضد مناصري السوڤييت (الشكل ٤-٤). وفي أثناء افتتاح لجنة سيمفروپول الإسلامية، أوضح الإمام الرئيس أن الإسلام يحثُّ المسلمين على الانحياز للألمان[١١١]. وفي الشهور التالية، انغمست اللجنة المركزية في حملة تعبئة وپروپاغندا إسلامية واسعة[١١٢]؛ فنظَّمت اللجان الإسلامية دروسًا دينية للمتطوعين المسلمين في القوات المسلَّحة ووحدات الحماية، وانتشر ما أُطلق عليه «الپروپاغندا الدينية المناهِضة للبلاشفة» في المدن والقرى المسلمة في جميع أنحاء القِرم[١١٣]، وفي الريف، نشر بعض الأئمة المعيَّنين الپروپاغندا الألمانية من خلال دروسهم وخُطبهم.

وكانت جريدة (*Azat Kirim*) [بالعربية: **القِرم الحرة**] إحدى الأدوات الدعائية الأساسية لدى لجنة سيمفروپل المركزية[١١٤]. تأسَّست الجريدة في أوائل عام ١٩٤٢، وكان يقوم على تحريرها المثقف المسلم مصطفى كورتييف (Mustafa Kurtiev) الذي كان على رأس فريق من الكتّاب في المبنى الرابع عشر في شارع پوشكنسكايا (Pushkinskaia) في سيمفروپول. صدرت **القِرم الحرة** مرتين أسبوعيًا، وتمَّ تداولها على نطاق واسع بين مسلمي القِرم، وفي عام ١٩٤٣، كان يصدر من كل عدد عشرة آلاف نسخة، رغم أن الطلب عليها كان يُقدَّر بأربعة أضعاف ذلك على الأقل. وتحكَّمت إدارة الدعاية في القيادة العسكرية الألمانية في سيمفروپول في محتواها وراقبته، ووفقًا للجنة سيمفروپول الإسلامية، أُريد من الجريدة أن تدعم ولاء التتر للألمان والقوات المسلَّحة الألمانية، وتعبئة المسلمين في القوات الألمانية، ودعم المعركة ضد اليهود والماسونيين والشيوعيين[١١٥]. وزعمت الجريدة أنها تدعم استعادة «حقوق محمَّديي القِرم» التي طمسها «الحكم البلشفي اليهودي الروسي». وكان محرِّرو الجريدة يعون جيدًا أن جهودهم الدعائية جزء من حملة ألمانية أوسع للتعبئة الإسلامية، حتى أنهم طلبوا أن تُبلغهم برلين -بانتظام- بالمنشورات الألمانية باللغات التركية والعربية والفارسية واللغات «الشرقية» الأخرى، وذلك بهدف المواءمة بين دعايتهم والحملات الأخرى. وفي أوائل عام ١٩٤٣، اقترح كورتييف تأسيس كيان إسلامي مركزي؛ إن لم يشمل العالم الإسلامي أجمع، فعلى الأقل يشمل جميع مسلمي الأقاليم الشرقية[١١٦]، وزعم أن «الحوادث العالمية والحرب غير المسبوقة تاريخيًّا التي اشتعلت في جزء كبير من العالم الإسلامي، يتطلبان دعاية مكثفة في مجال الصداقة الألمانية المحمَّدية». وشارك مكتب كورتييف كذلك في أشكال أخرى من البروپاغندا المطبوعة؛ ففي أوائل يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٤٣، طالب المكتب بنُسخ من **كفاحي**؛ مشيرًا إلى أن «محمَّديي القِرم مهتمون أشدَّ الاهتمام بالكتاب الكلاسيكي للفوهرر»[١١٧].

وتكشف أعداد **القِرم الحرة**، الموجودة حاليًّا في دار محفوظات القِرم الحكومية في سيمفروپول، أن دعايتها تضمنت عددًا من المقالات عن المسألة الدينية، إلى جانب صخبها اللانهائي عن الشيوعيين واليهود؛ فذكر أحد المقالات، مبتهجًا بتحرير الإسلام



(الشكل ٤-٤): تتر القِرم في الزي الرسمي الألماني أمام مسجد خان بك في بغچه سراي في القِرم، ١٩٤٣ (BPK).

من «التسلُّط البلشفي اليهودي»، المشاركة الألمانية في إصلاح المساجد، وخاصةً إعادة تأسيس مسجد المفتي الجامع (The Mufti Jami Mosque) في فيودوسيًا، الذي أُسِّس في القرن السابع عشر، ثمَّ استحال كنيسة في العهد القَيصري[١١٨]، وهاجمت مقالاتٌ أخرى الإلحاد السوفييتي، فأعلنت إحداها -على سبيل المثال- أن الهمج فقط هم من لا يعتنقون أي دين؛ «فالله والنبي والدين والإيمان مما خُصَّ به الأقوام ذات الحضارة الراقية»[١١٩]. لقد أخفقت محاولات البلاشفة لـ«محو» حضارة مسلمي القِرم، وشدَّدت المقالة على أن «الله سبحانه أبى ذلك ... وقد أنقذنا هتلر، بفضله تعالى، من قبضة هؤلاء الطغاة». ودارت غالب النصوص المتعلقة بالإسلام حول الاحتفالات الدينية؛ فعلى سبيل المثال، لم تقتصر مقالات القِرم الحرة في عيد الأضحى لعام ١٩٤٢ على كتابة تأملات عامة حول أهداف الأُضحية[١٢٠]، بل غطَّت كذلك الاحتفالات التي تقع في جميع أنحاء شبه الجزيرة[١٢١]. وحَبكت معظم المقالات هذه الموضوعات بعبارات سياسية، فادَّعى أحد الكتَّاب -مثلًا- أن «الأمة الألمانية العظيمة، وحلفاءها: الشعبين العظيمين الإيطالي والياباني، احترموا هذا العيد الديني المهم لدى المسلمين، وساعدوهم على الاحتفال به»[١٢٢]. وكذلك كان افتتاح المفتي للمعهد الإسلامي المركزي في برلين في عيد الأضحى لعام ١٩٤٢ أحد الموضوعات التي غطَّتها الجريدة[١٢٣]. وكررت الجريدة الثناء على «مفتي القدس العظيم» الذي «رفع راية الجهاد ضد الدول الأنكلوساكسونية»[١٢٤].

لكن أكثر المقالات الدينية كشفًا عالجت أمورًا دينية عملية؛ فقد أثارت إحدى المقالات المسألة الحساسة التي تقضي بأن الكثير من المسلمين في القِرم أفقر من أن يتمكَّنوا من التضحية في عيد الأضحى[١٢٥]. وكذلك عالجت مقالةٌ أخرى الخلافات المتعلقة بإنتاج النَّبيذ الذي أفتى بعض ملالي القِرم بحُرمته، رغم أهميته لاقتصاد بعض القرى التترية، ودفعت المقالة، استنادًا إلى نصوص دينية، بأن الإسراف في تعاطي النَّبيذ فقط لا بيعه هو محلُّ التحريم في الإسلام[١٢٦][أ]. وأخيرًا،

(أ) يغلب على المسلمين السُّنَّة في مشرق العالم الإسلامي أن يكونوا أحنافًا في الفقه، وقد اختلف الأحناف في حُكم القليل من النَّبيذ الذي لا يُسكر، فقال بعضهم بجوازه، أما معتَمد المذهب عندهم فهو الحُرمة التامَّة للأنبذة؛ فلعل بعض المسلمين هناك يُقلِّدون الرأي المرجوح. (المترجم)

تعلّقت بعض الكتابات بالإدارة الدينية الجديدة، لكنها لم تقتصر على مجرد إعلان اللوائح والقواعد الجديدة للجان الإسلامية[١٢٧]، بل تضمنت عروضًا مفصّلة لأنشطة لجنة سيمفروپول المركزية، وغطّت افتتاح المساجِد واستعادة الأعياد الدينية وإعادة تأسيس التعليم الديني وافتتاح مطابخ الحساء[١٢٨](أ). لكن أكثر الموضوعات إثارةً للجدل كان تعيين الأئمة الجدد، فلَم يتوقف الكُتّاب عند تقديم آرائهم فيما يتعلّق بدور الشخصيات الإسلامية ومسئولياتها، بل انتقدوا تعيين شخصياتٍ دينية عدُّوها غير ملائمة[١٢٩]. وفي المجمل، لا تقتصر الأصداء التي يمكن أن تمنحنا إياها جريدة **القِرم الحرة** على دور الدين ووظيفته في پروپاغندا احتلال القِرم فحسب، بل تمتد كذلك لتشمل حدود المحاولات الألمانية لإحياء الإسلام في شبه الجزيرة. وختامًا، شاركت اللجنةُ الجريدةَ في الپروپاغندا الإذاعية الموجَّهة لمسلمي القِرم[١٣٠]، وعلى الرغم من أن الإذاعات الألمانية بُثّت باللغة الروسية فحسب، أذاعت برنامجًا باللغة التترية في يوم الجمعة.

بطبيعة الحال، التزمت الپروپاغندا الدينية في القِرم بالتوجيهات الألمانية العامة، رغم أنها أُديرت من قبل اللِّجان، وقد شدَّدت أولى التوجيهات المؤقتة للپروپاغندا الموجَّهة للتتر التي وزَّعتها وزارة الشرق في أواخر عام ١٩٤١، على دور الدين، ونَصَّت التوجيهات على «أن أكثر ما يُهمُّهم هو ممارستهم الحُرة لدينهم»، واقترحت الشعار القائل بأن «الرايخ الألماني سمحٌ ودودٌ تجاه المحمَّديين، فلا تصدِّقوا الپروپاغندا البلشفية التي تدَّعي، أيها المحمَّديون، أنه يجب قمعكم وقتلكم»[١٣١]. وشارك الألمان أيضًا من حين إلى آخر في جهودهم الدعائية، فوزَّعوا على سبيل المثال نسخًا مصغرةً من القرآن مع عدسات معظِّمة خاصة[١٣٢]، وكانت هذه المجموعات هدايا شائعة يُحضرها المسلمون من مكة في أثناء الثلاثينيات والأربعينيات، وكذلك أشار تقرير لوحدات الحماية إلى أن هذا النوع من الهدايا الدينية استُخدم لتكريم أفراد الأئمة[١٣٣].

(أ) أماكن لتقديم الطعام للفقراء مجانًا، مثل «موائد الرحمن» في مصر أو «التكايا» في الشام. (المترجم)

كان زعماء المسلمين يرسلون تقارير للسُّلطات الألمانية طَوال فترة الاحتلال، وكثيرًا ما صيغت التقارير في شكل التماسات، وهي تمنح فكرةً عن الحدود الفعلية لمحاولات ألمانيا إحياء الإسلام في القِرم، وفي الواقع، كشفت التقارير التي كانت ترفعها لجنة سيمفروپول المركزية أن حياة المسلمين كانت مختلفة -في الغالب- عمَّا حاولت الپروپاغندا الألمانية تصويره؛ فالضباط الألمان على الأرض لم يتعاونوا دائمًا مع ممثِّلي المسلمين[١٣٤]؛ ففي عام ١٩٤٢ -على سبيل المثال- أسست اللجنة المحلية في يڤپاتوريا مدرسةً بها مئة وثلاثون طالبًا، لكن القيادة الألمانية أغلقتها بعد أسبوعين فقط؛ فشَكا ذلك مسلمو يڤپاتوريا عبر لجنة سيمفروپول، وشدَّدوا على أنهم «بحاجة لتعليم الأطفال تعليمًا دينيًا ومكافحة ما تبقى من إلحاد الحكم البلشفي»[١٣٥]. تكرَّر هذا النمط من النزاعات في الأماكن التي استعان فيها الألمان بمتعاونين روس في الإدارة المحلية؛ ففي سيمفروپول، رفض موظفون روس طلبات المسلمين لمنحهم معونات مالية من صندوق المدينة بغية استعادة أحد المساجد[١٣٦]، وفي أماكن أخرى أغلقت السُّلطات الروسية بعض المدارس الإسلامية[١٣٧]. وبعيدًا عن الشقاق بين المسلمين والسُّلطات المحلية، واجهت القِرم نقصًا عامًّا في عدد الشخصيات الإسلامية البارزة اللازمة للمساجد والمدارس[١٣٨]، وفي مرحلة معينة، طالبت اللجنة المركزية باستجلاب فقهاء جُدُد إلى القِرم، وبالأخص من رومانيا، واقترحت في الوقت نفسه ابتعاث شباب أئمة القِرم ليدرسوا في مدارس رومانيا والبوسنة[١٣٩]. وكذلك كان هناك نقص حادٌّ في الكتب الدينية[١٤٠]. لكن في عام ١٩٤٣، سمحت السُّلطات الألمانية باستيراد المصاحف وكتب دينية أخرى من الخارج لصالح مدارس القِرم الدينية[١٤١]. وفي المجمَل، تُظهر الالتماسات أن ممثلي المسلمين حاولوا مرارًا توظيف نظام الاحتلال الألماني لصالحهم، لكن الألمان عارضوا مطلَبهم الأساسيَّ باستعادة المؤسستَين الإسلاميتَين التقليديتَين: الوقف والإفتاء.

كان النظام الديني -المساجد والمدارس واللجان الإسلامية وموظَّفوها- الذي أقرَّته الإدارة الألمانية مكلِّفًا للغاية، وفي البداية، كان المصدر الرئيس لتمويل عمليات ترميم الأماكن الدينية وتوظيف رجال الدين المسلمين، هو تبرعات

الناس(١٤٢)، وتقليديًّا، كانت الأوقاف الإسلامية التي تُدير الملكية العامة للأمة، بما فيها من مبان وصحار ومراع، تتولى الإنفاق على هذه المصارف(١٤٣). لقد استندت مؤسسة الوقف إلى الشريعة، وشكَّلت جزءًا مهمًّا من المجتمع الإسلامي في جميع أنحاء العالم لقرون. واستُخدم ريع الهِبات والأنشطة الاقتصادية في دفع رواتب رجال الدين المسلمين، والعلماء، وطلَّاب العلم، وتمويل صيانة المساجد والممتلكات الدينية، والمشروعات الخيرية. ولمَّا كان الوقف معترفًا به رسميًّا في روسيا القَيصرية، فقد امتلك ثروة وأراضي هائلة في جميع أنحاء شبه جزيرة القِرم. وكانت الحكومة القَيصرية قد أعلنت أن الوقف غير قابل للإبطال، وذلك من خلال عدَّة إجراءات، كان من أهمِّها ذلك المرسوم الإمبراطوري الصادر في عام ١٨٢٩، والذي جعل من مفتي القِرم ناظرًا على الأوقاف، وأكَّد مرسوم آخر، صدر بعدها بعامين، أن الوقف هو المورد المالي الأساسي للمساجد والمدارس والملالي، لكن السوڤييت أبطلوا نظام الوقف وصادروا جميع أملاكه.

وسرعان ما أثيرت المسألة في عهد الاحتلال الألماني؛ ففي الثالث عشر من ديسمبر/ كانون الأول، أرسل مجلس عالِمسيت جميلوف الديني في لجنة سيمفروبول مذكِّرةً للقيادة الألمانية تتناول مسألة الوقف(١٤٤)، وقد فصَّلت المذكِّرة القول، بعد شكرها «القوات المسلَّحة الألمانية العظيمة» على «تحريرها» لمسلمي القِرم واستعادتها الحياة الدينية، في «المهمة الكبيرة والشاقة» المتعلقة بإحياء المؤسسات الإسلامية في القِرم، والتي تتطلب تكاليف ضخمة. ولمَّا كانت إعادة مأسسة الإسلام تتطلَّب موارد مالية ضخمة، فإن استعادة أملاك الوقف السابقة، بما فيها من مبانٍ مهدَّمة وغير مستغلَّة، ولو جزئيًّا؛ ضروري للغاية، وأرادت لجنة سيمفروپول نفسها نقل مجلسها الديني إلى أحد البيوت الموقوفة سابقًا في شارع كايتارنايا (Kaitarnaia)، وهو المبنى الذي أقام فيه مفتي القِرم قبل أن يتحول إلى دارة لإقامة المسئولين السوڤييت(١٤٥).

لم يُعَد تأسيس الوقف بشكل رسمي على الإطلاق، لكن السُلطات الألمانية كانت مستعدةً إلى حدٍّ ما للتعامل مع المسألة على المستوى المحلي؛ فمع إعادة

افتتاح المساجد والمدارس الدينية، عادت أملاك الوقف السابقة عمليًا إلى الجماعات المسلمة في العديد من أنحاء شبه الجزيرة، وكذلك نصَّت اللوائح المؤقتة للجان الإسلامية المحلية، التي تبنَّتها بعض الجماعات في شتاء (١٩٤٢-١٩٤٣)، صراحةً، على عدِّ أملاك الوقف مصدرًا للدخل[١٤٦]؛ فوفقًا للوائح، ستدير مجالس المساجد المحلية جميع ما للوقف من أراضٍ ومساجد ومباني موظفين ودور إقامة لرجال الدين وطاقَم العاملين. وكذلك سُمح لهم بجمع الزكاة واستخدامها في تمويل المساجد والأئمة والتعليم الديني والمشروعات الخيرية. وأُنفق ريع الوقف على المجلس الديني المركزي في اللجنة الإسلامية المركزية في سيمفروپول؛ إذ كانت اللجنة تحصِّل ريعًا من مطاعم وأعمال أخرى وفَّرت دخلًا شهريًا يصل إلى عشرة آلاف روبل، وفقًا لأحد تقارير وحدات الحماية، وذلك إلى جانب مبلغ غير معلوم من التبرعات الخيرية[١٤٧]. لكن من غير الواضح ما إذا كان مصطلح «الوقف» مرتبطًا بالتبرعات الجديدة أم بأملاك الوقف التقليدية. وبشكل أعم، كانت الوكالات الاقتصادية والزراعية الألمانية على استعداد لتفضيل السكان المسلمين في توزيع الأراضي الزراعية[١٤٨].

كانت قضية الوقف متعلقةً -إلى حدٍّ كبير- بمسألة استعادة منصب المفتي الذي كان -تقليديًا- القيِّم على الحياة الدينية في القِرم؛ ففي روسيا الإمبراطورية، انطوت دار إفتاء القِرم على أهمية كبرى للمسلمين حتى خارج حدود شبه الجزيرة، فقد نصَّبت الإمبراطورية القَيصرية مفتيًا في أوفا (Ufa) وآخر في سيمفروپول، وبعد ذلك آخر سنيًا وشيخَ إسلام شيعيًا في تفليس (Tiflis) لمسلمي القوقاز. لقد كانت دار الإفتاء في سيمفروپول مسئولة عن الدعوة والصلاة والزواج والطلاق والمواريث وإدارة المساجد والمدارس، وفوق ذلك كلِّه عن الوقف، وتكوَّنت من المفتي ونائبه **قاضي عسكر** وستة **قضاة**. وقد نشط مجلس سيمفروپول الروحي، بتأييد من القوات المسلَّحة، في العديد من الجوانب كدار الإفتاء، رغم أنه كان أقلَّ أهمية وأضعف ناصرًا من الناحية الرمزية، وسرعان ما اقترحت لجنة سيمفروپول على الألمان استعادة دار إفتاء القِرم، وفي مذكرته المرسَلة بتاريخ الثالث عشر من ديسمبر/ كانون

الأول لعام ١٩٤٢، ربط جميلوف بين قضية إعادة تأسيس الوقف ومسألة دار الإفتاء[١٤٩]، ووعدت لجنة سيمفروپول بأن استعادة المفتي سيكون له أثر دعائي لا على «مسلمي روسيا» فحسب، بل على «العالم الإسلامي كله»[١٥٠]، وفي مناسبة أخرى، دعت الزعامات المسلمة إلى تأسيس دار إفتاء بدعوى أن الإحياء الأخلاقي للتتر لن يكون إلَّا من خلال الدين[١٥١].

لكن الألمان كانوا على دراية بأن عودة المفتي قد تخلق رمزًا سياسيًّا قويًّا جديدًا؛ ولخشيتها من أي نشاط سياسي تتري، رأت سُلطات الجيش أن تعيين شخصية إسلامية عليا هو بمثابة مجازفة كبرى؛ فصمَّت برلين آذانها في البداية عن التماسات إعادة تأسيس دار الإفتاء؛ لكن في النهاية غيَّرت محاولات المحور والحلفاء المتزايدة (والمتبادَلة)، بغية إظهار أنفسهم بمظهر أصدقاء الإسلام، من التوجهات الألمانية؛ ففي أكتوبر/ تشرين الأول من عام ١٩٤٣، عندما أسَّست الحكومة السوڤييتية دار إفتاء في طشقند، سبيلًا من سبل تخفيفها للأنشطة المناهِضة للدين، قدَّمت وزارة الشرق أخيرًا مقترحًا بتأسيس دار إفتاء في القِرم[١٥٢]، وكتب ريتشارد كورنلسن (Richard Kornelsen)، أحد موظفي المكتب السياسي في وزارة الشرق، الذي كان تحت إمرة غوتلوب برغر، مذكِّرةً حول هذا الموضوع:

> «بغية التصدي الفعَّال للبلشفية التي تسعى حاليًّا، كما يبدو من حوادث أخيرة، إلى الظفر بنفوذ في العالم الإسلامي، يتوجَّب علينا توظيف كل وسيلة ممكنة لمحاربتها، وأعجَل الخطوات الآن هو إعلان بُطلان انتخاب مفتي طشقند، وفضح ستالين، من منطلق أن البلشفية اليهودية المعادية للدين لا يحقُّ لها -من الناحية الأخلاقية- الظهور بمظهر صديق الإسلام أو نصيره، وذلك في ضوء معاملتها لمحمَّديي الاتحاد السوڤييتي، وأن مفتي طشقند ما هو إلَّا دُمية تتلاعب موسكو بخيوطها كيف شاءت، وأن السياسة الستالينية الحالية تجاه الإسلام ما هي إلَّا فصل من المسرحية التي بدأت في عام ١٩١٧»[١٥٣].

وقد تجاوز اقتراحُ كورنلسن إنشاء دار إفتاء شبه جزيرة القِرم، فناقش سياسة القِرم في إطار أوسع للإسلام في الاتحاد السوڤييتي، ولم يكن المنطق المحرِّك ساعتها هو

مجرد إحلال السلام محليًا في القِرم، بل توظيف الإسلام في الحرب بصورة أعم، واقترحَ أن الفعل المضاد الأكثر فاعلية هو عَقد مؤتمر من الشخصيات الإسلامية تمثل القِرم والقوقاز وتركستان وإقليم الفولغا والأورال، وأوصى بأن تقدِّم الدولة الألمانية، في المؤتمر، اعترافًا رسميًا بمُفتٍ تتري من القِرم يُنتخب قبل انعقاده، ويُعقد المؤتمر في برلين ويُستغل دعائيًا إلى أقصى درجة، ويمكن للممثلين المسلمين من خارج الاتحاد السوفييتي المشاركة ضيوفًا في المؤتمر. كان رد برغر على المقترح بأحد تعليقاته الشهيرة في الهوامش: «موافقة»[١٥٤]، ويمكن كذلك فهم موافقة برغر بوصفها تصديقًا من وحدات الحماية؛ لأنه كان ما يزال رئيسًا لمكتبها المركزي.

وسرعان ما قُدِّمت خُطَّةٌ لتأسيس دار إفتاء القِرم للقوات المسلَّحة الألمانية، وفي هذه المذكِّرة، زعمت وزارة الشرق أولًا أنه يمكن لمؤسسة الإفتاء أن تعزِّز من موقف ألمانيا في شبه الجزيرة، وهو الهدف الأساسي لقيادة الجيش هناك بالطبع، وشدَّدت على أنه «من مصلحة ألمانيا» أن تكون هناك «شخصية جديرة بالثقة في منصب المفتي» يمكن استعمالها في «التأثير على التتر»[١٥٥]، وكذلك، يمكن للمفتي أن يواجه بروباغندا ستالين؛ «فانتخاب مفتٍ تتري في القِرم يمكن استعماله بعد ذلك أساسًا لبروباغندا تجابه سياسة ستالين نحو الإسلام». وفي النهاية، أشار المقترَح إلى فكرة التعبئة الإسلامية العامة، موضحًا أن «انتخاب المفتي سيكون له أهمية سياسية ودعائية قصوى من باب أثره في داخل الاتحاد السوفييتي وفي الشرق الأدنى». وعملًا على إنفاذ ميل هتلر المعروف للتعبئة الإسلامية، أشارت المذكِّرة إلى «رغبة الفوهرر في التقرب من الشعوب المحمَّدية»؛ وبذلك قطعت المذكِّرة جهيرة كل معترِض، وأشارت في خاتمتها إلى بعض الاقتراحات العملية. ولتبسيط الأمر، فُصِلت مسألة تأسيس دار الإفتاء عن مسألة الوقف، واقتصر التصويت على رؤساء اللجان الإسلامية ورؤساء المجالس الدينية وجميع أعضاء المجلس الديني في لجنة سيمفروبول، وكان يجب أن تخضع العملية برمَّتها لمتابعة القوات المسلَّحة، بل إن وزارة الشرق كانت قد اختارت مرشحًا مناسبًا للمنصب، ألا وهو أحمد أوزنباشلي.

كان ترشيح أوزنباشلي مستبعَدًا [١٥٦]، فقد كان شديد الاهتمام بمستقبله الوظيفي، وقد لعب دورًا قياديًّا في انتفاضات سنوات الثورة والحرب الأهلية، ثم عمِل بعد ذلك موظَّفًا في الإدارة السوڤييتية للقِرم، لكنه استُبعِد من جانب رؤسائه، وسُجن فترةً، أُرسل فيها إلى معسكر اعتقال، وعندما غزا الألمان الاتحاد السوڤييتي، كان أوزنباشلي طبيبًا تحت التمرين في خاركوف (Kharkov)؛ ولسعيه لتأسيس مستقبل مهني في القِرم ما بعد السوڤييت، انتقل إلى سيمفروپول، وأصبح ذا نفوذ كبير في اللجنة الإسلامية المركزية، لكنه كان يطمح إلى ما هو أبعد من ذلك، ورغم قلَّة بضاعته من العلوم الشرعية، طالب أوزنباشلي مبكرًا بمنصب المفتي، والآن أصبح يروِّج بنشاط لخُطَّته. لكن السُّلطات العسكرية في القِرم تابعت أنشطته بارتياب متزايد، واصطدمت جهوده التي استهدفت توسعة نطاق عمل اللجان الإسلامية ليشمل قضايا سياسية، بمكتب أمن وحدات الحماية؛ وخوفًا من الاعتقال، فرَّ أوزنباشلي من شبه الجزيرة في أوائل أكتوبر/ تشرين الأول من عام ١٩٤٣ متوجِّهًا إلى أوديسَّا (Odessa)، ومن هناك استطاع الفرار، بمساعدة الشرطة السرية الرومانية، إلى بوخارست؛ ورغم فراره، لم يتراجع موظفو وزارة الشرق عن اقتراح اسمه، وأصبح ضباط الجيش أقل حماسةً للمرشح، وللخُطَّة بأكملها في الواقع.

وقد ردَّت القوات المسلَّحة الألمانية ردًّا حادًّا على وزارة الشرق لخشيتها من أن تمثل دار الإفتاء موردًا خصبًا للنشاط السياسي، وجاء الردُّ بأن «إنشاء حكومة إقليمية على أساس محمَّدي وتشكيل دار إفتاء كبرى لم يخضع للتفكير، ولم توضع له أية خُطط، وسيكون بمثابة قطيعة مع السياسة القائمة حاليًّا»[١٥٧]. لقد كانت القيادة العسكرية متوجسة من النشاط السياسي المنفلت، وأشارت إلى أن «التتر في الآونة الأخيرة لا يمكن الوثوق فيهم أبدًا». وداخليًّا، أثار مقترَح وزارة الشرق ارتياعًا ومناقشات محمومة في القوات المسلَّحة[١٥٨]، فالضباط الميدانيون لم يستوعبوا هذه الخُطط، خاصة بالنظر إلى «انعدام الثقة في أوزنباشلي ورفاقه»[١٥٩].

أما وحدات الحماية فلم يكن لها نهج متسق في هذا الأمر، وربما كان عدم معرفة بعض ممثِّلي الوحدات في القِرم بتصديق برغر على تأسيس دار الإفتاء، دافعًا لهم

ليكونوا أكثر حذرًا؛ فقد صرَّح تقرير للوحدات بتاريخ الثاني من فبراير/ شباط لعام ١٩٤٤ بأن «مسألة دار الإفتاء ليست ذات أولوية قصوى حاليًّا»، في إشارة إلى إجلاء أعداد كبيرة من التتر من أراضي المتمردين حول جبال القِرم والتعبئة العامة للجيش[١٦٠]. لكن مسألة المفتي دُرست دراسةً أعمق لدى أطراف أخرى في الوحدات؛ ففي الخامس من مارس/ آذار من عام ١٩٤٤، زار نقيب وحدات الحماية شتوكر (Stoecker)، المسئول عن شئون تتر القِرم في مكتب أمن الوحدات، رفقة عدد من ضباط الوحدات من إدارة الدعاية، ڤالتر شومان (Walter Schumann)، مفوَّضَ الڤيرماخت في سيمفروپول، لمناقشة فكرة دار إفتاء القِرم[١٦١]، وقد عبَّر شومان عن تحفُّظه، كما أن ضباط القوات المسلَّحة كانت لديهم إشكالات أخرى في الواقع؛ فقد التفت الجيش الأحمر إلى شبه الجزيرة، وبدأ الألمان في التراجع.

ظل ضباط وحدات الحماية يناقشون مسألة دار الإفتاء حتى نهاية الحرب. وبعد سقوط القِرم، شرع المتحمسون للتعبئة الإسلامية في مكتب رئاسة وحدات الحماية في النظر في فكرة دار إفتاء عامة لجميع الترك الشرقيين. خضعت الفكرة للنقاش من باب التعبئة والپروپاغندا الإسلامية فحسب، مع الإشارة إلى الروح المعنوية للمتطوعين المسلمين في القوات الألمانية. ناقش راينر أولتسا الأمرَ مع ريتشارد هارتمان[١٦٢] الذي حَذَّر من أن تأسيس دار إفتاء موحَّدة لجميع المسلمين السنَّة في الاتحاد السوڤييتي سيركِّز قوةً هائلة في يد شخصٍ واحد، وأشار أيضًا إلى أنه لا يوجد مرشح مؤهل للمنصب حاليًّا.

وفي وزارة الشرق أيضًا، ظلت مسألة دار الإفتاء مفتوحةً للنقاش بعد الانسحاب الألماني من القِرم، وهنا نوقش الأمر أيضًا بصيغة عمومية في هيئة تؤسَّس لجميع مسلمي الشرق، وفي صيف عام ١٩٤٤، تلقَّى غِرهرد فون منده أمرًا من برغر بالحديث مع الحسيني حول هذا الأمر، ومرةً أخرى، هيمن على النقاش القلقُ من تأسيس دار إفتاء سوڤييتية، ومن الپروپاغندا الروسية المتزايدة بشكل عام في العالم الإسلامي، وذكر منده في تقريره أنه: «كي تنجح مواجهة الپروپاغندا البلشفية بتشكيلها دار إفتاء في طشقند، سيرحِّب المفتي الأكبر إن أسس الألمان دار إفتاء بشكل تجريبي»[١٦٣].

فتأسيس دار إفتاء لتتر القِرم سيخاطب جميع مسلمي الاتحاد السوفييتي، وسيؤكد على موقف الرايخ الثالث الداعم للإسلام. وقد برز اسم أوزنباشلي مرةً أخرى، وبالفعل، تواصل معه منده وطلب منه القدوم إلى برلين فورًا، لكن أوزنباشلي لم يُبد اهتمامًا. ونقل أحد المُخبرين التتر، الذي أرسلته وزارة الشرق والغيستاپو (Gestapo) (الشرطة السرية النازية) إلى رومانيا في يونيو/ حزيران من عام ١٩٤٤، أن أوزنباشلي مستعدٌّ للذهاب إلى ألمانيا في حال تيقَّن أنه سيصبح المفتي[١٦٤]. وبعد أن خاب أمله، لم يعد أوزنباشلي واثقًا في انتصار ألمانيا وعقد آماله على أن يهبط البريطانيون عما قريب في رومانيا، وسرعان ما اعتقله جنود الجيش الأحمر بعد الاحتلال السوفييتي. لكن مسئولي وزارة الشرق ظلُّوا يناقشون القضية، بل وضعوا مسوَّدة قرار تأسيس دار إفتاء شرقية[١٦٥]؛ ففي خريف عام ١٩٤٤، أفاد المكتب السياسي في وزارة الشرق في نشرته الإخبارية عن هذه الخُطط قائلًا: «تدور الآن مفاوضات حول تأسيس دار إفتاء، ولهذا المشروع أهمية قصوى؛ نظرًا لما سينطوي عليه من أثر»[١٦٦]. ولاحقًا في مارس/ آذار من عام ١٩٤٥، في أثناء تقدم الجيش الأحمر نحو برلين، كان رئيس قسم التتر في الوزارة الكونت ليون ستاماتي (Count Leon Stamati) يقدِّم فكرة «دار إفتاء القِرم» التي قد تمثل في الوقت نفسه «من خلال تقاليد الماضي ... دار إفتاء كبرى لجميع محمَّديي الاتحاد السوفييتي»[١٦٧]. وبعدها بأيام قليلة، كتب عالم چان إدريس عن تأسيس دار الإفتاء، لكنه كان ناقدًا إلى حدٍّ كبير؛ فقد كان غالب أسرى الحرب المسلمين لا يبالون بدار الإفتاء، أو كانوا يولون الاستقلال القومي اهتمامهم أكثر من الزعامة الدينية، وأوضح أنهم كانوا يفضِّلون تحالفًا بين الشعوب الإسلامية على إمبراطورية إسلامية موحَّدة. لكن إدريس أدرك أيضًا أن الامتيازات الدينية أفضل بديل للسيادة الوطنية، فكتب أنه إن لم تتحد شعوب الشرق التركية أو تُمنح الاستقلال القومي بعد الحرب، فإنه يجب تنظيمها «تحت مظلَّة منظمة دينية موحَّدة»، وأضاف أنه «إن حدث ذلك، يجب أن يُنتخب رئيس هذه المنظمة من بين علمائها المسلمين»[١٦٨]. ويمكن عدُّ تعامل وزارة الشرق مع مسألة دار الإفتاء بوصفه استثناءً لخطِّها العام الذي كان أقل اهتمامًا بتوظيف الإسلام في الشرق.

الإسلام والإدارة المدنية في مفوضية الرايخ أوستلاند

لم تحافظ برلين على القدر نفسه من الحذر فيما يتعلَّق بمسألة دار الإفتاء؛ ففي الواقع، استلهَم مسلمو القِرم الشجاعة، في سعيهم لاستعادة دار الإفتاء، من الإذن الممنوح للتتر المسلمين في ڤيلنيوس (Vilnius) بتنصيب مفتٍ في مفوضية الرايخ أوستلاند (Reich Commissariat Ostland) الخاضعة لإدارة هاينريش لوزه (Hinrich Lohse)[١٦٩]. فقد كانت الأقليات التترية في پولندا ولتوانيا ولاتڤيا وإستونيا وبيلَّاروسيا من أوائل المسلمين الشرقيين الذين تعاملت معهم ألمانيا[١٧٠]، وتعيش غالبيتهم الآن في إقليم أوستلاند. وكان التتر المسلمون القادمون من القِرم وإقليم الڤولغا والقوقاز قد استقروا في المنطقة منذ القرن الرابع عشر الميلادي، تحت حماية دوقية لتوانيا الكبرى التي ضمَّت پولندا الحالية ولتوانيا وبيلَّاروسيا. وعلى مرِّ القرون التالية، تمتَّع المسلمون بحقوق خاصة وحرية دينية؛ فشكَّلوا ثقافة إسلامية متميزة، انعكست -على سبيل المثال- في المساجد الخشبية الفاتنة في كروشنياني (Kruszyniany) وبوهونيكي (Bohoniki). لكن بعد الغزو السوڤييتي لپولندا ولتوانيا في عام ١٩٣٩، هجَّرت موسكو العديد من التتر المسلمين، وخاصة من لتوانيا وبيلاروسيا، إلى سيبيريا، وقُمع الإسلام، ودُمِّرت المساجد أو حُوِّلت إلى مستودعات، أو استُخدمت في أغراضٍ أخرى، مثل مسجد كاوناس (Kaunas) الذي تحول إلى مكتبة عامة. لقد كان المراقبون المعاصرون في الولايات المتحدة وبريطانيا على قناعة بأن قمع الإسلام استمر تحت حكم الألمان[١٧١]، لكن الواقع كان أكثر تعقيدًا؛ فكما كانت الحال في أجزاء أخرى من الأقاليم الشرقية، حاولت السُّلطات النازية الترويج لألمانيا بوصفها محرِّرة الإسلام.

لقد كانت الحياة الإسلامية في أوستلاند، على عكس القِرم والقوقاز، تحت إدارة وزارة الشرق في الأساس[١٧٢]، ولم يحظَ الإسلام بمكانة خاصة، بل خضع لتنظيم وزارة الشرق عادةً مع بقية الأديان الأخرى؛ ففي مايو/ أيار من عام ١٩٤٢ -على سبيل المثال- شدَّدت تعليمات روزنبرغ العامة المتعلقة بالدين والموجَّهة للإدارة المدنية في مفوضيات أوستلاند وأوكرانيا على أن «السكان المحمَّديين» من بين

الجماعات والتنظيمات الدينية التي يجب التسامح معها[١٧٣]. وفي العام التالي، أمر روزنبرغ الإدارة المدنية والدولة والحزب والجيش في المناطق المحتلَّة بأن يُمنح العمَّال المسلمون في جميع الأراضي المحتلَّة يوم عطلة في المناسبات الدينية الإسلامية[١٧٤]، وحدَّد هذه المناسبات باحتفالات المولد النبوي في التاسع عشر من مارس/ آذار ذاك العام، وعيد الفطر في الأول من أكتوبر/ تشرين الأول، وعيد الأضحى في الثامن من ديسمبر/ كانون الأول. وأخيرًا، أمر روزنبرغ القيادة المحلية في المناطق الإسلامية أن تبُتَّ، «بعد استشارة أرفع فقيه محمَّدي محلي»، في تحويل غُرَّة السنة الهجرية في الثامن والعشرين من ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤٣ إلى عُطلة، وفي الحالات التي يمنع الوضع العسكري والاقتصادي فيها منح هذه العطلات، نصح روزنبرغ أن يكون إبلاغ المسلمين عبر وسطاء دينيين، أو «كبار رجال الدين المحمَّديين» كما أسماهم.

وعلى الأرض، رحَّب العديد من مسلمي أوستلاند بهذه السياسات، أو على الأقل كان ذلك انطباع ڤيرنر أوتُّو فون هينتغ[١٧٥]، وبالمثل، نقل أحد سياسيِّ القِرم المنفيين، وهو مصطفى يديج قريمال (Edige Mustafa Kirimal) الذي زار المنطقة في أوائل عام ١٩٤٢، إلى وزارة الشرق أن المسلمين «ممتنُّون» للرايخ الثالث الذي «أجارهم من الجحيم البلشفي»[١٧٦]؛ إذ تمكنوا من فتح مساجدهم وتمتعوا بحرية دينية كاملة. ولحظَ هينتغ وقريمال أن العديد من المسلمين عُيِّنوا، بتفضيل من الإدارة الألمانية، في الإدارة المدنية وقوات الشرطة المحلية.

وفي ريغا، شدَّد الإمام المحلي شاكر إريس (Shakir Eriss)، الذي كان يملك مقهًى تركيًا قبل أن يُنتخَب إمامًا لريغا في العشرينيات، على «امتنانه الشديد» للسُّلطات الألمانية على «منحه الإذن بعقد الدروس الدينية العامة مرةً أخرى، وهي الدروس التي لم يكن العديد من المحمَّديين أحرارًا في حضورها إبَّان فترة الحكم الشيوعي التي استمرت خمسة وعشرين عامًا»[١٧٧]، وأوضح أن العهد السوڤييتي كان «ذروة» تاريخ طويل من اضطهاد الدولة المركزية الروسية للمسلمين، وأضاف أن «الشيوعية عاملت المبادئ الإسلامية المقدسة بازدراء كامل»، لكنه زعم أن الثقافة الإسلامية

ظلت محفوظة في العائلات. وقد وصفت سُلطات مفوضية الرايخ إريس بأنه «مؤيد مطلق للألمان»[١٧٨]. وكذلك عمِل إريس إمامًا لأسرى الحرب المسلمين الكُثر الذين اعتُقِلوا في لاتفيا وعملوا في معسكرات في ريغا، ودُنابرغ (Dünaburg) داوغفبيلس (Daugavpils)[أ]، وفندن (Wenden) تسيسيز (Cēsis)[١٧٩][ب]. وذهب إريس في النهاية إلى اقتراح تأسيس وحدات مسلمة في القوات المسلَّحة الألمانية -«وحدات محمَّدية خالصة تحت قيادة ضباط ألمان يحملون شارات محمَّدية»- وبدا بوضوح أنه لا يعلم أن تجنيد المسلمين كان قد بدأ بالفعل[١٨٠]. وعلى الرغم من حماسه للتعاون بأقصى ما يستطيع، اقتصرت أنشطة إريس على منطقة ريغا، وكان لأحد زملائه في ڤيلنيوس الدور الأهم في الشئون الإسلامية في أوستلاند (وغيرها).

ففي أوائل عام ١٩٤٢، صدَّق الألمان رسميًّا، وبصيغة أدق، صدَّق المفوَّض العام المشؤوم في لتوانيا أدريان فون رينتلن (Adrian von Renteln) التابع لروزنبرغ على عدِّ يعقوب شينكييتش (Jakub Szynkiewicz) مفتيًا للتوانيا (الشكل ٤-٥)[١٨١]؛ وبذلك أصبح شينكييتش على رأس ما سمِّي دار الإفتاء اللِّتوانية من موطنه في ڤيلنيوس حيث يعيش غالبية التتر اللتوانيين. وسرعان ما سيحاول مدَّ نفوذه إلى مناطق أخرى من مفوضية الرايخ، وبالفعل سيُشار إليه عادةً في الوثائق الألمانية باسم مفتي أوستلاند[١٨٢]. لم يترك شينكييتش بابًا للشكِّ في ولائه غير المشروط لألمانيا الهتلرية[١٨٣]؛ فكتب إلى زميله القديم عالم چان إدريس في برلين: «إننا نؤمن بأن الله سيعين ألمانيا على محو البلشفية وتأسيس نظام جديد في روسيا كلها»؛ لأن هذه هي الفرصة الوحيدة لـ«إخواننا المحمَّديين» في الشرق «لتحرير أنفسهم من القبضة الروسية»[١٨٤]. كان شينكييتش في منتصف أربعينياته وبلا وطن، فنشأت له صِلات قديمة بألمانيا، ودرس بالفعل في برلين، وحاز الرجل أيضًا ثقة الحكومة الپولندية، فعُيِّن مفتيًا لپولندا في فترة ما بين الحربين[١٨٥]؛ إذ أسست الحكومة الپولندية، بعد الحرب العالمية الأولى، دارَ إفتاء في ڤيلنيوس لصالح التتر المسلمين في المنطقة كلها، الذين كانوا قبل ذلك تابعين اسميًّا

(أ) دُنابرغ أو داوغفبيلس هي ثاني أكبر مدينة في لاتفيا. (المترجم)
(ب) ڤندن أو تسيسيز، مقاطعة لاتفية كذلك. (المترجم)



(الشكل ٤-٥): مفتي أوستلاند يعقوب سليمان شينكييتش في مكتبه (NAC).

لدار الإفتاء القَيصرية في القِرم. وبذلك أصبح شينكييتش، في فترة ما بين الحربين، قيِّمًا على سبعة عشر مسجدًا وثلاث قاعات صلاة في پولندا. كان الرجل نشيطًا للغاية وقد نشر كتب أدعية، وإرشادات للأئمة، ونصوصًا حول الشريعة الإسلامية بالعربية والپولندية، وكان متقنًا لعدة لغات من لغات الشرق الأوسط، وزار الحجاز وفلسطين وسورية وتركيا وبلغاريا والبوسنة، واستقبله الملك فؤاد في القاهرة، وخالط زعماء مسلمين، كالحسيني وشكيب أرسلان، ومثَّل جماعته [المسلمة] في جميع المؤتمرات الإسلامية في فترة العشرينيات والثلاثينيات.

كان يعقوب شينكييتش عمًّا ليديج شينكييتش، المعروف بـ يديج قريمال، الذي كان والده لتوانيًا[١٨٦]. ووفقًا لقريمال، تمتَّع شينكييتش بسمعة طيبة للغاية بين تتر القِرم. وفي الواقع، حافظت الأقليات التترية في البلطيق وبيلَّاروسيا وپولندا على علاقات وثيقة بالتتر المسلمين في القِرم؛ ومن ثمَّ، لم يكن مستَغربًا أن تُثار مرةً أخرى

قضية تأسيس دار إفتاء القِرم في عام ١٩٤٢، عندما انتشرت أخبار تأسيس دار إفتاء مفوضية الرايخ في أوستلاند[١٨٧]، حتى أن قائد القوات المسلَّحة في القِرم تشكّى من أن مسألة دار الإفتاء في ڤيلنيوس ونظيرتها في سيمفروپول لم تُحلَّا بالطريقة نفسها،كما انتقد عدم تواصل الإدارتين المدنية والعسكرية مع بعضهما البعض في القضايا السياسية المهمَّة التي تتعلَّق بسياسات وزارة الشرق في أوستلاند[١٨٨]. وفيما يتعلَّق بالصلات بين الجماعتَين [المسلمتَين]، تفكَّر ريتشارد كورنلسن من ناحيته في إجلاء تترم القِرم إلى لتوانيا قائلًا: «يجب أن نفكر في مدى إيجابية إجلاء بعض تتر القِرم إلى أوستلاند (منطقة ڤيلنيوس)»[١٨٩].

وفي الواقع، كان من المرجَّح أيضًا أن دار الإفتاء في أوستلاند ستؤثر على جماعات المسلمين قليلة العدد، التي لم تكن تزيد عن سبعة آلاف نسمة، في پولندا زمن الحرب؛ وذلك لأن المسلمين الپولنديين شكَّلوا دائمًا جماعة واحدة مع مسلمي لتوانيا. وبالفعل، تشير بعض التقارير إلى أن شينكييتش كان أيضًا مفتي المسلمين لدى الحكومة العامة[١٩٠]. وفي وارسو، عيَّن الألمان إمامًا مواليًا لهم من خلفية غير پولندية ولا تترية ليحل محل إمام وارسو خرِّيج الأزهر علي ڤورونوڤيتش (Ali Woronowicz). كان ڤورونوڤيتش في زيارة لشرق پولندا في أثناء الغزو الألماني السوڤييتي، وقد اعتقله الجيش الأحمر ونفاه بعد ذلك. وعلى الرغم من ضعف تمثيل المسلمين في الحكومة العامة، إلَّا أن الألمان كانوا على دراية تامَّة بأهميتهم سياسيًّا. وتابعت برلين بحرص پروپاغندا الحلفاء في الشرق الأوسط التي ذكرت أن قوات المحور تدنس مساجد پولندا، ونقلت أن مسلمي پولندا يُعامَلون معاملةً سيئة؛ لأن القوات الألمانية تعدُّهم كاليهود تمامًا[١٩١].

وقائع الحرب وردود الفعل السوڤييتية

لعل التقارير الدعائية للحلفاء عن مساواة الألمان لمسلمي پولندا باليهود لم تكن مختلَقةً بالكامل؛ فالجنود الألمان لم يكونوا على استعداد للتعامل مع المسلمين في الشرق بعد أن عُبئوا بالأفكار العنصرية، واستثارَتْهم الپروپاغندا التي تزدري شعوب الاتحاد السوڤييتي «الآسيوية» بوصفها كائنات أدنى من البشر؛ ففي الشهور الأولى

من العملية بربروسًا (Barbarossa)[أ]، أعدمت قوات وحدات الحماية العديد من المسلمين على الخطوط الأمامية، وخاصةً من أسرى الحرب، استنادًا إلى فرضية أنهم يهودٌ طالما أنهم مختونون[١٩٢]. وفي صيف عام ١٩٤١، في اجتماع رفيع المستوى للقيادة العليا للقوات المسلَّحة ومكتب أمن وحدات الحماية ووزارة الشرق برئاسة الجنرال هرمان راينيكه (Hermann Reinecke)، اشتبك الكولونيل إرفن فون لاهوزن (Erwin von Lahousen)، ممثل جهاز الاستخبارات العسكرية، والأدميرال ڤيلهلم كانارِس (Wilhelm Canaris) في نقاش حادٍّ مع قائد الغيستابو هاينريش مولر (Heinrich Müller) حول هذه الإعدامات، وكانت القضية المطروحة -بشكل خاص- هي انتقاء مئات المسلمين، من تتر القِرم في الغالب، «عوملوا معاملةً خاصة» بوصفهم يهودًا، وقد اعترف مولر بهدوء أن بعض التجاوزات قد وقعت في هذا الصدد، وزعم أنه علم لأول مرة أن المسلمين أيضًا يُختَنون. وفي الثاني عشر من سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٤١، أرسل راينهارد هايدريش (Reinhard Heydrich) توجيهًا ينبِّه قوات وحدات الحماية أن تكون أكثر حرصًا، وأوضح أن «الختان» و«المظهر اليهودي» لدى المسلمين التُّرك ليس «دليلًا كافيًا على الأصل اليهودي»[١٩٣]، ويجب ألا يُخلَط بين المسلمين واليهود. وقُبيل حملة الصيف في مايو/ أيار من عام ١٩٤٢، أصدرت وزارة الشرق أمرًا يتعلَّق بتحديد «اليهود» في الأقاليم الشرقية المحتلَّة، ويوضِّح أنه يجب ألَّا يُعدَّ الختان علامةً على اليهودية إلَّا في مناطق غرب روسيا[١٩٤]، «ومع ذلك، لن نتمكن من تحديد يهودية الشخص، في تلك المناطق التي يوجد فيها محمَّديون، بناءً على الختان وحده»؛ ففي المناطق الإسلامية، يجب أن تؤخَذ عوامل أخرى في الاعتبار، كالأسماء والأصول والمظهر العِرقي.

رغم ذلك، ظلت فرق الاغتيال الألمانية في أطراف الاتحاد السوڤييتي الجنوبية غير قادرة على التمييز بسهولة بين المسلمين واليهود؛ فعندما شرعت **فرقة قوات المهمات (د)** (Einsatzgruppen)[ب] في قتل يهود القوقاز والقِرم، واجهت موقفًا

(أ) الاسم الذي أطلقه الألمان على عملية غزو الاتحاد السوڤييتي. (المترجم)

(ب) كتائب إعدام شبه عسكرية تابعة لوحدات الحماية الألمانية، تحملت مسئولية العديد من جرائم =

خاصًا فيما يتعلّق بثلاث جماعات يهودية عاشت لفترة طويلة إلى جانب السكان المسلمين: القرّاؤون (Karaites) والقِرمشاقي (Krymchaks) في القِرم، واليهود التات (Judeo-Tats) في شمال القوقاز، والمعروفون أيضًا بـ «يهود الجبل»[١٩٥][أ]؛ ففي القِرم، ارتبك ضباط وحدات الحماية عندما واجهوا القرّائين والقِرمشاقي المتحدِّثين بالتركية. وبعد اجتماع مع أولندورف في سيمفروبول في ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤١، ذكر اثنان من ضباط القوات المسلَّحة، هما: عضو مجلس الحرب الأعلى فريتز دونر (Fritz Donner) والرائد إرنست زايفيرت (Ernst Seifert)، أن «جزءًا كبيرًا من يهود القِرم هم محمَّديون»، في حين أن هناك أيضًا «جماعات عِرقية لا سامية في الشرق الأدنى، وتعتنق -للمفارقة- اليهودية»[١٩٦]. انتابت الألمان حَيرة شديدة في تصنيف القرّائين والقِرمشاقي، الذين كانوا يهودًا على الحقيقة، وفي النهاية، عُدَّ القرّاؤون أتراكًا من الناحية العِرقية وأُطلق سراحهم، وعُدَّ القِرمشاقي يهودًا من الناحية العِرقية وقُتِلوا. ووفقًا لڤالتر غروس، أُطلِق القرّاؤون بسبب علاقتهم الوثيقة بالتتر المسلمين المتحالفين مع الألمان[١٩٧]، بل انضم بضع مئات منهم إلى وحدات المتطوعين من تتر القِرم[١٩٨]. وفي القوقاز، أخذ يهود الجبل قضيتهم إلى لجنة نالتشيك الإقليمية التي أثارت النقاش مع قيادة الجيش، وأبلغ ڤالتر بركامپ، القائد في وحدات الحماية، الذي أصبح ساعتها قائدًا لـ **فرقة المهمات (د)**، برويتيغام أنه زار يهود الجبل في منطقة نالتشيك بنفسه، ووجدهم كرماء للغاية[١٩٩]، ووجد أنه باستثناء دينهم، لا يشتركون مع اليهود في شيء، بل على العكس، لاحظ التأثير الإسلامي عليهم في كونهم يعدِّدون الزوجات، وأمر بألا تُمسَّ هذه الجماعات وأن يُستعمَل تعبير «التات» بدلًا من «يهود الجبل»[٢٠٠].

= القتل الجماعي التي ارتكبتها السُّلطات النازية في حق مدنيِّي الدول المحتلَّة عن طريق إعدامهم رميًا بالرصاص. استهدفت فرق الموت اليهود بصفة أساسية وإن لم تخلُ قائمة ضحاياهم من جماعات أخرى وبعض الأفراد من السياسيين، بما في ذلك الغجر والمفوَّضون السياسيون السوڤييت. (المترجم)

(أ) يهود داغستان. (المترجم)

وكذلك عندما شرع الألمان في التفتيش عن الغجر في الأراضي السوفييتية المحتلَّة، سرعان ما وجدوا العديد من الغجر المسلمين[٢٠١]، وفي الواقع، كانت غالبية غجر القِرم مسلمين[٢٠٢]؛ فقد استوعبهم تتر القِرم لقرون، وتضامنوا معهم في حالِهم تلك تضامنًا رائعًا بوصفهم إخوانهم في الدين؛ إذ أرسلت اللجان الإسلامية، بعد فترة قصيرة من تأسيسها، التماسات للألمان تطلب فيها حماية الغجر المسلمين. وأوضحت مقالة نُشرت عنهم، أعني الغجر المسلمين، في جريدة **القِرم الحرة**، في بتاريخ السابع والعشرين من مارس/ آذار من عام ١٩٤٢، أنهم يميِّزون أنفسهم عن «الغجر» العاديين في «لغتهم وشعائرهم وتصرفاتهم»، وأنهم ينتمون عرقيًّا لـ «قبائل فارسية»[٢٠٣]. وبدعم من التتر، تخفَّى العديد من مسلمي الغجر في هيئة تترية للفرار من التهجير والموت. واستُعمِل الإسلام في ذلك أيضًا. ونجد مثالًا بارزًا في حالة اعتقال بعض الغجر في سيمفروپول في ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤١، عندما حاول المعتقَلون استخدام رموز إسلامية لإقناع الألمان أن اعتقالهم خطأ، فقد كتب أحد شهود العيان في يومياته:

«وصلت جماعة من الغجر على عربات إلى مبنى مدرسة التلمود والتوراة. ولسبب ما كانوا يَرفعون الراية الخضراء؛ رمز الإسلام، وأوقفوا أحد الملالي أمامهم. لقد حاول الغجر إقناع الألمان أنهم ليسوا من الغجر، فادَّعى البعض أنهم تتر والبعض الآخر أنهم تركمان. لكن لم يُعِر أحد شكواهم انتباهًا، ووُضعوا جميعًا في المبنى الكبير»[٢٠٤].

وفي النهاية، قُتل العديد من الغجر المسلمين، ومع ذلك، نجا بعضهم، قرابة الثلاثين في المئة؛ نظرًا لاختلاط الأمر على الألمان بينهم وبين المسلمين التتر. وكالقرَّائين، جُنِّد عددٌ منهم في وحدات الاحتياط التترية الألمانية. وفي أثناء التحقيق معه في محاكمة فرقة المهمَّات، أوضح أولندورف، في إجابته على السؤال المتعلق باضطهاد «الغجر» في القِرم، أن عملية التمييز كانت معقدة؛ نظرًا لأن الغجر وتتر القِرم يعتنقون الدين نفسه: «كانت تلك هي المعضلة؛ ذلك أن بعض الغجر، إن لم يكونوا كلهم، مسلمون؛ ولذلك أولينا [هذا الأمر] عناية كبيرة كي لا تقع مشكلات مع التتر، ومن ثمَّ اعتمدنا في هذه المهمَّة على بعض الخبراء بالأماكن والأشخاص»[٢٠٥].

وسرعان ما تحطَّمت الآمال الأولى التي عقدها مسلمو القوقاز والقِرم في الحصول على معاملة أفضل، شجَّع عليها الألمان؛ إذ أدرك الكثير منهم تدريجيًا أن الألمان غزاة يستعملونهم كأدوات في سبيل تنفيذ مخطَّطاتهم الخاصة. وعلى الرغم من جهود الألمان في منح الامتيازات الدينية وتشكيل المشاهد الساحرة لجذب مسلمي القوقاز والقِرم، إلَّا أن وقائع الحرب العنيفة وسَمت الحياة اليومية بمَيسمها في الأغلب الأعم؛ فمن البداية، لم تُبدِ القوات الرومانية الاحترام الكافي للإسلام. وقد كتب الضباط الألمان لمراكز قيادة فرقة الجيش (أ)، من الجبهة القوقازية، عن «الآثار غير المرغوب فيها لسلوك الحلفاء الرومان» تجاه المسلمين[٢٠٦]. وفي برلين، كتب القائد العام إدوارد ڤاغنر (Eduard Wagner)، في مذكراته عن اجتماع عقده مع هتلر، أنه خاض «أفظع تجربة ممكنة» مع الجنود الرومان في القوقاز، ونقل عن عمليات «النهب والاعتداء» التي قد تسبِّب «أقوى ردود الفعل» لدى المسلمين خاصةً[٢٠٧]. وفي القِرم، فضَّلت السُّلطات الرومانية السكان الأرثوذكس على المسلمين في المناطق الخاضعة لسيطرتها، بل إن القساوسة الميدانيين الرومان الذين حضروا مع قوات الاحتلال الرومانية، سعَوا بنشاط إلى التأثير في الحياة الدينية في القِرم[٢٠٨]؛ لكن لقلقهم على سياستهم الخاصة، تدخل الضباط الألمان في النهاية وأوقفوا أنشطة قساوسة حليفهم.

لكن مع استمرار الاحتلال، خفتت حماسة الضباط الألمان للمسلمين في القِرم[٢٠٩]، وقُرب نهاية الحرب، تصاعد قلقهم تدريجيًا من اختراق الپارتيزان لمواطن التتر، وردُّوا عليها بكل عنف. فوفقًا لقريمال، قصف سلاح الجو الألماني، في الفترة ما بين ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤٣ ويناير/ كانون الثاني من عام ١٩٤٤، أكثر من مئة قرية جبلية في جنوبِ القِرم ووسطها[٢١٠]. وفي أوائل عام ١٩٤٤، سوَّى الألمان بالأرض القرى التترية أرجين (Argin) وباكسان (Baksan) وقازال (Kazal)، وفشا السَّلب والاعتداءات الجسدية والتمييز في المناطق الإسلامية. ولم يكن الوضع في القوقاز أفضل حالًا[٢١١]؛ إذ لم يكن خط إمدادات الجيش مستقرًّا، وكثيرًا ما كان الجنود الألمان يعصون الأوامر فيما يتعلَّق بالحصول على

الطعام والأجور؛ ففي دور التمريض والمستشفيات ودور الأيتام والحمامات، بما فيها دور كيسلوڤودسك، كان المرضى وأصحاب الإعاقات يُقتَلون ويُعتدى عليهم لأجل توفير أنصبتهم من الطعام. ولشدة ارتيابهم من أنشطة الپارتيزان، قتلت القوات الألمانية مئات (أو آلاف وفقًا لبعض التقديرات) المدنيين في فترة الاحتلال القصيرة[٢١٢]. وكان التدمير في شمال القوقاز شاملًا، وفي خطاب أرسله جندي ألماني لوالديه، في أثناء الانسحاب من القوقاز، قال: «إن قيمة ما دُمِّر هنا لا تُعقل ... لا يصدِّقه إلَّا من رآه وأبصره بأمِّ عينه»[٢١٣].

وكان رد الفعل السوڤييتي على حملة ألمانيا الإسلامية في الشرق مزدوجًا؛ فمن ناحية، حدث تحولٌ في سياسة الكرملين تجاه الإسلام، وهو ما انعكس في عددٍ من الامتيازات والپروپاغندا الدينية التي خاطبت مشاعر المسلمين السوڤييت[٢١٤]. فعلى أية حال، قاتل عشرات الآلاف من المسلمين ضمن صفوف الجيش الأحمر، وكان الكثير منهم في القِرم والقوقاز[٢١٥]. وفور وقوع الغزو الألماني، دعا عبد الرحمن رسولوف (Abdurrahman Rasulaev)، الذي عيَّنه الكرملين مفتيًا لأوفا، مسلمي الاتحاد السوڤييتي أن «يهبُّوا للدفاع عن وطنهم، وأن يبتهلوا في المساجد؛ نصرة للجيش الأحمر، وأن يمنحوا أبناءهم مباركَتهم ليقاتلوا في سبيل القضية العادلة»[٢١٦]، وحذَّر من أن هتلر جاء لـ «القضاء على الدين الإسلامي». وبعد أسابيع، أعلن رسولوف أن «الجماهير الإسلامية هبَّت» لقتال الغزاة الألمان[٢١٧]، وحذَّر كذلك من أن «الحضارة الإسلامية القائمة في العالم كله اليوم تتهدَّدها العصابات الفاشيَّة الألمانية بالتدمير، إلَّا إن واجهها مسلمو العالم وحاربوها»، وحثَّ المسلمين السوڤييت، في سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٤١، على «الدفاع عن وطننا باسم الدين»[٢١٨] «تضرعوا إلى الله، في المساجد وفي صلواتكم الفردية، لكي ينصر الجيش الأحمرعلى عدوِّه». كان رسولوف، نجل إحدى الشخصيات الإسلامية البارزة والمنحدر من عائلة باشكيرية شهيرة، في الستينيات من عمره، عندما أصبح الدعائي الأهم لدى ستالين في المناطق الإسلامية في الاتحاد السوڤييتي وخارجه، وفي الخامس عشر من مايو/ أيار من عام ١٩٤٢، ترسَّخت سُلطته بوصفه رأس

المسلمين السوڤييت جميعًا في مؤتمر إسلامي سوڤييتي جامع في أوفا. وقد استغل الوجهاء المسلمون المؤتمر لاستعراض الفظائع التي ارتكبها الألمان في حق مسلمي القِرم، واتُّهم الألمان بأنهم «دمروا المساجد، وطمسوا الرموز المقدسة، وحظروا صلاة الجماعة، وانتهكوا جميع الأعراف القومية والدينية بكل طريقة ممكنة»(٢١٩). وتدريجيًّا، أسَّست موسكو إدارةً دينية شاملة لرعاياها المسلمين، تمركزت حول ما سُمِّي الإدارات الروحية، وكانت أولى هذه الإدارات: الإدارة المركزية في أوفا برئاسة رسولوف. وفي أكتوبر/ تشرين الأول من عام ١٩٤٣، تأسست إدارة روحية في مؤتمر إسلامي في طشقند لصالح مسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان، برئاسة المفتي الأوزبكي المبجَّل ذي الاثنين والثمانين عامًا إيشون بابا خان (Ishan Babakhan)(٢٢٠). وفي العام التالي، أسس الكرملين إدارةً روحية أخرى لصالح السنَّة في شمال القوقاز في مدينة بويناكسك (Buynaksk) برئاسة المفتي خِضري غيبيكوف (Khizri Gebekov)، وأخرى للشيعة في أذربيجان برئاسة شيخ الإسلام آخوند أغا علي زاده (Akhund Agha Alizade) في باكو. انتخب الوجهاء الشيعة علي زاده، الذي درس الفقه الشيعي في كربلاء والنجف في تسعينيات القرن التاسع عشر، في مؤتمر انعقد في باكو في مايو/ أيار من عام ١٩٤٤، وأرسلوا رسالة تأييد لستالين خاطبوه فيها بوصفه «رأس الحكومة السوڤييتية الحكيم والمرسَل من الله»(٢٢١)، وادَّعوا أن «الله سيُنير بإذنه طريق النصر لمحاربينا، وسيُعينهم على كنس الوسَخ الفاشيِّ من الأرض كلها للأبد!». ومن المثير للسخرية أن رسولوف وغيبيكوف وبابا خان وعلي زاده جميعهم قد تعرضوا للاعتقال أو النفي أو كليهما قبل أن يقرر ستالين توظيفهم لحساب مجهوده الحربي. ولحاجتهم إلى تعبئة عسكرية كاملة؛ خاطب الدعائيون السوڤييت المشاعر الدينية لدى المسلمين، ودعوا لجهاد الغزاة الألمان. ومُدِح ستالين بوصفه نصير الإسلام، ونُدِّد بالألمان بوصفهم ألدَّ أعداء المسلمين ودينهم. ووزَّعت إدارة رسولوف في أوفا كُتيِّبات بالأوزبكية والطاجيكية والفارسية تحضُّ المؤمنين، مستشهدةً بنصوصٍ قرآنية، أن «اقتلوهم [أي العدو] حيث ثقفتموهم»(٢٢٢). وفي الحادي والثلاثين من أكتوبر/ تشرين الأول من عام ١٩٤٢، عندما وصل النزاع في القوقاز إلى ذروته، طُبعت الصفحة الثانية من

جريدة **البرافدا** (*Pravda*) بالتركية وفي مقابلها ترجمتها بالروسية، وأعلنت: «أنقذوا الشعوب المسلمة في القِرم والقوقاز. الألمان يحرقون قراهم المسالمة وينهبونها»(٢٢٣). وفي النهاية ستعتمد البروباغندا الروسية على ذكريات جهاد الإمام شامل. فأعلنت الجرائد السوڤييتية أن مسلمي داغستان تبرعوا بخمسة وعشرين مليون روبل لتجهيز رتل مدرعات باسم «شامل»(٢٢٤). وأوجب على الأئمة في المساجد التي أُعيد فتحها أن يستهلُّوا خطبَهم بنص ثابت: «لقد أنعم الله على السوڤييت بالسُّلطة، ومن حادَّهم فإنما يحادِدُ الله ورسوله [ﷺ]»(٢٢٥).

لكن سياسة الكرملين تجاه المسلمين كان لها جانبٌ آخر أشدُّ قسوة؛ فقد ردَّ ستالين بوحشية على ما رآه تعاونًا علنيًّا من جانب مسلمي القِرم والقوقاز مع العدو؛ ففي أثناء الحرب، لم تتوقف البروباغندا السوڤييتية عند تصوير تتر القِرم على أنهم مضلَّلون من جانب خونة، عارضة عليهم عفوًا شاملًا إن هم بدَّلوا مواقفهم، بل دعتهم كذلك إلى قتال المتعاونين المسلمين [أي مع النازيين](٢٢٦). وفي الأسابيع الأخيرة من الاحتلال الألماني للأقاليم الإسلامية الشرقية، ساد القلق، وقرر العديد من مسلمي القِرم والقوقاز الفرار مع الألمان، فتبع انسحاب الألمان عملية نزوح جماعي للقوقازيين الشماليين، ونقل مكتب الخدمات الإستراتيجية أن عشرات الآلاف هجَروا القوقاز مع الألمان(٢٢٧). وقارنت **جريدة الحزب النازي**، في وصفها لـ«الأرتال اللامتناهية التي كانت تتحرك ناحية الغرب»، بين هذا الوضع وبين ما حدث من تهجير مخطَّط للسكان في **غزوات** القرن التاسع عشر(٢٢٨). وفي القِرم، حاول زعماء التتر إقناع السُّلطات الألمانية بإجلاء أبرز المتعاونين المسلمين على الأقل(٢٢٩)، بل طلبوا مساعدة الحسيني في برلين؛ فناشدوا الفلسطيني بصفته «الزعيم الديني للعالم المحمَّدي الذي يسير جنبًا إلى جنب مع ألمانيا»، وحذَّروا من أن خطر إبادة مسلمي القِرم يلوح في الأفق(٢٣٠)، لكن المفتي عديم الحيلة لم يكن في موقف يسمح له بتقديم المساعدة؛ فقد كان الألمان مهمومون بسحب قواتهم فحسب، وفي النهاية، لم يستطع مغادرة شبه الجزيرة برًّا أو بحرًا إلَّا عددٌ قليل من المسلمين، منهم الكثير من أعضاء لجنة سيمفروبول الإسلامية، وأبرزهم رئيسها السابق رجب قره

جريدة **البرافدا** (*Pravda*) بالتركية وفي مقابلها ترجمتها بالروسية، وأعلنت: «أنقذوا الشعوب المسلمة في القِرم والقوقاز. الألمان يحرقون قراهم المسالمة وينهبونها»[٢٢٣]. وفي النهاية ستعتمد البروباغندا الروسية على ذكريات جهاد الإمام شامل. فأعلنت الجرائد السوڤييتية أن مسلمي داغستان تبرعوا بخمسة وعشرين مليون روبل لتجهيز رتل مدرعات باسم «شامل»[٢٢٤]. وأوجب على الأئمة في المساجد التي أُعيد فتحها أن يستهلُّوا خطبَهم بنص ثابت: «لقد أنعم الله على السوڤييت بالسُّلطة، ومن حادَّهم فإنما يحادِدُ الله ورسوله [ﷺ]»[٢٢٥].

لكن سياسة الكرملين تجاه المسلمين كان لها جانبٌ آخر أشدُّ قسوة؛ فقد ردَّ ستالين بوحشية على ما رآه تعاونًا علنيًّا من جانب مسلمي القِرم والقوقاز مع العدو؛ ففي أثناء الحرب، لم تتوقف البروباغندا السوڤييتية عند تصوير تتر القِرم على أنهم مضلَّلون من جانب خونة، عارضة عليهم عفوًا شاملًا إن هم بدَّلوا مواقفهم، بل دعتهم كذلك إلى قتال المتعاونين المسلمين [أي مع النازيين][٢٢٦]. وفي الأسابيع الأخيرة من الاحتلال الألماني للأقاليم الإسلامية الشرقية، ساد القلق، وقرر العديد من مسلمي القِرم والقوقاز الفرار مع الألمان، فتبع انسحاب الألمان عملية نزوح جماعي للقوقازيين الشماليين، ونقل مكتب الخدمات الإستراتيجية أن عشرات الآلاف هجَروا القوقاز مع الألمان[٢٢٧]. وقارنت **جريدة الحزب النازي**، في وصفها لـ «الأرتال اللامتناهية التي كانت تتحرك ناحية الغرب»، بين هذا الوضع وبين ما حدث من تهجير مخطَّط للسكان في **غزوات** القرن التاسع عشر[٢٢٨]. وفي القِرم، حاول زعماء التتر إقناع السُّلطات الألمانية بإجلاء أبرز المتعاونين المسلمين على الأقل[٢٢٩]، بل طلبوا مساعدة الحسيني في برلين؛ فناشدوا الفلسطيني بصفته «الزعيم الديني للعالم المحمَّدي الذي يسير جنبًا إلى جنب مع ألمانيا»، وحذَّروا من أن خطر إبادة مسلمي القِرم يلوح في الأفق[٢٣٠]، لكن المفتي عديم الحيلة لم يكن في موقف يسمح له بتقديم المساعدة؛ فقد كان الألمان مهمومون بسحب قواتهم فحسب، وفي النهاية، لم يستطع مغادرة شبه الجزيرة برًّا أو بحرًا إلَّا عددٌ قليل من المسلمين، منهم الكثير من أعضاء لجنة سيمفروبول الإسلامية، وأبرزهم رئيسها السابق رجب قره

سعيدوف، ورئيس مجلسها الديني عالِمسيت جميلوف[٢٣١]. وطلب مسلمو القِرم، الذين انتهى بهم المطاف في ألمانيا، بمساعدة الحسيني، أن يُجمعوا معًا في مكان واحد؛ كي يتمكنوا من العَيش معًا وتربية أبنائهم تربيةً إسلامية[٢٣٢].

وبعد الانسحاب الألماني من القوقاز والقِرم، أجلى ستالين من عدَّهم خونةً من المسلمين (مع جرمان الڤولغا المسيحيين والقلميق (Kalmyks) البوذيين)[٢٣٣]؛ ففي السابع عشر والثامن عشر من مايو/ أيار من عام ١٩٤٤، هُجِّر تترِ القِرم المسلمون جميعهم كَرهًا إلى آسيا الوسطى وكازاخستان. وبعد الغزو السوڤييتي للقِرم في إبريل/ نيسان، أنزَل رجال المفوضية الشعبية للشئون الداخلية عقوبة الإعدام بالعديد ممن أدينوا بالخيانة من مسلمي القِرم، وصُفَّت الشوارع في الأحياء الإسلامية في سيمفروبول بالجثث المعلَّقة على أعمدة الهواتف والأشجار. وفي القوقاز، اتَّهمت السُّلطات السوڤييتية القراتشيين والبلقار والشيشان والإنغوش بالخيانة العظمى؛ ففي حالة البلقار، عُدَّ الاحتفال بعيد الأضحى دليلًا على تهمة الخيانة[٢٣٤]. وفي نوفمبر/ تشرين الثاني من عام ١٩٤٣، هُجِّر القراتشيون بكاملهم إلى آسيا الوسطى وكازاخستان. وفي أوائل مارس/ آذار من عام ١٩٤٤، أُجلي البلقار إلى كازاخستان وقرغيزستان. وعلى الرغم من أن الألمان لم يسيطروا قطُّ بالكامل على إقليم الشيشان-إنغوشتيا، إلَّا أن الانتفاضات المتفرقة ضد السوڤييت في المنطقة أثارت غضب الكرملين، فأُجلي الشيشانيون والإنغوش في أواخر فبراير/ شباط من عام ١٩٤٤. وفيما كانوا يودِّعون أوطانهم، همس بعضهم: «لا إله إلا الله»[٢٣٥].

الفصل الخامس
الإسلام ومعركة البلقان

فوجئ الألمان، في أثناء تقدُّمهم نحو مملكة يوغوسلاڤيا في ربيع عام ١٩٤١، بحفاوة الاستقبال الذي تلقَّوه من جانب قسم كبير من السكان المسلمين. فقد روى أنطون بوسّي فيدريوتّي (Anton Bossi Fedrigotti)، ضابط الاتصال بوزارة الخارجية في الجيش الثاني الغازي، بقيادة ماكسميليان فون ڤايس (Maximilian von Weich)، أن الجنود صُعِقوا من تحية المسلمين لهم بابتهاج، رغم أنه أبان سريعًا أن ردَّ الفعل هذا كان «طبيعيًّا»؛ لأن المسلمين كانوا دومًا ألدَّ أعداء الصِّرب الأرثوذكس المسيطرين على البلاد[١]. وأشار فيدريوتّي إلى أن الزعماء المسلمين في سراييڤو أمروا أتباعهم بتزيين الشوارع بالرايات؛ تعبيرًا عن ابتهاجهم بالغزو الألماني[٢]. وفي اليوم التالي على الاحتلال، صفَّق حشدٌ من المسلمين في أثناء تمزيق الألمان للَّوحة التي تُحيي ذكرى اغتيال الأرشيدوق فرانز فرديناند (Franz Ferdinand)[أ]، وشاركوا بعدها في عرض عسكري ألماني على ضفاف نهر ميلاتسكا (Miljacka). وكتب فيدريوتّي أن «المزاج العام للمسلمين في هذا اليوم أثبت أن هناك افتتانًا عظيمًا بالفوهرر حتى خارج ألمانيا». وبعد أيام، وبمناسبة ذكرى ميلاد هتلر، أقام الزعماء المسلمون مسيرات حاشدة واحتفالات في المساجد، دُعيت إليها السُّلطات العسكرية الألمانية[٣]. على أنه من المؤكد أن التقارير الألمانية عن حماسة المسلمين يجب أن تُقرأ بحذر، فالألمان لم يكن بمقدورهم تدوين إلَّا ما رأوه أمام أعينهم،

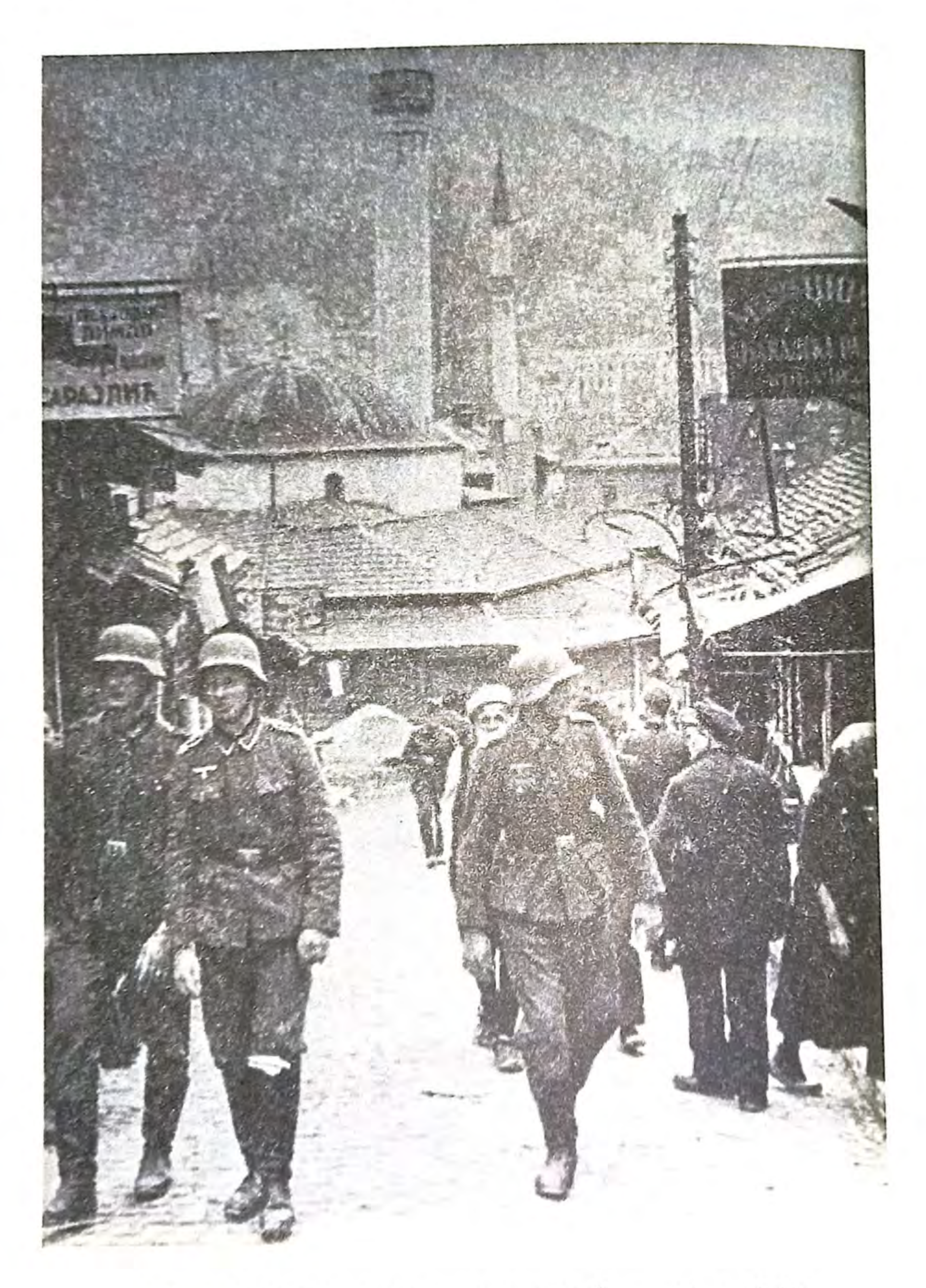
(أ) ولي عهد الإمبراطورية النمساوية – المجرية الذي أدى اغتياله في صربيا عام ١٩١٤ إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى. (المترجم)



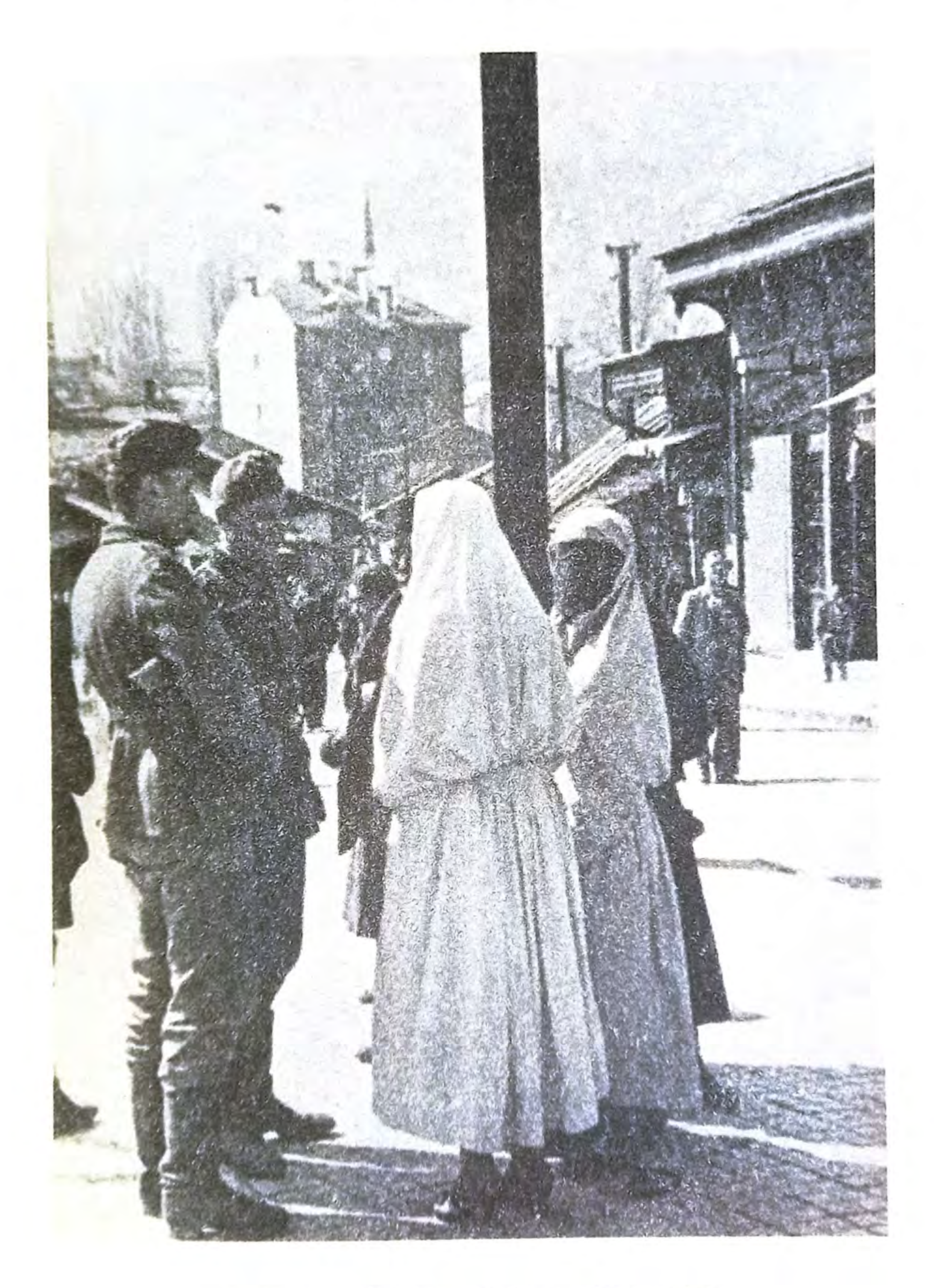
(الشكل ٥-١): جنود ألمان ومسلمون في سراييڤو بعد سقوط يوغوسلاڤيا في عام ١٩٤١ (محفوظات المتحف التاريخي في البوسنة والهرسك، سراييڤو).

ومن كان من المسلمين رافضًا لعدوان المحور؛ إما بقي صامتًا أو عبَّر عن ذلك سرًّا. لكن على الرغم من أنه يصعب التعميم فيما يتعلَّق بتوجهات المسلمين إزاء الغزو، إلَّا أن أكثرهم لم يكن يوالي المملكة المنهارة ولاءً راسخًا (الأشكال ٥-١، ٥-٢، ٥-٣).

لقد تمتَّع مسلمو المنطقة -في غالب تاريخهم- بحقوق خاصة، وبدرجة معينة من الاستقلالية في شئونهم ومنظماتهم الدينية، تحت حكم العثمانيين في البداية، ثم حكم ملَكية الهابسبورغ منذ عام ١٨٧٨، ثم في مملكة اليوغوسلاڤ بعد عام ١٩١٨، لكن الحكم اليوغوسلاڤي سرعان ما أثبت أنه أقل تسامحًا من الإمبراطوريات السابقة عليه[٤]. وعلى الرغم من أن المسلمين تحت قيادة محمَّد سپاهو (Mehmed Spaho)،



(الشكل ٥-٢): جنود ألمان في شوارع سراييڤو في عام ١٩٤١ (Ullstein).

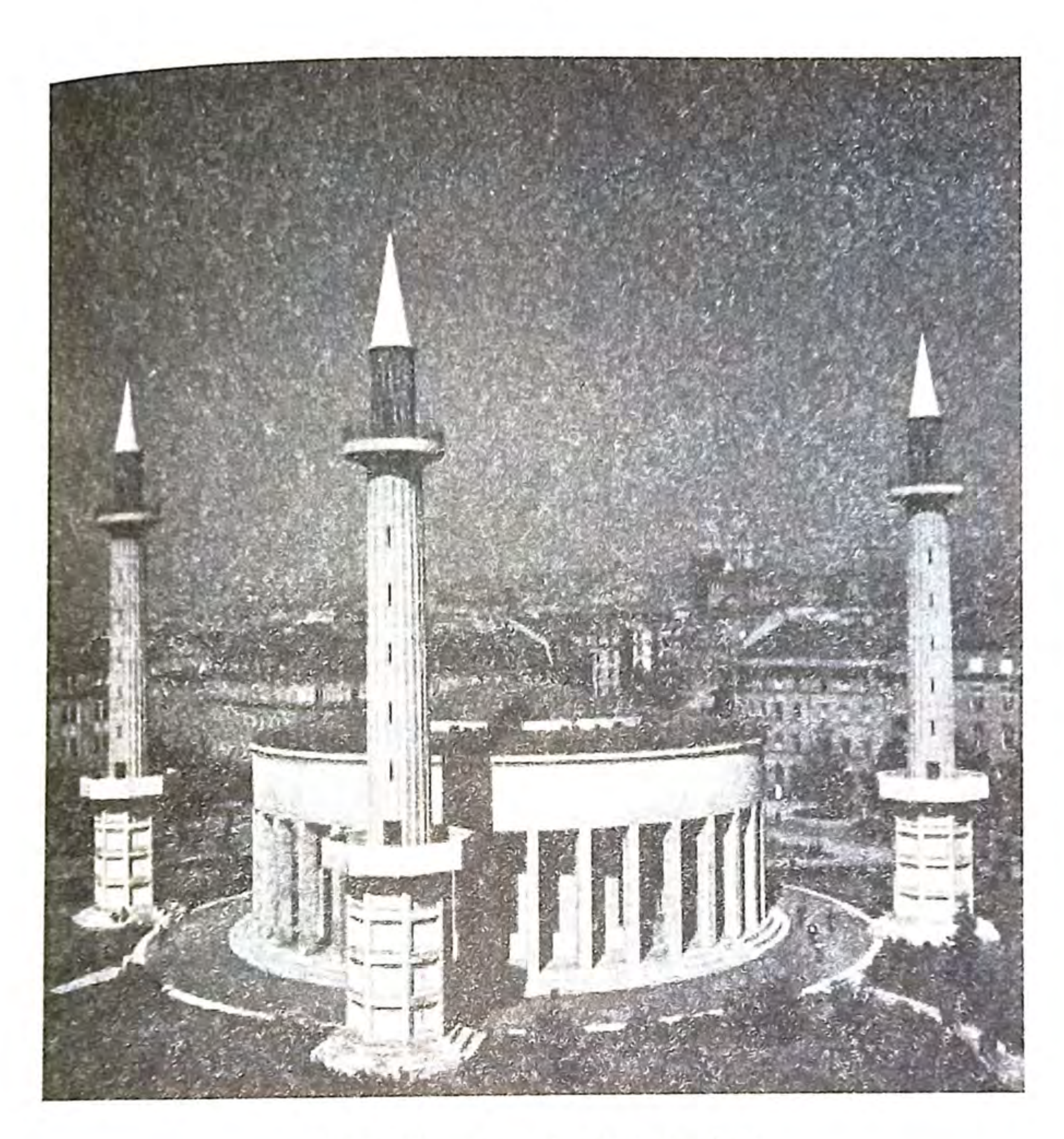


(الشكل ٥-٣): جنود ألمان يتحدثون إلى نسوة مسلمات في سراييفو في عام ١٩٤١ (Ullstein).

زعيم **المنظمة الإسلامية اليوغوسلافية** (*Jugoslovenska Muslimanska Organizacija*) القوية، حصلوا على جانب كبير من استقلالهم الديني في فترة ما بين الحربين، لكن الأكثرية ساورها شعورٌ بالقمع في ظلِّ الهيمنة الصِّربية الأرثوذكسية (كما شعر بذلك العديد من الكروات الكاثوليك)، ورحَّبوا بسقوط يوغوسلافيا في عام ١٩٤١.

بادئ ذي بدء، لم تحاول السُّلطات الألمانية التفاعل مع مسلمي البلقان إلا قليلًا[٥]؛ فلم يكن هتلر -في واقع الأمر- يعتزم التوغل في الأراضي الإسلامية حين عمِل على تفكيك مملكة يوغوسلافيا في ربيع عام ١٩٤١. وعندما احتلت القوات الألمانية صربيا، وقعت الأراضي الإسلامية في الجبل الأسود، ومعها سنچق نوڤي پازار (Novi Pazar)، تحت إدارة الطليان، ووقعت مقدونيا تحت إدارة البلغار، والأهم من ذلك هو دولة الأوستاشا (Ustaša) الكرواتية المنشأة حديثًا في البوسنة والهرسك، والتي حكمت غالبية مسلمي مملكة يوغوسلافيا السابقة؛ فكان تصاعد وتيرة الحرب، في أواخر عام ١٩٤٢، هو ما قاد إلى التورط السياسي الألماني مع مسلمي المنطقة.

وسرعان ما أبدى نظام الأوستاشا، بما يحمله من رؤية فاشية لكرواتيا بوصفها دولة كاثوليكية، عدمَ احترامه لرعاياه المسلمين. لكن مع قتله لليهود واضطهاده للصرب الأرثوذكس، حاول آنتي پاڤيليتش (Ante Pavelić)، رئيس دولة كرواتيا المستقلة، تسوية أوضاع السكان المسلمين، ولو رسميًّا على الأقل؛ فجعل الإسلام دين الدولة الثاني، وأعلن مسئولو الأوستاشا أن المسلمين هم «زهرة الكروات»[٦]. وكذلك استعمل النظام عددًا من الزعماء المسلمين، ربما كان أبرزهم مفتي زغرب عصمت المفتي (Ismet Muftić)، الذي أصبح داعية نشطًا لدولة الأوستاشا، وتمكَّن -رسميًّا على الأقل- من الإبقاء على المحاكم الشرعية والمدارس الإسلامية وأملاك **الوقف**. وافتتحت الحكومة في قلب زغرب **الجامع الكبير** (*Poglavnikova Džamija*) (الشكلان ٥-٤، ٥-٥)، لكن سرعان ما ألفى المسلمون أنفسهم في أتون حرب أهلية شرسة.



(الشكل ٥-٤): الجامع الكبير؛ كان قبل ذلك
المركز الفني لإيڤان ميشتروڤيتش (Ivan Meštrović) في زغرب، ١٩٤٤
(محفوظات المتحف التاريخي الكراوتي، زغرب).

غرقت البلقان، منذ أوائل عام ١٩٤٢، في نزاع عنيف بين النظام الكرواتي، والپارتيزان الشيوعي، وجماعة التشيتنيك (Četniks) الصِّرب الأرثوذكس[٧]، وقد اشتبك الپارتيزان، بقيادة الجندي الهابسبورغي السابق والثوري البلشفي يوسيپ بروز (Josip Broz)، الشهير بـ تيتو (Tito)، مع قوات الأوستاشا والتشيتنيك، وأعلنت جماعة



(الشكل ٥-٥): علي أغانوڤيتش، وآنتي باڤيليتش، وعصمت المفتي، وزيغفريد كاشه في افتتاح مسجد زغرب في عام ١٩٤٤ (محفوظات المتحف التاريخي الكراوتي، زغرب).

التشيتنيك، التي كانت تقاتل بقيادة دراغوليوب ميهايلوڤيتش (Dragoljub Mihailović) الشهير بـ «دراچا» (Draža) لاستعادة الملَكية وصربيا الكبرى، الحربَ على قوات الأوستاشا والقرى الكاثوليكية وپارتيزان تيتو. وقد تعرَّض المسلمون مرارًا لهجمات الأطراف الثلاثة؛ إذ وظَّفت سُلطات الأوستاشا المسلمين في وحدات عسكرية لمواجهة پارتيزان تيتو وميليشيات التشيتنيك، وللسيطرة على مناطق الصِّرب الأرثوذكس، فأضحت قرى المسلمين عُرضة لهجمات انتقامية من الطرفين. وكان انتقام التشيتنيك من المسلمين أشدَّ وطأة في الشرق وجنوب البوسنة وأجزاء من الهرسك؛ إذ افتقرت سُلطة الأوستاشا إلى الاستقرار؛ فأحرق ميهايلوڤيتش قرىً كاملة، وأصبح رجاله مرهوبي الجانب؛ جرَّاء قتلهم للمسلمين ذبحًا، وقد وصلت تقديرات الضحايا من المسلمين إلى عشرات الآلاف. وعلى الرغم من كلمات پاڤيليتش الدافئة تجاه الإسلام، فإن سُلطات الأوستاشا لم تقُم إجمالًا بما يحول دون وقوع هذه المجازر، بل الأسوأ من ذلك أنه في المناطق التي عقد فيها الزعماء المسلمون اتفاقات لوقف إطلاق النار مع التشيتنيك وقادة الپارتيزان، كانت وحدات الأوستاشا الكاثوليكية تردُّ بقمع المسلمين. وقد تناولت التقارير العسكرية الألمانية الاضطراب المتصاعد بين المسلمين والدولة الكرواتية[٨]. وتدريجيًّا، تكاثفت مطالبات زعماء المسلمين في البوسنة والهرسك بالاستقلال. وفي المجمَل، أخفقت محاولات تشكيل فصائل مسلحة إسلامية للدفاع عن النفس. وفي إجراء أخير، اتجه بعض كبار ممثِّلي المسلمين إلى الألمان، فطالبوا في مذكِّرة موجَّهة إلى هتلر، في الأول من نوفمبر/ تشرين الثاني من عام ١٩٤٢، باستقلال المسلمين في محمية ألمانية في البوسنة والهرسك[٩]، واحتجَّت المذكِّرة على الكنيسة الكاثوليكية، والتشيتنيك الأرثوذكس، والپارتيزان الشيوعيين، ورثَت لمأساة المسلمين، وأعربت عن «حبهم وولائهم» لهتلر[١٠]. وبشكل لافت، حاول المسلمون توظيف إشارات الوحدة الإسلامية لتعزيز موقفهم، فشدَّدوا على أن مسلمي البوسنة جزءٌ لا يتجزأ من «الثلاثمئة مليون مسلم» في العالم، وأنهم على أتمِّ استعداد لمساندة المحور ضد «اليهودية والماسونية والبلشفية والمستغلِّين الإنكليز»، وأشاروا كذلك إلى «الشعوب الإسلامية المقهورة الأخرى» التي سعَت زعاماتها إلى طلب الحماية من النظام الألماني[١١].

واجهت الألمان معضلة؛ فقد اعترفت برلين بدولة الأوستاشا وحكمها للأراضي الإسلامية في البوسنة والهرسك، ولم يرسل هتلر إلى زغرب سوى ممثلين دپلوماسيين وعسكريين فحسب، كان أبرزهم النازي النمساوي المخضرم، الجنرال إدموند غليز فون هورستناو بوصفه ممثل القوات المسلَّحة في كرواتيا، والقائد الأعلى في كتائب العاصفة (*SA- Obergruppenführer*) زيغفريد كاشه (Seigfried Kasche) بوصفه مبعوث ألمانيا إلى زغرب. لم يكن كاشه متعاطفًا مع المسلمين، وسيظل داعمًا لنظام الأوستاشا إلى النهاية، وعلى الرغم من قناعته بالأهمية السياسية للإسلام وتحذيره المستمر -في الواقع- من الآثار العالمية للسياسة الألمانية نحو مسلمي جنوب شرق أوروبا، أو ما سمَّاه مرةً «صداها في العالم الإسلامي»؛ كان كاشه على وعي تامٍّ بأن نفوذه السياسي بوصفه مبعوث ألمانيا إلى كرواتيا مرتبطٌ باستقرار نظام الأوستاشا[١٢].

لكن على الأرض، كان الوضع يتغير[١٣]؛ فمنذ خريف عام ١٩٤٢، ومع خروج أجزاء من الدولة الكرواتية عن السيطرة، وبالأخص البوسنة والهرسك، تورطت القوات الألمانية، أكثر فأكثر، في الأراضي الإسلامية، وأُدرجت جميع مناطق العمليات تحت القيادة العسكرية الألمانية، وهو ما أرغم پاڤيليتش على التنازل عن السيادة الواقعية على بعض أجزاء كرواتيا. وفي أواخر عام ١٩٤٢، اضطر هورستناو إلى تقاسم السُّلطة مع الجنرال ردولف لوترس (Rudolf Lüters) الذي أصبح قائد القوات الألمانية في كرواتيا. وفي أوائل عام ١٩٤٣، شُنَّ هجومٌ واسع على جميع الأطراف المتمردة في وسط كرواتيا والبوسنة والهرسك، ثم سرعان ما اشتركت وحدات الحماية؛ ففي أواخر مارس/ آذار من عام ١٩٤٣، أرسل هملر ضابط وحدات الحماية برتبة قائد لواء (*SS- Brigadeführer*) قسطنطين كامرهوفر (Konstantin Kammerhofer)، إلى زغرب ليكون مفوَّض وحدات الحماية الرسمي في المنطقة. لم يكن كامرهوفر يُكِنُّ احترامًا كبيرًا لا لسُلطات الأوستاشا ولا لكاشه، وسرعان ما وضع أجزاءً من شمال كرواتيا تحت سُلطة وحدات الحماية متجاهلًا جميع الشكاوى، ولم تقاوم القوات المسلَّحة الأمر لقناعتها بأن وحدات الحماية

ستكون أكثر فاعلية من قوات أمن الأوستاشا المرتعشة، و تدريجيًا هُمِّش كاشه وعُزِل. وبنهاية عام ١٩٤٣، كانت وحدات الحماية قد زادت من نفوذها بقوة، وأصبحت، في الفترة ما بين ربيع عام ١٩٤٤ وخريفه، تحكم المناطقَ الإسلامية الواقعة بين أنهار ساڤا (Sava) ودرينا (Drina) وسپريتشا (Spreča) وبوسنا (Bosna).

وقد رأت القوات المسلَّحة، والأهم من ذلك وحدات الحماية، أن التحالف مع المسلمين تحالفٌ مفيد؛ نظرًا لاستخفافهما بسُلطة الأوستاشا، على عكس كاشه. فأشارت التقارير والمذكرات الداخلية مرارًا إلى ما زُعم أنه توجُّه داعم لدى مسلمي البلقان وإلى أثرهم على العالم الإسلامي الأوسع. فكتب ردولف لوترس في أحد التقارير في ربيع عام ١٩٤٣ أن الطابع الوحدوي الإسلامي الذي يجمع المسلمين هو ما يثير غضب التشيتنيك: «يبدو أن السلوك المعرَّف دينيًّا والمتجاوز للقوميات، هو ما يُغضب الصِّربي لما يُهيمن عليه من كبرياء قومي»[١٤]. وقد شدَّد أحد قادة القوات المسلَّحة، في توجيهاته إلى الجنود الألمان المقاتلين في البوسنة والهرسك، لا على التوجه الداعم للألمان لدى المسلمين فحسب، بل على أن «التسعمئة وخمسين ألف مسلم» في البوسنة والهرسك «يعلمون جيدًا أنهم يمثِّلون قرابة النصف مليار محمَّدي أمام الرايخ الألماني العظيم، وأمام المحور»[١٥]؛ ومن ثَمَّ سيكون للدعم الألماني للسكان المسلمين أثرٌ دعائي على «البلدان المحمَّدية الأخرى». كانت هذه الرؤى شائعة بين ضباط استخبارات وحدات الحماية وضباط ميدانيين آخرين[١٦]، وكان هناك من الأسباب ما دفع القوات المسلَّحة ووحدات الحماية للتعاون مع المسلمين، عند محاولة إحلال السلام في المنطقة منذ أوائل عام ١٩٤٣ فصاعدًا، ومن بينها فكرة الموقف المؤيِّد للألمان لدى المسلمين، وكذلك اعتبار أهميتهم في العالم الإسلامي الأوسع.

وسرعان ما وسَّعت القوات المسلَّحة ووحدات الحماية، في أثناء مباشَرة الجيش الألماني لعملياته في البلقان، من نطاق هذه السياسة لتشمل مناطق يحتلها الإيطاليون؛ ففي أوائل عام ١٩٤٣، تدخلت القوات الألمانية في إقليم السنجق، ذلك الحزام الجبلي الإسلامي الواقع بين الجبل الأسود وصربيا، والخاضع رسميًّا للإيطاليين

الذين غضُّوا الطرف عن مجازر التشيتنيك في حق السكان المسلمين، مع تصاعد وتيرة الحرب الأهلية، وقد أمرت قيادة الجيش الألماني جنودها فورًا بالتعامل مع المسلمين بوصفهم حلفاء، مع تشجيعهم، أعني الجنود، على التصرف بلا رحمة تجاه بقية السكان[١٧]. وفي خريف عام ١٩٤٣، وعندما غيَّرت إيطاليا موقفها وانسحبت من البلقان، استولى الألمان على السنجق رسميًّا. وكذلك، خضعت الأغلبية المسلمة في ألبانيا -التي كانت تحت الاحتلال الإيطالي منذ عام ١٩٣٩، والتي كانت تشمل كوسوڤا (Kosovo)- لحكم ألمانيا التي نصَّبت نظامًا تابعًا لها في البلاد[١٨]. وفي إقليم إيبيروس (Epirus)، في شمال غرب اليونان الذي يحدُّ ألبانيا، والذي كان تحت الحكم الإيطالي أيضًا، تعاون الجيش الألماني مع أقلية التشام (Cham) الألبانية المسلمة التي شكَّلت وحدات مقاتلة لإحلال السلام في المنطقة[١٩]. خضع الدخول الألماني إلى هذه الأراضي لإشراف هرمان نيوباخر (Hermann Neubacher)، بوصفه مفوَّض هتلر في جنوب شرق أوروبا المسئول عن ألبانيا والجبل الأسود وصربيا واليونان، وكان داعمًا متحمسًا للتحالف مع مسلمي البلقان.

وكالمعتاد، أيَّد هتلر التودُّد الألماني للمسلمين تأييدًا شديدًا؛ إذ ذكر نيوباخر بعد الحرب أنه كان يناقش وضع جنوب شرق أوروبا في المقر الرئيس للفوهرر بانتظام، وأن هتلر دعم بشدة «سياسة إسلامية إيجابية» (*positive Muselmanenpolitik*) في المنطقة[٢٠]. ووفقًا لنيوباخر، تأثَّرت رؤية هتلر لمسلمي البلقان باعتبارات الوحدوية الإسلامية؛ ففي مناقشته لـ «الأهمية السياسية لإسلام البلقان فيما يتعلَّق بالشرق الأوسط»، حاول نيوباخر شرح العلاقة لهتلر بتعبيرات يسهل فهمها، فقال: «عندما تضرب مسلمًا في السنجق، يردُّ طالبٌ في القاهرة!»، وقد أثَّرت هذه الفكرة في هتلر الذي بدا أنه انبهر بالعبارة واستعملها هو نفسه بعد ذلك. وبعد سنوات من الحرب، أعاد نيوباخر التأكيد على هذه الرؤى مشدِّدًا على أن مصير مسلمي البلقان خضع لمتابعة حثيثة من جانب المؤمنين في جميع أنحاء العالم الإسلامي»[٢١].

وبالفعل، عندما صنَّف الألمان المنطقة من الناحية الإستراتيجية، صنَّفوا المسلمين في الأساس تبعًا لدينهم[٢٢]، وكان ذلك نتيجة للوضع على الأرض إلى

حدٍّ ما؛ فلمَّا كانت التمييزات العِرقية واللغوية في البلقان أمرًا هامشيًّا؛ كان الدين مؤشرًا أساسيًّا على الاختلاف الطائفي، فطغَت تلك الروابط المِلِّية، سواءً كانت غجرية أو كاثوليكية أو أرثوذكسية شرقية أو يهودية أو إسلامية. وعلى الرغم من أن هذه الجماعات لم تكن متجانسة أبدًا ولا كانت الحدود بينها حدودًا صمَّاء، إلَّا أنها شكَّلت المشهد الاجتماعي والسياسي في المنطقة. وحتى في عصر الإمبراطوريات المتهاوية والدول القومية الصاعدة، ظل أغلب المسلمين، سواءً في المراكز الحضرية أو بين سكان الريف، يَعُدُّون أنفسهم «مسلمين» في المقام الأول، وفي حين ادَّعى بعضهم لنفسه هُوية وطنية (كأن يقول: «كرواتي» أو حتى «صربي»)، وشدَّد العديد منهم على هوياتهم المناطقية (كأن يقول: «بوسنوي» أو «هرسكي»)، أو المدينية (كأن يقول: «سرايڤي» أو «زغربي»)؛ ظلَّت أشكال الهُوية الدينية (كـ «مسلمين») أشكالًا جوهرية. وعلاوةً على ذلك، كان للدين معنًى سياسي؛ إذ كانت الزعامات والمؤسسات الدينية تمارس نفوذًا سياسيًّا بالغًا، وقد برزت هذه الانقسامات السياسية الطائفية بصورة جذرية في نزاعات الحرب العالمية الثانية، وأجَّجها الألمان بحماس، واستغلوها لتحقيق أهدافهم السياسية والعسكرية.

في الواقع، أضحى الدين عصبَ سياسة ألمانيا تجاه مسلمي المنطقة. وفي محاولاتها لجذب تأييد المسلمين، بذلت قيادة الجيش الألماني، والأهم منها وحدات الحماية، جهودًا هائلة في سبيل توظيف البروپاغندا المشحونة دينيًّا والتفاعل مع الشخصيات والزعامات الدينية على الأرض. وبشكل أكثر عمومية، ناقش المسئولون الألمان هذه السياسات تجاه الإسلام في البلقان في إطار علاقتها بحملات ألمانيا للتعبئة الإسلامية في أجزاء العالم الأخرى. تستكشف الصفحات التالية، مسلِّطة الضوء على البوسنة والهرسك والسنجق، الطرق التي روَّج بها المسئولون الألمان للرايخ الثالث بوصفه حامي حمى الإسلام في البلقان. وقد بدأت هذه الجهود في ربيع عام ١٩٤٣، عندما شرعت وحدات الحماية في تأسيس فرقة وحدات حماية إسلامية، ناقشناها في القسم الأخير من الكتاب، وأرسلَت بمفتي القدس في جولة پروپاغندا واسعة في جميع أنحاء البلقان.

جولة المفتي

في أواخر مارس/ آذار وأوائل إبريل/ نيسان من عام ١٩٤٣، أرسلت وحدات الحماية أمين الحسيني -الذي كان منخرطًا بقوة في البروباغندا والأعمال الاستشارية لصالح وحدات الحماية- في جولة داخل المناطق التي يقطنها المسلمون في دولة الأوستاشا[٢٣]. وكان المشهد الذي خضع للإعداد الدقيق من قِبل مكتب قيادة وحدات الحماية، مؤشرًا على بدء الحملة الألمانية لاستمالة المسلمين في المنطقة ولتعبئة الذكور منهم في الجيش الألماني. وكان دور الحسيني، بوصفه رمزًا إسلاميًّا، هو إسباغ الشرعية الدينية على المجهود الحربي الألماني، وكانت مهمَّته هي دعوة السكان المسلمين لدعم ألمانيا، والتفاوض مع الزعماء والفقهاء وأمراء الحرب المسلمين في المنطقة. وبذلك، تقيَّدت برلين بالتصور (الذي أشاعه الحسيني نفسه)، والذي يبدو فيه المفتي وكأنه بابا إسلامي ذو كلمة مسموعة لدى المسلمين المتدينين حول العالم. ولم يعكس توظيفُ الزعيم الديني الفلسطيني مجرد فكرة التضامن الإسلامي العالمي فحسب، بل عظَّم أيضًا من الطابع الديني الذي اتسمت به المساعي الألمانية لاستمالة المسلمين في البلقان.

وفي لقاء مع غوتلوب برغر، فاخَر الحسيني، المتعطش للنفوذ، بنفوذه الواسع في جميع أنحاء العالم الإسلامي[٢٤]، وزعم أنه كان يُولي قضية مسلمي جنوب شرق أوروبا اهتمامه الخاص منذ فترة طويلة. وفي الواقع، كان المفتي قد استَقبل، في أثناء زيارته إلى روما في عام ١٩٤٢، وفدًا من الشخصيات الإسلامية، كان على رأسه مفتي موستار (Mostar) عمر دجابيتش (Omer Džabić)، أحد دُعاة قيام دولة إسلامية في البلقان[٢٥]. وكذلك شارك وفدٌ كبير من المسلمين اليوغوسلاف في المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في القدس عام ١٩٣١، حيث أقام البعض علاقات مع الحسيني[٢٦]. وحظي المفتي العربي باحترام بالغ في أوساط مسلمي البلقان. ومبكرًا في أغسطس/ آب من عام ١٩٤٢، نشرت جريدة **أوزفيت** (*Osvit*) [بالعربية: **الفجر**]، إحدى الجرائد الإسلامية الرئيسة في سراييڤو، حوارًا مع الحسيني أثار الانتباه في كرواتيا وفي أوساط المسئولين الألمان[٢٧]، وقد أشارت **أوزفيت** إلى أن

المفتي أصبح رأس ملايين المسلمين المضطَّهَدين وحاميهم. وأكَّد الحسيني على صداقة هتلر وألمانيا للإسلام، وزعم أن العالم الإسلامي أجمع يساند ألمانيا واليابان وحلفاءهما. وستُحارَب الإمبراطورية البريطانية حتى تسقط كما سقطت روسيا، التي كانت عدوًّا للإسلام منذ قرون؛ مشدِّدًا على أن الإسلام هو العدو الطبيعي للمذهب الشيوعي: «لقد أكَّد لي الفوهرر مؤخرًا أن ألمانيا تتابع باهتمام بالغ معركة العالم الإسلامي ضد مضطَّهِديه، وأنه لا ينتوي استعباد أي بلد إسلامي أو قمعه»[٢٨]. إن انتصار المحور هو انتصارٌ للشعوب الإسلامية. ونقلت **جريدة الحزب النازي** في خريف ذاك العام أن الحسيني تبرع بخمسة عشرة ألف ليرة لمسلمي البلقان[٢٩].

خطَّط ضباط مكتب وحدات الحماية الرئيسي للجولة بأدق التفاصيل، وأعدُّوا المفتي لها جيدًا[٣٠]، وبالطبع كان الدور المحدَّد له مجرد دور تمثيلي، فأكد برغر للمفتي أنه يدعمه «لا لأسباب عملية فحسب»، بل «من كل قلبه»، لكنه لم يُخفِ عنه نواياه العملية، فأضاف أن وحدات الحماية «لا تثق بالوعود»، وتريد «إثباتًا» فوريًا. وفي الثلاثين من مارس/ آذار لعام ١٩٤٣، عبرت طائرة قائد **الشرطة النظامية** (*Ordnungspolizei*) كورت ماكس فرانز ديلوغه (Kurt Max Franz Daluege)، وهي من طراز يونكرز ٥٢ (Junkers 52)، جبال الألب[٣١]، وكان على متنها المفتي وبعض ضباط وحدات الحماية، كان من أبرزهم الرائد (*SS- Sturmbannführer*) شولته (Schulte)، والملازم (*SS- Untersturmführer*) ريمپل (Rempel) من مكتب الوحدات الرئيسي، والنقيب (*SS- Hauptsturmführer*) هرمان (Hermann) ممثلًا عن مكتب أمن الرايخ التابع للوحدات، وكذلك صحبَ المفتي اثنان من ضباط الغيستاپو وقناص سلِّح بمسدَّس[٣٢]. استمرت الجولة لأسبوعين؛ إذ بعد زيارتهم لزغرب (في الأول والثاني من إبريل/ نيسان) طارت الرفقة إلى بانيا لوكا (Banja Luka) (في الثالث والرابع من إبريل/ نيسان)، ومن هناك انطلقت إلى سراييڤو (في الفترة من الخامس إلى التاسع من إبريل/ نيسان) قبل أن تقفل عائدة إلى زغرب (في العاشر والحادي عشر من إبريل/ نيسان)[٣٣].

التقى المفتي في رحلته بممثلي الأوستاشا، ومن بينهم پاڤيليتش، وبالمسئولين الألمان والطليان، لكن الأهم من ذلك هو مشاوراته التي عقدها مع علماء البلاد في زغرب وبانيا لوكا وسراييڤو، وهو ما أكد الطابع الديني للرحلة[٣٤]. وقد التقى المفتي في سراييڤو زعماءَ المسلمين ووجهاءهم من جميع أنحاء البوسنة والهرسك؛ من توزلا (Tuzla) وموستار، ووفودًا أخرى من السنجق وألبانيا. أُعجب الحسيني إعجابًا خاصًّا بـ **صلاة الجمعة** ، وهي بالبوسنوية: (*džuma-namaz*)، في مسجد الغازي خسرو بك الكبير، واجتماعه بعدها مع المؤسسة الدينية في المدينة، وذكر بعد سنوات في مذكراته ما حظي به من ترحاب دافئ[٣٥]. وأشار دپلوماسي ألماني إلى أن «المفتي اكتسب أهميته عند المحمَّديين البوشناق؛ كونه محمَّديًّا قبل كل شيء[٣٦] ... وقد استقبله المتدينون بوصفه مسلمًا فحسب، واحتُفي به لنسبه الشريف، ورحَّب به أصدقاؤه زمان دراسته الدينية في القاهرة، ومن الحجِّ إلى مكة». أكَّد الحسيني، باسم المحور، على التضامن مع مسلمي البلقان، وشدَّد، كما لحظَ الألمان، على «اشمئزازه العميق» من الفظائع التي ارتكبها الپارتيزان «الذين تمولهم موسكو ولندن» في حقِّ «المنشآت الدينية كالمساجد»، حسبما زعم[٣٧].

اعتمد المفتي طَوال الرحلة على الاستخدام المكثَّف للخطاب الديني، وكانت خُطبه ودروسه ودعواته تُلقى بالعربية وينقلها مترجمون محليون. وعندما زار مسجد الغازي خسرو بك، ألقى خطبة هيَّجت العواطف عن العذابات التي عاناها المسلمون، حتى أن بعض الحضور أجهش بالبكاء[٣٨]. ومتحسِّرًا على وضع مسلمي البلقان، أكد للمؤمنين أن الالتجاء الجوَّاني للإسلام هو وحده ما يجعل الحياة محتمَلة. وتضمنت خطبته الدعوة للقتال إلى جانب المحور. وحذَّر طَوال زيارته، مستحضرًا جِماع سلطته الدينية، من أن التشكيك في انتصار المحور قد يأثمُ مرتكبه. لم يقتصر المفتي على اللغة الدينية فحسب، بل استعمل كذلك خطابًا إسلاميًّا جامعًا؛ حيث أشار الألمان -راضين- إلى أن الحسيني شدَّد على وحدة المعركة التي يقاتل فيها مسلمو كرواتيا وبقية المسلمين في فلسطين وسورية ومصر، الذين يُعانون ويُقمعون على يد «عناصر معادية للمسلمين»، سواءً كانوا «مُحرِّقي موسكو»

أو «الطغـاة الإنكليـز» أو «المسـتغلِّين الأمريكان»[٣٩]. وأعلن الحسـيني للصحافة أن «مسلمي العالم الإسلامي» يتابعون الموقف في البلقان «بقلق شديد»[٤٠]؛ «فالغضب في العالم الإسلامي» من «العصابات الصِّربية» وحلفائها كان «هائلًا ومريرًا». ووفقًا للاسـتخبارات الأمريكيـة، أدان الحسـيني الحلفـاء بسـبب مجازرهـم ضد مسـلمي البلقان؛ حيث أعلن أن «المسلمين يلومون إنكلترا على دعم الجحافل البلشفية، في حيـن تتظاهـر في الوقت نفسـه أنها تدعـم الإسـلام»[٤١]. لقد كان خطابه الإسـلامي الجامـع هو عين ما رغب الألمان في سـماعه. ولا عجـب أن يوجز المفتي بعد ذلك في تقريره للألمان قائلًا: «إن الإسـلام يحارب البلشـفية، والمسـلمون يوقنون -من دون ذرَّة شـكٍّ- أن مصيرهـم مرتبـط بمصير ألمانيـا والمحور، وأنـه لا يتهدَّدهم إلَّا الصِّرب، والشيوعيون، والحلفاء»[٤٢].

تفاعلـت وحـدات الحماية بحماسـة مع الجولة، ونقل برغر فـي تقريره أن «زيارة المفتـي الأكبـر كانـت ناجحة على جميـع الأصعدة، وحظيت -سياسـيًّا- باسـتقبال إيجابي وطيب بشـكل اسـتثنائي، وأنها قد تُسـهم إلى حدٍّ بعيد في إحلال السـلام في المنطقة»[٤٣]، وشدَّد برغر على البُعد الديني للجولة، قائلًا: «إنها أثبتت مرةً أخرى أن المفتي الأكبر يسـتند إلى جهاز اسـتخبارات شديد الفعالية، وأنه -أي المفتي- يتَّسم بهيبـة اسـتثنائية فـي العالم المحمَّـدي أجمع»، واقتـرح برغر، اسـتنادًا إلى تصورات خاطئة بشأن السُّلطة التي يحظى بها المفتي وسط عموم المسلمين وإمكانية الحصول على دعم واسع عبر الإسلام، إقامة جولات مشابهة على الجبهة الشرقية: «إن المفتي مستعدٌّ كذلك للسفر إلى تتر القِرم، أي محمَّديي الأقاليم الشرقية المحتلَّة حاليًّا، وأن يعمل على تفعيلهم -بكل شكل- لحساب ألمانيا».

كانت القوات المسلَّحة الألمانية متعاونة طيلة الحملة، ونقل برغر لهملر أن «قادة الجيش الألمان» قدَّموا لوحدات الحماية «خدمة سياسية وعسكرية استثنائية» عندما يسَّـروا إتمـام جولة المفتي[٤٤]. وبعد شـهر من بدء الحملة، ابتهـج لوترس في مايو/ أيار من عام ١٩٤٣ قائلًا: «إن المعاملة التي يحظى بها المسـلمون أصبحت سـلاحًا دعائيًّا من الدرجة الأولى في حوزة ألمانيا»[٤٥].

لكن محاولات وحدات الحماية والقوات المسلَّحة الألمانية لتوظيف الإسلام في البلقان كان لها معارضون كُثر؛ فقد واجهت وحدات الحماية مقاومةً شديدة من السُّلطات الإيطالية ونظام الأوستاشا؛ لوعيهما بالطابع السياسي للجولة، ولقلقهما على نطاقات نفوذهما، وبمجرد أن حطَّت طائرة المفتي في زغرب، حاول الطليان، بكل ما أوتوا من حيلة، إيقاف الجولة؛ فقد كتب الحسيني في مذكراته أنه بعد وصوله إلى العاصمة الكرواتية، حضر إليه من روما دپلوماسي إيطالي رفيع المستوى ليمنعه من استكمال رحلته إلى البوسنة وتحذيره من أن الطليان لا يضمنون سلامته في حال اختار السفر إلى المناطق التي مزَّقتها الحرب(٤٦). ونقل إرنست ڤيرمان أنه بعد أن عاد المفتي إلى برلين، حثَّ الطليانُ الألمانَ على أنه «احترامًا للمصالح الكرواتية والإسلامية لإيطاليا»، يجب أن تضمن ألمانيا أن أي تواصل مستقبلي بين المفتي ومسلمي البلقان ستنظِّمه القنوات الإيطالية(٤٧)، لكن وحدات الحماية لم تأبه لذلك على الإطلاق. وكذلك أخفق تدخل نظام الأوستاشا؛ إذ كان ردُّ فعل الحكومة الكرواتية على الجولة، كما أشار برغر، هو «الرفض التام»(٤٨)، لكن برغر فاخَر، في خطاب أرسله إلى هملر، بأن مسئولي الأوستاشا سرعان ما «انقلب» موقفهم بعد مواجهته للمبعوث الكرواتي إلى برلين. وقد استمرت محاولات نظام الأوستاشا لمراقبة الحسيني طَوال زيارته؛ فقد رافقه في رحلته من زغرب إلى سراييڤو ممثلان من دولة الأوستاشا(٤٩). وحاول مسئولو الحكومة الكرواتية عزله عن الزعماء المسلمين غير المنتَمين إلى النظام، لكن ضابط وحدات الحماية كارل فون كرمپلر (Karl von Krempler)، الضابط الهابسبورغي السابق والمشارك ساعتها في تجنيد مسلمي البلقان، تمكَّن من تهميش أجهزة الأوستاشا ورتَّب لقاءات سرية مع شخصيات إسلامية متنوعة وزعماء انفصاليين(٥٠)، وبطبيعة الحال، حاول الألمان رأب هذا الصدع مع قيادة الأوستاشا على المستوى الرسمي؛ إذ نشرت **دويتشه ألغماينه تسايتونغ** أن المفتي ذهب إلى البوسنة؛ «تلبيةً لدعوة الحكومة الكرواتية»(٥١).

وقد واجهت وحدات الحماية ممانعة داخلية أيضًا؛ إذ كان كاشه ووزارة الخارجية معارضَين للجولة؛ لأن التقرب إلى المسلمين لن يؤدي، من منظورهما، إلَّا إلى

تقويـض نظـام الأوستاشـا، وعندما زار المفتي مكتب كاشـه في زغرب، لم يسـتقبله المبعوث وأرسل له بطاقته فحسب[٥٢]، وأرسل شكوى داخلية غاضبًا من أن الجولة تسـبَّبت في نشر شـائعات بين المسلمين مفادها أن برلين مستعدةٌ لدعم تأسيس دولة مسـلمة في المنطقة[٥٣]. وقد فسَّـرت وزارة الخارجية ذلك التوجه الجديد لوحدات الحماية والقوات المسـلَّحة تجاه الإسـلام في البلقان، والمنعكس -بوجه عام- في جولة المفتي ونشـر الفرقة الإسـلامية، على أنه يمثل محاولةً لـ «تعزيز» الإسـلام في جنوب شـرق أوروبا، وذلك على حدِّ تعبير الدبلوماسي هانز ألكسندر ڤينكلر، الذي كان موجـودًا فـي برلين وقتـذاك[٥٤]. زار ڤينكلر زغرب وسـراييڤو فـي أعقاب جولة المفتي مباشرةً، وخطَّ مذكِّرةً من ثماني صفحات عن سياسة ألمانيا تجاه الإسلام في البلقان، وأعرب عن مخاوف شديدة جرَّاء هذا التوجه[٥٥]. لقد اختلفت رؤية ڤينكلر للإسـلام في المنطقة عن رؤيته للإسـلام في إيران الذي كتب عنه قبل ذلك بعام؛ إذ آمـن بـأن الوضـع الديني في جنوب شـرق أوروبـا وضع خاص، وأعـرب عن تفهُّمه للسـبب الـذي حدا بالجيش لأن يرى في المسـلمين -الذين عدَّهـم ڤينكلر داعمين للألمان بشـكل كلي، وأن أيام إمبراطورية الهابسـبورغ مازالت حاضرة في أذهانهم- حلفـاء مثاليـين. وأشـار إلى أن وحدات الحمايـة يجب أن تقـدِّر «عنصرهم العِرقي، وتراثهـم التضامنـي، وروحهم المناهِضة للبابوية»، لكنه أطلق إشـارةً تحذيرية تتعلق بدعم الألمان لمسـلمي البلقان. فأولًا، نبَّه ڤينكلر إلى أن الدعم الألماني لـ «إسـلام اسـتقلالي» (*autonomistisches Mohammedanertum*) فـي المنطقـة سـيقوِّض نظام الأوستاشـا، وقد أعطت جولة المفتي دفعةً لـ «ثقة المحمَّديين في أنفسـهم»، كما أن نشـر الفِرقـة الإسـلامية قد يؤدِّي إلى تعزيـز «الفكرة الدينية» بما تنطـوي عليه من أثر «هدَّام إلى أقصى حدٍّ» بالنسـبة لنظام الأوستاشـا، وثانيًا، عبَّر ڤينكلر عن مخاوفه من «التوجه الإسـلامي الوحدوي غير الأوروبي» الذي يتسـم به المتعاونون المسـلمون فـي البلقـان. وعلـى عكـس وحـدات الحمايـة، نظر ڤينكلر إلـى التوجه الإسـلامي الوحدوي بوصفه خطرًا لا فرصة، وقد أجَّجت جولة الحسـيني من هذا الخطر: «إن المفتـي ينظـر إلـى الوضـع العالمي من منظـور محمَّدي شـديد الاتسـاع، غريب عنَّا بالكُليَّـة»، وصرَّح بأن هـذا التوجه «مُعادٍ لأوروبا» تمامًـا[٥٦]. لم ينضم ڤينكلر، الذي

كان مستشرقًا كلاسيكيًا ذا خبرة عميقة بمصر، إلى وزارة الخارجية إلَّا في عام ١٩٣٩، ثم خدم في طهران حتى عام ١٩٤١، وانتقل ليكون ضابط اتصال الوزارة بالفيلق الإفريقي حتى أصيب في صيف عام ١٩٤٢، ورُدَّ إلى مكتب الشرق في وزارة الخارجية ببرلين[٥٧]. عكست مذكِّرة ڤينكلر تصورًا غير مألوف نسبيًا عن الإسلام، وعبَّرت عن فكرة أوروبية كلاسيكية عن الدين والغرب لا تتسق مع التصورات البراغماتية والمعقلَنة لدى ضباط وحدات الحماية، من أمثال: برغر، أو ممثلي الجيش من أمثال: لوترس، اللذين كانا على قناعة بفائدة الإسلام لجهودهم الحربية. لم يكن لتحذيرات ڤينكلر كبيرُ أثرٍ، ولم يعد له ولا لكاشه ولا لوزارة الخارجية أثرٌ يُذكر على المسار السياسي الألماني في البلقان، في حين استأنفت وحدات الحماية والقوات المسلَّحة سياستهما تجاه الإسلام.

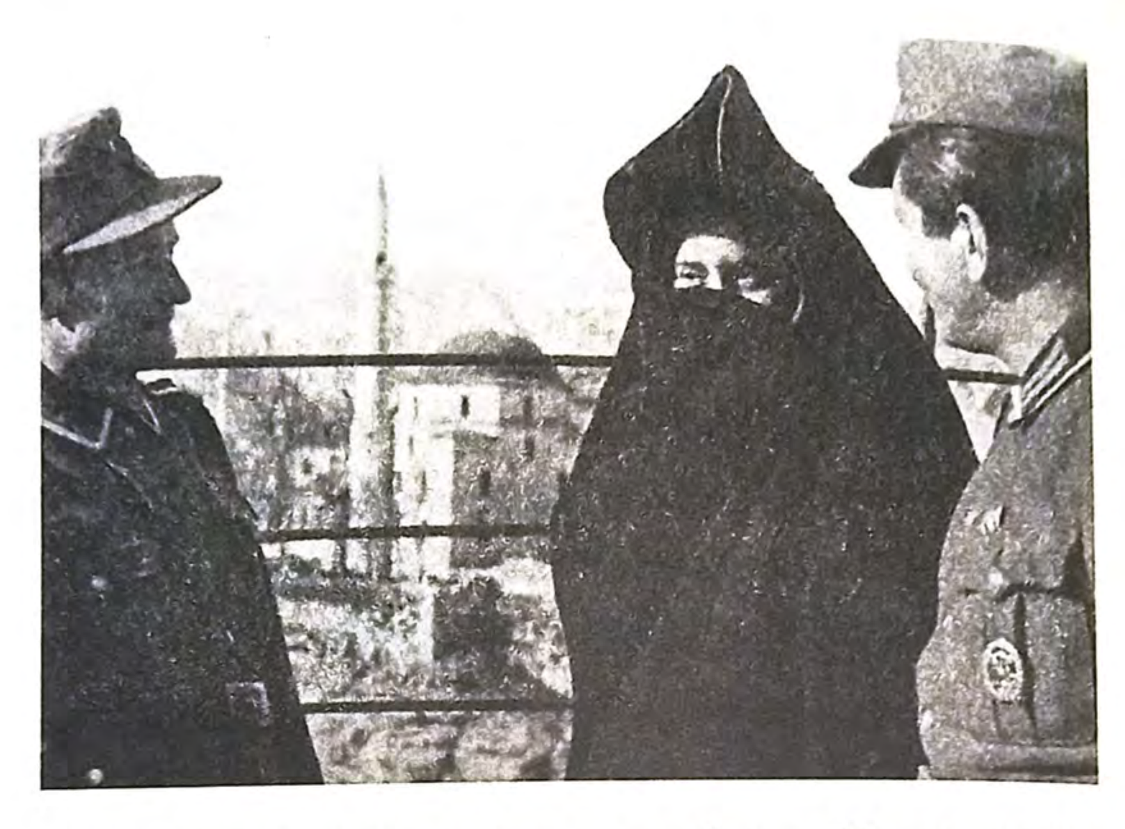
توقف الحسيني في طريق عودته إلى برلين لبضعة أيام في ڤيينا، حيث التقى ممثلي المسلمين، ولازمه طَوال بقائه نائبُ الرايخ (*Reichsstatthalter*) على ڤيينا بالدور فون شيراخ (Baldur von Schirach) وضباط وحدات الحماية ذوو الرتب العليا، وأطلعوه على المعالم المحلية وناقشوا معه السياسة العالمية[٥٨]. وقد انتظمت الجماعة المسلمة الصغيرة في ڤيينا، بشكل رسمي في أثناء سنوات الحرب، في هيئة **جمعية ڤيينا الإسلامية** (*Islamitische Gemeinschaft zu Wien*) تحت قيادة صالح حاچِّي ياليتش (Salih Hadžialić) أستاذ العقيدة الإسلامية البوسنوي[٥٩]. وتلقَّى مسلمو النمسا، الذين كانوا -في غالبهم- من البوشناق المستقرين في ڤيينا، دعمًا متزايدًا من السُّلطات النازية التي نظرت إليهم من زاوية أهميتهم للسياسات الألمانية في البلقان وفي العالم الإسلامي الأوسع، بالضبط كما كانت الحال بالنسبة للجماعة المسلمة في مناطق الهابسبورغ السابقة في محمية بوهيميا وموراڤيا، حيث وافق الألمان على توسيع الإطار المؤسسي للجماعة الدينية الإسلامية في أثناء سنوات الحرب[٦٠].

تأطرت جولة المفتي في البلقان من خلال حملة أوسع؛ إذ نقل ليلاند هاريسون (Leland Harrison)، السفير الأمريكي في برن (Bern)، إلى واشنطن أن «البرنامج

الألماني في كرواتيا يدعو إلى استخدام المسلمين -الذين يصل عددهم إلى ثمانمئة وخمسين ألف مسلم ويقيمون في الأساس في البوسنة- بوصفهم ركيزة لإجراءات مناهِضة للبلاشفة واليهود»[٦١]. وأسهم المفتي بتبرعات، جاءت من مصادر ألمانية، لأعمال الإغاثة بين السكان المسلمين. وفي أثناء الزيارة، أعلنت السُّلطات الألمانية أن ما يقرب من خمسين ألف طنٍّ من البطاطس وعشرة آلاف طنٍّ من السكر في طريقها إلى كرواتيا. ووفقًا لهاريسون، ساعد الحسيني كذلك في تأسيس مركز إسلامي للپروپاغندا في زغرب «ناشد السكان المسلمين دعم المحور»[٦٢]. وأُتبعت الجولة بنشر الفرقة الإسلامية التابعة لوحدات الحماية، وأُتبعت كذلك بحملة پروپاغندا كبرى مشحونة دينيًّا، بغية استمالة السكان المدنيين المسلمين لنظام هتلر الجديد (الأشكال ٥-٦، ٥-٧).

الپروپاغندا الدينية

مراعاةً لحساسية الأوستاشا، تجنب الألمان توظيف الإسلام في دعايتهم في البلقان في الفترة ما قبل ربيع عام ١٩٤٣؛ فقد أشار تقريرٌ لسَريَّة الدعاية في الجنوب الشرقي في صيف عام ١٩٤٢ إلى أنه «نظرًا لتحفظ الجانب الكرواتي؛ أوقف توزيع الپروپاغندا بين صفوف السكان المسلمين»[٦٣]؛ إذ طُبعت عشرة آلاف نسخة «فقط» من «منشور صغير مصوَّر باللغة الكرواتية» عنوانه: **حياة المسلمين في ألمانيا** (*Život Muslimana u Njemačkoj*) للتوزيع في غرب البوسنة، حيث بدأت القوات الألمانية القتال مرةً أخرى. كان المنشور يتكون في واقع الأمر من سبعٍ وعشرين صفحة[٦٤]، واحتوى على العديد من الصور حول حياة المسلمين في الرايخ، تضمنت صورًا لمسجد ڤلمرسدورف (Wilmersdorf)، ونصوصًا قصيرة عن أفراد من جميع أنحاء العالم الإسلامي يعملون في ألمانيا. كان الهدف من المنشور إظهار الرايخ الثالث في صورة صديق الإسلام، موظِّفًا الشعور الإسلامي الوحدوي من خلال مماهاة الفلَّاحين المسلمين في غرب البوسنة بالمدنيين المسلمين في ألمانيا. كان هذا المنشور أول پروپاغندا دينية ألمانية مهمَّة تُطلق في مناطق المسلمين في البلقان.



(الشكل ٥-٦): جنودٌ ألمان وامرأة مسلمة في موستار بالهرسك في عام ١٩٤٤ (Ullstein).



(الشكل ٥-٧): توزيع السجائر في قرية مسلمة بالبوسنة في عام ١٩٤٣ (Ullstein).

وقد تكاثفت هذه البروپاغندا مع مستهل تصاعد الانخراط العسكري الألماني؛ فوُزِّعت المنشورات والكُتيِّبات في المدن والقرى الإسلامية، ووُضعت الملصقات الدعائية في الشوارع والميادين والقطارات. ومن اللافت أن البروپاغندا المطبوعة التي نجت من الحرب، والتي توجد غالبيتها الآن في دار المحفوظات العسكرية الألمانية بفرايبورغ (Freiburg)، لم يُتطرَّق إليها من قبل في أية دراسة عن البلقان في الحرب العالمية الثانية. ترسم هذه البروپاغندا المطبوعة صورةً واضحة للكيفية التي وظَّفت بها السُّلطات الألمانية الدين بوصفه أداةً سياسية ضد أعدائها. اعتادت منشورات البروپاغندا الألمانية أن تصوِّر البريطانيين والأمريكان واليهود بوصفهم أعداء الإسلام، وأنهم يتلاعبون بالخيوط من وراء مسرح الحوادث البلقاني، وأنهم مسئولون عن وضع المسلمين المأساوي هناك. ووصفت منشوراتٌ أخرى، وُزِّعت توزيعًا فوريًّا في أوضاع تكتيكية معينة، پارتيزان تيتو والتشيتنيك بأنهم أعداء الإسلام. ومثل جميع حالات البروپاغندا الأخرى الموجَّهة إلى الإسلامي الأوسع، اعتمد الألمان مرارًا على العاطفة الدينية.

فأولًا، دمجت البروپاغندا الألمانية بين الإسلام وكراهية اليهود، وكان أحد أهم الأمثلة على هذا النوع من البروپاغندا الدينية المناهِضة لليهود، الموزَّعة بين مسلمي البلقان، هو منشور **الإسلام واليهودية** (*Islam i Židovstvo*)[٦٥]. روَّج المنشور لفكرة العداء القديم بين المسلمين واليهود الذي بدأ بالصراع بين النبي [ﷺ] ويهود خَيبر. وقد وزَّع الدعائيون الألمان عشرةَ آلاف نسخة من المنشور في يوم الحادي والعشرين من فبراير/ شباط من عام ١٩٤٣؛ نصفها وزَّعه المكتب المحلي لسريَّة الدعاية في كرواتيا الكائن في بانيا لوكا بين المسلمين، ووزَّع الفرع المحلي في سراييڤو ما تبقى من النسخ.

لكن بشكل عام، لعبت الإمبريالية البريطانية والسوڤييتية دورًا محوريًّا في البروپاغندا الألمانية الموجَّهة للمسلمين؛ فقد زعم أحد المنشورات الموزَّعة في صيف عام ١٩٤٣، مخاطبًا «المسلمين»، أن المجرمين الذين جلبوا معهم «مأساة الموت والدم والدموع» ما هم إلَّا «محرِّضو لندن وموسكو»، وأن انتصار المحور

هو السبيل الوحيد لـ «نهاية كل أعداء الإسلام والقضاء عليهم»، وصُوِّر المسلمون المنضمون إلى فرقة وحدات الحماية على أنهم في مهمة إسلامية أوسع بوصفهم «طليعة المقاتلين في ظلِّ اللواء المنصور؛ لا في سبيل حرية وطنهم فحسب، بل أيضًا في سبيل تحرير الإسلام من أعدائه»، وازدان المنشور براية تحمل الهلال والنجمة. وفي الخامس من يونيو/ حزيران، وزَّعت كتيبة الجبال الأولى، سيئة السُّمعة، بقيادة الجنرال ڤالتر شتيتنر (Walter Stettner) خمسة عشر ألف نسخة. وفي السابع من يونيو/ حزيران من عام ١٩٤٣، ألقت القوات الجوية خمسة وثلاثين ألف نسخة في مناطق كونييتس (Konjic)، وبلاغاي (Blagaj)، وغورزاده (Goražde)، وروغاتيكا (Rogatica)، وفوينيتسا (Fojnica)، وڤيسوكو (Visoco)، وتراڤنيك (Travnik)، وماغلاي (Maglaj)، وقد خُتم المنشور برسالة واحدة: «للإسلام عدوٌّ واحد: إنكلترا. للإسلام صديق واحد: ألمانيا. أيها المسلمون: لقد تحدَّد موقعكم في المعركة»[٦٦]. وستتناول المنشورات قوات الحلفاء معًا تناولًا نمطيًّا، فقد تحدثت عن «خطر الإمپريالية الإنكليزية والأمريكية والسوڤييتية»[٦٧]، أو حذَّرت من المؤامرات التي تُحاك ضد الإسلام في «لندن وموسكو»[٦٨]، لكن إن كان أحد هذه القوى يُذكَر أكثر من غيره فهو الاتحاد السوڤييتي، أو البلشفية بشكل أعم، فقد صوِّرت على أنها العدو الملحد للإسلام؛ فحذَّر أحد المنشورات الموجَّهة لـ «مسلمي البوسنة والهرسك» قائلًا: «إنها موجةٌ حمراء من الشرق تهدِّد بابتلاع شعوب البلقان وجماعاته الدينية كافة!»[٦٩]، وأعلن المنشور أن الكرملين «دهس إخوانهم في الدين» في الاتحاد السوڤييتي بالفعل، ووحدَهم المسلمون، إن حملوا السلاح إلى جانب الألمان، يمكنهم مجابهة «الهيجان السوڤييتي الذي يتهدَّدهم بالإبادة الكاملة»، ذلك الهيجان الذي تسبَّب في إزهاق أرواح «مئات الآلاف من المسلمين في الاتحاد السوڤييتي». نادى المنشور المسلمين «حيَّ على السلاح»، وأثنى على فرقة «الخنجر» (Handžar) التابعة لوحدات الحماية. واستخدم منشورٌ آخر لهجةً أكثر تلوُّنًا، واعتمد على الأواصر الدينية التي تجسِّدها الراية الخضراء للنبي [ﷺ]، وسأل بصورة خطابية: «هل يجب أن تتحقق خُطَّة ستالين؟ وهل يجب أن تُحوِّل دماءُ المسلمين خُضرةَ راية النبي [ﷺ] إلى الحُمرة؟»[٧٠]، مشيرًا إلى

المجازر التي ارتكبها پارتيزان تيتو في حق المسلمين في منطقة تشاپليينا (Čapljina). «لقد أجاز مصاص الدماء ستالين لعامِله تيتو سفك دماء المسلمين في كل مكان»، وكذلك علَّل المنشور الكراهية السوڤييتية المزعومة للمسلمين بأن «المسلم ينافح عن دينه وعاداته وأعرافه التليدة مخافة أن يُطيح الشيوعيون بها!»، وكان المنشور يتضمَّن صورة لمسجد بمئذنة وراية (يُفترض أنها خضراء اللون)، وعلى واجهته صورةٌ لستالين نُقش تحتها اقتباس متخيَّل: «سأولي عنايتي لتحويل هذه الراية بدورها إلى الأحمر، وبدماء المسلمين وحدهم كلما بدا ذلك ضروريًّا».

وعلى مستوى أكثر تكتيكية، حملت البروپاغندا الألمانية الموجَّهة للمسلمين على الپارتيزان الشيوعيين والتشيتنيك. وفي الواقع، كان المقاتلون المسلمون في صفوف هؤلاء هم أول من شجَّعهم الألمان على تحويل وجهة ولائهم؛ فعلى سبيل المثال، زعم أحد المنشورات، مخاطبًا «المقاتلين المسلمين والبوشناق» في صفوف الپارتيزان، أن تيتو منح المسلمين وعودًا فارغة، وأنه ينسحب الآن مواجهًا الجوع والصقيع[٧١]، ودعا المسلمين إلى تحويل وجهة ولائهم قبل فوات الأوان. وأشار منشور آخر إلى الفظائع التي ارتكبها الپارتيزان، مذكِّرًا بـ «ثلاثمئة وثلاثة وخمسين قتيلًا مسلمًا» في منطقة ڤلاسينيكا (Vlasenica)، وقدَّم «تقريرًا» مفصَّلًا من صفحتين عن وحشية الپارتيزان الشيوعيين وإصرارهم على قتل المسلمين كلهم، وختم بمناشدة المسلمين قائلًا: «أيها المسلمون! هل ستقفون مكتوفي الأيدي تشهدون إبادتكم على بكرة أبيكم؟»[٧٢]. وكانت هذه النصوص مشحونة دينيًّا على الأغلب؛ فالمنشور الذي دعا المسلمين في صفوف تيتو إلى تحويل وجهة ولائهم صُدِّر بالاقتباس التالي: «اقصفوا المسجد بالمدافع!»[٧٣]، وهي عبارة زُعم أن قادة تيتو قالوها عندما أمروا بالهجوم على مدينة ڤليكا كلادوشا (Velika Kladuša)، وأوضح المنشور أن (أطلال) مسجد ڤليكا كلادوشا تشهد على هجوم «الشيوعيين». ودعا المنشور بلهجة دينية «من يؤمن بالله» إلى «تصويب أسلحتهم تجاه الشيوعيين». وتساءل منشور آخر يخاطب «المقاتلين المسلمين» عن سبب استهزاء تيتو بدينهم وعاداتهم وإهانته للمسلمات[٧٤]، وكانت الإجابة من فورها: «لأن الأفكار والعادات

والأعراف الإنسانية والدينية لا تتفق والأفكار الشيوعية ... ولأنكم وأهل الدين الحقِّ ستظلون دائمًا وبالًا على البلشفية الملحدة!»، وكان على رأس المنشور صورةٌ لمسجد انتصبت على سطحه مئذنة يعلوها هلال. وكذلك انطلقت پروپاغندا مشابهة نحو العدد الأقل من المسلمين المقاتلين في صفوف التشيتنيك؛ فمثلًا، ردَّ أحد المنشورات الموجَّهة إلى «الإخوة المسلمين» على پروپاغندا التشيتنيك الموجَّهة إليهم، مذكِّرًا إياهم بأن قوات ميهايلوڤيتش ذبحت كلَّ ما هو «إسلامي أو كرواتي»(٧٥)، وقال إن «المسلمين يعون جيدًا من هو عدوهم».

واضطلعت الصور والرسومات الدينية، وخاصةً تلك المتعلِّقة بالمساجد والمآذن، بدَور ملحوظ في هذه المنشورات؛ فكانت الميزة التي تنطوي عليها الپروپاغندا البصَرية أنها تصل حتى إلى الأمِّيين. وإلى جانب المنشورات المصوَّرة، وزَّع الألمان ملصقات دعائية تصوِّر بعض المساجد(٧٦). فصوَّر أحدها روزڤلت وهو يقصف موستار بالقنابل، وفي خلفيتها صورة للأسطح والمآذن.

وخاطبت العديد من المنشورات المسلمين بتعبيرات دينية، كقولهم: «المسلمون» (*Muslimani*) أو «الإخوة المسلمون» (*braćo muslimani*) بدلًا من استعمال «البوشناق» (*Bošnjaci*) أو «البوسنويون» (*Bosanci*)، على سبيل المثال. وأشارت بعض المنشورات إلى المسلمين، إلى جانب جماعات دينية أخرى، فخاطبت مثلًا «مسلمي البوسنة وكاثوليكها وأرثوذكسها»، أو «الكروات والصِّرب: المسلمون والكاثوليك والأرثوذكس»، أو «الكروات والمسلمون والأرثوذكس المخلصون في صفوف الپارتيزان!»؛ حضًّا لهم على تحويل وجهة ولائهم(٧٧). وطالب منشور آخر «المسلمين والكاثوليك والأرثوذكس» بأن يتذكروا أن البلاشفة لن يُشِيعوا «القتل والمحارق» فحسب، بل سيُعينون على «محو الإيمان والدين»(٧٨).

وفي النهاية، عُدَّ الإسلام أداةً دعائيةً مضادة للنفوذ التركي في البلقان؛ فعندما قطعت أنقرة علاقاتها مع برلين في صيف عام ١٩٤٤، توجَّس الألمان خيفة من ردِّ فعل مسلمي جنوب شرق أوروبا الذين تربطهم -تقليديًّا- علاقاتٌ متينة بتركيا. وعلى الرغم من ادعائه أن القرار التركي لن يكون له -في الراجح- أي أثر على «السكان المسلمين» في البلقان، اقترح هرمان نيوباخر توظيف الإسلام دعائيًّا في

مواجهة اللائكية الكمالية والحداثة[٧٩]. لكن لا نعلم إن كان هذا المقترح نفِّذ بالفعل أم لم ينفَّذ.

وعقب نشر فرقة الخنجر، غدت التقارير والمنشورات المتعلقة بها أداةً دعائية قوية في يد ألمانيا موجَّهة إلى المدنيين المسلمين. وكذلك أصبح القسم الدِّعائي للفرقة فاعلًا في التلقين الأيديولوجي للمدنيين، بعد أن تمَّ نشرها في أوائل عام ١٩٤٤، بعد أشهر من التدريب في الخارج[٨٠]؛ ففي ربيع عام ١٩٤٤ -على سبيل المثال- نشر القسم ملصقات دعائية مرسومة بالفحم بمناسبة احتفالات المولد النبوي، وهو بالبوسنوية: (*Mavlud*)، في المناطق الإسلامية المحتلَّة[٨١]، كما استُخدمت سيارةٌ ذات مكبِّر صوت ضخم لخُطب احتفالات المَولد المحلية[٨٢]. أصدرت الفرقة أيضًا تقارير مصوَّرة عن الاحتفالات الدينية للجنود، وُضِعت بعد ذلك على واجهات النوافذ[٨٣]، وقبلها، كانت وحدات الحماية في خريف عام ١٩٤٣ قد قدَّمت تقريرًا مصوَّرًا عن احتفالات الجنود بعيد الفطر للصحافة الكرواتية. ولقلقها من هذه الحملة الدعائية التي تقودها وحدات الحماية لجأت سُلطات الأوستاشا إلى كاشه، شاكية من أن المقالة فُرضت عليهم، فسحب قسم الدعاية في وحدات الحماية بالبلقان المقالة وعاد إلى هملر للمزيد من النصح[٨٤].

وسرعان ما ستوظِّف القيادة الألمانية كذلك أئمة الفرقة العسكريين بغية الوصول إلى المدنيين المسلمين. وقد أُرسل الأئمة، المدرَّبون على أعمال البروباغندا، إلى المساجد لإلقاء خطب الجمعة، و«نقل أفكار الفرقة» إلى الناس، على حدِّ تعبير تقرير لوحدات الحماية[٨٥]، وأشار التقرير إلى أن «الأئمة يعقدون مجالس مستمرة في المسجد للمدنيين، منظَّمةً وفق الصلوات الإسلامية». كانت هذه المجالس الدينية تُستخدم في نشر الأفكار والبروباغندا السياسية، وخاصةً لتفسير نشاط الفرقة والتحريض ضد تيتو. «يعقد الأئمة هذه المجالس في جميع المدن الكبرى الخاضعة لإدارة الفرقة، وكذلك أقام الأئمة احتفالات متنوعة بالمولد النبوي في هذه الأماكن، وحققوا أثرًا دعائيًّا جيدًا بين المدنيين؛ إذ ألمَحوا مرارًا في أثناء خُطبهم إلى الفرقة وأهدافها».

وكذلـك اسـتخدمت وحـدات الحماية جنودهـا المسـلمين بوصفهـم دعائيين؛ فالمنشورات التي أعدَّها قسم الدعاية في الفرقة، والموجَّهة إلى المدنيين، لم تُلق من الطائرات فحسـب، بـل أُعطيت للجنود مع البريد الميدانـي ليوصلوها إلى عائلاتهم وجيرانهـم وأصدقائهـم[٨٦]، وأُمِـر الجنـود بإبـلاغ أقربائهـم أن يتناقلوا المنشـورات لتحقيـق أكبـر قـدر ممكن من القـراءة. عـلاوةً على ذلـك، أعدَّت وحـدات الحماية منشورات وقَّعها جنودٌ مسلمون يدعون للحرب ضد تيتو؛ من هذه المنشورات، على سبيل المثال، منشورٌ وقَّعه أحد رجال وحدات الحماية، ممن قاتل قبلها مع تيتو، ولم يقتصر المنشور على التحريض ضد الپارتيزان، بل حُمِّل أيضًا بكراهية اليهود: «إنهم اليهـود وخـدم اليهـود. مـن يملك رأس المـال كله ؟ اليهـود. من يحيَـون في رخاء؟ وحدهـم اليهـود». وزعـم أن فرقـة وحـدات الحمايـة سـتعيد الآن «الحريـة والنظام والعدالـة»[٨٧]. وازدرى منشـور آخـر، وقَّعتـه مجموعـة مجهولة من رجـال وحدات الحماية المسلمين، «جحافل تيتو الملحدة» التي حوَّلت البوسنة إلى «وادٍ للدموع»: «إن عقيدتنـا الرَّاسـخة في الرجـل العظيم [هتلر]، الذي يقود شـعوب أوروبا المحبَّة للحرية ضد أعداء الله والإنسان، يمنحنا القوة لنقاتل وننفذ المهام بنجاح». وكالمعتاد، ارتبطـت الدوافـع الدينية بالنداءات السياسـية: «من ليس معنا فهـو ضدنا ... ولذلك فإن اتباعك دعوتنا فريضة مقدسة! ... يحيا هتلر!»[٨٨].

السُّلطات الألمانية والشخصيات والمنظمات الدينية

عندمـا وصـل المسـئولون الألمان إلـى البلقان، وجدوا المؤسسـات والشـبكات الإسـلامية متماسـكة، على عكس القوقاز والقِرم، وكان من النادر، قبل عام ١٩٤٣، أن يتواصـل الألمـان مع الزعامات الدينية ومع العلماء ومؤسسـاتهم، واقتصر تعامل مسـئولي وزارة الخارجيـة الألمانيـة -تقريبًـا- علـى ممثلـي المسـلمين فـي دولـة الأوسـتاشـا، وواجهـوا مشـكلة عـدم وجود زعيم إسـلامي قـوي. كان أبـرز فصيلَين مسـلمَين فـي نظام الأوسـتاشـا يقوم على رأسـيهما نائـب الرئيس ظافـر كولينوڤيتش (Džafer Kulenović)، ونائـب باڤليتـش علـى البوسـنة والهرسـك خاكيا خادچيتش (Hakija Hadžić)[٨٩]. وكان السياسـي المحنَّـك كولينوڤيتـش وزيـرًا فـي مملكـة

يوغوسلافيا، ثم أصبح رئيس المنظمة الإسلامية اليوغوسلافية بعد وفاة محمَّد سپاهو في عام ١٩٣٩. ووفقًا لدپلوماسي ألماني، اعتمد كولينوفيتش في الأساس على الشعارات الدينية، ثم على القومية الكرواتية، لكن العديد من المسلمين ظلُّوا يتهمونه بأنه دمية تحرِّك الأوستاشا خيوطَها. أما خاكيا خادچيتش، الذي روَّج للشعارات القومية الكرواتية أكثر من الشعارات الدينية، فلم يكن له أتباعٌ كثر، وكان غالبهم من النخبة المثقفة[٩٠]. ولحظَ مسئولٌ آخر من البعثة في زغرب في مارس/ آذار من عام ١٩٤٣ أنه «ليس ثمَّة شخصية» يمكن القول إنَّها زعامة تحظى بالقَبول العام[٩١]، وصرَّح بأن «حل المسألة الإسلامية هو في الأساس مسألة قيادة». لم يكن لمسلمي نظام الأوستاشا سُلطةٌ كبيرة على السكان المسلمين، وبدا الأمر أوضح في حالة المؤسسة الدينية التي كان لها على الناس سُلطة ونفوذ أكثر أصالة.

كلما تمأسست الهياكل الدينية، أمكن فهمها وربما توظيفها. لقد خضع المتدينون، المنضوون تحت مظلة ما سمِّي الجمعية الدينية الإسلامية، لسُلطة الزعامة الدينية الأسمى، **رئيس العلماء** (*Reis-ul-Ulema*)[٩٢]، ويعاون مجلسُ العلماء **رئيسَ العلماء**، وهو المجلس الأعلى للجمعية الإسلامية المكوَّن من **رئيس العلماء** وأربعة من الوجهاء البارزين، ويشرف على أعمال الأوقاف والمدارس والمحاكم الشرعية، وكذلك عمل الأئمة من أهل البلاد والعلماء ومدرِّسي العلوم الشرعية، الخوجات، وهي بالبوسنوية: (*hodžas*). وقد استحدث بيروقراطيو الهابسبورغ هذه الإدارة في عام ١٨٨٢؛ حرصًا منهم على إضعاف العلاقات الدينية بين المسلمين والإمبراطورية العثمانية، وعلى مراقبة الإسلام في البلقان والتحكم فيه. وقد تمكن هذا النظام الإداري من البقاء طيلة حقبة مملكة يوغوسلافيا ونظام الأوستاشا. لم يحاول الألمان قطُّ التدخل مباشرةً في الإدارة الإسلامية؛ حرصًا منهم على تقديم أنفسهم بوصفهم حماة الإسلام، لكن الانخراط التدريجي للمسئولين الألمان في المناطق الإسلامية في البلقان، رفع من وتيرة تفاعلهم مع الزعامات الدينية، وفي النهاية، استعملت وحدات الحماية عضوًا مهمًّا في مجلس العلماء بغية تحقيق أهدافها السياسية والعسكرية (الأشكال ٥-٨، ٥-٩، ٥-١٠، ٥-١١).



(الشكل ٥-٨): فهيم سپاهو (١٨٧٧-١٩٤٢) (مكتبة الغازي خسرو بك، سراييڤو).

كان رئيس العلماء في فترة الغزو الألماني ليوغوسلاڤيا هو فهيم سپاهو (Fehim Spaho)، الرئيس السابق للمحكمة الشرعية العليا في سراييڤو وشقيق محمَّد سپاهو، وعلى الرغم من أن سپاهو كان داعمًا مخلصًا لنظام الأوستاشا في البداية؛ آملًا في تحقيق أهدافه الخاصة المتعلقة في الأساس بحظر الميسر والبغاء والزواج المختلط، مع الفرض الإجباري للحجاب، إلَّا أنه سرعان ما فقد إيمانه بپاڤيليتش(٩٣). أما صالح سافيت باشيتش (Salih Safet Bašić)، الذي حلَّ محل سپاهو بصورة غير رسمية عقب وفاة الأخير في أوائل عام ١٩٤٢، فكانت علاقته بنظام الأوستاشا قوية(٩٤). وقد سعى الزعيمان إلى بناء علاقات جيدة مع الألمان؛ حمايةً لشعبهما. وفي الواقع، كوَّن سپاهو صِلاته بالمسئولين الألمان في الشهور السابقة على غزو البلقان، وأعلمهم باستمرار بالفظائع التي تُرتكب ضد المسلمين في أثناء الحرب(٩٥). لكن بعض أعضاء المجلس الآخرين تجاوز ذلك؛ إذ أيَّد العديد منهم فكرة استقلال



(الشكل ٥-٩): محمَّد الخانجي (١٩٠٦-١٩٤٤)، (مكتبة الغازي خسرو بك، سراييڤو).

المسلمين تحت حماية برلين، وذلك بعد تردِّي وضع المسلمين في عامي ١٩٤٢ و١٩٤٣، وقد بلغت آمالهم ذروتها بفعل جولة المفتي، وتأسيس الفرقة الإسلامية في وحدات الحماية، وحملة الپروپاغندا الألمانية الدينية الهائلة.

وقد وجَّه بعض أعضاء مجلس العلماء الأكثر تشددًا سهام النقد نحو فهيم سپاهو وصالح باشيتش لتقدُّميتهما الشديدة، وكان أبرز هؤلاء النقاد محمَّد الخانجي (هانغيتش) (Mehmed Handžić). درس الخانجي في الأزهر، وكان إحيائيًّا إسلاميًّا كبيرًا ذا ميول وحدوية إسلامية، وقد درَّس في مدرسة في سراييڤو، وتولَّى منصب



(الشكل ٥-١٠): علي أغانوڤيتش (١٩٠٢-١٩٦١)، (مكتبة الغازي خسرو بك، سراييڤو).

أمين مكتبة الغازي خسرو بك الكبير[٩٦]، كان الخانجي رئيسًا لجمعية الهداية، وهي جمعية للعلماء الإحيائيين[٩٧]، جذبت منظمتها الشبابية: **الشبَّان المسلمون** (*Mladi Muslimani*) عددًا كبيرًا من الأتباع، كان من بينهم علي عزت بيغوڤيتش (Alija Izetbegović) الذي سيصبح أول رئيس لدولة البوسنة والهرسك في عام ١٩٩٠، وسرعان ما خاب أمل الخانجي وأتباعه في حكم الأوستاشا، وبدأوا في الدعوة لخُطَّة استقلالية، وسعوا لنيل مساعدة ألمانيا. وفي أثناء جولة الحسيني، التقى به الخانجي في سراييڤو، وألقى عليه خطابًا ترحيبيًّا في أثناء مأدُبة بمركز المدينة، ثم نشر مقالة عن الزيارة في مجلَّة (*El- Hidaje*) [بالعربية: **الهداية**]؛ الذراع الرسمية لجمعيته[٩٨]. وفي مشاوراتٍ عُقِدت مع مسئولي السفارة الألمانية في سراييڤو في



الشكل (٥-١١): محمَّد پانچا (١٨٩٧-١٩٦٢)، (دار محفوظـات المتحـف التاريخي الكرواتي، زغرب).

منتصف إبريل/ نيسان لعام ١٩٤٣ حثَّ الخانجي الألمان على تدخل أوسع[٩٩]، وأنحى بلائمة معاناة المسلمين ومقتلهم على عاتق نظام الأوستاشا، فقد انتهَج النظام الكرواتي السياسة نفسها التي انتهَجها الصِّرب في مملكة يوغوسلاڤيا تجاه المسلمين، أي سياسة الإبادة. وأبلغ الألمانَ أن المسلمين في حكومة پاڤيليتش لا يمثلون الناس تمثيلًا حقيقيًّا، بل باعوا أنفسهم. وعلى الرغم من ترحيبه بتشكيل فرقة وحدات الحماية المسلمة، أكد أن ذلك ليس كافيًا، وأن الحل الوحيد هو دولة إسلامية مستقلَّة تحت حماية هتلر، ووصل الأمر إلى أن اقترح الخانجي خُطَّة توطين دينية لإنشاء مناطق إسلامية خالصة. فالسكان المسلمون تأثروا غاية التأثر بمجابهة الألمان لأعداء الإسلام، كما أن زيارة المفتي أرسلت الإشارات الصحيحة. وشدَّد

الخانجي للألمان على أنه لا شكَّ في أن المسلمين هم الحلفاء الطبيعيون للرايخ الثالث. لقد كان الخانجي يعلم جيدًا ما الذي يريد الألمان سماعه، ودفعَ خُطَّته الخاصة التي كان أبرز ما تضمنته تعزيز دفاع المسلمين عن أنفسهم وتأسيس الاستقلال الواقعي، ثمَّ القانوني، إن أمكن، عن نظام الأوستاشا، وقد فعل ذلك من خلال منحهم انطباعًا بأن دعايتهم الدينية هطلت على أرض خصبة.

لم يكن الخانجي العضو الوحيد من بين العلماء الذي سعى إلى تحالف أوثق مع الألمان؛ إذ سار على خطٍّ مشابه العضو المحترَم إلى حدٍّ كبير في **مجلس العلماء** علي أغانوڤيتش (Ali Aganović)، الذي عقد مشاورات عدَّة مع المسئولين الألمان[١٠٠]، وعلى الرغم من أنه ظل ينافح علنًا عن نظام الأوستاشا حتى النهاية، لكنه سرعان ما فقد إيمانه بپاڤيليتش، وبدأ يضغط على الألمان؛ حضًّا لهم على تدخل أقوى في البلقان المسلمة[١٠١]. وفي اجتماع انعقد في ربيع عام ١٩٤٣، أكد أغانوڤيتش لمسئولي البعثة الألمانية في زغرب على أن الاستقلال الديني الإسلامي لن يتحقق إلَّا من خلال الاستقلال السياسي[١٠٢]، وناقش كذلك سياسات الوحدة الإسلامية وإعادة تأسيس الخلافة التي آمن بأنه يجب منحها لمفتي القدس، مشددًا على أهمية مسلمي البلقان في إطار العالم الإسلامي الأوسع. لكن هذه الفكرة لم تكن جديدة؛ إذ تنبَّهت الاستخبارات البريطانية، في أواخر عام ١٩٤٢، إلى أن الصحافة الإسلامية في كرواتيا تتداول فكرة إعادة تأسيس الخلافة تحت قيادة الحسيني[١٠٣]. وفي حين سعى الخانجي وأغانوڤيتش إلى التحالف مع الرايخ الثالث من وراء الأبواب المغلقة، استعلن علماءُ آخرون بخدمتهم للسُّلطات الألمانية.

كان أهم المتعاونين من **مجلس العلماء** هو محمَّد پانچا (Muhamed Pandža)، إحدى الشخصيات الدينية البارزة وعضو جمعية الهداية[١٠٤]. ظل پانچا، سليل إحدى عائلات الزعامات الدينية البارزة في سراييڤو، والذي تلقى علومه في أرفع المؤسسات الإسلامية في البلاد، محافظًا على مسافة معينة من نظام الأوستاشا، وأصبح يطالب بعد ذلك علنًا بتحقيق الحكم الذاتي للمسلمين تحت الحماية الألمانية. وقد جعل منه توجهه الداعم للألمان بقوة متعاونًا نموذجيًّا مع القوات

المسلَّحة ووحدات الحماية التي وظَّفته مرةً من أجل تجنيد المتطوعين المسلمين، وهي المهمة التي استخدم فيها جماع سلطته الدينية كما سنبيِّن في القسم الأخير من الكتاب، وإلى جانب التعبئة العسكرية، سيستخدم الألمان پانچا وسيطًا لدعم جهودهم في إحلال السلام في المناطق الإسلامية.

وفي هذا الصدد، لعبت منظمة المرحمة ذات الطابع الاجتماعي الديني، والمعروفة أيضًا بـ **جمعية المرحمة الإسلامية الخيرية** (*Muslimansko Dobrotvorno Društvo Merhamet*) التي رأسها پانچا في سراييڤو، دورًا مهمًّا[١٠٥]؛ كانت جمعية المرحمة رافدًا أساسيًا للإغاثة الإنسانية في سنوات الحرب، وكانت تقوم على مطابخ حساء ودور أيتام ومعسكرات لاجئين، وقد انغمست في السياسة تدريجيًا. غدت جمعية المرحمة شريكًا قيِّمًا بالنسبة للألمان، الذين اعتقدوا أنه من المهم الحفاظ على علاقات جيدة معها؛ فعلى سبيل المثال، عندما طالبت جمعية المرحمة باسترجاع يتيم مسلم تحوَّل إلى الكاثوليكية بعد أن تبنَّته عائلة كاثوليكية ألمانية وأُحضر إلى ألمانيا، تدخلت السُّلطات النازية فورًا وأعادت الطفل وسلَّمته لعائلة مسلمة في سراييڤو[١٠٦]. وعلى الأرض، سرعان ما عدَّ ضباط الجيش المرحمة أبرز كيان يمثل المسلمين في البوسنة والهرسك؛ فقد تفاوضت المنظمة مرارًا حول إمدادات الغذاء مع حاكم المنطقة من الشرطة الألمانية في سراييڤو، القائد الأعلى في وحدات الحماية (*SS- Oberführer*) ڤيرنر فروم (Werner Fromm)[١٠٧]. وعندما أطلقت برلين صندوق إغاثة في أوائل عام ١٩٤٤ (سنتعرض له فيما يلي)، اقترح برغر أن تقوم المرحمة بتوزيع ملابس على المشرَّدين من المسلمين[١٠٨]، فأجاز هملر لها الإشراف على ذلك لمجرد ابتهاجه باستغلال الهياكل الإسلامية المحلية[١٠٩].

رأت وحدات الحماية في جمعية المرحمة شريكًا قويًّا، لكنها لم تكن تحت سيطرة الألمان بالكامل، ويُحتمَل أنها قد سعت لتحقيق مصالحها الخاصة؛ ففي سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٤٣، هدَّد محمَّد توكيتش (Mehmed Tokić)، الأمين الثاني للمنظمة الذي كان في الواقع عميلًا متخفيًّا لصالح وحدات الحماية، الألمان

َبتمرد مفتوح ضد الدولة الكرواتية(١١٠)، وأوضح أن المسلمين يزدرون نظام الأوستاشا ويسعون للعيش في محمية ألمانية كما كانت الحال في عهد الإمبراطورية النمساوية-المجرية. وحاول برغر نزع فتيل الموقف، رافضًا أية تهديدات ترفعها «القيادة الإسلامية»، ومحذِّرًا من أن أية انتفاضات عنيفة كتلك ستجعل وضع المسلمين أسوأ من ذي قبل(١١١). لكن سرعان ما خاب أمل قادة المرحمة في الألمان. وفي النهاية، فقد محمَّد پانچا الأمل في الرايخ الثالث؛ فارتحل إلى الغابات وأسَّس **حركة التحرير الإسلامية** (*Muslimanski Oslobodilački Pokret*)، ودعا للدفاع المسلَّح عن النفس والاستقلال الإسلامي(١١٢)، وأعلن پانچا، في منشور دعائي خاطَب فيه «الإخوة المسلمين!»، الحربَ على الأوستاشا والتشيتنيك(١١٣)، وأعلن أن «كل ما نبغي هو صالح الأمة الإسلامية وصالح شعبنا»، وزعم، من خلال خطابه الديني المعتاد، أن «المسلمين» عليهم أن يقاتلوا «معتمدين على إيمانهم بالله وعونه، بشجاعة وبسالة» في سبيل البقاء. وعلى الرغم من قلق بعض دوائر وحدات الحماية في برلين، أكَّد كرمپلر الذي تعامل مرارًا مع پانچا على الأرض، على أن ذاك الأخير ما زال مؤيدًا للألمان(١١٤). وقد عزا هتلر، وكان يثق في المسلمين ثقة راسخة، انشقاق پانچا إلى فكرة أن المسلمين يحتاجون إلى حماية أنفسهم(١١٥). لكن پانچا الذي تواصل لاحقًا مع پارتيزان تيتو في شرق البوسنة، أسرته القوات الألمانية في نهاية المطاف وسلَّمته لسُلطات الأوستاشا. ولم يكن الرجل الزعيم الإسلامي الوحيد الذي خاب أمله.

عنفٌ وآمال محطَّمة

تناقضت الوعود التي قدَّمها الألمان للمسلمين، والتي فرضتها عليهم حماستهم للظهور بمظهر حُماة الإسلام، تناقضًا شديدًا مع وقائع الحرب؛ فعلى الأرض، لم يتمكنوا ببساطة من إحلال السلام في المناطق الإسلامية. وغذَّى التعاون بين الزعامات المسلمة وبينهم ضغينة الپارتيزان والتشيتنيك تجاه المسلمين. وعلى الرغم من تعهُّد الألمان بأن يكون الهدف الأوحد للفرقة الإسلامية هو حماية المناطق الإسلامية في البوسنة والهرسك وإحلال السلام فيها، أرسلها هملر

للتدريب في فرنسا ثم في ألمانيا؛ فأصبح المسلمون بلا حماية هدفًا للهجمات الانتقامية؛ إذ أطلق پارتيزان تيتو في خريف عام ١٩٤٣ هجومًا كبيرًا في البوسنة، قُتل فيه الآلاف، وسرعان ما فرَّ عشرات الآلاف (الشكل ٥-١٢)، واستهدف الپارتيزان أقاربَ المتطوعين المسلمين بالأخص، ونقل أحد تقارير وحدات الحماية الميدانية أن اللاجئين المسلمين تجمَّعوا بالمئات في المستودَعات والحظائر والزرائب والأقبية[١١٦]، وكان العديد منهم لا يملكون ملابس ملائمة، وعانوا من سوء التغذية. كانت هذه الحوادث محطَّ أنظار العالم الإسلامي كله؛ إذ تناولت الصحافة المصرية الوضع، وتبرع النحاس باشا بعشرين ألف جنيه للاجئين[١١٧]. وفي الحادي عشر من يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٤٤، كتب ممثِّل وحدات الحماية في كرواتيا قسطنطين كامرهوفر متوجِّسًا لا من الوضع المحلي فحسب، بل من آثار ذلك على العالم الإسلامي الأوسع:

«أمسى ما يقرب من مئتين وثلاثين ألف شخص، منهم مئتان وعشرة آلاف من البوسنة، لاجئين نتيجة اصطراع الپارتيزان في كرواتيا. إن حالة هؤلاء أكثر بؤسًا مما يمكن تخيله، ولا يمكن لأي كان أن يصف المآسي التي تحلُّ بهم حاليًا ... إن غالبية اللاجئين من المسلمين ... وبسبب فرقة وحدات الحماية الثالثة عشر من متطوعي الجبال من البوسنة والهرسك، ومسألة العالم الإسلامي، يجب أن تنظر مرةً أخرى، سيادة القائد الأعلى (*Reichsführer*) [يعني هملر]، في أن تدعو لدعم استثنائي لتوفير الإغاثة التي يحتاجها هؤلاء اللاجئون»[١١٨].

اقتنع هملر، وجمعت وحدات الحماية أموالًا لمسلمي البوسنة، بمناسبة الاحتفال بالعيد في خريف عام ١٩٤٣، وبعدها بقليل أمر هملر بإقامة حملة تبرعات إغاثية ثانية[١١٩]، وجُمع في الحملة الثانية وحدها أكثر من مئة وعشرين ألف مارك ألماني[١٢٠]، وسيضيف هملر مئة ألف أخرى من أمواله الخاصة[١٢١]. وكتب برغر في تقرير في يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٤٤ أنه قد جُمع مئتان وخمسة وعشرون ألف مارك ألماني[١٢٢]. أُنفقت الأموال في الأساس في توفير الملابس التي وُزِّعت



(الشكل ٥-١٢): مسلمات يعدن إلى قريتهن المدمَّرة
في جبال البوسنة في عام ١٩٤٣ (Ullstein).

بعد ذلك[١٢٣]. لكن هذه المشروعات ظلت نقطةً في بحر؛ فسياسات وحدات الحماية تجاه المسلمين كانت مجرد ترضية، في حين تركتهم بلا حماية عسكرية.

وأخيرًا، أعادت وحدات الحماية فرقة الخنجر إلى البلقان في فبراير/ شباط من عام ١٩٤٤، فتحسَّن وضع المسلمين، على الأقل في بعض المناطق لفترة قصيرة، وردَّ المسلمون بالأمل والشكر؛ فنقل كرمپلر -على سبيل المثال- في العشرين من إبريل/ نيسان من عام ١٩٤٤ أن مدن السنجق كلها كانت تدعو لهتلر[١٢٤]. وأرسل وفدٌ إسلامي من هناك رسالة احترام تلغرافية لهتلر:

«إن مسلمي السنجق، المشاركين كتفًا بكتف الجنود الألمان الشجعان في المعركة ضد اللصوص، يحتفلون بعيد مولدكم ويبتهلون إلى الله القدير بإخلاص أن يُنعم عليكم بحياة مديدة وسعادة عميمة، واثقين ثقةً لا تهتز في انتصار الشعب الألماني وتحرُّرنا نحن المسلمين»[١٢٥].

شكر هتلر المسلمين، وأعلمهم أنه «ابتهج غاية الابتهاج» بالخطاب[١٢٦]. وتلا ذلك بيانات ولاء مشابهة، ففي يوليو/ تموز من عام ١٩٤٤، أرسل مسلمون من السنجق تسجيلًا على الغرامافون لدعاء شكر ومدح لهتلر بالعربية[١٢٧]، ومن برلين، أرسل ردولف برانت التسجيل إلى قسم الدعاية في وحدات الحماية لتستعمله الوحدات أو وزارة الدعاية بقيادة غوبلز[١٢٨].

في ربيع عام ١٩٤٤، أصبح شمال البوسنة وشرقها واقعَين عمليًّا تحت سيطرة وحدات الحماية وفرقة هملر الإسلامية (الشكل ٥-١٣). وتقدِّم القائمة سيئة السُّمعة المسمَّاة: «توجيهات وحدات الحماية لضمان السِّلم العام في البوسنة» *(Richtlinien für die Sicherung des Landfriedens in Bosnien)* فكرةً جيدة عن نظام الاحتلال المخطَّط له في المنطقة، وعن توظيف الدين في دعمه[١٢٩]؛ إذ كان على ضباط الوحدات تعيين زعامات دينية محلية في المدن والقرى ليكونوا وسطاء بين الناس والألمان، وفي كل جمعة، كان على هؤلاء الممثلين قراءة شعارات وحدات الحماية أسبوعيًّا. وحدَّدت الوحدات أن المدارس يجب أن توضع تحت إدارة محليين موثوق فيهم، كـ «المدرِّسين والأئمة وخاصةً النساء المؤهلات»، لكن «لا مثقفين». والأهم من ذلك أن مخطَّط وحدات الحماية كان يتصور إعادة توطينٍ دينية ضخمة بغية بناء مدن وقرى إسلامية متجانسة. وقُرِّر أن «الغاية في جميع الظروف هي خلق سكَّان يعتنقون الدين نفسه وسط الجماعات الموجودة في البلاد». وفوق ذلك، دعت توجيهات وحدات الحماية إلى حرب استئصال ضد الپارتيزان والجماعات المعادية الأخرى، بالإضافة إلى سيطرة قاسية على السكان المدنيين، وأوضحت التوجيهات أن «المطلوب هو إبادة العدو»، وحثَّت القادة بشكل خاص على أن يكونوا «غلاظ الأكباد». وقد اعترف غوبلز في يومياته أن هملر «أوقف الإرهاب الموجَّه ضد السكان المحمَّديين»[١٣٠]. لكن في النهاية، كانت فترة حكم وحدات الحماية في المنطقة قصيرة الأجل، ولم تكن البيروقراطية العسكرية الألمانية على القدر الكافي من التنظيم لتضع هذه المخططات موضع التنفيذ بشكل كامل، لكن جنود الفرقة الإسلامية ساءت سمعتهم بسبب قسوتهم ونشرهم للخوف والرعب.



(الشكل ٥-١٣): المدرعات الألمانية في قرية بوسنوية مسلمة في عام ١٩٤٤ (Ullstein).

توافقت عمليات تهجير السكان التي تصوَّرتها وحدات الحماية -إلى حدٍّ ما- مع مطالب بعض الإسلاميين الاستقلاليين، لكن على الرغم من أن هملر تلاعب داخليًا بفكرة إنشاء محمية عسكرية مستقبلية أو **تُخوم عسكري** (*Wehrgrenze*) كذلك الذي كان في عهد الهابسبورغ، لم تكن وحدات الحماية في ذلك الوقت في موقف يمكِّنها من تحقيق آمال الإسلاميين الاستقلاليين في البوسنة والهرسك[١٣١]. وبالمثل، عندما طلب بدر بياني (Bedri Pejani)، أحد أبرز الساسة الألبان المسلمين، مساعدة مفتي القدس في الشهور الأخيرة من الحرب في تأسيس دولة إسلامية في البلقان، تجمع كوسوڤا بعد تطهيرها من الصِّرب الأرثوذكس مع السنجق والبوسنة والهرسك وألبانيا؛ سرعان ما أحبط الألمان هذه المطامح[١٣٢]؛ فقد كان الاستقلال الإسلامي الفوري، الذي سعى إلى تحقيقه العديد من الزعماء المسلمين، أمرًا مستبعَدًا.

ومع تردِّي الوضع العسكري الألماني، فقد العديد من المسلمين الأمل في انتصار المحور؛ ففي يوليو/ تموز من عام ١٩٤٤، وصف تقرير للقوات المسلَّحة موقف المسلمين من الألمان بأنه غير متسق، وهي الحقيقة التي ستجعلهم الآن «غير مأموني الجانب على أيِّ وجه كان»[١٣٣]. وفي الشهور الأخيرة من الحرب، توقف الكثيرون عن طلب المساعدة الألمانية وسعَوا للبحث عن بدائل أخرى، فنمت جماعات إسلامية للدفاع عن النفس، كحركة التحرير الإسلامية التي أسسها پانچا[١٣٤]. وأشار تقرير عسكري ألماني في يونيو/ حزيران من عام ١٩٤٤ إلى أن العديد من الشباب المسلم نظَّموا أنفسهم في وحدات محلية شبه عسكرية[١٣٥]، وبالفعل، جذبت الفصائل المقاتلة العديد من الرجال المسلمين، وكان من أهمها جماعة **الكوادر الخضراء** (*Zeleni Kader*)[أ] التي كانت تحت قيادة أمير الحرب الداعم للألمان نشاد توپتشيش (Nešad Topčić). لم يقتصر نشاط الكوادر، المدعومة من قادة دينيين مثل محمَّد الخانجي، على حماية القرى المسلمة، بل ارتكبوا فظائع

(أ) قوة شبه عسكرية قومية بوسنوية، تشكَّلت في أوائل ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩٤١ ردَّ فعل على مذبحة ارتُكبت بحق رجال ونساء بوشناق على يد الصِّرب التشيتنيك. (المترجم)

بحقِّ السكان الأرثوذكس. ولا عجب في أن محاولات تجنيد المسلمين في صفوف التشيتنيك لـم تَلـقَ نجاحًا كبيرًا[١٣٦]. وفي المقابل، بـدا أن پارتيزان تيتو بديلٌ صالح للألمـان والفصائـل الإسـلامية المقاتلـة معًـا؛ فمع تـردِّي الأوضاع في شتاء عامي ١٩٤٣ و١٩٤٤، ازداد عـدد المسـلمين المنضميـن إلـى صفوف الپارتيزان، وأشـار هورستناو إلى أن «مسلمي البوسنة، الذين رحَّبوا بنا بالأمس بحماس كبير، قد قلبوا لنا ظهر المِجَن، واتجهوا زرَّافات إلى الپارتيزان»[١٣٧]. وفي خطاب لرفاقه، قال قائد الپارتيـزان ومنظِّرهـا، ميلوڤـان چيـلاس (Milovan Đilas)، إنَّ «مجرمي الأوستاشـا دفعوا بعدد كبير من المسلمين إلى مسلخة لحساب الألمان وإلى حرب أهلية دموية. وارتكـب التشـيتنيك، تحـت قيـادة دراچـا ميهايلوڤيتـش، جرائـم لا يُعـرف حجـم ضحاياها في حقِّ السكان المسلمين ... وقد اتضح للمسلمين أنه لا سبيل لإنقاذهم مـن الفنـاء سـوى المشـاركة في نضـال التحـرر الشـعبي»[١٣٨]. تأسَّسـت أول وحدة پارتيزان مسلمة مبكرًا في صيف عام ١٩٤١، وردَّد الماريشال تيتو پروپاغندا الحرب الدينيـة السـوڤييتية التـي صوَّرت الشيوعية علـى أنها الأمـل الوحيد للإسـلام؛ فقد صُـوِّرت الدولة السـتالينية في منشـور **المسـلمون فـي الاتحاد السـوڤييتي: الدين في الاتحـاد السـوڤييتي** (*Muslimani u Sovjetskom Savezu: Religija u Sovjetskom Savezu*)، الـذي وزَّعـه دعائيـو الپارتيـزان فـي خريـف عـام ١٩٤٤، علـى أنهـا جنَّة المؤمنين[١٣٩].

تعامل الألمان مع المشكوك في خيانتهم من المسلمين بقسوة شديدة[١٤٠]، فقد أعدَمت القوات الألمانية نسـاءً وأطفالًا مسـلمين، وذلك في إطار عمليات انتقامية ضـد قـرى المسـلمين وتجمعاتهم التي اتُّهِـم أهلها بإيواء الپارتيـزان، كما هوجمت المسـاجد. وفي أواخر عام ١٩٤٤، اقتحم الألمان مبنى جمعية الهداية في سراييڤو للبحـث عـن أدلة تـورُّط عدد من أعضاء منظمة الشـبان المسـلمين فـي التعاون مع العـدو. وعلـى الرغـم مـن كل الجهـود الرسـمية للترويـج لألمانيا بوصفهـا حامية الإسـلام فـي البلقان، إلَّا أن الجنـود العاديين على الأرض كانـوا غالبًا لا يحترمون المسـلمين ولا دينهـم؛ فعلى سـبيل المثـال، عندما دخل الجنـدي الألماني إيغبرت

كورباخر (Egbert Korbacher) إلى مدينة نيش (Niš) في صربيا، تهكَّم قائلًا: «هنا في نيش، يبدأ الشرق. لا مبالغة في ذلك، لأن الدليل الدامغ على ذلك هو أن القذارة سِمتها الأساسية، بل حتى أنَّها ليست في حاجة إلى المساجد والمآذن»، وكتب أن الألبان ليسوا «أغبياء، وأن أظهر دليل على ذلك هو أنه لا أثر لليهود هنا»[١٤١].

وسرعان ما عصَفت إبادةُ اليهود والغجر في البلقان بالجماعة المسلمة؛ ففي الأشهر التي تلَت سقوط يوغوسلاڤيا، حاول العديد من اليهود الإفلات من الاضطهاد عبر التحول إلى الإسلام[١٤٢]، وفي سراييڤو وحدها، لم يكن عدد المتحولين إلى الإسلام أو الكاثوليكية، في الفترة بين إبريل/ نيسان وأكتوبر/ تشرين الأول من عام ١٩٤١، يقل عن عشرين بالمئة من السكان اليهود، وسرعان ما تدخلت سُلطات الأوستاشا لمَّا تنبَّهت، ومنعت هذا التحول في خريف عام ١٩٤١. وكذلك لم يأمن هؤلاء المتحولون الاضطهاد؛ لأن العِرق لا الدين هو ما يحدِّد اليهودية في منظور مسئولي الأوستاشا. وحتى رئيس **العلماء** فهيم سپاهو دعم هذا التوجه الرسمي وأعلن، في أواخر عام ١٩٤١، أن هذا التحول لا أثر له على العِرق، وأن اليهود المتحولين إلى الإسلام سيظلون يهودًا من المنظور العِرقي. ومن ناحية أخرى، بذل سپاهو جهودًا كبيرة في مساعدة اليهود المتحوِّلين إلى الإسلام، وحثَّ سُلطات الأوستاشا على حمايتهم، وحضَّ العلماء على إيوائهم. وتمكن بعض اليهود من الفرار متخفِّين في هيئة مسلمين، وكان بعضهم يتقنَّع بالحجاب الإسلامي حرفيًّا[١٤٣]. ولا يمكن تعميم موقف المسلمين من اضطهاد اليهود (غير المتحولين)؛ إذ تراوح هذا الموقف، في كل مكان، بين التعاون والتربح والتعاطف، وفي بعض الحالات التضامن مع الضحايا؛ فبُعَيد سقوط سراييڤو، لحظَ فيدريوتِّي أن «عشرات المحمَّديين» فكَّكوا النحاس الذي قُدَّ منه سقف الكنيس السفاردي الكبير ليبيعوه في السوق[١٤٤]، واستولت جمعية المرحمة على مصنع نسيج كبير كان قد صودر من مالكه اليهودي، وسرعان ما أصبح مورِّدًا أساسيًّا للجيش الألماني[١٤٥]. لكن البعض الآخر قدَّم المساعدة، وكان منهم درويش كوركوت (Derviš Korkut)، المدير

المسلم لمتحف المدينة، والذي لم يكتفِ بإخفاء هاغَّاداه (Haggadah)[أ] سرايفو الأسطورية -وهو كتاب مصوَّر بشكل جميل من القرن الرابع عشر- عن المسئولين الألمان الذين سعوا لمصادرتها، بل آوى كذلك يهودية شابة استطاعت الفرار بعد ذلك إلى الپارتيزان[١٤٦]. وكذلك تستَّر رجل الأعمال المسلم مصطفى خاردغا (Mustafa Hardaga) على عائلة يهودية كاملة، كما شاع عن المسلمين الألبان إنقاذ العديد من مواطنيهم اليهود[١٤٧]، ومع ذلك، ظل الألمان واثقين من جانبهم في أن دعاياتهم الدينية المناهِضة لليهود في المناطق الإسلامية قد هطلت على أرض خصبة.

وأخيرًا، تأثر مسلمو البلقان تأثرًا خاصًّا باضطهاد الغجر؛ نظرًا لأن الكثير منهم كان مسلمًا؛ إذ إن سُلطات الأوستاشا، في خضمِّ حماستها لدمج المسلمين في الدولة الكرواتية، استثنت العددَ الضخم من الغجر المسلمين في البوسنة والهرسك، أي الغجر البيض، من الاضطهاد والترحيل[١٤٨]؛ وقد أدَّت هذه الحماية للغجر البيض إلى موجة تحول من الغجر الكاثوليك إلى الإسلام، وهو ما أدَّى بوزارة الداخلية في زغرب في النهاية إلى حظر هذا التحول، كما في حالة المتحولين اليهود. وطَوال الحرب، أعرب مجلس العلماء عن قلقه على أمن الغجر المسلمين، وتشكَّى مرارًا للسُّلطات في زغرب حول اعتقالات الغجر البيض، بل إن حكومة الأوستاشا تدخلت، بتوصية من فهيم سپاهو، لصالح الغجر المسلمين في صربيا الخاضعة للاحتلال الألماني، وحثَّت المسئولين الألمان على عدم اضطهادهم[١٤٩]. وكذلك في مقدونيا وألبانيا، حيث كانت غالبية الغجر من المسلمين، وفَّرَت لهم هويتهم الدينية بعض الحماية، رغم أنه من الجدير بالذكر أن سُلطات الاحتلال البلغارية لم تكُن تُكِنُّ احترامًا كبيرًا للإسلام بشكل عام[١٥٠]؛ فعلى عكس المسئولين الكروات والألمان، لم تحاول الإدارة العسكرية البلغارية حتى التقرب من المسلمين[١٥١]، فبُعَيد احتلال سكوپيه (Skopje)، استولت السُّلطات البلغارية على المبنى الذي ضمَّ

(أ) الهاغَّاداه هو أحد أهم النصوص في التراث اليهودي. في بداية عيد الفصح، يجتمع اليهود في مختلف أنحاء العالم حول الموائد لقراءة أسطورة الهاغَّاداه، وهو كتاب يحتوي على نصوص تقليدية من سفر الخروج من مصر. (المترجم)

الإدارة الدينيـة الإسـلامية وإحـدى المدارس، وصـادرت إيـرادات الوقف، وتركت عمـال الإدارة الدينيـة بـلا رواتـب. وكان المسـلمون الذيـن يعتمـرون الطرابيـش والمسلمات المحجَّبات عُرضة للتحرش. لكن فهيم سپاهو تدخل في النهاية؛ إذ لمَّا كانـت سـكوپيه تحوي مركـزًا إداريًّا دينيًّا فـي عهد مملكة يوغوسـلاڤيا، وكان رئيس العلماء في سـراييڤو يرأس مركزين دينيين، في سـراييڤو وسـكوپيه؛ استشـعر سـپاهو مسئوليته عن مسلمي مقدونيا، وطالب مسئولي الأوستاشا بإبلاغ الألمان بما يحدث، وبالفعـل، تواصلت وزارة الخارجية الكرواتية مع البعثة الألمانية في زغرب لتطالبها بالتدخل لدى صوفيا (Sofia) لصالح مسلمي سكوپيه، لكن لا نعلم مدى تأثير ذلك. وفي المجمل، كشف اضطهاد الغجر المسلمين واليهود المتحولين إلى الإسلام عن مدى نفوذ الإدارة الإسلامية تحت حكم المحور وحدوده.

وبعد الحرب، وُصم المسلمون على نطاق واسع في البلقان بالعمالة، ومع ذلك، أحجـم النظـام الشـيوعي اليوغوسـلاڤي، فـي البدايـة، عـن الهجـوم المباشـر علـى الإسـلام[١٥٢]. وأُنزلت عقوبة الإعدام بأشـهر العملاء المسـلمين فحسب، كعصمت المفتـي، مفتـي پاڤيليتـش فـي زغرب، في حيـن بقي آخـرون في مناصبهـم، كصالح باشـيتش، وصدرت أحكام سـجن مؤبَّدة بحقِّ محمَّد پانچا وعلي أغانوڤيتش (وكان محمَّد الخانجي قد توفي في عام ١٩٤٤)، وأُغلق الجامع الكبير ونُسفت مآذنه. لكن بعـد رسـوخ سُـلطتهم، انخـرط الحـكام الجُـدُد في حملـة قمعيـة أشـدَّ صرامة على الإسـلام، وصلت إلى ذروتها في حملة نزع الحجاب الأسـطورية التي تولَّت كِبرها الجبهـة النسـائية المناهِضـة للفاشـية، والموالية لتيتـو. وفي جمهورية ألبانيا الشـعبية الجديـدة، شـنَّ أنـور خوجـه (Enver Hoxha) حملـة أشـدَّ ضراوة على المؤسسـات الدينيـة، ضارعـت حملـة الإرهـاب السـتاليني ضـد الأديـان فـي سـنوات مـا بيـن الحربين[١٥٣]. أما الفصائل المقاتلة التابعة للعُصبة الوطنية الجمهورية القومية، تحت قيادة ناپليون زيرڤاس (Napoleon Zervas)، فقد استهدَفت ألبانَ التشام المسلمين من إقليـم إپيـروس بدعـوى خيانتهـم، وقتَّلـت العديـد منهم، ونهبـت العديد مـن قراهم وسـوَّتها بـالأرض، ثمَّ نفت من تبقى منهـم إلى ألبانيا[١٥٤]. وفي المجمل، اسـتَتبعت

محـاولات المحور التقرب إلى المسـلمين في أثنـاء الحرب، عمليات انتقام ضد من زُعمت عمالتهم، وسنوات من قمع الإسلام في جميع أنحاء جنوب شرق أوروبا.

القسم الثالث

المسلمون في الجيش

الفصل السادس
تعبئة المسلمين

في الحادي عشر من يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٤٤، ألقى هملر التحية على مجموعة من القادة العسكريين المسلمين البوشناق في ثُكنات معسكر **فوهررهايم الغربي** (*Führerheim Westlager*)، على أرضية ميادين التدريب في قرية نويهامر (Neuhammer) في سيليزيا (Silesia)، ثم قال: «ما الذي يَفرِقُ مسلمي أوروبا والعالم عنَّا نحن الألمان؟ لقد اتضح لي أن أهدافنا مشتركة، وما من أساس للتعاون أقوى من وجود الأهداف والمُثل المشتركة؛ فطيلة قرنين من الزمن، لم تتورط ألمانيا قطُّ في أدنى نزاع مع الإسلام»(١). وأعلن قائد الرايخ (*Reichsführer*) [أي: هملر] أن ألمانيا وقادتها كانوا أصدقاء للإسلام على مرِّ القرون الماضية، لا لأسباب براغماتية فحسب، بل عن قناعة، وقد أرسل الرب، «أو الله كما تقولون، إنه هو نفسه»، الفوهرر لتحرير أوروبا أولًا ثم العالم كله بعدها من اليهود، ثم حرَّض قائد وحدات الحماية على ما زعم أنهم أعداءٌ مشتركون، أي بين ألمانيا والإسلام، وهم: «البلاشفة وإنكلترا وأمريكا، الذين يتحكم فيهم اليهود دائمًا». كان المستَمِعون لهملر عشرات الآلاف من المجنَّدين الموزَّعين على وحدات القوات المسلَّحة ووحدات الحماية، وكان أكثر هؤلاء المسلمين قد قدِموا من أراضي الاتحاد السوفييتي، وإن كان العديد منهم قد جاءوا من البلقان، وعددٌ أقل من الشرق الأوسط. وقيل لهؤلاء المجنَّدين إنَّهم سيحرِّرون بلادهم من الحكم الأجنبي باسم الإسلام. وأصبحت هذه الحملة أحد أكبر حملات تعبئة المسلمين التي قامت عليها قوةٌ غير إسلامية في التاريخ، متجاوزة جهود جيش الدفاع الوطني الألماني، الرايشسفيهر (Reichswehr)، في الحرب العالمية الأولى.

كان توزيع الفرق الإسلامية جزءًا من تطور أعمٍّ لَحِق بسياسات التجنيد في الرايخ الثالث[٢]؛ ففي الفترة ما بين أواخر عام ١٩٤١ وحتى نهاية الحرب، جُنِّد في الجيوش الألمانية مئات الآلاف من المتطوعين غير الألمان من جميع أنحاء الأراضي المحتلَّة، ولم يكن هذا التجنيد نتاج خُطَّة طويلة الأمد، بل نتاج التحول العام تجاه تخطيط قصير الأمد وأكثر براغماتية، بدأ بعد الإخفاق الذي مُنيت به العملية بربروسا وإستراتيجية هتلر للحرب الخاطفة في أواخر عام ١٩٤١، واشتدَّت حدَّته بعد هزائم ستالينغراد والعَلَمين، وتوسُّع نطاق تمرد البارتيزان في جميع أنحاء القارَّة؛ فبعد العملية بربروسَّا، وفي خريف عام ١٩٤١، واجهت قيادة الجيش الألماني نقصًا كارثيًّا في القوى البشرية. وبنهاية نوفمبر/ تشرين الثاني، كان الألمان قد سجَّلوا سبعمئة وثلاثة وأربعين ألفًا ومئة واثني عشر (٧٤٣, ١١٢) رجلًا بين قتيل وجريح ومفقود في العمليات[٣]. كان ذلك يعني أن ربع الجيش الشرقي تقريبًا قد انهار. وبدا جليًّا أن الجنود الألمان لن يتمكنوا من تحقيق الانتصار في الحرب وحدهم.

شرعت القوات المسلَّحة في تجنيد أسرى الحرب والسكان المدنيين في المناطق المحتلَّة في الشرق في أواخر عام ١٩٤١[٤]؛ ففي صفوف ما سمِّي القوات الشرقية (*Osttruppen*) التابعة للفيرماخت، قاتل أذر وتركستانيون وقلميقيون وأوكران وجورجيون وأرمن وغيرهم الكثير. وكان العقل المدبِّر لهذا المشروع هو البراغماتي كلاوس فون شتاوفنبرغ (Claus von Stauffenberg). وفي أواخر عام ١٩٤٢، وُضعت القوات الجديدة تحت القيادة المركزية للجنرال هاينز هلمش (Heinz Hellmich) الذي عُيِّن قائدًا للقوات الشرقية (*General der Osttruppen*). وفي يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٤٤، عُدِّل اسم المنصب ليصبح **قائد الوحدات المتطوعة** (*General der Freiwilligenverbände*)، وحلَّ الجنرال إرنست أوغست كوسترنغ محلَّ هيلمش، وكان كوسترنغ قد شارك في التعبئة العسكرية في الشرق مشرفًا على القوات التركية بعد غزو الجيش الأحمر للقوقاز في أوائل عام ١٩٤٣. وسرعان ما نمت القوات الشرقية؛ ففي منتصف عام ١٩٤٣، كان أكثر من ثلاثمئة ألف مجنَّد يقاتلون في صفوفها[٥]، وتضاعف هذا العدد بعد عام واحد، وتشكَّلت الغالبية

العظمى للقوات الشرقية من الأقليات غير السلافية القاطنة في التُّخوم الجنوبية للإمبراطورية السوڤييتية (التركستان، وتتر الڤولغا، والقوقازيون الشماليون، والأذر، والجورجيون، والأرمن)، والتي انتظمت في أوائل عام ١٩٤٢ في هيئة ما سمي بالفيالق الشرقية الستة، وكانت غالبيتهم من المسلمين. وغير بعيد عن الفيالق الشرقية، قاتلت فرقةُ خيَّالة من القلميق، وعدّة تشكيلات أصغر، من بينها الإستونية واللتوانية واللاتڤية والفنلندية والأوكرانية والبيلّاروسية والقوزاق، تحت قيادة القوات الشرقية. وفي أواخر عام ١٩٤٤، وافق هتلر حتى على ضمِّ الروس لجيش التحرير الروسي بقيادة آندريه ڤلاسوف (Andrei Vlasov). وكذلك جرَّبت القوات المسلَّحة الألمانية التعامل مع تشكيلات تطوعية أصغر حجمًا من خارج الأقاليم الشرقية، كان أبرزها الوحدات العربية، وفيلق الڤيرماخت الهندي؛ «الهند الحرة» (Azad Hind) بقيادة شُبهاس تشاندرا بوس.

وكذلك كان تشكيل فرق وحدات حماية غير ألمانية نتيجة التطور غير المتوقع للحرب[٦]؛ ففي البداية، أسس هملر الفرق الألمانية الثلاثة في وحدات الحماية: فرقة **الحرس الشخصي لأدولف هتلر** (*Leibstandarte Adolf Hitler*) وفرقة **الرايخ** (*Das Reich*) وفرقة **رأس الموت** (*Totenkopf*)؛ بغية تأسيس جيش مستقل عن القوات المسلَّحة الألمانية، لكن وحدات الڤافن - إس إس الثلاثة هذه كانت أقلَّ حجمًا بما لا يقاس من القوات المسلَّحة، وبالتدريج تصاعدت صعوبة تجنيد الألمان؛ فبدأ هملر، منذ أواخر عام ١٩٤٠ فصاعدًا، في تجنيد الأوروبيين الشماليين والغربيين، انطلاقًا من النرويج والأراضي المنخفضة[أ]. وتسارعت جهود التعبئة تلك بعد ستالينغراد؛ فتأسَّست فرقة «الأمير إيوجين» (Prinz Eugen) من الرجال ذوي الأصل الألماني للمساعدة في قتال الپارتيزان في البلقان، ثم سرعان ما جُنِّد الرجال من لاتڤيا وإستونيا في وحدات الڤافن - إس إس، ثم تلاهم غيرهم، وقُرب نهاية الحرب، عندما رفع هتلر الحظر عن تشكيل وحدات حماية غير ألمانية، توسَّعت وحدات الڤافن - إس إس توسُّعًا مطَّردًا؛ وكان من بين هذه التشكيلات المتطوعة غير الألمانية

(أ) بلجيكا وهولندا ولوكسمبورغ. (المترجم)

وحدات حماية قِرمية وتركية وقوقازية في الشرق، ووحدات ألبانية وبوسنوية في البلقان، وكان العنصر الإسلامي مهيمنًا على الكثير منها، وفي النهاية، أصبح قرابة نصف مليون جندي من وحدات الڤافن - إس إس من خارج ألمانيا، وانتظموا في تسع عشرة فرقة من بين ما إجماليه ثمانٍ وثلاثون فرقة في الوحدات(٧).

كان أكثر المجنَّدين مدفوعين بدوافع مادية؛ فكان أحد أهم الحوافز بين أسرى الحرب هو أملهم في الحصول على أجر ومؤن أفضل، وأصبح القتال إلى جانب الألمان أفقًا جذَّابًا بالمقارنة مع البقاء في ظروف المعسكرات المروِّعة، وخاصةً بالنسبة لأسرى الجيش الأحمر(٨). وتمثَّل أمل بعض المجنَّدين الآخرين، من البلقان والقِرم على سبيل المثال، في حماية عائلاتهم وقراهم من البارتيزان واللصوص. وكذلك لعبت الأيديولوجيا والدوافع السياسية دورًا ما؛ فالقومية والكراهية الدينية والعداء للبلشفية دفع الكثيرين إلى الانضمام لصفوف الألمان، واعتقد المتطوعون أنهم يدعمون الحرب ضد البلشفية أو الإمبريالية البريطانية أو أنهم يحاربون في سبيل تحرير بلدانهم من الحكم الأجنبي تحتَ لواء الصليب المعقوف. من جانبهم، فعل الألمان كل ما في وسعهم للتأكيد على الدوافع الأيديولوجية الكامنة لدى معاونيهم الأجانب دعائيًّا.

كان الغرض الأول من هذه الوحدات غير الألمانية حفظ الدم الألماني، وتعويض خسائر القوة البشرية في الجيوش الألمانية، لكن قادة القوات المسلَّحة ووحدات الحماية رأوا كذلك قيمة دعائية لهذه الوحدات غير الألمانية، وأمَّلوا في أن تؤثر على الروح المعنوية لجيوش الأعداء وخطوطها الخلفية. وفي هذا السياق، كان لتجنيد المسلمين تعلُّق خاص؛ إذ غدا جزءًا من التفاعل الألماني العام مع الإسلام، وبمجرد نشر هذه الوحدات في الميدان، دعا المسئولون الألمان لفكرة أنها جانبٌ من حملة أوسع للتعبئة الإسلامية، وهو عين ما ذكره هملر في خطابه في سيليزيا.

المسلمون في القوات المسلحة الألمانية

ارتاب هتلر -بشكل عام- في تجنيد غير الألمان، وبالأخصِّ متطوعو الاتحاد السوڤييتي، وفيما كان يصل إلى ذروة عدم ارتياحه حينما يتعلَّق الأمر بتجنيد السلاف

الروس والأوكران والبيلّاروس، رأى أن المسلمين فقط هم الجنود الجديرون بالثقة ودعَم تجنيدهم بغير شروط. وفي الثاني عشر من ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤٢ في وكر الذئب (Wolf's Lair)، مقر هتلر العسكري، وفي أثناء النقاش حول المتطوعين الشرقيين من غير الروس، حثَّ هتلر قيادة الجيش على اتخاذ أقصى قدر من الحَيطة في تنظيم التشكيلات القوقازية في الڤيرماخت، الذي عدَّه خطرًا عامًّا، وقال: «لا أعلم حقًّا، لكن يجب أن أقول إن الجورجيين ليسوا محمَّديين ... وحتى الآن، أعتقد أن تشكيل كتائب خالصة من القوقازيين فحسب أمرٌ خطير، في حين أنني لا أرى خطرًا في تشكيل وحدات محمَّدية خالصة ... ورغم كل الإيضاحات، سواءً تلك التي صدرت من روزنبرغ أو من الجانب العسكري، فأنا لا أثق أيضًا في الأرمن ... والمحمَّديون الخُلَّص فقط هم من أعتقد أنه يمكن الاعتماد عليهم»[٩]. وضع هتلر، بكل وضوح، المسلمين لا فوق الأرمن فحسب، بل فوق الجورجيين المدعومين من روزنبرغ كذلك، وأعلن قائلًا: «لا آمنُ أحدًا إلَّا المحمَّديين»[١٠]. لقد كانت أسباب ثقة هتلر غير المشروطة في المسلمين متنوعة؛ فإن نحن غضضنا الطرف عن تصوراته الأيديولوجية الإيجابية للإسلام، فقد يكون لتجاربه في الحرب العالمية الأولى أثر عليه، وكذلك قد يكون تعاون المسلمين في شمال القوقاز وتتر القِرم قد أثار إعجابه.

وكانت قيادة القوات المسلَّحة تشارك هتلر الرأي نفسه حول مسلمي الشرق؛ فلم يقتصر مسوِّغ تجنيد المسلمين على الإشارة إلى نقص القوة البشرية في الجيش وإلى القيمة الدعائية لهذه الوحدات فحسب، بل إلى الدين أيضًا؛ استنادًا إلى فرضية أن الإسلام سيعزز خصائصهم القتالية، وقد عبَّرت العديد من الأوامر والتوجيهات العسكرية الصادرة عن القوات المسلَّحة عن هذه الدوافع الثلاثة: نقص القوة البشرية، والخصائص القتالية المزعومة لدى المسلمين، والأثر الدعائي لتجنيدهم. ففي توجيهٍ صدر للجنود الألمان عن المتعاونين المسلمين في القوات المسلَّحة، قالت القيادة العليا لمجموعة الجيوش الجنوبية في صيف عام ١٩٤٢ إنَّ «الغرض من استخدام الفيالق المسلَّحة ليس مجرد حفظ الدم الألماني، بل استغلالها أيضًا

بوصفها سلاحًا سياسيًا لتقليص قدرة العدو على المقاومة وتقويضها»[١١]. وكذلك، جرى تفسير التجنيد من خلال الإشارة إلى «التوجه السياسي الديني للشعوب التركية (المحمَّديين)»، و«خصائصهم القتالية الإيجابية إلى حدٍّ بعيد» التي «أجبرت» القيادة الألمانية على «استغلالهم ... إلى أقصى حدٍّ ممكن». وبعد أسابيع، شدَّد فرانز هالدر (Franz Halder)، رئيس هيئة أركان الجيش، على أن التجنيد لم يكن لمجرد «رفع القدرة القتالية للتشكيلات الألمانية»، بل أيضًا «من أجل إحداث الأثر الدعائي» على قوات العدو ومدنييه[١٢]، وأشار هالدر أيضًا إلى «التوجه السياسي والديني للشعوب التركية، وجودة خصائصهم القتالية». وفي اليوم نفسه، أُرسل إلى هيئة الأركان الألمانية للفيالق الإسلامية توجيه يشدِّد على أن «أهمية» الكتائب الإسلامية «لا تكمن في قيمتها العسكرية فحسب، بل أيضًا في أثرها الدعائي على العدو وعلى سكان بلاده»[١٣]. وبالمثل شدَّد أوسكار فون نيدَرماير، الذي أصبح مسئولًا عن تشكيل فيالق التُّرك المسلمين في القوات المسلَّحة، في منطوق أمره بنشرها، على أن الوحدات الإسلامية «لن ترفع من القدرة القتالية للتشكيلات الألمانية فحسب»، بل ستحقق أيضًا غرضًا «دعائيًا»[١٤]، وأوضح، مكرِّرًا توجيهات سابقة، أن «التوجه السياسي الديني والخصائص القتالية» الجيدة لدى الشعوب التركية المسلمة «أجبرت» الجيش على «استغلال» أسرى الحرب في سبيل تدعيم الأهداف الألمانية. شارك نيدَرماير هتلر التصور نفسه عن المسلمين، فكتب أن «التجارب» أثبتت أن الأرمن والجورجيين المسيحيين تجب مراقبتهم بحرص أشدَّ من الحرص على مراقبة «المحمَّديين التُّرك الحقيقيين»[١٥]. هيمنت هذه الرؤية على قيادة الجيش الألماني. وفي أثناء مناقشة تجنيد متطوعي الاتحاد السوڤييتي مع هتلر في صيف عام ١٩٤٣، أكد القائد العام للقوات المسلَّحة، ڤيلهلم كايتل (Wilhelm Keitel)، نظرة هتلر الإيجابية للمتطوعين التُّرك الذين رأى فيهم «أشرس أعداء البلشفية»[١٦]. وانعكس التوجه الإيجابي تجاه المسلمين في التشكيلات، فأصبح المسلمون أكبر جماعة دينية بين مجنَّدي القوات المسلَّحة من الاتحاد السوڤييتي.

كانت القوات المسلَّحة قد شرعت بالفعل في تجنيد المتطوعين المسلمين من الأقاليم الشرقية قبل تأسيس القوات الشرقية[١٧]؛ إذ بدأ قادة الجيش في الخطوط الأمامية في أواخر عام ١٩٤١، مع تردِّي أوضاع الحرب، ومن تلقاء أنفسهم، بالبحث وقت الضرورة عن متعاونين محليين، وفتَّشوا معسكرات أسرى الحرب باحثين عن متطوعين احتياطيين، لقِّبوا **بالمساعدين المتطوعين** (*Hilfswillige*) أو **الهيفيز** (*Hiwis*) اختصارًا؛ فقبل شتاء عام ١٩٤١، كان هناك بالفعل العديد من الفارِّين من الجيش السوفييتي وأسرى الحرب والمتطوعين من السكان المحليين يعملون حرسًا وحَمَلة ذخيرة ومترجمين وسائقين وطُهاة وخدمًا، وكان بعضهم يقاتل بالفعل إلى جانب القوات الأمامية. وكان أول تشكيل إسلامي للرايخ الثالث واحدًا من بين أبكر هذه القوات الاحتياطية المقاتلة. ففي أكتوبر/ تشرين الأول من عام ١٩٤١، أنشأت القوات المسلَّحة وحدةً قوقازية تحت قيادة تيودور أوبرلندر، وهي المسمَّاة **كتيبة بيرغمان** (*Sonderverband Bergmann*)، ووحدةً تركية تحت قيادة المغامر غريب الأطوار أندرياس ماير-مادر (Andreas Mayer-Mader)، الذي تنقَّل في جميع أنحاء آسيا الوسطى، وكان مستشارًا عسكريًّا لـ تشيانغ كاي - شيك[١٨]. وبعدها بشهر، أمرت قيادة الجيش بتشكيل وحدتَين: تركستانية وقوقازية، بتعداد مئة رجل لكلتَيهما، في فرقة الحماية الرابعة والأربعين بعد المئة (444th Protection Division). قاتلت الوحدتان الپارتيزان في جنوب أوكرانيا كوحدة ماير-مادر، وتقدَّم جنود أوبرلندر مع القوات المسلَّحة إلى داخل القوقاز، بعد أن دُرِّبوا في سيليزيا وباڤاريا العليا. كانت برلين راضيةً عن الأداء العسكري للمسلمين، وقد حافظت القوات الإسلامية على هذه الشهرة المبكرة عندما بدأت القوات المسلَّحة في استقطاب متطوعين من غير الروس بشكل أكثر تنظيمًا في فيالقها الشرقية.

أصدرت القيادة العليا للقوات المسلَّحة أمر تأسيس الفيالق الشرقية، بعد موافقة هتلر، في الثاني والعشرين من ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤١[١٩]؛ فتشكَّل الفيلقان الأوَّلان جُلُّهما من المسلمين، وهما الفيلق التركستاني (*Turkestanische Legion*) والفيلق المحمَّدي القوقازي (*Kaukasisch-Mohammedanische Legion*)، اللذان تأسَّسا في الثالث عشر من يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٤٢، ثم تلاهما

الفيلقـان: الأرمينـي (*Armenische Legion*) والجورجـي (*Georgische Legion*) فـي فبرايـر/ شـباط، ثـم الفيلـق القوقـازي الشـمالي (*Nordkaukasische Legion*) فـي أغسطس/ آب، ثم فيلق تتر الڤولغا (*VolgaTatarische Legion*) في سبتمبر/ أيلول. وفي النهاية، أصبحت أربعة من الفيالق السـتة التي تأسَّسـت في الشـرق؛ إما إسلامية بالكامل، أو يغلب عليها العنصر المسـلم: الفيالق التركسـتاني والمحمَّدي القوقازي (الفيلق الأذري بعد ذلك) والقوقازي الشـمالي وفيلق تتر الڤولغا[٢٠]. وكان الفيلقان غير المسلِمَين، اللذان لم يكن هتلر يوليهما ثقته، هما الفيلقان الأرميني والجورجي. وكان قـادة التشـكيلات ورؤسـاء الأركان (*Rahmen- und Stammpersonal*) مـن الألمان، وتأسَّـس مقـران رئيسـان للعمليـات (*Organisationsstäbe*) مسـئولان عن التدريب العسـكري والتلقين الأيديولوجـي لكتائب الفيالق الميدانية؛ كان الأول هو المسـمَّى هيئـة أركان الفيالـق الشـرقية (*Aufstellungsstab der Ostlegionen*) الـذي سُـمِّي بعـد ذلك قيادة الفيالـق الشـرقية (*Kommando der Ostlegionen*) الكائنة أولًا فـي مقـر الحكومة العامـة في منطقة التدريب العسـكرية ريمبرتـوف (Rembertów)، والتي انتقلت في صيف عام ١٩٤٢ إلى رادوم (Radom)، وكان المنظِّم الأساسي لها هـو رالـف فـون هايغندورف الـذي تولى القيـادة منذ عـام ١٩٤٢ وحتـى أوائل عام ١٩٤٤. لكـن قيـادة الفيالـق الشـرقية كانت مسـئولةً فقط عـن المجنَّديـن من مناطق مجموعـة الجيش الشـمالية والوسـطى، أمـا المجنَّدون من منطقـة مجموعة الجيش الجنوبيـة فكانـوا يُدرَّبـون منفصليـن فـي أوكرانيـا ثـم فـي سـيليزيا، حيـث كان مقر العمليـات الرئيسـي فـي فرقـة المشـاة التركسـتان الثانيـة والسـتين بعـد المئـة (*162. Turkestanische Infanterie- Division*) التي كانت تحت قيادة أوسكار فون نيدَرماير، حتى حلَّ محلَّه رالف فون هايغندورف في عام ١٩٤٤. وبحلول عام ١٩٤٣، كانت غـرف العمليـات الرئيسـة قد أسَّسـت ما لا يقل عن تسـع وسـبعين كتيبة من المشـاة وأرسـلتها إلى الجبهة[٢١]، وكان من بين هذه الكتائب أربعٌ وخمسـون كتيبة إسـلامية أو يغلـب عليها المسـلمون، وكانـت هناك كتائب أخرى قيد التدريـب، وفي النهاية، قاتل في صفوف القوات المسـلَّحة الألمانية، وفقًا لبعض التقديرات، ما بين خمسـة وثلاثين ألفًا (٣٥,٠٠٠) وأربعين ألفَ (٤٠,٠٠٠) مسلم من تتر الڤولغا (فيلق تتر

الڤولغا)، وما بين مئة ألف وعشرة آلاف (١١٠,٠٠٠) ومئة وثمانين ألفَ (١٨٠,٠٠٠) مسلم تركستاني (الفيلق التركستاني)، ومئة ألف وعشرة آلاف (١١٠,٠٠٠) مجنَّد مسلم ومسيحي من القوقاز (الفيالق القوقازي الشمالي والأذري والأرميني والجورجي)[٢٢]. ومن بين مجنَّدي القوقاز، كان هناك ما لا يقل عن ثمانية وعشرين ألفَ (٢٨,٠٠٠) مسلم من شمال القوقاز، وما بين خمسة وعشرين ألفًا (٢٥,٠٠٠) وثمانية وثلاثين (٣٨,٠٠٠) ألفَ مسلم من أذربيجان، وقد قاتل هؤلاء في مناطق متنوعة من جبهة الحرب الشرقية، مسلَّحين بأسلحة مضادة للمدرعات، وقواذف قنابل يدوية، وأسلحة آلية ورشاشات. وقاتلت ثلاث كتائب إسلامية في ستالينغراد وقاتل الكثير منهم في جبال القوقاز. وفي النهاية، انتشرت الكتائب الميدانية الإسلامية المنضوية تحت لواء الفيالق الشرقية بطول القارة الأوروبية وعرضها، وقاتلوا في البلقان للقضاء على پارتيزان تيتو، كما قاتلوا على جبهات الغزو الفرنسية والإيطالية، وشاركت ستُّ كتائب منها في الدفاع عن برلين في عام ١٩٤٥. وفي المرحلة الأخيرة من الحرب، قاتلت فرقة المشاة التركستان الثانية والستُّون بعد المئة -التي تحولت من وحدة تدريب إلى فرقة ميدانية مكوَّنة من بعض كتائبها المدرَّبة حديثًا- الپارتيزان في سلوڤينيا والقوات الأمريكية في شمال إيطاليا. وبحلول نهاية الحرب، كان عشرات الآلاف من المجنَّدين المسلمين في الفيالق الشرقية قد سقطوا في المعارك[٢٣]. وبالإضافة إلى التشكيلات المقاتلة، وُظِّف آلاف المسلمين في وحدات الأشغال والبناء والتموين. وبدءًا من عام ١٩٤٣ فصاعدًا، كان أسرى الحرب المسلمين غير اللائقين بدنيًا يُوظَّفون في أربع كتائب أشغال، وفي أخرى احتياطية[٢٤].

وخارج الفيالق الشرقية، قاتلت بعض القوات الاحتياطية الإسلامية بوصفها جزءًا مدمجًا في وحدات القوات المسلَّحة الألمانية، وكانت أكبر هذه القوات هي التي استُحدثت في شبه جزيرة القِرم في أوائل عام ١٩٤٢، عندما بدأ جيش مانشتاين الحادي عشر (Manstein's 11th Army) في تجنيد المسلمين مباشرةً[٢٥]؛ فعقب الغزو الألماني، تطوَّع بعض تتر القِرم للخدمة العسكرية، وفي خطاب إلى هتلر، عبَّر

عضو بارز في النخبة الإسلامية القديمة عن «الامتنان الشديد لتحريرنا نحن تتر القِرم (المحمَّديين)» الذين عانوا في ربقة «الحكم الشيوعي اليهودي المتعطش للدماء»، وعرض دعمهم العسكري: «في سبيل القضاء على جماعات الپارتيزان في شبه جزيرة القِرم عاجلًا غير آجل، ولخبرتنا بطرق غابات القِرم ومساربها؛ فإننا نطلب الإذن -مُخلصين- في تأسيس تشكيلات مسلَّحة نظامية تحت القيادة الألمانية»[٢٦].

بدأ الجيش الحادي عشر في التجنيد بعدها بشهر واحد. وأشار كايتل في أوائل عام ١٩٤٢ إلى أن «اقتراح بعض كبار رموز التتر والمحمَّديين» هو ما دفع القوات المسلَّحة لاستئذان هتلر في بدء تجنيد القِرم المسلمين[٢٧]. شارك تتر القِرم طَوال الحرب في وحدات إسلامية خالصة في إطار الجيش الحادي عشر. وفي النهاية، كان هناك ما يصل إلى عشرين ألفًا يقاتلون في الوحدات الألمانية على شبه الجزيرة[٢٨]. وقد دهِشت قيادة الجيش من انضباط الوحدات التترية وقدراتها القتالية؛ إذ أكَّد تقرير للجيش في مارس/ آذار من عام ١٩٤٢ على أن «أهميتهم في مكافحة تمرد الپارتيزان لا تقدَّر بثمن»[٢٩]؛ فقد حرَّروا ما بين السَّاحل والدُّروب الداخلية من الپارتيزان، وأمَّنوا المسالك الجبلية الحسَّاسة، ثم سرعان ما اكتسبوا سمعة مروِّعة؛ لقسوتهم، خاصة في عملياتهم ضد الپارتيزان؛ ففي جبال يايلا (Yaila)، أضرمت الوحدات الإسلامية النيران في قواعد الپارتيزان، وقتلت أعدادًا لا تُحصى من المدنيين. ولإعجاب القيادة الألمانية بكفاءة الكتائب التترية، نقلتهم إلى رومانيا بعد الجلاء عن القِرم في ربيع عام ١٩٤٤.

أما محاولات القوات المسلَّحة لتأسيس تشكيلات عربية فكانت أقل نجاحًا، وذلك على الرغم من حملة الپروپاغندا الألمانية الضخمة في شمال إفريقيا والشرق الأوسط؛ ففي يوليو/ تموز من عام ١٩٤١، أسَّس الجيش ما سُمِّي **طاقم فيلمي الخاص** (*Sonderstab Felmy*)[٣٠]، وكان أحد أهم أغراض الطَّاقم، الذي يقوده المحارِب المخضرم من الحرب العالمية الأولى هلموت فيلمي (Hellmuth Felmy)، تجنيد المتطوعين العرب وتدريبهم لصالح القوات المسلَّحة في إطار ما سُمِّي كتيبة التدريب الألمانية العربية (*Deutsch-Arabische Lehrabteilung*) أو (DAL) التي

تأسست في أواخر عام ١٩٤١. كانت الوحدة مشكَّلة من «جنود ألمان وأفراد من البلاد الشرقية، محمَّديين خُلَّص»، وكان يُرجى لها أن تنشَط في العالم العربي بعد الانتصار الألماني في القوقاز[٣١]، وكان من المفترض أن يُكَوِّن الجنود المسلمون في كتيبة التدريب الألمانية العربية أساسًا لـ «فيلق عربي» مستقبلي، احتفى به جنوده بعد ذلك باسم **المفرزة العربية الحرة**، لكن المشروع تحول ليبدو أصعب مما كان متوقعًا؛ إذ واجه طاقم فيلمي مشكلاتٍ حادة في جذب العرب؛ إذ بحلول نهاية مايو/ أيار من العام ١٩٤٢، لم يُجنَّد سوى مئة وثلاثين عربيًا، مع خمسين آخرين كانوا على وشك التطوع[٣٢]، وقد تمثَّلت إحدى العوائق القائمة أمام جهود التجنيد الألمانية في قرار تركيا حظر مرور من قاتل من العرب مع الكيلاني في العراق إلى ألمانيا[٣٣]. وفي نهاية المطاف، جُنِّد أغلب المتطوعين من معسكرات أسرى الحرب، وكان بعضهم طلَّابًا في ألمانيا. وقد وُضعت الكتيبة أوَّلًا في رأس سونيون (Cape Sunion) في الطرف الجنوبي من شبه جزيرة أتيكا[أ] (Attica)، حيث انتظرت نشرها في الشرق الأوسط. وكانت هناك العديد من النزاعات بين المجنَّدين العرب؛ ففي مذكراته، زعم الحسيني أن فيلمي كان يستشيره بخصوص تسوية هذه النزاعات بين الحين والآخر، وقال: «شكا الجنرال من المتاعب التي يثيرها الطلَّاب العرب ... والخلافات القائمة بينهم»، واعترف أنه، «للأسف»، كان ذلك «حقيقةً واضحة، وواقعًا أليمًا»[٣٤]، لكنه أغفل أن فيلمي كان قلقًا بشكل خاص من آثار مكائد المفتي الخاصة ونزاعه مع الكيلاني على الجنود[٣٥]. وأخيرًا، عندما بدأت القوات الألمانية في التقدم نحو القوقاز، في أغسطس/ آب من عام ١٩٤٢، وبدا اختراق الشرق الأوسط وشيكًا، نُقل **طاقم فيلمي** وتشكيله العسكري إلى مدينة ستالينو (Stalino) (دونيتسك) (Donetsk) في أوكرانيا[٣٦]، وتزايد نصيب المكوِّن العربي ليصل إلى ثمانمئة رجل ليشكِّلوا أربع سرايا. وكان يُنتظَر منهم أن ينتقلوا لدعم غزو الشرق الأوسط من الشمال بعد غزو جبال القوقاز، وهو ما لم يحدث مطلقًا بطبيعة الحال. وفي حين مُني الخمسة آلاف ومئتا (٥٢٠٠) جندي من الألمان من **طاقم فيلمي** الذين قاتلوا على الجبهة القوقازية بخسائر ضخمة، كان المسلمون، المنتظمون في

(أ) في اليونان. (المترجم)

سَريَّة واحدة من عرب فلسطين وسورية والعراق وثلاث سرايا من عرب تونس والجزائر والمغرب، متمركزين في معسكر على بعد ما يقرب من مئة ميل وراء الخط الأمامي[٣٧]. وفي نوفمبر/ تشرين الثاني من عام ١٩٤٢، قررت القيادة العليا نقل سرايا **طاقم فيلمي** الإسلامية الأربعة عبر إيطاليا إلى شمال إفريقيا؛ لتقاتل إلى جانب جيش رومل[٣٨]، وبوصولهم إلى تونس، انضمَّت السرايا للمتطوعين العرب الذين جُنِّدوا للقتال على الجبهة المغربية[٣٩]. وبحلول فبراير/ شباط من عام ١٩٤٣، وفقًا لـران (Rahn)، كان هناك ما لا يقل عن ألفين وأربعمئة (٢٤٠٠) عربي يأتمرون بأمر القيادة العليا في شمال إفريقيا[٤٠]، ومن بينهم جنود **الكتيبة الإفريقية** (*Phalange Africaine*) التابعة للڤيشي[٤١]. وكان المفترض أن يشكِّل المجنَّدون ثلاث كتائب مقاتلة: تونس (*Tunesien*) والجزائر (*Algerien*) والمغرب (*Marokko*)، على الرغم من أن كتيبة «الجزائر» وحدها أصبحت مستعدةً للنشاط الميداني[٤٢]. وظل العرب في **طاقم فيلمي** مجرد وحدة احتياطية ولم يُستخدموا في القتال مطلقًا، وأثبت المجنَّدون العرب في كتيبة «الجزائر» أنه لا يمكن الاعتماد عليهم[٤٣]؛ فبعد محاولات محبِطة لاستخدامهم في الجبهة، وارتفاع عدد الفارِّين ووقائع الإخلال بالواجب، قررت القيادة العليا للجيش تحويل التشكيلات العربية إلى وحدات أشغال، وقد أثبت المجنَّدون العرب عدم ولائهم، ومُنُوا بفشل ذريع، مقارنة بالمجنَّدين المسلمين الآخرين.

المسلمون في وحدات الحماية

جنَّدت وحدات الحماية أيضًا آلاف المسلمين في صفوفها. وفي الواقع، شارك هملر هتلر توجهه التفضيلي للجنود المسلمين؛ ففي الثاني من مارس/ آذار من عام ١٩٤٣، وبعد اجتماع مع القائد الأعلى للوحدات، كتب الجنرال إدموند غليس فون هورستناو عن حماسة هملر لتأسيس فرقة وحدات الحماية الإسلامية في البوسنة:

> «أقرَّ هملر – على استحياء– رأيي الذي أعلنته بصوت خافت، والذي كان مفاده أن السياسة الثقافية المتعارَف عليها لوحدات الحماية في الفرقة البوسنوية ستُستوفى بشكل جيد في حال إضافة مفتين ميدانيين. لقد نبذ

هملر المسيحية ببساطة؛ لرخاوتها، ويتوجب تعزيز الأمل في جنَّة محمَّد [ﷺ] بأي ثمن، طالما أنها ستضمن تقديمهم أداءً بطوليًا ... وقد تحسَّر همل على تفكُّك الحدود العسكرية للإمبراطورية النمساوية المجرية، وتحدَّث مرارًا عن البوشناق العظام وطرابيشهم»(٤٤).

وفي الشهور التالية، سيدفع همل في الاتجاه نفسه، حتى أنه لاحقًا في مارس/ آذار من عام ١٩٤٥، سيثني على «المحمَّديين البواسل» في وحدات الڤافن - إس إس(٤٥)، وكضباط القوات المسلَّحة، سيكرر هو وأتباعه في مكتب الوحدات الرئيس تقديرهم للأثر الدعائي للجنود المسلمين وهم يرتدون الزي الألماني. وقد فسَّر غوتلوب برغر، مفترضًا وحدة الجامعة الإسلامية الشاملة، تجنيد الوحدات الإسلامية في جنوب شرق أوروبا على أنه محاولة «للوصول إلى محمَّديي العالم أجمع؛ إذ إن هناك ثلاثمئة وخمسين مليون نسمة، سيكون تأثيرهم حاسمًا في الصراع مع الإمبراطورية البريطانية»(٤٦). وبالمثل، شدَّد تقرير داخلي للوحدات على أن الغرض من الفرقة كان إعلام «العالم المحمَّدي أجمع» أن الرايخ الثالث مستعدٌّ لمواجهة «الأعداء المشتركين بين الاشتراكية القومية والإسلام»(٤٧).

شرع المسئولون عن التجنيد في وحدات الحماية في استهداف مسلمي البلقان، حيث كانت حرب الپارتيزان، في أوائل عام ١٩٤٣، تهدِّد بإشغال أعداد متزايدة من قوات الجيش الألماني، وهو المنهك بالفعل، جرَّاء هزائم الشرق وشمال إفريقيا؛ فتشكَّلت في البوسنة أكبر فرق وحدات الحماية الإسلامية في المنطقة. وبدءًا من فبراير/ شباط من عام ١٩٤٣ فصاعدًا، جنَّد همل آلاف المسلمين في فرقة سلاح الجبل الثالثة عشر (*Waffen-Gebirgs-Division .13*) التابعة لوحدات الحماية، والتي سُميت بعد ذلك فرقة «الخنجر» (Handžar)(٤٨). وقد دعم الاستقلاليون المسلمون البارزون التشكيل بحماس، وكانوا قد اقترحوا بالفعل، في مذكِّرتهم المؤرَّخة بالأول من نوفمبر/ تشرين الثاني لعام ١٩٤٢، تأسيس وحدة متطوعين تحت قيادة ألمانية(٤٩). وكان نشر فرقة الخنجر خاضعًا لإشراف فرقة وحدات الحماية «الأمير إيوجين»، المكوَّنة من الكروات ذوي الأصل الألماني، وقائدها حادُّ الطبع برتبة جنرال في

وحدات الحماية (*SS- Gruppenführer*) أرتور فليپس (Artur Phleps). تشكَّل جزء كبير من الفرقة من أعضاء الميليشيا المهيبة التابعة للرائد محمَّد حاجِّيفانديتش (Muhamed Hadžiefendić) (محمَّد حاج أفندي) التي أنشأتها حكومة الأوستاشا في شمال شرق البوسنة في عام ١٩٤١(٥٠). وفي الميدان أصبح المسئول الألماني الأساسي عن تجنيد الخنجر هو كارل فون كرمپلر الذي ترعرع في صربيا وتركيا، والذي كان يجيد البوسنوية إجادة تامَّة. لكن على الرغم من أن غالبية المسلمين وافقت على تأسيس الفرقة، كان عدد المتطوعين منهم أقل من المطلوب، ورغم ذلك، جنَّد الضباط المسئولون قرابة العشرين ألف (٢٠,٠٠٠) متطوع(٥١). وكان من المرتقَب أن يصبح هؤلاء المتطوعون قوة سياسية وعسكرية في المنطقة، وأثنت عليهم البروپاغندا الألمانية في كرواتيا بوصفهم «محاربي البلشفية واليهودية»(٥٢).

تابع نظام الأوستاشا هذه الأحداث بارتياب شديد، وأخفقت محاولاته الأولى للسيطرة على المشروع؛ فقد تجاهلت وحدات الحماية مطالبات زغرب بإدخال كلمة «الأوستاشا» في اسم الفرقة(٥٣)، لكن في النهاية، أكَّد الألمان لپاڤيليتش أن قرابة خمس عشرة في المئة من عديد الخنجر سيكونون من الكاثوليك، وأن نظامه سيشارك في عملية التجنيد(٥٤). لكن في الواقع، وعلى حدِّ تعبير ڤينكلر، كان البوشناق ينظرون إلى الفرقة بوصفها «شأنًا محمَّديًّا»(٥٥). وسرعان ما همَّش ضباط التجنيد الألمان المحيطين بكرمپلر ممثل پاڤيليتش وضابط اتصاله المسلم، المعروف بدعايته المتطرفة للأوستاشا، علي شولياك (Alija Šuljak)(٥٦). وقد فرَّ العديد من المسلمين من الجيش الكرواتي للانضمام إلى تشكيل وحدات الحماية الجديد. وعلى الرغم من أن پاڤيليتش ألفَى نفسه مقيَّد اليدين، لم يدع نظامُه فرصة لتعطيل تأسيس الفرقة الإسلامية إلَّا حاول انتهازها؛ ففي إبريل/ نيسان، تذمَّر فليپس لبرلين جرَّاء «استعمال الحكومة الكرواتية كل وسيلة ممكنة لعرقَلة التشكيل، أو على الأقل تعطيله إلى حدٍّ كبير»(٥٧)، ونقل رئيس مكتب أمن الرايخ الرئيسي إرنست كالتنبرونر شكاوى مشابهة(٥٨)؛ ففي بعض الحالات، جاء الكروات في الليل إلى المتطوعين المسلمين الذين سُجِّلوا بالفعل في صفوف وحدات الحماية، وانتزعوهم من أسِرَّتهم

وأرسلوهم إلى صفوف الجيش الكرواتي[٥٩]؛ فأمر هملر غاضبًا مفوَّضه الشرطي على الفور بتشديد الخناق على هذه الممارَسات وتفتيش صفوف الجيش الكرواتي ومعسكرات اعتقال نوڤا غراديشكا (Nova Gradiška) وياسينوڤاك (Jasenovac)، معلنًا أن لديه «تقارير حاسمة شديدة الدقة» حول شباب «اعتقلوا في المعسكرات لمجرد أنهم جُنِّدوا معنا»، وقال إن مقترفي هذه الأفعال هم مَن يجب أن يُلقى بهم في معسكرات الاعتقال أو تُنزل بهم عقوبة الإعدام.

نقلت وحدات الحماية فرقة الخنجر إلى جنوب فرنسا لتجنب أي أعمال تخريبية كرواتية أخرى، وهناك دُرِّبت الفرقة تحت قيادة المحارب المخضرم من الحرب العالمية الأولى والقائد الأعلى في وحدات الحماية (*SS- Oberführer*) كارل - غوستاف ساوبرتسڤيغ (Karl-Gustav Sauberzweig). وقد عبَّر بعض الضباط الألمان في البلقان عن مخاوفهم جرَّاء نقل الفرقة في هذه المرحلة الحرجة من الحرب، وكان هورستناو من أبرزهم، لكن هملر ردَّ الاعتراضات كافة ببرود، وسرعان ما أثبتت مخاوف الضباط الميدانيين صحتها. ففي صيف عام ١٩٤٣، عندما أطلق تيتو هجومًا كبيرًا على البوسنة، كان أهالي المتطوعين المسلمين أول مَن استهدفهم الپارتيزان، وسرعان ما علِم أبناؤهم وأزواجهم في فرنسا بما جرى، وعلموا أن عائلاتهم تُركت مكشوفةً تمامًا، وبلا أي دفاع مُجدٍ؛ ولصدمتهم من تلك الحوادث، خاب أمل الكثير من المتطوعين البوشناق؛ إذ إن الألمان كانوا قد وعدوا بتوظيفهم في بلادهم بغية توفير الحماية لبيوتهم. وتصاعد السخط، حتى كان أن تمردت مجموعة من الجنود، ليلة السادس عشر والسابع عشر من سبتمبر/ أيلول، وأطلقت النار على أحد الضباط[٦٠]، ورغم انصعاقهم من هول المفاجأة، استطاع الألمان إخماد التمرد سريعًا، وقتلوا خمسة عشر جنديًا، واعتُقِل العديد من المتمردين وأُعدِموا علانية رميًا بالرصاص. أنحى برغر باللائمة على الكاثوليك (الذين يصل عددهم إلى ما يقرب من ألفين وثمانمئة) لا على المسلمين[٦١]، وبعد فترة وجيزة، عبَّر هتلر عن الرأي نفسه مشدِّدًا على أن مسلمي الفرقة وحدهم هم من أثبتوا جدارتهم بالثقة[٦٢]. وسرعان ما نُقلت فرقة الخنجر إلى مركز تدريب سيليزيا في

نويهامر، حيث زارهم هملر مرتين وألقى خطابه التحفيزي، وأُرسل الحسيني إليهم أيضًا، ونشرت مجلّة (*Wiener Illustrierte*) [بالعربية: ڤيينا المصوَّرة] مجموعة من الصور لزيارته، وفسَّرت لقرائها أن المسلمين يقاتلون في صفوف وحدات الحماية بـ «قلوب مشرَبة الإيمان»، ويعلمون أنه «لا سبيل إلى حفظ حريتهم في الدين والحياة إلَّا بالانضواء تحت لواء الألمان»[٦٣]. وفي النهاية، أُعيد المسلمون إلى البلقان في أواخر فبراير/ شباط من عام ١٩٤٤، وأعلن ملصقٌ دعائي وُزِّع في جميع أنحاء البوسنة: «لقد أنجز قائدنا أدولف هتلر وعده. هذا فجر عهد جديد، نحن قادمون!»[٦٤]، وأعلن آخر: «نحن هنا!» لقتال «أعداء الوطن كافة»[٦٥]، وكان هتلر وهملر قد وافقا شخصيًّا على هذه الملصقات[٦٦]. كانت فرقة الخنجر تُستَخدم غالبًا في العمليات ضد الپارتيزان في شمال شرق البوسنة، واكتسبت سمعةً قوية؛ لشراستها وعنفها المتطرف[٦٧]، وقد نقل ضابطُ اتصالٍ بريطاني يعمل مع پارتيزان تيتو عن فظائع الفرقة قائلًا: «سلوكُها حسنٌ في المناطق الإسلامية، لكن في المناطق التي يقطنها الصِّرب تذبح المدنيين بلا رحمة، ودون اعتبار لسنٍّ أو جنس»[٦٨]، وبعد الحرب، قدَّم أحد ضباط الخنجر تقريرًا مصوَّرًا عن الجرائم التي ارتكبها أعضاء الفرقة قائلًا: «قُتلت امرأة وانتُزع قلبُها وطِيف به، ثم أُلقي في أحد المصارف»[٦٩]. ونقل هرمان فيغالاين (Hermann Fegelein)، ضابط اتصال هملر في مقر هتلر الرئيسي، إلى هذا الأخير الفظائع التي ترتكبها فرقة الخنجر في تقرير اطلاع عسكري في السادس من إبريل/ نيسان لعام ١٩٤٤، واصفًا كيف أن الفرقة الإسلامية نشرت الرعب في جميع أنحاء البلقان: «إنهم يكتفون في قتلهم بالمُدى، وقد كان أحدهم جريحًا، وكانت ذراعه مقيدةً، وأجهَز بيده اليسرى فقط على سبعة عشر عدوًّا، وهناك حالات اقتلعوا فيها قلوب أعدائهم»[٧٠]، لكن هتلر لم يأبه لذلك، وقال: «لا يهمني ذلك في شيء»، واستكمل جدول الاجتماع. وبعد أشهر قليلة، أشار تقرير داخلي في القوات المسلَّحة إلى أن «المسلمين أبلوا بلاءً حسنًا، ولذلك يجب أن تدعمهم الهيئات العسكرية والمدنية بقوة وتعزِّزهم»[٧١]. وكذلك بُهر برغر وأعلن أن «القتال ضد تيتو والشيوعيين أضحى بمثابة الجهاد عند المسلمين»[٧٢]، وعندما سأله كرستن عن الأداء العسكري لفرقة الخنجر، أجاب: «من الدرجة الأولى؛ إنهم يماثلون أشدَّ الفرق الألمانية صلابة

في بداية الحرب. إنهم يقدِّسون سلاحهم ... إن المسلمين يتشبثون برايتهم، راية النبي [ﷺ] الخضراء ذات الهلال الأبيض الملطخة بدماء المعارك العتيقة، وبالشجاعة نفسها يُطلقون الرصاص»[٧٣].

لكن سرعان ما تجلَّى أن هناك حاجة إلى المزيد من التعاون المحلي في البلقان؛ فشرع مسئولو التجنيد الألمان، اللاهثون وراء القوة البشرية، في استهداف المسلمين الألبان. وفي أوائل عام ١٩٤٤، أقرَّ هتلر تشكيل فرقة الألبان المسلمين المسمَّاة «إسكندر بِك» (Skanderbeg)؛ **فرقة سلاح الجبل الحادية والعشرون التابعة لوحدات الحماية** (*Waffen-Gebirgsdivision der SS .21*)[٧٤]. كان مقرَّرًا لفرقة إسكندر بك، التي انتشرت في كوسوڤا في المنطقة الواقعة بين مدن پياه (Peć) وپريشتينا (Priština) وپريزرن (Prizreni)، أن تنشط في شمال ألبانيا وعلى حدود الجبل الأسود. وقد تشكَّلتِ الفرقة من السكان المحليين، وأسرى الحرب، والجنود الألبان من فرقة الخنجر. ووفقًا للوثائق المتوفرة في دار المحفوظات الألبانية الحكومية المركزية، كان تسجيل المدنيين يجري بالتعاون مع مؤسسات الدولة الألبانية التابعة، وأهمها وزارة الدفاع[٧٥]، وقد أمر كايتل بإطلاق سراح أسرى الحرب الألبان «المسلمين» لتضخيم صفوف الوحدة[٧٦]، ورغم ذلك، تكونت الفرقة الجديدة أساسًا من الفصيل الألباني الذي قاتل في صفوف فرقة الخنجر[٧٧]. أمَّل هملر في تحقيق «فائدة عظيمة» من الفرقة؛ إذ إن الألبان الذين قاتلوا في فرقة الخنجر أثبتوا دافعية وانضباطًا عاليَين[٧٨]، لكن على أرض الواقع، عانت الفرقة من نقص في التسليح والعتاد، ونقص في الطاقم الألماني لتدريب المجنَّدين الجُدُد. وطيلة صيف عام ١٩٤٤ وخريفه، لم يُجهَّز لقتال الپارتيزان ويُرسَل إليه إلَّا كتيبة واحدة. وأشار جندي ألماني في پريزرن إلى أن «وحدات إسكندر بك كانت تصل الليل بالنهار سيرًا على الأقدام في الجبال لتغطية أجنحة الجيش المنسحب[٧٩] ... لقد كانوا مصدر رعب للپارتيزان»[٨٠]، لكن في النهاية، تورطت الكتيبة بشكل مباشر في جرائم نازية. وفي يوليو/ تموز من عام ١٩٤٤، نقل أوغست شميتهوبر (August Schmidhuber)، قائد فرقة إسكندر بك، أن رجاله اتخذوا إجراءات صارمة ضد «اليهود والشيوعيين والموالين لهم فكريًّا»[٨١]؛

ففـي الفتـرة بين الثامن والعشـرين من مايو/ أيار والخامس مـن يوليو/ تموز، اعتقل الألبـان «مـا إجماليه خمسـمئة وعشـرة (٥١٠) مـن اليهـود والشـيوعيين ومناصري العصابـات والمشـتَبه بهـم سياسـيًّا». وشـاركت «إسـكندر بـك» أيضًا فـي إعدامات انتقاميـة بعـد بعض أعمـال التخريب[٨٢]. عانت الفرقة انكماشًـا مستمرًّا مـع ارتفاع أعداد القتلى والفارِّين. وكان تشكيل فرقة إسلامية ثالثة تابعة لوحدات الشافن - إس إس فـي البلقـان ينطـوي علـى القـدر نفسـه من الإشـكال، وهـي فرقة سـلاح الجبل البوسـنوية الثالثـة والعشـرون (*Waffen-Gebirgsdivision der SS .23*)، والمعروفـة بفرقـة «الكامـا» (Kama)[٨٣][أ]. تشـكَّلت الكامـا في يونيو/ حزيران مـن عام ١٩٤٤، وكان تشكيلها من المدنيين المسلمين ووحدات عدة من فرقة الخنجر، وبعد سلسلة مـن حوادث فـرار الجنود، اضطُّرت وحدات الحماية إلى تسـريح الوحدة في أواخر أكتوبر/ تشرين الأول من عام ١٩٤٤، أي بعد خمسة أشهر فقط من تشكيلها.

أمـا في الشـرق، فقد كانـت وحدات الحماية حريصةً من البداية؛ إذ كانت شـرطة وحدات الحماية ومكتب أمن الوحدات في شبه جزيرة القِرم أول من جنَّد المسلمين تجنيدًا منهجيًّا، وأول من اسـتخدمهم جنودًا احتياطيين. وبناءً على اتفاق مع الجيش الحـادي عشـر، اسـتعمل أوتُّـو أولنـدورف (Otto Ohlendorf) بعـض مسـلمي القِرم المجنَّديـن فـي **فرقـة قوات المهمـات** (د) خاصته. وسرعان ما أصبح ألف وسـتمئة واثنـان وثلاثـون (١٦٣٢) متطوعًـا مسـلمًا يقاتلـون في أربع عشـرة كتيبة مما سـمِّي الكتائب التترية للدفاع عن النفس (*Tatarenselbstschutzkompanien*) في **فرقة قوات المهمات** (د)، منتشـرين بطول شـبه جزيرة القِرم وعرضها[٨٤]. وأثنى تقرير لوحدات الحمايـة عـن المتطوعيـن علـى التتر؛ لأنهـم «يناهِضـون البلشـفية واليهـود والغجر مناهَضـة جليَّة»[٨٥]. وذكر ڤيلِّي زايبرت (Willi Seibert)، الذراع اليمنى لأولندورف، أنهـم «أثبتـوا قيمتهم العالية» فـي القتال ضد الپارتيزان[٨٦]. وفـي النهاية، طوَّر ضباط وحـدات الحمايـة تدريجيًّا فكرة إنشـاء فرقة إسـلامية أخرى في الشـرق. وكان ڤالتر شلنبرغ (Walter Schellenberg)، مدير مكتب الاستخبارات الخارجية في مكتب أمن

(أ) بالعربية: الخنجر. (المترجم)

وحدات الحماية، قد ناقش مسألة نشر تشكيل من المتطوعين التُّرك والتتر مبكرًا في في مكتب أمن الرايخ الرئيسي عام ١٩٤١، لكنه تراجع عن هذه الخُطط لقلة الموظفين والموارد[٨٧]، وفي خريف عام ١٩٤٣، جرى إحياء الفكرة وناقشها شلنبرغ وبرغر[٨٨]؛ ففي الرابع عشر من أكتوبر/ تشرين الأول لعام ١٩٤٣، أرسل شلنبرغ مذكِّرة لبرغر حول تشكيل «فيلق محمَّدي تابع لوحدات الڤافن – إس إس» مكوَّن من مسلمي الاتحاد السوڤييتي[٨٩]، وقال إن «الأساس السياسي الأيديولوجي» لهذه الوحدة يجب أن يكون «الإسلام وحده». كان شلنبرغ على قناعة بأن الفرقة سيكون لها أثر سياسي وعسكري في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فأوجز «هدفه» النهائي في جملة واحدة قائلًا: «تشكيل وحداتٍ محمَّدية لإشعال لهيب الثورة واستمالة العالم الإسلامي كله»؛ فحوَّل برغر المتحمس الخُطَّة بتوصية إلى هملر، وشدَّد على أن نشر فرقة إسلامية شرقية يمثل «شأنًا سياسيًّا عظيمَ الأهمية والقَدر»، ويمكن من خلاله «الفوز بجزء آخر من العالم المحمَّدي» لصالح الحرب الألمانية[٩٠]. إن تشكيله سيثبت أننا «جادون بشأن صداقتنا للعالم المحمَّدي».

وفي الشهر التالي، شرع هملر في تجنيد مسلمي الاتحاد السوڤييتي في فرقة شرقية إسلامية تابعة لوحدات الحماية (*Ostmuselmanisches SS-Division*)، وكان اسمها يؤكد على الطابع الديني للتشكيل[٩١]. وافقت القوات المسلَّحة على تحويل الكتيبة التركية الخمسين بعد الأربعمئة وكتيبة المشاة التركية الرابعة والتسعين إلى وحدات الحماية، حيث أصبحتا أساس الفرقة الجديدة[٩٢]. واستدعت وحدات الحماية أندرياس ماير-مادر، الذي كان لا يزال مسئولًا عن وحدته الإسلامية، التي تسمَّى الآن الكتيبة التركية الخمسين بعد الأربعمئة، وعن جزء من الفيلق التركي؛ ليكون قائدًا لهذا التشكيل الجديد[٩٣]، وقد بدا أن أندرياس مناسب بشكل خاص؛ إذ زعم خبرته بالإسلام وأنه على وشك اعتناقه[٩٤]. لكن الفرقة الشرقية الإسلامية في وحدات الحماية لم تُنشر بالكامل قطُّ؛ إذ ظلت سيطرة ماير-مادر مقصورةً على ما سُمِّي الفوج الإسلامي الشرقي الأول من الفرقة (*Ostmuselmanisches SS-Regiment 1.*)، والذي قام على كتيبتَي القوات المسلَّحة. وفي أوائل عام ١٩٤٤، كان تعداد

الفوج ثمانمئة رجل فقط[٩٥]. وفي ربيع عام ١٩٤٤، أعفى فريتز زاوكيل (Fritz Sauckel)، مفوَّض هتلر العام لشئون توزيع الأشغال، كلَّ من كان ينوي الانضمام إلى الوحدة الإسلامية الجديدة من العمال التُّرك والتتر من الأشغال[٩٦]. وسجَّل المسئولون عن التجنيد في وحدات الحماية المسلمين من أسرى الحرب[٩٧]. وبمساعدة يوزف تيربوفن (Joseph Terboven)، مفوَّض الرايخ في النرويج، فتَّشت وحدات الحماية بين الأسرى في معسكرات الحرب في النرويج كلها بحثًا عن بضع مئاتٍ من المسلمين المحتجَزين[٩٨]. لكن رغم ذلك كلِّه، تصاعدت مقاومة القيادة العليا للقوات المسلَّحة لمحاولات وحدات الحماية تجنيد أعضاء فيالق الڤيرماخت المسلمين، وشيئًا فشيئًا تنامت نظرتها إلى وحدات الحماية بوصفها خصمًا لها في الشرق[٩٩]. وسرعان ما فُصِل ماير-مادر، الذي واجه مقاومةً في وحدته، من الخدمة، ثم قُتِل في ظروف غامضة، وقد خلفه في منصبه بعض الضباط، من بينهم النقيب السادي هاينز بيلِّيغ (Heinz Billig) (بين مارس/ آذار وإبريل/ نيسان)، والنازي الطموح، النقيب في وحدات الحماية إميل هرمان (Emil Hermann) (من إبريل/ نيسان إلى يوليو/ تموز)[١٠٠]. في البداية، قاتل الفوجُ الإسلامي الشرقي الأول الپارتيزانَ في المنطقة المحيطة بمدينة مينسك (Minsk)، قبل أن يُرسَل إلى پولندا لينضم إلى فوج ديرلڤانغر (Dirlewanger) سيء السُّمعة في قمع انتفاضة وارسو، كما ذهب فوج من الفيلق الأذري في القوات المسلَّحة[١٠١].

وفي الوقت نفسه، ظلت وحدات الحماية تسعى في تنفيذ خُطَّة الفرقة الإسلامية الشرقية التابعة لها، والمسماة الآن الفيلق التركي الشرقي التابع لوحدات الحماية (*Osttürkische Waffenverband der SS*)[١٠٢]. كانت مسئولية تجنيد المسلمين الترك الشرقيين تقع على عاتق راينر أولتسا من القسم التطوعي في مكتب وحدات الحماية الرئيسي؛ فأولًا، كانت وحدات الحماية في حاجة إلى قائد جديد ملمٍّ بالعالم الإسلامي، فجرى اقتراح ضابط ألماني خدم في الجيش العثماني في الحرب العالمية الأولى، وكان ضابطًا استعماريًّا سابقًا في الجيش الهولندي[١٠٣]، وأخيرًا في أوائل صيف عام ١٩٤٤، وجد برغر بغيته، أي الضابط الملمُّ بـ«العالم التركي الإسلامي

الشرقي»[١٠٤]. كان قائد هملر الجديد للفيلق التركي الشرقي التابع لوحدات الحماية هو ڤيلهلم هينترزاتس (Wilhelm Hintersatz) البالغ من العمر تسعةً وخمسين عامًا، والمعروف بهارون الرشيد بك. كان ڤيلهلم ضابطًا للجيش ينحدر من براندنبرغ (Brandenburg)، اعتنق الإسلام في أثناء الحرب العالمية الأولى وعمِل مع أنور باشا في هيئة الأركان العثمانية العامة[١٠٥]. وفي ذلك الوقت، التقى أيضًا أوتُّو ليمان فون ساندرز وأُعجب به أيَّما إعجاب[١٠٦]. وقد كان لحملة التعبئة الإسلامية في الحرب العظمى تأثيرٌ عميق على هينترزاتس وعلى كثيرين غيره. وبعد عام ١٩١٨، انغمس مع المسلمين من أسرى الحرب السابقين في مخيم ڤنسدورف، وخدم في الاستخبارات الإيطالية في الحبشة في الثلاثينيات، وادَّعى في سيرته الذاتية أن «ثقة المحمَّديين الأصليين» كانت أفضل «وسائله» هناك[١٠٧]، وفاخَر بأن «المحمَّديين كانوا يرونني أخًا مؤمنًا مثلهم، يصلِّي معهم بلا خجل في مسجدهم»، وكان «على استعداد دائم» لقطع «كعب أخيل أخطر أعداء» ألمانيا، أي إنكلترا، وهو الإسلام في نظره[١٠٨]. لم يكن ذاك المهندس المتزوج ذو الطفلين مغامرًا على الحقيقة، لكنه انخرط في الإسلام وسياسته بمحض الصدفة، وقد أثار هينترزاتس إعجاب ضباط وحدات الحماية، من خلال تلاعبه بـ«علاقاته الإسلامية»، وصِفة «انتسابه للإسلام»، والثقة التي تمتَّع بها بين المسلمين بوصفها «أدواته الأساسية»[١٠٩]، وقبل تعيينه، كان الرشيد قد عمِل ضابط اتصال مكتب أمن الرايخ الرئيسي بمفتي القدس[١١٠]؛ فتواصل أولتسا مع الرشيد في مايو/ أيار وقال: «أودُّ أن أقدِّم لك عرضًا متماسكًا للغاية، يأخذ في اعتباره أولًا وأخيرًا موقعك المميز بصفتك محمَّديًا وضابطًا سابقًا»[١١١]. وبالفعل، كان تعيين الرشيد في مكتب الوحدات الرئيسي، يسوَّغ من خلال الإشارة إلى «علاقاته الوثيقة بالعالم الإسلامي»، ومن خلال بروباغندا وحدات الحماية الموجَّهة للعالم «التركي الإسلامي»[١١٢].

كان يُفترض بفيلق وحدات الحماية التركي الشرقي تحت قيادة هارون الرشيد أن يكون مستودَعًا لجميع المتطوعين المسلمين الشرقيين[١١٣]؛ فتشكَّل أساسُ الفيلق من الفوج الإسلامي الشرقي الأول التابع لوحدات الحماية، رغم إعادة هيكلته

ليصبح ثلاث كتائب ثم أربعًا (القِرم وتركستان وإيدل-أورال، وأخيرًا أذربيجان).

وكان من أبرز متطوعي الرشيد؛ الأمير منصور داوُد، أحد أبناء عمومة فاروق ملك مصر، الذي عزَّز تجنيده من الطابع الإسلامي الوحدوي للفيلق[١١٤]، وقد كتب الرشيد في أحد تقاريره معجبًا بأداء داوُد قائلًا: إنه قد أثبت أنه «عامل سياسي أساسي»، وأنه حقَّق «دعاية فعَّالة» «من خلال تعاونه الوثيق مع الملَّا الأكبر»[١١٥].

وبحلول ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤٤، كان هناك قرابة ثلاثة آلاف مسلم قد سُجِّلوا في الفيلق التركي الشرقي التابع لوحدات الحماية، ووصل العدد إلى ثمانية آلاف وخمسمئة (٨٥٠٠) في أوائل عام ١٩٤٥[١١٦]. أخفق تشكيل الفيلق بالكامل في النهاية، لكن وحدات الحماية تمكنت من تعبئة عدد من المسلمين أكبر بشكل ملحوظ من ذلك العدد الذي قاتل في الفوج الإسلامي الشرقي الأول التابع لوحدات الحماية، وفي نهاية المطاف، جنَّدت وحدات الحماية كل مسلم شرقي طالته أذرعها، ففي صيف عام ١٩٤٤ -على سبيل المثال- جُنِّد ثمانمئة جندي سابق من الوحدات التترية التي أُجليت من القِرم إلى رومانيا، في لواء سلاح الجبل التتري التابع لوحدات الحماية (*Tatarische Waffen-Gebirgs-Brigade der SS*)، وسُلِّحوا فقط ببنادق قصيرة المدى في المجر، وذلك قبل ضمِّهم إلى فيلق الرشيد[١١٧]. بل إن مسئولي التجنيد في وحدات الحماية سيفتشون أرجاء مفوضية الرايخ أوستلاند كذلك، بحثًا عن طُعمة إسلامية للمدافع. ففي مارس من عام ١٩٤٤، استشار مكتب وحدات الحماية الرئيسي صالح حاجي ياليتش (Salih Hadzicalić)، رئيس جمعية ڤيينا الإسلامية، حول مسلمي ڤيلنيوس، فأشار عليهم بالتواصل مع المفتي شينكيتش (Szynkiewicz) حول المسلمين هناك[١١٨]. ولاحقًا في نوفمبر/ تشرين الثاني من عام ١٩٤٤، أرسلت قيادة وحدات الحماية في مدينة دانسيغ (Danzig) تقريرًا لمكتب الوحدات الرئيسي حول «نقل أعضاء مسلمين في الشرطة إلى وحدات الڤافن - إس إس»، وبالأخص جنديَين مسلمَين كانا قد جُنِّدا في أوستلاند[١١٩]. وفي أواخر عام ١٩٤٤، قرر هملر تنظيم بعض المسلمين الشرقيين في فَوجين يتبعان الفيلق القوقازي حديث التشكيل التابع لوحدات الحماية (*Kaukasischer Waffenverband der SS*)[١٢٠]. كان الفيلق مقسَّمًا إلى أربعة أفواج تتراوح بين ألفٍ وألفَي رجل، وكان

هناك فوجان من هذه الأربعة إسلاميَّان بالكامل أو يغلب عليهما المسلمون: الفَوج القوقازي الشمالي والفوج الأذري (والآخران غير الإسلاميَّين، هما: الفوجان الأرميني والجورجي). لكن الأذر في الفيلق التركي الشرقي التمسوا عدم دمجهم بالمسيحيين الأرمن والجورجيين في الفيلق الجديد، وأن يظلوا في تشكيل الرشيد الإسلامي الخالص؛ فقُبل التماسهم[١٢١]. ومع اقتراب الحرب من نهايتها، أصبحت عملية التجنيد أكثر فوضوية، وانحطَّت معنويات الجنود. وفي أواخر ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤٤، تمرَّد بعض رجال الفوج التركستاني، وعلى رأسهم قائدهم غلام عليموف (Ghulam Alimov)، في المنطقة الحدودية بين المجر وسلوڤاكيا[١٢٢]؛ إذ اعتَقل عليموف، رفقة عدد من رجاله يتراوح بين أربعمئة وخمسمئة رجل، جميعَ الضباط الألمان، بل أعدَم بعضهم قبل أن يفرَّ إلى الغابات وينضم إلى الپارتيزان السلوڤاك، لكن في يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٤٥، عاد الكثير من الفارِّين وظل ما بين مئتي وخمسين إلى ثلاثمئة رجل مع الپارتيزان. وفي شهور الحرب الأخيرة، قاتل الفيلق في شمال إيطاليا، وهناك استسلم نهائيًّا للجيش الأمريكي.

نظر ضباط المكتب الرئيسي لوحدات الحماية، من البداية، إلى عملية التعبئة الشاملة للمسلمين الشرقيين بوصفها جزءًا من حملة عامة تستهدف تثوير (revolutionize) جميع مسلمي الاتحاد السوڤييتي ضد موسكو، وكان إميل هرمان يؤيد هذه السياسة مخلصًا. كان هرمان، الضابط المخضرم في وحدات الحماية، مسئولًا عن التنظيم العسكري والسياسي لقوات وحدات الحماية الإسلامية الشرقية، وذلك قبل فترة قصيرة من تحمُّله مسئولية قيادة الفوج الإسلامي الشرقي الأول. وبعد الحرب أوضح أولتسا أن هرمان أمَّل في تعزيز مسيرته المهنية من خلال المسألة الإسلامية، وأنه طمح في الواقع إلى القيام على مكتب للشئون الإسلامية خطَّط له مكتب الوحدات الرئيسي[١٢٣]. فمبكرًا في الرابع عشر من ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤٣، أشار هرمان في مذكِّرة عامة حول تأسيس تشكيل وحدات الحماية الشرقية[١٢٤] إلى محاولة «تحريك الإسلام»، وعلى الرغم من أن المذكِّرة تطرَّقت، بصيغة عمومية، إلى «دفترة المسلمين المتاحين حاليًّا بغية توظيفهم في

محاربة القوى المعادية»، إلَّا أنها تعلَّقت أساسًا بمسلمي الاتحاد السوڤييتي، وقد كتب هرمان أن حدَّة كراهية مسلمي الاتحاد السوڤييتي للحكم الأجنبي، تفوق مثيلتها لدى العرب، وهي قائمة على تدينهم. إن «عشقهم للحرية» و«تعاليمَ الإسلام» ولَّدا لديهم «كبرياء هائلة» يجب على وحدات الحماية أخذه في الاعتبار؛ كيلا تُكرر أخطاء القوات المسلَّحة؛ تفاعل برغر مع المذكِّرة بأحد تعليقاته البسيطة على الهوامش: «نعم، أتفق!»[١٢٥]. وقبلها بخمسة أيام، اقترح ماير-مادر في لقائه بغيرد شولته (Gerd Schulte)، الضابط في مكتب الوحدات الرئيسي والمكلَّف بمتابعة تأسيس الفرقة الإسلامية، أن تصبح وحدات الحماية نصيرَ التُّرك الشرقيين. فصحَّح له شولته، مشدِّدًا على أنه يجب التحدُّث عن «نُصرة المسلمين أجمع»[١٢٦]؛ فوعَى ماير-مادر الفكرة، وحدَّد في تقرير خاص فكرته عن وحدة تنتظم حصرًا عبر خطوط إسلامية، وتلائم المسلمين من جميع أنحاء الاتحاد السوڤييتي[١٢٧]. وأشار أيضًا إلى تأثير الفِرقة على العالم الإسلامي الأوسع، وناقش توظيفها في إطار السياسة الألمانية العامة تجاه الإسلام؛ فزعم أن «أعداءنا يعلمون تمام العلم أن مصالح الإسلام وألمانيا متفقة»، ووصف المسلمين والألمان بأنهم «حلفاء طبيعيون على أوثق ما يكون». فقد استعمَر السوڤييت والبريطانيون والفرنسيون العالم الإسلامي كله تقريبًا. ورغم ذلك، عدَّ مسلمون كثر أن «الأمل الوحيد للإسلام هو في التحالف مع ألمانيا»، وأن هناك المزيد مما يجب فعله. وإلى جانب البروپاغندا، كان المطلوب وجود إجراءات عملية «تبيِّن للرجل العادي أن ألمانيا تَعُدُّ الإسلام حليفًا وصديقًا مساويًا في المكانة»، وقد كان من أشدِّ هذه الإجراءات فاعلية، تشكيل فرقة المسلمين الترك الشرقيين، التي سرعان ما سيكون لها تأثيرها على مسلمي الاتحاد السوڤييتي كافة. وفي الرابع من يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٤٤، التقى ماير-مادر رفقة هاينز بيلِّيغ الذي كان ما زال ساعتها رئيسًا لأركان الفرقة الجديدة بشولته مرةً أخرى في برلين، ووضعوا الأهداف المستقبلية للفرقة الجديدة. كانت «المهمة قصيرة المدى» هي أن تعمل الفرقة بوصفها «قوة مهمات ضد البلشفية»، وقرَّر رجال وحدات الحماية أن «المهمة طويلة المدى» لا تقتصر على «تحرير تركستان»، بل تتسع لتشمل **تنشيط المسلمين** (*Aktivierung der Moslems*) في الاتحاد السوڤييتي تنشيطًا

أشمل[١٢٨]، وقد ظل هذا الوهم القائل بأن الإسلام كتلةٌ يمكن «تنشيطها» مسيطرًا على ضباط وحدات الحماية الألمانية حتى نهاية الحرب.

طفت هذه الفكرة إلى السطح مرةً أخرى في صيف عام ١٩٤٤، عندما أُعيدت هيكلة خُطط تشكيل وحدات الحماية الإسلامية الشرقية، فكتب راينر أولتسا سلسلة من التقارير عن هذا الأمر، تكاد تستند جميعها إلى مذكِّرته العامة المؤرَّخة بالرابع والعشرين من إبريل/ نيسان لعام ١٩٤٤، حول انغماس وحدات الحماية في شئون المسلمين الشرقيين[١٢٩]. ففي تقرير بتاريخ السابع من يونيو/ حزيران من عام ١٩٤٤، ناقش التشكيل الشرقي مستهدفًا تعبئة المسلمين الشرقيين ضد الاتحاد السوڤييتي بشكل أوسع[١٣٠]، ومشدِّدًا على أن المسلمين هم أقوى أقلية غير سلاڤية وغير مسيحية في الاتحاد السوڤييتي، وأن دينهم كان حصنًا حصينًا في وجه موسكو، وأن تاريخ انتفاضاتهم أثبت موقفهم المناهِض للروس والبلاشفة، وأن «النضال في سبيل حرية الشعب التركي المحمَّدي» يقدِّم أساسًا مثاليًّا للتحالف مع ألمانيا، وهو تحالف سيكون موضع ترحيب في أرجاء أوسع في العالم الإسلامي. وتلت ذلك إشارات مشابهة، دفع أولتسا في إحداها بأن «مئات الآلاف من المسلمين الترك» يمكنهم تشكيل «أقوى أقلية مخربة للاتحاد السوڤييتي»، وأنه يجب على وحدات الحماية «استغلالهم»[١٣١]. وفي إشارة أخرى، وصف تشكيل وحدات الحماية الإسلامية الشرقية بأنه «منبر لإثارة الحَميَّة السياسية عند التُّرك الشرقيين في قتالهم ضد روسيا البلشفية»[١٣٢]. ووافق برغر[١٣٣]، وكتب إلى هملر أنه ليست الدوافع السياسية القومية وحدها، بل إن «الرؤية المحمَّدية للعالم» لدى المسلمين الشرقيين ستُستغَل كذلك «بوصفها حصنًا منيعًا يجابه البلشفية»[١٣٤]. وفي توجيهات أخرى، ذكر برغر أن أمر هملر بتشكيل «الفيلق التركي الشرقي» استهدف تعبئة «القوى المحمَّدية التركية المناهِضة للبلشفية»؛ «تفتيتًا للاتحاد السوڤييتي من الداخل»[١٣٥]، لكن خُطط برغر للفيلق المسلم الشرقي وتفتيت الاتحاد السوڤييتي اصطدمت بواقع الحرب؛ فمن الناحية العمليَّة، لم تُنشر وحدات الفيلق في الأراضي السوڤييتية، ومع ذلك، اقتنع ضباط من مكتب الوحدات الرئيسي بالخُطَّة. ففي تقرير إلى برغر، غذَّ النقيب أولريش

(Ulrich)، أحد مسئولي مكتب الوحدات الرئيسـي، السعي في سبيل تحقيق «الهدف النهائي المبتغى»، وهو الهدف الذي أوجزه في «تثوير القوى المناهِضة للبلشفية في روسيا من خلال الإسلام، بوصفها فتيل تفجير داخل الدولة»؛ «ولذلك فإن كنا نبغى تحقيق ذلك الأثر، من خلال الثلاثين مليون مسلم الموجودين في الاتحاد السوڤييتي؛ فلا يمكننا التخلي عن الفيلق التركي الشرقي»[١٣٦]. وسيواصل مكتب الوحدات الرئيسي مساعيه لتنفيذ هذه الخُطط حتى سقوط الرايخ الثالث في عام ١٩٤٥.

وكان هارون الرشيد، القائد الجديد للتشكيل الشرقي المسلم، مؤيِّدًا بشدَّة للتعبئة الإسلامية في شهور الحرب الأخيرة، ووصف الفيلق، كما فعل أولتسا وبرغر، بأنه «قاعدة للحَميَّة الدِّينية» بين المسلمين في الاتحاد السوڤييتي[١٣٧]، وقد «ضمن» لأولتسا قوة عسكرية محمَّدية (*mohamedanische Waffenkraft*) مخلصة، ومهيأة للقتال، وقيِّمة عسكريًّا»[١٣٨]، وشدَّد الرشيد على أهمية استخدام وحدات إسلامية خالصة؛ ملتمسًا بذلك «تأثيرًا دينيًّا إسلاميًّا» أعمق [١٣٩]؛ ولضمان ذلك، اقترح في يونيو/ حزيران من عام ١٩٤٤، نشر الفيلق الجديد وتدريبه في البوسنة والهرسك، بحيث ينضمُّ إلى وحدات الحماية الإسلامية الموجودة هناك بالفعل[١٤٠]. وشدَّد على أنه يمكن توجيه «أهلنا» في البلقان إلى المساجد وتعريضهم لتأثير علماء البوسنة، وتجاوز الرشيدُ فاقترح أنه في حال أن الألمان لم يغزوا الاتحاد السوڤييتي أبدًا، فمن الجائز تسكين المسلمين الشرقيين بين «محمَّديي البلقان الداعمين للألمان بقوة».

لكن جهود وحدات الحماية في تعبئة المسلمين كانت محلَّ معارضة متصاعدة من جانب القوات المسلَّحة ووزارة الشرق؛ إذ كانت القوات المسلَّحة تخشى تفسُّخ فيالقها الإسلامية. وكان هارون الرشيد بالفعل قد اقترح داخليًّا نقل «التشكيلات المحمَّدية كافة» إلى وحدات الحماية[١٤١]. لكن المعارضة الأقوى لسياسة وحدات الحماية في التعبئة الإسلامية للمسلمين الشرقيين تمثَّلت في معارضة منده ومسئولي وزارة الشرق؛ فعندما شرعت وحدات الحماية في تنظيم وحداتها الإسلامية الشرقية الأولى في أواخر عام ١٩٤٣، خشي ڤيلي كاچوم (Veli Kajum)، المنفي التركي المحتَمي بمنده، من فقدان نفوذه، واحتجَّ بأن «وحدات الحماية تسعى وراء أهداف

«إسلامية وحدوية»»[١٤٢]، ومن فورها واجهت وحدات الحماية كاچوم[١٤٣]. وفي فبراير/ شباط من عام ١٩٤٤، دخل منده على الخط وكتب تقريرًا مطوَّلًا لبرغر، الذي كان ساعتها رئيسًا للمكتب السياسي في وزارة الشرق، حول سياسة وحدات الحماية الجديدة[١٤٤]، واعترف منده بالدور المركزي الذي يلعبه الإسلام في توزيع الوحدات الإسلامية في البلقان، فقال: «إن فرقة وحدات الحماية الإسلامية الغربية المكوَّنة من البوشناق يمكنها النجاح تحت مظلَّة فكرة الإسلام الوحدوية، وذلك لأن البوشناق الذين يتحدثون الكرواتية لا يميِّزون أنفسهم عما حولهم من بيئة كرواتية وصربية متجانسة لغويًّا إلَّا من خلال الإسلام والأعراف الخاصة الناشئة عنه؛ ولذلك، يجسِّد الإسلام عندهم مناط تميُّزهم ورابطتهم بالعالم الإسلامي الأوسع»[١٤٥]. لكنه احتجَّ بقوة على توسعة نطاق هذه السياسة إلى الشرق فقال: «إن الوضع مختلف تمامًا لدى محمَّديي الاتحاد السوڤييتي»؛ فالقوات المسلَّحة كانت قد قسَّمت المسلمين إلى أربعة فيالق وفقًا لقومياتهم. ونبَّه منده إلى أن «توحيد محمَّديي الاتحاد السوڤييتي في فرقة وحدات الحماية الإسلامية الشرقية يتطلب تغييرًا في التعامل السياسي الدعائي الحالي»؛ فتأسيس السياسة الموجَّهة إلى المسلمين الشرقيين استنادًا إلى «القوة التوحيدية للإسلام» سيؤدي حتمًا إلى حركة جامعة طورانية لا يمكن السيطرة عليها، وزعم، بشكل غير متسق إلى حدٍّ ما، أن الإسلام لم يكن له دورٌ حاسم يضطلع به في الشرق على أية حال؛ فخمسة في المئة فقط من المسلمين الشرقيين هم الذين ما زالوا متمسكين بالإسلام، ومعهم عشرون في المئة آخرون لعلهم قد يستجيبون لحملة دينية، وشدَّد منده على أن «المسألة القومية» هي التي تلعب «الدور الحاسم»، وكذلك، حذَّر من أن «التشديد القوي على الإسلام بوصفه مناطًا للوحدة» قد يجعل الشعوب غير الإسلامية الأقل حجمًا في الأقاليم الشرقية، كالجورجيين والأرمن، عُرضة للشعور بـ «التهميش»؛ مما قد يؤدي بهم إلى التحول إلى موسكو. لكن منده اعترف بأن سياسة وحدات الحماية يمكن أن تكون لها «آثارٌ إيجابية على تركيا، وربما على العالم المحمَّدي أجمع»، واقترح حلًّا وسطًا يقضي بأنه يجب على تشكيلات المتطوعين أن تظل قائمةً على أسس عرقية، مع «استكمال هذه السياسة بالتأكيد القاطع على المبادئ العامة

للإسلام، ومن خلال دعم الرابطة الأخوية بين العناصر الأوسع الناطقة بالتركية كافة»[١٤٦]، وقد تجاهلت وحدات الحماية كل ذلك، وبعدها بأشهر، توجَّه منده في صيف عام ١٩٤٤ إلى برغر مرةً أخرى مكررًا هواجسه، لكن دون فائدة[١٤٧]. وأخيرًا، اجتمع ممثلون عن مكتب الوحدات الرئيسي، من بينهم أولتسا وأولريش، للتشاور مع منده[١٤٨]، وتذمَّر منده مرةً أخرى من السياسات الإسلامية لوحدات الحماية، لكن موقف الوحدات ظلَّ على صلابته. ولم يكن موقف منده معارضًا فحسب لمكتب الوحدات الرئيسي، بل أيضًا لزميله يوهانس بينسنغ الذي كان داعمًا لخطِّ وحدات الحماية. وقد تحولت السجالات الأكاديمية في فترة ما بين الحربين حول تأثير الإسلام في الاتحاد السوفييتي إلى نزاع حول صنع السياسات.

كان لسياسة وحدات الحماية تجاه مسلمي الأقاليم الشرقية بُعد أوسع؛ ففي شهور الحرب الأخيرة، تحولت التعبئة الإسلامية في الشرق إلى جزء من حملة إسلامية شاملة أطلقتها الوحدات. وكان «تعبئة الإسلام» عنوان مذكِّرة كتبها الطَّموح إميل هرمان في أواخر فبراير/ شباط من عام ١٩٤٤[١٤٩]، وكان اقتراح هرمان هو عملية تستهدف ضمان **تحريك العالم الإسلامي أجمع** (*dass der gesamte Islam in Bewegung gerät*)، فخطَّ مبادئ مشروع تعبئة إسلامي ضخم يستهدف جميع البلدان التي تصل إليها وحدات الحماية:

> «ما أقترحه هو أن يطلب القائد الأعلى للوحدات [هملر] من الفوهرر إصدار قرار باستدعاء جميع المحمَّديين القادرين على القتال في نطاق ما يمكن الوصول إليه في أوروبا للاجتماع في نقطة انطلاق، ويجب أن يضم ذلك العمال المدنيين المحمَّديين وعمال منظمة فريتز توت (Organization Todt) وأسرى الحرب وخلافه، ويجب أن يُجمع محمَّديُّو إسبانيا وفرنسا وإيطاليا واليونان وبلغاريا وألبانيا وكرواتيا بالتعاون مع وزارة الخارجية والحكومات الأجنبية ... ويجب أن تُسبق حملة التنسيق هذه بدعوة من المفتي الأكبر عبر الإذاعة والپروپاغندا في الصحف والمنشورات. وستعمل فرقة سلاح الجبل البوسنوية الثالثة عشرة والفرق الإسلامية الشرقية والألبانية المنتشرة حاليًّا بوصفها أداة دعائية مهمَّة ... وفيما يتعلَّق بتتر القِرم، فمما

يُقترح أن يُجمع الملالي (من أوديسًا أو القِرم نفسها) ليتحدث إليهم المفتي الأكبر شخصيًا. ويمكن التفكير في وضع محمَّديي إسبانيا وفرنسا وإيطاليا واليونان في الفيلق العربي. أما في رومانيا، فهناك عدد قليل من المحمَّديين، ومن غير الواقعي التفكير في تشكيلٍ منفصل. وفيما يتعلَّق بمحمَّديي بلغاريا، فيمكن تشكيل فيلق من المسلمين البوماك (Pomak) [البلغار]، فهناك حوالي أربعمئة وخمسين ألف مسلم يعيشون في بلغاريا ويتعرضون لقمع الحكومة البلغارية. وفي أثناء نشر التشكيلات المحمَّدية الجديدة، ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار أن تُمنح مناصب الضباط لمحمَّديين أو ألمان»[١٥٠].

وعلى الرغم من أن الخُطَّة لم تتبلور أبدًا، اجتهدت وحدات الحماية، في السنة الأخيرة من الحرب، في محاولات عديدة (أخفق أكثرها) في تعبئة، أو بعبارة برغر وضباط الوحدات الآخرين «تنشيط» المسلمين حيثما أمكن، لا من الاتحاد السوڤييتي والبلطيق فحسب، بل من إفريقيا وجنوب آسيا والشرق الأوسط؛ ففي خريف عام ١٩٤٣، طلب هملر من برغر تقييم مسألة ضم المسلمين الهنود إلى فرقة الخنجر؛ فأجابه برغر بأن «استقراءه المعمَّق» أظهَر أنه لا يمكن دمجهم في الوحدة البوسنوية؛ لأن المسلمين الهنود يَعُدُّون أنفسهم هنودًا أولًا قبل أن يكونوا مسلمين[١٥١]. ونصح كذلك بعدم توظيف أي تشكيل إسلامي هندي (*Indischer Moslemverband*) على الجبهة الشرقية؛ خوفًا من فرار الجنود إلى الهند[١٥٢]، ولكن لم تُنفَّذ الخُطَّة قطُّ. وسرعان ما اقترح برغر فكرة أخرى؛ ففي ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤٣، وبعد استشارة المفتي، اقترح برغر على هملر تجنيد مسلمين من شرق إفريقيا كانوا قيد السجن في فرنسا: «سيرغب هؤلاء المحمَّديون في قتال الإنكليز والأمريكان في إيطاليا»[١٥٣]، وعبَّر برغر عن رغبته في مناقشة الأمر مع أوتُّو أبيتس (Otto Abetz)، السفير الألماني في باريس، وهو ما لم يحدث قطُّ أيضًا. وفي المطلق، أخفق تجنيد وحدات الحماية للعرب إلى حدٍّ كبير، كما كانت الحال في القوات المسلَّحة؛ ففي فرنسا، وتحت إشراف مكتب أمن وحدات الحماية، تأسَّس في أوائل عام ١٩٤٤ **لواء شمال إفريقيا** (*Brigade Nord-Africaine*) المكوَّن من مئة وثمانين جزائريًّا يعملون تحت إمرة ضابط الغيستاپو الباريسي الشهير هنري لافون

(Henri Lafont)، والقومي الجزائري محمَّد المهدي المعروف بـ «إس إس محمَّد»[١٥٤]. قاتلت الوحدة المقاومةَ الفرنسية وسط فرنسا، لكنها تفككت في غضون أشهر بعد أن ساء الوضع العسكري هناك. وأثبتت خُطَّة تشكيل جيش عربي إسلامي (*Arabisch-Islamische Armee*) لوحدات الحماية، كما اقترح الحسيني في صيف عام ١٩٤٤، عدم واقعيتها بالكُلِّيَّة[١٥٥]؛ إذ أفادت وحدات الحماية بأن المتاح لتشكيل الجيش من العرب كانوا ثلاثمئة عربي فقط، على الرغم من أن برغر ظل على قناعة بأن المزيد من المتطوعين العرب قد يُستقدمون في المستقبل[١٥٦]، لكن لم تتبلور هذه الفكرة قطُّ أيضًا، وكذلك ثبت تعذُّر تنفيذ الخُطط المتعلِّقة بتشكيل أفواج مشاة عربية أصغر[١٥٧].

ولمَّا كانت وحدات الحماية تحاول يائسةً تجنيد كل مسلم تصل إليه يدها، فتَّشت معسكرات الاعتقال بحثًا عن مجنَّدين محتملين[١٥٨]؛ إذ أمر هملر برغر، في ربيع عام ١٩٤٤، بالتواصل مع أوسڤالد پوهل (Oswald Pohl)، مدير **المكتب الاقتصادي والإداري الرئيسي لوحدات الحماية** (*SS- Wirtschafts- und Verwaltungshauptamt*)، والمسئول عن الهيئة العامة لمعسكرات الاعتقال؛ ليشاوره في مسألة تجنيد المعتقَلين المسلمين لحساب وحدات الحماية[١٥٩]. بل إن ردولف برانت، مساعد هملر الإداري الشخصي، أرسل إلى برغر قائمةً مفصَّلة بالمعتقَلين من المسلمين في معسكرات الاعتقال، كان موظفو پوهل قد جمعوها (الشكل ٦-١)[١٦٠]. سردت القائمة المعنونة بـ: «بيان بالمعتقَلين المسلمين» (*Aufstellung über die Häftlinge islamitischen Glaubens*)؛ جميع المعتقَلين المسلمين ذكورًا وإناثًا في معسكرات أوشڤيتس (Auschwitz) (I– III)، وبوخنڤالد (Buchenwald)، وداخاو (Dachau)، وفلوسنبرغ (Flossenbürg)، وغروس-روزن (Groß-Rosen)، وماوثهاوزن (Mauthausen)، وناتزڤايلر (Natzweiler)، ونوينغامه (Neuengamme)، وريڤينسبروك (Ravensbrück)، وزاكسينهاوزن (Sachsenhausen)، وستوتهوف (Stutthof)، وبيرغن - بيلزن (Bergen-Belsen). كان إجمالي المسجَّل ألفًا ومئة وثلاثين (١١٣٠) مسلمًا، بالإضافة إلى تسع عشرة (١٩) مسلمة.

8

Aufstellung

Über die Häftlinge islamitischen Glaubens.

(Männer:)

	Afrikaner (Frz.Hol.)	Albaner	Bulgaren	Franzosen	Griechen	Holländer	Italiener	Kroaten	Polen	Russen	Serben (Jugoslawen)	Tartaren	Türken	Ukrainer	Staatenlose	Zusammen:
Auschwitz I										1						1
Auschwitz II		3					1	7	1	26	2					40
Auschwitz III										4	1					5
Buchenwald		5	1	3o		1		55	1	182	4					279
Dachau	2	42			1					23	7					75
Flossenbürg				9						2o						29
Gross-Rosen		3						8	1	75						87
Mauthausen		9		19				5		73	19		2			127
Natzweiler		3		2				4	1	21	4					35
Neuengamme		15	1	1				138		33	11					199
Ravensbrück								3		13	3	1				2o
Sachsenhausen		37	1	11		1	1	129		24	16		1		1	222
Stutthof										11						11
Bergen-Belsen																
Insgesamt:	2	117	3	72	1	2	2	349	4	5o6	67	1	3		1	113o

(Frauen:)

	Russen	Serben (Jugoslawen)	Ukrainer	Zusammen:
Auschwitz	2	7		9
Ravensbrück	9		1	1o
Insgesamt:	11	7	1	19

(الشكل ٦-١): قائمة المعتقَلين المسلمين في معسكرات الاعتقال، جمعها المكتب الاقتصادي والإداري الرئيسي لوحدات الحماية في عام ١٩٤٤ (BAB).

وكان أكثرهم من شرق أوروبا وجنوب شرقها، ويُفترض أنهم كانوا معتقَلين سياسيين. لكن القائمة ظلَّت غير مكتملة؛ إذ لم تكن بعض الجماعات مضمَّنة فيها، وكان من أبرز هذه الجماعات المعتقلون المسلمون من البلدان العربية(١٦١). كان ردُّ فعل مكتب الوحدات الرئيسي فوريًّا، ودفع عجلة عملية بيروقراطية استمرت لستة أشهر شارك فيها مكتب أمن الرايخ الرئيسي التابع لوحدات الحماية، والمكتب الاقتصادي والإداري الرئيسي في وحدات الحماية، وفريق عمل هملر. وأخيرًا، كتب أولتسا، في تقرير إلى برغر بتاريخ السادس عشر من نوفمبر/ تشرين الثاني لعام ١٩٤٤، أن مكتب أمن الرايخ الرئيسي لم يقرر بعدُ، رغم المطالبات المستمرة، ما إذا كان بعض المسلمين المحتجَزين في معسكرات الاعتقال يصلحون للتجنيد(١٦٢)، وقد أعلَم برغر هملر بهذه المشكلات واقترح تأجيل العملية(١٦٣)، وكتب قائلًا: إن جزءًا من مسلمي البوسنة الذين أُطلق سراحهم فورًا بناءً على طلب حكومة الأوستاشا، ومن تبقى من المسلمين، الذين اعتُقلوا على خلفية «تعديات متنوعة» لن يكونوا جنودًا صالحين بالتأكيد؛ فلَم يَسعَ هملر وراء الأمر مرةً أخرى.

وفي المجمَل، تكشف لنا نظرةٌ أقرب إلى التشكيلات غير الألمانية في القوات المسلَّحة ووحدات الحماية أن المسلمين لعبوا دورًا مهمًّا في كلتيهما؛ ففي حين كانت القوات المسلَّحة أول من بدأ تجنيد المسلمين وحشدت عددًا أكبر مما حشد هملر، أصبحت وحدات الحماية -قرب نهاية الحرب- الطرف ذا اليد العليا في التعبئة العسكرية للمسلمين. وكانت سُلطات القوات المسلَّحة ووحدات الحماية كلتاهما تراعيان في تشكيلهما للوحدات الإسلامية الهوية الدينية للجنود. وعندما كان كبار المسئولين الألمان، وبالأخص هتلر وهملر وبرغر، يتحدثون أو يكتبون عن هذه التشكيلات، فإنهم كانوا يعاودون استعمال تصنيفات دينية أكثر من تلك القومية أو العِرقية. وقد شُرع في تجنيد المسلمين، كغيره من حالات تعبئة غير الألمان في القوات المسلَّحة ووحدات الحماية، في سبيل تعويض نقص القوة البشرية في الأساس. لكن في حالة المسلمين، لعبت اعتبارات البروباغندا الحربية العامة، والأفكار المتعلقة بجدارة المسلمين بالثقة، وخصائصهم القتالية، دورًا استثنائيًّا؛

ولذلك، جنَّدت القوات المسلَّحة ووحدات الحماية عددًا هائلًا من المسلمين، وقرَّرت أن توفر لهم رعاية دينية خاصة، بالإضافة إلى الپروپاغندا، كما ستبين الفصول التالية.

الفصل السابع
الإسلام والسياسة في الوحدات

في الوقت الذي كانت القوات الإسلامية في صفوف الڤيرماخت والڤافن إس إس تقاتل فيه على جميع الجبهات، ألقى هملر خُطبة في الثامن والعشرين من يناير/ كانون الثاني لعام ١٩٤٤، في مؤتمر للعاملين بمكتب السياسة العرقية بالحزب النازي (NSDAP)، بحضور غوبلز[1]، وفي خضمِّ مفاخرته بالمجنَّدين الأوروبيين في صفوف وحدات الحماية، انتقل فجأة إلى الحديث عن فرقته البوسنية، قائلًا: «وهنا، في هذه الفرقة الإسلامية البوسنية، نشرت وحدات الحماية لأول مرة فرقة دينية الطابع بالكُليَّة». لا ريب أن منظِّري الحزب اللَّادينيين حبسوا أنفاسهم، ومن الواضح أن هملر كان يعي ذلك تمامًا، فأكد قائلًا: «نعم؛ كما فهمتم: دينية بالكامل، مسلمة بالكامل»، فكلُّ كتيبة لها إمامها. وقد أُعيد «بعد موافقة الفوهرر» الاعتراف بالحقوق الهابسبورغية القديمة؛ إذ «سيحصل المسلمون المتدينون على الغذاء وفقًا لشرائعهم الدينية، وسيمنحون الحرية المطلقة لممارسة شعائرهم وعاداتهم وأعرافهم الدينية». ثم كشف أخيرًا، بعد أن أثنى على الطابع الديني للفرقة، عن رأيه الشخصي في هذه الامتيازات الدينية الممنوحة للمجنَّدين المسلمين: «يجب أن أقول إنني لا آخذ على الإسلام شيئًا، فهو يهذِّب رجال هذه الفرقة نيابةً عني، ويعدهم بالجنَّة إن هم قاتلوا وقُتلوا في المعركة. ياله من دين عملي وجلَّاب للجنود!»؛ فتلقَّى المؤتمر خطابه بتصفيق حادٍّ ومتواصل.

لكن خلف الأبواب المغلقة، وبين رفاق حزبه، بدا رأي هملر في الإسلام أكثر براغماتية وأقل مثالية مما قد نستشفُّ من سماع خطابه الموجَّه إلى المتطوعين

المسلمين في سيليزيا؛ فقد كشف ذلك الخطاب عن أن التفكير الهادئ، لا الحماسة الأيديولوجية، هو ما شكَّل أفكاره المتعلقة بالجنود المسلمين، وبدا من الخطاب أيضًا أن هملر كان يعي أهمية الإسلام عندما نشر الفرقة الإسلامية، وأنه كان على قناعة بأن الدين الإسلامي يعزِّز الالتزام العسكري والروح المعنوية القتالية.

كانت هذه الرؤية شائعة على نطاق واسع في وحدات الحماية والقوات المسلَّحة. وبمجرد تأسيس الوحدات الإسلامية، كان من المهم الإبقاء على معنويات الجنود مرتفعة، وكان يُعتقَد أن المشاعر الإسلامية ستوطِّد الالتزام العسكري والإرادة القتالية. لقد رأى المسئولون الألمان أن الإسلام عدائيُّ الطابع، وكانوا على قناعة بأنه سيحفِّز الجنود على القتال. وكان يُعتقد أن الإسلام يمكنه إسباغ رداء العدالة والشرعية على الحرب من منظور المسلمين؛ ففي «حرب مقدسة»، لا يكون القتل محرَّمًا، وتغدو التضحية في المعركة شرفًا. وكذلك، جعل التصور القائل بوجود تناقض أصيل بين الإسلام والبلشفية، بالإضافة إلى فكرة العداء بين الإسلام واليهودية من بعض النواحي؛ كل ذلك جعل من الإسلام ركيزة مثالية للوحدات الإسلامية، وفي النهاية، بدا الإسلام، وبدقة أكثر: الشعائر والشرائع والسُّلطات الإسلامية، أداةً ممكنة لتعزيز الالتزام والانضباط في الوحدات، وأنه يقدِّم أيضًا رابطة قوية يمكن استغلالها في تعزيز التماسك الجماعي لهذه التشكيلات، فرَوحُ الانتماء في الوحدات الألمانية المسلمة يمكن إقامتها على روابط الجماعتَين: العسكرية والدينية.

ولذلك، لم تقتصر القوات المسلَّحة ووحدات الحماية على مجرد السماح بالممارسات الدينية في الوحدات الإسلامية، بل دعمتها ووظَّفتها توظيفًا نشطًا؛ ففي المراحل الأولى من عملية التجنيد، حاول المسئولون الألمان استعمال المحاججات الدينية في الترويج للحرب على ما زُعم أنهم أعداءٌ مشتركون، وبعد نشر الوحدات، دُفعت هذه السياسة إلى الأمام أكثر؛ فمُنح المسلمون امتيازات دينية متنوعة، تتعلَّق بممارسات الطعام والشراب والمناسبات الدينية والدفن. وغالبًا ما تجاوزت إجراءات السياسة الألمانية في الواقع احتياجات المتطوعين المسلمين

الأساسية وتوقعاتهم؛ إذ اندمجت، في داخل الوحدات، الهياكل والممارسات العسكرية الأوروبية، كالتدريبات والتكتيكات وهيراركيات القيادة، مع الأعراف والعادات الدينية للمسلمين، وكانت هذه الظاهرة مألوفة في تاريخ الجيوش الاستعمارية الأوروبية، لا سيما مع أفواج السباهي في الهند البريطانية[٢]. وفي المجمَل، كان يُعتقد أن الكفاءة العسكرية تنبثق عن الطريقة التي يرتبط بها التنظيم العسكري بدين الجنود.

من المقطوع به أن الدين كان مسألة لها أهميتها في غالب الجيوش على مرّ القرون[٣]؛ فالطعام والإيمان مثّلا أشدَّ مخاوف الجنود وهم يصارعون في سبيل البقاء على الجبهات الأمامية، وغالبًا ما كان القادة العسكريون يَعُدُّون الرعاية الدينية أمرًا محوريًّا لتعزيز الانضباط والروح القتالية. لكن مسألة موقع الدين من جيوش هتلر كانت مثار نزاع[٤]، فبينما رفدت القيادة العسكريةُ الجيشَ بما يقرب من ألف قسٍّ ميداني، كاثوليكي وبروتستانتي، ودعمت توفير العناية الرعوية، حاولت أطرافٌ أخرى في النظام، كان من أبرزها منظمات الحزب القوية، كبح جماح التأثير المسيحي في الوحدات. وقد اتبعت برلين في العموم سياسة عدم التدخل في الشئون الدينية داخل التشكيلات غير الألمانية في القوات المسلَّحة ووحدات الحماية؛ ذلك أن حرية الممارسة الدينية والدعوة لها كانت متاحة لجميع المِلَل. لكن جهود الألمان المكثفة لاحتواء الإسلام وتشجيعه في الوحدات كان أمرًا استثنائيًّا للغاية، مقارنة بالسياسات المتبنَّاة تجاه الجماعات الدينية الأخرى، وفي حين حُظر توظيف قساوسة الجيش المسيحيين في قوات الڤيرماخت الشرقية، على الأقل في البداية، وفَّر الألمان أئمة عسكريين لوحداتهم المسلمة منذ البداية[٥]، وفي الوقت الذي كان فيه القساوسة المسيحيون واللاما البوذيون يُوظَّفون في وحدات المتطوعين في القوات المسلَّحة ووحدات الحماية، كانت المخصَّصات المتعلقة بالممارسات الدينية الإسلامية في الوحدات ذات نطاق أوسع بدرجة كبيرة. وفي الواقع، كانت أعداد الأئمة الميدانيين الموظَّفين في القوات المسلمة تتجاوز، نسبةً وتناسبًا، أعداد قساوسة الجيش الذين وظَّفهم الرايخ الثالث في الوحدات الألمانية وغير الألمانية.

وقد اضطلع الدين بدور أهم في التشكيلات الإسلامية. وكان انعدام الثقة في المسيحية عمومًا، وفي الكنيسة الأرثوذكسية خصوصًا، أحد أسباب ذلك. كما أن المتطوعين المسيحيين في الفيالق، وبالأخص الجورجيون والأرمن، أبدَوا نزعة أضعف بشكل ملحوظ نحو التدين، مقارنة بنظرائهم المسلمين من البوشناق والتركستان والأذر والقوقازيين الشماليين وتتر القِرم. وكان قرار دعم الدين في الوحدات المسلمة قد اتُّخذ بناءً على فرضية مفادها أن الإسلام -خاصة- يلائم تعبئة الجنود وضبطهم وتحفيزهم، وكذلك، بدا أن احتواء الإسلام داخل الوحدات مسألة على قدر من الأهمية؛ نظرًا لما تزعمه ألمانيا النازية من صداقة للعالم الإسلامي.

الدين والتجنيد

لعب الإسلام دورًا مركزيًّا في تجنيد المتطوعين المسلمين منذ البداية؛ إذ وظَّفت السُّلطات الألمانية شخصيات دينية، من علماء الشرق والبلقان والشخصيات والزعامات المسلمة التي أتت إلى برلين لمناشدة أسرى الحرب والمدنيين المسلمين الانضمام إلى صفوف الجيش الألماني، وقد تطوَّعت بعض الشخصيات الدينية باستعمال شبكاتها وصِلاتها للإسهام في جهود التجنيد الألمانية، واستخدام لهجة دينية في شرح دعوات التجنيد الألمانية، بغية إسباغ الشرعية الدينية والأخلاقية على العملية.

وكان تشكيل الجيش الحادي عشر بقيادة مانشتاين لفصائل مقاتلة في شبه جزيرة القِرم، من بين الأمثلة المبكرة لتوظيف العلماء من أهل البلاد في خدمة جهود التجنيد الألمانية؛ ففي الثالث من يناير/ كانون الثاني عام ١٩٤٢، مثَّل اجتماع اللجنة الإسلامية في سيمفروبول مؤشرًا على الشروع في تجنيد تتر القِرم(٦). كان ضباط **فرقة قوات المهمات (د)** من بين الحضور الألمان، وكان من بينهم أولندورف ممثلًا عن القيادة الألمانية. حمل الحدث طابعًا دينيًّا قويًّا؛ إذ احتوى على عناصر مشهد ديني، ومُنح الإمام المحلي دورًا بارزًا. وبعد عرض المخطَّط العام للمعركة ضد البلشفية، خاطب أحد ملالي سيمفروبول البارزين إخوانه من التتر، موضِّحًا لهم أن دينهم وإيمانهم يفرضان عليهم المشاركة في هذه المعركة المقدسة في صفٍّ

الألمـان، وأن القضـاء على الحكم السـوڤيتي سيُعيد لهم حريتهـم الدينية، وأضاف رئيس الجلسـة: «إنه مما يشـرِّفنا أن تتاح لنا فرصة القتال تحت لواء الفوهرر أدولف هتلر، أعظم رجالات الشـعب الألماني». شـكر أولندورف التتر راضيًا، وأكد لهـم أنه تحـدث مـع رجالـه الذين أدركـوا ضرورة النضـال المشـترك ضد الملاحـدة، وأمام ناظـرَي أولنـدورف ورفقتـه، اسـتهلَّ المسـلمون معركتهـم بالدعـاء، فانتفـض التتـر المجتمعـون بحـزم لترديـد عبارات الملَّا الـذي ابتهل إلى الله راجيًـا «تحقيق انتصار سـريع، وإنجـاز الهدف المشـترك، ومنح الفوهرر أدولف هتلر العمـر المديد»[٧]، ثم انتهـى الاجتماع بعد الدعاء مرةً للشـعب والجيش الألمانييـن، ومرةً للجنود الألمان الـذي سـقطوا فـي المعارك، وبعدها بأسـبوع، وسَّـعت لجنـة سـيمفروپول أهدافها، مضيفة أن «لجنة القِرم ترى أن مشـاركة الجيش الألماني في تحرير مسـلمي الاتحاد السوڤيتي هو واجبها المقدس»[٨].

وقـد أقيمت مراسـم شـبيهة فـي مناطق إسـلامية أخـرى كانت القوات المسـلَّحة ووحدات الحماية تُجنِّدان المتطوعين فيها. وكان أشمل توظيف للعلماء هو ما وقع فـي البوسـنة والهرسـك؛ فقد أجـازت وحدات الحمايـة بالفعل كيانـات دينية محلية لتسجيل المتطوعين المسلمين، ودعا إعلان التجنيد الرسمي لفرقة الخنجر المسلمين لتسـجيل أسـمائهم في مراكزهم الدينية المحلية، مهمِّشًـا بذلك سُـلطات الأوستاشا تمامًـا[٩]، وفي جميع أنحاء المنطقة، أصبح الزعماء والأئمة الدينيون متعهِّدي تجنيد مخلصين[١٠]، وكان محمَّد پانچا من أهم الشخصيات التي اضطلعت بدور كهذا[١١]، فقد وصفه حسن بايراكتاريڤيتش (Hasan Bajraktarević)، أحد الأئمة الميدانيين في فرقـة الخنجـر، بأنه «المبادر الحقيقي والدعائي ومتعهِّـد التجنيد والمقاتل الأكبر في سـبيل تشكيل هذه الفرقة واسـتكمالها»[١٢]، ووفقًا للإمام بايراكتاريڤيتش، كان پانچا هـو مـن أقنـع «القيـادة الدينيـة الإسـلامية» بدعـم نشـر فرقـة هملـر، ثـم أطلقـوا هم «الپروپاغنـدا الأقـوى» ووفَّروا أئمـة للتجنيد، وفي النهاية، كان نجـاح التجنيد يُعزى لهـذه المؤسسـات الدينيـة بدرجـة كبيـرة، ولپانچـا فـي المقـام الأول، وقـد أوضـح بايراكتاريڤيتش أن «الجميع يعلم» أن كلَّ ما يوصي به پانچا «إسلامي ووطني بحق»،

وفـي بعـض المـدن، توجَّب علـى المجنَّدين، قبـل الدلوف إلى مكتب التسـجيل في الفرقة، أن يعاينهم پانچا، الذي كان يُعِدُّهم ذهنيًا لهذه المهمَّة[١٣]. ومن غير المستغرب أن نجـد برغـر، الذي ما كلَّ ولا ملَّ من التشـديد على أهمية الإسـلام، مناصرًا عتيدًا لمشاركة وجهاء المسلمين في عملية التجنيد؛ إذ شرح لكرستن أن «تجنيد المتطوعين يتـم -حصرًا- بواسـطة رجال الدين المسـلمين الذين هم أقـرب للواقع من نظرائهم المسـيحيين»[١٤]، وبالفعـل، كان برغر حريصًا على وضع عمليـة التجنيد بالكلية بين يدي الأئمة[١٥]. وبعدها، وظَّف ساوبرتسـڤيغ أيضًا أئمة فرقته العسـكريين في أنشطة التجنيـد؛ ففـي نوفمبـر/ تشـرين الثانـي من عـام ١٩٤٣، على سـبيل المثال، أرسـل ساوبرتسـڤيغ الإمـام بايراكتاريڤيتـش، رفقـة إمامَيـن آخرَيـن مـن فرقة الخنجـر، إلى البوسـنة والهرسـك لتجنيد المتطوعين[١٦]، وتحدث الأئمة عن جهود التعبئة قائلين: إنـه «منـذ اليـوم الأول» كان هنـاك «تواصـل دائـم» مـع «القيـادة الدينية الإسـلامية» المحليـة[١٧]. وأوجـز أحـد تقاريـر وحـدات الحماية الأمـر بقوله: إن «رجـال الدين المسلمين» أسهموا «إسهامًا كبيرًا» في تشكيل الفرقة[١٨]. وقد حاولت قيادة وحدات الحمايـة فـي البلقان دعم المسـئولين عن التجنيد فيها بملصقـات تجنيد دينية تحمل راية النبي [ﷺ] الخضراء[١٩].

أما في الشرق، فقد انهمك يعقوب شينكييتش، مفتي أوستلاند الجديد، في تجنيد الأسـرى المسـلمين وتأدية المتطوعين الجُدُد للقَسم في مراسـم دينية[٢٠]؛ فشدَّد في خُطبته أمام المجنَّدين الجُدُد في البلطيق، في أوائل عام ١٩٤٤، على الشـعار القائل بأن «المسلمين لا يجوز لهم أبدًا، لأسباب سياسية ودينية، التحالف مع البلشفية التي هي أيديولوجيا الإلحاد».

وكذلـك كان المتعاونـون المسـلمون العاملون فـي العاصمة الألمانيـة يرتحلون بانتظـام لدعـم تعبئة المسـلمين في الميـدان؛ ففي أوائـل عام ١٩٤٢، كلَّفـت القيادة العليا للقوات المسـلَّحة عالم چان إدريس بمتابعة تسـجيل بضع آلاف من الأسـرى المسـلمين وأدائهم القسَم في معسـكر داخل إقليم الحكومة العامة[٢١]؛ ونظرًا لسابق عمله مع أسـرى الحرب المسـلمين لدى ألمانيا في الحـرب العالمية الأولى، بدا أنه

مناسبٌ تمامًا لهذه المهمة. ذهب إدريس إلى المعسكر على الفور، وهناك وزَّع سجائر مع كتب ومنشورات إسلامية، لكن زيارته أثارت بعض القلق لدى قيادة الجيش ووزارة الشرق[٢٢]؛ إذ خطب إدريس، من موقعه بصفته شخصية إسلامية دينية، وفقًا للأوامر الصادرة إليه، في المجنَّدين المسلمين حول أمور دينية وسياسية. لكنه، دون أن تُجيز له برلين ذلك، أظهَر الثناء على سياسة تركيا التي أكَّد على أنها أبدت اهتمامًا كبيرًا بوضع أسرى الحرب المسلمين في ألمانيا؛ وسرعان ما استُدعي إلى برلين مباشرة.

وفي البلقان، وظَّف هملر وبرغر مفتي القدس في الدعوة للتطوع في فرقة الخنجر، وفي الواقع، لم يكن الهدف الوحيد من جولة المفتي في ربيع عام ١٩٤٣[أ] مجرد استعادة ثقة المدنيين المسلمين، بل الدعاية أيضًا للفرقة الجديدة، وإسباغ طابع ديني على عملية التجنيد الخاصة بوحدات الحماية في البلقان، ويبدو أن جهود جولة الحسيني للدعوة للتجنيد العسكري قد آتت أُكُلها؛ وحين غادر البلقان، كان آلاف المسلمين قد تطوعوا بالفعل، وبكثرة أبهجت ضباط وحدات الحماية؛ ومع ذلك، لم تتبلور قطُّ خُطط برغر لإرسال المفتي في جولة على الجبهة الشرقية؛ بغية «تنشيط» المسلمين هناك على حدِّ تعبيره[٢٣]. وفي الواقع، لم يضطلع الحسيني بأي دور في جهود تجنيد وحدات الحماية في الشرق. ويبدو أن المرة الوحيدة التي استُعمل فيها هناك عندما أرسلت إليه وحدات الحماية في الرابع عشر من ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤٣ماير-مادر، رفقة وفد من المجنَّدين المسلمين من فيلق وحدات الحماية الإسلامية الشرقية. وقد فاخر المفتي بأن الجنود أكَّدوا له أنهم «سيقاتلون كتفًا بكتف رفاقهم الألمان في سبيل القضية المشتركة وحتى النصر النهائي»، وذلك بعد أن أخبرهم عن «حُسن معاملة المسلمين» في وحدات الحماية البوسنوية، و«تعاطف القيادة الألمانية مع المسلمين وحرية بلادهم، وتفهمهم للقضية الإسلامية»[٢٤]. وأفادَ إميل هرمان أن الاجتماع نجح نجاحًا عظيمًا في قوله: «لم يدرك الضباط التركمان أهمية تنشيط الإسلام بكلِّيته إلَّا بعد عبارات فضيلته»[٢٥].

(أ) انظر الفصل الخامس، ص٢٤١ وما يليها. (المترجم)

ونقل برغر إلى هملر أن الضباط التركمان تفاعلوا بحماس مع الدعوة إلى «قتال الإسلام ضد القوى المعادية»[٢٦].

وكما كانت الحال في البلقان، حرصت وحدات الحماية على توظيف مقولات الوحدة الإسلامية حين شرعت في حملات تجنيدها الإسلامية في الشرق، وقد أزال أحد منشورات التعبئة، الذي دعا «المسلمين» إلى التطوع في فرقة وحدات الحماية الإسلامية الشرقية الجديدة، كل شكٍّ في أن ألمانيا والعالم الإسلامي كله يحاربان على الجبهة نفسها[٢٧]. وزعمت وحدات الحماية أن «الأعداء المشتركين» يرغبون بشدة في «قتل أكبر عدد ممكن من المسلمين» في الحرب، وذلك في سبيل التمكن من حكم «البلدان الإسلامية» ونهبها واستغلالها بحرية أكبر، مذكِّرةً بأن غالبية سكان العالم الإسلامي، أي «المئتين واثنين وثلاثين مليون مسلم» مضطرة للرسوف في أغلال «الحكم الأجنبي؛ الإنكليزي والأمريكي والفرنسي والروسي»، وأن انتصار ألمانيا وحده هو ما سيُتيح للمسلمين فرصة تحقيق استقلالهم: «فإن هُزمت ألمانيا؛ سيتلاشى أملكم الأخير في تحرركم أيها المسلمون».

لقد أسبغ توظيف الشخصيات والبروباغندا الدينية شرعية إسلامية على حملة التجنيد، لكن تأثير فكرة القتال في سبيل الإسلام والحرية الدينية في إقناع غالبية المسلمين بالانضمام إلى صفوف الجيش الألماني ظلَّ مثارًا للجدل؛ حيث من المؤكد أن بعض المجنَّدين كانوا مدفوعين بالكراهية الدينية والحماس الأيديولوجي، متقبِّلين شعارات الزَّعامات الإسلامية التي وظَّفتها برلين، لكن في المجمل، كان لدى المسلمين في الغالب دوافع دنيوية أخرى للتطوع؛ إذ كانت مصالح جنود الجيش الأحمر، الذين جُنِّدوا من بين أسرى الحرب، مادية بالأساس؛ لأن الحصول على الرواتب والطعام كان أفضل -بطبيعة الحال- من مقاساة الجوع والصقيع والمرض في المعسكرات. لقد أمَّل العديد منهم في أن الزي الألماني سيساعده على النجاة من الحرب. ففي أواخر عام ١٩٤٢، وزَّعت إدارة الدعاية في القوات المسلَّحة استبيانات على بعض المتطوعين سائلة إياهم عن دوافعهم للتطوع، وكان من بين أكثر الإجابات شيوعًا الرغبة في الهرب من الأوضاع المريعة في معسكرات

أسرى الحرب. كذلك لعبت مناهضة البلشفية ومعارضة الدولة السوڤييتية دورًا مهمًا[٢٨]. وبعدها بعام، أوضح رالف فون هايغندورف للعاملين الألمان في فيالقه الشرقية أنه على الرغم من أن الدوافع المثالية قد اضطلعت بدور «لا يُستهان به»، إلَّا أن «أكثر الجنود المعتقَلين في معسكرات أسرى الحرب حفَّزتهم -بلا شكٍّ- دوافعُ مادية للانضمام إلى القوات الألمانية»[٢٩]. وفي المناطق التي جنَّدت فيها القوات المسلَّحة والجيش السكان المدنيين المسلمين في القِرم والبلقان، كان المتطوعون يؤمِّلون في استخدام الأسلحة الألمانية لحماية عائلاتهم. وقد شدَّد المؤرِّخون على «الدور المركزي» الذي اضطلعت به الحقوق الدينية الجديدة، التي أُدخِلت إلى القرم، في تحفيز هؤلاء المسلمين على الانضمام إلى صفوف الألمان[٣٠]، لكن العديد من المجنَّدين في القِرم رأوا في الخدمة العسكرية كذلك فرصة لهم للدفاع عن أنفسهم ضد قطَّاع الطرق والپارتيزان، ولتحسين وضع عائلاتهم. وبالمثل، أمَّل المتطوعون المسلمون -غالبًا- في الدفاع عن قراهم ضد قوات التشيتنيك والپارتيزان والأوستاشا. وعندما لم تحقِّق جهود التعبئة الألمانية الأولى النسبة المتوقعة في أعداد المجنَّدين، بدأت وحدات الحماية في تسجيل المسلمين في بعض المناطق بالقوة؛ ففي تراڤنيك في وسط البوسنة -على سبيل المثال- جُمع المتطوعون المسلمون في فرقة الخنجر وجُنِّدوا إجباريًّا في إحدى الصلوات؛ إذ اقتحم متعهِّدو التجنيد المسجد واحتجزوا بالقوة من بدا لهم من الرجال لائقًا للخدمة العسكرية[٣١]، لكن في الصباح التالي، فرَّ بعض هؤلاء «المجنَّدين» إلى الغابات.

الشعائر الدينية والانضباط العسكري

حظي جميع الجنود المسلمين المتطوعين في الجيش الألماني بحقوق دينية خاصة، وكان لهذه السياسة -نوعًا ما- سابقة في الامتيازات الممنوحة لأسرى الحرب المسلمين الذين قاتلوا في صفوف الجيش الفرنسي[٣٢]. وكانت القوات المسلَّحة هي أول من أعطى أوامر واضحة بهذا الشأن بخصوص المجنَّدين المسلمين في عام ١٩٤٢. وكانت التوجيهات العامة المرسَل بها إلى الفيالق الشرقية،

في الرابع والعشرين من إبريل/ نيسان في عام ١٩٤٢، قد وجَّهت الضباط الألمان بالفعل إلى إيلاء «الرعاية الذهنية والدينية لأفراد الفيالق» أهمية خاصة[٣٣]، وبعدها بشهرين، وُجِّه العاملون الألمان مع المسلمين في الكتائب التركية بـ «تلبية الاحتياجات الدينية» لأفراد الكتائب[٣٤]، وأُبلغ الجنود أن «التجربة أثبتت أن الرعاية الدينية يمكنها تحقيق الانضباط من خلال رفع الروح المعنوية العامة، وخاصة لدى المحمَّديين». وبعد فترة وجيزة، وزَّع مقر قيادة العمليات التابع لنيدرماير (في الفرقة التركية الثانية والستين بعد المئة) لوائح تنظِّم الممارسات الدينية في الكتائب الميدانية المسلمة[٣٥]. أدخلت اللوائح أساسًا تنظيميًا للحياة الدينية بما يشمله ذلك من صلوات يومية، وأعياد دينية، وطقوس جنائزية، وفروض الطعام والشراب وتعيين الأئمة الميدانيين، وإدخال تراتبية دينية-عسكرية. وأوضح نيدرماير، في أحد الأوامر، أن احترام الدين يمثل أساس تثقيف الجنود وتدريبهم[٣٦]. وأصدر مقر قيادة العمليات الثاني بقيادة رالف فون هايغندورف قرارات مشابهة؛ ففي صيف عام ١٩٤٣، عندما كانت معظم الكتائب تقاتل على الأرض، ذكَّر هايغندورف العاملين الألمان بـ «احترام الأعراف الدينية لدى المحمَّديين المتدينين»[٣٧]، وفي الوقت نفسه، وجَّه ضباطه الألمان بالتشديد على التسامح الديني في وحداتهم: «يجب التشديد على أننا نمنح حرية دينية مطلقة، في حين أن البلشفية قمعت الكنيسة»[٣٨]. وفي خريف عام ١٩٤٤، أُبلغ الطاقم الألماني في الفيالق، التي كانت تقاتل ساعتها دفاعًا عن الرايخ، أن «معنويات» الجنود المسلمين سترتفع في حال احتُرم ما يعتقدون «قداسته»[٣٩]. وأوضح ملف التوجيهات أن هناك «أعضاءً محمَّديين من التشكيل التطوعي يتدربون على يد خبراء أكاديميين مختصين بالإسلام وفقًا لأصول دينهم، وذلك ليلبُّوا رغبة الوحدات في رعاية دينية يقدِّمها الملالي»، وأضاف أن ألمانيا نفسها فيها بعض «المساجد المحمَّدية»، وأنها كانت «أول بلد أوروبي يطبع القرآن بلغته العربية الأصلية وبترجمات أخرى، وقد قدَّمته للمتطوعين». بل إن نيدرماير وزَّع في النهاية ستمئة نسخة من كتاب **الإسلام** لرودنقالد[٤٠]. وعندما شرعت وحدات الحماية في تشكيل أولى وحداتها المسلمة في البلقان في أوائل عام ١٩٤٣، اتبعت الإستراتيجية نفسها. وكان هملر قد وجَّه، في منطوق أمره بتعبئة فرقة

الخنجر، بأن البوشناق يجب أن يُمنحوا «الحقوق القديمة التي كانوا يحصلون عليها في الجيش النمساوي»، أي «حرية ممارسة الدين واعتمار الطربوش»(٤١). وبعدها تقرَّر أن يحصل مسلمو فيالق وحدات الحماية الشرقية على الامتيازات الدينية نفسها التي حصل عليها مسلمو فرقة الخنجر(٤٢). واجتهدت وحدات الحماية هي الأخرى في تثقيف الضباط الألمان في الوحدات المسلمة حول الإسلام، حتى أنهم وضعوا لذلك دليلًا ميدانيًّا صغيرًا بالألمانية(٤٣). ودرس مكتب الوحدات الرئيسي في البداية توزيع كتاب رودنڤالد **الإسلام**، لكن الخُطَّة تجوهلت بعد ذلك؛ نظرًا لأنه بدا مفصَّلًا أكثر مما ينبغي بالنسبة لهدفهم، وفي النهاية، صدر كُتيبٌ صغير، لكنه لم يوزَّع قطُّ؛ لأن بعض ضباط الوحدات اعترضوا على تركيزه على العالم العربي.

ضمنت القوات المسلَّحة ووحدات الحماية كلتاهما أن يمارس الجنود المسلمون شعائرهم الدينية اليومية ويراعوا مناسباتهم الدينية؛ ففي أغسطس/ آب من عام ١٩٤٢، أصدر نيدرماير تعليمات تُعفي المسلمين من الخدمة العسكرية في أوقات الصلوات اليومية(٤٤)، وفي أيام الجُمَع، كانت خدمتهم العسكرية تنتهي في الرابعة عصرًا. ونصح مقر قيادة العمليات بقيادة هايغندورف الطاقم الألماني أن يُظهر الاحترام «عندما يصلِّي مسلمٌ، وفقًا لعقيدته، في مكان عام ... وألَّا يحملَق فيه في أثناء فعل يراه هو مقدسًا ... وأن يتجنب أي إزعاج»(٤٥)، ويُحظر على الجنود الألمان، «على أية حال»، «تصويره في صلاته!». وكذلك حظيت الأعياد والعطل الدينية الأساسية بالاحترام؛ إذ فاخر هايغندورف، بعد الحرب، بأنه «نظَّم احتفالات كبرى في الأعياد الأساسية كرمضان والمولد النبوي وغيرها»(٤٦). وقد منح الاعتراف بالمناسبات التاريخية المقدسة السُّلطات النازية فرصة مثالية لاستخدام الاستعراضات الدينية في توصيل رسائل سياسية، والاحتفاء بتحالف ألماني إسلامي، والدعاية لأنفسهم بوصفهم رعاة الإسلام؛ إذ منح نيدرماير، منذ وقت مبكِّر في عام ١٩٤٢، المجنَّدين المسلمين في فَيلقه إعفاءً من العمل من بعد ظهر يوم التاسع من أكتوبر/ تشرين الأول وحتى ظهر العاشر منه من أجل الاحتفال بعيد الفطر(٤٧). ورسمت جرائد البروپاغندا الألمانية الموجَّهة إلى الفيالق صورة مشرقة للاحتفالات الدينية

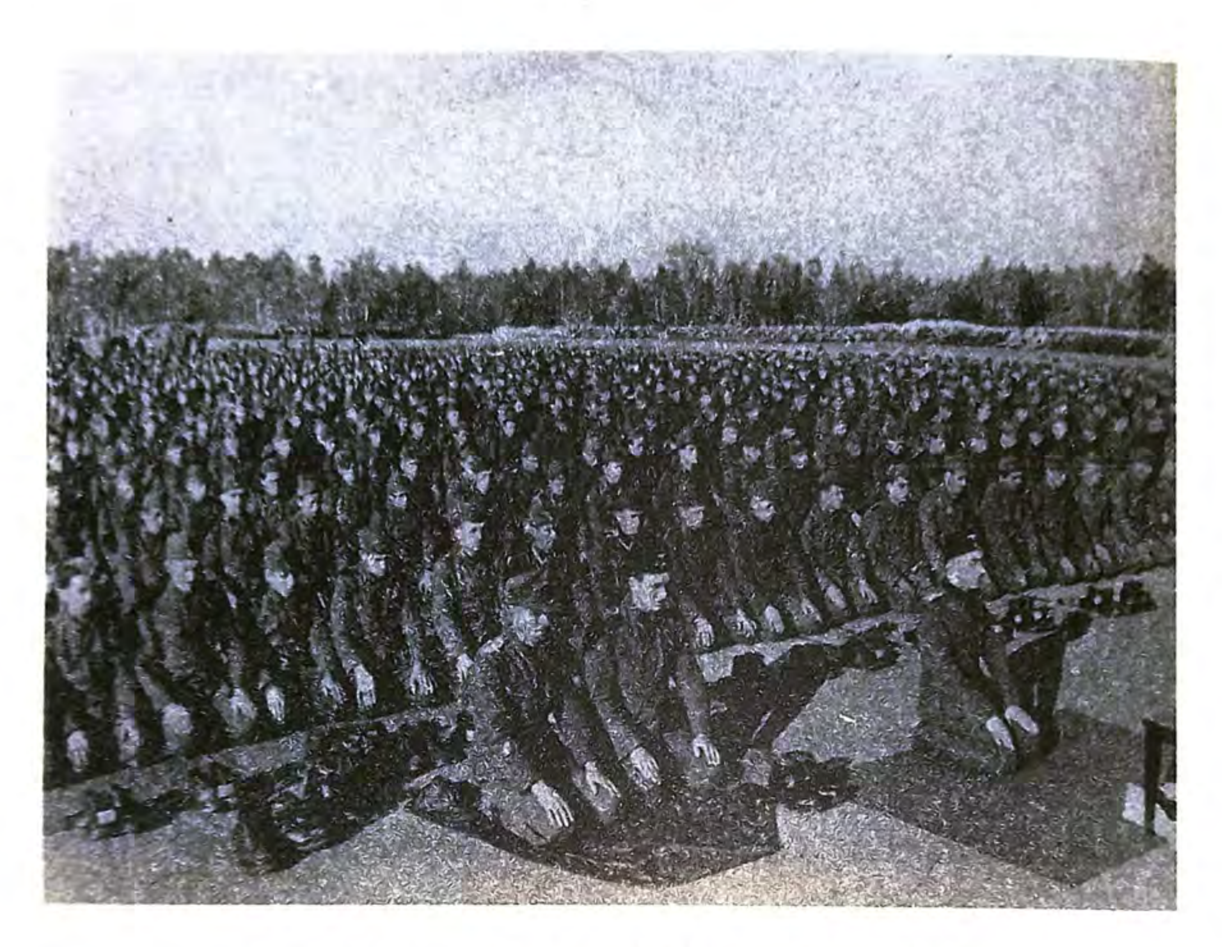
في الوحدات الإسلامية في القوات المسلَّحة؛ إذ نقلت تلك الجرائد في عام ١٩٤٣، على سبيل المثال، خبر الاحتفال بعيد الفطر في مخيَّم ترفيهي عسكري للفيالق، حضره غِرهرد فون منده وهاينز أونغلاوبه (Heinz Unglaube) من وزارة الشرق(٤٨)، ونقل منشور آخر وقائع احتفالات جرت في الوقت نفسه في وحدة قوقازية في الرايخ، فذكر: «هنا في ألمانيا، يمتلك القوقازيون الشماليون فرصة تنظيم احتفالاتهم، وهو ما كان مستحيلًا في روسيا السوڤييتية؛ الأمر الذي يكشف، مرةً أخرى، عن قوة الصداقة الألمانية»(٤٩). وبالمثل، شدَّد أحد التقارير المتعلقة باحتفالات رمضان في وحدة من الفيلق الأذري على أن «السُّلطات الألمانية بذلت وسعها» بغية الاحتفال بالعيد بـ «كرامة»، مذكِّرًا المسلمين بأن «الاحتفال بالأعياد الدينية في الاتحاد السوڤييتي كان من رابع المستحيلات»(٥٠). وفي خريف عام ١٩٤٤، عندما وصلت الحرب بالفعل إلى الرايخ، نشرت الپروپاغندا الألمانية الموجَّهة للفيالق تقاريرَ عن احتفالات رمضان في الوحدات المنتشِرة آنذاك في ألمانيا(٥١). ففي أواخر عام ١٩٤٤، نظَّم الألمان احتفالات عيد الفطر لجنود فيلق إيدل-أورال في درسدن (Dresden)، ودارغيبل (Dargibell)، وبريسلاو (Breslau) (أو ڤروتشلاف (Wroclaw))(٥٢). وفي الوقت نفسه، احتفل الأذر بعيد الفطر في مدينة كارلسباد (Carlsbad) المنتجعية في بوهيميا، وكذلك في برلين(٥٣).

استغلَّت وحدات الحماية الممارسات الدينية اليومية والاحتفالات السنوية استغلالًا مكثفًا؛ فكانت كل وحدة من وحدات فرقة الخنجر تُقيم صلواتها اليومية ويؤمها الأئمة العسكريون، ومَنحت الوحدات جنود الفرقة استراحة من العاشرة صباحًا وحتى الثانية ظهرًا، في أيام الجُمَع، للغداء والوضوء وصلاة الجمعة(٥٤). تحتوي صلاة الجمعة على الصلاة الجماعية والخطبة التي تسبق الصلاة، وتنطوي كذلك على تعليقات على الشئون الحالية. وغدت السُّلطات الألمانية في موقع يمكِّنها من الإفادة من الوظيفة السياسية للخطبة، كما كانت الحال في المجتمعات المسلمة التقليدية(٥٥)؛ إذ كان فعل صلاة الجمعة نفسه -فوق ذلك- تعزيزًا لحسِّ الانتماء الجماعي، بالإضافة إلى تعزيزه الانضباطَ والالتزام في الوحدات، ووجَّهت

وحدات الحماية بأن «الجمعة يجب أن تُقام بطريقة حازمة ومنظَّمة»، وبالفعل، نجد مجموعة من الصور الدعائية للشعيرة وهي تُؤدَّى في ميادين التدريب في نويهامر، والمسلمون في صفوف منتظمة يركعون، رفقة إمامهم، شطر مكة (الأشكال ٧-١، ٧-٢)، والتُقطت صورٌ مشابهة في أثناء احتفالات عيد الفطر في نويهامر في خريف عام ١٩٤٣[٥٦]. وكانت القيادة الألمانية شغوفة باستغلال هذه المناسبة؛ إذ ألقى ساوبرتسڤيغ في الجنود خُطبة سيَّس فيها المقدس، وقرن بين التأمل في الحدث الديني والدعوة للقتال، وزعم أن «عيد اليوم يجب أن يصبح مناسبة للتأمل، وعيدًا للإيمان والتوكل، ومصدرًا للسرور والقوة، وحضًّا على الوحدة، ودعوةً للقتال في الوقت نفسه»[٥٧]. «إننا نريد أن نكون أفضل جند قائدنا الفوهرر!»، ثم خطب إمام الفرقة في الجنود بعدها. وكتب بعد ذلك تسفونيمير برينڤالد (Zvonimir Bernwald)، أحد المترجمين الذين خدموا في فرقة الخنجر، في مذكراته أن «خطبتَي قائد الفرقة وإمامها كان لهما أثر عميق على الجنود»[٥٨]. وفي الحقيقة كان الألمان على ثقة بأن الاحتفالات الدينية لها دورٌ محوري في رفع الروح المعنوية. ففي ربيع عام ١٩٤٤، أمر ساوبرتسڤيغ بتنظيم «حفل كريم» للمولد النبوي، مع جرايات وصلوات إضافية لكل وحدات الخنجر غير المشتبكة في قتال فعلي[٥٩]. وبعدها بأسابيع، نظَّمت التوجيهات رسميًّا عُطل الأعياد الدينية الأساسية، وأهمها المولد النبوي وشهر رمضان وعيد الفطر وعيد الأضحى[٦٠]، بل وضعت هذه التعليمات تقويمًا مفصَّلًا بالعطلات الإسلامية لعام ١٩٤٤؛ ففي رمضان (في الفترة من العشرين من أغسطس/ آب وحتى الثامن عشر من سبتمبر/ أيلول لعام ١٩٤٤)، سُمح للجنود بالصيام وحضور صلاة القيام، وفي أثناء الاحتفال بالمولد النبوي وعيد الفطر وعيد الأضحى، كان الجنود يُعفَون من الخدمة في حال سمح الوضع العسكري بذلك. أما العيد في نهاية رمضان (في الفترة من الثامن عشر حتى العشرين من سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٤٤) فبدأ بـ «خدمة كبرى مع الشروق» في اليوم الأول، وكان اليومان الثاني والثالث بلا خدمة عسكرية من بعد الظهر. وفي عيد الأضحى، أكبر عطلة إسلامية (في الفترة من السادس والعشرين حتى التاسع والعشرين من نوفمبر/ تشرين الثاني لعام ١٩٤٤)، أُعفي الجنود من الخدمة طيلة الأيام الأربعة كاملة. وكانت الأوامر

الموجَّهة للأئمة في هذه المناسبات تقضي بتقديم دروس تحمل شحنات سياسية ودينية تحفِّز الجنود على القتال؛ إذ أوجبت الأوامر على الإمام تناول معنى العيد و«واجبات الجُندية» في [خُطبة] عيد الفطر، وأوجبت عليه كذلك أن يكون موضوع الدرس في عيد الأضحى هو معنى العيد من خلال الإشارة إلى حياة الجنود وواجبات الجُندية[٦١]. وأخيرًا، حاولت وحدات الحماية في التشكيلات الشرقية أيضًا أن تنظِّم عطلات الأعياد الدينية، رغم أن هذه الجهود كانت أقل تنظيمًا مما كانت عليه في البلقان لظروف الحرب؛ فعلى سبيل المثال، سُحب، بإذنٍ من برغر، فوجُ وحدات الحماية الإسلامية الشرقية الأول من الخطوط الأمامية، بغية الاحتفال بعيد الفطر في خريف عام ١٩٤٤[٦٢].

وأخذت السُلطات الألمانية في اعتبارها أيضًا الفروض الإسلامية المتعلقة بالطعام والشراب؛ إذ ضمن نيدرماير، من خلال اللوائح التي أصدرها في عام ١٩٤٢، أن القوات المسلَّحة ستحترم الفروض المتعلقة بالطعام والشراب لدى الجنود المسلمين، وخاصة تلك المتعلِّقة بتحريم أكل لحم الخنزير[٦٣]، وصدرت أوامر مشابهة لصالح الجنود العرب في القوات المسلَّحة[٦٤]، لكن وحدات الحماية بذلت جهدًا أكبر من أجل تلبية متطلَّبات الطعام والشراب الإسلامية، حتى أن هملر نفسه شُغل بالأمر. وفي يوليو/ تموز من عام ١٩٤٣، أمرَ، أي هملر، برغر بمعرفة «ما يأمر به الإسلام جنوده فيما يتعلَّق بالغذاء»، وأضاف أنه عازم على ضمان الالتزام بالفروض الدينية[٦٥]، وبعدها بأيام، أعلَم برغر هملر بأن الجنود يجب أن يمتنعوا عن لحم الخنزير والخمر[٦٦]؛ واستجاب القائد الأعلى من فوره، فأمرَ بأن «يُحظَر مطلقًا تقديم لحم خنزير أو نقانق تحتوي على لحم خنزير في طعام جميع أعضاء وحدات الحماية والشرطة من المسلمين، وأن يحظَر كذلك تقديم الخمور لهم في شرابهم، بوصف ذلك حقًّا ثابتًا لهم وخاصًّا بهم، وفقًا لشرائعهم الدينية؛ كما أوجب تزويدهم ببديل في كل مرة»[٦٧]. بل إن وحدات الحماية أقامت دورات إسلامية لتعليم الطهي قرب مدينة غراتس (Graz) في جنوب النمسا[٦٨]. وشدَّد هملر على أن ما يتوخَّى من هذا الامتياز هو رفع معنويات المسلمين، لكنه ينطوي على بُعد دعائي أيضًا. وعلى



(الشكل ٧-١): صلاة المجنَّدين المسلمين في فرقة الخنجر،
ميدان تدريب نويهامر (سيليزيا) في عام ١٩٤٣
.(BAK, Image 146-1977-136-03A, Mielke)

الرغم من جميع جهودها، ظلت وحدات الحماية قلقة من أن البروپاغندا المناهِضة للألمان في البلقان قد أشاعت أن مسلمي فرقة الخنجر يُرغمون على تناول لحم الخنزير(٦٩)؛ إذ وصف أحد التقارير الداخلية في وحدات الحماية هذه الروايات بأنها «سخيفة للغاية»، لكنها في الوقت نفسه «ذات تأثير استثنائي ... ولا يجب التهوين من شأن هذه الشائعات، لذا يجب أن نواجهها»(٧٠).

لكن المجنَّدين المسلمين أنفسهم لم تكن تعتورهم المخاوف الألمانية بشأن ما يفرضه الإسلام في مسألة الطعام والشراب؛ فعلى سبيل المثال، كان أكثر مسلمي الأقاليم الشرقية، بحسب ما يظهر في الكثير من الوثائق المحفوظة، يشربون الخمر.



(الشكل ٧-٢): صلاة المجنَّدين المسلمين في فرقة الخنجر،
ميدان تدريب نويهامر (سيليزيا) في عام ١٩٤٣
(BAK, Image 146-1977-137-20, Falkowski).

لكن على الجانب الآخر، اعتنق مسلمو البلقان آراءً أشدَّ صرامة؛ إذ كتب أحد الجنود الألمان بعد الحرب عن مسلمي فرقة إسكندر بك أنهم «كانوا يخشون علبة معدنية تحوي لحم خنزير أكثر من خشيتهم من قنبلة يدوية»(٧١)، وبدا أنه من اللائق، على أية حال، تقديم أنواع متعددة من المؤن في الطعام والشراب.

وأخيرًا، رفعت برلين الحظر عن الذبح الشرعي الذي كان ممارسة محظورة (إلَّا في حالة الطوارئ)، لأسباب تتعلَّق بالعداء للسامية، من خلال قانون حماية الحيوانات (*Reichstierschutzgesetz*) الصادر في الحادي والعشرين من إبريل/ نيسان لعام ١٩٣٣(٧٢). ففي أثناء معركة فرنسا في عام ١٩٤٠، ظلَّت البروباغندا الألمانية تستخدم صورًا مفزعة تحطُّ من شأن ذبح مسلمي أسرى الحرب للحيوانات بوصفها همجية وتعطُّشًا للدماء(٧٣). لكن في عام ١٩٤٣، نصح هايغندورف الطاقم

الألماني في الفيالق الشرقية بالتسامح مع الذبح الشرعي[٧٤]، وأوضح أن «المحمَّديين لديهم عاداتهم الخاصة في ذبح الماشية، قد تبدو لنا بدائية ومثيرة للاشمئزاز». لكن الضباط الألمان وُجِّهوا بـ «تجنب الحُكم المتعجِّل المجحِف القاسي»، وأخيرًا، أصدرت القيادة العليا للقوات المسلَّحة رسميًّا، في السادس من فبراير/ شباط لعام ١٩٤٤، أمرها لكوسترنغ قائد الوحدات المتطوعة، بالإبطال التام لقانون حماية الحيوانات في حالة جميع الجنود المسلمين في الجيش الألماني:

> «إن الرعاية الدينية للمحمَّديين في القوات المسلَّحة الألمانية مكونٌ مهمٌّ من مكونات البروپاغندا المضادة المناهِضة للبلشفية [**كذا وردت**]. وتتطلَّب الاحتفالات المحمَّدية ذبحًا شعائريًّا للأضاحي من الحيوانات. ومن المهمِّ ألَّا نتحدى الوحدات المحمَّدية بتطبيق قانون كان قد أُقرَّ في وقت لم يكن فيه تشكيل وحدات محمَّدية داخل القوات المسلَّحة الألمانية أمرًا متصورًا؛ ولذلك، يجب السماح للوحدات المحمَّدية المنضوية تحت لواء القوات المسلَّحة الألمانية بذبح الحيوانات وفقًا لعاداتهم وتقاليدهم»[٧٥].

وقد سعت القوات المسلَّحة إلى الحصول على موافقة هملر قبل إصدار هذا الأمر، وأجاب أحد أفراد طاقم هملر قائلًا: «لقد أصبح من البدهي الآن أنه ينبغي ألَّا نتدخل في العادات والتقاليد الدينية الخاصة بوحدات الحماية المحمَّدية تلك، ومن ثمَّ يتبع ذلك ضمنًا السماح بالذبح الشرعي»[٧٦]. فحتى في هذا الأمر وثيق الصلة بالأيديولوجيا، أثبتت وحدات الحماية براغماتيتها؛ إذ تسامحت في واقع الأمر تسامحًا كاملًا مع الذبح الشرعي، رغم تسبُّب ذلك في بعض الارتباك لدى الرتب الدنيا. ففي يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٤٤ على سبيل المثال، استفسر مكتب ڤيلهلم كوپه (Wilhelm Koppe)، القائد الأعلى سيء السُّمعة للوحدات والشرطة في الشرق، والتابع لهملر في كراكوف (Cracow)، من مكتب الوحدات الرئيسي عن منح الجنود المسلمين حق الذبح الشرعي، وقد أجاب ضابط وحدات الحماية في كراكوف بأن المسلمين يجب منحهم «كل الحريات الدينية»، وأن الذبح الشرعي «طقسٌ مقدَّسٌ عند المحمَّديين»[٧٧]، لكنه عبَّر عن قلقه من ناحية أخرى حول أن «الذبح الشرعي غير مسوَّغ من منظور الرؤية الاشتراكية القومية»[٧٨]؛ ردَّت وحدات

الحماية فورًا بتعليمات مبيِّنة: «لا اعتراض على الذبح الشرعي في الوحدات التركية، وذلك لأسباب تكتيكية وسياسية وعسكرية، ولا سيما مع عدم توفر النِّية لتحويل المحمَّديين إلى اشتراكيين قوميين»(٧٩). وفيما يتعلَّق بجنود فرقة الخنجر، وافقت وحدات الحماية في النهاية أيضًا على الذبح وفقًا للشريعة الإسلامية(٨٠).

وأخيرًا، أصدرت القيادة العليا للقوات المسلَّحة في الثامن والعشرين من يونيو/ حزيران لعام ١٩٤٤ أمرًا آخر يمنح أسرى الحرب المسلمين الحق في ممارسة الذبح الشرعي(٨١)، وسُوِّغ الفعل مرةً أخرى من خلال الإشارة إلى التعبئة العسكرية الشاملة؛ إذ أوضح أحد التقارير الداخلية أنه «في حالة هذا الإذن الاستثنائي، تنبغي الإشارة إلى أن الرعاية الدينية للمحمَّديين هنا يجب النظر إليها بوصفها جزءًا من البروپاغندا المناهِضة للبلاشفة، التي ستُسهِم، من خلال تشديدها على احترام الدين المحمَّدي، في الإبقاء على دافعية المحمَّديين للانخراط في النضال الألماني وتعزيزها»(٨٢). وفي الأشهر الأخيرة من الحرب، وصلت هذه السياسات الجديدة إلى أرياف ألمانيا؛ ففي يوليو/ تموز من عام ١٩٤٤، تقدَّم عددٌ من وحدة العمال المسلمين في قرية لاوپهايم (Laupheim) الشقابية العليا إلى مجلس فلَّاحي المنطقة (*Kreisbauernschaft*) للحصول على رخصة للذبح الشرعي(٨٣)؛ ولمَّا لم يرخِّص لهم المجلس بذلك، اتجه عضو من أعضاء الوحدة إلى مدير بلدية المنطقة (*Landrat*) وألمح إلى أمر القوات المسلَّحة في يونيو/ حزيران، فكان أن تواصلت البلدية مع وزير داخلية ڤورتمبرغ (Württemberg) الذي أظهَر الارتباك نفسه بدَوره، وفي النهاية، أمر وزير داخلية الرايخ من برلين بأن «يُرخَّص لأسرى الحرب المحمَّديين بذبح الحيوانات وفقًا لطقوسهم الدينية»(٨٤).

وكما كان الأمر في الطعام والشراب، أخذ الألمان في اعتبارهم أيضًا التقاليد الإسلامية في الملبس (على الأقل كما تصوروها) والأزياء الموحَّدة والرموز؛ فعندما وضعت القوات المسلَّحة شارات خاصة للفيالق الشرقية، كان العديد من شعارات الوحدات المسلمة تعكس رموزًا دينية، وتجلَّى ذلك أيَّما جلاء في شارة الذراع في الفيلق التركستاني التي كانت تحمل عبارة **الله معنا** (*Biz Alla Bilen*)، مع

صورة مسجد(٨٥) شاه زنده في سمرقند. كان هذا المبنى القُروسطي، المقامُ على الهضبة الأوزبكية، أحد أقدس مزارات المسلمين في آسيا الوسطى(٨٦). وكما كانت الحال في كل مكان، تبنَّت وحدات الحماية سياسة القوات المسلَّحة ووسعت نطاقها؛ فعلى سبيل المثال، نُقشت شارة فرقة الخنجر وعلَمها بالخنجر الأحدب الإسلامي التقليدي، الذي نسَبه البوشناق لعصر الحكم العثماني والنمساوي، وسمَّوا الفرقة باسمه أيضًا(٨٧)، ووُضِع السيف الضالع فوق الصليب المعقوف للجمع بين الرمزيتين النازية والإسلامية، وهو ما كان يرمز بصريًّا لتحالفهما، وبعدها طُرِّزت شارة الخنجر على ياقات ملابس فَيلق وحدات الحماية التركية الشرقية(٨٨). وكانت الأعلام ورموز العديد من الوحدات إما خضراء بالكامل أو في جزء منها؛ فذاك هو «لون المسلمين ولون محمَّد [ﷺ]»، كما أوضح أحد القادة الألمان عند تقديم العلم الأخضر الخاص بالفيلق الأذري في القوات المسلَّحة(٨٩)، وكما أوضحَت مذكِّرة داخلية في وحدات الحماية، أصبح اللون الأخضر، «لون الإسلام»، العلامة المميِّزة لفيلق وحدات الحماية الشرقية الإسلامية، وكان لون شارات الذراع فيها ولون أعلامها التي حملت شرائطَ وهلالًا ونجمةً وصليبًا معقوفًا(٩٠).

وقد مضت وحدات الحماية أبعد من ذلك في البلقان، فصمَّمت غطاءَ رأس إسلامي للمجنَّدين المسلمين؛ إذ غدا الطربوش العلامة المميِّزة لجنود فرقة الخنجر، وكان رماديًّا في الزي الميداني وأحمرَ في الزي الرسمي(٩١). لقد كان الطربوش الذي يسمح للجبهة بمسِّ الأرض، في أثناء الصلاة، رمزًا ماديًّا مميِّزًا للإسلام في أواخر القرن التاسع عشر(٩٢)، وقد شاع استعماله في العالم الإسلامي طيلة القرن العشرين، حتى أن المسلمين الهنود بدأوا في اعتماره بنهاية القرن؛ دلالةً على التضامن الإسلامي مع الخلافة العثمانية، وفي مجتمعات البلقان المتنافرة دينيًّا، أصبح غطاء الرأس علامةً واضحة على الحدود الدينية. ومرةً أخرى، انغمس هملر بنفسه في الأمر وشارك في كل تفصيلة متعلقة بقواعد زيِّ الفرقة المسلمة، وبعد استعراض التصميمات الأولية، طالب ببعض التعديلات، وتذمَّر من أن شكل الطرابيش ولونها يجعلها قريبة الشبه بطرابيش المغاربة(٩٣)؛ فأمرَ هملر أن «تُصبَغ مجددًا وتُقصَّر ...



(الشكل ٧-٣): مجنَّدون مسلمون من فرقة الخنجر
التابعة لوحدات الحماية يشهَدون جنازة إسلامية في عام ١٩٤٤ (Ullstein).

فهذه المظاهر مهمَّة للغاية في استقرار الفرقة»، ولم يقتصر هملر على التعبير عن اهتمامه بتفاصيل ثقافة الزي الإسلامي فحسب، بل ربط مباشرة بين الرموز الثقافية والروح المعنوية والانضباط العسكريين. ونُقشت شارة النسر النازي وجُمجمةَ وعظمتَي شعار وحدات الحماية على الطرابيش، للإشارة مرةً أخرى إلى التحالف بين الرايخ الثالث والإسلام.

وكذلك اجتهد الألمان من البداية في احتواء الممارسات والشعائر الجنائزية الإسلامية في الإطار التنظيمي العسكري للجيش؛ إذ نظَّم نيدرماير، من خلال توجيهاته العامة في صيف عام ١٩٤٢، الطريقة التي يجب أن يُدفن بها موتى الجنود المسلمين: يجب أن يغطي الإمام الميداني الوجه والأقدام بقماش أبيض، ويغطَّى النعش بمُلاءة بيضاء (ثم بعَلَم فيلَقِهم بعد ذلك)(٩٤)، وسرعان ما أصدر مقر هايغندورف الرئيسي للفيالق الشرقية تعليمات مشابهة(٩٥)، ويجب أن تُوجَّه المقابر

صَوب مكة. وحتى شواهد القبور عُدِّلت لتعكس الرموز الإسلامية، فأصبحت الشواهد الإسلامية في شكل مستو بدلًا من شكل الصليب وحملت رموزًا إسلامية: الهلال والنجمة في الغالب. وكان الأئمة العسكريون يؤمُّون جنائز أولئك الذين قُتلوا في سبيل نظام هتلر الجديد، وفقًا للشعائر الإسلامية. وقد تعاملت قيادة القوات المسلَّحة مع مسألة الدفن الإسلامي، كما رأينا أولًا، في حالة أسرى الحرب المسلمين من الجيش الفرنسي، ثم سرعان ما أصدرت أوامر مشابهة فيما يتعلَّق بدفن أسرى الحرب السوفييت[٩٦]. وحذت وحدات الحماية في وحداتها حذو القوات المسلَّحة؛ إذ حاز أئمة فرقة الخنجر السُّلطة الكاملة فيما يتعلَّق بالجنائز (الشكل ٧-٣)[٩٧]؛ فكُفِّن القتلى المسلمون بالكتَّان (وبالورق إن لم يتوفر الكتَّان) قبل أن يحتويهم النعش، ودفَنهم الإمام دفنًا شرعيًّا، مكرَّمين عسكريًّا (طالما أنهم لم ينتحروا أو تُنزَّل بهم عقوبة الإعدام)، في مزيج من الطقوس العسكرية والدينية، وإن لم يكن هناك إمام حاضر، يجب أن يتلو أحد الأئمة الدعاء في أي وقت بعد ذلك. وفي الواقع، دُفنت غالبية الجنود المسلمين القتلى في البلقان في المقابر العسكرية القائمة بالفعل، وفي حضور أحد الأئمة عادة، كما كلَّفت وحدات الحماية في البلقان حِرفيين مسلمين محليين بصناعة شواهد قبور إسلامية[٩٨].

الأئمة العسكريون

كان أهم جانب من جوانب مساعي برلين لتعزيز الإيمان بالإسلام في وحداتها المسلمة هو توظيف أئمة ميدانيين، وكانت الوظيفة الأساسية لهؤلاء «الملالي»، كما أسماهم الألمان عادةً، هي توفير الرعاية الروحية وإمامة المصلِّين، وعلى الأرض، كان من المفترض أن يتعهدوا السيطرة والانضباط والنظام في الوحدات بالصيانة، ويُسبغوا الشرعية الدينية على الحرب، ويحفِّزوا الجنود المسلمين على القتال.

استُحدث منصب الإمام العسكري في فيالق القوات المسلَّحة لأول مرة في صيف عام ١٩٤٢، ثم قررت قيادة العمليات في الفيلق التركي الثاني والستين بعد المئة إنشاءَ تراتبية دينية كاملة من رجال الدين مناظِرة لتراتبية الوحدات العسكرية؛ فـ «ملَّا الفرقة» (*Divisionsmulla*) هو من يُعيَّن في المقر الرئيس، و«ملَّا الفيلق»

(*Legionsmulla*) هـو الـذي يشـرف علـى الممارسـات الدينية في الفيالق الإسـلامية الأربعـة، و«ملالي الكتائب» (*Battalionsmulla*) أو (*Regimentsmulla*) هم المعيَّنون فـي الكتائب المفردة[٩٩]. كان ملَّا الفرقة والمستشـار الدينـي للقيادة المركزية للفرقة الثانية والستين بعد المئة هو الملَّا الأكبر جمعة باييف (Jumabaev). وقد عُيِّن الإمام باشاييف (Pashaev) في منصب ملَّا الفيلق الأذري، وكان الملَّا عينوياتيف (Inoyatev) نظيره في الفيلق التركسـتاني. وصُرِّح لملالي الفيالق بتعيين عشـرات ملالي الكتائب فـي الوحـدات. وحمـل مـلَّا الفيلـق ومـلَّا الفرقـة -عسـكريًّا- رتبـة قائـد سـريَّة (*Kompanieführer*)، أمـا ملالـي الكتائـب المتنوعـة فحـازوا رتبـة قائـد فصيلـة (*Zugführer*). وتوجَّـب علـى ملالي الفرق والكتائب ارتداء العمائم لإبراز سُـلطتهم الدينية.

وقد تضمن تأسـيس هرمية دينية رسـمية بهذا الشكل مستوى من المأسسة الدينية لم يكن معروفًا إلى حدٍّ كبير في العالم الإسلامي (حتى لدى شيعة القرن العشرين). وفي الواقع، أدخلت القوات المسلَّحة إلى الإسلام نظامًا كهنوتيًّا ينطوي على الكثير من القواسـم المشـتركة مع الهياكل الكنسـية المسـيحية أكثر مما لديه منها مع أنماط التنظيـم الدينـي الإسـلامية. واسـتُدمجت القواعد والهيـاكل والتراتبيات العسـكرية الألمانيـة (أو الأوروبيـة بشـكل أعـم) في الهيـاكل الدينية الإسـلامية، داخـل النظام الجديـد، لإنتـاج ديـن هجيـن عسـكريِّ التنظيـم؛ إذ ناظَـرت التراتبية الدينية مباشـرةً مستويات التنظيم العسكري، وارتبطت رُتب الهيراركية الدينية المختلفة بتوزيعها في الفرق والفيالق والكتائب، وبالمثل، مُنحوا الرُّتب العسكرية وفقًا لحجم الوحدة التي يخدمـون فيهـا، ومَنحهـم الجمع بيـن المنصب الدينـي والرتبة العسـكرية مزيجًا من السُّلطة الدينية والعسكرية.

وفي مايو/ أيار من عام ١٩٤٣، تبنَّت وحدات الحماية سياسةً مشابهة في البلقان، فاستحدثت مناصب الأئمة في فرقة الخنجر[١٠٠]. لكن وزارة الخارجية رفضت خُطَّة وحدات الحماية منح الأئمة شـارات تحمل الهلال والنجمة؛ تمييزًا لهم عن الجنود ودعمًـا لسُـلطتهم؛ ذاك أن هذيـن الرمزين يمثِّلان الشـعار الوطني لتركيـا[١٠١]. وكما

فعلت القوات المسلَّحة، استحدثت وحدات الحماية نظامًا بيروقراطيًا معقدًا للأئمة ونظَّمت مسئولياتهم ومكانتهم العسكرية وواجباتهم بالتفصيل، وتعقَّد النظام بدرجة أكبر عندما نُشرت الفرقة في الميدان في مارس/ آذار من عام ١٩٤٤[١٠٢]؛ إذ أصدر ساوبرتسڤيغ «تعليمات الخدمة للأئمة» (*Dienstanweisung für Imame*) التي حلَّت محلَّ أخرى سابقة صدرت في ربيع عام ١٩٤٣، وأعلَم فيها الأئمة بالتفصيل كيف ينظمون أنفسهم في الوحدات وكيف يضطلعون بواجباتهم التي كان على رأسها «الرعاية الدينية» و«التلقين الأيديولوجي» للجنود[١٠٣]، وكذلك، أصدر ساوبرتسڤيغ أمرًا ينظِّم منزلة الأئمة بين الجنود والضباط الألمان[١٠٤]. إذ مُنح الأئمة في الوحدات المفردة (الأفواج أو الكتائب) درجة ضباط الأركان، وحمَل كبار الأئمة مسدسًا، وفي أثناء القتال حمَلوا بندقية آلية[١٠٥]. وتبع الأئمة جميعًا مَن سمِّي إمامًا للفرقة في مقرها الرئيسي، والذي عمِل بشكل مباشر تحت إمرة ساوبرتسڤيغ. كان الشاغل الأول لهذا المنصب هو الضابط برتبة رائد في وحدات الحماية عبد الله مُحاسيلوڤيتش (Abdullah Muhasilović)، الذي خدم في الجيش اليوغوسلافي، وكان أكثر مجنَّدي الخنجر من الأئمة خبرة[١٠٦]. كان نائبه هو الإمام حسين چوزو (Husein Džozo)، وهو زعيم ديني مبجَّل درس في الأزهر في الثلاثينيات، أصبح يحمل وقتذاك رتبة النقيب في وحدات الحماية[١٠٧]، وقُرب نهاية الحرب، حل محل مُحاسيلوڤيتش الشاب الملازم أول في وحدات الحماية (ثم النقيب في الوحدات) حليم مالكوتش (Halim Malkoč)، الذي كان قد خدم في الجيش اليوغوسلافي، وكان إمامًا لكتيبة «رواد الجبل الثالثة عشرة التابعة لوحدات الحماية» (*SS- Gebirgs- Pionier- Bataillons 13*)[١٠٨]. ذكر مفتي القدس في مذكراته أنه عندما بدأت وحدات الحماية في تجنيد أول أئمتها العسكريين، طلبت المساعدة مرةً أخرى من المؤسسات الدينية في البوسنة والهرسك، ومن محمَّد پانچا الذي عُيِّن مسئولًا عن انتقاء الأئمة الشباب، والذين كانوا في الغالب؛ إمَّا من خريجي مدرسة الغازي خسرو بك العريقة، أو من خريجي الأزهر[١٠٩].

لاحقًا، أقرَّت وحدات الحماية أيضًا نظام أئمة ميدانيين في وحداتها الإسلامية الشرقية[١١٠]. وكان الإمام الأكبر في فوج وحدات الحماية الإسلامية الشرقية الأول

شخصًا يُدعى الإمام كمالوف (Kamalov)[١١١]. وفي أغسطس/ آب من عام ١٩٤٤، شارك الحسيني وهارون الرشيد في مفاوضات تتعلق بمنصب «الإمام الأكبر» في فيالق وحدات الحماية التركية الشرقية كلها، وفي النهاية، انتُقي ثلاثة مرشحين للاختيار فيما بينهم[١١٢]؛ كان الأول هو عالم چان إدريس، على الرغم من انشغاله بتنظيم البروپاغندا الألمانية الموجَّهة إلى العالم الإسلامي من قِبل وزارتي الخارجية والدعاية، وكان المرشح الثاني هو أحد تتر القِرم الذين فرُّوا إلى رومانيا، واسمه غير معلوم الآن، وكذلك، كان هناك الملَّا عبد الغني عثمان، وهو مسلم كان مسئولًا عن أسرى الحرب التتر لفترة مؤقتة بموجب أمر من وزارة الشرق، وكانت له كتابات في بعض المسائل الدينية لصالح المجلَّة الدعائية الخاصة بفيلق تتر الڤولغا في القوات المسلَّحة[١١٣]. اتخذ عبد الغني من ألمانيا سكنًا منذ الحرب العالمية الأولى، مثْلُه مثَل إدريس، وقد شاب علاقتهما شيء من التوتر، وعلى الرغم من أن الرشيد كان يفضِّل عبد الغني عثمان، إلَّا أنه يبدو أن ذاك التتري هو أول من طُلِب إليه شغل الوظيفة[١١٤]، وفي النهاية أصبح الأوزبكي نور الدين نمنقاني (Nurredin Namangani) «الإمام الأكبر» للفيلق، وحمل رتبة ملازم (*SS- Untersturmführer*) في وحدات الحماية[١١٥]. وكان نمنقاني قد خدم إمامًا في وحدة ماير-مادر التابعة للقوات المسلَّحة قبل أن تُنقل إلى وحدات الحماية، وذلك بعد أن حررته القوات الألمانية من سجن المفوضية الشعبية للشؤون الداخلية (NKWD) في مينسك (Minsk) في عام ١٩٤١. أما عبد الغني عثمان فقد استمر في تجنيد أسرى الحرب، لكن هذه المرة لحساب وحدات الحماية. وفي نوفمبر/ تشرين الثاني، أصدر أولتسا تصريحًا يسمح لعثمان بالدخول إلى جميع شركات الرايخ ومصانعه، بالإضافة إلى الأراضي المحتلَّة التي توظِّف عمالًا من الشرق، بغية التأكد من أن المسلمين منهم يحظون برعاية روحية، والأهم من ذلك، التأكد من أنه يمكنهم القتال في صفوف وحدات الحماية[١١٦]. وفي الشهور الأخيرة للحرب، أصبح من الصعب العثور على مسلمين مؤهلين لشغل مناصب الأئمة في وحدات الحماية التركية الشرقية، وحاول الرشيد التماس أئمة من القوات المسلَّحة[١١٧]، لكنه جَمعهم في نهاية المطاف من بين جنوده ودرَّبهم في الميدان إمامه الأكبر[١١٨].

كانت المهمة الأساسية للقوات المسلَّحة ووحدات الحماية هي الحفاظ على الانضباط والروح القتالية، ولم تقتصر مسئولياتهما على الرعاية الروحية للجنود فحسب، بل امتدت كذلك لتشمل دعم القضاء العسكري الألماني في الوحدات والتلقين الأيديولوجي للقوات.

وقد لجأت القوات المسلَّحة ووحدات الحماية بشكل مستمر للسُّلطة الدينية التي يحوزها الأئمة الميدانيون عند تسوية نزاعات قانونية أو لفرض عقوبات تأديبية؛ حيث كان يُرجى منهم إسباغ الأصالة والشرعية الدينية على الأحكام القانونية؛ حيث أوصى هايغندورف، في توجيهاته العامة الصادرة إلى القضاء العسكري في الخامس عشر من مايو/ أيار لعام ١٩٤٣، بوجوب التشاور مع «الملَّا» قبل إصدار أي حكم «في جميع القضايا الجنائية العويصة» التي تقع في «الوحدات المحمَّدية»[١١٩]، وبعد الحرب، ذكر أن العقوبة التي يُشير الأئمة بها، كانت، في الأعم الأغلب، أشدَّ مما كان الضابط الألماني ينوي توقيعه[١٢٠]. وعلى الأرض، كان الأئمة الميدانيون يعملون أيضًا مدَّعين ووسطاء؛ إذ نشطوا في مطالبة القيادة الألمانية بعقاب المقصِّرين من المسلمين في وحداتهم، وقد حاول الجنود المسلمون أحيانًا، لوعيهم الجيد بحقوقهم الدينية الجديدة؛ الدفع بحُجج دينية بغية التفلُّت من العقاب؛ ففي مايو/ أيار من عام ١٩٤٣، على سبيل المثال، أقسَم أحد أفراد الفيلق المسلمين على المصحف، وعلى عَلَمه، بأنه بريء من التلاعب في سجل مدفوعاته[١٢١]، وعندما ثبت جُرمه بعد ذلك، علَّق هايغندورف غاضبًا على أن «الجندي لم يتورَّع عن انتهاك ما يراه أي محمَّدي أقدس الرموز، في سبيل تعزيز ادعاءاته الكاذبة». وفي قضية أخرى، أضفى قاتلٌ الشرعيةَ على ما ارتكبه؛ استنادًا إلى تقاليد الثأر، وعندما استُفتي إمام الوحدة في ذلك، تجاهل هذا الزعم بوصفه عذرًا واهيًا. وكانت هذه القضايا تذاع على أعضاء الطاقم الألماني في القوات الشرقية؛ حثًّا لهم على استشارة الأئمة في كل واقعة، لكن مع ذلك، ظل القضاء العسكري في حوزة الألمان الذين عارضوا -في أكثر الحالات- الفصل في الأقضية على أسس إسلامية. وفي قضية أخرى، زعم أحد الضباط المسلمين، بعد إعدامه مجنَّدًا تركيًا عندما ضبَطه ينتهك «المقطع

الخامس والسبعين بعد المئة» الذي يجرِّم الشذوذ الجنسي ومواقعة البهائم (والراجح أنها كانت الثانية؛ لأنه، وفقًا للتقرير، نُفِّذ حكم الإعدام في شخصٍ واحد فحسب)؛ «أن الإيمان المحمَّدي والعُرف» يجعلان هذه العقوبة بمنزلة الضرورة[١٢٢]، وقد استشار الألمان إمام الكتيبة، فأقرَّ حكم الإعدام، لكن هيئة **القضاء العسكري في القوات المسلَّحة** (*Heeresfeldjustizabteilung*) نقضت الحكم؛ لأن الضابط تصرف من وجهة نظرها، وكأنه خفير درك. وكما فعلت القوات المسلَّحة، حاولت وحدات الحماية الدمج بين القضاء الإسلامي والقضاء العسكري الألماني. وفي مايو/ أيار من عام ١٩٤٤، أمر الحاكم بأن يَمثُل الجنود المسلمون في فيلق وحدات الحماية التركية الشرقية أمام قُضاتهم، «وفقًا لولاية قضائية تتسق مع الإسلام» ... «رسميًا على الأقل»[١٢٣]. لكن في فرقة الخنجر، لم يذهب ساوبرتسڤيغ إلى هذا الحدِّ، بل أمر الأئمة أن يتحدثوا مع المجرمين و«يؤثِّروا» فيهم «معنويًّا وأخلاقيًّا»[١٢٤].

وبمرور الوقت، غدا الأئمة ركائز أساسية للسيطرة على الوحدات؛ إذ اضطلع الإمام مالكوتش (Malkoč) بدور مركزي في قمع تمرد ڤيليفرانش (Villefranche) في خريف عام ١٩٤٣، من خلال إقناع المجنَّدين المسلمين بالانقلاب على القادة المتمردين[١٢٥]، وبالمثل، كان الإمام الأكبر في فيلق وحدات الحماية التركية الشرقية نور الدين نمنقاني هو الذي استجوب متمردي عليموف نيابة عن الألمان بعد تمردهم في ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤٤[١٢٦]، وبعد التمرد، صرَّح الرشيد بأن الوحدة استقرت مرةً أخرى بعد أن «أثَّر عليها الملالي بقوة، وخاصةً الملّا الأكبر»[١٢٧]. وحاولت وحدات الحماية أيضًا استخدام الأئمة في السيطرة على الوحدات ومراقبتها. فقد فُرض على إمام فرقة الخنجر إرسال تقارير دورية إلى ساوبرتسڤيغ عن الحالة المعنوية للوحدات والأئمة والمدنيين[١٢٨]؛ ففي صيف عام ١٩٤٤، على سبيل المثال، نقل إمام فرقة الخنجر رسالتَين وصلتاه من إمام إحدى الوحدات تُبرزان موقف جنود وحدات الحماية المسلمين المقاتلين في منطقة موستار[١٢٩]. وبالمثل، فُرض على إمام كل وحدة من وحدات فرقة الخنجر إرسال تقارير شهرية إلى القيادة الألمانية، على الأقل منذ ربيع عام ١٩٤٤ فصاعدًا[١٣٠].

لكن يمكن القول إن نشر الپروپاغندا كان أكثر واجبات الأئمة العسكريين أهمية؛ إذ كان مما يُنتظَر من «الملالي» أن يكونوا على رأس الدعاة للتحالف الألماني الإسلامي في صفوف الوحدات؛ إذ أبلغ هايغندورف ضباطه الألمان أنه «لا شكَّ» في أن الملالي، إن عوملوا بشكل ملائم، يمكن أن يصبحوا «أفضل عماد لتثقيف أفراد فيلقنا»(١٣١). وشدَّد روزنبرغ على أن «رجال الدين المسلمين» لهم دور يجب أن يضطلعوا به في نشر الپروپاغندا المناهِضة للبلشفية في الوحدات(١٣٢). وفي بيان آلي عام صادر عن مقر قيادة العمليات الرئيسي في فرقة المشاة الثانية والستين بعد المئة، وموجَّه إلى جميع ملالي الفيالق والكتائب في مايو/ أيار من عام ١٩٤٣، شدَّد الملَّا جمعة باييف قائلًا: «يتوجَّب علينا أن نرافق شبابنا في المعركة، وأن نحفِّز جهودهم لهزيمة العدو، وأن نألَف التدريب العسكري، وأن نثبت شجاعتنا في كل المواقف»(١٣٣).

وفي إطار محاولاتها لتسييس المجنَّدين المسلمين، استغلت وحدات الحماية الأئمة -بشكل خاصٍّ- بوصفهم دعائيين في الوحدات؛ ففي التاسع عشر من مايو/ أيار من عام ١٩٤٣، أصدر برغر قرارًا عامًّا حول «التلقين الأيديولوجي والروحي لفرقة وحدات الحماية الإسلامية»، أشار فيه إلى الأئمة الميدانيين في فرقة الخنجر بوصفهم أهم أجهزة بثِّ الپروپاغندا السياسية والدينية(١٣٤)، وأوضَح القرار أنه يجب على الأئمة أن يتصرفوا بوصفهم الدعائيين الأساسيين في الوحدات، وقدَّم عرضًا عامًّا مفصَّلًا لطبيعة الپروپاغندا المطلوبة منهم؛ يجب أن تركز الپروپاغندا على من زُعم أنهم «أعداءٌ مشتركون» بين الألمان والمسلمين، وهم «اليهودية» و«الأمريكانية الإنكليزية» و«الشيوعية» و«الماسونية» و«الكاثوليكية (الڤاتيكان)»، مع الترويج لما زُعم أنها مُثُلٌ مشتركة، كالشجاعة ودور الأخلاق والتراث. وفي الخُطَّة، أوضح برغر أفكاره أيضًا عن العلاقة بين الإسلام والاشتراكية القومية من منظور عِرقي (*völkisch*): «لا تتوفر النِّية لإيجاد توافق بين الإسلام والاشتراكية القومية، ولا لفرض الاشتراكية القومية على المسلمين». بالأحرى، وجَّه برغر بوجوب النظر إلى الاشتراكية القومية بوصفها «رؤية العالم الألمانية العِرقية الأصيلة»، في حين يُنظَر إلى الإسلام بوصفه «رؤية العالم العربية العِرقية الأصيلة». سيظل مسلمو البلقان جزءًا من العالم

الجرماني عرقيًا، لكنهم جزءٌ من العالم العربي أيديولوجيًا: «فمن خلال نشر فرقة وحدات حماية مسلمة، ستكون هناك، لأول مرة، صلةٌ بين الإسلام والاشتراكية القومية، أو بين العالمين العربي والجرماني على أساس منفتح وأمين؛ إذ إن هذه الفرقة يؤثر عليها الشمال من جهة الدم والعِرق، في حين يؤثر عليها الشرق من جهة الأيديولوجيا»(١٣٥).

وقد نظَّم عمل پروپاغندا أئمة الخنجر مكتبٌ خاصٌّ للتلقين السياسي والأيديولوجي. كان المكتب تحت إدارة هاينريش غيزه (Heinrich Gaese)، الضابط السياسي في فرقة الخنجر والذي كان معلِّمًا سابقًا، ثم حلَّ محلَّه بعد العودة إلى البلقان إيكهارد ڤانغمان (Ekkehard Wangemann)، وهو قسٌّ من مكلنبرغ (Mecklenburg). كان تركيز المكتب منصبًا على جميع الشئون السياسية والثقافية، ومن بينها الإسلام(١٣٦). وكان ڤانغمان عضوًا خبيرًا من الحزب، وقد أخذ وظيفته على محمل الجدِّ؛ ففي الثامن من إبريل/ نيسان استدعى جميع أئمة الفرقة وقادتها إلى مدرسة تقع بجانب مسجد برتسكو (Brčko) الكبير(١٣٧)، وفي خُطبته أمامهم، أزال ڤانغمان كلَّ شكٍّ حام حول الدور المركزي للإسلام في پروپاغندا الوحدة(١٣٨): «فقد تجلَّى أن المصالح السياسية للاشتراكية القومية ومصالح الإسلام متفقتان إلى حدٍّ بعيد، وأن الأسس الأيديولوجية لكليهما ترتكز أيضًا –من بعض الوجوه– على القاعدة نفسها»، وأوضح أن الفرقة ليست مجرد وحدة عسكرية في البلقان، بل إن لها «غاية سياسية أسمى، تتمثل في بناء جسر من أوروبا إلى العالم الإسلامي»، وقد أُبلغ كل إمام عن هذه الغاية الأسمى إبلاغًا لا مزيد عليه، وشدَّد ڤانغمان على أنه من الضروري أن يدعم الضباط الألمان الأئمةَ في سعيهم «لترقية الجنود؛ كي يكونوا مسلمين صالحين». وبالمثل، ثقَّفت «تعليمات الخدمة للأئمة» أئمة فرقة الخنجر في عام ١٩٤٤ بأن «الاشتراكية القومية والإسلام وثيقا الصِّلة من حيث أسسهما الأيديولوجية(١٣٩)، وكذلك فإنهما يجابهان العدو نفسه؛ ومن ثمَّ، فإن هدفهما التثقيفي واحد، ألا وهو المقاتل المتحمس ذو العزم، المستعد للمخاطرة بحياته لأجل نظام أوروبي أفضل». إن القيمة العسكرية للإمام تكمن في إسهامه في

«الجاهزية البدنية والعقلية للقوات، ومن ثمَّ فعاليتها العسكرية وقوتها القتالية»، باختصار: «الإمام هو القيِّم على الإسلام في الفرقة، ويتوجَّب عليه استدعاء مَواطن قوة الدين وكشفها؛ استنهاضًا لعزائم أعضاء الفرقة ليكونوا رجالًا وجنودًا صالحين في وحدات الحماية». فبعد صلاة الجمعة، توجَّب على الأئمة تثقيف الجنود سياسيًا[١٤٠]، وكذلك، ألقوا دروسًا سياسية أسبوعية، عُقدت غالبًا في الصباح الباكر، ولم تقتصر على شروح دينية، بل شملت كذلك التعليق على الوضع السياسي والعسكري القائم، كما توجَّب عليهم نشر البروباغندا دائمًا في أثناء تفاعلهم مع الجنود في الميدان، وفي أثناء توقف إطلاق النار، وفي ثُكناتهم، وفي المعركة: «لذا يجب على الإمام تتبُّع القوات في أثناء خوضها القتال، وتوفير القدوة الحسنة بالتزامه الشخصي»[١٤١].

وقد أحكَمت قيادة فرقة الخنجر سيطرتها على أنشطة بروباغندا الأئمة، وفي حين خضع عملهم الروحي في الوحدات لرقابة إمام الفرقة، خضع عملهم الدعائي بين الجنود لتحكم ساوبرتسقيغ وغيزه، ثم ڤانغمان الذي كان يوجِّه الأئمة في الشئون الأيديولوجية دائمًا[١٤٢]. وعلى الأرض، واصل الأئمة استغلال المناسبات الدينية في نشر الرسائل السياسية؛ ففي احتفالات عيد الفطر في ميادين التدريب بنويهامر في عام ١٩٤٣، على سبيل المثال، ألقى إمام الفرقة مُحاسيلوڤيتش خطبةً مزج فيها بقوة بين السياسة والدين، فوضع مهمة الفرقة في سياق أوسع، وإطار وحدوي إسلامي، وزعم أن «مسلمي العالم أجمع منخرطون في كفاح رهيب حتى الموت»[١٤٣]، ومُحيلًا إلى القرآن، كرَّر مُحاسيلوڤيتش الثنائية المعتادة، وأعلن أن العالم أجمع ينقسم إلى فُسطاطَين:

> «فُسطاطٌ يقوده اليهود الذين قال الله عنهم في القرآن: إنهم عدو الله وعدوكم؛ هذا هو فُسطاط الإنكليز والأمريكان والبلاشفة، الذين يُحاربون الإيمان والله والأخلاق وأيَّ نظام عادل، وفي الفُسطاط الآخر، تجتمع ألمانيا الاشتراكية القومية وحلفاؤها، تحت قيادة أدولف هتلر، الذي يقاتل في سبيل الله والإيمان والأخلاق ونظام عالمي أفضل وأكثر عدلًا، وفي سبيل توزيع أكثر عدلًا للطيبات من الرزق التي أخرج الله لعباده أجمعين».

ثـم ذكَّر الإمامُ الجنودَ بالمأسـاة التي تُقاسـيها عائلاتهم فـي البلقان، ودعاهم إلى تحرير وطنهـم: «وسـنحتفل بعيدنـا مـرةً أخرى فـي هدوء وسـلام؛ لأننا نسير على الصراط المستقيم ونؤدي ما فرضه الله علينا»(١٤٤).

كان الألمـان حريصيـن علـى استـخدام الأئمـة بوصفهـم حوامـل لدعايتهـم فـي الوحدات؛ لأنهم كانوا يعون جيدًا أن افتقارهم إلى المصداقية الدينية سيكون عقبة إن هـم حاولـوا الانغمـاس مباشـرةً فـي الپروپاغنـدا الإسـلامية؛ إذ حـذَّرت العديـد من توجيهات القوات المسـلَّحة الألمانَ صراحةً من المشـاركة في الپروپاغندا الدينية؛ إذ وجَّـه أحـد المنشـورات الضبـاط الألمان في صيف عـام ١٩٤٣ بأن «يحـذروا خطيئة المشاركة في الپروپاغندا الدينية»، وشدَّد على أن هذه مهمة الأئمة(١٤٥)، وبعدها بأشهر، شـدَّد كُتيِّب إرشـادات على أنه «لن نقوم -نحن الألمان- بأية پروپاغندا دينية»، وأشار مرةً أخرى إلى أنها مهمة يجب تركها لـ «الملالي»(١٤٦). ونُصح الضباط الألمان بدعم الأئمة وترسيخ احترامهم ونفوذهم، وشدَّدت قيادة القوات المسلَّحة في الوقت نفسه علـى أن «جنـود الفيالـق يجـب أن يتقبلوهم تقبلًا كامـلًا بوصفهم مرجعيـات دينية»، وبالفعل، كان الألمان حذرين عندما يتعلَّق الأمر بسُلطة الأئمة؛ ففي كتيبة من القوقازيين الشماليين، طلب القائد تغيير إمام كتيبته، موضحًا أنه «نظرًا للدور البارز الذي تضطلع به الحياة الدينية لدى الشعوب الإسلامية» لم يكن هذا الإمام «مناسبًا؛ لأنه لا يحوز أية سُلطة على جنود الفيلق»(١٤٧). بل إن ڤانغمان طالب بتغيير مُحاسـيلوڤيتش إمام فرقة الخنجر، وعلى الرغم من اعترافه بأن مُحاسيلوڤيتش كان خطيبًا مفوَّهًا، إلَّا أنه تشكَّى من أنه «رغم ذلك، فشل فشلًا ذريعًا في قيادة الأئمة»(١٤٨)، لكن لـم يُستَجَب له، وبعدها بأشهر، فرَّ مُحاسيلوڤيتش وتوجَّب إحلال مالكوتش محله(١٤٩).

لم يكن مُحاسيلوڤيتش الإمام الوحيد الذي فرَّ في شهور الحرب الأخيرة؛ إذ نقل هانز - غونتر زيرافيم (Hans-Günther Seraphim)، أحد قادة الفيلق الشرقي، أنه في أثنـاء نشـر وحدتـه (المنضوية تحت لواء فرقة المشـاة الثانية والسـتين بعد المئة) في إيطاليـا قـرب نهاية الحرب، كانت حالـة الفرار الوحيدة هي فرار أحـد الملالي(١٥٠)؛ فقد فرَّ ملّا إحدى الكتائب في فوج للمشاة كان يقاتل في إيطاليا، مستوليًا على جميع

التبرعات الدينية الخيرية، وقد زُعم أنه انتقل إلى سان مارينو لـ «فتح حانة هناك»، وإن صدقت هذه الرواية ولم تكن تلفيقًا هزليًّا من ضابط القوات المسلَّحة الذي رواها، فإن ذلك بالطبع من إحدى كبائر الذنوب. لكن على مدار الحرب، لم يكن هناك العديد من التقارير الحسَّاسة حول الملالي العسكريين؛ إذ بدا أن الأئمة -في المُجمَل- يلبُّون متطلبات الألمان الذين بدا أنهم على قناعة بفائدتهم. وبعد أشهر من توظيف الأئمة، نقل ضابط دعاية في الجيش أنهم قد أثبتوا أنهم «أعداءٌ معاندون للبلشفية على وجه الخصوص»[١٥١]. وبعدها بعام، شدَّد أحد الكُتيِّبات الإرشادية الموجَّهة إلى ضباط القوات المسلَّحة في الفيالق الشرقية على أن الملالي شاركوا بانتظام في القتال، على الرغم من عدم اضطرارهم إلى ذلك، وأن «حملهم للسلاح» كان «مثالًا يُحتذى» لوحداتهم[١٥٢].

مدارس الأئمة

كانت قلَّة من ملالي الوحدات الألمانية من المشتَغلين بالإمامة قبل الحرب، وكان أولئك القادمون من الاتحاد السوڤييتي بشكل خاص يعانون قلَّة بضاعتهم من علوم الشريعة؛ وذلك نظرًا لقيود موسكو المفروضة على الحياة الدينية، وكان جلُّهم مجرد أشخاص مبجَّلين بالكاد يعرفون شيئًا عن الشعائر والعقيدة الدينية. وكان من المفترض أن تُزوِّد ما سميت دورات الأئمة ومدارس الملالي الأئمةَ العسكريين ببعض التعليم الديني[١٥٣]، لكن الأهم هو ما تمثَّل في الحاجة إلى التأكد من وجود أعلى مستوى من الموثوقية الأيديولوجية لديهم؛ إذ كانوا سيعملون بوصفهم دعاة للأفكار ودعائيين. وقد دُرِّس الأئمة العسكريون في كل الدورات وفقًا لتأويل ديني معين مصبوغ بأهداف برلين السياسية، ومتسق مع الأيديولوجيا النازية في النهاية. ومن اللَّافت أن هذا التعليم الإسلامي الذي كان منظَّمًا في إطار مؤسَّسي ألماني، ويقوم عليه أحيانًا معلِّمون ألمان، قد منح غير المسلمين سُلطة ذات شأن في شئون المعرفة الدينية والتمثيل والتأويل الدينيَّين.

لقد كانت فكرة تأسيس مدارس لتأهيل الأئمة متداولة منذ خريف عام ١٩٤١، وكان الغرض منها في البداية هو توظيفهم في معسكرات أسرى الحرب؛ بغية جذب

الجنود المسلمين في الجيش الأحمر[١٥٤]، لكن القوات المسلَّحة مأسست هذا التعليم في يونيو/ حزيران من عام ١٩٤٤ في إطار هيئة دورات الملالي (*Mullahlehrgänge*) المقدَّمة في بعض ثُكنات الجيش في غوتنغن (Göttingen). وقد نُظِّمت هذه الدورات تحت إشراف المستشرق الشاب الطموح برتولد شپولر (Bertold Spuler) الذي كان عضوًا في الحزب النازي، وعُيِّن أستاذًا في جامعة ميونخ، وأصبح أحد أبرز خبراء ألمانيا في الدراسات الإسلامية بعد الحرب[١٥٥]. وعلى الرغم من أن شپولر كان يتوفر على تصور متماسك عن تاريخ المسلمين وتقاليدهم، وتمكُّنٍ من اللُّغات المتنوعة للمشاركين [في الدورات]، وقدرةٍ على قراءة القرآن بالعربية، لكن مسألة تفقيه غير مسلم للمسلمين في دينهم، بوصفه مرجعية دينية، أثارت شيئًا من الامتعاض[١٥٦]؛ ولذلك تشاور شپولر مع الإمام الأكبر في الفيلق التركستاني، الملَّا عينوياتيف، الذي كان يشغل منصب المفتش العام على الدورات، وسرعان ما دعمه يعقوب شينكييتش مفتي أوستلاند[١٥٧]. كان شينكييتش قد فرَّ من موطن إقامته في ڤيلنيوس في أوائل يوليو/ تموز قبل أن يحتلها جنود الجيش الأحمر، ووصل إلى غوتنغن في أواخر أغسطس/ آب، وكان شينكييتش مرجعية معترَفًا بها في العلوم الشرعية الإسلامية، وقد غدت أطروحته لنيل درجة الدكتوراه المتعلقة بالتراث الإسلامي القُروسطي إحدى كلاسيكيات الحقل[١٥٨]، والأهم من ذلك، أن شينكييتش كانت خبيرًا في تنظيم التعليم الديني، عندما قام على دورات تأهيل الأئمة في پولندا في فترة ما بين الحربين[١٥٩].

وبحلول نهاية عام ١٩٤٤، كان شپولر قد أقام ست دورات تدريبية للملالي في غوتنغن، تراوح عدد الحاضرين في كل واحدة منها بين الثلاثين والأربعين مسلمًا، ولم تتجاوز الأسبوعين في الغالب[١٦٠]. كتب شپولر تقارير عدة عن أنشطته في غوتنغن لصالح قيادة القوات الشرقية، ورسم فيها صورة مفصَّلة للدورات. وقد لبَّى شپولر المطالب الدينية لطلابه من البداية؛ إذ أوصى، في مذكِّرة عامة أرسلها إلى قيادة الجيش قبل بداية الدورة الأولى، باحترام الأعراف الدينية للمسلمين[١٦١]. وتوجَّب أن تضاف الشعائر والعطلات الدينية إلى جداول الدورات، ففي أيام الجُمَع، يجب ألَّا تقام أية

محاضرات، وتجب إقامة صلاة الجمعة، كما توجَّب توفير بُسُط لأداء الصلاة، وأصر شپولر على ألَّا يراقب الطاقم الألماني الصلاة؛ «فصلاة المرء ليست مسرحيةً!»، ويجب أن يُعدَّ الطعام وفقًا للقواعد الإسلامية بصرامة، والأمثل أن يُعدَّه طاه مسلم، وبالفعل، بمجرد بدء الدورات، تأكدت القوات المسلَّحة من عدم إرسال لحم الخنزير، وكان أحد الطهاة التركستان يُعِدُّ الطعام وفقًا للقواعد الإسلامية[١٦٢]، وعندما تعارضت الدورة الثالثة مع شهر رمضان، وضع شپولر ذلك في اعتباره، وكان الصوم مع حرارة الصيف سيؤثِّران سلبًا على قدرة الطلاب على التركيز[١٦٣].

كان طيف الطلاب في غوتنغن متنوعًا؛ ففي الدورة الثانية، انبهر شپولر بأحد المسلمين الذي درَس في مدرسة دينية في صغره وحفظ القرآن كاملًا[١٦٤]، لكن على العموم، كانت معرفة الطلاب بالمسائل الدينية وبتاريخ الإسلام محدودة، وكان الهدف التعليمي الرسمي للدورات، وفقًا لشپولر، هو تدريس الأئمة العسكريين المستقبليين مبادئ العلوم الدينية وتعريفهم ببعض الشعائر الأساسية[١٦٥]. كان شپولر يدرِّس القرآن في الجزء الأول من الدورات، ويناقش بعض آياته المهمة، كما ألقى محاضرات عن سيرة النبي [ﷺ] وجوانب عامة من التاريخ الإسلامي وتاريخ الشعوب التركية، والأهم من ذلك، عن الدور السياسي للإسلام في الحرب. وكذلك توفَّر البرنامج على قراءات وتلاوات قرآنية يومية. وآمن شپولر بأن تفسيرًا متشددًا للإسلام هو وحده ما يليق بالأئمة العسكريين: «لا حاجة بنا لأي تسويغ لمسألة أن يكون الأساس هو ... التصور التقليدي للإسلام (منبتًّا عن أي نقد حديث)»[١٦٦]. وفي الجزء الثاني، دُرِّست بعض القضايا العملية، وقد تعلَّم الطلاب كيف يَؤُمُّون الصلاة ويُلقون الدروس الدينية، وكيف يُسَيِّرون الجنازات وينظِّمون الأعياد السنوية[١٦٧]. وقد طالب شپولر بتوظيف «فقيه مسلم موثوق» ليدير هذا الجزء من الدورة[١٦٨]؛ في البداية، كان من المفترض أن يتولَّى عينوياتيف، الإمام الأكبر للفيلق التركستاني، هذه الوظيفة، لكنه لم يصل إلى غوتنغن في خلال الدورة الأولى[١٦٩]، وفي أثناء الدورة الثالثة، كان شينكييتش قد وصل أخيرًا وقام على الجزء العملي. ترك شينكييتش، بإتقانه لأكثر من لغة وثقافة وإدراكه الجيد للمصالح الألمانية،

«انطباعًا جيدًا للغاية» لدى شپولر[١٧٠]، ولم يشارك عينوياتيف إلَّا مرةً واحدة، ألقى فيها محاضرةً لطلاب الدورة الثانية عن دور الأئمة الميدانيين في الحرب على ستالين والقضاء على البلشفية، وذلك بصفته محاضرًا زائرًا[١٧١]. لم يتمكن المنهج الدراسي الذي وضعه شپولر من إخفاء أن إحدى الركائز الأساسية للدورات هي التلقين الأيديولوجي والسياسي للأئمة المستقبليين؛ فقد أُلقيت عليهم توجيهات حول كيفية إجراء نقاشات دينية مع الجنود، والدفاع عن الفيلق ضد هجمات الملاحدة، وحضِّ الجنود على القتال لصالح الألمان[١٧٢]. كان الهدف الأساسي من الدورات هو تحفيز الملالي ليخرجوا محمَّلين بقناعة العداء للبلشفية، ويستخدموا سُلطتهم الدينية ومكانتهم للتأثير في الجنود على الجبهة.

وكان يجب على الطلاب، بعد كل دورة، خوض اختبارات تحريرية تنقسم إلى قسمين: علمي وآخر عملي؛ كانت الأسئلة بسيطة للغاية من منظور أي عالِم إسلامي معاصر، وتكشف عن مدى ضحالة المعرفة الدينية لدى أئمة الشرق. كان القسم العلمي من الاختبار يتضمن أسئلةً حول سيرة النبي [ﷺ]، وهجرته وحروبه ووفاته، وأركان الإسلام الخمسة، ومصادر التشريع الإسلامي الأساسية، وتفسير القرآن، وعن الغزَّالي؛ الفقيه القروسطي المسلم واسع التأثير[١٧٣]، وتضمن القسم الثاني أسئلةً من قَبيل «بمَ يتوجَّب علينا إجابة الملحد؟»، وعن «الأسلحة (الروحية) للملَّا»[١٧٤]. واقترح شپولر في مذكرته الابتدائية أن الملالي المتخرجين يجب أن يحصلوا على شارة معينة تُبرز سلطتهم الدينية[١٧٥]، واقترح شعارًا مُذهَّبًا أو مُفضَّضًا يُنقَش عليه الهلال والنجمة، وتطلَّع شپولر كذلك إلى منح أوسمة معينة تخاطب «عقلية المسلمين»[١٧٦]. ولا نعلم ما إذا كانت هذه الشارات والأوسمة قد نفِّذت بالفعل أم لم تنفَّذ.

كانت لغات التدريس هي التركية ولهجاتها الأخرى، وأهمها الأوزبكية[١٧٧]، وأحيانًا كانت المحاضرات تُلقى بالطاجيكية أو الروسية، وقد اضطر شپولر أحيانًا إلى الارتجال؛ حيث تُرجمت، على سبيل المثال، محاضرات الدورة الثامنة من

الروسية إلى الآفارية لطالبين من الآفار (Avar)[١٧٨][أ]. لكن شبولر واجه بعض الصعوبات المتعلقة بالنصوص الدينية؛ إذ كان القرآن متاحًا بالعربية، لا بالروسية ولا التركية، ولا حتى في صورة مقتطفات، على الرغم من مطالباته المستمرة بالحصول على ترجمات[١٧٩]. وقد أخفقت محاولات القوات المسلَّحة في الحصول على نُسخ مترجَمة من القرآن من المعهد الإسلامي المركزي في برلين[١٨٠]، وفي النهاية، ترجَم شبولر أجزاءً من القرآن إلى التركية لأجل طلبته[١٨١]؛ ذلك أن قلَّة من الأئمة، أكثر أفرادها من القوقاز، كانت تعرف شيئًا من العربية.

وكان حضور الطلاب السُّنَّة والشِّيعة، في الفصول نفسها، إحدى المشكلات الأساسية في دورات شبولر؛ فوفقًا له، كشفت الدورة الأولى، التي حضرها التركستان السُّنَّة مع الأذر الشِّيعة، عن الانشقاق القائم بالفعل بين المجموعتين[١٨٢]، فقد لحَظ أن «الانقسام المذهبي أقوى من الانقسام القومي»، وأن الطالبَين الأذر السُّنَّة كانا أكثر خُلطة بالتركستان السُّنَّة عن الأذر الشِّيعة[١٨٣]، وكذلك أخفقت محاولةٌ أخرى لتنظيم فصل مشترك من سُنَّة وشيعة في الدورة الثالثة[١٨٤]. وأشار شبولر إلى أن الخلاف بين المجموعتين عميق للغاية، ولم يكن من الممكن تقديم المسائل العقدية والدينية التاريخية دون وقوع خلافات شديدة. أوصى شبولر في النهاية بعدم تدريس السُّنَّة والشِّيعة معًا، وكان مرتابًا بالفعل من ذلك منذ البداية[١٨٥]. وألمَح إلى «عمق العاطفة وسطوة القناعة المذهبية الشِّيعية» وإلى «حماسة الشِّيعة»، محذِّرًا قيادة القوات المسلَّحة من «الدعوة لوحدة مصطنعة غير قائمة في الواقع ويرفضها المسلمون»[١٨٦]. ووجَّه شبولر نقده أيضًا إلى وحدات الحماية، التي كانت أقل تحفظًا حيال مسألة الدعوة للوحدة الإسلامية.

وأسست وحدات الحماية العديد من برامجها الخاصة بغية تأهيل الأئمة الميدانيين دينيًّا، ومبكرًا في صيف عام ١٩٤٣، نظَّم مكتب وحدات الحماية الرئيسي

(أ) شعب قوقازي أصلي يسكن في شمال شرق القوقاز، وتحديدًا في جمهورية داغستان، وكذلك في أذربيجان وجورجيا والشيشان على المناطق المجاورة منها لداغستان، ويبلغ إجمالي عددهم حول العالم أكثر بقليل من مليون نسمة. (المترجم)

دورة تدريبية قصيرة لأول أئمة فرقة الخنجر؛ فحضر الأئمة دورةً مدتها ثلاثة أسابيع في دارة بمدينة بابلسبرغ (Babelsberg) قرب برلين، قام على تنظيمها قسم الدعاية في الفرقة. وتذكَّر المترجم تسفونيمير برينڤالد، الذي شارك في تنظيم الدورة، الارتباكَ الذي بدا على مُحيًّا ضباط وحدات الحماية الألمان حين طُلب إليهم وضع المنهج الدراسي(١٨٧)؛ إذ لمَّا كان جميع المشاركين، ومن بينهم عبد الله مُحاسيلوڤيتش وحسين چوزو وحليم مالكوتش، قد حصَّلوا تعليمًا شرعيًّا متينًا قبل الحرب، كان التدريس الديني بالنسبة لهم أقل أهمية، وكان ذلك اختلافًا أساسيًّا عن الدورات التي نُظِّمت للأئمة العسكريين من الاتحاد السوڤييتي(١٨٨). لقد كان هدف دورة بابلسبرغ تثقيف الأئمة بالأيديولوجيا الاشتراكية القومية، وتحويلهم إلى ضباط وحدات حماية مخلصين. وبمجرد وصول المشاركين إلى بابلسبرغ، أرسل الألمان الحسيني ليوضِّح الخُطَّة الكُلِّية للدورة، وقد دعا المفتي في خُطبته أمام الأئمة لفكرة التقارب الشديد بين الاشتراكية القومية والإسلام(١٨٩)، وكانت تعليقاته تُرجِّع -في الأساس- صدى النقاط التي أشار إليها قرار برغر المتعلق بـ «التلقين الأيديولوجي والروحي لفرقة وحدات الحماية الإسلامية» قبلها بشهرين، لكنه تجاوزها وشكَّل أكثر المحاولات تفصيلًا للربط بين مبادئ الاشتراكية القومية والإسلام؛ إذ شدَّد المفتي على أربعة نطاقات أساسية تشكِّل قاعدة للتحالف بين الرايخ الثالث والعالم الإسلامي؛ إذ أعلن أولًا أن ألمانيا لم تعتدِ أو تعادي أية دولة إسلامية على مرِّ التاريخ، ثم تحدث عن الأعداء الثلاثة المشتركين المزعومين، ودفع بأن ألمانيا تواجه «اليهودية العالمية؛ العدو المتوارَث للإسلام»، وإنكلترا التي قمعت ملايين المسلمين وحطَّمت الحكم الإسلامي في الهند واضطلعت بدور أساسي في القضاء على الخلافة العثمانية، وأخيرًا البلشفية التي «طغَت على أربعين مليون مسلم» ومثَّلت خطرًا مباشرًا على العالم الإسلامي أجمع، ثم أشار المفتي إلى سمات زَعم اشتراك الإسلام والنازية فيها؛ فادَّعى أن الاشتراكية القومية تتسق مع «الرؤية الإسلامية للعالم» في «جوانب عدة»، وأن كليهما يثمِّنان فكرة القيادة؛ فقد خضع المسلمون، عقب التحاق النبي [ﷺ] بالرفيق الأعلى، لسُلطة شخص واحد هو الخليفة، وقد خضع النازيون سُلطة الفوهرر المطلقة، وأوضح المفتي أن الإسلام يفرض «النظام

والطاعة والالتزام» على المسلمين، كما تفعل الاشتراكية القومية مع الألمان. إن إحدى الفرائض الأساسية على كل مسلم، هي القتال الدائم ضد أعداء الإسلام، والشهادة في هذه المعركة تشريفٌ إلهي، ومن الناحية المبدأية، فالمسلمون على استعداد للتضحية بكل شيء في سبيل عقيدتهم، تمامًا كما أن الاشتراكيين القوميين مستعدون للتضحية بكل شيء في سبيل أيديولوجيتهم. وكذلك أشار المفتي إلى أن مواقف المسلمين والاشتراكيين القوميين من مُثُل المجتمع والعائلة والإنجاب والأمومة وتنشئة الأطفال شديدة التماثل؛ بالضبط كما هي أخلاقهم في العمل. صُبغ الخطاب، من ألِفه إلى يائه، صبغة دينية عميقة زاخرة بالآيات القرآنية ومواقف من تاريخ الإسلام الأول، مما أضفى عليه طابع الموعظة. وفصَّل المفتي القول في أن القرآن يدعو «المسلمين كافة» لقتال اليهود، مستدعيًا قصة يهود خَيبر الذين حاولوا اغتيال النبي [ﷺ]. وتلا كذلك آيات قرآنية تعضِّد نموذج القائد الأوحد، وتصوِّر الإسلام على أنه قوة عظمى، والأهم من ذلك أنها تثبت «الروح القتالية للإسلام»، ودفع المفتي بأن القرآن يأمر بـ«القتال حتى النصر»، وختم قائلًا: «إن مهمَّة المسلمين كافة، وواجبهم، هو التوحد في سبيل مدافَعة هذا الخطر الوشيك، والتعاون مع أصدقائهم يدًا بيد. فالتعاون الأصيل بين أربعمئة مليون مسلم وأصدقائهم الحقيقيين، أي الألمان، يمكن أن يؤثر تأثيرًا عظيمًا في مجريات الحرب، ويعود بالنفع العميم على الطرفين». أما فرقة البوسنة الإسلامية فـ«دورها المقدَّس» أن تكون طليعة هذا التحالف[١٩٠]. لكن على الأرض، جرى إيلاء بعض الموضوعات التي تناولها الحسيني في خطابه الأولوية والأهمية عن موضوعات أخرى، وذلك كما ذكر برينفالد بعدها أن المعلِّمين انغمسوا في التحريض ضد اليهود، وناقشوا آثام الأمريكان والإنكليز والشيوعية الملحدة، وصوَّروا پارتيزان تيتو على أنهم أعداء للإسلام، في حين أُهملت موضوعات كالماسونية والكاثوليكية إلى حدٍّ كبير[١٩١]. وأخيرًا، حصل الأئمة على شيء من التدريب العسكري.

وفي العام التالي، وبعد فترة وجيزة من إطلاق القوات المسلَّحة لدورات غوتنغن، مأسست وحدات الحماية بدورها تدريسًا دينيًا للأئمة الميدانيين؛ ففي عام ١٩٤٤،

أسَّس مكتب الوحدات الرئيسي مركزين إسلاميين للتعليم الديني؛ افتُتح المركز الأول في مدينة غوبين (Guben) الصغيرة في براندنبرغ (Brandenburg) في إبريل/ نيسان، وكانت الفكرة مطروحة منذ أواخر عام ١٩٤٣، عندما اقترح برغر على هملر إنشاء معهد لتدريس الأئمة، وأيضًا لتأهيلهم «سياسيًّا بالشكل اللائق»(١٩٢)؛ فأُنشئ ما سمِّي معهد الإمام (*Imamen-Institut*) في فندق متهدِّم استولت عليه وحدات الحماية(١٩٣)، وبعد أن حُوِّل المبنى -على عجل- إلى مدرسة، نظَّمت وحدات الحماية حفلَ افتتاح في الحادي والعشرين من إبريل/ نيسان من عام ١٩٤٤، وحضره برغر والإمام حسين چوزو والحسيني، وقد أعرب المفتي في خطابه، الذي ألقاه بالعربية وتُرجم إلى البوسنوية، عن سعادته بتأسيس المعهد الذي رأى فيه دليلًا على «نجاح التحالف بين المسلمين والرايخ الألماني العظيم»(١٩٤)، وأشار إلى أن هذا التحالف قد تأسَّس بقوة على «مصالح وأهداف مشتركة»، وأخيرًا حضَّ الحسيني الأئمة المستقبليين قائلًا: «إن مهمتكم لا تقف عند إمامة إخوانكم في الصلاة والشئون الدينية، بل تشمل تعزيز الجانب الأخلاقي الذي يتطلبه الإسلام من المسلم، والذي يجعل منه جنديًّا شجاعًا يحقِر الموت في سبيل تحقيق حياة حرة»، وختم الحسيني قائلًا: «إن واجبكم هو تعزيز التحالف القائم بين المسلمين وحليفهم ألمانيا العظمى وتعميقه». ألقى الإمام چوزو الخطاب الثاني وشكر هملر وبرغر على «صداقتهما المخلصة لنا ولجميع المسلمين»(١٩٥)، وشدَّد چوزو على لحظة الحرب التاريخية التي يمكنها تغيير العالم أجمع: «التقت في هذا التحول قوتان أيديولوجيتان عظيمتان وتقاربتا وتآلفتا: قوة الرؤية الإسلامية للحياة وقوة الرؤية السياسية الاشتراكية القومية للعالم»، وصرَّح الإمام بأنه يجب على المعهد تعزيز «الصداقة بين العالم الإسلامي وألمانيا الاشتراكية القومية»، وأعلن: «إننا مستعدون وعازمون أشدَّ العزم على بذل قصارى جهدنا في سبيل بلوغ العالم الجديد والنظام الجديد»(١٩٦). وقد درَّس في الدورات علماء عرب من زمرة المفتي وبعض البوشناق المحيطين بچوزو(١٩٧). وتضمن المنهج الدراسي أيضًا تدريبات على القتال وتوجيهات فيما يخص إطلاق النار. وذكر الحسيني بعدها عناية «المعهد ... إلى جانب التدريب الروحي بالتدريب العسكري الوافي، بحيث أصبح كل إمام ضابطًا

مدرِّبًا مجاهدًا»[١٩٨]، وزار المفتي نفسه المدرسة عدة مرات ليلقي المحاضرات ويقابل الطلاب والمعلِّمين[١٩٩]، ووفقًا للحسيني، تخرَّج من غوبين خمسون إمامًا في فصلين دراسيين بواقع أربعة أشهر لكل فصل. لكن في شهور الحرب الأخيرة، ستدرِّس وحدات الحماية الأئمة البوشناق في مواقع أقرب لأماكن انتشارهم؛ ففي أواخر خريف عام ١٩٤٤، حينما كانت فرقة الخنجر تتفكَّك بالفعل، نظَّمت الوحدات دورةً تدريبية لستين إمامًا من أئمتها قرب مدينة بوداپست (Budapest)[٢٠٠]، بل إنها نظَّمت زيارة سريَّة للمفتي، كان مقرَّرًا لها أن تتم في السابع من أكتوبر/ تشرين الأول من عام ١٩٤٤، لكن لم توضح أية وثيقة باقية ما إن كانت قد تمت بالفعل أم لم تتم.

أنشأت وحدات الحماية معهد غوبين في الأساس لتدريب أئمة وحدات البلقان، أما فيما يخصُّ المجنَّدين المسلمين من الأقاليم الشرقية، فقد أسَّست معهدًا آخر أكبر في درسدن، ارتبط رسميًّا بفريق تركستان البحثي بقيادة أولتسا. وقد فتحت مدرسة الملالي التابعة لوحدات الحماية (*SS- Mulla Schule*) أبوابها في السادس والعشرين من نوفمبر/ تشرين الثاني من عام ١٩٤٤، وكما كان الأمر في غوبين، استغلت وحدات الحماية حفل الافتتاح بغية الدعوة لتحالف ألماني إسلامي. وكان ڤالتر شلنبرغ هو من ألقى الخطاب الافتتاحي هذه المرة، وكرَّر الخطاب المعهود[٢٠١]؛ حيث شدَّد، معتمدًا على الصِّلات التاريخية، على علاقات ألمانيا التقليدية بالإسلام ودعمها القديم للعالم الإسلامي، الذي استُغل دائمًا من قِبل القوى الإمپريالية، وذكَّر رئيس جهاز الاستخبارات الخارجية التابع لمكتب أمن الرايخ الحضور بأن ألمانيا كانت تميِّز أسرى الحرب المسلمين في معسكر ڤنسدورف في أثناء الحرب العالمية الأولى بالفعل، وأوضح أن «اندلاع الحرب العالمية الثانية وقع في وقت كانت فيه القوى العِرقية في الاتحاد السوڤييتي لم تنكسر بعد، في حين ازداد تدهور التقاليد الثقافية والدينية بشكل خطير»، ورحَّب شلنبرغ بعزم الشعوب غير الروسية في الاتحاد السوڤييتي على القتال في صفِّ ألمانيا ضد البلشفية، وعدَّ الإسلام «أشدَّ الحصون منعة في وجه الاستئصال القومي والعِرقي والثقافي للتُّرك الشرقيين»، وكذلك هو

ترياقُ «عدوى البلشفية». وفي هذا الصدد، كان يُنظَر إلى الإسلام بوصفه «حارسًا ... للجوهر الحيوي» للتُّرك الشرقيين. ودعا شلنبرغ المسلمين لتلقين الجيل الأصغر «تراث الماضي؛ كي يتمكنوا من التكيف مع المستقبل» ويواجهوا «ركائز الأيديولوجيا البلشفية ... والرؤية الروسية العنصرية الخالصة للعالم». أبدى الخطاب ثقة سريالية بالنفس. وفي الواقع، جاء زعم شلنبرغ بتحرير الإسلام من الطغيان السوڤييتي في وقت كان الجيش الأحمر قد تمكَّن فيه من استعادة غالبية الأقاليم الشرقية، ومع ذلك، أنهى شلنبرغ الخطاب وقد أزال كل شكٍّ لدى المراقبين في الطابع الدعائي للمدرسة، وتحول تداول المعرفة الدينية إلى هدف ثانوي.

كان مقرُّ المدرسة في الدَّارة رقم ٢ بطريق لوثرينغر (Lothringer) الواقع في حي بلازيڤيتس (Blasewitz) الثري في درسدن، وكان المبنى مملوكًا في السابق لعائلة يهودية، ثم استخدمه النازيون بعد ذلك **بيتًا لليهود** (*JudenHaus*) لجمع اليهود معًا، وتكرر ذكره لدى كاتب اليوميات اليهودي الشهير فيكتور كليمپرر (Victor Klemperer)، الذي أشار أيضًا في أوائل نوفمبر/ تشرين الثاني من عام ١٩٤٤، إلى «المجموعة الدراسية الإسلامية الغامضة» هناك[٢٠٢]. وبعد الحرب، كتب راينر أولتسا، الذي كُلِّف بإنشاء المدرسة، تقريرًا يرسم صورةً مفصَّلة عن المعهد[٢٠٣]؛ فقد صمِّم البناء الداخلي للمبنى ليعكس أنماطًا معمارية إسلامية، وزُيِّن فناء المدخل الرئيسي بفسيفساء لمساجد آسيا الوسطى، ورُصِّع بآيات قرآنية، وتحولت إحدى الغرف الأخرى إلى مصلًّى المدرسة؛ إذ زُخرفت بالطريقة نفسها وأُثِّثت بمحراب وبُسُط للصلاة، وكذلك ابتاعت وحدات الحماية شيئًا من المصنوعات اليدوية الإسلامية الثقافية كالمزهريات واللوحات؛ كي توفِّر ما رأت أنه بيئة إسلامية أصيلة. كان المسئول عن التصميم المعماري الداخلي للدارة هو كورت إردمان (Kurt Erdmann)، خبير الثقافة الإسلامية وتاريخ الفنون في القسم الآسيوي من متحف برغامون (Pergamon)، في برلين. وقد استغرق تجديد المبنى وإعادة تزيينه ستة أشهر، وأشرف عليه إردمان مع معماريين آخرين من برلين ودرسدن. وأوضح أولتسا بعد الحرب أن «المظهر الخارجي يجب أن يشبه المنشآت الدينية الإسلامية؛ بغية

خلق الجو المناسب». وحصل أولتسا كذلك على العديد من الكتب الإسلامية من فرنسا والبوسنة وهولندا، وكان بعضها نصوصًا إسلامية عتيقة نادرة ابتيعت من سراييڤو، أما المصاحف فقد بدا أنه يمكن الحصول عليها مجانًا من وزارة الدعاية[٢٠٤]، لكن ترجمات القرآن كانت شحيحة كما كانت الحال في غوتنغن. وقُبيل افتتاح المدرسة في نوفمبر/ تشرين الثاني، أعلنت وزارة الشرق أنه فيما يتعلَّق بدورات درسدن وغوتنغن، «فقد استُنفدت جميع إمكانيات الحصول على نسخ من القرآن من بلدان مختلفة»[٢٠٥].

وبرزت معضلةٌ كبرى، تمثَّلَت في البحث عن مدير مؤهَّل للمدرسة؛ إذ كانت قيادة وحدات الحماية تأمل في تعيين عالم چان إدريس، لكن إدريس كان ما يزال في خدمة وزارتَي الدعاية والخارجية، حيث كان من بين المسئولين عن الپروپاغندا الألمانية في العالم الإسلامي، وخاصة المناطق الناطقة بالتركية؛ ولذلك، اضطر إدريس إلى الرفض عندما عرض عليه أولتسا وظيفة درسدن في نوفمبر/ تشرين الثاني من عام ١٩٤٤[٢٠٦]. لكنه وافق على القدوم إلى درسدن مرة أو مرتين في الأسبوع للإشراف على سَير الدراسة والتدريس حتى يتمَّ العثور على مدير دائم. وقد استاءت وزارة الدعاية من مخطَّطات مكتب وحدات الحماية الرئيسي لاستقطاب إدريس؛ إذ إن هذا الأخير يشكِّل «روح برنامجنا الإذاعي التركي»، على حدِّ تعبير وكيل الوزارة ناومان (Naumann)[٢٠٧]، ومع ذلك، وافقت وزارة الدعاية أخيرًا على ترك إدريس لثلاثة أيام في الأسبوع، ومن ثمَّ أصبح هو المدير غير الرسمي لمدرسة الملالي[٢٠٨]. وذكر أولتسا بعد ذلك أنه «بدا محمَّديًا موقنًا ... ولهذا السبب، إلى جانب علمه وسنِّه، كان مناسبًا بشكل خاص للمدرسة»[٢٠٩]. وقد جلب إدريس نجله إلدر إدريس (Ildar Idris) ليعمل معه مترجمًا ومساعدًا، حتى جُنِّد في فيلق وحدات الحماية الإسلامية الشرقية[٢١٠].

وعلى عكس القوات المسلَّحة في غوتنغن، كانت وحدات الحماية حريصة على تعيين معلمين مسلمين فحسب[٢١١]؛ فقد استشار أولتسا الأستاذ ريتشارد هارتمان في تعيين هيئة التدريس، وعيَّن في البداية شخصًا يدعى الدكتور مراد. وُلد مراد في

مكة لأسرة تترية الأصل، وزعم أنه كان مديرًا لمدرسة في مدينة تورپان (Turpan) في منطقة المسلمين الأويغور في شينغيانغ (Xinjiang) قبل أن يصل إلى ألمانيا، حيث درس الطب، وقد نال إعجاب أولتسا لمعرفته بالقرآن وتمكُّنه من اللغة، واشترك مراد في التخطيط للمدرسة، لكن الشقاق بينه وبين أولتسا وإدريس أدَّى إلى مغادرته قبل افتتاحها. كان تعيين المعلمين أمرًا صعبًا، لكن في النهاية، عُيِّن رجلان مسنَّان من ملالي القِرم، وكذلك، وصل إمام ريغا شاكر إريس إلى المدرسة بعد أن فرَّ، رفقة زوجته، من الجيش الأحمر عند تقدمه، وسُمح له بالإقامة في المدرسة ضيفًا بعد أن قضى إدريس بعدم صلاحيته للتدريس، وضمَّت هيئة التدريس أيضًا رجلين: عربي وبلغاري إلى جانب الرائد الطموح كلينغر (Killinger)، وهو جندي ألماني متقاعد اعتنق الإسلام. وبالنظر إلى هذه المجموعة، كان من غير المستغرب أن يقول أولتسا بعد الحرب أنه «حتى النهاية، ظل إدريس المعلِّم الوحيد المؤهَّل تأهيلًا كاملًا». وكانت وحدات الحماية تأمل في البداية في تعيين معلِّمين من بين أكثر الطلاب موهبةً في كل فصل؛ إذ يمكن تدريبهم في دورة متقدمة بعد ذلك[٢١٢]. وظل أولتسا وزملاؤه يحاولون -دون جدوى- تعيين مسلمين من ذوي التعليم الديني، كان من بينهم السوري رضا محمَّد الإستانبولي والأذري محمَّد رسول زاده[٢١٣]. ولاحقًا في مارس/ آذار من عام ١٩٤٥، حاول إدريس تعيين خمسة كتَّاب من جريدة (*Türk birliği*) [بالعربية: **الاتحاد التركي**] التابعة لوحدات الحماية، لكن الخُطَّة فشلت في خضمٍّ فوضى الأسابيع الأخيرة من الحرب[٢١٤].

كانت مهاجع مدرسة الملالي التابعة لوحدات الحماية في درسدن يمكن أن تستوعب ما يصل إلى خمسين طالبًا في المرة الواحدة، لكن هذه القدرة الاستيعابية لم تُستغل بالكامل أبدًا. وكان من المقرَّر أن تتراوح مدة الدورة الدراسية بين عام وعامين، لكن نظرًا للوضع العسكري، كانت تُختصر إلى عدة أسابيع. وكان الطلاب يأتون من الوحدات أو أحيانًا من معسكرات أسرى الحرب مباشرةً، حيث كان الملَّا جمعة بابيف ينتقيهم[٢١٥]. ولم يدرَّس في شهور الحرب الأخيرة في درسدن إلَّا ثلاثة فصول. تخرجت المجموعة الأولى بإجمالي ستة عشر طالبًا في يناير/ كانون الثاني

من عام ١٩٤٥، وتبعها فصلٌ مكوَّن من واحد وعشرين طالبًا، ثم فصلٌ ثالث مكوَّن من ثلاثة وعشرين طالبًا[٢١٦]. وألقى إدريس في أوائل عام ١٩٤٥ عددًا من المحاضرات لاثنين وستين إمامًا من فرقة الأشغال التركية في القوات المسلَّحة، وكان من بينهم بعض الأوزبك والتتر والأذر والقوقازيون الشماليون وغيرهم[٢١٧]، وأوصى بألَّا تقتصر مدرسة درسدن على تدريس المسلمين التركستان فقط، بل يجب أن تشمل أئمة من الجماعات العِرقية كافة[٢١٨]؛ وتلقَّت وحدات الحماية هذه الأفكار الوحدوية الإسلامية بالقَبول.

كان البرنامج العلمي في مدرسة وحدات الحماية يهدف إلى تجاوز الشقاق بين السُّنَّة والشِّيعة؛ إذ دعا إدريس مرارًا، في محاضراته في درسدن وخُطبه في وحدات الجنود المسلمين على الجبهة، لنبذ الطائفية الدينية[٢١٩]، وكان لهذه الإستراتيجية ميزةٌ تنظيمية بارزة بالنسبة للألمان. وحده شپولر، بعد أن فصَل السُّنَّة عن الشِّيعة في مدرسة القوات المسلَّحة، كان معارضًا للسياسات المناهِضة للطائفية في وحدات الحماية، بل لبرنامج إدريس التعليمي كاملًا[٢٢٠]، لكن إدريس، الذي دفع بأن الشقاق [بين السُّنَّة والشِّيعة] قد اصطُنع في تاريخ الإسلام، كانت له الغلبة[٢٢١]، وكان هو واضع البرنامج التعليمي للمدرسة بالتشاور مع هارتمان[٢٢٢]. احتوى البرنامج على قراءات للقرآن ودروس في تفسيره، وفصول عن التاريخ الإسلامي، ومحاضرات في اللغة العربية، وفي الشهور الأخيرة من الحرب، حاضر إدريس أيضًا حول قضايا سياسية من قبيل «السياسات الإمپريالية والمعادية للإسلام من قبل القوى الثلاثة: إنكلترا وأمريكا وروسيا السوڤييتية، وسياسات ألمانيا الصديقة للإسلام، التي استمرت -أقلَّه- على مرِّ القرنين الماضيين» وفق تعبيره[٢٢٣]، وحذَّر طلابه، مستشهدًا بأمثلة تاريخية، من أن الانتصار الإنكليزي الأمريكي السوڤييتي يعني السقوط في حمأة العبودية لـ «يهود العالم».

وفي شهور الحرب الأخيرة، قررت قيادة القوات الشرقية استخدام مدرسة وحدات الحماية الجديدة، بل وإرسال أئمة القوات المسلَّحة إلى درسدن للتعلم[٢٢٤]. وعُيِّن شپولر لمتابعة الدورات المقدَّمة لصالح القوات المسلَّحة، لكن إدريس لم يكن

يستشيره إلَّا نادرًا[٢٢٥]. وكذلك، انتُدب المفتي شينكييتش من غوتنغن إلى درسدن[٢٢٦]. وكانت فكرة جمع أئمة القوات المسلَّحة ووحدات الحماية معًا وتدريسهم قد نوقشت لفترة. فقبيل افتتاح مدرسة درسدن، أوضح الحسيني في اجتماع مع غِرهرد فون منده في السابع والعشرين من يوليو/ تموز من عام ١٩٤٤ أن أطرافًا عدة قد تواصلت معه من أجل تأسيس «مدرسة للملالي»[٢٢٧]. ولمَّا كان الحسيني يحمل انطباعًا بأن الألمان ليس لديهم فكرة متماسكة عن تنظيم مشروع كهذا، أخبر منده أنه يريد تقديم بعض التوصيات العملية حول مدرسة مستقبلية للملالي. واقترح أنه من المفترض أن تُستخدم هذه المدرسة من قبل القوات المسلَّحة ووحدات الحماية معًا. وستتطلب خُطَّةً تعليمية متخصصة وموادَّ تعليمية مناسبة ولغة تعليمية عملية. وكان الأكثر دلالةً في هذا السياق هي تعليقات المفتي على دور الدين. وقد اعترف الحسيني، واعيًا بارتياب منده والوزارة من محاولات وحدات الحماية إطلاق حملة تعبئة إسلامية في الأقاليم الشرقية، أن «أية فكرة إسلامية شاملة اليوم هي غير فعَّالة سياسيًّا». وأوضح أن المدرسة يجب أن تعمل تحت إشراف وزارة الشرق التي ستتعاون بدورها مع القوات المسلَّحة ووحدات الحماية. لكن مدرسةً تديرها وزارة الشرق الضعيفة لم يكن أمرًا متصورًا. وكذلك، كانت رؤى الحسيني القومية تتعارض مع السياسة الفعلية للقوات المسلَّحة ووحدات الحماية آنذاك. لذا لم يضطلع المفتي بأي دور فعَّال في مدرسة درسدن[٢٢٨]. وقد بيَّنت تلك الواقعة، مرةً أخرى، أن الحسيني لم يكن له نفوذٌ قوي على عملية صنع القرار في برلين. فكان الألمان يستشيرونه ويستخدمونه عند الحاجة، لكنه، في ذاته، لم يكن له من الأمر شيء. ومع ذلك، كتب المفتي إلى هملر يشكره بعد افتتاح المدرسة في نوفمبر/ تشرين الثاني[٢٢٩]، فردَّ هملر من فوره قائلًا: «أود أن أُعرب عن قناعتي بأن تعاوننا وترابطنا الألماني الإسلامي سيؤديَّان إلى نصر مؤزَّر على أعدائنا»[٢٣٠].

لكن سرعان ما عصفت الحربُ بالمدرسة؛ فالدَّارة، بما احتوته من كتابات ومصنوعات إسلامية، احترقت على بكرة أبيها في أثناء قصف الحلفاء المدمر لدرسدن في الفترة بين الثالث عشر والخامس عشر من فبراير/ شباط من عام

١٩٤٥، وأُجلي من بقي من المسلمين وهيئة التدريس إلى بلدة ڤايسنفيلس الصغيرة (Weissenfels)[٢٣١]؛ ففي الثالث والعشرين من فبراير/ شباط، طالب مكتب وحدات الحماية الرئيسي القيادة المحلية في ڤايسنفيلس بتوفير المؤن والإقامة لأعضاء المدرسة «على وجه السرعة»[٢٣٢]؛ ارتبكت السُّلطات العسكرية المحلية واقترحت إغلاق المدرسة لاحتياج وزارة الدعاية العاجل إلى إدريس واحتياج الوحدات لأئمتها[٢٣٣]؛ فأجابت وحدات الحماية، غير مبالية، بأنه لا يوجد أمر بحلِّ المدرسة[٢٣٤]. ولا يُعرف مصير هيئة التدريس والطلاب بعد ذلك.

وفي المجمَل، لم يكن عمر المعاهد التعليمية الإسلامية الثلاثة التي أُنشئت في أثناء الحرب طويلًا كي تترك أثرًا، بل حتى قبل بدء الدورات في مدرسة الملالي التابعة لوحدات الحماية في درسدن، أعرب إدريس عن قلقه من التوقيت[٢٣٥]، وانتقد التأخر في تدريب الملالي، ونبَّه إلى أنه يجب ألَّا يُفصَلوا عن وحداتهم في هذه المرحلة الحرجة من الحرب. ومع ذلك، فإن تاريخ الدورات الدينية يعدُّ مثالًا آخر على الدرجة التي حاولت بها برلين توسعة نطاق مشروعها الإسلامي في الفترة الأخيرة للحرب.

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، جمع الجنرال فون هايغندورف قائمة من عشر نقاط أجمَل فيها الإجراءات التي اتُّخذت لتعزيز الإسلام في الوحدات الإسلامية في القوات المسلَّحة[٢٣٦]؛ فكتب أن الإسلام تعزَّز من خلال:

١. اختيار رجال مؤهلين وتدريبهم في مدارس الملالي في غوتنغن ودرسدن-بلاوزيڤتس (Dresden- Blausewitz).
٢. استحداث مناصب الملالي وكبار الملالي في القيادات الميدانية في الفرق والكتائب والسرايا.
٣. تمييز الملالي بشارات خاصة كالعمامة والهلال.
٤. توزيع المصاحف على أفراد الفيالق.
٥. تنظيم أوقات الصلاة.
٦. الإعفاء من الخدمة في أيام الجُمَع والأعياد الدينية.

٧. احترام عادات الصوم والفروض المتعلقة بالطعام والشراب.
٨. توزيع اللحم والأرز في أيام الاحتفالات.
٩. توجيه مقابر القتلى من المتطوعين صوب مكة في الشرق باستخدام البوصلة، ووسم شواهد القبور بالأهلَّة بدلًا من الصلبان.
١٠. التعامل المُراعي واللبق مع الدين الآخر وشعائره.

وكان تفسير هايغندورف لهذه الجهود بسيطًا: «كانت غالبية متطوعينا التُّرك من المحمَّديين الأتقياء، والمحمَّديون الأتقياء يستحيل أن يصيروا بلاشفة؛ ومن ثمَّ، لم يكن هناك أمرٌ أكثر بداهةً من تعزيز الإسلام في تشكيلاتنا التطوعية بكل وسيلة ممكنة»[٢٣٧]. وبالفعل، كان الألمان على قناعة بأن المسلمين المتدينين سيُكِنُّون عداءً خاصًّا للاتحاد السوفييتي، ومن ثمَّ فإنهم حلفاء موثوقون. وكذلك، كان منح الامتيازات الدينية الخاصة، وتوفير الرعاية الدينية، يستهدف في الأساس الحفاظ على الالتزام العسكري والتحكم في آلاف المتطوعين، والأهم من ذلك كله: تعزيز الروح القتالية.

الفصل الثامن
الإسلام والپروپاغندا العسكرية

منذ حملة ألمانيا الإمبراطورية لتعبئة المسلمين في الحرب العالمية الأولى، غدا الجنرال أوسكار ريتر فون نيدَرماير على قناعة باستغلال الإسلام في تحريض المسلمين. وفي الخامس عشر من يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٤٣، وبعد أن انسحبت القوات الألمانية من القوقاز وأصبح الوضع العسكري في ستالينغراد ميؤوسًا منه، أصدر نيدرماير «اقتراحات التوجيه السياسي (العامة) في الوحدات التركية» (*Anhaltspunkte für den Politischen Unterricht in turkvölkischen Einheiten*) الموجَّهة إلى كتائبه الميدانية الإسلامية[1]. ولا غرو أن الإسلام كان جزءًا مهمًا من موضوعات الپروپاغندا الموصّى بها؛ إذ كان يُتوخّى من الپروپاغندا الألمانية في الوحدات الإسلامية أن تبني إرثًا تاريخيًا من علاقة الصداقة بين ألمانيا والعالم الإسلامي، فكان على الدعائيين تذكير الجنود المسلمين بالإعلان المَهيب لڤيلهلم الثاني بعد زيارة قبر صلاح الدين في دمشق في عام ١٨٩٨، وقد تقرَّر تقديم إعلان الإمبراطور بوصفه أساسًا للصداقة الألمانية الإسلامية التي استمرت مع التحالف الألماني العثماني في الحرب العالمية الأولى، وعلاقات ألمانيا القوية بالعراق وإيران وأفغانستان في فترة ما بين الحربين. وبعدها بأشهر، أصدرت وحدات الحماية مجموعة مشابهة من التوجيهات لفرقة الخنجر في قرار غوتلوب برغر المتعلّق بـ «التلقين الأيديولوجي والروحي إلى فرقة وحدات الحماية الإسلامية»[2]. وبعدها صدرت توجيهات أخرى للپروپاغندا العسكرية في صفوف القوات الإسلامية.

خاطبت توجيهات القوات المسلّحة ووحدات الحماية جميع الضباط المشاركين في الپروپاغندا في الوحدات الإسلامية. وفي واقع الأمر، لم يكن التلقين الأيديولوجي

للجنود المسلمين حكرًا على الأئمة الميدانيين؛ إذ أطلق الجيش برنامجًا دعائيًا واسع النطاق، وظَّف فيه ضباطًا سياسيين وأسَّس عددًا من المجلَّات والجرائد العسكرية. كانت هذه البروپاغندا مفعمةً بالدين، ومصاغة لإضفاء الشرعية على الحرب، ورفع درجة تشدُّد (radicalize) الجنود المسلمين واستثارتهم من أجل المعركة، وسعت أولًا وأخيرًا إلى تقديم تأويل إسلامي للحرب. وقد وُظِّفت الدوافع والشعارات الدينية في سبيل جعل الحرب بمنزلة الفريضة الدينية، أي تحويلها إلى «حرب عادلة». وكذلك، توجَّب إقناع المجنَّدين المسلمين أنهم ليسوا مرتزقةً عاديين في جيش كافر، بل جنود يقاتلون في سبيل قضيتهم. وصيغت غايات المسلمين، وصيغ دينهم، لينسجما مع نظائرهما لدى الرايخ الثالث. وكانت الدعاية لما زُعم أنها قيم مشتركة ومن زُعم أنهم أعداءٌ مشتركون، وأبرزهم البلشفية والقوى الأنكلو-أمريكية واليهودية، موضوعات متواترة في البروپاغندا الموجَّهة إلى القوات المسلمة.

الضباط السياسيون والبروپاغندا الدينية

وظَّفت القوات المسلَّحة من البداية ضباطًا سياسيين (*weltanschauliche Schulungsoffiziere*) مسلمين وألمان تعاونوا عن قرب مع الأئمة في التلقين العقائدي (indoctrination) للقوات المسلمة، وفي حقيقة الأمر، جُلب الضباط السياسيون إلى وحدات القوات المسلَّحة الألمانية النظامية، في الوقت نفسه، في صيف عام ١٩٤٢[٣]؛ فقد كانت الأيديولوجيا، في اعتقاد قيادة الجيش، هي أكثر الأدوات فاعليةً لرفع الروح المعنوية القتالية. وكانت مهام الضباط السياسيين قريبةً من مهامِّ المفوَّضين السياسيين السوڤييت الذين بهروا القيادة الألمانية، رغم الحرص على تجنب أية مقارنة بينهما. ودفع المؤرِّخون بأن ضباط القوات المسلَّحة السياسيين كان لهم دورٌ كبير في وحشية الحرب الألمانية. وكانت مهمة الضباط الأيديولوجيين في الوحدات الإسلامية مشابهةً تمامًا لمهمة نظرائهم في الوحدات الألمانية، لكن كان عليهم أن يُقيموا دعايتهم على خطاب وشعارات إسلامية. وقد أوجز أحد دعائيي الفيالق الشرقية عمله في عبارة بسيطة؛ إذ قال إنه يحاول تعبئة جميع القوى المتاحة «في سبيل الحرب المقدسة»[٤]. وكان جنود الفيالق، المختارون للعمل في

الپروپاغندا في وحداتهم، يُبتَعثون إلى برلين لنَيل دورات تدريبية قصيرة. وتقدِّم لنا التقارير التي نجت من الحرب صورةً عن الدور الذي اضطلع به الدين في أثناء هذه الإقامة[٥]؛ إذ لم تقتصر زيارة الضباط السياسيين على التجول في العاصمة وتلقّي محاضرات سياسية عن موضوعات من قَبيل «ألمانيا الاشتراكية القومية»، بل سيحضرون أيضًا صلوات الجمعة في مسجد ڤيلمرسدورف، وكذلك أضيف للرحلة زيارات قصيرة للمقابر الإسلامية في برلين، التي أنشأتها البعثة العثمانية؛ وذلك بغية التركيز على العلاقة العميقة بين ألمانيا والإسلام، وكان الألمان يراقبون سلوك المسلمين في هذه المواقع الإسلامية بعناية؛ فقد أفاد التقرير الخاص بالدورة السادسة أن المقابر نالت إعجاب التركستان وحدهم، بينما كان القوقازيون أكثر تحفظًا، بينما أشار تقرير الدورة التالية إلى أن «زيارة الفيلق للمسجد ولمقبرة زعيمهم القومي أثار إعجاب أفراده بشكل خاص»[٦]، وأشار التقرير أيضًا إلى أن أكثر الجنود لم يدخل دارَ عبادة من قبل قطُّ. وبمجرد أن يضعوا أقدامهم في الميدان، يظلُّ الدعائيون تحت الرقابة الصارمة للمسئولين الألمان في وحداتهم. وقد حثَّ أحد التوجيهات الصادرة إلى الضباط الألمان العاملين في الكتائب التركية على مراقبة عمل الدعائيين بحرص، مشدِّدًا على أنه يجب إبلاغ المسلمين أنهم لا يحاربون البلشفية فقط، ولا يقاتلون في سبيل موروث قومي أو عوامل اقتصادية فحسب، بل في سبيل «إعادة فتح دور العبادة واحترام العقائد والعادات والأعراف»[٧]. وأوصى كُتيِّب إرشادات آخر بأن يحضر القادة الألمان الخطب السياسية التي يلقيها الدعائيون ليحددوا أهميتها ويقيسوا ردَّ فعل المتطوعين عليها[٨].

وفي القِرم، درَّب الجيش الحادي عشر دعائيين تترًا من القِرم في دورات خاصة. وفي هذه الدروس، تعلَّم الضباط المسلمون أن «الاشتراكية القومية تَعُدُّ الأمة مؤسسة مقدسة»، وأن «ألمانيا تمنح حرية دينية كاملة»[٩]. وشدَّد المدرِّبون على أن «النقطة المحورية تكمن في صداقة ألمانيا وإيطاليا واليابان للشعب الإسلامي الأساسي، أي العرب»، وأن «العالم العربي أجمع ... يعارض إنكلترا معارضةً شرسة». ونقل أحد ضباط القوات المسلَّحة، الذي حضر ثماني دورات تدريبية لثمانين دعائيًا من تتر

القِرم في ربيع عام ١٩٤٢، أن المشاركين «ابتهجوا بشدة» عندما علموا أن «هناك أيضًا مسجدًا كبيرًا في برلين»[١٠].

وقد بذلت وحدات الحماية جهودًا مماثلة؛ حيث استحدث برغر، منذ وقت مبكر، مناصب الضباط السياسيين في الوحدات الألمانية في الفافن إس إس، وسرعان ما أنشأها في الوحدات الإسلامية؛ وذلك لقناعته بالعلاقة الوثيقة بين الأيديولوجيا والانضباط العسكري[١١]. وفي مارس/ آذار من عام ١٩٤٤، نظَّم قسم ڤانغمان السياسي دورةً تدريبية لدعائيي **فرقة الخنجر** تشمل محاضرات عن موضوعات من قَبيل «هدف الفرقة ومهمتها»، و«المسلمون المتدينون وأهل الملل الأخرى في البوسنة»، و«لمَ يجب على المسلمين القتال إلى جانب ألمانيا؟». وألقى الدورتين الأخيرتين عبد الله مُحاسيلوڤيتش إمام الفرقة[١٢]، وبعدها في الشهر نفسه، نظَّمت فرقة الخنجر دورةً أعمق لدعائيِّي المستقبل من الألمان والمسلمين. كانت التوجيهات العامة للدورة تعكس توليفة برغر بين الاشتراكية القومية والإسلام. وحضر الضباط السياسيون المستقبليون محاضرات عن موضوعات من قبيل «الاشتراكية القومية والإسلام»، و«حياة زعيمنا الفوهرر»، و«مغزى هذه الحرب»[١٣]، وبعد الدورة، خضع الجنود لاختبارات تحريرية من عشرين سؤالًا تتراوح بين «لمَ لا يمكن لرجل يحب شعبه أن يكون شيوعيًا؟»، مرورًا بـ «ما القيم التي تقاتل الدول المتحالفة مع ألمانيا في سبيلها؟»، وصولًا إلى السؤال عن «لمَ تقاتل الاشتراكية القومية والإسلام معًا؟»[١٤]. أجاب أحد الضباط الألمان عن السؤال المتعلِّق بالشيوعية كالتالي: «إن الشيوعية نقيض كلِّ ما هو قومي، ونقيض الإيمان»، وعن القيم التي يقاتلون في سبيلها كتب: «بغية الحفاظ على عاداتنا وحريتنا وحقنا في الحياة»[١٥]، وأخيرًا، كان يَعلَم كيفية الإجابة عن السؤال الخاص بالعلاقة بين الاشتراكية القومية والإسلام: «الإسلام والاشتراكية القومية يتشاركان العدو نفسه ويتوافقان من جهة الاعتقاد»[١٦]، وعن السؤال نفسه، أجاب يوسيپ ڤوكيليتش (Josip Vukelić)، الجندي النفر المسلم في وحدات الحماية (*SS- Rottenführer*)، إجابة نموذجية متسقة مع پروپاغندا هملر؛ «لأنهما يتشاركان العدو نفسه: البلشفية

واليهودية والإنكليز والأمريكان والماسونية والكاثوليكية السياسية»[١٧]، وداخَلت ذاك الجندي البوسنوي الثقة نفسها بشأن السؤال المتعلق بالشيوعية: «لأنها تُفسد قيمه ودينه وعائلته، وتسوِّي بين كل شيء». وكتب عن القيم المشتركة: «كي يحفظ الدين والقومية والعُرف والعادات»[١٨]، وفي تقريره لذاك الشهر أصدر ڤانغمان أمرًا يقضي بأن أولئك الذين شاركوا في هذه الدورات؛ هم وحدهم المؤهَّلون للترقية إلى رتبة عرِّيف في وحدات الحماية (*SS- Unterführer*)[١٩]. وقد نظَّمت وحدات الحماية دورات مشابهة لمجنَّديها المسلمين في الشرق. وفي سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٤٤، استفسر الحاكم (Fürst) في برلين عن مسألة تجنيد ضباط يمكنهم تدريس موضوعات من قَبيل «تاريخ الإسلام» و«مختصر تاريخ الدول الإسلامية وجغرافيتها»، وبالطبع «سيرة حياة [الإمام] شامل»؛ وذلك بهدف «التلقين السياسي والديني»[٢٠]. وكذلك، قدَّم إدريس، بصفته المدير غير الرسمي لمدرسة الملالي في درسدن، محاضرات عن «أهمية الإسلام وتاريخه لدى الترك الشرقيين»[٢١]، وكذلك ألقى شپولر بعض المحاضرات[٢٢].

الإسلام والجرائد العسكرية والپروپاغندا المطبوعة

أصدرت القوات المسلَّحة ووحدات الحماية العديد من المنشورات الدعائية ووزَّعتها على مجنَّديها، واعتمدت مرارًا على الشعارات والمفاهيم والخطابات الدينية؛ إذ وزَّعت برلين كُتيِّبات، ككُتيِّب **الإسلام واليهودية** (*Islam und Judentum*)، المعادي لليهود، الذي وُزِّع لا على السكان المدنيين في البوسنة والهرسك فحسب، بل على مجنَّدي فرقة الخنجر أيضًا (الشكل ٨-١)[٢٣]. سعى الكُتيِّب إلى تأطير كراهية اليهود بالدِّين؛ تحفيزًا للمسلمين على القتال في **الحرب الأيديولوجية** (*Weltanschauungskrieg*) الألمانية. وفي الوقت نفسه، خطَّط برغر لكُتيِّب أيديولوجي أشمل يخص فرقة الخنجر التي عدَّها -بشكل أعم- «قوةً قتالية سياسية من أجل العالم المحمَّدي أجمع»[٢٤]. وكذلك، كان ساوبرتسڤيغ يكتب لجنوده المسلمين -بانتظام- رسائل دعائية صريحة يلقيها عليهم الأئمة في وحداتهم[٢٥]. وكذلك وزَّعت وحدات الحماية الپروپاغندا الدينية على مجنَّديها المسلمين في



(الشكل ٨-١): نسخة ألمانية من الكتيب الدعائي **الإسلام واليهودية**،
يُطالعها جنود من فرقة الخنجر التابعة لوحدات الحماية في عام ١٩٤٣
.(BAK, Image 101III- Mielke- 036- 23, Mielke)

الأقاليم الشرقية، وكان من بينها كُتيِّبٌ وقَّعه المفتي موجهٌ «إلى إخواني المسلمين!»[٢٦]، أعلن فيه أن قوى الحلفاء «أعداءٌ تقليديون للإسلام منذ قديم الأزل؛ ذلك أنهم يضطهدون المسلمين ويحتلُّون بلادهم ويحاربون دينهم ويُعِدُّون لمستقبلهم البوار»، وزعم الكُتيِّب أن قوى الحلفاء هذه تقف الآن، «بقيادة اليهودية العالمية»، في وجه المحور الذي تقوده ألمانيا، «تلك الدولة التي لم تكن قطُّ عدوًّا للإسلام، ولم تَعتدِ قطُّ على أيَّة دولة إسلامية». إن الرايخ الثالث يقاتل «أعداءنا المشتركين»، ويسعى لضمان «مستقبل آمن وسعيد للعالم الإسلامي». وحثَّ الكُتيِّب قائلًا: «إلى الأمام، في صفِّ ألمانيا، مفعمين بإيمان راسخ في أن النصر لا شكَّ قريب»، وخُتم بآية قرآنية، حاضًّا الجنود على أن «قوموا وقاتلوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم»[٢٧].

وكذلك شرعت القوات المسلَّحة في تعميم پروپاغندا مفعمة بالدين. وأشار برويتيغام، عندما أمر بتجهيز المواد الدعائية الموجَّهة إلى الوحدات الإسلامية الشرقية في أواخر عام ١٩٤٢، إلى أن «المطلوب على وجه الخصوص رسائل عن سيرة الفوهرر ومصاحف»[٢٨]. لقد كان ضباط القوات المسلَّحة على قناعة بأن الكتابات الدينية لها أهميتها الخاصة في حفظ الروح المعنوية القتالية. وذكر هيرڤارت فون بتنفيلد، مساعد كوسترنغ، بعد ذلك أن «القرآن» طُبع «بكميات كبيرة»[٢٩]، وكانت المصاحف المصغَّرة على الأخص توزَّع على نطاق واسع بين جنود الفيالق الشرقية في القِرم؛ إذ كانوا يعلِّقونها في عُلَيبَة معدنية حول رقابهم[٣٠]؛ فبعد أن حمَل الجنود المسلمون التمائم والأكياس الجلدية الصغيرة التي تحوي آيات قرآنية في المعارك حول العالم لقرون، أصبح الألمان الآن متحمِّسين لاستغلال هذا الأمر[٣١]؛ إذ ألحَّ ضباط القوات المسلَّحة في طلبهم لهذه التمائم القرآنية. وعندما نظَّم شپولر دوراته في غوتنغن، طلب منها لأئمته[٣٢]. وفي عام ١٩٤٤، علم هايغندورف في مشاورات مع بعض القادة الأذر عن «وجود حاجة ماسَّة لمصاحف موضوعة في عُلَيبات معدنية»[٣٣]. وشُدِّد على أنه «من الملحوظ عامةً أن مصاحف التمائم هذه تنطوي على أهمية كبرى»، بل إن المسئولين ناقشوا خُطَّة جلب مصاحف تركية من تركيا؛ نظرًا لتعثر طباعتها في ألمانيا بسبب تردِّي وضع الحرب.

كانت أكثر المنشورات الدعائية الموزَّعة على القوات شيوعًا هي الجرائد والجرائد العسكرية؛ إذ بدأت وحدات الحماية، بعد فترة وجيزة من تأسيس فرقة الخنجر في عام ١٩٤٣، في إصدار جريدة **خنجر وحدات الحماية** (*SS-Handžar*) لجنود الفرقة[٣٤]، وكان قسم الدعاية في الفرقة مسئولًا عن محتواها. كانت الجريدة تتكون من ثمانِ صفحات مكتوبة وأربع صفحات ملحقًا مصوَّرًا، وكانت تصدر بالألمانية والبوسنوية. صدرت الجريدة بشكل نصف شهري في البداية، لكن صدورها تراجع تدريجيًا مع تدهور أوضاع الحرب، وكانت العديد من مقالاتها تعتمد على ذكريات العهد النمساوي المجري[٣٥]. وقد أثنى ساوبرتسڤيغ في إحدى المقالات، مستندًا إلى تصوراته عن إرث الحلف التاريخي، على «الأعمال البطولية»

التي كانت تنهض بها أفواج الهابسبورغ العتيقة[٣٦]. كانت الأعداد تُبرز استشهادات مستقلّة من أحاديث هتلر أو النبي [ﷺ] أو القرآن[٣٧]. وكان لدى أئمة الفرقة توجيهات صريحة من القيادة الألمانية بالكتابة في جريدة **خنجر وحدات الحماية**[٣٨]؛ إذ كتب الإمام حسين چوزو في أواخر عام ١٩٤٣ مقالة عن «مهام رجال وحدات الحماية»، حرَّض فيها على «البلشفية والرأسمالية واليهودية»[٣٩]. ونادى عددٌ كبير من المقالات إلى قتال من زُعم أنهم أعداء المؤمنين. وانفجر أحد المؤلفين قائلًا: «إن قُطعان البلاشفة ومجرميها الهمج يدنِّسون أقداس البوسنة الأبيَّة، لحساب لندن»[٤٠]. وأشار كاتبٌ آخر إلى أن الفظائع المرتكَبة في حق مسلمي البلقان استمرت حتى في أقدس أوقات العام: «إنه شهر رمضان؛ شهر الصلاة والصيام»، ورغم أنه يُفترض أن يكون «شهر البهجة والسرور»، فقد أمسى «شاقًّا داميًا»[٤١]. وكانت أشد أنواع الپروپاغندا شراسة ضد أعداء ألمانيا النازية هي تلك التي نُشرت في العدد الأخير الصادر في صيف عام ١٩٤٤، عندما كانت الفرقة منغمسة في قتال عنيف؛ أبرزت المقالات التنديد بكلٍّ من تيتو «المتعصب» و«يهود البوسنة» بوصفهم ألدَّ أعداء المسلمين[٤٢]. وكذلك، غطَّت **جريدة الخنجر** احتفالات الأعياد الدينية؛ فقد خُصِّص أحد الأعداد لاحتفالات عيد الفطر في نويهامر وأبرز العديد من صور الحدث، إلى جانب خطابَي ساوبرتسڤيغ وإمام الفرقة[٤٣]. وبمناسبة المولد النبوي، نشرت **جريدة الخنجر** مقاطع من خطبة ألقاها الحسيني في برلين[٤٤]، وغطَّى عددٌ آخر زيارة المفتي إلى نويهامر[٤٥]، وقد ربط المفتي بين التدين والرجولة والروح النضالية في الاقتباس المنقول عنه مخاطبًا الجنود بقوله: «لقد شهدتُ، في فترة إقامتي معكم، حياة الرجولة والروح القتالية والاستعداد للتضحية التي يفرضها الإسلام علينا جميعًا»، وحمل الملحق المصوَّر عدَّة صور للزيارة[٤٦]. لقد كانت الپروپاغندا المرئية بالفعل إحدى السمات الأساسية لجريدة **خنجر وحدات الحماية**. وكانت وحدات الحماية؛ لإدراكها قوة الصور، تُصدر أكثر من عشر صور في كل عدد، فتصوِّر حياة الجنود أو قراهم ومساجدهم[٤٧]، وربما كانت أكثر الصور إثارةً للدهشة؛ صورةُ امرأة شابة ترتدي ثوب سباحة تحت جسر موستار إلى جانب صورة امرأة محجَّبة بالكامل، وهي توليفة ربما أثارت سوء فهم لدى القراء المتدينين[٤٨].

لكن وحدات الحماية توقَّفت نهائيًا عن إصدار جريدة **الخنجر** في صيف عام ١٩٤٤. ولـم تُطبَّق قطُّ تلك الخُطط المتعلقة بإصدار جريدتين للفرقة؛ إحداهما بالبوسنوية توزَّع على المدنيين المسلمين، والأخرى بالألمانية[٤٩].

وصدرت في فيلق وحدات الحماية التركية الشرقية جريدةٌ سمِّيت **الاتحاد التركي** (*Türk Birligi*)، واستمرت في الصدور لفترة شديدة الوجازة في أواخر عام ١٩٤٤[٥٠]. وكان من المتوخَّى أن تعزِّز الجريدة المنشورة باللغات التركية المختلفة من «الدوافع النضالية بغية رفع الروح المعنوية للقوات»، على حدِّ تعبير أولتسا[٥١]. واتخذ عدد الجريدة الأول، الصادر في الخامس والعشرين من نوفمبر/ تشرين الثاني من عام ١٩٤٤، من عيد الفطر موضوعه، وأبرزَ مجموعةً من المقالات عن الإسلام والمعركة مع البلشفية[٥٢]. وأسهم الحسيني بمقالة أيضًا دعا فيها المؤمنين، باسم الله، إلى القتال في صفِّ ألمانيا الهتلرية. وكانت جريدة **الاتحاد التركي** تصدر تحت رقابة يوهانس بينسنغ وخبراء ألمان آخرين في الإسلام في الاتحاد السوڤييتي.

أما الجرائد الدِّعائية التي وُزِّعت في فيالق القوات المسلَّحة الشرقية فقد دامت لفترة أطول، مثل: جريدة **غزوات** للفيلق القوقازي الشمالي، وجريدة **إيدل-أورال** لفيلق الفولغا-الأورال، وجريدة **أذربيجان** للفيلق الأذري. لكننا لم نجد معلومات عن الجرائد الخاصة بالفيلق الإسلامي الرابع، فيلق تركستان، ومن المرجَّح أن محتواها يشبه -إلى حدٍّ كبير- محتويات الجرائد الثلاثة الأخرى[٥٣]. وإضافة إلى ذلك، وزَّع مقر قيادة نيدَرماير (فرقة المشاة الثانية والستُّون بعد المئة) على جنوده جريدة **سوفوبودا** (*Svoboda*) [بالعربية: **الحرية**]. وكانت غالبية جرائد الفيالق تصدر أسبوعيًا أو بشكل نصف شهري، وكانت تتكون في العادة من ثمان أوراق، ثم ستٍّ أو أربع فقط. تأسست غالبية هذه الجرائد في الفترة ما بين صيف عام ١٩٤٢ وربيع عام ١٩٤٣، وانقطع صدورها في شتاء عامَي ١٩٤٤ و١٩٤٥[٥٤]. وصدر من كل جريدة قرابة المئة عدد طَوال الحرب. وكانت المقالات يكتبها في الغالب متعاونون مسلمون في برلين، وتتحكم فيها وتراقبها عن كَثَب وزارة الشرق وإدارة الدعاية في القوات المسلَّحة التي كانت تقدِّم خلاصات لكل عدد[٥٥]، وتمثِّل هذه الخلاصات

أساس ما سيلي من تحليل، ولمّا كانت نسخ الخلاصات الأولى المتعلّقة بعام ١٩٤٢ لم تنجُ من الحرب، فإن هذه الدراسة ركّزت على الأعداد التي صدرت بين عامي ١٩٤٣ و١٩٤٥.

كان السبب الأساسي في تنوع الجرائد هو تنوع اللغات التي يتحدث بها المجنَّدون المسلمون، وكانت بعض الجرائد متعددة اللغة، وأبرزها جريدة **غزوات**، التي كانت تحتوي، إلى جانب المقالات الروسية، على نصوص بالشيشانية والإنغوشية والقراتشية ولغة البلقار ولغات أخرى. وكان محتوى الجرائد متشابهًا في الغالب، ويماثل بالفعل الجرائد الميدانية النموذجية الموجَّهة إلى الجنود الألمان. وكانت بعض التقارير في هذه الجرائد ترجمة لمقالات صدرت أولًا في المنشورات الألمانية كـ**جريدة الحزب النازي** وجريدة **دويتشه ألغماينه تسايتونغ** وجريدة (*Das Reich*) [بالعربية: **الرايخ**]. وكانت غالبية المقالات تتناول الوضع العسكري، في حين كان هناك عددٌ أقل منها يمس القضايا السياسية والأيديولوجية. وقد تجاهل المؤرِّخون هذه الجرائد أو لم يعتمدوا عليها؛ اعتقادًا منهم بأنها غير ذات صلة بالموضوع من الناحيتَين: السياسية والدِّعائية[٥٦]، لكن القراءة المتفحِّصة تبرز أن المقالات تسلِّط الضوء أكثر على الطرق التي حاول بها الألمان التأثير في مجنَّديهم.

وعلى وجه العموم، احتلَّت القومية موضعًا مهمًّا في هذه البروپاغندا، كما انعكس في أسماء الجرائد، وفي الوقت نفسه، كانت الموضوعات الدينية متواترة فيها. ففي الواقع، كان لاسم **غزوات** دلالة دينية واضحة تستند إلى التراث القوقازي الشمالي في المقاومة الإسلامية والجهاد. وتتناول الصفحات التالية بعض الموضوعات الدينية الأساسية في مقالات جرائد **غزوات** و**إيدل-أورال** و**أذربيجان** و**سوفوبودا**، وتقيِّم وظائفها السياسية.

كان هناك عددٌ ملحوظ من المقالات التي احتوتها هذه المنشورات يستهدف تثقيف جنود الفيالق عن الإسلام وتعزيز هويتهم الإسلامية، وعظَّمت الجرائد كلُّها مرارًا من أهمية الدين بوصفه الركن الركين للثقافة القومية؛ إذ زعمت جريدة **إيدل-أورال**، في أوائل عام ١٩٤٤، أن «الدين أحد أركان روحنا القومية»[٥٧]، وبعدها

بأشهر، أكَّدت **جريدة أذربيجان** لقرائها على أن الأمة لا يمكن أن تنهض إلَّا على أساس من التعاليم النبوية والقرآنية الخالصة[٥٨]، وكتب الصحفي الأذري إبراهيم أوغلو (Ibrahim Oglu) أن «الدين يجب أن يضطلع بدور رئيس في أذربيجان الجديدة»، وقبلها بأسابيع، أوضح أن مهمة جنود الفيلق هي حفظ الدين، وذلك بخلاف تحرير أذربيجان[٥٩]، وفي الواقع، لم تُخفِ **جريدة أذربيجان** «مساعيها» لتثقيف جنود الفيلق «تثقيفًا دينيًا»[٦٠]. وشدَّدت **جريدة غزوات** في أحد عناوينها على أن «سيرة النبي [ﷺ] يجب أن تكون أسوةً نحتذيها»[٦١]. وكان من بين المقالات ذات الغرض التثقيفي الواضح بعض النصوص المتعلقة بتعاليم الإسلام والتاريخ الإسلامي، والتي كَتبت أكثرها قامات دينية؛ حيث كتب شخصٌ يُدعى الملَّا فيلانكياس (Filankias)، على سبيل المثال، مقالة بعنوان: «نظرة استرجاعية لتطور الإسلام» (a retrospective of the development of Islam) في **جريدة أذربيجان**، في حين كتب الرائد عبد [الرحمن] فتالي بك (Abdul Fatalibey) سلسلة مقالات تاريخية مطوَّلة عن «النبي [ﷺ] والإسلام» في **إيدل-أورال**[٦٢]، وقبلها بشهر كتب موجزين تاريخيين عن «النبي [ﷺ] ودينه الحق» في **جريدة أذربيجان**[٦٣]. لقد بهَر فتالي بك، الذي كان ضابطًا سابقًا في الجيش الأحمر، الألمان بأدائه القتالي في معركة القوقاز وسرعان ما أصبح متحدِّثًا معترفًا به باسم القضية الأذرية، وداعية مخلصًا للوحدة الإسلامية[٦٤]. وأثنَت مقالاتٌ أخرى صدرت في **أذربيجان** على التاريخ المجيد للعِلم في العالم الإسلامي القُروسطي[٦٥]. وكذلك، تَرجمت الجرائد مقالات عن الإسلام نُشرت في الجرائد الألمانية، وأعادت نشرها؛ فعلى سبيل المثال، نشرت مجلَّتا **إيدل-أورال** و**أذربيجان** مقالًا عن الأزهر كان قد نُشر للمرة الأولى في **دويتشه ألغماينه تسايتونغ**[٦٦]. وسرد المقال كيفية توسع الأزهر عبر القرون إلى مجمع للمدارس ومطابخ للحساء ومساكن للطلبة، وكيف أصبح مؤسسةً إسلامية عالمية تنير «كلَّ ركن من أركان العالم الإسلامي تقريبًا»، وكذلك شدَّدت المقالة على النفوذ والسُّلطة السياسية اللتين يتمتع بهما الأزهر، بل وبالغت في ذلك، وزعمت أن شيوخه وقفوا في وجه الإمبراطورية البريطانية، بل وتشاوروا مع الملك فاروق حول استعادة الخلافة في مصر. وكذلك، نشرت **غزوات** و**أذربيجان** مقالات

عن ابن سعود والإسلام والوهابية في السعودية كانت قد نُشرت أولًا في جريدة **الحزب النازي**(٦٧). إن مجرد فكرة أن جريدة عسكرية ألمانية تغطي موضوعات إسلامية تحمل في حدِّ ذاتها أثرًا دعائيًا، لكن العديد من المقالات تجاوزت ذلك لتصوِّر ألمانيا بشكل واضح بوصفها محرِّرة الإسلام.

فقد صوَّرت غالبية المقالات، التي تناولت الدين، الرايخَ الثالث بوصفه صديقًا للإسلام، بل إن بعض التقارير نقلت فكرة وجود حركة تعبئة إسلامية واسعة لصالح المحور. ونقلت مجلَّتا **غزوات** و**إيدل-أورال** بالتفصيل أخبار الوحدات العربية التابعة للقوات المسلَّحة(٦٨). ونشرت **أذربيجان** مقالات عن المتطوعين المسلمين في البلقان مع صور للمسلمين البوشناق(٦٩)، وأظهرت مجموعةٌ أخرى من الصور الحياة في القرى المسلمة في كرواتيا. وبالفعل كانت الحياة الإسلامية تحت حماية المحور موضوعًا صحفيًا شائعًا؛ إذ نشرت جريدة **إيدل-أورال** مجموعة من الصور تحت عنوان: «الحياة الإسلامية في صربيا» وأشارت إلى أن «الحياة الإسلامية يمكنها التطور بحُريَّة في صربيا»(٧٠). ولا عجب أن الدعم الألماني للإسلام في الشرق كان موضوعًا شائعًا في جميع المجلَّات في الفيالق الشرقية؛ إذ صدَّرت **غزوات** العنوان التالي في خريف عام ١٩٤٣: «إن المسلمين على قناعة بأن الحرية الدينية ستغدو واقعًا بانتصار ألمانيا»(٧١)، وكتبت الجريدة أن ممارسة الدين كانت أمرًا محظورًا بالكُليَّة تحت الحكم السوفييتي، «لكن بمجرد أن وصلت القوات الألمانية إلى القوقاز، فتحوا الكنائس والمساجد من فورهم، وأتاحوا حرية دينية كاملة». وقد علَّق المسلمون الآن جميع آمالهم على انتصار ألمانيا؛ لأنها وحدها هي التي ستجلب الحرية للإسلام، وقد عُزِّز هذا الزعم بمقالات عدَّة عن الحياة الإسلامية تحت الحماية الألمانية، والتي كان أهم ما فيها الأعياد الدينية، ودائمًا ما كانت الأعياد الإسلامية تجد طريقها إلى العناوين الرئيسة، وكانت الجرائد تصدر تهاني احتفالية بختام رمضان أو بعيد الفطر(٧٢)، وغطَّت التقارير الاحتفالات الدينية في الفيالق وفي جميع أنحاء الأراضي المحتلَّة؛ ففي ختام شهر رمضان لعام ١٩٤٣ غطَّت جريدة **أذربيجان** الاحتفالات التي نظَّمها الألمان في شبه جزيرة القِرم(٧٣)، وفي الوقت نفسه

تقريبًا، نشرت **إيدل-أورال** صورةً لمهاجرين تتر في فنلندا يحتفلون بالعيد تحت الحماية الألمانية[٧٤]، كانت هذه التقارير حول الاحتفالات تعتمد إلى حدٍّ ما على فكرة الأمة الإسلامية العالمية. وتجلى ذلك أيّما جلاء في خُطب أمين الحسيني، التي كانت تُنشر في كل هذه الجرائد[٧٥]، لكن الأهم كان استخدام الأعياد الدينية مؤشرًا للتمييز بين الحكم الألماني والحكم الستاليني؛ إذ رَوت **أذربيجان**، على سبيل المثال، قصة «الملّا سليمان» الذي قيل إنه تزداد «سعادته يومًا بعد يوم» بسبب حريته الجديدة في ممارسة دينه بغير قيود، وهي الحرية التي «كانت محظورة في الاتحاد السوڤييتي طيلة خمسة وعشرين عامًا»[٧٦]، وفي الوقت نفسه، كتب أحد جنود الفيالق في جريدة **إيدل-أورال**: «يحتفل العالم الإسلامي كله اليوم بعيد الفطر لختم الصيام، لكن ثلاثين مليون مسلم يقطنون الاتحاد السوڤييتي لا يمكنهم الاحتفال بهذا العيد بكرامة، فقد عاشوا طيلة ربع قرن يعانون اضطهاد البلاشفة، ولم يكن المسلم يتمكن من ممارسة شعائر دينه إلّا سرًّا»[٧٧]. وكتب أحد الجنود في جريدة **غزوات**:

> «إن الاحتفال برمضان يوثِّق العُرى بين المسلمين، أينما كانوا، لشهر كامل، وبمناسبة هذا الاحتفال الذي انتهى في الثلاثين من أغسطس/ آب [١٩٤٣]، نريد أن نستذكر معًا البلاشفة وكيف حظروا كل ممارسة دينية حرة، واعتقلوا ملالينا وألقوا بهم في سيبيريا، وكيف أرهبونا واستعبدونا. لكن القوات المسلَّحة الألمانية شهرت سيفها على البلشفية التي تقمع الحريات كافَّة. إن البلشفية الآن غارقة في دمائها وتلفظ آخر أنفاسها. نسأل الله أن يحفظ القوات المسلَّحة الألمانية ويعينها، رفقة جميع من يتَّحد معها في وجه البلشفية. إننا لا ننسى كيف بغى السوڤييت علينا وعلى علمائنا ظلمًا وعدوانًا»[٧٨].

وفي العدد نفسه، وعدت مقالةٌ أخرى أنه «عمّا قريب» سيتمكن مسلمو الأراضي السوڤييتية من الاحتفال مرةً أخرى[٧٩].

وبالفعل، كان أحد أهداف العديد من المقالات التي تناولت الدين هو إظهار الاتحاد السوڤييتي بوصفه ملحدًا معاديًا للدين، وقد أشارت **غزوات** إلى أنه «في كل مكان من هذه البلاد التي يهاجمها الاتحاد السوڤييتي، يمكن للمسلمين فيها ممارسة

دينهم بحرية»(٨٠)، «وفي الاتحاد السوڤييتي وحده، أغلق اليهودي الملحد الكبير ياروسلاڤسكي غوبلمان (Yaroslavskii Gubelman) المساجد كافَّة أو دمرها، ألم يحدث ذلك؟ وتوجَّب على أربعين مليون مسلم أن يعيشوا دون فرصة ممارسة دينهم؛ لأن الملالي إما نُفوا أو قُتلوا». لقد كان ميني إسرائيليڤيتش غوبلمان (Minei Israilevich Gubelman)، الشهير بإميليان ميخائيلوڤيتش ياروسلاڤسكي (Emelian Mikhailovich Yaroslavskii) رئيسًا لـ «رابطة الملحدين» قبل أن يحلَّها ستالين في عام ١٩٤١(٨١)، وبالطبع تجاهلت الپروپاغندا الألمانية واقعة الحلِّ، وزعمت أن الوضع ساء عمَّا كان؛ فكتبت **إيدل-أورال**: «إن موسكو تُصاعد من حدَّة حربها على الدين»(٨٢). إن موسكو تكلِّف المعلِّمين السوڤييت، مرةً أخرى، بمجابهة الاعتقاد الديني في المدارس، ونشرت الجرائد قصصًا مثيرةً للمشاعر ومفصَّلة عن اضطهاد الإسلام تحت الحكم السوڤييتي، ووصفت **غزوات** في مقالتها المعنونة: «البلشفية في شمال القوقاز» كيف عاش المسلمون تحت الاحتلال السوڤييتي: «لقد كان أول «إنجازاتهم» إغلاق المساجد كافَّة واعتقال رجال الدين (Priests) **[كذا وردت]** وتشريدهم»(٨٣).

وكذلك أُشير مرارًا إلى الإسلام بوصفه حصنًا في وجه الهيمنة الروسية والسوڤييتية؛ إذ نشرت جريدة **إيدل-أورال** قصة رضاء الدين فخر الدين، الفقيه الإسلامي الشهير وآخر مُفتٍ مستقل لأوفا، الذي أبى توقيع أية وثيقة يقرُّ فيها بأن مسلمي الاتحاد السوڤييتي يحظون بالحرية، عندما جُلب إلى موسكو في عام ١٩٣١، ونقلت **إيدل-أورال** (بصدق)، أن «إجابته كانت أنه لا يستطيع أن يخادع الشعوب المسلمة»، وأثنت عليه بوصفه «حارسًا للإسلام»(٨٤). وزعمت **غزوات**، في سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٤٣، أن شعار «في سبيل الدين، في سبيل الإسلام» كان حاضرًا في الانتفاضات القوقازية(٨٥)، وفي تناولها للانتفاضات المناهِضة للسوڤييت في القوقاز في الثلاثينيات، صرَّحت الجريدة بأنها لم تكن إلَّا «ثورة دينية على البلشفية»، وقد حاول البلاشفة كسر كل مقاومة دينية، فحاولوا «تسميم» الشباب، تبعًا لشعارهم القائل إن «الدين أفيون الشعوب»، لكن الجريدة أكدت لقرائها أن مسعاهم خاب؛ فقد احتفظ الشباب بإيمانهم، وهم مستعدون الآن للقتال إلى جانب الألمان في سبيل «حرية أوطانهم وبقاء دينهم»(٨٦).

وكذلك اعتمدت القصص المتعلقة بالطبيعة الدينية للمقاومة على سرديات المقاومة الإسلامية التاريخية في العهد القَيصري. وشُيِّد تراث تاريخي أصبحت فيه الدعوة الألمانية للقتال بدهية والحرب على موسكو عملًا تعبديًا؛ حيث كتبت **إيدل-أورال** في أكتوبر/ تشرين الأول من عام ١٩٤٣، أنه ما من قوة أخرى دافعة للمقاومة تحت الاضطهاد الروسي إلَّا الإسلام؛ ولوعيها الكامل بأن «الإيمان بالإسلام يشدُّ من أزر شعبنا روحيًا»، حاولت الإمبراطورية القَيصرية بالفعل الفَتَّ في عضده[٨٧]. واسترجعت الجريدة ذكرى «الإرساليات التبشيرية الروسية»، و«اضطهاد الزعامات الإسلامية»، و«التعميد الإجباري للتتر والباشكير»، و«إغلاق المساجد»، وكانت هذه موضوعات ثابتة. واسترجعت كذلك أن «الإمپريالية الروسية» «حاولت الفتك بإيماننا»؛ فقد دمَّرت «المساجد التي بُنيت على مرِّ قرون» في حين أن الكنائس الروسية تكاثرت كـ«أشجار الغابات» في الأراضي الإسلامية[٨٨]. وفي العام التالي، أحيت مجلَّتا **أذربيجان** و**غزوات** ذكرى أسر النظام القَيصري للإمام شامل قبلها بخمسة وأربعين عامًا[٨٩]: «واليوم يقاتل المتطوعون، مستلهمين روح شامل، في سبيل الحرية التي لن نُسلَبها بعد اليوم»[٩٠]، وفي العدد التالي، نشرت جريدة **غزوات** قصة أخرى عن شامل، واسترجعت ذكرى عدد من الحركات الإسلامية الأخرى المناهِضة للقَيصرية في جبال شمال القوقاز[٩١]، وأوضحت الجريدة أن غاية نضال شامل وحرب اليوم ضد الاتحاد السوڤييتي واحدة، وأن الاختلاف الوحيد هو أن شعوب القوقاز يمكنها اليوم الاعتماد على «القوات المسلَّحة الألمانية العظيمة التي لا تُقهر»[٩٢]. وأعلنت **غزوات**: «يجب علينا إعانة قومنا، وسنفعل. ألمانيا في صفِّنا، والله معنا»[٩٣]. وفي عدد آخر في فبراير/ شباط من عام ١٩٤٤، زعمت الجريدة قائلةً: «إننا نسمع اليوم دعوة «غزوات». ما زالت الغزوات، أي الجهاد، بعيدة عن ديارنا، لكنها ستعيدنا إلى جبال وطننا»[٩٤].

وكلما تسارع النضال لأجل دعم المسلمين، زاد عدد المقالات التي تواجه حملة ستالين للتعبئة الإسلامية. كانت التقارير المتعلقة بمحاولات الكرملين التودُّد إلى الإسلام تُصاغ عادةً بنبرة ساخرة حقود، وكانت تشير إلى مواطن التناقض في

السياسات الدينية السوڤييتية؛ إذ عنونت **إيدل-أورال** في أكتوبر/ تشرين الأول من عام ١٩٤٣ قائلةً «يريد البلاشفة الآن خيانة الشعب باسم الدين»[٩٥]، «فالبلشفية نفسها التي سحقت الدين لربع قرن، تدعو الناس اليوم لاستمرار الحرب باسم الدين». واستُنكرت التقارير الصادرة عن أن «اليهودي غوبلمان ياروسلاڤسكي، أصبح الآن أكثر ليبرالية تجاه الدين، بوصفها مجرد «هراء»، وحذَّرت الجريدة القراء من رسولوف «مفتي السوڤييت». وكتبت **إيدل-أورال**: «كان هناك دومًا مثل هذه المحاولات في الاتحاد السوڤييتي، رغم أنها لم تكن قطُّ بمثل هذا القدر من الزيف»، وأضافت أن الناس ستكشف هذا «الخداع»، «لن ينسى شعبنا أبدًا اعتداء البلاشفة على المؤمنين». وبعدها بشهر، نبذت الجريدة مرةً أخرى السياسة السوڤييتية الجديدة تجاه الإسلام بوصفها «كاذبة ومخادعة»[٩٦]، وحطَّت **إيدل-أورال** من شأنها في أوائل عام ١٩٤٤؛ حيث سمَّتها «خيانة ستالين الجديدة[٩٧] ... إذ يُفترَض بالمؤمنين، الذين ظلُّوا يقاومون ستالين إلى يوم الناس هذا، أن يشكروه على منحه حرية الاعتقاد في المساجد». وأوضحت الجريدة أن «ملالي ستالين ... ليسوا إلَّا أداةً في يد الكرملين»، بالضبط كما أن الحملة كلها «ليست أكثر من خدعة كبرى». وبالمثل، حطَّت **غزوات** من «خداع الكنيسة السوڤييتية»[٩٨]. وأومأت **أذربيجان** إلى هذا التناقض، فاستهزأت قائلةً: «فَتن ستالين المسلمين [في دينهم] واضطهدهم طيلة خمسة وعشرين عامًا، و[هو المسئول عن] مقتل الآلاف، والآن، وفي أثناء الحرب، اكتشف ستالين فجأةً حبَّه للمسلمين»، وذكَّرت الجريدة المجنَّدين أن ستالين يؤمن بالشعار الماركسي القائل: «الدين أفيون الشعوب»[٩٩]، وذُكِّر الجنود بأن المساجد أُغلقت وحُوِّلت إلى «مرائب للسيارات أو مسارح وأندية»، واستهزأت الجريدة برسولوف بوصفه «عميل المفوضية الشعبية للشئون الداخلية»، «سيجلس الآن هذا المفتي الأحمر إلى جانب ستالين ويلقي الخُطب في الإذاعة عن تحرير المسلمين؛ لكن أحدًا لن ينخدع، فكلنا نعلم»، إن ما لدى موسكو من «حبٍّ للدين اكتشفته فجأة ... ما هو إلَّا غدرٌ لئيم». لن ينقاد المسلمون لـ «عميلٍ للكومنترن ... يحبُّ أن يسمِّي نفسه مفتيًا». وبعدها بأشهر، سخرت الجريدة من أن أشدَّ الناس تبجيلًا في الاتحاد السوڤييتي كانوا هم محاربي الدين، والآن أصبح «الملالي» هم المبجَّلين[١٠٠].

وحذَّرت مقالةٌ أخرى في العدد نفسه القراء من أن «كل ما يقال» عن حرية المسلمين في الاتحاد السوڤييتي في ارتياد المساجد «ما هو إلَّا اختلاق»[١٠١]؛ فالمساجد القليلة التي أُعيد فتحها تخدم أغراض الپروپاغندا البلشفية فحسب، وبعدها بأشهر، أكدت الجريدة، مرة أخرى، أن المساجد أعيد فتحها بغية الترويج لـ «(دين) بلشفي» فحسب[١٠٢]. وقد حذَّرت الجرائد القراء من أن حملة الإسلام السوڤييتي لن تهدِّد الاتحاد السوڤييتي فحسب، بل العالم الإسلامي أجمع. وصدَّرت **غزوات** صفحتها الأولى بعنوان: «يريد السوڤييت خلق مملكة عربية سوڤييتية»[١٠٣]. وبعدها بعددين، ازدرت مقالةٌ بعنوان: «ستالين يحفظ القرآن» الپروپاغندا السوڤييتية في الشرق الأوسط[١٠٤]؛ فقد أرسل ستالين المفتي رسولوف إلى سورية وفلسطين ومصر لإقناع المسلمين هناك بأن «الشيوعية لا تناقض القرآن بأي وجه». وحذَّرت جريدة **أذربيجان** هي الأخرى من أن «المفتين البلاشفة» يجتازون الحدود في اتجاه الشرق الأوسط[١٠٥]. ووصفت جريدة **إيدل-أورال** المؤتمر الإسلامي الذي عقده ستالين في موسكو بأنه تعبير آخر عن «نوايا موسكو الإمپريالية»، (تمامًا كالمؤتمر السلافي)[١٠٦]. وأخيرًا، هوجمت الحملة السوڤييتية للتعبئة الإسلامية في مقالات أكثر عمومية عن وجود مزعوم لتناقض أيديولوجي بين الشيوعية والإسلام؛ حيث كتبت **غزوات** و**أذربيجان** في أوائل عام ١٩٤٤ تحت عنوان: «الشيوعية والإسلام لا يجتمعان»، أن موسكو تعتنق فكرة الدين أفيون الشعوب[١٠٧]، وحذَّرت الجريدة قراءها من أن «الشيوعية» تعني «سقوط الإسلام»، وبعدها بشهرين، أوضحت **غزوات أن** «الشيوعية والإسلام على طرفي نقيض»، وازدرت محاولات الكرملين لـ «إثبات» أن المسلمين المتدينين يمكنهم أن يكونوا في الوقت نفسه شيوعيين مخلصين: «لن يتحقق ذلك أبدًا، لا لمجرد أن الشيوعية يفصلها عن الإسلام مهوًى سحيق، بل عن أي دين عمومًا»[١٠٨].

لكن الاتحاد السوڤييتي لم يكن القوة الوحيدة التي صُوِّرت بوصفها عدوًّا للإسلام؛ ففي أوائل عام ١٩٤٤، نشرت **غزوات** سلسلةً من المقالات عن الاشتباكات التي جرت بين القوات الأنكلو-أمريكية والسكان المسلمين المحليين في المغرب

الفرنسي، وفي فبراير/ شباط، غطَّت الجريدة حوادث الشغب التي قتل فيها «الزنوج السنغاليون» التابعون للجيش الأنكلو-أمزيكي أربعةً وعشرين مسلمًا[١٠٩]، وفي الأشهر التالية، قدَّمت **غزوات** صورةً أكثر حيويةً عن مذبحة وقعت في مسجد مغربي، وُصِفت بأنها كانت «مقتلة للمؤمنين»[١١٠]. وقد وقعت هذه الاشتباكات بالفعل في شمال إفريقيا وقت الحرب، رغم التهويل من شأنها من جانب الپروپاغندا الألمانية.

ومن بين الحلفاء الغربيين، كانت بريطانيا العظمى على وجه الخصوص هي التي صُوِّرت بوصفها معاديةً للمسلمين. وقَبيل موسم الحج في عام ١٩٤٣ مباشرةً، استندت **غزوات** إلى موضوع تقليدي من موضوعات الپروپاغندا الإسلامية المناهِضة للبريطانيين، وصدَّرت عنوان: «حظر الإنكليز السفر إلى مكة»[١١١]. وفي العام التالي، كتبت الجريدة عن سخط استشرى بين المجنَّدين العرب في الجيش البريطاني، مؤكدة على أن «المسلمين لا يريدون التأذي لصالح بريطانيا»[١١٢]. وفي حين صُوِّر السوڤييت في هيئة الملاحدة المستغلِّين المخادعين للمشاعر الدينية، لِيمَ البريطانيون على إثارة الصراع الديني في الهند؛ ففي أواخر عام ١٩٤٤، قارنت جريدة **سوفوبودا** الفيلق الهندي في القوات المسلَّحة الألمانية، الذي وحَّد المسلمين والسيخ والهندوس، بسياسة فرِّق تسد البريطانية[١١٣]، وفي الوقت نفسه تقريبًا، حرَّضت **إيدل-أورال** ضد «الاستغلال البريطاني للتوترات الدينية» القائمة في الهند[١١٤]. وعنونت جريدة **غزوات** إحدى مقالاتها المتعلقة بمسلمي الهند بـ «المسلمون لا يثقون قطُّ في إنكلترا»، وأعادت **أذربيجان** نشر مقالة سبق أن نُشرت في **جريدة الحزب النازي** تدعو مسلمي الهند لمقاومة الحكم البريطاني[١١٥]. وكذلك استغلت **غزوات** و**إيدل-أورال** كلتاهما الفشل البريطاني في المؤتمر العربي الذي انعقد في القاهرة في صيف عام ١٩٤٣، ونقلت **غزوات** إلى قرائها أن المشهد كان «صراعًا على السُّلطة على حساب الدول الإسلامية»، وأشارت إلى أن ابن سعود، أحد أبرز زعماء «العالم الإسلامي»، رفض المشاركة وتبعه في ذلك الإمام يحيى زعيم اليمن[١١٦]. وكتبت الجريدة أن «مؤيدي المصالح الإنكليزية ... يستترون بستار المؤتمر» متلهِّفين إلى السُّلطة «على حساب الإسلام». وفي العدد التالي، استنكرت

مقالةٌ أخرى «الجهود الإنكليزية» لتعزيز الوحدة الإسلامية «تحت النفوذ الإنكليزي اليهودي»، وهي محاولة انتقدها [شيخ الأزهر] المراغي[١١٧].

وأخيرًا، نشرت الجرائد پروپاغندا معادية لليهود، وقد ظهر أحد أشرس النصوص المعادية لليهود في جريدة **إيدل-أورال**؛ ففي سلسلة من المقالات تحت عنوان: «اليهود: ألدُّ أعداء المسلمين»، قُرن بين كراهية اليهود وبين القرآن وسيرة النبي [ﷺ][١١٨]. وكان يُقال لقرّاء الأقاليم المسلمة في الاتحاد السوڤييتي إنَّ البلاشفة منحوا اليهود السُّلطة عمدًا ليتسلَّطوا على المسلمين. وكانت صورة اليهود بوصفهم أعداءً للإسلام تُدمَج غالبًا في دعواتٍ للتضامن الإسلامي مع الفلسطينيين واستنكارات للدعم البريطاني والأمريكي للصهيونية؛ إذ أورَدت **غزوات**، في صيف عام ١٩٤١ على سبيل المثال، خُططًا أنكلو-أمريكية لتأسيس دولة يهودية في الشرق الأدنى[١١٩]: «إن العرب والعالم الإسلامي أجمع يقف مناهِضًا لهذه النوايا، والقلق ثائر في كل مكان». وبعدها بشهر، كتبت الجريدة عن اشتباكات بين المسلمين واليهود في احتفالات رمضان لعام ١٩٤٣، لتجمع بين التحريض ضد اليهود وموضوع إسلامي[١٢٠]. وبالفعل، تواترت التقارير عن أعمال شغب في فلسطين، زُعم أنها مدعومة من لندن وواشنطن، وبولغ فيها على الأغلب، وصُوِّرت بوصفها جزءًا من صراع عالمي يكتنف العالم الإسلامي أجمع[١٢١]. وكتبت **إيدل-أورال** عن تظاهرات نظَّمها مسلمو برلين نصرةً لفلسطين[١٢٢]. ونقلت **غزوات** عن ابن سعود قوله إن فلسطين لم تكن -قطُّ- «وطنًا يهوديًا»، بل كانت -دائمًا- وطنًا للمسلمين[١٢٣]. وكذلك كانت تُصدر الخطب التحريضية التي يلقيها أمين الحسيني مفصَّلة؛ حيث غطَّت **غزوات**، على سبيل المثال، مؤتمر برلين المناهِض لوعد بلفور (Balfour) وخطبة المفتي فيه[١٢٤]، وقيل للقراء إنَّ الحدث تحول إلى «تظاهرة ضخمة لممثلي العالم الإسلامي ضد سياسة التسلُّط والاستغلال البريطانية الأمريكية اليهودية للدول الإسلامية». وكذلك غطَّت **إيدل-أورال** الإعلانات الداعمة التي أذاعها ممثلو الدول الإسلامية في المؤتمر، الذي مثَّل «تظاهرةً للتضامن الإسلاميّ»، على حدِّ تعبير الجريدة[١٢٥].

كانت فكرة التضامن العالمي بين المسلمين مجازًا تواتر استعماله؛ فكان الكتَّاب، مستحضرين **الأمة** في مخيلتهم، يبصِّرون قراءهم بأحوال العالم الإسلامي الأوسع. فبدلًا من التركيز على مواطن الجنود الأصلية، نشرت الجرائد تقارير عن الجامع الأزهر في القاهرة، أو ابن سعود في المملكة العربية السعودية. وكذلك تناولت النصوص، مستبطنةً التعبئة الإسلامية لدعم ألمانيا، الوحدات العربية في القوات المسلَّحة أو المتطوعين المسلمين من البلقان؛ فكانت تُصوِّر ألمانيا لا بوصفها نصيرة الإسلام في الأقاليم الشرقية فحسب، بل كذلك في قرى البلقان المسلمة. وهاجمت النصوصُ البروپاغندا الإسلامية السوڤييتية في الشرق الأوسط، والسياسات البريطانية الطائفية في الهند، والحظر البريطاني المزعوم للحج، ومذبحة أنكلو-أمريكية في مسجد مغربي. وكذلك حدَّثت قراءها من التُّرك الشرقيين عن المؤتمر العربي في القاهرة، وعن ردود الفعل اليمنية والسعودية عليه، وكذلك عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين. وفي إحدى المقالات، وصفت جريدة **أذربيجان** أحد الجنود التتر وهو يتجول في شوارع باريس المحتلَّة، وإذا به يعثر على **مسجد باريس الكبير**. وهناك، تحت مظلة التضامن الإسلامي وحماية المحور، رحَّب به المسلمون «الهنود والفرس والعرب» ترحيبًا حارًّا[١٢٦]. وكان مفهوم العالم الإسلامي حاضرًا في كل مكان. وأشارت **أذربيجان** إلى أن الجنود كانوا جزءًا من نضال إسلامي عالمي. وكذلك، استعملت البروپاغندا الألمانية الروايات التاريخية، وصورًا متنوعة لإحياء الذكريات الدينية، كان من أهمها إحياء ذكرى شخصيات، من أمثال الإمام شامل.

وفي المطلق، لم تقتصر الصفة الدينية على المحتوى فحسب، بل امتدت إلى الشكل أيضًا؛ إذ أبرزت تلك المقالات، وخاصةً تلك التي كتبها الأئمة الميدانيون والشخصيات الدينية الأخرى، خطابًا دينيًّا متميزًا، مستعملةً تعبيرات من قَبيل: «بسم الله» و«الجهاد» و«الله معنا». وكما كان الأمر في حالة البروپاغندا النازية الموجَّهة إلى الشرق الأوسط والبلقان والأقاليم الشرقية، لم يُقصد باستعمال هذه اللغة مجرد الدعوة لحرب دينية بالمعنى الضيق بغية إثارة العنف الديني، بل الدعوة للجهاد ضد أيديولوجيات وقوى مدنَّسة، كالشيوعية والإمبريالية البريطانية.

وبالإضافة إلى التصريحات والتقارير، خرجت البروباغندا الألمانية أحيانًا في هيئة أناشيد، مثل «نشيد الإمام قاسم ماغاما (Qasim Magama)» الذي نشرته **غزوات** في ربيع عام ١٩٤٤ [١٢٧]، لكن القصائد التي نظَمها المتطوعون أنفسهم راجت رواجًا عظيمًا؛ إذ نشرت **غزوات** قصائد مثل: «صيام رمضان» [١٢٨]، «المسجد» [١٢٩]، «الجهاد يناديك» [١٣٠]، «غزوات» [١٣١]. ونشرت **إيدل-أورال** قصائد «جهادنا» [١٣٢]، «مسجد تشان» [١٣٣]، وقصيدة «ليلة جليلة» بمناسبة رمضان عام ١٩٤٣ [١٣٤]. وفي الواقع، كانت التصريحات والأناشيد والقصائد من أيسر ما يمكن أن يعتمد على المشاعر والعواطف الدينية.

وأخيرًا، كان للصور، وبالأخص الصور الفوتوغرافية، دورٌ مهمٌّ؛ إذ نشرت **غزوات** و**إيدل-أورال** و**أذربيجان** صورًا للأماكن المقدسة ومراكز الإسلام العالمية، وصورًا للأزهر («مركز المسلمين الروحي»)، والمدينة («حيث دُفن النبي [ﷺ]»)، ومكة («مدينة مكة المقدسة») [١٣٥]. وقد أدرك كيام غلييف (Kiam Gliev)، رئيس تحرير جريدة **أذربيجان**، القيمة الدعائية التي تحملها صور الأماكن المقدسة إدراكًا جيدًا؛ فنشر صورًا للمساجد الشهيرة في الأقاليم الشرقية [١٣٦]. وكذلك، استعمل عبد الرحمن أڤتورخانوف (Abdurrahman Avtorkhanov)، الصحفي السوڤييتي السابق ورئيس تحرير **غزوات** آنذاك، وزميل غلييف، الصور استعمالًا أساسيًا [١٣٧]. وزوَّدت **غزوات** مقالاتها حول تراث المقاومة الدينية في القوقاز بصور الإمام شامل [١٣٨]. لكن الصور الأهم كانت تلك التي أظهرت الأنشطة الدينية للمتطوعين المسلمين، وتلك التي صوَّرت ألمانيا على أنها حامية حمى الإسلام؛ إذ نشرت **غزوات** صورةً لإمام ميداني يخطب في جنوده [١٣٩]، ونشرت **أذربيجان** صورةً لـ «الملّا الأكبر باشا زاده (Pashazadc)» في مقبرة عسكرية [١٤٠]، ونشرت **إيدل-أورال** صورًا للجنود في مسجد باريس، وأخرى للمدخل المزخرف في مدرسة درسدن الإسلامية [١٤١]. تنطوي البروباغندا المرئية على ميزة مخاطبتها الجنود كافَّة؛ المتعلمين منهم والأميين. وفي الواقع، وبأخذ المعدلات العالية من الأمية بين الجنود في الاعتبار، كانت مقالات الجرائد تُتلى أكثر من مرة على مسامع الوحدات.

وفي الأشهر الأخيرة من الحرب، استخدمت وحدات الحماية جرائد فيالق القوات المسلَّحة في مدرسة الملالي بدرسدن[١٤٢]. وفي المجمل، لا يمكننا التهوين من شأن أثر هذه الإصدارات. وكان رالف فون هايغندورف على قناعة بأن جريدة **غزوات** اضطلعت بدور مركزي في حياة الجنود[١٤٣].

التميز وحدود الولاء

كان الضبَّاط الألمان على يقين من نجاح مساعي استعمال الإسلام في حفظ الانضباط ورفع الروح المعنوية القتالية، لكن عملهم في الوحدات واجهته عقباتٌ عدة، كان أهمها الضعف المحتمَل لاستقبال السياسات والپروپاغندا الدينية، والتديُّن بشكل أعمَّ، وآثار التمييز الديني والعِرقي في القوات المسلَّحة ووحدات الحماية.

كانت التقارير المتعلقة بتدين المسلمين غامضة، لكن السياسات الدينية في الوحدات استمرت طَوال فترة الحرب، مما يشير إلى أن الألمان لم يروا أنها فاشلة بالكُليَّة. وبعد الحرب، شدَّد كوسترنغ وآخرون على أن المتطوعين المسلمين كانوا أشدَّ تدينًا بشكل ملحوظ، مقارنة بالمسيحيين الأرثوذكس[١٤٤]. وبالفعل، نقلت بعض التقارير الميدانية أن الجهود الألمانية في توظيف الإسلام لم تذهب سُدى. وشدَّدت إحدى أوراق تعليمات القوات المسلَّحة، بعد فترة وجيزة من بدء التجنيد في أوائل عام ١٩٤٢، على أن الجنود انضموا إلى صفوف الألمان بغية «تحرير وطنهم من البلشفية»، و«حرية دينهم»[١٤٥]. قد يكون هذا التقييم ناشئًا عن تجربة فعلية. وأوضح تقرير صادر في عام ١٩٤٣ في كتيبة إسلامية أن «الدين المحمَّدي والمؤن الجيدة» مثَّلا «ركنًا أساسيًّا» من أركان الروح المعنوية والانضباط[١٤٦]. وكتب تيودور أوبرلندر من القوقاز إلى زوجته عن ردِّ الفعل الحماسي الذي تلقَّاه من جنوده المسلمين عندما وعدهم في خطاب علني بـ «حرية دينية كاملة تحت الحماية الألمانية»[١٤٧]. وقال عيسى موسايف (Isa Musaiev)، أحد المتطوعين الجُدُد من القوقاز وكان يبلغ من العمر اثنين وأربعين عامًا، لمستجوِبيه الألمان إن البلشفية لم تقتصر على تأسيس نظام للقمع والاستغلال الاقتصادي، بل «استولت على المساجد

وحوَّلتها إلى مخازن وحظائر ومرائب»[١٤٨]. وتثبت رسائل المتطوعين المسلمين المرسَلة إلى ذويهم من الميدان أن ذلك كلَّه لم يكن مجرَّد خطاب فارغ لتملُّق الألمان.

فبعض الرسائل التي أرسلها تتر القِرم في الأشهر التالية على توظيفهم في الجيش الحادي عشر تكشف عن حدَّة في الشعور الديني لافتة للنظر[١٤٩]. وقد شدَّد ڤيرنر أوتُّو فون هينتغ، الذي كان يراقب بعض هذه الرسائل في ربيع عام ١٩٤٢، على أنها تقدِّم دليلًا دامغًا لا على ما لدى المسلمين من «عميق الامتنان» و«الرغبة في القتال والعمل» فحسب، بل على «تدينهم الراسخ» أيضًا[١٥٠]. فقد أورد هينتغ أن «الله وأدولف أفندي كانا لفظين لا ينفصلان أبدًا» في الرسائل[١٥١]؛ إذ كتب الجندي ماجد هابيلوف (Majid Habilov)، على سبيل المثال، لعائلته: «الحمد لله، والشكر لأدولف أفندي! نحن بخير! وإن سلَّمنا الله، سنتحمل لا لعامٍ واحد من الحرب بل لعشرة أعوام». ودعا رفيقه إبراهيم سعيد «أن يمنح الله وأدولف أفندي الجيشَ الألماني القوة؛ كي ننتصر». وأشار هينتغ أيضًا إلى أن الكثيرين كانوا يبتهلون إلى الله لصالح هتلر[١٥٢]؛ إذ أكد أحد الجنود «إننا نبتهل إلى الله -ليل نهار- أن يُنعم على أدولف أفندي بالعافية». وأخبر أحدهم عائلته أنه حضر صلاة جمعة في المسجد مع مئة وعشرين من رفاقه وضباطه، وابتهج قائلًا: «يمكننا -من الآن فصاعدًا- أن نذهب إلى المسجد معًا كل جمعة». وكتب المجنَّد ڤاسم كورتاميلوف (Vasim Kurtamelov): «إننا نذهب كل جمعة إلى المسجد لأداء الصلاة»، وأوضح قائلًا: «إننا نحارب في سبيل تحرير التتر والإسلام من القبضة البلشفية». وانطوت العديد من الرسائل على إشارات إلى كراهية دينية متجذِّرة لموسكو؛ إذ أعلن المجنَّد مامبيت علييف (Mambet Aliev) أنه «طيلة عشرين عامًا كنَّا أسرى لهؤلاء السوڤييت الملاحدة، وكنا نتضور من الجوع ليل نهار»، «وسيعيننا القدير على دحر العدو الملحد سريعًا». وبنبرة أشرس، صرَّح أحد المتطوعين قائلًا: «الحمد لله، قريبًا سنتحرر من البلاشفة المجرمين، الذين سنطردهم من بلادنا طِردة الكلاب النجسة». وأكَّد الجندي المسلم إبراهيم باقروف (Ibrahim Baqirov) لصديق له كان يقاتل أيضًا ضمن صفوف وحدة ألمانية:

«سينصرنا الله والجنود الألمان الشجعان، وسنستأصل شأفة هؤلاء الملاعين إلى الأبد»، في حين أخبر رفيقُه رستم آسانوف (Rustam Asanov) أباه قائلًا: «لقد ذهبتُ إلى جهاد الملاحدة؛ لا لشيء إلّا لنُبيدهم. أعاننا الله على سحقهم. سنُري هؤلاء الشيوعيين الملاحدة إن كان الله موجودًا أم لا». كانت احتمالية الموت تشعُّ من أسطر غالبية الرسائل؛ إذ أشار المتطوع باشيد شيلدوف (Bashid Cheldov) صراحة إلى إمكانية الاستشهاد قائلًا لصديقه: «إن أنا سقطت، فسأسقط في سبيل محمَّد [ﷺ]». لكن بعض الرسائل التي راقبها الألمان، تعكس مشاعر القلق والسخط، بسبب رداءة إمدادات الطعام والأعمال الانتقامية التي يردُّ بها الپارتيزان على القرى المسلمة؛ فكتب أحد الجنود: «إن حرية الناس تعني موتنا، وبذا يصبح مصيرنا لا قيمة له على الإطلاق». ومع ذلك، تُبدي معظم الرسائل الآمال العريضة التي حملها تتر القِرم في صيف عام ١٩٤٢. وكذلك كانت الرسائل التي تلقاها الجنود من أصدقائهم وعائلاتهم متفائلةً في الغالب؛ حيث كتبت امرأة من قرية تترية رسالةً إلى الجبهة عن تحسُّن ظروف حياتهم تحت الحكم الألماني، ودَعَت قائلة: «أسأل الله أن يمتِّعكم والجيش الألماني والفوهرر أدولف هتلر بالعافية والفلاح». وكتب ماجد أبلاميت (Majid Ablamit) مصوِّرًا التحسُّن الظاهر للحياة في القرى والأحياء المسلمة، فقال: «لقد افتُتح المسجد مرةً أخرى وأصبح الجميع يذهبون إلى الصلاة». لكن في المجمل، كان للوضع العسكري أثر كبير على المضمون العام للرسائل؛ فبعد سقوط كيرتش (Kerch) في ربيع عام ١٩٤٢، كتب حسن أحمدوف (Hasan Ahmedov) إلى أهله مهللًا: «لقد غزونا كيرتش، وكسرنا الجيش الروسي الأحمر، ولن يتعافى بعد ذلك أبدًا»، وأرجَع النصر للإسلام في قوله: «النصر حليفنا؛ لأننا نكرُّ باسم الله، وبه ننتصر. وقد أنعم الله علينا بأدولف أفندي، ولذا سنظل منتصرين». وكتب هينتغ متحمسًا: «إن كيرتش منحتهم ثقةً في أنفسهم، وملأتهم فخرًا؛ لذا، يربطون بإخلاص ديني عميق، بين الإيمان والتوكل وبين لواء الفوهرر»(١٥٣). وكان الوضع قريبًا من ذلك في جبهة سيڤاستوپول؛ إذ أفاد أحد الضباط المكلَّفين بمراقبة الرسائل التي يرسلها المجنَّدون المسلمون، المقاتلون وقتذاك في سبيل إسقاط قلعة المدينة، في صيف عام ١٩٤٢، أنه لم يلحظ «في أي يوم مراقبة» ما يمكنه دحض ما تُكنُّه صدور

الرجال من «امتنان عميق للفوهرر»، وكذلك أشار إلى التدين العميق لدى المسلمين[١٥٤]؛ فكتب أحد الجنود من سيڤاستوپول قائلًا: «لا أعلم كيف أوفي قائد شعب ألمانيا وجيشها، أدولف هتلر، حقَّه من الشكر»؛ وفي رسالة إلى أمِّه، كشف أحد زملائه عن الحرية الدينية الجديدة، وقال: «أسأل الله بذلك أن يعيننا كي نحطِّم هؤلاء الملاحدة الأبالسة قريبًا». وأرسل التتري أحمد إبراهيموف (Ahmed Ibrahimov) صورة لهتلر إلى أسرته. وأثنى شيفكيت كيرموف (Shevket Kermov) على «محرِّرنا أدولف هتلر» وجيشه. وكتب المسلم يحيى عمروف (Yahya Umarov) لأخيه، الذي كان يقاتل بدوره في صفوف القوات المسلَّحة، قائلًا: «أسأل الله أن يعينك وينصرك في سيڤاستوپول». وابتهل الجندي باقر عثمان (Baqir Osman) قائلًا: «أسأل الله أن ينصرنا ورفاقنا نصرًا معجَّلًا على أعدائنا». سُرَّ الضباط الألمان بقراءة هذه الرسائل، وأوجزوا قائلين: «تشهد رسائل التتر كلها بارتياح بدني ونفسي، وذلك بفضل الدعم الكبير من قادتهم والتعامل الودود من زملائهم». لكن هذه الرسائل الميدانية في القِرم يجب أن تُقرأ بحذر؛ حيث توفَّر هؤلاء الجنود التتر على درجة من الرقابة الذاتية، بما اعتادوا عليه من رقابة شرطة الدولة، وكذلك، لم ينجُ من الحرب إلَّا القليل من الرسائل الميدانية للمسلمين، وتلك التي تناولناها هنا لا تحتوي إلَّا رسائل كتبها تتر القِرم في فترات انتصارات عسكرية، ولذلك يستحيل وضع تقييم متوازن لتدين الجنود على أساس هذه الرسائل، ناهيك عن تعميمها واستنباط توجهات جميع المسلمين المنضوين تحت لواء الجيوش الألمانية منها، ومع ذلك، فإن هذه الرسائل تبيِّن أن الدين اضطلع بدور كبير، أكثر من كونه مجرد خطاب يومي فارغ، على الأقل لدى بعض المجنَّدين المسلمين.

وفي حالة وحدات الحماية الإسلامية الشرقية، قدَّم هارون الرشيد بدوره تقييمًا إيجابيًّا لتدين الجنود؛ ففي أحد تقاريره الأولى التي رفعها إلى برغر، كتب الرشيد أنه وصل إلى الفوج الإسلامي متوقِّعًا أن المسلمين لن يكونوا «محمَّديين مؤمنين» أبدًا، «بسبب الپروپاغندا البلشفية اللادينية»[١٥٥]، لكنه اكتشف «بكل سرور»، أن العكس هو الصحيح؛ إذ كانت «الفكرة المحمَّدية» راسخة، ويُمكن لها أن تكون أداةً جيدة

«لاستغلال المناطق التركية الشرقية لحساب المصالح الألمانية استغلالًا قويًا»[١٥٦]. وكان المنفيون القوميون التابعون لوزارة الشرق والمحيطون بڤيلي كاچوم هم فقط من يروِّجون للأفكار اللَّادينية. وكان بعض المجنَّدين يستندون بالفعل إلى تدينهم عندما يتواصلون مع الرشيد؛ فعلى سبيل المثال، تصدَّرت نزعة دينية قوية رسالة كتبها أحد المتطوعين في فيلق وحدات الحماية التركي الشرقي إلى الرشيد، يتحسَّر فيه على ما ارتكبه السوڤييت من «فظائع ومحو للدين»[١٥٧]، وردَّدت الرسالة صدى البروپاغندا الألمانية؛ دافعة بأن مسلمي الاتحاد السوڤييتي كانوا مدركين دومًا أن ألمانيا «صديقة المسلمين»، وكتب الجندي: «أنت مسلمٌ مثلنا، وأنت لنا لا مجرد قائد، بل أبٌ نثق فيه من صميم قلوبنا». وبالمثل، كتب ممثلٌ عن الأذر إلى الرشيد مخاطبًا إياه بـ«الأخ في ديننا الكريم» وشدَّد على إيمانه وإيمان زملائه القوي، وأكَّد، مردِّدًا الشعارات الألمانية، على المثل التي يُفترض أن الإسلام والنازية يتشاركانها، وقال: «في حين أن الألمان بدأوا معركتهم مع اليهود في عام ١٩٣٣، كان المسلمون يقاتلونهم بالفعل منذ ألف وثلاثمئة وثلاثة وستين (١٣٦٣) عامًا»، وأضاف أن «ما هذا إلَّا آصرة واحدة مما يربطنا بالشعب الألماني من أواصر»[١٥٨]. ومع ذلك، سرعان ما لحظَ الرشيد أن الصورة الكبرى أكثر تعقيدًا؛ فبعد أشهر، كان لديه ما يكفي من الثقة لتصنيف درجات مختلفة من التدين، الذي ارتبط -من منظوره- بالعِرق والأصل؛ حيث كان التركستان جنودًا متدينين ومخلصين «يتأثرون بشدة بالملالي وبالأخص الملَّا الأكبر وبالطاقم الألماني»، وكان تقييمه للأذر قريبًا من ذلك. وحدهم تتر الڤولغا من لم يكونوا محلَّ ثقته، ولم يكن لديه من الثقة ما يمكِّنه من تقييم «الجانب الديني المحمَّدي» لدى تتر القِرم؛ فصرَّح قائلًا: «إن الرابطة الإسلامية العامة ستحقِّق نتائج طيبة مع التركستان والأذر، ومع تتر القِرم أيضًا وفقًا لانطباعاتي، في حين أنني لا أتوقع أي نجاح في هذا الأمر مع عدد كبير من تتر الڤولغا-أورال»[١٥٩]. وتأكدت هذه النظرة عن تتر الڤولغا في رسالة أرسلها أحد الجنود المسلمين في فيلق إيدل-أورال إلى المعهد الإسلامي المركزي في برلين:

«كنَّا جميعًا حتى عام ١٩١٨ متدينين ونشهد بأنَّا مسلمون، لكن لربع قرن تحت الحكم السوڤييتي، أمسى أكثرنا ملاحدة، والآن، نحن هنا في

صفوف القوات المسلَّحة الألمانية، ونريد أن نعود لديننا مرةً أخرى، وهو ما يصبُّ بدوره في مصلحة قادتنا العسكريين. يعلم الكثيرون منَّا كيف تؤدَّى الصلوات، لكن لا أحد يؤمن بها إيمانًا تامًّا؛ لأنه لا يفقه العقائد الأساسية للإسلام. إنني أناشد كلَّ من يمكنه أن يساعدنا ويعلِّمنا أصول ديننا، ويعيننا على فهم طبيعة الإسلام فهمًا أعمق، وخاصةً أولئك الذين ما زالوا على هجرانهم. إننا نتحدث التترية والروسية ونكتب بهما، لكن العربية نقرأها فحسب. ويمكن، فيما أرى، أن يصبح الإسلام قوةً ناظمة لشعبنا وأمتنا»(١٦٠).

وفي محاولاتها للقطع مع الخطِّ الوحدوي الإسلامي لوحدات الحماية، لم تفوِّت وزارة الشرق فرصة استغلال النقص الظاهر للتدين لدى تتر الفولغا؛ حيث دفع رئيس قسم التتر في وزارة الشرق، الكونت ليون ستاماتي (Leon Stamati)، لاحقًا في أوائل عام ١٩٤٥، بأنه ما بين عشرين إلى ثلاثين في المئة فقط من تتر الفولغا متدينون، «والشباب، وخاصةً أكثرهم نشاطًا وذكاءً؛ لا يفكرون في الدين»(١٦١). كان الأئمة يمثِّلون الماضي، والهوية القومية أهم بما لا يُقاس من تلك الدينية. وكذلك لن «تلائم ... الأصولية الدينية» التتر الذين وصفهم ستاماتي بأنهم «فلَّاحون حزانى»، وأكَّد ستاماتي على أن «النزعة الإسلامية لن تجد أدنى صدًى لها» بينهم. كان هذا التقييم مبالغًا فيه، وكان جزءًا من محاولات وزارة الشرق إيقاف حملة التعبئة الإسلامية لوحدات الحماية في شهور الحرب الأخيرة؛ ففي تقريره المعارِض للسياسة الإسلامية الثورية التي انتهجتها وحدات الحماية في الاتحاد السوڤييتي، ألمح منده بالفعل إلى افتقار المسلمين الشرقيين إلى التدين(١٦٢). وفوق ذلك، وعلى الرغم من أن تقارير القوات المسلَّحة ووحدات الحماية قدَّمت تقييمًا أكثر إيجابية لتدين الجنود المسلمين، أشارت بعض تقارير القوات المسلَّحة إلى أن مسلمي الاتحاد السوڤييتي بدوا أقل تدينًا أحيانًا مما رغبت فيه قيادة الجيش؛ ومن ثمَّ، وعلى الرغم من أن هايغندورف أشار في يوليو/ تموز من عام ١٩٤٣ إلى أن «جنود الفيالق نظروا عامةً إلى ... انبعاث الدين مرةً أخرى ... بامتنان شديد»، عاد بعد عدة أشهر ليشير إلى أن «الحياة الدينية لجنود الفيالق تتطلب دعمًا خاصًا؛ لأن المشاركة فيها ضعيفة للغاية، ولو جُعل حضور الدروس الدينية اختياريًّا بالكامل،

لما حضرها إلّا قلّة من الجنود»[١٦٣]. وبالمثل، كتب قائد الفيلق الأذري في تقريره أن «الكثير من جماعات الشباب الأصغر سنًا لا يحضرون دروس التوجيه الديني»[١٦٤]، ومن يحضر منهم يتعرض للتمييز من زملائه باستعمال «الملّا» لقبًا تحقيريًا. وكذلك، نصح القائد بالتعامل بحذر مع المسائل الدينية؛ لأن الجنود الألمان الذين يخوضون النقاشات الدينية عن الإسلام قد تُلقى عليهم أسئلة من قَبيل «لماذا لم تُسلم أنت إذن؟». وبالفعل، كان الألمان يفتقرون إلى المصداقية في إطلاقهم البروپاغندا الألمانية في الوحدات. وقد حذّر ريتشارد هارتمان، خبير أولتسا الإسلامي، من أن جنود الجيش الأحمر السابقين «المدرَّبين جيدًا» لدى السوڤييت «سرعان ما سيكشفون هذه المسرحية»[١٦٥]. لكن وحدات الحماية لم تأبه لهذه التحذيرات. وانتظر أولتسا إلى ما بعد الحرب ليعترف بأن سياساته استندت إلى «فرضية موهومة»، مفادُها أن جميع الجنود كانوا «محمَّديين مخلصين»[١٦٦].

وكذلك في البلقان، تباينت تقييمات مدى تديُّن الجنود المسلمين؛ ففي حين كان هملر وبرغر على قناعة بتدين جنود فرقة الخنجر، كانت التقارير الميدانية متباينة؛ فكانت هناك علامات تشير إلى أن حضور مسلمي الخنجر لأداء الصلاة لم يكن كثيفًا للغاية[١٦٧]. وفي إبريل/ نيسان من عام ١٩٤٤، نقل كارل غوستاف ساوبرتسڤيغ من البوسنة أن الرجال كانوا «سعداء للغاية» بتبنِّي «تعاليم الاشتراكية القومية»[١٦٨]، فأشار إلى أنه في جوانب عدة، كانت الاشتراكية القومية تثبت أنها أقوى من الإسلام، لكن سرعان ما أضاف أن الدين يظل هو العنصر المركزي في دعم القوات: «لكننا نريد حفظ أصل الإسلام في رجالنا، وأنا أُولي ذلك العناية اللازمة». وكذلك كان من الممكن أن يتحول هذا التوجه الرعائي بسهولة إلى تمييز عنصري، وبالفعل، كان التمييز أكبر عقبة في وجه نجاح السياسات والبروپاغندا الإسلامية الألمانية في الوحدات، بل في وجه المشروع العسكري كله.

أثار تجنيد المسلمين منذ البداية قلقًا في برلين حول التمييز العِرقي والديني؛ ففي السادس من أغسطس/ آب من عام ١٩٤٣، حضَّ هملر ضباط وحدات الحماية الألمان في فرقة الخنجر على التسامح مع رفاقهم المسلمين[١٦٩]، وأعلن أنهم «لبَّوا

نداء القيادة الإسلامية، وأظهروا بغضًا للعدو اليهودي الإنكليزي البلشفي المشترك، وتقديرًا للفوهرر أدولف هتلر -الذي يحظى بتقدير عالمي- وولاءً له»؛ ولذلك، توجَّب على الألمان إظهار أشكال الاحترام كافَّة: «إنني لا أريد بسبب الحماقة أو الحميَّة ضيقة الأفق، أن يستاء فردٌ واحد أو ينتابه قلق على ما مُنِح من حقوق، ناهيك عن أن يفعل ذلك عشرات الآلاف من المتطوعين الشجعان وعائلاتهم»: وكذلك حُظر «المزاح والاستهزاء بين الزملاء» بالمتطوعين المسلمين حظرًا تامًّا. «يُمنع منعًا باتًّا خوض نقاشات حول الامتيازات الخاصة الممنوحة للمحمَّديين، ولا حتى في دائرة الزملاء»[١٧٠]. وقد ساورت تخوفات هملر نفسها قيادة القوات المسلَّحة؛ إذ شدَّد هايغندورف، بعد الحرب، على أنه كان يتوقع دائمًا سلوكًا لبقًا من ضباطه تجاه الإسلام والمسلمين[١٧١]، ونصحهم ألَّا يُفرِطوا في الفضول أو شرب الخمر أو الانهماك في الحديث غير اللائق عن النساء. لم يكن تصريح هايغندورف مجرد جانب من دفاعه عن نفسه بعد الحرب، فقد كان بالفعل قد أعطى هذا النوع من التعليمات في أثناء الحرب[١٧٢]؛ ففي تعليمات صادرة بتاريخ الثاني والعشرين من مارس/ آذار من عام ١٩٤٤، حضَّ هايغندورف الألمان في الفيالق على «احترام المشاعر الدينية للمتطوعين»، وحظر تمامًا أي «استهزاء بشعائر دينية غير مألوفة» أو أية «تعليقات ازدرائية» على مسائل دينية[١٧٣]. وأصدر مقر القيادة العامة التابع لنيدرماير توجيهات مماثلة[١٧٤]. وفي صيف عام ١٩٤٢، وبعد فترة وجيزة من نشر القوات، وجَّهت القوات المسلَّحة الطاقم الألماني في الكتائب الإسلامية بـ «احترام» العواطف الدينية للمتطوعين «وعدم الاستهزاء بها ... حتى وإن بدت مستغرَبة»[١٧٥]. لكن في النهاية، قد تعني هذه التوجيهات والمناشدات المتكررة أن التمييز الديني والعنصري كان مشكلةً حقيقية.

وعلى الرغم من جميع المساعي المبذولة لتوجيه الطاقم الألماني إلى ضرورة احترام الإسلام، ترسم بعض المصادر صورةً شديدة الوضوح للتمييز الديني في الوحدات الإسلامية؛ فقد أرغَم أحدُ ضبَّاط الصفِّ (adjutant) أحدَ الملالي على تكرار تمرين «القيام والقعود»؛ عقابًا له على تأخره عن عرض عسكري، وذلك دون احترام لمكانته الدينية، ولا لكرامته بوصفه إمامًا أكبر لكتيبته[١٧٦]، وكذلك، وقَّع أحد

الأطباء العسكريين عقابًا مشابهًا على إمام آخر بسبب تأخر الإمام على الخدمة الطبية بسبب الصلاة، وحُلِقت لحية ملًّا آخر، بعد موته في أثناء علاج أسنانه بوقت قصير، رغم الدلالة الدينية والرمزية المهمَّة التي ينطوي عليها شعر الوجه تقليديًا فيما يخص مكانته. عاقب هايغندورف على كل هذه الاعتداءات ونقل الضباط الألمان من كتائبهم، محذرًا من أن مثل هذا «العداء للتوجهات الدينية» يؤدي إلى استياء العناصر الجيدة في الوحدات ويعزِّز من العناصر السيئة. وقد وقعت حوادث مماثلة في وحدات الحماية؛ فقد اشتكى هارون الرشيد، على سبيل المثال، من سلوك أحد الضباط الألمان الذي ضرب المسلمين ورماهم بالحجارة وسبَّهم بلفظ «خنزير»، وهي «أسوأ إهانة لأي محمَّدي» كما أوضح الرشيد(١٧٧). وكتب ساوبرتسفيغ من البلقان في تقريره إلى برغر أنه كان يتوجب عليه استخدام «كمٍّ كبير من الطاقة» كل يوم «لكي يغرس في القادة الألمان إدراك مهمة الأئمة وقيمتهم»(١٧٨)، وفاخر بأنه «إن كان هناك من يدعم الأئمة دومًا ويربط بين الإسلام والاشتراكية القومية، فهو أنا».

وبالإضافة إلى إهانة المشاعر الدينية، أزَّمت العنصرية، التي روَّج لها النظام طيلة عشر سنين، التفاعلات اليومية بين المجنَّدين والألمان؛ إذ ذكر منده، بعد الحرب، أن الطاقم الألماني في الفيالق الشرقية كان ينظر إلى مجنَّدي الاتحاد السوفييتي بوصفهم جنودًا من الدرجة الثانية، وكانوا يدعونهم بـ «الزنوج» (*Mohren*) أو «الملوَّنين» (*Kanaken*) أو حتى «الخونة» (*Landesverräter*)(١٧٩). وكانت «الهوتنتوت» (*Hottentotten*) و«الهمج» (*Wilde*) و«البوشمن» (*Buschmänner*) و«المغول» (*Mongolen*) و«البلاشفة» (*Bolshewiken*) و«احتياطي البارتيزان» (*Partisanenersatz*) و«الرفاق الأسرى» (*Beutekameraden*) من بين الألقاب التحقيرية الأخرى(١٨٠). وفي وارسو، غضب هايغندورف عندما قرأ الشعار القائل: «البولنديون واليهود وجنود الفيالق في العربة الأخيرة» على عربة قطار(١٨١). وكان مسلمو الاتحاد السوفييتي يتجنبون الحصول على عطلاتهم في الرايخ؛ تجنبًا للإهانات الشخصية وتحرش الألمان بهم. وكتب هايغندورف عن ملازم قوقازي عاد مبكرًا إلى وحدته من زيارة لأخته التي تعمل في النمسا، وعندما سُئل عن السبب قال إنهما أُلقيا من قطار كهربائي في ڤيينا؛ إذ قال رجلٌ من وحدات الحماية لمدير

القطار إنه لن يركب العربة حتى تغادرها هذه «البهائم» (*Viehzeug*)[١٨٢]. وفي الواقع، غدا هذا النوع من الحوادث متكرِّرًا في شهور الحرب الأخيرة، عندما نُشرت وحدات الفيالق الشرقية الإسلامية في غرب أوروبا والرايخ؛ ففي يومياته في مايو/ أيار من عام ١٩٤٤، وصف إرنست يونغر (Ernst Jünger)، مقاتل الحرب العالمية الأولى الألماني المخضرم الشهير، خبرته مع جنود الفيالق التركية في فرنسا قائلًا: «حدَّق الباريسيون، آنذاك في المغول، في قطار الأنفاق، وهم يرتدون الزي الألماني»[١٨٣]، ولافتتانه بالطابع الإسلامي للوحدات، وصف الشعار المرسوم على شاراتهم: «مسجدٌ بمئذنتين وعبارة منقوشة: «الله معنا، ومع تركستان». ومع ذلك، ظلَّت الصور السلبية عن المسلمين والشرق قائمة. وكانت الكُتيِّبات والمنشورات الموزَّعة على طاقم الجيش الألماني، والمصاغة للتغلب على الصور النمطية السائدة عن الآسيويين من **الأجناس الدنيا**، محدودة الأثر. وكذلك لم يكن الضباط الألمان في البلقان أقل تمييزًا ضد المجنَّدين المسلمين هناك؛ فكان الألمان ينتقصون من زملائهم المسلمين البوشناق المنضمين إلى وحدات الحماية -أحيانًا- بلفظ «مويو» (Mujo)[١٨٤][أ]. واشتكى قائد فرقة إسكندر بك من «ألبانيا البدائية» التي ظلت في عينه «تركيةً أكثر» من تركيا نفسها، «بدءًا بحجاب النساء»[١٨٥]، وسخر قائلًا إن «بسالة الألباني» ما هي إلَّا خرافة، «فبقاذف قنابل صغير يمكنك فعليًّا مطاردته حول الكون كله. وفي الهجوم، لا يصحبك إلَّا إن وجد ما يسرقه أو ينهبه». وفي المطلق، تأكد أن محاولة برلين إعفاء المسلمين، عربًا كانوا أو بوشناقًا أو ألبانًا أو تركًا أو تترًا، من عنصرية النظام أمرٌ يصعب إيصاله إلى الجنود الألمان العاديين في الميدان؛ إذ لم يكن من السَّهل تجاوز سنوات من التلقين النازي والپروپاغندا العنصرية.

لكن على الرغم من أن قيادة الجيش واجهت صعوبات في السيطرة على السلوك اليومي للجنود الألمان، تمكنت بسهولة من تقليل التمييز المؤسسي إلى أقصى حدٍّ ممكن؛ ففي شهور التجنيد الألماني الأولى، كان الضباط الألمان أعلى في التراتبية العسكرية من أي مجنَّد غير ألماني، مهما كانت رتبته؛ ومن ثمَّ، لم يكن متاحًا عقاب

(أ) مويو وسوليو (Suljo)؛ شخصيتان هزليتان من التراث الشعبي للمسلمين البوشناق. (المترجم)

الجنود الألمان إلَّا من قِبل الألمان الأعلى رتبة، لا من قِبل المجنَّدين غير الألمان، حتى وإن كانوا أعلى رتبةً[١٨٦]. لكن تغير كل ذلك، وأصبح واجبًا على الجنود الألمان حتى إلقاء التحية العسكرية على المجنَّد المسلم إن كان أعلى منهم رتبةً. وكذلك، سرعان ما أصبح الجنود غير الألمان يحصلون منذ شهر مايو/ أيار من عام ١٩٤٣ على الراتب نفسه الذي يحصل عليه الجنود الألمان في القوات المسلَّحة[١٨٧]. لكن كانت هناك منطقة واحدة لا يمكن التفاوض فيها تكشف عن المشكلات التي ظلت لدى النظام عند تعامله مع مجنَّديه الأجانب؛ فقد كانت السُّلطات الألمانية حريصةً كل الحرص على منع أي اتصال بين مسلمي الاتحاد السوفييتي في أثناء قضاء عطلاتهم في ألمانيا وبين أية امرأة ألمانية، ومن حملت من الألمانيات بطفل من متطوع شرقي كان المكتب العرقي في الحزب النازي يُرغمها على إجهاضه[١٨٨]، بل حُظر حتى الاتصال الجنسي بين المسلمين و«النساء الشرقيات العاملات» (*Ostrabeiterinnen*) من الروسيات أو الأوكرانيات في الرايخ، على الرغم من أن هذا «الزواج الشرقي» (*Osteben*) قد أُقرَّ في الأخير لتجنب العلاقات مع الألمانيات[١٨٩]. كانت هذه القيود عِرقيةً أكثر من كونها دينية. وعلى الرغم من البراغماتية الأيديولوجية، ظل العِرق عقبةً كؤودًا في وجه سياسات ألمانيا الدينية تجاه المسلمين.

الهزيمة

ظل الجنود المسلمون يقاتلون على جميع الجبهات حتى النهاية. فقط في فوضى الأشهر الأخيرة، حين تبدَّدت آمال النصر الألماني جميعها، أصبح من الصعب الحفاظ على الروح المعنوية وانضباط الوحدات، وتوجَّب على القوات المسلَّحة ووحدات الحماية أن تتعامل مع عدد متزايد من حالات الفرار. وفي البلقان، بدأت فرقة الخنجر في التفكُّك في خريف عام ١٩٤٤[١٩٠]؛ ففرَّ عددٌ من المسلمين للانضمام إلى صفوف الكوادر الخضراء (green cadres)[١٩١][أ]، فكان الجنود

(أ) عنها، انظر الفصل الخامس، ص ٢٨٠. (المترجم)

يغادرون، فرادى وجماعات، أو ببساطة، لا يعودون من عُطلهم[١٩٢]. وارتكب البعض الآخر أفعالًا تتضمن إيذاءً للذات للحصول على التسريح الإجباري[١٩٣]. وبحلول نهاية سبتمبر/ أيلول، كان قد فرَّ قرابة الألفي مسلم، وفي السابع عشر من أكتوبر/ تشرين الأول، رفض مئة وأربعون آخرون قتال السوڤييت، وفي الحادي والعشرين من أكتوبر/ تشرين الأول، فرَّ ستمئة رجل آخر بالقرب من زغرب[١٩٤]، ومع تزايد أعداد الفارِّين، اضطرت وحدات الحماية في النهاية إلى تسريح الفرقة. وذكر كاشه في تقرير بتاريخ التاسع والعشرين من أكتوبر/ تشرين الأول لعام ١٩٤٤ أن ألفي رجل قد نُزع سلاحهم ونُقلوا إلى غرب زغرب للعمل في الأشغال[١٩٥]، وكان عشرة آلاف آخرون سيُنزع سلاحهم بعدها بأيام[١٩٦]. وفي النهاية، خيَّر هملر المجنَّدين المسلمين بين القتال في وحدات الحماية ووحدات الأوستاشا، وبين العمل في الأشغال في الرايخ[١٩٧]. وكذلك، لم يلبِّ أداء فرقة إسكندر بك توقعات وحدات الحماية[١٩٨]؛ إذ فرَّ المجنَّدون الألبان بالجملة عندما خرج الوضع العسكري عن السيطرة، واضطرت وحدات الحماية إلى تسريح الفرقة، في حين كان الفارُّون من بين المتطوعين المسلمين في الاتحاد السوڤييتي أقل عددًا[١٩٩]. وعندما انهارت ألمانيا، حاول البعض الانتقال إلى الطرف الآخر؛ فقد صُدِم چوليان آمري (Julian Amery)، أحد ضباط الاتصال البريطانيين لدى الپارتيزان الألبان، من حالات فرار وحدات القوات المسلَّحة الألمانية التركستانية العاملة في البلقان؛ فعندما فرَّت جماعةٌ من الجنود المسلمين إلى الپارتيزان، لم يأتوا بأسلحتهم وحدها، بل أحضروا معها آذان ضباطهم الألمان مغلفة في منديل أخضر كبير[٢٠٠]. وفي **الفيالق المسلَّحة التركية الشرقية** (*Osttürkischer Waffenverband*)، كانت الحالة المهمة الوحيدة لفرار جماعي هي فرار غلام عليموف ورفاقه إلى الپارتيزان السلوڤاك في أواخر ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤٤. أما الجنود التابعون لفتالي بك ففصلوا أنفسهم مباشرةً عن عليموف ورجاله[٢٠١]. وفي النهاية، أبدت غالبية المجنَّدين القادمين من الاتحاد السوڤييتي انضباطًا أكبر من المتوقع في ضوء الوضع العسكري اليائس. في الواقع، كان هذا اليأس هو ما دفعهم للقتال، فلا مجال للتراجع؛ إذ كان

المسلمون في صفوف القوات الألمانية يعلمون تمام العلم أن الهزيمة تعني الانتقام، وربما الموت.

وبعد الحرب، كان مصير جنود ألمانيا المسلمين مروِّعًا؛ ففي البلقان، واجهوا عقاب تيتو[٢٠٢]، وكان القادة الدينيون لوحدات الحماية أوَّل من عوقب؛ فأُعدم حليم مالكوتش آخر أئمة فرقة [الخنجر] في عام ١٩٤٨[٢٠٣]. ولا نعلم شيئًا عن مصير سابقه مُحاسيلوڤيتش. أما الإمام حسين چوزو فحُكم عليه بالسجن لخمس سنوات من الأشغال الشاقة، وخمس سنوات أخرى من الحرمان من الحقوق السياسية، لكنه تأقلم بعد ذلك وأصبح مسئولًا بارزًا في يوغوسلاڤيا الشيوعية[٢٠٤].

أما في الشرق، فقد عدَّت موسكو، بعد أن رحَّلت مسلمي القوقاز والقِرم بالفعل، أنَّ تعاوُن كل من قاتل في صفوف الوحدات الألمانية؛ خيانة عظمى. ولم ينجُ الجنود المسلمون من الاتحاد السوڤييتي، والمتناثرون ساعتها في وحدات الحماية والقوات المسلَّحة؛ ففي مؤتمر يالطا، وافق الثلاثة الكبار[أ] على إعادة جميع المواطنين السوڤييت السابقين إلى بلدانهم؛ ولذلك، نزع البريطانيون والأمريكان سلاح الفيالق الشرقية، وفيالق وحدات الحماية التركية الشرقية، واحتجزوهم في معسكرات خاصة، وفي النهاية، سلَّم الحلفاء الغربيون جنود الفيالق، رفقة اللاجئين المدنيين من القوقاز والقِرم الذين تبعوا القوات المسلَّحة، إلى الجيش الأحمر[٢٠٥]، وفي صيف عام ١٩٤٥ شُرع في عملية التسليم؛ فعلى سبيل المثال، سُلِّم الجنود المسلمون من الفرقة التركية الثانية والستين بعد المئة، والذين احتُجزوا في معسكر بالقرب من مدينة مودينا (Modena) الإيطالية، إلى السوڤييت في مدينة تارانتو (Taranto)، وقد تمكَّن بعضهم من الفرار من المعسكر ضعيف الحراسة[٢٠٦]. ورافق تسليم من تبقَّى منهم مشاهد مأساوية؛ إذ قفز العشرات من القطارات في أثناء سيرها، وعندما رست سفن الترحيل في ميناء أوديسًا، قفز الكثيرون إلى البحر الأسود، وانتحر البعض، وأضرم أحد الأئمة النيران في نفسه. وفي الاتحاد السوڤييتي، قتَّلت الكوادر السوڤييتية الكثيرين أو رحَّلَتهم إلى معسكرات الاعتقال السوڤييتية (الغولاغ). وذكر

(أ) روزڤلت وتشرشل وستالين. (المترجم)

ألكسندر سولچينيتسن (Alexander Solzhenitsyn) في كتابه **أرخبيل غولاغ** (*The Gulag Archipelago*) أنه «طَوال عامي ١٩٤٥ و١٩٤٦، تدفقت موجةٌ كبيرة من الأعداء الأصليين للحكومة السوڤييتية إلى الأرخبيل»[٢٠٧]. «كان أولئك هم رجال ڤلاسوف، وقوزاق كرازنوف (Krasnov)، ومسلمي الوحدات القومية التي شُكِّلت تحت قيادة هتلر». لم تؤثر احتجاجات الصليب الأحمر على السُّلطات البريطانية والأمريكية، وكذلك لم تأبه الصحافة العالمية. وكان جورج أورويل (George Orwell)، الذي كان مراسلًا حربيًا في القارة آنذاك، أحد القلائل الذين جاهروا بنقد هذه الترحيلات، وقد أشار في عام ١٩٤٦ إلى أن «هذه الوقائع، التي وصلت فورًا إلى صحفيين كُثر، مرَّت على الصحافة البريطانية مرور الكرام»، مستنكرًا التجاهل العام الظاهر لهذه الترحيلات الإجبارية[٢٠٨]. ولم يوقف الحلفاء سياسة التسليم تلك إلَّا بعدما تبيَّن لهم أنها لا تؤول إلَّا إلى الإعدامات والسُّخرة. وعومل من تبقى في المعسكرات أو فرَّ منها معاملة «المشرَّدين»، وبقي عدة آلاف منهم في الغرب.

خاتمة

في الشـهور الأخيرة للحرب، تحسَّـر هتلر في أثناء وجوده بمخبأ برلين، على أن جهـود الرايـخ الثالـث في تعبئة العالم الإسـلامي لم تكـن قويةً بما يكفـي[١]، وأخبر بورمـان (Bormann) أن «الإسـلام كله اهتـز لأنباء انتصاراتنا»، وأن المسـلمين كانوا «مهيَّئيـن للثـورة»[٢]، «تصـور فقـط أننـا فعلنـا مـا بوسـعنا لمسـاعدتهم، بـل وحتـى تحريضهـم، كمـا كان يجـب علينا وفـي مصلحتنا!»، لكـن ألمانيا أبقَـت طويلًا على احترامهـا للمصالـح الإيطاليـة فـي العالـم الإسـلامي، وهـي المصالح التـي أعاقت -والحديـث مـا زال لهتلـر- قيام «سياسـة ممتازة تجاه الإسـلام ... ولا شـكَّ في أن الإيطاليين مبغَضون في هذه البقاع من العالم أكثر من البريطانيين والفرنسيين». وفيما يتعلَّـق بالتحالـف الألمانـي الإيطالي، رثى هتلر قائـلًا: «لقد خلق شـعورًا بالانزعاج لدى أصدقائنا المسلمين الذين عدُّونا -بلا شكٍّ- متواطئين مع مضطهديهم، شئنا أم أبينا»، ولو اسـتقلَّت ألمانيا بسياسـتها عن إيطاليا؛ لاسـتطاعت تحرير المسـلمين من حكم الڤيشي والطليان في شمال إفريقيا، وهو ما ستكون له آثار قوية على الأراضي الإسلامية الخاضعة للحكم البريطاني؛ إذ كان يمكن أن تثور حركةٌ في شمال إفريقيا ثم تمتد إلى بقية العالم الإسلامي. «فسياسةٌ كهذه كانت ستثير حماسة الإسلام كله. وتلـك سـمة من سـمات العالـم الإسـلامي، فمن شـواطئ المحيـط الأطلنطي إلى شـواطئ المحيط الهادي، ما ينزل بأحد من المسـلمين شـيء، إن خيرًا أو شـرًّا ؛ إلَّا تداعى له سائرهم»[٣]. في الواقع، كان التحالف الإسلامي الألماني موضوعًا متكررًا في المخبأ في أثناء أسابيع النظام الأخيرة[٤]، فقبلها بأيام، عند تعبيره عن رؤاه المتعلقة

بنظـام أوروبي جديد، أصرَّ هتلر على أن هـذه الأوروبا الجديدة خاصَّته كانت لتتبنَّى «سياسة صداقة جريئة تجاه الإسلام»[٥]؛ إذ لـم تكن سياسة ألمانيا تجاه الإسلام كافية في تقدير هتلر.

لقـد درسَـت هـذه الصفحات، للمرة الأولـى، تفاعلَ ألمانيا مع الإسـلام في أثناء الحـرب العالمية الثانية، دراسـة شـاملة، وبيَّـنـت كيـف أن محـاولات ألمانيا لتوظيف الإسلام في جهودها الحربية كانت واسعة النطاق، مما أثَّر في سياسات مناطق، مثل: سراييڤو ونالتشيك وسيمفروپول وتونس، بل حتى في شڤابيا الريفية. وأن المسئولين الألمان حاولوا، من خلال توظيف الإسلام في سياساتهم ودعايتهم، إسباغ الشرعية والمرجعيـة علـى حربهم، وإحلال السـلام فـي الخطـوط الخلفية لجيوشـهم، وتعبئة المسـلمين فـي سـبيل القتال في صفـوف الرايخ الثالـث، وإثارة العصيان الإسـلامي والتحريض على العنف الديني خلف خطوط العدو.

لقد تتبَّع القسـم الأول من الكتاب تفاعل ألمانيا السياسـي مع الإسـلام، بداية من سياسـاتها الاسـتعمارية قبل عام ١٩١٤، والأهم من ذلك، حملتها لتعبئة المسـلمين في الحرب العالمية الأولى، واستكشف هذا القسم النقاشات التي ثارت إبَّان الحرب العالميـة الثانيـة، عندما تجدَّد اهتمام صنَّاع السياسـة في برلين بالإسـلام، مع وصول الحـرب إلى الأراضي الإسـلامية فـي عام ١٩٤١. وفي حين كان الدپلوماسـيون في وزارة الخارجيـة أول مـن ناقش توظيف الإسـلام والاشـتغال بالپروپاغندا وتوظيف المتعاونيـن المسـلمين، سـرعان مـا انضمَّت إليهم القـوات المسـلَّحة، وبدرجة أقل وزارة الشـرق، بينمـا كانت وحـدات الحماية هي الجهة التي تصـدرت حملة التعبئة الإسـلامية الألمانيـة التـي بدأت أبـرز مراحلها منذ عـام ١٩٤٣ فصاعـدًا، وفي نهاية المطاف، شاركت أذرع النظام كلها تقريبًا في الحملة.

وتنـاول القسـم الثانـي من الكتـاب سياسـات ألمانيا تجاه المسـلمين فـي مناطق الحرب، أي في المناطق المحتلَّة وخلف الخطوط الأمامية، وأبرز هذا القسـم كيف أن ألمانيـا منحـت المسـلمين امتيازات دينيـة في هذه المناطق، وشـنَّت حملة دعائية دينيـة، وأوضـح كذلـك كيـف أن الألمـان واجهوا مواقف سياسـية ودينيـة صعبة في

مختلف مناطق الحرب؛ ووفقًا لها، كيَّفوا سياساتهم ودعايتهم تجاه المسلمين. وفي المجمل، كان لسياسات ألمانيا الدينية ودعايتها في مناطق الحرب وظيفتان: السيطرة والتعبئة؛ فكانوا يهدفون إلى تهدئة الخطوط الخلفية -غير المستقرة غالبًا- والسيطرة عليها في سياق وضع عسكري متدهور، وفي الوقت نفسه كانوا يسعون للتحريض على العنف الديني خلف خطوط العدو الأمامية.

وتناول القسم الثالث تجنيد القوات المسلَّحة ووحدات الحماية لمئات الآلاف من الجنود المسلمين ورعايتهم بدءًا من عام ١٩٤١ فصاعدًا، ودرسَ الدور الذي اضطلع به الإسلام في التجنيد والمعاملة والتلقين الدعائي للجنود. بالكاد يمكن المبالغة بشأن المدى الذي بلغته حملة التعبئة الإسلامية تلك وكثافتها. ومنذ أواخر عام ١٩٤٣، ركَّزت وحدات الحماية تركيزًا خاصًا على استقطاب المسلمين، وأخيرًا تجاوزت إلى تعبئة، أو كما قيل: «تنشيط» جميع من تصل إليه أيديها من المسلمين، من شرق إفريقيا وحتى بلغاريا، رغم أن هذه الخُطط تعثرت في فوضى أشهر الحرب الأخيرة. لقد كان الغرض من السياسات والپروپاغندا الدينية الألمانية هو حفظ الانضباط العسكري في الوحدات الإسلامية ورفع الروح المعنوية القتالية. وكما كان الأمر في سياسات مناطق الحرب، كانت السيطرة والتعبئة الهدفين الأساسيين.

كانت المساعي الألمانية لتوظيف الإسلام متسقةً اتساقًا ملحوظًا، حتى عندما يُنظَر إليها من منظور عبر إقليمي؛ إذ على الرغم من فوضى الحرب وتداخل الاختصاصات بين أجهزة النظام المتنافسة، تواترت إشارات المسئولين الألمان -من الدپلوماسي التقليدي في وزارة الخارجية مرورًا بالبيروقراطي المثقف في وزارة الشرق وحتى التكنوقراطي الأيديولوجي في مكتب وحدات الحماية الرئيسي- إلى التصورات نفسها حول الإسلام ودوره في الحرب. وفي المجمَل، لم يُنظَر إلى المسلمين بوصفهم تهديدًا أو أعداءً، بل حلفاءَ أقوياء. وألمح المسئولون الألمان إلى الأهمية السياسية العامة للإسلام عندما كانوا يتعاملون مع المسلمين في مناطق الحرب، وكانت فكرة الوحدة الإسلامية لـ **عالم الإسلام** (*Weltislam*) أو **عالم المسلمين** (*Weltmuselmanen*) حاضرةً دومًا.

وقد ارتبطت أسباب اجتهاد ألمانيا في الدعوة لتحالف مع العالم الإسلامي ارتباطًا وثيقًا بمسار الحرب التي وصلت إلى ديار الإسلام في عامي ١٩٤١ و١٩٤٢، وأحدثت تحولًا في السياسة الألمانية تجاه التخطيط قصير المدى وتعبئة الموارد المتاحة كافَّة، وفي هذا السياق، عُدَّ الإسلام قوةً سياسية يمكن توظيفها ضد الحلفاء. لكن لم يكن للاعتبارات الأيديولوجية سوى دور هامشي. وعلى الرغم من أن بعض المنظِّرين النازيين ومسئولي النظام، بل وبعض أعضاء النخبة النازية، كانوا يحملون رؤيةً أيديولوجية إيجابيةً تجاه الإسلام، إلَّا أن الوضع العسكري كان هو الدافع وراء حملة ألمانيا للتعبئة الإسلامية.

وإجمالًا، مُنيت هذه المحاولات جميعها بالفشل؛ ففي شمال إفريقيا والشرق الأوسط، استُقبلت هذه المحاولات استقبالًا متباينًا. وفي المناطق التي عايش فيها المسلمون ظروفًا قاسيةً، كالبلقان والأقاليم الشرقية، أثار التودُّد الألماني للإسلام في البداية بعض الأمل. وفي النهاية، قاتل عدَّة آلاف من مسلمي هذه المناطق في صفوف الجيوش الألمانية. ومن المؤكد أن السياسات والپروپاغندا الدينية أرسلت الرسائل الصحيحة. لكن يظل السؤال قائمًا عمَّا إذا كانت هذه السياسات والپروپاغندا الدينية هما السبب الرئيس في ذلك؛ ففي حالات أخرى كانت هناك دوافع أخرى أقوى. وفي المطلق، أخفقت الپروپاغندا الألمانية في إثارة انتفاضات مؤثِّرة خلف الخطوط الأمامية. وكانت سياسات ألمانيا في العالم الإسلامي أقل نجاحًا مما أمَّلَت فيه برلين؛ فقد انطلقت متأخرةً جدًّا، واصطدمت بواقع الحرب العنيف، والأهم من ذلك أنها قامت على أساس من العديد من المفاهيم المغلوطة عن المسلمين والإسلام.

وكذلك كان من أبرز العوائق أمام المساعي الألمانية لتوظيف الإسلام في سياساتها الموجَّهة إلى المسلمين الذين كانوا تحت الحكم الألماني أو خلف الخطوط الأمامية أو في صفوف الوحدات العسكرية الألمانية، فقدانُ هذه الجهود للمصداقية؛ إذ كان من الوضح أن الألمان يريدون استغلال الإسلام لحساب مصالحهم، وتلبيةً لحاجات الحرب، لا من أجل قضية دينية خالصة. وقد حاولت

برلين حلَّ معضلة المصداقية هذه عبر توظيف وسطاء مسلمين، كان من بينهم الأئمة الكثر العاملون في الوحدات الألمانية، إلى جانب قامات إسلامية كبرى، من أمثال: أمين الحسيني ويعقوب شينكييتش ومحمَّد پانچا، وكان يُفترض أن يدعم المتعاونون المسلمون الموثوقون، من خلال سلطتهم الدينية، توجهات النظام ودعايته، في حين يرمزون في الوقت نفسه إلى رعاية ألمانيا الأبوية للإسلام. وقد شكَّلت السُّلطات الألمانية هيراركيات إسلامية لتسيطر على المسلمين وتضبطهم في وحداتهم العسكرية، وفي مناطق وجودهم في الأقاليم المحتلَّة على تُخوم الاتحاد السوڤييتي، وفي مناطق أخرى اعتنوا بمشاركة العلماء. لكن حتى مع استخدام الوسطاء، ظلت مزاعم ألمانيا بأنها نصيرة المؤمنين تفتقر إلى المصداقية، وكانت الدوافع العسكرية العملية عصيةً على الإخفاء. وكانت المعضلة الأخرى أن العالم الإسلامي لم يكن كتلةً موحَّدة؛ فمن خلال النظر إلى المسلمين بوصفهم كتلةً جماعية يمكن السيطرة عليها إن عوملت جيدًا، هوَّن المسئولون الألمان من شأن التعقيدات والتناقضات الدينية والعِرقية واللغوية والاجتماعية والسياسية في العالم الإسلامي؛ بعبارة بسيطة: لقد بولغ في أهمية الوحدة الإسلامية؛ فلم يكن الإسلام منظَّمًا في هياكل هرمية أو كهنوتية، ولا تقوده سُلطةٌ مركزية تتحدث باسم المؤمنين. وكذلك، كانت هناك مسألة التدين؛ إذ استَندت المساعي الألمانية لتوظيف الإسلام إلى فرضية أن المسلمين سيلبُّون -حتمًا- أية دعوة للقتال إن أسبغ الدين عليها رداءه. ومن نافلة القول إن إخلاص المسلمين لدينهم لا يجب التهوين من شأنه، على الرغم مما لذلك الإخلاص من حدود؛ إذ اضطلع الدين بدور مهمٍّ في حياة الناس في جميع أنحاء البلقان والأقاليم الشرقية وشمال إفريقيا والشرق الأوسط وغيرها. وقد كانت النزاعات في البلقان دينية الدَّافع في الغالب، واكتست مقاومة موسكو طابعًا دينيًّا. فمنذ القرن التاسع عشر، برزت النَّزعة الوحدوية الإسلامية والمناهِضة للإمپريالية في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، وشهدت فترة انتعاش بُعيد الحرب العالمية الأولى. لكن على الجانب الآخر، يجب أن نسأل حول ما إذا كانت الولاءات الأخرى أثبتت أنها أقوى من الروابط الدينية الخالصة، لقد كان للروابط القَبلية والعِرقية والقومية أهميتها. وفي المجمَل، كان لدى السكان المسلمين فيما بين

شمال إفريقيا ووسط آسيا طموحات قومية قوية فشلت برلين في تلبيتها. وأخيرًا، واجهت ألمانيا منافسةً من جانب جميع قوى الحلفاء في تقاربها مع المسلمين والإسلام؛ إذ كان بإمكان لندن، بل حتى موسكو، الاعتماد على ولاءات قديمة لدى رعاياهما المسلمين. وعلى كلِّ حال، كان هناك مئات الآلاف من المسلمين يقاتلون في صفوف الجيش الأحمر والقوات البريطانية وقوات فرنسا الحرة.

لا يمكننا هنا الإجابة بشكل حاسم عن سؤال الأثر الأوسع لهذه السياسة والپروپاغندا الدينية على المسلمين في جميع أنحاء العالم؛ إذ لم تكن استجابة المسلمين للسياسات الألمانية محور تركيز هذه الدراسة، كما أن عملًا شاملًا حول الاستجابة التي أبداها العالم الإسلامي، بجميع أرجائه، للسياسات والپروپاغندا الدينية لا يمكن أن تضمَّه دفَّتا كتاب واحد، بل يجب إفراده في المستقبل بدراسات محلية وإقليمية وقُطرية(٦).

لقد وجد الألمان بالفعل متعاونين راغبين بين الزعامات المسلمة، كالمفتي يعقوب شينكييتش في ڤيلنيوس، والإمام شاكر إريس في ريغا، والملَّا عالِمسيت جميلوف في سيمفروپول، ومحمَّد پانچا في سراييڤو، وفقهاء برلين: عالِم چان إدريس وتقي الدين الهلالي وأمين الحسيني، لكن هذا الكتاب أظهر أن القصة أكثر تعقيدًا من ذلك، وأن إجراء التعميمات عن دور من تورَّط من المسلمين في الحرب الألمانية لهو أمرٌ شبه مستحيل. إنها ليست في الغالب قصة ضحايا ومجرمين واضحة المعالم، فالمسلمون يمكن أن يكونوا ضحايا أو مجرمين أو كليهما؛ إذ تعاون البعض مع الجيش وسُلطات الاحتلال، وقاتل الآلاف من المسلمين في جيوش هتلر وتورطوا في فظائع ومذابح مروِّعة، وقاتل الآلاف منهم كذلك ضد النظام الألماني. وفي مناطق الحرب، يمكن أن يكون الخطُّ الفاصل بين المسلمين وضحايا سياسة الإبادة العرقية النازية واهنًا، كما رأينا في حالات [اليهود] القرَّائين والقِرمشاقي في شبه جزيرة القِرم، واليهود التات في القوقاز، والغجر المسلمين في البلقان والأقاليم الشرقية، واليهود المتحولين إلى الإسلام. وهنا، قد يعني إسلامك من عدمه حياتَك أو موتك. وأخيرًا، كلَّفت الحرب العالمية الثانية وما بعدها مباشرةً آلافًا مؤلَّفة من المسلمين حياتَهم.

لقد نجا أكثر المهندسين الأساسيين لسياسات ألمانيا تجاه الإسلام من الحرب من غير سوء؛ حيث توفِّي ماكس فون أوپّنهايم، البالغ من العمر ستة وثمانين عامًا، في عام ١٩٤٦ في جنوب ألمانيا، وكان أوپّنهايم قد غادر برلين متجهًا إلى درسدن، في شهور الحرب الأخيرة (حيث تابع تأسيس مدرسة الملالي التابعة لوحدات الحماية لكنه لم يشارك فيها) ثم لجأ إلى لاندسهوت (Landshut)[٧]، واستكمل تلاميذه حياتهم في الغالب، بعد أن كانوا أدوات السياسة الألمانية تجاه الإسلام في الحرب العالمية الثانية إلى حدٍّ كبير؛ حيث اعتقل السوڤييت فريتز غروبًا وقضى عشر سنوات في السجن ثم تقاعد في ألمانيا الغربية، أما أوتُّو ڤيرنر فون هينتغ فقد ظل في وزارة الخارجية وعمل بعد تقاعده مستشارًا للدولة السعودية، وتقاعد كورت پروفه في سويسرا، أما إرنست ڤيرمان فقد حوكم في نورمبرغ وحُكم عليه بخمس سنين ولم يعد إلى وزارة الخارجية، لكن أوسكار فون نيدرماير كان مصيره أشد بؤسًا، فقد نجا من الحرب بعد أن سُجن في عام ١٩٤٤؛ لانتقادات وجَّهها إلى النظام في بعض المسائل، لكن السُّلطات السوڤييتية اعتقلته في عام ١٩٤٥ وحُكم عليه بالسجن لخمسة وعشرين عامًا، ومات أخيرًا في سجن قرب موسكو في عام ١٩٤٨، وأُسر الكهل إرنست أوغست كوسترنغ واعتُقل لدى الأمريكيين، ثم أُطلق سراحه في عام ١٩٤٧، وكذلك اعتُقل أوتُّو برويتيغام لفترة قصيرة لدى الأمريكيين، ثم أُطلق سراحه، وعمِل في وزارة الخارجية الألمانية، وأصبح غِرهرد فون منده رئيس الوكالة الحكومية التي تتعامل مع المتعاونين غير الألمان الذين نجوا من الترحيل، وكذلك كان مديرًا للمعهد البحثي في الوزارة الفيدرالية للاجئين (Federal Ministry for Expellees)، التي كان على رأسها تيودور أوبرلندر، قائد إحدى الفرق الإسلامية الأولى في القوات المسلَّحة، لكن في المقابل، لم يحصل ضباط وحدات الحماية الذين اشتركوا في الحملة على مناصب مهمَّة بعد الحرب؛ فقد حوكم غوتلوب برغر في نورمبرغ وحُكم عليه بالسجن لخمسة وعشرين عامًا. لكن أُطلق سراحه في عام ١٩٥١ وعمل في الصناعة الألمانية، وظل على اهتمامه القديم بالعالم الإسلامي، وزار الشرق الأوسط في الخمسينيات، أما راينر أولتسا فقد اعتقله الأمريكيون، ثم

أُطلق سـراحه، لكن عند عودته إلى عائلته في القطاع السـوفييتي[أ]، أُسـر وأُرسل إلى الاتحـاد السـوفييتي، حيـث أُعـدِم في عـام ١٩٤٧، وفـرَّ العجوز هارون الرشـيد من السـجن واشـتغل بالتأليـف فـي ألمانيـا الغربيـة، وأسـر البريطانيون كارل غوسـتاف ساوبرتسڤيغ، فانتحر بالسيانيد في عام ١٩٤٦؛ تجنبًا لتسليمه إلى يوغوسلاڤيا.

أمـا كبـار المتعاونين المسـلمين فقـد لاذوا بالفرار؛ فحين كانـت ألمانيا تغرق في الفوضى في أسابيع الحرب الأخيرة وكان هتلر يتحسَّر على الإسلام في مخبأه، حزم الحسـيني حقائبـه[٨]، وذهـب رفقـة ڤيرنـر أوتُّـو فـون هينتغ الـذي أُمر بإحضـاره إلى الجنـوب، إلـى مدينة بـاد غشـتاين (Bad Gastein)، وهنـاك افترق الرجـلان[٩]. وفي السـابع من مايو/ أيار من عام ١٩٤٥، وقبل سـاعات من الاستسـلام، حطَّت طائرة مجهولة من طراز سـيبيل سـي ٢٠٤ (Siebel Si 204) بالحسيني في مطار بالقرب من برن. سـلَّم السويسريون الحسيني سـريعًا للفرنسيين؛ خشية تحمُّل أيَّة تبعة، فأحضره الأخيرون إلى سانت مور (St.- Maur) بالقرب من باريس، ومنحوه دارةً للإقامة[١٠]، وفي باريس، حظي الحسيني باستقبال دافئ من سي قدُّور بن غِبريط الذي أقام مأدبة كبيرة على شرفه، حضرها العديد من الدبلوماسيين المسلمين بمناسبة عيد الفطر في عام ١٩٤٥[١١]. وقد تلقَّى الحلفاء التماسـات عدَّة من جميع أنحاء العالم الإسـلامي تطالب بعودة الحسـيني إلى الشـرق الأوسـط، ومـن بينها التماس لحسـن البنَّا الذي راسـل مايلز لامپسون حول هذا الأمر[١٢]، وفي النهاية، أطلق الحلفاء سراحه؛ خشية أن تؤدي محاكمته، بوصفه مجرم حرب، إلى نشوب انتفاضات إسلامية، وفي الثامن والعشـرين من مايو/ أيار من عام ١٩٤٦، أقلَّته طائرة من باريس إلى القاهرة، حيث استقبله عددٌ من أتباعه بحماس، وبمجرد أن عاد إلى الشرق الأوسط، ساند الحسيني مسـاعي إعـادة بعـض الجنـود المسـلمين من الاتحـاد السـوفييتي، ممـن خدموا في الصفوف الألمانية وتمكَّنوا من تجنُّب الترحيل القسري إلى دول الشرق الأوسط[١٣]، واسـتقر بعضهـم فيـه بالفعـل. وبعـد الحـرب بسـنوات، أعـرب المفتـي عـن تقديره للمجنَّدين المسـلمين السـابقين لـدى ألمانيا، فأثنى في مذكراته علـى «المجنَّدين في

(أ) يعني برلين الشرقية. (المترجم)

بلاد المحور من عرب وبوشناق وأذَر وغيرهم»، ممن كانوا «على استعداد لقتال دول الاستعمار»[١٤]، وزعم أيضًا أن العديد من مجنَّدي الأقاليم الشرقية كانوا «يتحرَّقون شوقًا إلى الجهاد في أراضي فلسطين المقدسة»، تمامًا كجنود البلقان الذين «كانوا يتحرَّقون شوقًا إلى الجهاد في فلسطين»[١٥]. وبالفعل، قاتل بعض مجنَّدي الخنجر السابقين في حرب عام ١٩٤٨، وذكرهم المفتي في مذكراته بوصفهم «شهداء» و«جرحى أبطال»[١٦]. وفي عام ١٩٤٧، نشر سيمون ڤيزنتال (Simon Wiesenthal) وموريس پيرلمان (Maurice Pearlman) كتبًا تكشف تفاصيل تعاون الحسيني مع النازيين[١٧]. لم يتبوأ المفتي تلك المكانة الرفيعة التي شغَلها قبل الحرب في الشرق الأوسط ثانيةً، لا لمجردِ أنه فقد مصداقيته بسبب أنشطته في أثناء الحرب، بل لأنه مثَّل الماضي. ومع ذلك، ظل في ألمانيا من يثمِّنه بوصفه شريكًا؛ فقد نشرت **مجلَّة الجيوپوليتيك** في عددها الصادر في ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٥١ حوارًا مع الحسيني حول العلاقات الألمانية العربية[١٨]. وظلَّت وزارة الخارجية على تواصل معه. وفي أوائل الخمسينيات، لم يكن هناك من يحاول التعاون مع المفتي مرةً أخرى إلَّا هينتغ، الذي كان قد عاد ساعتها إلى الخدمة الدپلوماسية[١٩].

وكذلك كان مفتي ڤيلنيوس يعقوب شينكيبتش من بين الفارِّين؛ إذ انتقل إلى ناومبورغ (Naumburg) بُعيد إخلاء مدرسة الملالي التابعة لوحدات الحماية، وتمكَّن في النهاية من المغادرة إلى القاهرة[٢٠]. أما عالم چان إدريس، الذي شهد نهاية الحرب في باڤاريا، فقد ظل في ميونخ[٢١]. لقد استجلب هتلر إلى ألمانيا عددًا من المسلمين أكبر من أي وقت مضى، وظل بعضهم هناك بعد الحرب؛ إذ اعتُقل العديد من الجنود المسلمين، ولاجئي الاتحاد السوڤييتي الفارِّين من الترحيل، في معسكرات للأجانب في ليمبورغ (Limburg) أو ميتِّنڤالد (Mittenwald) في جنوب ألمانيا، وفي ميونخ، شكَّل هؤلاء المسلمون أخيرًا أول مجتمع إسلامي في ألمانيا بعد الحرب[٢٢]، وكان زعماؤه في الواقع، هم رفاق عالِم جان إدريس القدامى زمن الحرب؛ حيث أسَّس بعض مسلمي ميونخ، في عام ١٩٥٣، أول منظمة إسلامية في الجمهورية الفيدرالية، سُميت الجمعية الدينية الإسلامية (*Religiöse Gemeinschaft Islam*)، وكان على

رأسها إبراهيم جاكا أوغلو (Ibrahim Gacaoglu)، أحد أئمة القوات المسلَّحة السابقين، وسرعان ما تبعتها غريمتها الإدارة الروحية للاجئين المسلمين في الجمهورية الفيدرالية الألمانية (Geistliche Verwaltung der uslimfl üchtlinge in der Bundesrepublik Deutschland)، والتي كان على رأسها نور الدين نمنقاني الإمام الأكبر السابق لفرقة وحدات الحماية الإسلامية الشرقية. تلقَّت هذه الجماعات دعمًا رسميًّا كبيرًا، وذلك لأهميتها السياسية؛ ففي حين موَّلت دولة ألمانيا الغربية نمنقاني، ودعَمه معهد منده ووزارة اللاجئين، وعلى رأسها أوبرلندر، كانت الولايات المتحدة تموِّل جماعة جاكا أوغلو.

في الحقيقة، تصاعدت وتيرة اهتمام المسئولين الأمريكيين تدريجيًّا بالمحاربين المسلمين السابقين(٢٣)؛ إذ لمَّا رأت واشنطن، في بواكير الحرب الباردة، أن المسلمين عند موسكو أدوات لزعزعة استقرار الاتحاد السوڤييتي، بدا المتعاونون المسلمون السابقون مع ألمانيا شركاءَ مثاليين، وسرعان ما عمِل بعضهم في خدمة أجهزة الاستخبارات الأمريكية، ثم عمل العديد منهم بعد ذلك لحساب إذاعة الحرية (Radio Liberty) في ميونخ، حيث شاركوا، مرةً أخرى، في البروپاغندا الإسلامية الموجَّهة ضد موسكو، وكان من بين الموظفين المسلمين لدى الأجهزة الأمريكية كلٌّ من سعيد شامل، ويديج قريمال، وعبد [الرحمن] فتالي بك الذي اغتاله جهاز الاستخبارات السوڤييتي (KGB) في منزل بميونخ، بالإضافة إلى العديد من الآخرين الذين خدموا الألمان في سنوات الحرب(٢٤). وقد أُرسل بعضهم إلى الخارج في مهامَّ استخباراتية ودعائية؛ ففي أثناء موسم الحج في عام ١٩٥٤، على سبيل المثال، أُرسل روزي نزار (Rusi Nasar)[أ] وحامد رشيد (Hamid Rashid)، وهما اثنان من الجنود المسلمين السابقين لدى ألمانيا الذين عملوا آنذاك في خدمة واشنطن، إلى مكة، حيث نشروا البروپاغندا المناهِضة للشيوعية بين السوڤييت والحجَّاج الآخرين. لكن سرعان ما لحَظ المسئولون الأمريكيون مشكلة تلوُّث جميع هذه الشخصيات

(أ) كذا أثبت المؤلف اسمه في الأصل الإنكليزي، والصواب أن يكون (Nazar). وهو قومي أوزبكي قضى فترة طويلة من حياته عميلًا للاستخبارات الأمريكية. (المترجم)

بماضيها النازي، وافتقارها غالبًا إلى تعليم ديني ملائم؛ ولذلك، بدأت السُّلطات الأمريكية في التحول عنهم والتعاون مع مسلمين أكثر مصداقية وأكثر أصولية، وكان أبرز هؤلاء سعيد رمضان الشهير، تلميذ البنَّا (وصهره)، وزعيم جماعة الإخوان المسلمين في أوروبا الغربية، التي كان مقرُّها في ميونخ.

ولا ريب أن التفاعل الأمريكي مع جنود ألمانيا المسلمين السابقين كان جزءًا من إستراتيجية حرب باردة أشمل. فمع تطور الحرب الباردة، بدأ المسئولون في واشنطن ينظرون إلى الممرِّ الإسلامي بين شمال إفريقيا وشرق آسيا بوصفه «حزامًا أخضرَ ضد الشيوعية». وفي أثناء الحرب العالمية الثانية، تنبأ ضابط الاستخبارات الأمريكي الأسطوري أرشيبالد روزفلت الابن (Archibald Roosevelt Jr)، قائلًا: «سيصبح المسلمون، في مستقبل ما بعد الحرب، عاملًا ذا قوة متزايدة في السياسة العالمية»، مشدِّدًا على أنه «في حالة أي حرب مستقبلية، قد تجد الولايات المتحدة، بوصفها صديقة للمسلمين، دعمًا لا يقدَّر بثمن في هذه الأقاليم المهمَّة إستراتيجيًّا»[٢٥]. وسرعان ما عُدَّ الإسلام عاملًا محوريًّا في المعركة ضد الشيوعية في الحرب الباردة العالمية؛ حيث مال الدبلوماسيون الأمريكيون بعد تقسيم الهند إلى باكستان؛ لأنهم رأوا أن دولة إسلامية ستكون أشدَّ عزمًا على محارَبة الشيوعية[٢٦]. وفي الخمسينيات، بذلت إدارة أيزنهاور (Eisenhower) أقصى ما في وسعها لاستخدام السعودية، لتكون قوة دينية موازنة بوضوح لنظام عبد الناصر اللامنحاز العلماني العروبي في مصر[٢٧]. وفي جميع أنحاء العالم، شرعت واشنطن في دعم الجماعات والپروپاغندا السياسية الإسلامية، ووصل ذلك إلى ذروته في الثمانينيات من خلال دعم **المجاهدين** ضد السوڤييت في أفغانستان[٢٨]، وهناك لم تقتصر واشنطن على توزيع الأسلحة فحسب، بل نشرت أيضًا پروپاغندا تنادي بالجهاد؛ ففي أوائل عام ١٩٨٠، وبعد أسابيع قليلة من الغزو السوڤييتي، حضَّ زبغنيو بريچنسكي (Zbigniew Brzezinski)، مستشار الأمن القومي للرئيس كارتر (Carter)، بنفسه **المجاهدين** الأفغان على الحدود الجبلية بين أفغانستان وباكستان على مواجهة الملاحدة السوڤييت: «تلك الأرض أرضكم، وستعودون إليها يومًا ما؛ لأنكم ستنتصرون في هذه الحرب وستسترجعون

بيوتكم ومساجدكم؛ لأنكم أصحاب الحقّ، والله معكم»[٢٩]. لقد خبرت موسكو الإسلام بوصفه كعب أخيل بالنسبة لها منذ أن وصل البلاشفة إلى السُّلطة وبدأوا تدريجيًا في تطبيق سياساتهم الدينية على المسلمين في القوقاز ووسط آسيا وغيرها[٣٠]، لكن في النهاية، أسهم الجهاد المدعوم أمريكيًا في أفغانستان إسهامًا بارزًا في انهيار الاتحاد السوفييتي والكتلة الشرقية، وظلَّ الإسلام أداة في السياسة الخارجية والحرب، بالنسبة للولايات المتحدة، حتى بعد انتهاء الحرب الباردة[٣١].

لقد اضطلع الإسلام بدور بارز في سياسات القوى العظمى غير المسلمة وإستراتيجياتها، طيلة العصر الحديث، منذ الحقبة الإمبريالية وحتى الحرب الباردة وما بعدها. فعندما تحلُّ القوى غير المسلمة في مناطق مسلمة، يدرك واضعو إستراتيجياتهم وضباطهم وصنَّاع السياسة لديهم أن للإسلام صلةً كبيرة بسياساتهم. ولم يقتصر الأمر على مراعاتهم لـ «المشاعر الإسلامية»، بل سعوا بنشاط لتوظيف الإسلام؛ إما للسيطرة على المسلمين وتسكينهم، أو لتعبئتهم ضد الأعداء. وتعكس هذه السياسات مجموعة من التصورات التي تُلهم (غير المسلمين) من السياسيين والإستراتيجيين وضباط الجيوش وأعضاء الجهاز الإداري؛ إذ كانت الهويَّة الدينية مقولة لها وزنها، وكان من المفهوم أن الإسلام دينٌ منظَّم يمكن دراسته وفهمه. وبدا كذلك أن المجتمعات المسلمة يحكمها نظامٌ متماسك من القواعد والقيم والمعايير والأعراف. وبدا أن الإسلام يوفِّر نظامًا قانونيًا دينيًا شاملًا يمكن للسُّلطات غير المسلمة تفكيكه واستغلاله لصالح أهداف سياسية. وكذلك، بدت الفروض الإسلامية، التي يتبعها المسلمون في الظاهر والتي يُتصور أنها واضحة المعالم؛ إطارًا مثاليًا يمكن من خلاله إضفاء الشرعية على السُّلطة. وفي الواقع، بدت السياسة الدينية السبيل الوحيد للسيطرة على المسلمين وتعبئتهم؛ لأن المسلم المخلص، من منظور المسئولين غير المسلمين، لا يعترف إلَّا بشرعية سُلطة واحدة، ألا وهي الإسلام.

ويمكن النظر إلى المحاولات الألمانية لتوظيف الإسلام في أثناء الحرب العالمية الثانية بوصفها حلقة من حلقات القصة التاريخية الطويلة للتوظيف الإستراتيجي للإسلام على يد القوى الكبرى (غير المسلمة) في العصر الحديث، وربما كانت

السياسة الألمانية أحد أقصر الحملات عُمرًا وأشدَّها ارتجالًا، مقارنة بالحملات الأخرى للتعبئة الإسلامية. لكنها -من ناحية الكثافة والجغرافيا- إحدى أنشط محاولات تسييس الإسلام وتوظيفه في التاريخ الحديث.

ملحوظة حول المصادر

يستند هذا الكتاب إلى ثروة من المصادر الأرشيفية، من بينها أوراقٌ ومذكِّرات سياسات، وتقارير وأدلة عسكرية، وكُتيِّبات دعائية، وتسجيلات مراقبة إذاعية، وخطب، ورسائل بريد ميدانية، ومذكرات، ومضابط محاكمات نورمبرغ، والتماسات، والعديد من الأوامر العسكرية؛ ونظرًا لأن الدراسة لا تحتوي على قائمة مصادر ومراجع، فقد يجد القراء في الحصول على قائمة سجلّات المحفوظات التي عُدنا إليها شيئًا من الإفادة.

أكثر الوثائق التي اعتمدنا عليها في هذا العمل محفوظةٌ في دُور المحفوظات الألمانية، وأهمها دار المحفوظات الفيدرالية الألمانية (*Bundesarchiv*) في ليشترفيلد برلين (*BAB*)، ودار المحفوظات الفيدرالية الألمانية في كوبلنز (BAK)، والمحفوظات السياسية لوزارة الخارجية الألمانية في برلين (PA)، ودار المحفوظات العسكرية الفيدرالية الألمانية في فرايبورغ (BA–MA)، ومحفوظات المفوضية الفيدرالية لوثائق ستاسي في برلين (BStU). وكذلك عُدنا إلى دُور محفوظات أصغر حجمًا، من بينها: محفوظات الإذاعة الألمانية في فرانكفورت (DRA)، ومحفوظات معهد التاريخ المعاصر في ميونخ (IfZ). وكذلك دُور محفوظات محلية، منها: دار محفوظات برلين الحكومية (LArchB)، ودار محفوظات شتوتغارت الحكومية العامة في شتوتغارت (LArchBWSt). ومحفوظات أخرى خاصة، منها: محفوظات أوپّنهايم المنزلية في كولونيا (OA)، ومحفوظات عائلة أوبرلندر في بون (FAO).

وكذلك، اعتمدت الدراسة على مصادر محفوظة في دُور محفوظات غير ألمانية، منهـا: دار المحفوظـات القوميـة البريطانيـة فـي مدينـة كيـو (NA)، ودار محفوظات متحـف الحرب الإمبراطـوري بلندن (IWM)، ودار المحفوظـات الوطنية الأمريكية فـي ميريلانـد (USNA)، ومحفوظـات مركـز دراسـات الهولوكوسـت المتقدمـة في واشـنطن العاصمـة (USHMA)، ودار محفوظـات مدينـة ڤيينـا (WstLArch)، ودار المحفوظات العسـكرية المركزية التشـيكية في براغ (VÚA)، والمحفوظات الوطنية في جمهورية التشـيك (وصلت إليها عبر مكتبة مركز الدراسـات الشرقية الحديثة في برليـن (ZMO) ، والمحفوظـات العسـكرية للدولـة الروسـية فـي موسـكو (RGVA) (وصلـت إليها عبر USHMA)، والمحفوظات الحكوميـة التاريخية اللاتفية في ريغا (LVVA) (وصلت إليها عبر USHMA)، والمحفوظات القومية بالقِرم في سيمفروپول (DAARK)، ودار محفوظـات دولـة ألبانيـا المركزية الحكومية فـي تيرانا (AQSH)، ودار المحفوظات القومية الإيرانية في طهران (SAMI).

وأخيـرًا، نجـد بعض الوثائق الرئيسـة المسـتخدمة هنـا محفوظةً فـي مجموعات أرشيفية في المكتبات، وأبرزها المكتبة الألمانية الوطنية في لَيْپسِك (DNB)، ومكتبة برلين الحكومية في برلين (SBB)، ومكتبة مركز الدراسات الشرقية الحديثة في برلين (ZMO)، ومكتبـة زغرب الوطنية والجامعية بزغرب (NSK)، ومكتبة مسـجد الغازي خسرو بك في سرايڤو (GHB).

ومن بين الجرائد والمجلّات التي عُدنا إليها:

Völkischer Beobachter, Deutsche Allgemeine Zeitung, Frankfurter Zeitung, National-Zeitung, Illustrierter Beobachter, Deutsche Rundschau Leipzig, Berliner Illustrierte Nachtausgabe, Das 12 Uhr Blatt: Neue Berliner Zeitung, Westdeutsche Zeitung, Rheinisch-Westfälische Zeitung, Brünner Tagblatt, Brünner Abendblatt, Donau-Zeitung, Signal, Krakauer Zeitung, Deutsche Zeitung im Ostland, Wiener Illustrierte, Freie Innerschweiz, Daily Telegraph,

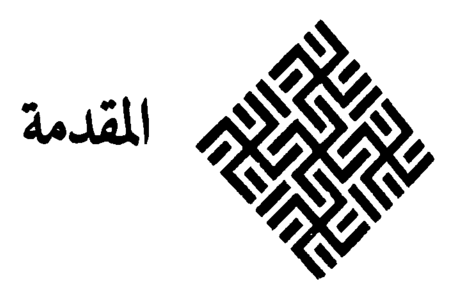
New York Times, Christian Science Monitor, Le Temps, Le Petit Parisien, Le Petit Marseillais, La Gazette de Lausanne, La Bourse Egyptienne, Shanghai Times,

ومجلّة المنار.

أخيرًا، يعتمد هذا الكتاب على عدد لا حَصر له من مصادر أساسية منشورة أخرى، ومقالات وكتب معاصرة، ومذكِّرات. والمذكِّرات، على ثرائها، تُكتَب بطبيعتها بعد فترة من وقوع الحوادث، وتتأثَّر عادةً بطموح مؤلِّفيها لحجز مقعد في التاريخ لأنفسهم، والنأي بأنفسهم في بعض الأحيان عن جرائم الحرب؛ ولكل ذلك تعاملنا مع المذكرات بحذر شديد.

وانتهجنا سبيل الحذر نفسه مع الصور؛ إذ إن العديد من الصور المنشورة في هذا الكتاب أُنتِجت في الأصل بهدف البروپاغندا، ويتوجَّب علينا أن نضع ذلك نُصب أعيننا، رغم كلِّ ما قد توفِّره من معلومات تاريخية. والصور المستخدَمة في هذا الكتاب متوفرة في دار المحفوظات الفيدرالية الألمانية، ودار محفوظات الصور بأولشتاين (Ullstein Bild)، ودار محفوظات صور التراث البروسي ببرلين (KPB :ztisebrutluK rehcsißuerP vihcradliB)، وسجِلِّ محفوظات نُصب المحرَقة التذكاري بباريس (Archives du Mémorial de la Shoah: MS)، ودار المحفوظات الرقمية البولندية القومية بوارسو (Narodowe Archiwum Cyfrowe: NAC)، وسجِلِّ محفوظات المتحف التاريخي الكرواتي بزغرب (Hrvatski Povijesni Muzej: HPM)، ومكتبة مسجد الغازي خسرو بك، ودار محفوظات متحف البوسنة والهرسك التاريخي بسراييڤو (Historijski Muzej Bosne i Hercegovine: HMBH).

الحواشي



المقدمة

(1) Mark Mazower, *Hitler's Empire: Nazi Rule in Occupied Europe* (London, 2008), esp. 454–460.

(2) Paul Kluke, "Nationalsozialistische Europaideologie," *Vierteljahreshefte für Zeitgeschichte* 3, 3 (1955), 240–275, 270.

(٣) لمقالة عن حملة ألمانيا المناهِضة للإمبريالية، انظر:
David Motadel, "Anticolonial Nationalists and Germany's War for a New World Order, 1941–1945," in Nikolaus Wachsmann and Jan Rüger (eds.), *Essays in German History* (London, forthcoming).

(٤) كما كانت الحال مع تصوراتهم عن الأديان الأخرى؛ إذ عدُّوها أديانًا عالمية، مثل مفاهيم «عالم اليهودية» أو «عالم الكاثوليكية»، والتي كانت مشبَّعةً بمجموعة معيَّنة من المعاني.

(٥) صوَّر كليفورد غيرتز (Clifford Geertz) في كتابه:
Islam Observed: Religious Development in Morocco and Indonesia (New Haven, CT, 1968)

التنوُّع الثقافي الذي يتسم به العالم الإسلامي. وكان ما قدَّمه إرنست غيلنر في كتابه:
Muslim Society (Cambridge, 1981)[أ]

من النقاشات الأخرى التي تناولت عدم تجانس الإسلام؛ عالميًا وفي المجتمعات ذات الغالبية المسلمة، وكذلك:
Aziz Al-Azmeh, *Islams and Modernities* (London, 1993); Dale Eikelman and James Piscatori, *Muslim Politics* (Oxford, 1996).

وعن نشوء التصورات الحديثة عن «العالم الإسلامي» بين المسلمين وغير المسلمين، انظر:
Cemil Aydin, "Globalizing the Intellectual History of the Idea of the 'Muslim World,' " in Samuel Moyn and Andrew Sartori (eds.), *Global Intellectual History* (New York, 2013), 159–186.

(أ) نُقل إلى العربية، وصدر بعنوان: مجتمع مسلم، (بيروت: المدار الإسلامي، ٢٠٠٧). (المترجم)

وتتبنّى هـذه الدراسـة تعريفًـا أوليًـا لمفهـوم «العالـم الإسـلامي» أو «العالـم المسـلم» يشـير إلى الأراضـي التـي قطنهـا المسـلمون؛ إما أغلبيـةً أو أقليـةً معتبرة، دون أية إشـارة إلـى التجانس أو الوحدة أو نسبة أية سماتٍ عامة.

(٦) ستتابع إحالاتٌ إلى هذه الأدبيات في فصول هذا الكتاب. ومن بين أشهر الدراسات عن الشرق الأوسط دراسة:

Bernd Philipp Schröder, *Deutschland und der Mittlere Osten im Zweiten Weltkrieg* (Göttingen, 1975);

وعن العالم العربي بشكل أخص:

Heinz Tillmann, *Deutschlands Araberpolitik im Zweiten Weltkrieg* (East Berlin, 1965), and Łukasz Hirszowicz, *The Third Reich and the Arab East* (London, 1966); and Jeffrey Herf, *Nazi Propaganda to the Arab World* (New Haven, CT, 2009);

وعن البلقان:

Jozo Tomasevich, *War and Revolution in Yugoslavia, 1941– 1945: Occupation and Collaboration* (Stanford, CA, 2001); Enver Redžić, *Bosnia and Herzegovina in the Second World War* (New York, 2005); Marko Attila Hoare, *Genocide and Resistance in Hitler's Bosnia: The Partisans and the Chetniks, 1941–1943* (Oxford, 2006); Marko Attila Hoare, *The Bosnian Muslims in the Second World War: A History* (London, 2013);

وعن الحدود السوڤييتية:

Patrik von zur Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern: Der Nationalismus der sowjetischen Orientvölker im Zweiten Weltkrieg* (Düsseldorf, 1971); Alex Alexiev, *Soviet Nationalities in German Wartime Strategy, 1941–1945* (Santa Monica, CA, 1982) و Andrej Angrick, *Besatzungspolitik und Massenmord: Die Einsatzgruppe D in der Südlichen Sowjetunion 1941–1943* (Hamburg, 2003);

وعن القِرم بشكل خاص، انظر:

Michel Luther, "Die Krim unter deutscher Besatzung im Zweiten Weltkrieg," *Forschungen zur osteuropäischen Geschichte* 3 (1956), 28–98 و Norbert Kunz, *Die Krim unter deutscher Herrschaft 1941 1944: Germanisierungsutopie und Besatzungsrealität* (Darmstadt, 2005);

وعن القوقاز:

Joachim Hoffmann, *Kaukasien 1942/43: Das deutsche Heer und Orientvoelker der Sowjetunion* (Freiburg, 1991) and Joachim Hoffmann, *Die Ostlegionen 1941–1943: Turkotataren, Kaukasier und Wolgafi nnen im deutschen Heer* (Freiburg, 1976)

(٧) يرجع الاهتمام بتعاون المفتي مع النازية إلى فترة تورطه نفسـها، ومن أبرز الدراسـات حول هذا الموضوع:

Joseph B. Schechtman, *The Mufti and the Fuehrer: The Rise and Fall of Haj Amin*

el-Husseini (London, 1965); Jennie Lebel, *The Mufti of Jerusalem: Haj-Amin el-Husseini and National-Socialism* (Belgrade, 2007); and Klaus Gensicke, *The Mufti of Jerusalem and the Nazis: The Berlin Years, 1941–1945* (London, 2011);

وتقدّم الدراسة التالية عرضًا موجزًا:
Anthony R. de Luca, " 'Der Großmufti' in Berlin: The Politics of Collaboration," *International Journal of Middle East Studies* 10, 1 (1979), 125–138

ولسيرة ذاتية شاملة، انظر:
Zvi Elpeleg, *The Grand Mufti: Haj Amin al-Hussaini: Founder of the Palestinian National Movement* (London, 1993).

ولعرضٍ للأدبيات الواسعة المكتوبة عن الحسيني، انظر:
Gerhard Höpp, "Der Gefangene im Dreieck: Zum Bild Amin al-Husseinis in Wissenschaft und Publizistik seit 1941: Ein Bio-Bibliographischer Abriß," in Rainer Zimmer-Winkel (ed.), *Eine umstrittene Figur: Hadj Amin al-Husseini, Mufti von Jerusalem* (Trier, 1999), 5–23.

(٨) فقد أشار
Gerhard Höpp, "Der Koran als 'Geheime Reichssache': Bruchstücke deutscher Islampolitik zwischen 1938 und 1945," in Holger Preißler and Hubert Seiwert (eds.), *Gnosisforschung und Religionsgeschichte: Festschrift für Kurt Rudolph zum 65. Geburtstag* (Marburg, 1994), 435–446

إلى جوانب تفاعل ألمانيا مع الإسلام في أثناء الحرب، وكذلك فعلت وبشكل أكثر تفصيلًا دراسة
Volker Koop, *Hitler's Muslime: Die Geschichte einer unheiligen Allianz* (Berlin, 2012).

(٩) نجد عرضًا لحالة الجماعات المسيحية في مناطق الحرب وتحت الاحتلال الألماني في:
Xavier de Montclos, *Les chrétiens face au nazisme et au stalinisme: L'épreuve totalitaire 1939–1945* (Paris, 1983);

وكذلك في إسهامات الجزء الأول من:
Karl-Joseph Hummel and Christoph Kösters (eds.), *Kirchen im Krieg: Europa 1939–1945* (Paderborn, 2007); and in Lieve Gevers and Jan Bank (eds.), *Religion under Siege*, vol. 1 (*The Roman Catholic Church in Occupied Europe* [*1939- 1950*]),

ويحتوي الجزء الثاني
(*Protestant, Orthodox and Muslim Communities in Occupied Europe* [*1939- 1950*]) (Leuven, 2007)

على فصلٍ واحدٍ عن المسلمين في دولة الأوستاشا الكرواتية. ومن أجمع الدراسات عن سياسات ألمانيا المرعبة تجاه اليهود:
Gerald Reitlinger, *The Final Solution: The Attempt to Exterminate the Jews of Europe,*

1939–1945 (New York, 1953); Raul Hilberg, *The Destruction of the European Jews* (London, 1961); and Saul Friedländer, *Nazi Germany and the Jews*, vol. 1 (*The Years of Persecution*); vol. 2 (*The Years of Extermination*) (New York, 1997–2007).

(١٠) انظر:

John L. Wright, "Mussolini, Libya, and the Sword of Islam," in Ruth Ben-Ghiat and Mia Fuller (eds.), *Italian Colonialism* (New York, 2005), 121–130, 123–125;

وبشكل أكثر عمومية في:

Manuela A. Williams, *Mussolini's Propaganda Abroad: Subversion in the Mediterranean and the Middle East, 1935–1940* (London, 2006), esp. 205; and Nir Arielli, *Fascist Italy and the Middle East, 1933–40* (New York, 2010), esp. 1 and 97–98.

(11) *Die Tagebücher von Joseph Goebbels*, ed. Elke Fröhlich et al, part I (9 vols.), part II (15 vols.), and part III (3 vols.) (Munich, 1993–2008), part I, vol. 4, 50–51 (14 March 1937), 50. Bernd Sösemann, "Propaganda—Macht—Geschichte: Eine Zwischenbilanz der Dokumentation der Niederschriften und Diktate von Joseph Goebbels," *Das Historische Buch* 50, 2 (2002), 117–125

يقدّم ذلك تقييمًا لإمكانية عدّ يوميات غوبلز ذات قيمة تاريخية وإشكاليات ذلك.

(١٢) عن احتلال الهند الشرقية الهولندية، انظر:

Harry J. Benda, *The Crescent and the Rising Sun: Indonesian Islam under the Japanese Occupation, 1942–1945* (The Hague, 1958, Abu Talib Ahmad, *Malay Muslims, Islam and the Rising Sun 1941–1945* (Selangor, 2003);

بالإضافة إلى

Abu Talib Ahmad, "Research on Islam and Malay-Muslims during the Japanese Occupation of Malaya, 1942-45," *Asian Research Trends* 9 (1999), 81–119, and Abu Talib Ahmad, "Japanese Policy towards Islam in Malaya during the Occupation: A Reassessment," *Journal of Southeast Asian Studies* 33, 1 (2002), 107-122;

ولإيجاز حول احتلال شبه جزيرة الملايو، انظر:

Yoji Akashi, "Japanese Military Administration in Malaya: Its Formation and Evolution with Reference to the Sultans, the Islamic Religion and Malay-Muslims, 1941 45," *Asian Studies (University of the Philippines)* 7, 1 (1969), 81 110;

ويقدّم:

Yoichi Itagaki and Koichi Kishi, "Japanese Islamic Policy Sumatra/Malaya," *Intisari* 2, 2 (1966), 11 23

صورةً أكثر عمومية. ويقدّم:

Selçuk Esenbel, "Japan's Global Claim to Asia and the World of Islam: Transnational Nationalism and World Power, 1900 1945," *American Historical Review* 109, 4 (2004), 1140–1170

عرضًا للأصول البعيدة لسياسة اليابان تجاه الإسلام.

(13) Anonymous, "Japan Muslims Confident of Nippon Victory: 94-Year-Old Patriarch of Tokyo Mosque Visions Emancipation of Millions from Servitude," *Shanghai Times* (14 June 1942)..

وعن عبد الرشيد إبراهيم، انظر:

Komatsu Hisao, "Muslim Intellectuals and Japan: A Pan-Islamist Mediator, Abdurreshid Ibrahim," in Stéphanie A. Dudoignon, Komatsu Hisao, and Kosugi Yasushi (eds.), *Intellectuals in the Modern Islamic World* (London, 2006), 273–288.

(14) Winston S. Churchill, *The Story of the Malakand Field Force: An Episode of Frontier War* (London, 1898); and Winston S. Churchill, *The River War: A Historical Account of the Reconquest of the Soudan* (London, 1899).

(١٥) نقل

Winston S. Churchill, *The Second World War,* 6 vols. (London, 1948–1954), vol. 4 (*The*) *Hinge of Fate*), 185–186

رسالة من تشرشل إلى روزفلت بتاريخ الرابع من مارس/ آذار عام ١٩٤٢.

(١٦) يفحص الفصل الثالث بشكل أقرب السياسات البريطانية تجاه الإسلام في أثناء الحرب.

(17) Humayun Ansari, *The Infi del Within: Muslims in Britain since 1800* (London, 2004), 134 and 342 (East London Mosque), and 134 and 341 (London Central Mosque);

وللتفصيل فيما يخص مسجد لندن المركزي، انظر:

A. L. Tibawi, "History of the London Central Mosque and the Islamic Cultural Centre 1910–1980," *Die Welt des Islams* 21, 1–4 (1981), 193–208.

(18) R. H. Markham, "Islam: Pathway to Mastery of the Middle East," *Christian Science Monitor* (16 November 1940).;

وبعد شهور قليلة، أكَّد قرّاء مقال

G. H. Archambault, "Moslem Influence Held with Britain: Islam's Opposition to Axis Is Seen as Vital Factor in North African Events," *New York Times* (8 February 1941)

«معارضة الإسلام لدول المحور».

(١٩) يقدِّم الفصل الثالث تقييمًا أكثر تفصيلًا للسياسات الأمريكية تجاه الإسلام في أثناء الحرب.

(٢٠) يقدِّم الفصل الرابع صورةً أكثر تفصيلًا عن السياسات السوفييتية تجاه الإسلام في أثناء الحرب.

(٢١) انظر:

Orlando Figes, Crimea (London, 2010),

في أكثر من موضع من الكتاب. ولمخاوف القَيصر من الإسلام وردود أفعاله، انظر:

Mara Kozelsky, "Casualties of Conflict: Crimean Tatars during the Crimean War," *Slavic Review* 67, 4 (2008), 862–891

(٢٢) نجد عروضًا أساسية للحملة الإسلامية في الحرب العالمية الأولى في:

Herbert Landolin Müller, *Islam, Gihâd ("Heiliger Krieg") und Deutsches Reich: Ein*

Nachspiel zur wilhelminischen Weltpolitik im Maghreb 1914–1918 (Frankfurt, 1992); Peter Hopkirk, *On Secret Service East of Constantinople: The Plot to Bring Down the British Empire* (London, 1994); Donald M. McKale, *War by Revolution: Germany and Great Britain in the Middle East in the Era of World War I* (Kent, OH, 1998); Tilman Lüdke, *Jihad Made in Germany: Ottoman and German Propaganda and Intelligence Operations in the First World War* (Münster, 2005); Salvador Oberhaus, *"Zum wilden Aufstande entflammen:" Die deutsche Propagandastrategie für den Orient im Ersten Weltkrieg am Beispiel Ägypten* (Saarbrücken, 2007); and Sean McMeekin, *The Berlin-Baghdad Express: The Ottoman Empire and Germany's Bid for World Power, 1898–1918* (London, 2010).

(٢٣) مقتبسةٌ من:

Fritz Fischer, *Germany's Aims in the First World War* (New York, 1967), 121.

(24) William L. Cleveland, "The Role of Islam as Political Ideology in the First World War," in Edward Ingram (ed.), *National and International Politics in the Middle East: Essays in Honour of Elie Kedourie* (London, 1986), 84–101

(25) Dwight E. Lee, "The Origins of Pan-Islamism," *American Historical Review* 47, 2 (1942), 278–287, 286

(٢٦) انظر:

Matthew F. Jacobs, "The Perils and Promises of Islam: The United States and the Muslim Middle East in the Early Cold War," *Diplomatic History* 30, 4 (2006), 705– 739;

ومثله:

Matthew F. Jacobs, *Imagining the Middle East: The Building of an American Foreign Policy, 1918–1967* (Chapel Hill, NC, 2011), 55–94;

وعن أواخر الحرب الباردة انظر:

Steve Coll, *Ghost Wars: The Secret History of the CIA, Afghanistan, and Bin Laden, from the Soviet Invasion to September 10, 2001* (London, 2004)

(٢٧) للعروض الأكثر أهميةً، انظر المصادر الواردة في الحاشية رقم (٢٢).

(28) Fischer, *Germany's Aims in the First World War,* 120–131; Hew Strachan, *The First World War* (London, 2003), 95–123; and David Stevenson, *1914–1918: The History of the First World War* (London, 2004), 115 and 125.

(29) Jacob M. Landau, *The Politics of Pan-Islam: Ideology and Organization* (Oxford, 1990), 105–142; Martin S. Kramer, *Islam Assembled: The Advent of the Muslim Congresses* (New York, 1986), 55–68; Rudolph Peters, *Jihad in Classical and Modern Islam* (Princeton, NJ, 2005)[أ], 55–57; and Cemil Aydin, *The Politics of Anti-*

(أ) نُقل إلى العربية، وصدر بعنوان: **الجهاد في الإسلام قديمًا وحديثًا**، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٨). (المترجم)

Westernism in Asia: Visions of World Order in Pan-Islamic and Pan-Asian Thought (New York, 2007), 106–111.

(٣٠) ويعدُّ كتاب

Marshall G. S. Hodgson, *The Venture of Islam: Conscience and History in a World Civilization,* 3 vols. (Chicago, 1974), vol. 3, 414–415

استثناءً لافتًا.

(31) Landau, *Politics of Pan-Islam,* 248.

ففي حين يتناول لانداو (Landau) التعبئة الإسلامية في الحرب العالمية الأولى بشكل مفصَّل (١٤٢-٧٣)، لم يغطِّ الحرب العالمية الثانية إلَّا باختصار (٢٤٥-٢٤٧).

(32) Eric D. Weitz, "From Vienna to the Paris System: International Politics and the Entangled Histories of Human Rights, Forced Deportations, and Civilizing Missions," *American Historical Review* 113, 5 (2008), 1313–1343, esp. 1314–1315.

(٣٣) يقدِّم كتاب

Michael A. Reynolds, *Shattering Empires: The Clash and Collapse of the Ottoman and Russian Empires, 1908–1918* (Cambridge, 2011)

دراسة حالة ممتازة للموقع الجيوسياسي للجماعات الإثنية في صراعات القوى الكبرى. ومن الدراسات المهمَّة أيضًا عن الموضوع:

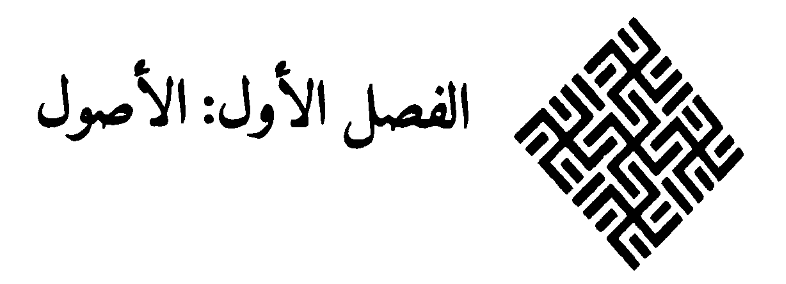
Seppo Zetterberg, *Die Liga der Fremdvölker Russlands 1916–1918: Ein Beitrag zu Deutschlands antirussischem Propagandakrieg unter den Fremdvölkern Russlands im Ersten Weltkrieg* (Helsinki, 1978); Reinhard R. Doerries, *Prelude to the Easter Rising: Sir Roger Casement in Imperial Germany* (London, 2000), 1–31;

ونناقش في الفصل الأول الأعمال المتعلقة بالثورة العربية.

(٣٤) ومن الدراسات اللافتة عن وضع الجماعات اليهودية في سياسة القوى الكبرى، انظر:

Egmont Zechlin, *Die deutsche Politik und die Juden im Ersten Weltkrieg* (Göttingen, 1969); Isaiah Friedman, *Germany, Turkey, and Zionism 1914–1918* (Oxford, 1977); Carole Fink, *Defending the Rights of Others: The Great Powers, the Jews, and International Minority Protection, 1878–1938* (Cambridge, 2004); and Abigail Green, "Intervening in the Jewish Question, 1840–1878," in Brendan Simms and D. J. B. Trim (eds.), *Humanitarian Intervention: A History* (Cambridge, 2011), 139–158.

***



الفصل الأول: الأصول

(1) Oppenheim, Memorandum, 25 July 1940, Berlin, Political Archives of the German Foreign Office (*Politisches Archiv des Auswärtigen Amts*), Berlin (PA), Nachlass Hentig, vol. 84;

أرسلت المذكّرة مرفقةً مع رسالة أوپّنهايم (Oppenheim) إلى هابيشت (Habicht) في الخامس والعشرين من يوليو/ تموز عام ١٩٤٠:

Berlin, PA, Nachlass Hentig, vol. 84.

وعن مذكّرة أوپّنهايم، انظر:

Wolfgang G. Schwanitz, "Max von Oppenheim und der Heilige Krieg: Zwei Denkschriften zur Revolutionierung islamischer Gebiete 1914 und 1940," *Sozial. Geschichte* 19 (2004), 79–102.

من أسفٍ أن أوپّنهايم كان من خلفية يهودية؛ إذ كان سليل عائلة المصرفي سولومون أوپّنهايم (Salomon Oppenheim)، لكن والده ألبرت (albert) تحول إلى الكاثوليكية؛ دين زوجته پاولا (Paula). وقد أفاد ماكس من صِلاته في النجاة من الحرب، ومن بين ما كُتِب عنه:

Wilhelm Treue, "Max Freiherr von Oppenheim: Der Archäologe und die Politik," *Historische Zeitschrift* 209, 1 (1969), 37–74; Robert L. Melka, "Max Freiherr von Oppenheim: Sixty Years of Scholarship and Political Intrigue in the Middle East," *Middle Eastern Studies* 9, 1 (1973), 81 93; Donald M. McKale, "'The Kaiser's Spy': Max von Oppenheim and the Anglo-German Rivalry before and during the First World War," *European History Quarterly* 27, 2 (1997), 199 219; Johannes Baumgartner, "Max von Oppenheim Lawrence of Arabia: Zwei Archäologen als politische Gegenspieler," *Antike Welt* 30 (1999), 411 415; Jan-Dirk Studt, "Max von Oppenheim und der Nahe Osten: Lebenstraum oder Politische Intrige?," *Asien, Afrika, Lateinamerika* 27 (1999), 137 157; Martin Kröger, "Max von Oppenheim: Mit Eifer ein Fremder im Auswärtigen Dienst," in Gabriele Teichmann and Gisela Völger (eds.), *Faszination Orient: Max von Oppenheim, Forscher, Sammler, Diplomat* (Cologne, 2001), 106 139; Gabriele Teichmann, "Fremder wider Willen:

Max von Oppenheim in der wilhelminischen Epoche," in Eckart Conze, Ulrich Schlie, and Harald Seubert (eds.), *Geschichte zwischen Wissenschaft und Politik: Festschrift für Michael Stürmer zum 65. Geburtstag* (Baden-Baden, 2003), 231–248; and Lionel Gossman, *The Passion of Max von Oppenheim: Archaeology and Intrigue in the Middle East from Wilhelm II to Hitler* (Cambridge, 2013).

(٢) نشر أوپّنهايم تجاربه في:
Max Freiherr von Oppenheim, *Vom Mittelmeer zum Persischen Golf durch den Hauran, die Syrische Wüste und Mesopotamien*, 2 vols. (Berlin, 1899–1900).

(٣) عن الإسلام في المستعمرات الألمانية في غرب إفريقيا وشرقها، انظر:
Holger Weiss, "German Images of Islam in West Africa," *Sudanic Africa* 11 (2000), 53–93; Michael Pesek, "Islam und Politik in Deutsch-Ostafrika," in Albert Wirz, Andreas Eckert, and Katrin Bromber (eds.), *Alles unter Kontrolle: Disziplinierungsverfahren im kolonialen Tanzania (1850–1960)* (Hamburg, 2003), 99–140; Michael Pesek, "Für Kaiser und Allah: Ostafrikas Muslime im Großen Krieg für die Zivilisation, 1914–1919," *Bulletin der Schweizerischen Gesellschaften Mittlerer Osten und Islamische Kulturen* 19 (2005), 9–18; and Rebekka Habermas, "Islam Debates around 1900: Colonies in Africa, Muslims in Berlin, and the Role of Missionaries and Orientalists," *Chloe: Beihefte zum Daphnis* 46 (2012), 123–154.

يناقش مقال:
Per Hassing, "Islam at the German Colonial Congresses," *Muslim World* 67, 3 (1977), 165–174

دور الإرساليات التبشيرية في السجالات الاستعمارية حول الإسلام. ويقارن مقال:
Holger Weiss, "European Images of Islam in the Northern Hinterlands of the Gold Coast through the Early Colonial Period," *Sudanic Africa*, 12 (2001), 83–110

بين الرؤى الاستعمارية الألمانية والبريطانية والفرنسية تجاه الإسلام. وهناك دراسات أكثر عمومية حول السياسات الاستعمارية الألمانية في إفريقيا. من بينها دراسة عن شمال الكاميرون:
Monika Midel, *Fulbe und Deutsche in Adamaua (Nord-Kamerun) 1809–1916: Auswirkungen afrikanischer und kolonialer Eroberung* (Frankfurt, 1990);

وعن توغو:
Peter Sebald, *Togo 1884–1914: Eine Geschichte der deutschen "Musterkolonie" auf Grundlage amtlicher Quellen* (East Berlin, 1988), esp. 461–469;

وعن شرق إفريقيا الألماني:
Detlef Bald, *Deutsch-Ostafrika 1900–1914: Eine Studie über Verwaltung, Interessengruppen und wirtschaftliche Erschließung* (Munich, 1970); and Rainer Tetzlaff, *Koloniale Entwicklung und Ausbeutung: Wirtschafts- und Sozialgeschichte Dt.-Ostafrikas 1885–1914* (Berlin, 1970).

(٤) عن المقاومة الإسلامية في المستعمرات الألمانية، انظر:

B. G. Martin, "Muslim Politics and Resistance to Colonial Rule: Shaykh Uways B. Muhammed Al-Barawi and the Qadiriya Brotherhood in East Africa," *Journal of African History* 10, 3 (1969), 471–486; Thea Büttner, "Die Mahdi-Erhebungen 1907 in Nordkamerun im Vergleich mit antikolonialen islamischen Bewegungen in anderen Regionen West- und Zentralafrikas," in Peter Heine and Ulrich van der Heyden (eds.), *Studien zur Geschichte des deutschen Kolonialismus in Afrika* (Pfaffenweiler, 1995), 147–159;

ولرؤى أكثر عمومية، انظر: المصادر الواردة في الحاشية رقم (٣). أسرت انتفاضة المهدي في السودان المخيال الجمعي الألماني، وقد برز ذلك في أشهر صوره في روايات الكاتب الألماني البارز كارل ماي (Karl May)، والذي نشر روايته (*Im Lande des Mahdi*) [بالعربية: في أرض المَهدي] بين عامَي (١٨٩١-١٨٩٢)، انظر:

I. Hofmann and A. Vorbichler, *Das Islam-Bild bei Karl May und der islamo-christliche Dialog* (Vienna, 1979), 210–241.

(٥) تقدِّم الدراسات التالية سردية أوسع عن الدراسات الاستشراقية الألمانية في العهد الإمبراطوري:

Ludmilla Hanisch, *Die Nachfolger der Exegeten: Deutschsprachige Erforschung des Vorderen Orients in der ersten Hälfte des 20. Jahrhunderts* (Wiesbaden, 2003), 1–85; Sabine Mangold, *Eine "weltbürgerliche Wissenschaft": Die deutsche Orientalistik im 19. Jahrhundert* (Stuttgart, 2004); Suzanne L. Marchand, *German Orientalism in the Age of Empire: Religion, Race, and Scholarship* (Cambridge, 2009); and Ursula Wokoeck, *German Orientalism: The Study of the Middle East and Islam from 1800 to 1945* (London, 2009), 1–184.

وعن الإسلام في المخيال الألماني في القرن التاسع عشر بشكل أكثر عمومية، انظر:

Soegeng Hardiyanto, Zwischen Phantasie und Wirklichkeit: Der Islam im Spiegel des deutschen Denkens im 19. Jahrhundert (Frankfurt, 1992).-Soegeng Hardiyanto, *Zwischen Phantasie und Wirklichkeit: Der Islam im Spiegel des deutschen Denkens im 19. Jahrhundert* (Frankfurt, 1992).

(٦) لم ينشر بيكر ما توصل إليه أبدًا، لكن ظهرت بعض النتائج الأولية في:

C. H. Becker, "Vorbericht über die islamkundlichen Ergebnisse der Innerafrika-Expedition des Herzogs Adolf Friedrich zu Mecklenburg," *Der Islam* 3, 3 (1912), 258–272.

ثم أعيدت طباعتها في:

C. H. Becker, *Islamstudien: Vom Werden und Wesen der Islamischen Welt*, vol. 2 (Leipzig, 1932), 127–148.

وهناك نسخة مراجَعة من الاستبيان (١٩١٠) في ملحق هذه الطبعة. انظر المرجع السابق، ص ص ١٤٣-١٤٨. أما النسخة السابقة من الاستبيان موجودة في:

Weiss, "German Images of Islam in West Africa," 92–93.

(٧) لم ينشر هارتمان أيضًا ما توصَّل إليه أبدًا، لكن الاستبيان الذي استخدمه طُبع في:

Martin Hartmann, "Zur Islamausbreitung in Afrika: Mit einem Frageblatt," *Mitteilungen des Seminar für orientalische Sprachen* 14 (1911), 159–162,

ونُشر تقرير قُدِّم عن المشروع في:

Martin Hartmann, "Fragebogen über den Islam in Afrika," *Die Welt des Islams* 1, 1 (1913), 42–44.

(٨) نُشر استبيان ڤيسترمان في:

Diedrich Westermann, "Fragebogen," 44–47,

ونُشرت نتائجه في:

Diedrich Westermann, "Die Verbreitung des Islam in Togo und Kamerun: Ergebnisse einer Umfrage," *Die Welt des Islams* 2, 2/4 (1914), 188–276.

(٩) كان بيكر كاتبًا غزير الإنتاج، وقد نشر العديد من المقالات عن الإسلام والحكم الإمبراطوري في المستعمَرات الألمانية. على سبيل المثال، انظر:

C. H. Becker, "Ist der Islam eine Gefahr für unsere Kolonien?," *Koloniale Rundschau* 1, 5 (1909), 266–293; C. H. Becker, "Der Islam und die Kolonisierung Afrikas," *Internationale Wochenschrift* 4 (1910), 227–252; C. H. Becker, "Materialien zur Kenntnis des Islam in Deutsch-Ostafrika," *Der Islam* 2, 1 (1911), 1–48; and C. H. Becker, "Islamisches und modernes Recht in der kolonialen Praxis," *Der Islam* 4, 1/2 (1913), 169–172.

وقد عارض بيكر موقف الإرساليات التبشيرية المعادي للإسلام معارضة شهيرة في المؤتمر الاستعماري الألماني لعام ١٩١٠، انظر:

C. H. Becker, "Staat und Mission in der Islampolitik," *Verhandlungen des deutschen Kolonialkongresses 1910* (Berlin, 1910), 638–651; and C. H. Becker, "Die Islamfrage auf dem Kolonialkongreß 1910," *Der Islam* 1, 1 (1910), 390–391.

وكتب بعد ذلك مادَّة «الإسلام» في المعجَم الكولونيالي الألماني، انظر:

C. H. Becker, "Islam," in Heinrich Schnee (ed.), *Deutsches Kolonial-Lexikon*, 3 vols. (Leipzig, 1920), vol. 2, 106–114.

وأُعيد نشر أكثر كتاباته المتعلّقة بالإسلام والاستعمار في:

C. H. Becker, *Islamstudien*, vol. 2.

(10) Diedrich Westermann, "Die Edinburger Weltmissionskonferenz in ihrer Bedeutung für die Mission in den deutschen Kolonien," in Karl Schneider (ed.), *Jahrbuch über die deutschen Kolonien* 4 (Essen, 1911), 130–131,

وعن رؤاه فيما يتعلّق بالإسلام في إفريقيا المستعمَرة، انظر:

Diedrich Westermann, "Der Islam in West- und Zentral-Sudan," *Die Welt des Islams* 1, 2 (1913), 85–108.

(١١) كان مارتن هارتمان من الخبراء القلائل الذين عدُّوا الإسلام خليًّا من أيَّة قيمة ثقافية ولا أخلاقية ولا سياسية، انظر:

Martin Hartmann, *Islam, Mission, Politik* (Leipzig, 1912);

وانتقد أيضًا إعلان ڤيلهلم الثاني الإسلامي عام ١٨٩٨، انظر:

Martin Hartmann, "Deutschland und der Islam," *Der Islam* 1, 1 (1910), 72–92, 74.

لكن هارتمان سيغير آرائه بعد ذلك وسيدعم حملة الجهاد العثمانية الألمانية في الحرب العالمية الأولى. انظر المصادر الواردة في الحاشية رقم (٢٤).

(١٢) وللتصريحات التبشيرية عن الإسلام في المستعمرات الألمانية ونقد الحكم الاستعماري الألماني في المناطق الإسلامية، انظر على سبيل المثال مجرَيات المؤتمر الاستعماري الأول عام ١٩٠٢ في:

P. W. Schmidt, "Die Behandlung der Polygamie in unseren Kolonien," in *Verhandlungen des deutschen Kolonialkongresses 1902* (Berlin, 1903), 467–479;

والأوراق المقدَّمة في المؤتمر الثاني عام ١٩٠٥ في:

Julius Richter, "Der Islam eine Gefahr für unsere afrikanischen Kolonien," in *Verhandlungen des deutschen Kolonialkongresses 1905* (Berlin, 1906), 510–527; Jos. Froberger, "Welches ist der Kulturwert des Islam für koloniale Entwicklung?," in *Verhandlungen des deutschen Kolonialkongresses 1905,* 527–538;

وأوراق المؤتمر الثالث عام ١٩١٠ في:

Hubert Hansen, "Welche Aufgaben stellt die Ausbreitung des Islam den Missionen und Ansiedlern in den deutschen Kolonien?," in *Verhandlungen des deutschen Kolonialkongresses 1910,* 652–673; Josef Froberger, "Die Polygamie und deren kulturelle Schäden," in *Verhandlungen des deutschen Kolonialkongresses 1910,* 717–732; and Karl Axenfeld, "Die Ausbreitung des Islam in Afrika und ihre Bedeutung für die deutschen Kolonien," in *Verhandlungen des deutschen Kolonialkongresses 1910,* 629–638;

بالإضافة إلى:

Karl Axenfeld, "Geistige Kämpfe in der Eingeborenen-Bevölkerung an der Küste Ostafrikas," *Koloniale Rundschau* 4, 11 (1913), 647–673; Pater Amandus Acker, "Der Islam und die Kolonisierung Afrikas," *Jahrbuch der deutschen Kolonien* 4 (1911), 113–127; and F. O. Karstedt, "Zur Beurteilung des Islam in Deutsch-Ostafrika," *Koloniale Rundschau* 4, 4 (1913), 728–736; and the books by Carl Mirbt,

وكتب كارل ميربت:

Mission und Kolonialpolitik in den deutschen Schutzgebieten (Tübingen, 1910); Martin Klamroth, *Der Islam in Deutsch-Ostafrika* (Berlin, 1912); and Erich Schultze, *Soll Deutsch-Ostafrika christlich oder mohammedanisch werden?* (Berlin, 1913).

(١٣) نجد بعض التأملات الألمانية في الجامعة الإسلامية لدى:

J. T. von Eckardt, "Panislamismus und die islamitische Mission," *Deutsche Rundschau* 25, 4 (1899), 61–81; C. H. Becker, "Panislamismus," *Archiv für Religionswissenschaft* 7 (1904), 169–192, reprinted in C. H. Becker, *Islamstudien,* vol. 2, 231–251; in response, K. Vollers, "Ueber Panislamismus," *Preußische*

Jahrbücher 117 (1904), 18–40; in A. Tavilet, "Über den Panislamismus," *Das freie Wort: Frankfurter Halbmonatsschrift für Fortschritt auf allen Gebieten des geistigen Lebens* 11, 6 (1911), 218–221; and Martin Hartmann, "Das Ultimatum des Panislamismus," *Das freie Wort: Frankfurter Halbmonatsschrift für Fortschritt auf allen Gebieten des geistigen Lebens* 11 (1911), 605–610.

(١٤) عن جولة ڤيلهلم الثاني العثمانية عام ١٨٩٨، انظر:

Jan Stefan Richter, *Die Orientreise Kaiser Wilhelms II. 1898: Eine Studie zur deutschen Außenpolitik an der Wende zum 20. Jahrhundert* (Hamburg, 1997);

وانظر أيضًا المقالات المنشورة في:

Klaus Jaschinski and Julius Waldschmidt (eds.), *Des Kaisers Reise in den Orient 1898* (Berlin, 2002): وخاصةً ;

Günter Wirth, "Protestantischer Pilger und Protektor von Weltreligionen: Zu Zielen und Folgen der Orient-Reise von Kaiser Wilhelm II. in kirchengeschichtlicher Perspektive," in Jaschinski and Waldschmidt (eds.), *Des Kaisers Reise,* 133–153; and Friedrich Scherer, *Adler und Halbmond: Bismarck und der Orient, 1878–1890* (Paderborn, 2001), 319–332.

ونجد عرضًا معاصرًا لدى:

Adolf Meyer, *Ins Heilige Land: Reisebilder von der großen Festfahrt nach Jerusalem* (Berlin, 1899);

وعرض شهادة عيان مبهرة وتفسيرًا إسلاميًا لزيارة القَيصر للقدس، انظر:

Rudolf Prietze, "Der Besuch des deutschen Kaisers 1898 in Jerusalem: Nach dem von einem Augenzeugen, dem Haussa-Pilger Achmed, aufgeschriebenen und erläuterten Bericht," *Mitteilungen des Seminars für orientalische Sprachen* 29 (1926), 99–134.

ونجد خطاب ڤيلهلم مطبوعًا في:

Johannes Penzler (ed.), *Die Reden Kaiser Wilhelms II.*, vol. 2 (*1896–1900*) (Leipzig, n.d.), 126–127; and in Michael A. Obst (ed.), *Die politischen Reden Kaiser Wilhelms II.* (Paderborn, 2011), 179.

ونجد تحليلًا للخطاب واستقباله في:

Michael A. Obst, *"Einer nur ist Herr im Reiche": Kaiser Wilhelm II. als politischer Redner* (Paderborn, 2010), 216–223.

(١٥) عن الجامعة الإسلامية، انظر:

Jacob Landau, *The Politics of Pan-Islam;* Nikki R. Keddie, "Pan-Islam as Proto-Nationalism," *Journal of Modern History* 41, 1 (1969), 17–28; Naimur Rahman Farooqi, "Pan-Islamism in the Nineteenth Century," *Islamic Culture* 57, 4 (1983), 283–296; and Adeeb Khalid, "Pan-Islamism in Practice: The Rhetoric of Muslim Unity and Its Uses," in Elisabeth Özdalga (ed.), *Late Ottoman Society: The Intellectual Legacy* (Abingdon, 2005), 201–224.

ونوقشت ما تُصوِّر من خطر للجامعة الإسلامية على الإمبراطوريات الأوروبية والسياسات

الإمبراطورية تجاهها في:
Azmi Özcan, *Pan-Islamism: Indian Muslims, the Ottomans and Britain (1877–1924)* (Leiden, 1997); and John Darwin, *The Empire Project: The Rise and Fall of the British World System 1830–1970* (Cambridge, 2009), 295–297.

(١٦) نجد عرضًا عن الحركات الإسلامية المتنوعة المناهِضة للاستعمار في:
Rudolph Peters, Islam and Colonialism: The Doctrine of Jihad in Modern History (The Hague, 1979), 39–104; and Nikki R. Keddie, "The Revolt of Islam, 1700 to 1993: Comparative Considerations and Relations to Imperialism," Comparative Studies in Society and History 36, 3 (1994), 463–487, esp. 481–485. Rudolph Peters, *Islam and Colonialism: The Doctrine of Jihad in Modern History* (The Hague, 1979), 39–104; and Nikki R. Keddie, "The Revolt of Islam, 1700 to 1993: Comparative Considerations and Relations to Imperialism," *Comparative Studies in Society and History* 36, 3 (1994), 463–487, esp. 481–485.

(١٧) نجد النصَّ العثمانيَّ للفتاوى وترجمته الألمانية في:
Rudolf Tschudi, "Die Fetwas des Scheich-ül-Islâm über die Erklärung des Heiligen Krieges, nach dem Ṭanîn, Nummer 2119 vom 15. November 1914," *Der Islam* 5, 4 (1914), 391–393.

وطُبعت بعد ذلك ترجمة مختلفة بشكل طفيف في:
Martin Hartmann, "Kriegsurkunden," *Die Welt des Islams* 3, 1 (1915), 2–23, 2–3.

ولترجمة إنكليزية، انظر:
Geoffrey Lewis, "The Ottoman Proclamation of Jihād in 1914," *Islamic Quarterly: A Review of Islamic Culture* 19, 3–4 (1975), 157–163, 157–158, reprinted in *Arabic and Islamic Garland: Historical, Educational and Literary Papers presented to Abdul-Latif Tibawi* (London, 1977), 159–165, 159–160.

ولأخرى مختلفة قليلًا انظر:
Peters, *Islam and Colonialism,* 90–91 and was reprinted in Peters, *Jihad in Classical and Modern Islam*, 56–57.

وعن نشر الفتاوى في ولايات الإمبراطورية العثمانية، انظر:
Martin Hartmann, "Verlesung der heiligen Fetwas in den Provinzen," *Die Welt des Islams* 3, 1 (1915), 31–65, 36.

(١٨) نجد نداءً من علماء عثمانيين بارزين للجهاد مترجَمًا إلى الألمانية في:
Martin Hartmann, "Kriegsurkunden," *Die Welt des Islams* 3, 1 (1915), 2–23, 10–18;

وأخرى إنكليزية في:
Lewis, "Ottoman Proclamation of Jihād in 1914," 159–163, reprinted in Arabic and Islamic Garland, 161–165,

ولإيجاز النداء في نقحرة إنكليزية، انظر:
Peters, *Islam and Colonialism,* 91–92.

ونجد نداءً موجهًا من العلماء العثمانيين إلى الجنود العرب في جيش السلطان منشورًا بترجمة ألمانية في:
Martin Hartmann, "Kriegsurkunden," *Die Welt des Islams* 3, 2 (1915), 121–133, 121–125.

ونجد فتاوى علماء الشيعة في النجف وكربلاء في:
Martin Hartmann, "Auszüge aus der Zeitschrift 'Chāwer,'" *Die Welt des Islams* 3, 1 (1915), 48–56, 51–56; in Martin Hartmann, "Kriegsurkunden," *Die Welt des Islams* 3, 2 (1915), 121–133, 131–133; in Martin Hartmann, "Kriegsurkunden," *Die Welt des Islams* 3, 3–4 (1916), 205–213; and in Helmut Ritter, "Kriegsurkunden," *Die Welt des Islams* 4, 3/4 (1917), 217–225.

ولتحليل الفتاوى الشيعية، انظر:
Werner Ende, "Iraq in World War I: The Turks, the Germans, and the Shi'ite Mujtahids' Call for Jihad," in Rudolph Peters (ed.), *Proceedings of the Ninth Congress of the Union Européenne des Arabisants et Islamisants* (Leiden, 1981), 57–71; Nasrollah Salehi, "Les fatwas des ulémas persans de Najaf et Kerbala," in Oliver Bast (ed.), *La Perse et la Grande Guerre* (Tehran, 2002), 157–176.

وعن السياق الأوسع، انظر:
Yitzhak Nakash, *The Shi'is of Iraq* (Princeton, NJ, 1994), 55–61.

(١٩) عن مفهوم «الجهاد»، انظر على سبيل المثال:
Peters, *Jihad in Classical and Modern Islam;* David Cook, *Understanding Jihad* (Berkeley, CA, 2005); David Cook, *Martyrdom in Islam* (Cambridge, 2007); Richard Bonney, *Jihād: From Qu'rān to Bin Laden* (New York, 2007); and Michael Bonner, *Jihad in Islamic History: Doctrines and Practice* (Princeton, NJ, 2008).

(٢٠) عن التمويل العثماني لفكرة الجامعة الإسلامية، انظر:
Hasan Kayalı, *Arabs and Young Turks: Ottomanism, Arabism, and Islamism in the Ottoman Empire, 1908–1918* (Berkeley, CA, 1997); Kemal H. Karpat, *The Politicization of Islam: Reconstructing Identity, State, Faith, and Community in the Late Ottoman State* (Oxford, 2001);

وبعمومية أوسع في:
Frederick F. Anscombe, "Islam and the Age of Ottoman Reform," *Past and Present* 208, 1 (2010), 159–189.

(21) Fischer, *Germany's Aims in the First World War*, 120–131,

ولتصريح ڤيلهلم الثاني، انظر ص ١٢١. ولإقرار مولتكه الرسمي انظر ص ١٢٦. وتتمثل العروض الرئيسة للتمويل الألماني للحملة الإسلامية في الحرب العالمية الأولى في:
Müller, *Islam, Gihâd ("Heiliger Krieg") und Deutsches Reich*; Hopkirk, *On Secret Service East of Constantinople*; McKale, *War by Revolution*; Lüdke, *Jihad Made in Germany*; Oberhaus, *"Zum wilden Aufstande entflammen"*; and McMeekin, *The Berlin-Baghdad Express*.

ونجد عروضًا مختصرة في:

Stephen Casewit, "Background to the Holy War of 1914: Towards an Understanding," *Islamic Quarterly* 29, 4 (1985), 220–233; Martin Kröger, "Revolution als Programm: Ziele und Realität deutscher Orientpolitik im Ersten Weltkrieg," in Wolfgang Michalka (ed.), *Der Erste Weltkrieg: Wirkung, Wahrnehmung, Analyse* (Munich, 1994), 366–391; Wolfgang G. Schwanitz, "Djihad 'Made in Germany': Der Streit um den Heiligen Krieg (1914–1915)," *Sozial.Geschichte* 18, 2 (2003), 7–34; and Gottfried Hagen, "German Heralds of Holy War: Orientalists and Applied Oriental Studies," *Comparative Studies of South Asia, Africa and the Middle East* 24, 2 (2004), 145–162.

ولنقد فكرة مسئولية ألمانيا عن إعلان الجهاد، انظر:

Mustafa Aksakal, "'Holy War Made in Germany'? Ottoman Origins of the 1914 Jihad," *War in History* 18, 2 (2011), 184–199,

ونجد نقاشًا للسياق الأوسع في:

Jennifer Jenkins, "Fritz Fischer's, 'Programme for Revolution:' Implications for a Global History of Germany in the First World War," *Journal of Contemporary History* 48, 2 (2013), 397–417.

(22) Oppenheim, Memorandum ("Denkschrift betreffend die Revolutionierung der islamischen Gebiete unserer Feinde"), 1914, Berlin, PA, R 20938.

طُبعت الورقة مع تعليق عليها في:

Tim Epkenhans, "Geld darf keine Rolle spielen," *Archivum Ottomanicum* 18 (2000), 247–250, and 19 (2001), 121–163.

(٢٣) ظهرت هذه التعليقات في نسخة عام ١٩١٦ المنقَّحة من:

Ernst Jäckh, *Der aufsteigende Halbmond: Auf dem Weg zum deutsch-türkischen Bündnis* (Stuttgart, 1916 [1909]), 237.

ولتقييم جيك لسياسة الجهاد، انظر:

Ernst Jäckh, *Die deutsch-türkische Waffenbrüderschaft* (Stuttgart, 1915); and Ernst Jäckh, *Die Türkei und Deutschland* (Berlin, 1916).

لكن مذكراته لم تناقش حملة الجهاد في الحرب العالمية الأولى:

Ernst Jäckh, *Der goldene Pflug: Lebensernte eines Weltbürgers* (Stuttgart, 1954).

(24) Martin Hartmann, "Islampolitik," *Koloniale Rundschau* 5, 11–12 (1914), 580–603; Martin Hartmann, "Deutschland und der Heilige Krieg," *Das neue Deutschland* (29 May 1915), 268–273; and Martin Hartmann, "Die weltwirtschaftlichen Wirkungen des Heiligen Krieges," *Weltwirtschaft* (January–February 1915), 255.

(25) C. H. Becker, *Deutschland und der Islam* (Stuttgart, 1914).

(٢٦) المرجع السابق، ص ١٩.

(٢٧) المرجع السابق، ص ٦.

(28) C. Snouck Hurgronje, "Heilige Oorlog Made in Germany," *De Gids* 79, 1 (1915), 1–33

وللترجمة الإنكليزية التي ظهرت في العام نفسه، انظر:
C. Snouck Hurgronje, *The Holy War "Made in Germany"* (London, 1915).

(29) C. H. Becker, "Deutschland und der Heilige Krieg," *Internationale Monatsschrift für Wissenschaft, Kunst und Technik* 9, 7 (1915), 631–662;

وفي الردّ عليه، انظر:
C. Snouck Hurgronje, "Deutschland und der Heilige Krieg: Erwiderung," *Internationale Monatsschrift für Wissenschaft, Kunst und Technik* 9, 10 (1915), 1025–1034;

وفي الردّ عليه مرةً أخرى، انظر:
C. H. Becker, "Deutschland und der Heilige Krieg: Schlußwort," *Internationale Monatsschrift für Wissenschaft, Kunst und Technik* 9, 10 (1915), 1033–1042.

وعن المناظَرة بينهما، انظر:
Peter Heine, "C. Snouck Hurgronje versus C. H. Becker: Ein Beitrag zur Geschichte der Angewandten Orientalistik," *Die Welt des Islams* 23/24 (1984), 378–387.

ومن كتابات بيكر الأخرى عن الإسلام والسياسة في الحرب، انظر:
C. H. Becker, "England und der Islam," *Das größere Deutschland: Wochenschrift für deutsche Welt- und Kolonialpolitik* 28 (1914), 841–848; C. H. Becker, "Die Türkei," in Otto Hintze, Friedrich Meinecke, Hermann Oncken, and Hermann Schumacher (eds.), *Deutschland und der Weltkrieg* (Leipzig, 1915), 285–309; C. H. Becker, "Islampolitik," *Die Welt des Islams* 3, 2 (1915), 101–120; and C. H. Becker, "Die Senussi, *Deutsche Kolonialzeitung* 32, 2 (1915), 25–26.

أعيد نشر مقالات بيكر هذه جميعها -عدا مقالته عن السنوسي- في:
C. H. Becker, *Islamstudien,* vol. 2.

(٣٠) نجد عرضًا واضحًا للهوس بالإسلام في ألمانيا في أثناء الحرب العالمية الثانية في:
Gottfried Simon, *Die Welt des Islam und die neue Zeit* (Wernigerode, 1925), 12,

وانظر أيضًا جزء "Zeitungsschau" من مجلّة **عالم الإسلام** في أثناء سنوات الحرب. ومن الأمثلة على فيضان الكتيبات والنشرات المتعلقة بالموضوع:
Hubert Grimme, *Islam und Weltkrieg* (Münster, 1914); Hugo Grothe, *Deutschland, die Türkei und der Islam: Ein Beitrag zu den Grundlinien der deutschen Weltpolitik im islamischen Orient* (Leipzig, 1914); Eugen Mittwoch, *Deutschland, die Türkei und der Heilige Krieg* (Berlin, 1914); Rudolf Tschudi, *Der Islam und der Krieg* (Hamburg, 1914); Joseph Froberger, *Weltkrieg und Islam* (Mönchen Gladbach, 1915); Gottfried Galli, *Dschihad: Der Heilige Krieg des Islams und seine Bedeutung im Weltkriege unter besonderer Berücksichtigung der Interessen Deutschlands* (Freiburg, 1915); Richard Schäfer, *Islam und Weltkrieg* (Leipzig, 1915); and Kurt L. Walter van der Bleek (ed.), *Die Vernichtung der englischen Weltmacht und des russischen Zarismus durch den Dreibund und den Islam* (Berlin, 1915).

ونجد عرضًا لدور الكتّاب والمستشرقين الألمان في حملة الجهاد في:

Marchand, *German Orientalism in the Age of Empire,* 436–454.

(31) Maren Bragulla, *Die Nachrichtenstelle für den Orient: Fallstudie einer Propagandainstitution im Ersten Weltkrieg* (Saarbrücken, 2007).

(32) Schaich Salih Aschscharif Attunisi, *Ḥaqiqat Aldschihād: Die Wahrheit über den Glaubenskrieg,* translated by Karl E. Schabinger, introduced by Martin Hartmann (Berlin, 1915);

وللترجمة الفرنسية، انظر:

Schaich Salih Aschscharif Attunisi, *La Vérité au Sujet de la Guerre Sainte* (Bern, 1916).

وعن دور التونسي في الحرب، انظر:

Peter Heine, "Ṣaliḥ ash-Sharif at-Tunisi: A North African Nationalist in Berlin during the First World War," *Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée* 33 (1982), 89–95.

ويمكننا أن نجد نصًّا دعائيًّا لعبد العزيز جاويش في:

"1915 Ottoman Fatwa," in Andrew G. Bostom, *The Legacy of Jihad: Islamic Holy War and the Fate of Non-Muslims* (Amherst, NY, 2005), 221–225.

(33) Gerhard Höpp, *Muslime in der Mark: Als Kriegsgefangene und Internierte in Wünsdorf und Zossen, 1914–1924* (Berlin, 1997);

ولعروض عامة مختصرة، انظر:

Gerhard Höpp, "*Muslime* in *Märkischer Heide:* Die Wünsdorfer Moschee, 1915 bis 1924," *Moslemische Revue* 1 (1989), 21–28; Gerhard Höpp, "Die Wünsdorfer Moschee: Eine Episode islamischen Lebens in Deutschland, 1915–1930," *Die Welt des Islams* 36, 2 (1996), 204–218; Gerhard Höpp, "Die Privilegien der Verlierer: Über Status und Schicksal muslimischer Kriegsgefangener und Deserteure in Deutschland während des Ersten Weltkrieges und der Zwischenkriegszeit," in Gerhard Höpp (ed.), *Fremde Erfahrungen: Asiaten und Afrikaner in Deutschland, Österreich und in der Schweiz bis 1945* (Berlin, 1996), 185–210; and Margot Kahleyss, "Muslimische Kriegsgefangene in Deutschland im Ersten Weltkrieg: Ansichten und Absichten," in Gerhard Höpp and Brigitte Reinwald (eds.), *Fremdeinsätze: Afrikaner und Asiaten in Europäischen Kriegen 1914–1945* (Berlin, 2000), 79–117.

ويمكننا أن نجد مجموعةً رائعة من الصور الفوتوغرافية في:

Margot Kahleyss, *Muslime in Brandenburg: Kriegsgefangene im I. Weltkrieg: Ansichten und Absichten* (Berlin, 1998).

(34) Peter Heine, "Al-Ǧihād: Eine deutsche Propagandazeitung im I. Weltkrieg," *Die Welt des Islams* 20, 3–4 (1980), 197–199.

(35) Idris, Curriculum Vitae, n.d. (post-1933), n.p. (Berlin), PA, R 60740.

وعن إدريس، انظر أيضًا:

Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 35, 39, 142, and 228; Höpp, *Muslime in der Mark,* passim; Gerhard Höpp, "Die Wünsdorfer Moschee," 9, 11, and 15–16; Gerhard Höpp, "Die Privilegien der Verlierer," 189; Iskander Gilyazov, "Die Wolgatataren und Deutschland im ersten Drittel des 20. Jahrhunderts," in Michael Kemper et al. (eds.), *Muslim Culture in Russia and Central Asia from the 18th to the Early 20th Centuries,* 2 vols. (Berlin, 1996–1998), vol. 2 (*Inter-Regional and Inter-Ethnic Relations*), 335–353, passim; Sebastian Cwiklinski, *Wolgatataren im Deutschland des Zweiten Weltkriegs: Deutsche Ostpolitik und tatarischer Nationalismus* (Berlin, 2002), 9–10, 33–34, 54–55, and 72;

ولعرضٍ من منظور الجماعة المسلمة في الجمهورية الفيدرالية، انظر:

Ilyas Gabid Abdulla, *Islam in West Deutschland* (Munich, n.d. [1966]), 14, and, for a photograph of Idris, 12.

(36) Armin T. Wegner, "Beiram der Verbannten," *Der Neue Orient* 4, 1 (1918), 41–43, 42.

(٣٧) نجد عروضًا أساسية لهذه المهام الألمانية في:

Müller, *Islam, Gihâd ("Heiliger Krieg") und Deutsches Reich;* Hopkirk, *On Secret Service East of Constantinople;* McKale, *War by Revolution;* Lüdke, *Jihad Made in Germany;* Oberhaus, *"Zum wilden Aufstande entflammen;"* and McMeekin, *The Berlin-Baghdad Express.*

ونجد مجموعةً آسرة من المواد الدعائية التي كان يوزعها الألمان والعثمانيون في جميع أنحاء العالم الإسلامي لدى:

Müller, *Islam, Gihâd ("Heiliger Krieg") und Deutsches Reich;* Hopkirk, *On Secret Service East of Constantinople;* McKale, *War by Revolution;* Lüdke, *Jihad Made in Germany;* Oberhaus, *"Zum wilden Aufstande entflammen;"* and McMeekin, *The Berlin-Baghdad Express.*

تقوم هذه الفقرة على أساس من هذه المصادر. وفي الحالات التي توجد فيها دراسات أكثر تعينًا من الناحية الإقليمية، أشرنا إليها في إحالات مستقلة.

(38) Peter Heine, "Leo Frobenius als politischer Agent: Ein Beitrag zu seiner Biographie," *Paideuma* 26 (1980), 1–5.

(39) Donald M. McKale, *Curt Prüfer: German Diplomat from the Kaiser to Hitler* (Kent, OH, 1987), 25–56; and Hans Werner Neulen, *Feldgrau in Jerusalem: Das Levantekorps des kaiserlichen Deutschland* (Munich, 1991).

(40) Russell McGuirk *The Sanusi's Little War: The Amazing Story of a Forgotten Conflict in the Western Desert, 1915–1917* (London, 2007);

وعن السنوسية بشكل عام، انظر:

E. E. Evans-Pritchard, *The Sanusi of Cyrenaica* (Oxford, 1949).

(41) Edmund Burke, "Moroccan Resistance, Pan-Islam and German War Strategy, 1914–1918," *Francia* 3 (1975) 434–464; Jide Osuntokun, "Nigeria's Colonial Government and the Islamic Insurgency in French West Africa, 1914–1918," *Cahiers d'Études Africaines* 15, 57 (1975), 85–93;

وعن إفريقيا المستعمَرة بريطانيًا وفرنسيًا بشكل أعم، انظر:

William Deakin, "Imperial Germany and the 'Holy War' in Africa, 1914–1918," *University of Leeds Review* 28 (1985), 75–95.

ونجد عرضًا أساسيًا لعميل ألماني في المغرب في:

Albert Bartels, *Mein Krieg auf eigene Faust: Meine Erlebnisse vor und während des Weltkrieges in Marokko* (Leipzig, 1925),

وللترجمة الإنكليزية، انظر:

Albert Bartels, *Fighting the French in Morocco* (London, 1932).

(42) Ende, "Iraq in World War I",

ولمذكرات اثنين شاركا في هذه المهمة، انظر:

Hans Lührs, *Gegenspieler des Obersten Lawrence* (Berlin, 1936); Edgar Stern-Rubarth, *Three Men Tried: Austin Chamberlain, Stresemann, Briand and their Fight for a New Europe* (London, 1939), 24–26,

ويبرز المرجع التالي ما واجهته البعثات الألمانية من مشكلاتٍ في التنقل داخل الهياكل الشيعية؛ إذ خلطوا بين علي المازندراني (شيخ العراقيين)، وهو أحد العلماء الشباب، والأخ الأصغر للمرجع البارز محمَّد حسين المازندراني؛ أحد أهم المراجع الدينية في العالم الشيعي:

Edgar Stern-Rubarth, *Aus zuverlässiger Quelle verlautet: Ein Leben für Presse und Politik* (Stuttgart, 1964), 66–83.

(43) Firoozeh Kashani-Sabet, *Frontier Fictions: Shaping the Iranian Nation, 1840–1946* (Princeton, NJ, 1999), 145–148,

ولمجموعة من الفتاوى الإيرانية التي أصدرها علماء إيران؛ دعمًا للحرب ضد الوفاق، انظر:

Mohammad Hassan Kavvusi 'Iraqi and Nasrollah Salehi (eds.), *Jehadiye: Fatwa-yi jahadiye 'olama va maraje'-yi 'ezam dar jang-i jahani-yi avval (Jihadieh: The Holy War Fatwas of the Grand 'Ulama and Mujtaheds in World War I)* (Tehran, 1375/1996).

(44) Christopher Sykes, *Wassmuss: The German Lawrence* (London, 1936); Dagobert von Mikusch, *Wassmuss, der deutsche Lawrence* (Leipzig, 1937); Ulrich Gehrke, *Persien in der deutschen Orientpolitik während des Ersten Weltkrieges*, 2 vols. (Stuttgart, 1960); and Oliver Bast, *Les Allemands en Perse pendant la Première Guerre mondiale* (Paris, 1997).

ونجد أيضًا تأملاتٍ رائعة في:

Pierre Oberling, *The Qashqā'i Nomads of Fars* (The Hague, 1974), 127–147.

(45) Renate Vogel, *Die Persien- und Afghanistanexpeditionen von Oskar Ritter v. Niedermayers, 1915/1916* (Osnabrück, 1976); Hans-Ulrich Seidt, *Berlin, Kabul,*

Moskau. Oskar Ritter von Niedermayer und Deutschlands Geopolitik (Munich, 2002), 43–119; and Thomas L. Hughes, "The German Mission to Afghanistan, 1915–1916," *German Studies Review* 25, 3 (2002), 447–476.

نشر هينتغ عرضًا لمهمته بالألمانية في آخر أعوام الحرب، انظر:

Werner Otto von Hentig, *Meine Diplomatenfahrt ins verschlossene Land* (Berlin, 1918).

وكتب أيضًا عما فعله في الحربين العالميتين في مذكراته، انظر:

Werner Otto von Hentig, *Mein Leben: Eine Dienstreise* (Göttingen, 1962).

ونشر نيدرماير عرضًا لمهمته أيضًا في أثناء الحرب العالمية الأولى، انظر:

Oskar von Niedermayer, *Afghanistan* (Leipzig, 1924), 1–10; and Oskar von Niedermayer, *Unter der Glutsonne Irans: Kriegserlebnisse der deutschen Expedition nach Persien und Afganistan* (Dachau, 1925),

والذي أعيدت طباعته في:

Im Weltkrieg vor Indiens Toren: Der Wüstenzug der deutschen Expedition nach Persien und Afghanistan (Hamburg, 1936),

وفي نسخة مختصرة:

Krieg in Irans Wüsten: Erlebnisse der deutschen Expedition nach Persien und Afghanistan (Hamburg, 1940).

(46) Winfried Baumgart, *Deutsche Ostpolitik 1918: Von Brest-Litowsk bis zum Ende des Ersten Weltkrieges* (Munich, 1966), 151–155 (Crimea) and 174–207 (Caucasus); Wolfdieter Bihl, *Die Kaukasus-Politik der Mittelmächte*, 2 vols. (Vienna, 1975–1992); and Hans-Ulrich Seidt, "From Palestine to the Caucasus: Oskar Niedermayer and Germany's Middle Eastern Strategy in 1918," *German Studies Review* 24, 1 (2001), 1–18.

(٤٧) دفعت المهام الألمانية الهوس الشعبي البريطاني بحملة الجهاد والقلق منها، وهو ما تبدّى في العديد من الكتب والروايات، وأشهرها بالطبع رواية المغامرات الكلاسيكية:

John Buchan, *Greenmantle* (London, 1916),

والعرض غير الخيالي والأقل شهرة:

E. F. Benson, *Deutschland über Allah?* (London, 1917).

(٤٨) مقتبسة في: Landau, *Politics of Pan-Islam*, 102.

(49) Jacques Frémeaux, *La France et l'Islam depuis 1789* (Paris, 1991), 139–157; Pascal Le Pautremat, *La politique musulmane de la France au XXe siècle: De l'hexagone aux terres d'Islam* (Paris, 2003), 75–87; Sadek Sellam, *La France et ses Musulmans: Un siècle de politique musulmane (1895–2005)* (Paris, 2006), 171–184; Belkacem Recham, "Les Musulmans dans l'armée française, 1900–1945," in Mohammed

Arkoun (ed.), *Histoire de l'Islam et des Musulmans en France du Moyen Âge à nos jours* (Paris, 2006), 742–761, 744–747;

وفي التركيز على الجزائر، انظر:

Charles-Robert Ageron, *Les Algériens musulmans et la France (1871–1919)*, 2 vols. (Paris, 1968), vol. 2, 1139–1227.

وفي التالي نجد تأملات في ردود أفعال العلماء المغاربة على الجهود الحربية الفرنسية.

Driss Bensaid, "Les oulémas marocains et la Grande Guerre (1914–18)," in A. Bendaoud and M. Berriane (eds.), *Marocains et Allemands: La perception de l'autre* (Rabat, 1995), 37–57.

(50) Cleveland, "The Role of Islam as Political Ideology in the First World War."

(51) Eliezer Tauber, "Rashīd Riḍā's Political Attitudes during World War I," *Muslim World* 85, 1/2 (1995), 107–121;

وبشكل أكثر عمومية، انظر:

Umar Ryad, "Islamic Reformism and Great Britain: Rashid Rida's Image as reflected in the Journal Al-Manār in Cairo," *Islam and Christian-Muslim Relations* 21, 3 (2010), 263–285;

وعن علماء الهند، انظر:

Özcan, *Pan-Islamism,* 179–183.

(52) John Fisher, "British Responses to Mahdist and Other Unrest in North and West Africa, 1919–1930," *Australian Journal of Politics and History* 52, 3 (2006), 347–361, 351.

(53) Robert D. Crews, *For Prophet and Tsar: Islam and Empire in Russia and Central Asia* (Cambridge, MA, 2006), 351–352.

(٥٤) هناك العديد من الأدبيات المتعلقة بالثورة الشريفية، انظر على سبيل المثال:

Eliezer Tauber, *The Arab Movements in World War I* (London, 1993); Haifa Alangari, *The Struggle for Power in Arabia: Ibn Saud, Hussein and Great Britain, 1914-1924* (Reading, UK, 1998); Joshua Teitelbaum, *The Rise and Fall of the Hashimite Kingdom of Arabia* (London, 2001); James Barr, *Setting the Desert on Fire: T. E. Lawrence and Britain's Secret War in Arabia, 1916–1918* (New York, 2008); Polly A. Mohs, *Military Intelligence and the Arab Revolt: The First Modern Intelligence War* (London, 2008).

وعن القصة الأوسع، انظر:

David Fromkin, *A Peace to End All Peace: The Fall of the Ottoman Empire and the Creation of the Modern Middle East* (New York, 1989).[1]

---

(1) نقل إلى العربية، وصدر بعنوان: **سلام ما بعده سلام: ولادة الشرق الأوسط ١٩١٤-١٩٢٢**، (بيروت: منشورات رياض الريس، ١٩٩٢). (المترجم)

وعن دور الإسلام في ثورة الشريف ومسألة الخلافة العربية، انظر:
Cleveland, "Role of Islam as Political Ideology in the First World War;" Elie Kedourie, "Egypt and the Caliphate, 1915–52," in Elie Kedourie (ed.), *Chatham House Version and Other Middle Eastern Studies* (London, 1970), 177–207, 179–182; and Saad Omar Khan, "The 'Caliphate Question': British Views and Policy toward Pan-Islamic Politics and the End of the Ottoman Caliphate," *American Journal of Social Sciences* 24, 4 (2007), 1–25, 6–11.

(55) T. E. Lawrence, *Seven Pillars of Wisdom* (Hertfordshire, 1997 [Oxford, 1922]), 35.

(56) Albert Christiaan Niemeijer, *The Khilafat Movement in India, 1919–1924* (The Hague, 1972); Gail Minault, *The Khilafat Movement: Religious Symbolism and Political Mobilisation in India* (New York, 1982); Özcan, *Pan-Islamism*, 184–204; M. Naeem Qureshi, *Pan-Islam in British Indian Politics: A Study of the Khilafat Movement, 1918–1924* (Leiden, 1999);

وعن تفاعل لندن مع مسألة الخلافة بشكل عام، انظر:
Khan, "The 'Caliphate Question.'"

(57) Gary Troeller, *The Birth of Saudi Arabia: Britain and the Rise of the House of Sa'ud* (London, 1976), 216–235; Haifa Alangari, *The Struggle for Power in Arabia: Ibn Saud, Hussein, and Great Britain, 1914–1924* (Reading, 1998), 191–246; and Timothy J. Paris, *Britain, the Hashemites, and Arab Rule, 1920–1925: The Sherifian Solution* (London, 2003), 341–362.

(58) Bernard Lewis, *The Emergence of Modern Turkey* (London, 1961), 395–436; Ali M. Ansari, *Modern Iran since 1921: The Pahlavis and After* (London, 2003), 46–47; and Bernd J. Fischer, *King Zog and the Struggle for Stability in Albania* (Boulder, CO, 1984), 170 and 247–250.

(59) Leon B. Poullada, *Reform and Rebellion in Afghanistan, 1919–1929: King Amanullah's Failure to Modernize a Tribal Society* (Ithaca, NY, 1973).

(60) Richard P. Mitchell, *The Society of the Muslim Brothers* (London, 1969); Brynjar Lia, *The Society of the Muslim Brothers in Egypt: The Rise of an Islamic Mass Movement 1928–1942* (Reading, UK, 1998); Abd Al-Fattah Muhammad El-Awaisi, *The Muslim Brothers and the Palestine Question 1928–1947* (London, 1998); and, on al-Banna, Gudrun Krämer, *Hasan al-Banna* (New York, 2010).

(61) Kramer, *Islam Assembled.*

(62) Erez Manela, *The Wilsonian Moment: Self-Determination and the International Origins of Anticolonial Nationalism* (New York, 2007).

(63) Martin Thomas, *Empires of Intelligence: Security Services and Colonial Disorder after 1914* (Berkeley, CA, 2008), esp. 73–90,

يقدم الكتاب عرضًا عامًا للتوجُّس الإمبريالي من الإسلام في فترة ما بين الحربين.
hannes H. Voigt, "Hitler und Indien," *Vierteljahrshefte für Zeitgeschichte* 19

(1971), 33–63, 50; Milan Hauner, "Das Nationalsozialistische Deutschland und Indien," in Manfred Funke (ed.), *Hitler, Deutschland und die Mächte: Materialien zur Außenpolitik des dritten Reiches* (Düsseldorf, 1976), 430–453, 436; and Milan Hauner, *India in Axis Strategy: Germany, Japan, and Indian Nationalists in the Second World War* (Stuttgart, 1981), 33.

ويستند الفيلم إلى رواية لأحد ضباط الجيش الهندي البريطاني:
Francis Yeats-Brown, *Lives of a Bengal Lancer* (London, 1930).

(٦٥) كان الإسلام والحركات الإسلامية تحت مراقبة مكثفة من قبل وزارة الخارجية الألمانية في فترة ما بين الحربين، انظر:
PA, R 78240 (*Religions- und Kirchenwesen: Islam, 1924–1928*); PA, R 78241 (*Religions- und Kirchenwesen: Islam, 1928–1931*); PA, R 78242 (*Religions- und Kirchenwesen: Islam, 1932–1936*); and PA, R 104801 (*Religions- und Kirchenwesen: Islam, 1936–1939*).

(٦٦) عن الجيوبوليتيك، انظر:
Frank Ebeling, *Geopolitik: Karl Haushofer und seine Raumwissenschaft, 1919–1945* (Berlin, 1994);

وعن هاوسهوفر (Haushofer) بشكل خاص، انظر:
Hans-Adolf Jacobsen, *Karl Haushofer: Leben und Werk,* 2 vols. (Boppard, 1979); and Bruno Hipler, *Hitlers Lehrmeister: Karl Haushofer als Vater der NS-Ideologie* (St. Ottilien, 1996).

(67) Karl Haushofer, "Historische Belege zur Religionsgeopolitik," *Zeitschrift für Geopolitik* 20, 8 (1943), 278–280.

وفي العدد نفسه، نشر هاوسهوفر مقالته:
"georeligious considerations on the connection between soil and religion,"

انظر:
Heinrich Frick, "Regionale Religionskunde," *Zeitschrift für Geopolitik* 20, 8 (1943), 281–290.

يشير هاوسهوفر في مقالته إلى الأبحاث المتعلقة بالسياسة العالمية والدين في عهد النظام النازي، رابطًا بينها وبين الأبحاث التي تمت في القرن التاسع عشر.
"Islam," Haushofer proclaimed, was the "Leitmotif"; for a special issue on the Middle East, see Karl Haushofer, "Der Nahe Osten im Vorschatten eurasischer Festlandpolitik," *Zeitschrift für Geopolitik* 16, 11 (1939), 781–783, 783.

(٦٨) الكتاب الرئيس الذي تناول فيه هاوسهوفر أفكار «الجامعة» في:
Karl Haushofer, *Geopolitik der Pan-Ideen* (Berlin, 1931);

ونجد الإشارة إلى الإسلام في ص ص ٨، ١١، ١٥، ٢٣، ٣٧-٣٩، ٤٧، ٦٣، ٨١. لقد رأى هاوسهوفر في الجامعة الإسلامية حركة تُعرقل كل «الجامعات الأخرى»؛ إذ إنها تمتد فوق

«الجامعـات الآسـيوية والأوروبيـة والإفريقيـة» (المرجع السـابق ص ٣٩، ولأطروحة مشـابهة ص٨١). وعن أفكار الجامعات، انظر:

Karl Haushofer, *Weltpolitik von Heute* (Berlin, 1934),

وخاصةً الفصل العاشر:

("Übervölkische und überstaatliche Zusammenfassungsversuche: Kirchenstaaten; Panideen; Völkerbund"),

والذي يشير فيه إلى منطقة الإسلام(*Bereich des Islam*)، (١٠٠). والفصل الثامن والعشرون

("Machtverlagerung seit 1914: Internationale Fronten der Panideen"),

إذ يشـير إلـى «أحلام الجامعة الإسـلامية» (*Panislamträume*) التي رأى فيهـا تهديدًا للمصالح البريطانية (٢٤٠). وانظر أيضًا:

Karl Haushofer, *Der Kontinentalblock, Mitteleuropa, Eurasien, Japan* (Munich, 1941),

الـذي يشـير فيه إلى دور الإسـلام فـي الهند (٥٣). لقد تأثـرت أفكاره عـن «الجامعات» وحقل الجيوپوليتيك بأكمله بالنظريات الأنثروبولوجية عن الدوائر الثقافية (*Kulturkreis*).

وانظر أيضًا:

Karl Strupp, "Pan-Islamismus," *Wörterbuch des Völkerrechts*, vol. 6 (Berlin, 1929).

وفي هذا الموجز، كتب ستروپ مقالاتٍ أخرى متنوعة عن حركات «الجامعة».

(69) Hans Rabl, "Über das Kalifat," *Zeitschrift für Geopolitik* 15, 11 (1938), 848–857.

قدَّم رابل بعض هذه الأفكار عن الخلافة قبل ذلك في:

"Der Nahe Osten auf dem Weg zur Einigung," *Zeitschrift für Geopolitik* 13, 5 (1936), 293–302; and Hans Rabl, "Nah-Ost Nachtrag," *Zeitschrift für Geopolitik* 13, 6 (1936), 402–404.

(70) Rabl, "Über das Kalifat," 854.

(٧١) المرجع السابق، ص ٨٥٧.

(٧٢) المرجع السابق، ص ٨٤٩.

(73) Hans Lindemann, "Der Islam im Aufbruch und Angriff," *Zeitschrift für Geopolitik* 16, 11 (1939), 784–789.

(٧٤) المرجع السابق، ص ٧٨٦.

(٧٥) المرجع السابق، ص ٧٨٧.

(٧٦) المرجع السابق، ص ٧٨٥.

(77) Hans Lindemann, *Der Islam im Aufbruch, in Abwehr und Angriff* (Leipzig, 1941).

(٧٨) المرجع السابق، ص ٨٤.

(79) Anonymous, "Die britische Islampolitik I," *Zeitschrift für Geopolitik* 19, 3 (1942), 133–143; and Anonymous, "Die britische Islampolitik II," *Zeitschrift für Geopolitik* 19, 4 (1942), 187–196.

(80) Anonymous, "Die britische Islampolitik I," 133.

(٨١) المرجع السابق، ص ١٣٦.

(٨٢) المرجع السابق، ص ١٤٣.

(83) Anonymous, "Die britische Islampolitik II," 91.

(84) Pandit K. A. Bhatta, "Innenpolitische Probleme Indiens," *Zeitschrift für Geopolitik* 16, 12 (1939), 837–850, esp. 837–838 and 843; and Pandit K. A. Bhatta, "Britische Wehrpolitik in Indien," *Zeitschrift für Geopolitik* 17, 4 (1940), 172–181.

ونجد مثالًا بارزًا آخر في (*Der Islam in Indien*) [بالعربية: **الإسلام في الهند**] في عام ١٩٤٢، والذي درس الإسلام في الهند في سياق تطورات الشرق الأوسط وإفريقيا وآسيا وختم بفصل عن «السياسة البريطانية تجاه الإسلام»، انظر:

Abid Hassan, *Der Islam in Indien: Indien im Weltislam* (Heidelberg, 1942), esp. 83–118;

ولمراجعة للكتاب، انظر:

Anonymous, "Weltreligionen als geopolitische Formkräfte," *Zeitschrift für Geopolitik* 19, 12 (1942), 561–562.

(85) Herbert Hörhager, "Die Haltung der indo-afghanischen Grenzstämme zur indischen Krise," *Zeitschrift für Geopolitik* 17, 3 (1940), 119–124; and Habibur Rahman, "Die Stellung Afghanistans in Zentralasien," *Zeitschrift für Geopolitik* 17, 4 (1940), 182–184.

(86) Walter Leifer, "Der Freiheitskampf der Araber," *Zeitschrift für Geopolitik* 17, 2 (1940), 65–70.

(٨٧) المرجع السابق، ص ٦٥.

(88) H. A. Fakoussa, "Ägyptens auswärtige Politik," *Zeitschrift für Geopolitik* 17, 3 (1940), 125–127, 125.

(٨٩) المرجع السابق، ص ١٢٥.

(90) Rudolf Friedmann, "Frankreich und der Islam," *Zeitschrift für Geopolitik* 4, 1 (1927), 58–68, 58.

(91) Djamal Udin, "Zur Kulturpolitik Indonesiens II," *Zeitschrift für Geopolitik* 5, 3 (1928), 258–264; and Djamal Udin, "Zur Kulturpolitik Indonesiens II," *Zeitschrift für Geopolitik* 5, 4 (1928), 317–325, quotation on 320.

(92) Willmar Freischütz, "Die indisch-englische Auseinandersetzung," *Zeitschrift für Geopolitik* 7, 4 (1930), 308–318, 309.

(93) Heinrich Eck, "Russisch-Asien am Scheidewege," *Zeitschrift für Geopolitik*, 13, 2 (1936), 76–86, 85.

يُدخِل الكاتب القِرم والقوقاز عندما يتحدث عن «آسيا الروسية».

(٩٤) المرجع السابق، ص ٨٢.

(٩٥) المرجع السابق، ص ٨٥؛ وعن دور الجامعة الإسلامية، ص ٨٥-٨٦.

(٩٦) لم تكن كل الكتب التي ذُكر «الإسلام» في عنوانها تعني الدين فعلًا. فعلى سبيل المثال، كتاب (*Das Schwert des Islam*) [بالعربية: سيف الإسلام] للصحفي النازي أوتمار كراينز (Othmar Krainz) لا يتناول الإسلام، بل يمثل منشور بروباغندا معادٍ للسامية، يتعلّق بالأساس بالشرق الأوسط وبالأخص السياسات البريطانية والهجرة اليهودية إلى فلسطين، انظر:

Othmar Krainz, *Das Schwert des Islam* (Hersching, 1938).

(97) Thomas Reichardt, *Der Islam vor den Toren* (Leipzig, 1939).

وبعد تورط القوات الألمانية في شمال إفريقيا وغزو الاتحاد السوفييتي، سيشدّد رايكارت على مزاعمه في: Thomas Reichardt, "Der Islam: Totale Mohammedanische Lebensschau," *Krakauer Zeitung* (21 November 1941).

(98) Reichardt, *Der Islam vor den Toren,* 318

أشار رايكارت إلى فكرة **الدوائر الثقافية**، انظر: المرجع السابق، ص ٦، وفي كل مكان آخر في الكتاب.

(٩٩) المرجع السابق، ص ٣٢٢.

(١٠٠) المرجع السابق، ص ٢٤١-٢٤٤، الاقتباس رقم ٢٤١.

(١٠١) المرجع السابق، ص ١٩٠-١٩٣، ٢٤٥-٢٥٤؛ وعن مسألة الخلافة بعد إلغاء الخلافة العثمانية، انظر: ص ٢٤٣.

(١٠٢) المرجع السابق، ص ٢٤٥-٣١٧.

(١٠٣) المرجع السابق، ص ٢٩٧-٢٩٨.

(١٠٤) المرجع السابق، ص٢٩٩.

(١٠٥) المرجع السابق، ص٣٢٦.

(١٠٦) المرجع السابق، ص ٢٧٧. وعن فكرة أن الإسلام في جوهره معادٍ للبلشفية، انظر: ص ٩، وكل مكانٍ آخر في الكتاب.

(١٠٧) وعن توظيف اليابان للإسلام في سعيها للهيمنة على آسيا، انظر المرجع السابق ص ٢٧٢-٢٧٦، وعن سياسة إيطاليا ودعوى موسوليني مناصرة الإسلام، انظر ص ٣٠٠-٣٠٨.

(١٠٨) المرجع السابق، ص٣٢٨.

(109) Zaki Ali, "Großdeutschland und der Islam," in Reichardt, *Der Islam vor den Toren,* 329-340.

كان زكي علي قد نشر ورقةً دعائية لفكرة الجامعة الإسلامية قبل ذلك بعام، انظر:

Zaki Ali, *Islam in the World* (Lahore, 1938),

ووجعت مراجعاتٍ إيجابية في مجلّة **عالم الإسلام**، انظر:

W. Björkman, "Zaki Ali, Islam in the World" (Review), *Die Welt des Islams* 20 (1938), 137-139.

وقد أكد علي على أفكاره بعد اندلاع الحرب، ونشر مقالةً في اليوم الذي أعلنت فيه فرنسا وبريطانيا الحرب على ألمانيا، انظر:

Zaki Ali, "Großdeutschland und der Islam," *Rheinisch-Westfälische Zeitung* (3 September 1939).

وكان لزكي دور بارز في تنظيم المؤتمر الإسلامي الأوروبي الأول في جنيف عام ١٩٣٥، انظر:

Kramer, *Islam Assembled,* 145.

(110) Ali, "Großdeutschland und der Islam," 331–332.

(١١١) المرجع السابق، ص ٣٣٠.

(112) Paul Schmitz, *All-Islam! Weltmacht von morgen?* (Leipzig, 1937).

استرعى الكتابُ أيضًا انتباهًا دوليًا، انظر:

Robert Gale Woolbert, "Recent Books on International Relations," *Foreign Affairs* 16, 4 (1938), 728–744, 729,

بل إنه تُرجِم إلى اليابانية، انظر:

Paul Schmitz, *Kaikyô no Zenbô: Ashita no Sekai Seiryoku* (*All-Islam: World Power of Tomorrow*) (Tokyo, 1938).

كان پول شميتز (Paul Schmitz) كاتبًا غزير الإنتاج في مجال الكتب الشعبية. وإلى جانب كتابه الشهير **الإسلام كلُّه**، ألَّف شميتز العديد من الكتب المتعلقة بالعالم العربي، انظر:

Paul Schmitz, *Politiker und Propheten am Roten Meer* (Leipzig, 1939); Paul Schmitz, *Neubau der arabischen Welt* (Leipzig, 1937); Paul Schmitz, *Die Arabische Revolution* (Leipzig, 1942); Paul Schmitz, *Ägyptens Weg zur Freiheit* (Leipzig, 1941); Paul Schmitz, *Englands Gewaltpolitik am Nil* (Berlin, 1940); Paul Schmitz, *Frankreich in Nord-Afrika* (Leipzig, 1938); and a more general book, Paul Schmitz, *Die britische Schwäche* (Leipzig, 1940).

اعترت كتب شميتز مسحة واضحة من مناهضة الإمبريالية، وكان للإسلام والمناهضة الإسلامية للإمبريالية والتفاعل الإمبريالي مع الإسلام شأن كبير في غالب كتبه. وقد أشار إلى المحاولات الفرنسية لإبراز الفوارق بين البربر والعرب لمواجهة «إسلام متنامٍ العدوانية» في شمال إفريقيا:

(*Frankreich in Nordafrika,* 126; and also *Die arabische Revolution,* 182–207);

والانتفاضة الدُرزية ضد الفرنسيين في سورية:

(*Die arabische Revolution,* 94–95);

والوحشية البريطانية تجاه متمردي المهدي في السودان:

(*Englands Gewaltpolitik,* 24–45; *Ägyptens weg zur Freiheit,* 114–115; and *Politiker und Propheten am Roten Meer,* 118);

والمعارضة الإسلامية في الهند، برغم أن هذا الكتاب يركز أكثر بشكل عام على مناهضة الإمبريالية:

(*Die britische Schwäche,* 165);

والمواجهة الإسلامية للبريطانيين والمهاجرين اليهود في فلسطين:
(*Die arabische Revolution*, 152–154);

والصدام الإيطالي مع المتمردين السنوسيين المسلمين في شمال إفريقيا:
(*Neubau der arabischen Welt*, 106);

وجهاد الحرب العالمية الأولى:
(*Neubau der arabischen Welt*, 7 and 21; and *Die Arabische Revolution*, 5–6).

رُقِّي شميتز مراسلًا لـ جريدة **الحزب النازي** (*Völkischer Beobachter*) في القاهرة، قبل أن تطرده السُّلطات المصرية بضغط من السُّلطات البريطانية. انظر:
Schmitz to Bohle (Foreign Organization of the NSDAP), 21 May 1939, Oberursel, PA, R 29533; Bohle to Weizsäcker (Foreign Office), 26 May 1939, Berlin, PA, R 29533; and Mildenstein (Foreign Office), Report, n.d. (1939), n.p. (Berlin), German Federal Archives (*Bundesarchiv*), Berlin-Lichterfelde (BAB), R 58/783.

(١١٣) أشار شميتز إلى مصطلحات من قبيل: **المجال الحيوي** (*Lebensraum*) ، **والمساحة الهامة** (*Raumbedeutung*)، **والجماعة المسلمة ذات المصير المشترك** (*Islamische Schicksalsgemeinschaft*)، انظر كتاب **الإسلام كله**.

(١١٤) المرجع السابق، ص ١٣١.

(١١٥) المرجع السابق، ص ٢٤١، ومواضع أخرى في الكتاب. وعن مكة انظر: المرجع السابق، ص ١١٤.

(١١٦) المرجع السابق، ص ٢١٩-٢٢٠.

(117) Richard Hartmann, "Paul Schmitz, All-Islam: Neubau der Arabischen Welt" (Review), *Der Islam* 26 (1942), 67–71.

(١١٨) المرجع السابق، ص ٦٧-٦٨.

(119) Richard Hartmann, *Die Religion des Islam: Eine Einführung* (Berlin, 1944); and, similarly, Richard Hartmann, "Nationalismus und Islam: Ein Vortrag von Prof. Dr. Hartmann," *Deutsche Zeitung in den Niederlanden* (29 July 1942).

عبَّر هارتمان عن رؤًى مشابهة في فترة ما بين الحربين، انظر:

Richard Hartmann, *Die Welt des Islam Einst und Heute* (Leipzig, 1927); and Richard Hartmann, *Die Krisis des Islam* (Leipzig, 1928).

(120) Thomas Duve, "Die Gründung der Zeitschrift für Politik: Symbol und Symptom für die Entstehung einer Politikwissenschaft um 1900?," *Zeitschrift für Politik* 45 (1998), 405–426;

وعن كلية السياسة الألمانية، انظر:

Antonio Missiroli, *Die deutsche Hochschule für Politik* (St. Augustin, 1988); Steven D. Korenblat, "A School for the Republic? Cosmopolitans and Their Enemies at the

Deutsche Hochschule für Politik, 1920–1933," *Central European History* 39, 3 (2006), 394–430; Gideon Botsch, *"Politische Wissenschaft" im Zweiten Weltkrieg: Die "Deutschen Auslandswissenschaften" im Einsatz 1940–1945* (Paderborn, 2006);

وانظر الإسهامات الموجودة في:

Gerhard Göhler and Bodo Zeuner (eds.), *Kontinuitäten und Brüche in der deutschen Politikwissenschaft* (Baden-Baden, 1991).

(121) Kurt Prüfer, "Arabien im Umbau," *Zeitschrift für Politik* 24, 6 (1934), 362–368.

ونجد أمثلةً جديرة بالملاحظة على المناقشات المتعلقة بنهضة إسلامية وبالإسلام بوصفه قوةً جيوپوليتيكية بارزة في:

Walter Schönfelder, "Politik und Religion im Osten," *Zeitschrift für Politik* 24, 10 (1934), 610–615; Walter Schönfelder, "Asien im Umbruch," *Zeitschrift für Politik* 27, 10 (1937), 469–473; Habibur Rahman, "Aufmarsch des Islams," *Zeitschrift für Politik* 26, 10 (1936), 570–577; and Habibur Rahman, "Die islamische Welt—eine ewige Grenze: Die Randprobleme des modernen islamischen Staatensystems," *Zeitschrift für Politik* 27, 3 (1937), 163–167.

(122) Erich Müller, "Mekka: Der Kraftpol des Nahen Orients," *Zeitschrift für Politik* (Mai 1938), 312–315, 313.

(١٢٣) المرجع السابق، ص ٣١٢.

(124) Walter Hagemann, "Das französische Kolonialreich in Afrika," *Zeitschrift für Politik* 17, 7 (1928), 612–633; Edgar Pröbster, "Die kolonialpolitische Literatur Frankreichs (Seit 1922)," *Zeitschrift für Politik* 17, 1 (1927), 64–76; Edgar Pröbster, "Die kolonialen Probleme Frankreichs auf Grund der neuesten kolonialpolitischen Literatur," *Zeitschrift für Politik* 18, 1 (1928), 52–57; Edgar Pröbster, "Die Entwicklung von Frankreichs Islampolitik 1830–1930," *Zeitschrift für Politik* 20, 7/8 (1930), 477–486; Edgar Pröbster, "Die Entislamisierung der marokkanischen Berbern und ihre Folgen," *Zeitschrift für Politik* 23, 3 (1933), 201–204; A. Grabowsky, "Niederländisch-Indien im weltpolitischen Rahmen: Vorbemerkung," *Zeitschrift für Politik* 23, 5 (1933), 307–309; and Karl Helbig, "Niederländisch-Indien gestern, heute und morgen," *Zeitschrift für Politik* 23, 5 (1933), 309–320; Habibur Rahman, "'Dschihadistan': Die friedlose Nordwestgrenze Indiens," *Zeitschrift für Politik* 28, 2 (1938), 121–125.

(125) Sophie Freifrau v. Wangenheim, "Auf verlorenem Posten," *Zeitschrift für Politik* 26, 8/9 (1936), 498–508; and Sophie Freifrau v. Wangenheim, "Oberst Lawrence und der Aufstand der Araber im Weltkrieg (Auf Grund der 'Seven Pillars of Wisdom')," *Zeitschrift für Politik* 27, 7/8 (1937), 417–437.

(126) I. Jorda, "Die Westmächte und die Araber," *Zeitschrift für Politik* 31, 5 (1941), 294–302.

(127) Richard Hartmann, "Der Mufti Amīn el-Ḥusainī," *Zeitschrift für Politik* 31, 7 (1941), 430–439; Ernst Klingmüller, "Hadj Emin el-Huseini: Großmufti von

Jerusalem," *Zeitschrift für Politik* 33, 8/9 (1943), 413–417; and, for a prewar article on al-Husayni, Walther Björkman, "Der Mufti von Jerusalem," *Zeitschrift für Politik* 28, 5 (1938), 306–311. Another Muslim collaborator honored with an article in the

وكُرِّم الثوري السوري فوزي القاوقجي، أحد المتعاونين المسلمين الآخرين، في مقالة في مجلة السياسة، انظر:

I. Jorda, "Fauzi el-Kawukschi—der Held der Wüste: Das Leben eines arabischen Freiheitskämpfers," *Zeitschrift für Politik* 32, 4 (1942), 261–265.

(128) Paschasius: "Europa und die islamische Welt des Nahen Ostens," *Militärwissenschaftliche Rundschau* 7, 2 (1942), 192–204, 197.

راجعت القوات المسلَّحة الألمانية (الفيرماخت) هذه المقالة في أثناء الحرب العالمية الثانية، انظر:

German Federal Military Archives (*Bundesarchiv, Militärarchiv*), Freiburg (BA–MA), RH 2/1764.

(129) ohannes Benzing, "Bolschewismus, Turkvölker und Islam: Ein Beitrag zur Nationalitätenpolitik des Bolschewismus," *Osteuropa* 13, 3 (1937), 187–194.

أشار بينسنغ إلى أهمية الإسلام و«الحرب المقدسة» في حركات المقاومة الإسلامية في روسيا منذ العهد القَيصري، في مقالته التأريخية:

Johannes Benzing, "Das turkestanische Volk im Kampf um seine Selbstständigkeit," *Die Welt des Islams* 19 (1937), 94–137, especially 101–102, 105.

(130) Benzing, "Bolschewismus, Turkvölker und Islam," 194.

(١٣١) المرجع السابق، ص ١٩٤.

(١٣٢) المرجع السابق، ص ١٩٣.

(133) Johannes Benzing, *Turkestan* (Berlin, 1943); and Johannes Benzing, "Die Türkvölker der Sowjetunion," in Hans Heinrich Schaeder (ed.), *Der Orient in deutscher Forschung* (Leipzig, 1944), 18–26,

والتي قرأتها أيضًا وحدات الحماية النازية المسئولة عن تعبئة المسلمين في الحرب، انظر الوثائق في (BAB, NS 31/29).

(١٣٤) عن الإسلام والقومية في الاتحاد السوفييتي، انظر:

Gerhard von Mende, *Der nationale Kampf der Russlandtürken: Ein Beitrag zur nationalen Frage in der Sowjetunion* (Berlin, 1936), see esp. 180–182.

لكن منده تراجع عن أفكاره بعد ثلاث سنوات في:

Gerhard von Mende, *Die Völker der Sowjetunion* (Reichenau, 1939).

(135) G. J., "Gerhard von Mende, Der nationale Kampf der Russlandtürken" (Review), *Die Welt des Islams* 18 (1936), 146–147.

(١٣٦) المرجع السابق، ص ١٤٦.

(١٣٧) المرجع السابق.

(138) Gotthardt Jäschke, "Kommunismus und Islam im Türkischen Befreiungskriege," *Die Welt des Islam* 20 (1938), 110–117.

(١٣٩) المرجع السابق، ص ١١٠.

(140) Paul Schmitz, *Moskau und die islamische Welt* (Munich, 1938), quotation on 15.

(١٤١) المرجع السابق، ص ٢١.

(١٤٢) المرجع السابق، ص ٢٢.

(١٤٣) المرجع السابق، ص ٥٨.

(144) J. Benzing, "Paul Schmitz, Moskau und die islamische Welt" (Review), *Die Welt des Islams* 20 (1938), 151–152, 152.

(145) Karl Krüger, "Der Islam als Wirtschaftsfaktor in Mittelasien," *Organ des Deutschen Orient Vereins* 2, 8 (1941), 48–53.

وعن تأملات كروغر القديمة في «نفسية الرجل المسلم»، انظر:

Karl Krüger, "Der neue Wirtschaftsgeist im Islamischen Orient," *Zeitschrift für Politik* (1923), 248–263.

(146) Franz Ronneberger, "Der Islam im Antlitz Europas," *Völkischer Beobachter* (19 October 1942).

وبعد أن أنهى أطروحة الدكتوراه عن «بسمارك والجنوب الشرقي» (١٩٣٨)، ونشر كتابًا عن السياسة المعاصرة للبلقان (١٩٤٠)، أصبح رونابرغر أحد أكثر خبراء النظام طموحًا وإنتاجًا عن البلقان، انظر:

Franz Ronneberger, *Einführung in die politischen Probleme Südosteuropas* (Munich, 1940); Franz Ronneberger, *Bismarck und Südosteuropa* (Berlin, 1941); and the fifteen-page brochure, Franz Ronneberger, *Der nahe Osten* (Vienna, 1942). On Franz Ronneberger, see Peer Heinelt, *"PR-Päpste": Die kontinuierlichen Karrieren von Carl Hundhausen, Albert Oeckl und Franz Ronneberger* (Berlin, 2003), esp. 130–188; and Peer Heinelt, "Portrait eines Schreibtischtäters: Franz Ronneberger (1913–1999)," in Wolfgang Duchkowitsch, Fritz Hausjell, and Bernd Semrad (eds.), *Die Spirale des Schweigens: Zum Umgang mit der nationalsozialistischen Zeitungswissenschaft* (Münster, 2004), 198–201; Gerhard Seewann, "Das Südost-Institut 1930–1960," in Mathias Beer and Gerhard Seewann (eds.), *Südostforschung im Schatten des Dritten Reiches: Institutionen, Inhalte, Personen* (Munich, 2004), 49–92; and Carsten Klingemann, "Franz Ronneberger: Sozialwissenschaft, Publizistik, Nachrichtendienst: Zum Verhältnis von 'Intelligence' und Wissenschaft," in Christina Holtz-Bacha, Arnulf Kutsch, Wolfgang Langenbucher, and Klaus Schönbach (eds.), *Fünfzig Jahre Publizistik* (Wiesbaden, 2006), 144–175.

ويمكننا أن نجد بعض وثائق الاستخبارات المتعلقة بـ رونابرغر في (PA, R 67569).

(147) Anonymous, "Zum Mohammedanerproblem in Bosnien und der Herzegowina," *Volkstum im Südosten* 7 (1943), 103–112.

(١٤٨) من المثير للاهتمام أن الكتّاب عدُّوا تركيا الكمالية استثناءً في العالم الإسلامي أو زعموا أن الإسلام ظل يلعب دورًا مهمًا في تركيا. وقد عدَّ لنديمان حالة تركيا الكمالية استثناءً في:
Anonymous, "Zum Mohammedanerproblem in Bosnien und der Herzegowina," *Volkstum im Südosten* 7 (1943), 103–112.

بل إن رايكارت زعم أن معظم المسلمين يعارضون اللائكية الكمالية بوصفها ردَّة، انظر:
Reichardt, *Der Islam vor den Toren,* 321–322.

وقد شاركه شميتز رؤيته، وأكد على أن «نظرة أعمق» إلى تركيا ستبرز أن الدين لا يمكن القضاء عليه تمامًا، انظر:

Schmitz, *All-Islam!,* 106.

وفي أثناء الحرب، عدَّت المجلَّة العلمية العسكرية (*Militärwissenschaftliche Rundschau*) أن تركيا الكمالية لا تزال مسلمةً «رغم كل شئ»، انظر:
W. Paschasius, "Europa und die islamische Welt," 197.

(١٤٩) ربما المثال الأفضل هنا هو رولف بيك (Rolf Beckh) الذي وصف الإسلام بأنه دين رجعي ضد القومية، وأنه «دين سامي» يناظر الشيوعية. واعترف بيك أيضًا بأن الإسلام يمر بمرحلة إحياء، انظر:
Rolf Beckh, *Der Islam und die überstaatlichen Mächte* (Munich, 1937).

رأى البعض الآخر أن هناك بعثًا دينيًا في جميع أنحاء العالم الإسلامي، لكنهم عدُّوه تهديدًا بالأساس، انظر على سبيل المثال:
Meinulf Küster, "Bewegung im Islam," *Deutsche Rundschau Leipzig* (January 1938), 8–30.

استرجع كوستر الثورات الإسلامية والمهدوية في أواخر القرن التاسع عشر وحتى «رسائل مكة» في شرق إفريقيا الألماني (٣٠)، معتبرًا الإسلام «متشدِّدًا وتوَّاقًا للموت» (٣٠). وعلى الرغم من ندرتها في ألمانيا، إلَّا أن بعض المفكرين البارزين من غير الألمان حملوها لتحسين النسل (eugenicist)، وعالم السياسة الأمريكي لوثروب ستودارد (Lothrop Stoddard) الذي عدَّ صعود الإسلام تهديدًا لـ «الغرب»، انظر:
Lothrop Stoddard, *The New World of Islam* (New York, 1921).

ومن المثير للاهتمام أن هاوسهوفر اعترف باستقائه عشر «استبصارات عميقة» عن الجامعة الإسلامية من أعمال ستودارد، على الرغم من أنه نأى بنفسه عن التقييم السلبي الذي منحه هذا الأخير للإسلام، انظر:

Haushofer, *Geopolitik der Pan-Ideen,* 15 and 37–38.

ومن المتوقع أن الصحفيين التبشيريين، مثل غوتفريد سيمون (Gottfried Simon) سيعدُّ ما تُصوِّر من إحياء سياسي للإسلام بعد الحرب العالمية الأولى خطرًا (على النصرانية)، انظر:
Simon, *Die Welt des Islam und die neue Zeit;* and Gottfried Simon, *Islam und Bolschewismus* (Wernigerode, 1937).

(150) Robert L. Baker, *Oil, Blood and Sand* (New York, 1942), 39.

قيّمت المنشورات الفرنسية أيضًا السياسة الألمانية تجاه العالم الإسلامي، وكان من أبرزها:
Bernard Vernier, *La politique islamique de l'Allemagne* (Paris, 1939).

بل إن ڤيرنييه (Vernier) ربط بين إستراتيجية هتلر وبين حملة ألمانيا لتعبئة المسلمين في الحرب العالمية الأولى (١٠).

(151) Baker, *Oil, Blood and Sand,* 42–44.

(١٥٢) المرجع السابق، ص ٤٢.

(١٥٣) المرجع السابق.

(١٥٤) المرجع السابق، ص ٤٥.

(١٥٥) المرجع السابق، ص ٤٤.

(156) Ebeling, *Geopolitik;*

وعن هاوسهوفر وتأثيره على هتلر، انظر:

Jacobsen, *Karl Haushofer;* and Hipler, *Hitlers Lehrmeister.*

يشير ياكوبسن (Jacobsen) إلى أنه لا يجب تضخيم أثر هاوسهوفر، في حين كتب هيلر (Hipler) أن مدرسة هاوسهوفر الفكرية كان لها تأثير كبير على هتلر.

(١٥٧) للاطلاع على ما قُرئ عن الإسلام في وحدات الحماية النازية، انظرالوثائق الموجودة في:
(BAB, NS 31/29 and NS 31/30),

وللاطلاع على ما قُرئ في القوات المسلَّحة الألمانية، انظر الوثائق الموجودة في سجلات الجيش الفيدرالي الألماني

(*Bundesarchiv, Militärarchiv*), Freiburg (BA–MA), RH 2/1764,

وللاطلاع على ما قُرئ في وزارة الشرق، انظر الوثائق الموجودة في:
(BAB, R 6/510, R 6/512 and R 6/555).

***

الفصل الثاني
اللحظة الإسلامية في برلين

(1) Oppenheim, Memorandum, 25 July 1940, Berlin, PA, Nachlass Hentig, vol. 84.

(2) Habicht to Oppenheim, 27 July 1940, Berlin, PA, Nachlass Hentig, vol. 84.

(٣) عن السياسة الخارجية لألمانيا النازية قبل الحرب، انظر:

Hans-Adolf Jacobsen, *Nationalsozialistische Außenpolitik 1933–1938* (Frankfurt, 1968); Bernd-Jürgen Wendt, *Großdeutschland: Außenpolitik und Kriegsvorbereitung des Hitler-Regimes* (Munich, 1987); Marie-Luise Becker, *Die Aussenpolitik des Dritten Reiches* (Munich, 1990); Rainer F. Schmidt, *Die Aussenpolitik des Dritten Reiches 1933–1939* (Stuttgart, 2002); Lars Lüdicke, *Griff nach der Weltherrschaft: Die Aussenpolitik des Dritten Reiches 1933–1945* (Berlin, 2009), 1–130; Eckart Conze et al., *Das Amt und die Vergangenheit: Deutsche Diplomaten im Dritten Reich und in der Bundesrepublik* (Munich, 2010), 74–137; and the articles in Funke (ed.), *Hitler, Deutschland und die Mächte;* and, on the colonial world, Klaus Hildebrand, *Vom Reich zum Weltreich: Hitler, NSDAP und koloniale Frage, 1919–1945* (Munich, 1969), 441–624;

وعن أفكار هتلر المتعلقة بالسياسة الخارجية، انظر:

Axel Kuhn, *Hitlers außenpolitisches Programm: Entstehung und Entwicklung 1919–1939* (Stuttgart, 1970),

والذي بالغ -إلى حدٍّ ما- في تقدير تماسك «خُطَّة» هتلر في السياسة الخارجية.

(4) Stohrer, Internal Note, 18 November 1941, Berlin, PA, R 29533.

(٥) المرجع السابق.

(٦) عن شرومپف-پيرون، انظر:

André-Paul Weber, *Conseiller du grand mufti: L'odyssée du Docteur Pierre Schrumpf-Pierron 1882–1952* (Paris, 2005).

(7) Schrumpf-Pierron, Memorandum, 12 May 1941, Cairo, BA–MA, RH 2/1765.

(8) Woermann, Internal Note ("Aufzeichnung zur arabischen Frage"), 7 March 1941, Berlin, PA, R 261123.

(9) Woermann, Internal Note, 23 January 1942, Berlin, PA, R 27501.

(10) Woermann, Internal Note, 11 February 1942, Berlin, PA, R 27501 (also in PA, R 60670).

(11) Woermann to Weizsäcker, 3 March 1942, Berlin, PA, R 30005.

(١٢) عُـدَّ مسـلمو الهنـد حالةً خاصة في هذه النقاشـات؛ نظـرًا لأن ألمانيا كانت تحـاول تجنب دعم النّزعـة الانفصاليـة الإسـلامية فـي الهند. والمذكّرة الأساسـية عن الإسـلام والسياسـة في الهند البريطانية هي:

Alsdorf (Foreign Office), Internal Note ("Die indischen Mohammedaner, der Pakistan-Plan und die deutsche Orientpolitik"), n.d. (1941), Berlin, PA, R 27501; and Keppler, Internal Note ("Propagandistische Erfassung der indischen Moslems"), 8 March 1943, Berlin, PA, R 67660;

وتتوافق معها:

Keppler, Internal Note ("Sprachregelung über das Problem der Moslem-Liga"), 3 April 1943, Berlin, PA, R 60677.

(١٣) عن سياسات وزارة الخارجية في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، انظر:

Tillmann, *Deutschlands Araberpolitik im Zweiten Weltkrieg;* Hirszowicz, *The Third Reich and the Arab East;* and Schröder, *Deutschland und der Mittlere Osten im Zweiten Weltkrieg.*

(١٤) عن غروبًا، انظر:

Francis R. Nicosia, "Fritz Grobba and the Middle East Policy of the Third Reich," in Edward Ingram (ed.), *National and International Politics in the Middle East: Essays in Honour of Elie Kedourie* (London, 1986), 206–228; Edgar Flacker, "Fritz Grobba and Nazi Germany's Middle Eastern Policy, 1933-1942" (PhD diss., University of London, 1998); and Wolfgang G. Schwanitz, "'The Jinnee and the Magic Bottle': Fritz Grobba and the German Middle Eastern Policy 1900–1945," in Wolfgang G. Schwanitz (ed.), *Germany and the Middle East 1871-1945* (Princeton, NJ, 2004), 86–117;

ومذكراته:

Fritz Grobba, *Männer und Mächte im Orient: 25 Jahre diplomatische Tätigkeit im Orient* (Göttingen, 1967).

وقد ألّف غروبًا أيضًا كتابين في أثناء الحرب وبعدها، انظر:

Fritz Grobba, *Irak* (Berlin, 1941); and Fritz Grobba (alias Hans Ludwig Wegener), *Der britische Geheimdienst im Orient: Terror und Intrige als Mittel englischer Polid tik* (Berlin, 1942).

وللاقتباس، انظر:

Albert Viton, "Britain and the Axis in the Near East," *Foreign Affairs* 2 (January 1941), 370-384, 380.

(١٥) حول پروفه، انظر:
Paul Kahle, "Curt Prüfer," *Zeitschrift der deutschen Morgenländischen Gesellschaft* 111 (1961), 1–3; McKale, *Curt Prüfer*;
ونسخة يومياته (المنقَّحة وغير المنقَّحة) في فترة الحرب:
Donald M. McKale (ed.), *Rewriting History: The Original and Revised World War II Diaries of Curt Prüfer, Nazi Diplomat* (Kent, OH, 1988).
(16) Ilan Pappe, *The Rise and Fall of a Palestinian Dynasty: The Husaynis 1700–1948* (London, 2010).
(17) Uri M. Kupferschmidt, *The Supreme Muslim Council: Islam under the British Mandate for Palestine* (Leiden, 1987), esp. 19–28.
(١٨) عن أمين الحسيني في برلين، انظر:
Schechtman, *The Mufti and the Fuehrer;* Lebel, *The Mufti of Jerusalem*; and Gensicke, *The Mufti of Jerusalem and the Nazis;*
ولمجموعة من الوثائق المتعلقة بنشاط الحسيني في ألمانيا، انظر:
Gerhard Höpp (ed.), *Mufti-Papiere: Briefe, Memoranden, Reden und Aufrufe Amin al-Husainis aus dem Exil, 1940–1945* (Berlin, 2002).
ونجد عرضًا تأريخيًا في:
Höpp, "Der Gefangene im Dreieck."
كانت الصحافة الألمانية تتابع زيارة المفتي إلى برلين، انظر على سبيل المثال:
Anonymous, "Der Mufti von Jerusalem in Italien," *Frankfurter Zeitung* (27 October 1941); and Anonymous, "Der Großmufti kommt nach Berlin," *Deutsche Allgemeine Zeitung* (6 November 1941).
(١٩) عن اجتماع هتلر والحسيني، انظر:
Schechtman, *The Mufti and the Fuehrer,* 122–124; Lebel, *The Mufti of Jerusalem,* 110–116; and Gensicke, *The Mufti of Jerusalem and the Nazis,* 66–69.
غطَّت **الإذاعة الأسبوعية** (*Wochenschau*) الزيارة، إلّا أنه وفقًا لوحدات الحماية، لم تُثر هذه التغطية «اهتمامًا كبيرًا» لدى الألمان.
Heinz Boberach (ed.), *Meldungen aus dem Reich, 1938–1945: Die geheimen Lageberichte des Sicherheitsdienstes der SS,* vol. 9 (Berlin, 1984), 3101–3119 (18 December 1941), 3106.
(٢٠) **مذكرات الحاج محمَّد أمين الحسيني**، إعداد وتصنيف: عبد الكريم العمر (دمشق، ١٩٩٩)، ص ١٠٨-١١٢، والاقتباس من ص ١٠٨. تستند المذكرات جزئيًا إلى **يوميّات الحسيني**، وتُبدي -بشكل واضح- رغبة المفتي الدائمة في تصوير نفسه على أنه رجل دولة عظيم.
(٢١) كتب پول شميدت (Paul Schmidt)، المترجم الرسمي لفريتز غروبًا وهتلر، تقارير عن الاجتماع لوزارة الخارجية، وعرض تفصيليًا لمحتوى المناقشة، انظر:
Schmidt, Internal Note ("Aufzeichnung über die Unterredung zwischen dem Führer

und dem Grossmufti von Jerusalem in Anwesenheit des Reichsaussenminsiters u. des Gesandten Grobba in Berlin am 28. November 1941"), 30 November 1941, Berlin, PA, R 35475; and Grobba, Internal Note ("Empfang des Großmufti durch den Führer"), 1 December 1941, Berlin, PA, R 261123.

وقد عرض ليونارد موزلي (Leonard Mosley) سردية مختلفة للقاء، تزعم أنها تقوم على شهادة بعد الحرب ليوهانس إيبلر (Johannes Eppler) الذي كان مترجمًا حضر اللقاء. لكن ادعاءات موزلي بأن هتلر تصرَّف بشكل محرج لمَّا التقى الحسيني، حتى أنه رفض مصافحته، تناقض مذكرات إيبلر نفسه عندما تحدث عن الاجتماع، انظر:

Leonard Mosley, *The Cat and the Mice* (London, 1958), 26–29, John Eppler, *Operation Condor: Rommel's Spy* (London, 1977), 193–197 and, on Mosley, 241–243;

ولم نجد ذِكرًا للاجتماع في مذكرات إيبلر الألمانية، انظر:

John W. Eppler, *"Rommel ruft Kairo": Aus dem Tagebuch eines Spions* (Gütersloh, 1959); and John W. Eppler, *Geheimagent im Zweiten Weltkrieg: Zwischen Berlin, Kabul und Kairo* (Preußisch Oldendorf, 1974).

(22) Ettel (Foreign Office), Internal Note, 16 April 1943, Berlin, PA, R 27322.

(٢٣) وُثِّق هذا النزاع جيدًا، ونجده في وثائق وزارة الخارجية التالية: PA, R 27322–27328.

وعن النزاع، انظر:

Schechtman, *The Mufti and the Fuehrer,* passim; Lebel, *The Mufti of Jerusalem,* passim; and Gensicke, *The Mufti of Jerusalem and the Nazis,* passim.

وقد عرض ڤيلهلم ميلشرز (Wilhelm Melchers) للنزاع بشكل جيد بعد الحرب، انظر:

Melchers, Nuremberg Interrogation Statement ("Die Politik des Mufti"), 6 August 1947, Nuremberg, Archives of the Center for Advanced Holocaust Studies, Washington, DC (USHMA), RG 71, Box 248.

(٢٤) عن إيتل، انظر:

Frank Bajohr, "'Im übrigen handle ich so, wie mein Gewissen es mir als Nationalsozialist vorschreibt': Erwin Ettel—vom SS-Brigadeführer zum außenpolitischen Redakteur der ZEIT, in Jürgen Matthäus and Klaus-Michael Mallmann (eds.), *Deutsche, Juden, Völkermord: Der Holocaust als Geschichte und Gegenwart* (Darmstadt, 2006), 241–255.

(25) Schechtman, *The Mufti and the Fuehrer;* Lebel, *The Mufti of Jerusalem;* and Gensicke, *The Mufti of Jerusalem and the Nazis.*

(٢٦) نجد عرضًا في المصادر الواردة في الحاشية رقم (٢٥)، والتالي:

Gerhard Höpp, "'Nicht 'Alī zuliebe, sondern aus Hass gegen Mu'āwiya': Zum Ringen um die 'Arabien-Erklärung' der Achsenmächte 1940–1942," *Asien, Afrika, Lateinamerika* 27 (1999), 569–587.

دفع المفتي مرارًا في اتجاه إعلان استقلال العرب لكن واجهته مقاومة النخبة النازية، وبالأخصّ

هتلر الذي تذمّر، في أثناء أحاديث المائدة في مايو/ أيار من عام ١٩٤٢، من ضغط الدبلوماسيين لأجل إعلان استقلال العرب، انظر:
Hitler's Table Talk 1941–1944, ed. H. R. Trevor-Roper and transl. Norman Cameron and R. H. Stevens (London, 1953), 488 (16 May 1942, dinner).

(٢٧) عن هذه التدخلات، انظر:
Raul Hilberg, *The Destruction of the European Jews* (London, 1961), 504–505, and, in the revised edition, Raul Hilberg, *The Destruction of the European Jews*, 3 vols. (London, 1985), vol. 2, 789–790; Schechtman, *The Mufti and the Fuehrer*, 154–159; Lebel, *The Mufti of Jerusalem*, 246–255; and Gensicke, *The Mufti of Jerusalem and the Nazis*, 117–129.

(٢٨) عن راتب الحسيني، انظر:
Schechtman, *The Mufti and the Fuehrer*, 142–144; Lebel, *The Mufti of Jerusalem*, 136–138; and Gensicke, *The Mufti of Jerusalem and the Nazis*, 161–167.

ونجد كذلك معلومات مفصلة عمّا دُفع للمفتي لقاء خدماته، قدّمها مدير مكتب استخبارات وحدات الحماية ڤالتر شلنبرغ (Walter Schellenberg) وكارل ريكوڤسكي (Carl Rekowski) في التحقيقات التي قام بها روبرت كمبنر (Robert Kempner) معه في نورمبرغ، انظر:
Robert M. W. Kempner, *Das Dritte Reich im Kreuzverhör: Aus den unveröffentlichten Vernehmungsprotokollen des Anklägers in den Nürnberger Prozessen* (Munich, 2005 [1969]), 301–305 (Schellenberg), esp. 303–305, and 305–306 (Rekowski).

(٢٩) كانت محاولات المفتي تقديم نفسه عروبيًا بعد وصوله إلى برلين في عامي (١٩٤١–١٩٤٢) تتضح في جميع رسائله التي أرسلها إلى وزارة الخارجية، انظر الوثائق الموجودة في:
(PA, R 27322–27328).

وفي يونيو/ حزيران من عام ١٩٤٢، أخبر المفتي إيتل أنه لم يدرس العقيدة جيدًا، وأنه من الخطأ عدُّه رمزًا دينيًا، وذلك على الرغم من تأكيده على أن المسلمين لا يميزون في العادة بين السياسة والدين، انظر:

Ettel, Internal Note, 26 June 1942, Berlin, PA, R 27324.

(30) Grobba to Woermann, 19 October 1942, Berlin, PA, R 27322.

(31) Ettel to Ribbentrop, 22 September 1942, Berlin, PA, R 27324.

(32) Idris, Curriculum Vitae, n.d. (post-1933), n.p. (Berlin), PA, R 60740. On Idris, see also literature in Chapter 1, note 35.

(٣٣) رشيد رضا، «فتوى المنار»، المنار، العدد ٣٣ (٥ سبتمبر/ أيلول ١٩٣٣)[أ]، ٣٤٧–٣٥١، والذي يحتوي على رسالة عالم جان إدريس، ص٣٤٧. ومقالة المنار موجودة في المكتبة البريطانية.

(٣٤) عن تاريخ المعهد الإسلامي المركزي من منظور الأقلية المسلمة في ألمانيا، انظر:

(أ) كذا في الأصل الإنكليزي، وهو خطأ صوابه: (٣ مارس/ آذار ١٩٣٣). (المترجم)

Gerhard Höpp, "Muslime unterm Hakenkreuz: Zur Entstehung des Islamischen Zentralinstituts zu Berlin e.V.," *Moslemische Revue* 1 (1994), 16–27; and Bernd Bauknecht, *Muslime in Deutschland von 1920 bis 1945* (Cologne, 2001), 107–117.

تتوفر ملفات الحكومة المتعلقة بالمعهد في محفوظات برلين الحكومية:
(*Landesarchiv Berlin*), Berlin (LArchB), A Pr. Br. Rep 030-04 (*Polizeipräsidium Berlin, Vereine*), no. 2314 (*Islam-Institut, 1939–1940*); and LArchB, A Pr. Br. Rep. 030-04 (*Polizeipräsidium Berlin, Vereine*), no. 2840 (*Islamisches Zentral-Institut zu Berlin, 1942–1945*);

وعن الحفل الافتتاحي في عام ١٩٤٢، انظر:
PA, R 27322, R 27324, R 27327, and R 60601.

وكذلك فقد نجت دعوات الحفل من الحرب، انظر:
("Einladung zur Eröffnung des Islamischen Zentral-Instituts zu Berlin e.V."), n.d. (December 1943), Berlin, PA, R 27327.

(35) Prüfer to Woermann, 13 Dezember 1942, Berlin, PA, R 27327.

(36) Al-Husayni, Speech, 18 December 1942, Berlin, PA, R 27327.

(٣٧) المرجع السابق.

(38) Ettel, Internal Note, 11 December 1942, Berlin, PA, R 27327,

وعن إجازة ريبنتروب للخطاب البثّ الإذاعي وتنظيمه، انظر:
Prüfer, Internal Note, 10 December 1942, Berlin, PA, R 27327; Ettel, Internal Note, 11 December 1942, Berlin, PA, R 27327; and Ettel, Internal Note, 16 December 1942, Berlin, PA, R 27327.

وقبل فكرة حفل الافتتاح كان مخططًا بالفعل لفعالية دعائية في عيد الأضحى تُقام في مسجد برلين، وتُذاع في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، انظر:
Grobba, Minutes ("38. Sitzung, Arabien-Komitee"), 3 December 1942, Berlin, PA, R 27327; and Ettel, Internal Note, 8 December 1942, Berlin, PA, R 27327.

(39) Anonymous, "Dieser Krieg kann dem Islam die Freiheit bringen!," *Völkischer Beobachter* (19 December 1942);

وقبل شهرين، كتبت الجريدة عن الإسلام بطريقة مشابهة، انظر:
H. Höpfl'l, "Der Islam in der Prüfung," *Völkischer Beobachter* (6 October 1942);

ثم ستظل تفعل ذلك طيلة الشهور التالية، انظر على سبيل المثال:
Anonymous, "Aufruf des Großmuftis gegen die Todfeinde des Islams: Araber werden für ihre Freiheit an der Seite der Achse kämpfen," *Völkischer Beobachter* (20 March 1943).

(40) Anonymous, "Der Großmufti über den Befreiungskampf des Islams: Eröffnung eines Islamischen Kulturinstitutes in Berlin," *Deutsche Allgemeine Zeitung* (19 December 1942).

وفي اليوم التالي، نشرت الجريدة صورةً للحدث.

Anonymous, "Der Großmufti von Jerusalem sprach in Berlin," *Deutsche Allgemeine Zeitung* (20 December 1942).

(41) Anonymous, "Der Sprecher von 400 Millionen klagt an," *Das 12 Uhr Blatt: Neue Berliner Zeitung* (19 December 1942);

وعن الصور، انظر:

Anonymous, "Der Großmufti sprach," *Berliner Illustrierte Nachtausgabe* (19 December 1942); and Anonymous, "Islamische Freiwillige beim Großmufti," *Berliner Illustrierte Nachtausgabe* (19 December 1942).

(٤٢) عن إعادة تأسيس المعهد، انظر المصادر الواردة في الحاشية رقم (٣٤)، ولعروض مختصرة، انظر:

Ettel, Internal Note, 11 December 1942, Berlin, PA, R 27327; and Ettel, Internal Note, 16 December 1942, Berlin, PA, R 27327.

(٤٣) عن الأقلية المسلمة في ألمانيا في فترة ما بين الحربين ومسجد برلين، انظر:

Gerhard Höpp, "Zwischen Moschee und Demonstration: Muslime in Berlin, 1920–1930," *Moslemische Revue* 3 (1990), 135–146; 4 (1990), 230–238; and 1 (1991), 13–19; Gerhard Höpp, "Die Wünsdorfer Moschee": Britta Richter, "Islam im Deutschland der Zwischenkriegsjahre," *Zeitschrift für Türkeistudien* 2 (1996), 257–266; and Bauknecht, *Muslime in Deutschland von 1920 bis 1945.*

(44) Melchers to Woermann, 16 December 1942, Berlin, PA, R 27327; and Tismar to Ettel, 17 December 1942, Berlin, PA, R 27327.

(٤٥) كان كورت مونسل (Kurt Munzel) من إدارة الشرق الأوسط بقسم الإذاعة في وزارة الخارجية مسئولًا عن الشئون المالية المتعلقة بالمعهد كافّة، انظر:

Minutes ("Protokoll der neuen Gründungsversammlung des Islamischen Zentral-Instituts"), October 1942, Berlin, LArchB, A Pr. Br. Rep. 030-04, no. 2840.

(46) Ettel, Internal Note, 11 December 1942, Berlin, PA, R 27327.

(47) Ettel, Internal Note, 26 February 1943, Berlin, PA, R 27322.

(٤٨) عن سياسات وزارة الخارجية في القوقاز والقِرم، انظر:

Alexander Dallin, *German Rule in Russia, 1941–1945: A Study of Occupation Policies* (London, 1957), 235–240, 272, and 257–259; and Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 68–81.

(٤٩) عن هينتغ، مع التركيز على الفترة التي قضاها في القِرم، انظر:

Johannes Hürter, "'Nachrichten aus dem Zweiten Krimkrieg': Werner Otto v. Hentig als Vertreter des Auswärtigen Amts bei der 11. Armee," in Wolfgang Elz and Sönke Neitzel (eds.), *Internationale Beziehungen im 19. und 20. Jahrhundert: Festschrift für Winfried Baumgart zum 65. Geburtstag* (Paderborn, 2003), 361-387;

ولمذكراته:

Werner Otto von Hentig, *Mein Leben: Eine Dienstreise* (Göttingen, 1962). In the war

years, Hentig published Werner Otto von Hentig, *Der Nahe Osten rückt näher* (Leipzig, 1940).

(50) Hentig, Internal Note ("Turanismus"), n.d. (November 1941), Berlin, PA, R 28876 (also in PA, R 261179).

كان رؤساؤه في العمل متقبّلين لهذه الخطط. وقد أوجز ڤيرمان (Woermann) تقرير هينتغ وعلّق عليه في مذكّرة داخلية قدّمها لريبّنتروپ، انظر:

Woermann, Internal Note ("Aufzeichnung über Fragen des Vorderen Orients"), 6 November 1941, Berlin, PA, R 28876 (also in PA, R 261179).

ثم أرسل ريبّنتروپ بحماس تقريرًا إلى هتلر عن الأهمية السياسية للترك الشرقيين، بناء على المذكرات الداخلية لڤيرمان وهينتغ، وشدّد على أن هناك «محمّديّون معارضون للروس في كل مكان»، انظر:

Ribbentrop, Report ("Notiz für den Führer"), 13 November 1941, n.p., PA, R 28876.

وبعد أيام، أرسل ريبّنتروپ خريطةً لهتلر تبيّن الأماكن التي تقطنها الشعوب التركية في الاتحاد السوڤييتي، انظر:

Ribbentrop, Report ("Notiz für den Führer"), 19 November 1941, n.p., PA, R 28876.

(51) Hentig, Internal Note ("Stand der sog. Turanischen Frage"), 25 February 1942, Berlin, PA, R 60690 (also in PA, R 261175).

(٥٢) المرجع السابق.

(٥٣) حول النزاع بين وزارتي الخارجية والشرق، انظر المصادر الواردة في الحاشية رقم (٤٨).

(٥٤) حول سياسات وزارة الشرق في القوقاز والقِرم واللجان القومية، انظر:

Dallin, *German Rule in Russia,* 228–231, 235–240, 253–257, and 264–270; and Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 68–138;

وللسياق الأوسع، انظر:

Andreas Zellhuber, *"Unsere Verwaltung treibt einer Katastrophe zu . . . ": Das Reichsministerium für die besetzten Ostgebiete und die deutsche Besatzungsherrschaft in der Sowjetunion 1941–1945* (Munich, 2006).

(55) Mende to Dallin, 19 November 1953, n.p., quoted in Dallin, *German Rule in Russia,* 267.

(56) Bräutigam, Internal Note ("Politische Richtlinien hinsichtlich Turkestan"), 25 November 1941, Berlin, BAB, R 6/247.

(٥٧) حول سياسات القوات المسلّحة الألمانية في القوقاز والقِرم، انظر:

Dallin, *German Rule in Russia,* 238–249 and 259–264; and Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 57–68 and 183–195.

(58) Schweitzer (Army), Internal Note ("Verbreitung des Islams unter den Kriegsgefangenen"), 18 November 1941, Berlin, United States National Archives, Maryland (USNA), RG 242, T454, Roll 92.

التقى الجيش أولًا بأسرى حرب مسلمين عرضوا القتال إلى جانب القوات المسلّحة ضد البلشفية الملحدة، انظر على سبيل المثال خطاب من الأسرى الأوزبك لهتلر بدون تاريخ في عام ١٩٤١، يشكرونه باسم ملايين المسلمين لتحريرهم، ويأكدون له أن موسكو أخفقت في مساعيها لتحطيم الإسلام ومشاعرهم الدينية. الترجمة الألمانية للخطاب في:
Uzbek, 7 September 1941, Vienna, PA, R 29900.

(59) Schweitzer, Internal Note ("Verbreitung des Islams unter den Kriegsgefangenen"), 18 November 1941, Berlin, USNA, RG 242, T454, Roll 92.

(60) Wehrmacht, Internal Note ("USSR und Islam"), 15 May 1942, Berlin, BA–MA, RH 2/1764;

وقد أُرسل التقرير للقسم الشرقي في استخبارات الجيش بقيادة راينهارد غهلن (Reinhard Gehlen)، انظر:
Wehrmacht Foreign Intelligence (*Amt Ausland/Abwehr*) to Foreign Armies East (*Fremde Heere Ost*), 22 May 1942, Berlin, BA–MA, RH 2/1764.

(61) Wehrmacht, Internal Note ("UdSSR und Islam"), 15 May 1942, Berlin, BA–MA, RH 2/1764.

(٦٢) عن نيدرماير، انظر:
Franz W. Seidler, "Oskar Ritter von Niedermayer im Zweiten Weltkrieg: Ein Beitrag zur Geschichte der Ostlegionen," *Wehrwissenschaftliche Rundschau* 20, 3 (1970), 168–174 (Part 1) and 20, 4 (1970), 193–208 (Part 2); and Seidt, *Berlin, Kabul, Moskau.*

(٦٣) روّج نيدرماير بلا كلل للخبرة التي حصل عليها في أثناء الحرب العالمية الأولى، فبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، توجّه نيدرماير إلى وزارة الخارجية ليعرض إشعال الثورات في العالم العربي والهند ضد البريطانيين، مشيرًا إلى تجربته السابقة، انظر:
Niedermayer, Report ("Politik und Kriegsführung im Vorderen Orient: Eine wehrpolitisch-strategische Studie"), 3 November 1939, Berlin, PA, R 261179.

(٦٤) أكد غروبًا لڤيرمان أن الحسيني «لم يكن موضع ثقة القيادة العليا للقوات المسلّحة»، انظر:
Grobba to Woermann, 19 October 1942, Berlin, PA, R 27322.

(٦٥) عن برغر، انظر:
Gerhard Rempel, "Gottlob Berger and Waffen-SS Recruitment: 1939–1945," *Militärgeschichtliche Mitteilungen* 27, 1 (1980), 107–122,

الذي يركز على دوره في تجنيد وحدات الحماية، وبشكل أعم، انظر:
Gerhard Rempel, "Gottlob Berger: 'Ein Schwabengeneral der Tat,'" in Ronald Smelser and Enrico Syring (eds.), *Die SS: Elite unter dem Totenkopf: 30 Lebensläufe* (Paderborn, 2000), 45–59; Joachim Scholtyseck, "Der 'Schwabenherzog' Gottlob Berger, SS-Obergruppenführer," in Joachim Scholtyseck and Michael Kißener (eds.), *Die Führer der Provinz: NS-Biographien aus Baden und Württemberg* (Konstanz,

1997), 77–110; and Alfred Hoffmann, "Der 'maßlose Drang, eine Rolle zu spielen': Gottlob Berger," in Wolfgang Proske (ed.), *Täter, Helfer, Mitläufer: NS-Belastete von der Ostalb* (Münster, 2010), 21–51.

(٦٦) عن السياسات الألمانية في البلقان، انظر:
Tomasevich, *War and Revolution in Yugoslavia,* esp. 466–510; Redžić, *Bosnia and Herzegovina in the Second World War;* Hoare, *Genocide and Resistance in Hitler's Bosnia;* and Hoare, *The Bosnian Muslims in the Second World War.*

(٦٧) عن انخراط وحدات الحماية في التعامل مع الشعوب التركية في الاتحاد السوڤييتي، انظر:
Dallin, *German Rule in Russia,* 168–181 and 587–612; Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 139–165; and Sebastian Cwiklinski, "Die Panturkismus-Politik der SS: Angehörige sowjetischer Turkvölker als Objekte und Subjekte der SS Politik," in Höpp and Reinwald (eds.), *Fremdeinsätze,* 149–166.

(٦٨) كتب أولتسا تقريرًا مفصَّلًا بعد الحرب عن عمله مع المكتب الرئيسي لوحدات الحماية وتشكيل الوحدات الإسلامية الشرقية التابعة للڤافن إس إس، انظر:
Olzscha, Report, 1945, Archives of the Federal Commissioner for the Stasi Documents (*Bundesbeauftragter für die Stasi-Unterlagen*), Berlin (BStU), MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54.

وبناءً على تقرير أولتسا، انظر أيضًا:
Ministry of State Security of the German Democratic Republic, Information Card on Olzscha, n.d. (post-1945), n.p., BStU, MfS, HA IX/11, FV 2/72 PA, A. 7.

(٦٩) عن فريق **تركستان البحثي** (*Arbeitsgemeinschaft Turkestan*) في درسدن، انظر:
Burchard Brentjes, "Die 'Arbeitsgemeinschaft Turkestan im Rahmen der DMG': Ein Beispiel des Mißbrauchs der Wissenschaften gegen die Völker Mittelasiens," in Burchard Brentjes (ed.), *60 Jahre Nationale Sowjetrepubliken in Mittelasien im Spiegel der Wissenschaften* (Halle an der Saale, 1985), 151–172; and Horst Kißmehl, "Mittelasien: Ziel- und Einsatzgebiet deutscher bürgerlicher Wissenschaften: Bemerkungen zu einigen Aspekten der Organisation und Kontinuität deutscher imperialistischer und faschistischer Mittelasienforschung, in Brentjes (ed.), *60 Jahre Nationale Sowjetrepubliken,* 127–150.

نشر راينر أولتسا أيضًا كتابات عن آسيا الوسطى، انظر:
Reiner Olzscha and Georg Cleinow, *Turkestan: Die politisch-historischen und wirtschaftlichen Probleme Zentralasiens* (Leipzig, 1942),

والذي احتوى على مقاطع متنوعة عن الأهمية السياسية للإسلام، وخاصةً صفحات ٣٣٦-٤٠٨، ولرؤية متعاطفة شدَّدت على أهمية المنطقة بوصفها ساحةً «للصراع على النفوذ في العالم المحمَّدي» بين الإنكليز والروس، انظر:
Fritz Machatschek, "Die Probleme Turkestans," *Petermanns Geographische Mitteilungen* 88 (1942), 327–330, 327. His writings also appeared in the *Zeitschrift für*

Geopolitik, see Reiner Olzscha, "Zur Wirtschaftsentwicklung Irans," *Zeitschrift für Geopolitik* 14, 2 (1937), 83–97.

(70) Olzscha, Internal Note ("Schaffung einer turkotatarischen (osttürkischen) Dachorganisation in Deutschland"), 24 April 1944, Berlin, BAB, NS 31/42.

(71) Olzscha, Internal Note ("Rücksprache mit SS-Standartenführer Spaarmann und SS-Hstuf. Ullrich"), 12 May 1944, Berlin, BAB, NS 31/42.

(72) Olzscha, Internal Note ("Unterlagen über Fremdvölker in der Sowjet-Union"), 17 October 1944, Berlin, BAB, NS 31/28.

(73) Reiner Olzscha, Report, 1945, BStU, MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54.

(٧٤) ميلشرز، مضبطة استجواب محاكمة نورمبرغ
("Die Politik des Mufti"), 6 August 1947, Nuremberg, USHMA, RG 71, Box 248.

(75) Olzscha, Report, 1945, BStU, MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54.

(76) Hermann (SS Head Office), Internal Note ("Mobilisierung des Islam"), 28 February 1944, Berlin, BAB, NS 31/42 (also in BAB, NS 31/43).

(٧٧) كان قسم أولتسا (DI/4k و DI/5k) في إطار «القسم التطوعي» (DI) بقيادة شپارمان تابعًا للإدارة التطوعية في الشرق (DI/5) وللإدارة التطوعية في الجنوب الشرقي (DI/4). كان القسم مسئولًا في البداية عن التشكيلات القوقازية والتركستانية فقط، لكن سرعان ما أصبح مسئولًا عن الوحدات الأخرى غير الأوروبية (الإسلامية في معظمها). ووضِعت العديد من الخُطط الهيكلية للقسم في عام ١٩٤٤. عُرِف القسم في البداية بـ **قسم المسلمين** (*Muselmanen-Abteilung*). وكانت «مناطق العمليات المحمَّدية»، كما سُميت، تشمل البوسنة والهرسك والشئون التركية الشرقية وشئون ألبانيا والشئون العربية، ومدارس الأئمة. ثم أُعيد تنظيمه بعد ذلك وفقًا للتصنيفات العرقية، وعرف في النهاية باسم إدارة (DI/4k و DI/5k) وكان (DI/5k) يتعامل مع تركستان والقوقاز و(DI/4k) يتعامل مع الشرق الأوسط وآسيا، على الرغم من أنه كان يحتوي قسمًا ثالثًا اسمه «الأبحاث والصحافة والپروپاغندا»، والذي يشرف عليه القسم الإسلامي». وركزت خططٌ أخرى على تنظيم وظيفي للقسم إلى «تشكيلات المتطوعين في وحدات الحماية»، و«الشئون السياسية»، و«الأبحاث والصحافة والپروپاغندا». لكن مع كل صور التنظيم هذه، كان هذا القسم يتعامل مع جميع شئون المسلمين من شمال إفريقيا وحتى تركستان. وكذلك كانت المكاتب ذات المسئوليات الأوسع حاضرةً في كل خُطط الهيكلة. وفي أكتوبر/ تشرين الأول من عام ١٩٤٤، أشار مسئولون في المكتب الرئيسي لوحدات الحماية إلى قسم أولتسا باسم قسم المسلمين، انظر الوثائق وخُطط الهيكلة في: (BAB, NS 31/170).

(٧٨) كان القسم الإسلامي يقوم عليه عددٌ من الضباط طوال عام ١٩٤٤، من بينهم بتكه (Bethke)، وفقًا لأحد المصادر، انظر:

Olzscha, Order ("Besetzung der Referate"), 5 November 1944, Berlin, BAB, NS 31/170;

ويذكر مصدرٌ آخر اسم الرائد كلينغر (Killinger)، انظر خُطَّة الهيكلة:

("Aufbau der Dienststelle DI/4k und DI/5k"), n.d., Berlin, BAB, NS 31/170;

ووفقًا لمصدر آخر، كان القسم يخضع لإدارة أولتسا شخصيًا، انظر خُطَّة الهيكلة:

("Organisationsplan Dienststelle DI/4k u. DI/5k"), n.d., Berlin, BAB, NS 31/170; and Olzscha, Internal Note ("Einstufung von Fachführern"), 14 December 1944, Berlin, BAB, NS 31/170.

(79) Melchers, Nuremberg Interrogation Statement ("Die Politik des Mufti"), 6 August 1947, Nuremberg, USHMA, RG 71, Box 248.

(٨٠) تكشف مجموعة من الرسائل المتبادلة بين أوپِّنهايم وهينتغ بين يوليو/ تموز من عام ١٩٤٠ وفبراير/ شباط من عام ١٩٤٢ أنهما كانا يتناقشان بانتظام في الشئون السياسية للعالم الإسلامي وأنهما التقيا غير مرة، وأن أوپِّنهايم كان على صلات بمسئولين آخرين في وزارة الخارجية، انظر: PA, Nachlass Hentig, vol. 84.

وكذلك تبين يوميات پروفه قبل تنقيحها، وهي اليوميات التي تغطي الفترة بين نوفمبر/ تشرين الثاني من عام ١٩٤٢ وسبتمبر/ أيلول من عام ١٩٤٣، أن پروفه كان يلتقي صديقه القديم أوپِّنهايم بانتظام لمناقشة الشئون السياسية للعالم الإسلامي، انظر:

McKale (ed.), *Rewriting History,* passim. 10–11 (entry of 21 November 1942), 21 (entry of 10 December 1942), 33 (entry of 12 January 1943), 41 (entry of 23 January 1943), 51 (entry of 16 February 1943), 57 (entry of 2 March 1943), 87 (entry of 16 May 1943), 107 (entry of 7 July 1943), 111 (entry of 14 July 1943), 116 (entry of 20 July 1943), and 119 (entry of 30 July 1943).

لكن في النسخة المنقَّحة من اليوميات، لا نجد تسجيلًا لجميع اجتماعات أوپِّنهايم ، لكن نجد تركيزًا من قبل پروفه على خلفية أوپِّنهايم اليهودية، ليعطي انطباعًا بأنه كان يعارض معاداة السامية، انظر:

150 (entry of 21 November 1942).

(81) Oppenheim, Memoirs ("Leben im NS-Staat, 1933–1945"), n.d. (1945/1946), n.p. (Landshut), Oppenheim Bank Archive (*Hausarchiv Sal. Oppenheim*), Cologne (OA), Nachlass Max von Oppenheim no. 1/14.

(٨٢) ركّز مارك ماتسوار (Mark Mazower) على مواطن الاستمرارية في الأفكار منذ العهد الإمبراطوري أكثر مما ركز على الاستمرارية في الشخصيات، انظر:

Mazower, *Hitler's Empire,* 584.

(83) Adolf Hitler, *Mein Kampf* (Munich, 1942 [1925–1926]), 747.

(84) Alfred Rosenberg, *Der Mythus des 20. Jahrhunderts: Eine Wertung der seelisch-geistigen Gestaltenkämpfe unserer Zeit* (Munich, 1937 [1930]), 662–666.

كان روزنبرغ في الواقع هو الوحيد من النازيين البارزين الذي عدَّ الإسلام أدنى في المرتبة الثقافية، انظر المرجع السابق ص ص ٣٦٥-٣٦٩.

(٨٥) نجد الوثائق المتعلقة بالنقاش حول التصنيف العرقي الرسـمي للعرب والأتراك والإيرانيين في ملفين عنوانهما: «انتسـاب المصريين والعراقيين والإيرانيين والفرس والأتراك للعرق الآري» في:

(PA, R 99173, and PA, R 99174,)

وبشكل أعم في ملف «آثار السياسة العرقية الألمانية على العلاقات مع الدول الأجنبية» في:

(PA, R 99182,)

والـذي يبـرز أيضًا أن الألمـان كانوا براغماتيين كذلـك في حالة بلدان أمريـكا اللاتينية وجنوب وشرق آسيا. وعن هذه النقاشات، انظر:

Herf, *Nazi Propaganda for the Arab World,* 17–24;

وعن دور الإيرانيين، انظر:

David Motadel, *Iran and the Aryan Myth,* in Ali M. Ansari (ed.), *Perceptions of Iran: History, Myths and Nationalism from Medieval Persia to the Islamic Republic* (London, 2013), 119–145, 125–135.

وعن التمييز العرقي ضد العرب في ألمانيا، انظر:

Gerhard Höpp, "Der verdrängte Diskurs: Arabische Opfer des Nationalsozialismus," in Gerhard Höpp, Peter Wien, and René Wildangel (eds.), *Blind für die Geschichte? Arabische Begegnungen mit dem Nationalsozialismus* (Berlin, 2004), 215–268, 217–219; and Sophie Wagenhofer, *"Rassischer" Feind—politischer Freund? Inszenierung und Instrumentalisierung des Araberbildes im nationalsozialistischen Deutschland* (Berlin, 2010), 32–43.

ويقدّم المرجع التالي السياق الأوسع للموضوع:

Dietmut Majer, *"Fremdvölkische" im Dritten Reich* (Boppard, 1981).

(86) Hinrichs (Foreign Office) to Interior Ministry, Propaganda Ministry, and NSDAP Race Office, 17 January 1936, Berlin, PA, R 99173;

وعـن الحالة البـارزة للتمييز ضد يوهانس رُپيـرت (Johannes Ruppert) المولـود لعائلة ألمانية تركيـة؛ إذ أُكـره علـى تـرك منظمـة شـبيبة هتلر في عـام ١٩٣٥، وهدد بأن يشـكو الأمر للسـفارة التركية، انظر:

Pilger (Foreign Office), Internal Note, 20 December 1935, Berlin, PA, R 99173.

(٨٧) يشير المصدر التالي إلى المؤتمر الخاص بيوم الثاني عشر من فبراير/ شباط لعام ١٩٣٥ والذي اتُخِذ فيه هذا القرار:

Hinrichs to Interior Ministry, Propaganda Ministry, and NSDAP Race Office, February, 30 March 1936, Berlin, PA, R 99173.

ثم وافق غروس على القرار بشكل منفصل في:

(NSDAP Race Office) to Foreign Office, 4 April 1936, Munich, PA, R 99173; Weyssenhoff (Propaganda Ministry) to Foreign Office, 8 April 1936, Berlin, PA, R 99173;

and Pfundtner (Interior Ministry) to Foreign Office, 12 May 1946, Berlin, PA, R 99173;

وعمّمته وزارة الخارجية على جميع الوزارات:

. 30 April 1936, PA, R 99173 (also in PA, R 99182).

(88) Anonymous, "Les Turcs promus 'aryens,'" *Le Temps* (14 June 1936).

(89) Stohrer (German Embassy Egypt) to Foreign Office, 15 June 1936, Cairo, PA, R 99173 (also in PA, R 99174); and Keller (German Embassy Turkey) to Foreign Office, 19 June 1936, Tarabya, PA, R 99173.

على الرغم من أن جريدة **الاستقلال** العراقية نشرت في السابع عشر من يونيو/ حزيران لعام ١٩٣٦ تقريرًا مماثلًا، إلّا أن المسئولين في بغداد لم يهتموا بالأمر. انظر:

Grobba (German Embassy Iraq) to Foreign Office, 23 June 1936, Baghdad, PA, R 99173.

(90) Foreign Office, Press Release ("Notiz für die Presse"), 16 June 1936, Berlin, PA, R 99173 (also in PA, R 99174).

(91) Pilger, Internal Note, 16 June 1936, Berlin, PA, R 99173;

وعن إبلاغ ألمانيا للسفارات المصرية والعراقية والإيرانية بالبيان الصحفي والحوار مع السفيرين المصري والإيراني في برلين، انظر:

Bülow-Schwante to German embassies in Cairo, Baghdad, and Tehran, 18 June 1936, Berlin, PA, R 99173 (also in PA, R 99174).

(92) Pilger, Internal Note, 16 June 1936, Berlin, PA, R 99173; and Egyptian Embassy Berlin to Foreign Office, 22 June 1936, Berlin PA, R 99173 (also in PA, R 99174).

(93) Memorandum for Iranian Consulates and Embassies Abroad, Foreign Office (Document no. 41749), 3/10/1313 (1935), Tehran, Iranian National Archives (*Sazman-i Asnad-i Milli-yi Iran*), Tehran (SAMI), Film 22–240, 21/6/214 (Archive no. 297036473).

أُرسلت المذكّرة مرفقة برسالة كتبها وكيل وزارة الخارجية الإيراني عن هذا الأمر، انظر:

Baqir Kazimi to Iranian Embassies Abroad (Document no. 41797), 4/10/1313 (1935), Tehran, SAMI, File 510006, Box 444 (Archive no. 297036473).

(94) Hinrichs, Report ("Sitzung vom 1. Juli 1936 im Auswärtigen Amt zwecks Beantwortung der ägyptischen und iranischen Anfragen und Klärung des Begriffs 'artverwandt'"), 2 July 1936, Berlin, PA, R 99174; and, for the invitation, Bülow-Schwante (Foreign Office) to various German ministries, 26 June 1936, Berlin, PA, R 99173 (also in PA, R 99174).

(95) Foreign Office to Egyptian Embassy Berlin, 4 July 1936, Berlin, PA, R 99173 (also in PA, R 99174); and, on the Egyptian response, Hinrichs to German Embassy Cairo, 14 July 1936, Berlin, PA, R 99174; and similarly, Hinrichs to various ministries, 15 July 1936, Berlin, PA, R 99174.

(96) Hinrichs to German Embassy Tehran, 11 July 1936, Berlin, PA, R 99174; and on the Iranian response, Smend to Foreign Office, 18 July 1936, Tehran, PA, R 99174.

(97) Groß to Foreign Office, 28 April 1937, Berlin, PA, R 99182.

(٩٨) عن الإلغاء الرسمي لمصطلح «معاداة السامية» في ألمانيا النازية، انظر:

Cornelia Berning, *Vom "Abstammungsnachweis" zur "Zuchtwart": Vokabular des Nationalsozialismus* (Berlin, 1954), 13–14; Cornelia Schmitz-Berning, *Vokabular des Nationalsozialismus* (Berlin, 1998), 34–39; and Thomas Nipperdey and Reinhard Rürup, "Antisemitismus," in Otto Brunner, Werner Conze, and Reinhart Koselleck (eds.), *Geschichtliche Grundbegriffe: Historisches Lexikon zur politisch-sozialen Sprache in Deutschland,* vol. 1 (Stuttgart, 1972), 129–153, 151–152; Moshe Zimmermann, "Aufkommen und Diskreditierung des Begriffs Antisemitismus," in Ursula Büttner (ed.), *Das Unrechtsregime: Internationale Forschung über den Nationalsozialismus,* vol. 1 (Hamburg, 1986), 59–77, 73–74; Moshe Zimmermann, "Mohammed als Vorbote der NS-Judenpolitik? Zur wechselseitigen Instrumentalisierung von Antisemitismus und Antizionismus," *Tel Aviver Jahrbuch für deutsche Geschichte* 33 (2005), 290–305, 292–294; Jeffrey Herf, *The Jewish Enemy: Nazi Propaganda during World War II and the Holocaust* (Cambridge MA, 2006), 159–160; and Lebel, *The Mufti of Jerusalem,* 237–241.

(99) Directive of the Press Conference ("Anweisung der Pressekonferenz"), 22 August 1935, Berlin, German Federal Archives (*Bundesarchiv*), Koblenz (BAK), ZSg 101/6; and also in Hans Bohrmann (ed.), *NS-Presseanweisungen der Vorkriegszeit: Edition und Dokumentation,* vol. 3/II (Munich, 1987), 522.

(100) Zimmermann, "Mohammed als Vorbote der NS-Judenpolitik?," 293; Herf, *The Jeh wish Enemy,* 159; and Lebel, *The Mufti of Jerusalem,* 238–239.

(101) Propaganda Ministry, Instructions ("Die islamische Welt als Kulturfaktor"), *Zeitschriften-Dienst,* no. 7514 (11 September 1942); and, similarly, Propaganda Ministry, Instructions ("Die islamische Welt als Kulturfaktor"), *Deutscher Wochendienst,* no. 7514 (11 September 1942).

وكذلك أصدرت هيئة المجلّات (*Zeitschriften-Dienst*) توجيهاتٍ مماثلة على مشارف الحرب، انظر:

Propaganda Ministry, Instructions ("Antisemitismus"), *Zeitschriften-Dienst,* no. 222 (13 June 1939); and Propaganda Ministry, Instructions ("Antisemitismus"), *Zeitschriften-Dienst,* no. 372 (1 July 1939).

ويمكن العثور على دليل هيئة المجلّات الذي تضمّن توجيهات دعائية لمحرّري المجلّات الألمان وعلى جريدة دويتشر ڤوخدينست (*Deutscher Wochendienst*) التابعة للهيئة في مجموعة بالمكتبة الوطنية الألمانية:

German National Library (*Deutsche Nationalbibliothek*), Leipzig (DNB), ZB 38957 and ZB 38957-Beil; and also in BAB, RD 32/1.

(102) Hagemeyer (Amt Rosenberg), Internal Note ("Aktennotiz für Dr. Koeppen"), 17 May 1943, Berlin, in Leon Poliakov and Josef Wulf, *Das Dritte Reich und die Juden: Dokumente und Aufsätze* (Berlin, 1955), 369; Schleier (Foreign Office), Decree, 5 July 1944, Berlin, PA, Bern 2833; and Olzscha, Internal Note ("Antisemitismus"), 7 October 1944, Berlin, BAB, NS 31/170.

(103) Groß to Al-Kilani, 17 October 1942, printed in "Antisemitismus oder Antijudaismus?," *Weltkampf: Die Judenfrage in Geschichte und Gegenwart* 3, 9–12 (1944), 168.

(١٠٤) المرجع السابق.

(105) *The Trial of Adolf Eichmann: Record of Proceedings in the District Court of Jerusalem*, ed. State of Israel (Ministry of Justice), vol. IV (Jerusalem, 1993), 1805–1823 (Session no. 106, 21 July 1961), 1814–1815.

(106) SS Head Office, Internal Note ("Geschichte und Entstehung der SS-Freiwilligen-b.h.-Geb. Division (13. SS-Division)"), 10 November 1943, Berlin, Archive of the Institute of Contemporary History (Archiv des Instituts für Zeitgeschichte), Munich (IfZ), NO-3577.

كان برغر قد أعلن بالفعل أن مسلمي البلقان يعدُّون جزءًا من العالم الجرماني من الناحية العرقية، في حين أنهم ينتسبون روحيًا إلى الشرق، انظر:

Berger (Schulte), Decree ("Weltanschaulich geistige Erziehung der muselmanischen SS-Division"), 19 May 1943, Berlin, BAB, NS 19/2601.

كتب القرار ضابط وحدات الحماية غيرد شولته (Gerd Schulte) بإملاء من برغر.

(107) *Ein General im Zwielicht: Die Erinnerungen Edmund Glaises von Horstenau*, ed. Peter Broucek, vol. 3 (Vienna, 1988), 239-254 (July-August 1943), 241 and 394-413 (May 1944), 400.

(١٠٨) عن مسألة التمييز والتصنيف العِرقي للتُّرك الشرقيين، انظر:

Dallin, *German Rule in Russia*, 270–273; and Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern*, 46–56.

(109) East Ministry, Instructions ("Vorläufige Sprachregelung über Begriffe des Ostens"), 14 March 1942, Berlin, BAB, R 6/206; and, similarly, East Ministry, Instructions ("Erster Nachtrag zur Sprachregelung über Begriffe des Ostens vom 5. März 1942"), 31 March 1942, Berlin, PA, R 105165;

وعن حدود هذه التوجيهات، انظر:

Edige Kirimal, *Der nationale Kampf der Krimtürken* (Emstetten, 1952), 317–318.

(110) Propaganda Ministry, Instructions ("Polemische Bemerkungen gegen Turkestaner"), *Zeitschriften-Dienst*, no. 7434 (21 August 1942); and again in Propaganda Ministry, Instructions ("Die Verfolgung der Mohammedaner durch die Sowjets"), *Zeitschriften-Dienst*, no. 8577 (26 March 1943); and, similarly, Propaganda Ministry, Instructions

("Die Verfolgung der Mohammedaner durch die Sowjets"), *Deutscher Wochendienst,* no. 8577 (26 March 1943).

(111) Werner Otto v. Hentig, "Turan—Tatarei," *Zeitschrift für Politik* 32, 3 (1942), 185-188.

أرسل هينتغ بهذه المقالة إلى ڤيرمان قبل نشرها وحوَّلها ڤيرمان إلى ڤايتسكر وريبِّنتروپ:

Hentig, Internal Note, 17 January 1942, Berlin, PA, R 29900. Woermann, Internal Note, 22 January 1942, Berlin, PA, R 29900; and endorsed it, see Woermann, Internal Note, 23 January 1942, Berlin, PA, R 29900.

(112) "Die rassische Einheit unserer Stämme," *Gasawat* 32 (75) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht (*Oberkommando der Wehrmacht*), 4 August 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(113) "Die deutsche Rassenlehre nicht gegen andere Völker gerichtet," *Gasawat* 36 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 20 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238; also printed in *Idel-Ural* 30 (36) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 25 July 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(114) Heygendorff, Instructions ("Merkblatt für deutsche Offiziere über wehrgeistige Führung der Legionäre"), 1 July 1943, Radom, BA–MA, RH 58/62.

(115) High Command of the Wehrmacht, Newsletter ("Mitteilungen für den deutschen Soldaten in Freiwilligen-Verbänden"), November 1944, BA–MA, MSG 2/18262.

(116) Ernest Renan, "L'Islamisme et la Science," *Journal des Débats* (30 March 1883).

(117) Peter Longerich, *Heinrich Himmler: A Life* (Oxford, 2011), 267 and 677.

(118) *Ein General im Zwielicht,* vol. 3, 182–195 (February 1943), 189.

(١١٩) المرجع السابق، ص ص ٣٠٤-٣٢٥ (نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٣)، ٣٢٢.

(١٢٠) كتب كرستن انطباعاته في يوميّات في أثناء الحرب، وبعد الحرب أعاد تنظيم رؤاه موضوعاتيًا ونشرها. خرج الإصدار الأول بالسويدية في عام ١٩٤٧ وتُرجِم إلى الإنكليزية في العام نفسه، ونشر في عام ١٩٥٢ إصدارًا أشمل بالألمانية، انظر:

Felix Kersten, *Totenkopf und Treue: Heinrich Himmler ohne Uniform* (Hamburg, 1952).

تُرجمت هذه النسخة إلى الإنكليزية في عام ١٩٥٦، انظر:

The Kersten Memoirs 1940–1945, transl. Constantine Fitzgibbon and James Oliver, intr. H. R. Trevor-Roper (London, 1956).

يجب أن تُقرأ المذكرات بحرصٍ إلى حدٍّ ما. ففي حين أن بعض الأجزاء قد اختلقها الكاتب، وخاصةً دوره في إنقاذ اليهود وضحايا النظام الآخرين، ثبتت صحة بعض الأحداث الأخرى. وتلك الأجزاء المتعلقة بالإسلام تتفق مع شهادات أخرى عن رؤى هملر المتعلقة بالمسلمين، ويمكن القبول بمصداقيتها. عن كرستن، انظر:

Hans-Heinrich Wilhelm and Louis de Jong, *Zwei Legenden aus dem Dritten Reich* (Stuttgart, 1974), 77–142; Raymond Palmer, "Felix Kersten and Count Bernadotte: A Question

of Rescue," *Journal of Contemporary History* 29, 1 (1994), 39–51; John H. Waller, *The Devil's Doctor: Felix Kersten and the Secret Plot to Turn Himmler against Hitler* (New York, 2002); and Werner Neuß, *Menschenfreund und Mörder: Himmlers Leibarzt Felix Kersten* (Halle, 2010); and Longerich, *Heinrich Himmler*, 381 and 724–731.

(121) Kersten, *Totenkopf und Treue*, 203–208 (ch. 19, *Begeisterung für den Islam*).

ولا تحتوي الترجمة الإنكليزية للنسخة الألمانية، والتي نُشرت في عام ١٩٥٦، إلّا على بعض الملحوظات المتناثرة عن الإسلام.

(122) *The Memoirs of Doctor Felix Kersten*, 12.

(123) Kersten, *Totenkopf und Treue*, 205 (2 December 1942).

(١٢٤) مذكورة في المرجع السابق، ص ٢٠٣ (١ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٤٢).

(١٢٥) مذكورة في المرجع السابق، ص ٢٠٤ (١ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٤٢).

(١٢٦) مذكورة في المرجع السابق، ص ٢٠٥ (١ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٤٢).

(١٢٧) مذكورة في المرجع السابق، ص ٢٠٦–٢٠٧ (١ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٤٢).

(128) *The Kersten Memoirs*, 149 (8 August 1942).

(١٢٩) المرجع السابق، ص ٢٢١ (٨ سبتمبر/ أيلول ١٩٤٤). ذُكرت هذه الحادثة واهتمام هملر بالكتب المتعلقة بالإسلام مع بعض الأخطاء في:

Roger Manvell and Heinrich Fraenkel, *Himmler, Kleinbürger und Massenmörder* (Munich, 1965), 100; and by Willi Frischauer, *Himmler: The Evil Genius of the Third Reich* (New York, 1953), 123;

زعم مانفيل وفرانكل أن كرستن كتب أن هملر كان يحمل معه القرآن دائمًا، ويضعه بجانب سريره. وأكد فريشر (Frischauer) أن كرستن كتب أن هملر كان يضع القرآن بجانب سريره دائمًا. لكن الزعمَين خاطئين.

(130) *The Memoirs of Doctor Felix Kersten*, 67.

(١٣١) **مذكرات الحاج محمّد أمين الحسيني**، ١٢٣-١٢٦، عن لقاءات هملر.

(١٣٢) المرجع السابق، ص ص ١٢٥-١٢٦.

(١٣٣) المرجع السابق، ص ١٢٤.

(134) Erich von dem Bach-Zelewski, Interrogation Interview, conducted by Mr. Petersen, n.d. (1945–1947), n.p. (Nuremberg), USHMA, RG 71, Box 237.

(135) Hitler, *Mein Kampf*, 292–293;

وسيعلّق هتلر تعليقات مماثلة في آخر أيام النظام في معقله في برلين: «هل يمكن لأحد التأكيد بأن الاستعمار قد زاد من عدد المسيحيين في العالم؟ أين هؤلاء المتحولون بالجملة كهؤلاء الذين يشيرون إلى نجاح الإسلام؟»، انظر:

The Testament of Adolf Hitler: The Hitler-Bormann Documents, February–April 1945, ed. François Genoud, transl. R. H. Stevens, intr. H. R. Trevor-Roper (London, 1961), 42–46 (7 February 1945), 45;

للنصّ الألماني، انظر:

Hitlers politisches Testament: Die Bormann Diktate vom Februar und April 1945, intr. H. R. Trevor-Roper, afterw. André François-Poncet (Hamburg, 1981), 54–59 (7 February 1945), 56.

(136) Hitler, *Mein Kampf*, 747.

(١٣٧) ذكرت إلزه هذا التعليق في حوارٍ لها مع ڤيرنر مازر (Wener Maser) في مايو/ أيار لعام ١٩٧١، انظر:

Werner Maser, *Adolf Hitler: Legende—Mythos— Wirklichkeit* (Cologne, 1971), 475.

وعلى الرغم من أن تصريحات مازر يجب أن تؤخذ بحرص، إلّا أنه في سياق رؤية هتلر للإسلام، يبدو الأمر مقبولًا.

(١٣٨) عن رؤية هتلر للمسيحية والكاثوليكية بوجهٍ خاص، انظر المرجع المعتمد:

J. S. Conway, *The Nazi Persecution of the Churches 1933–45* (London, 1968), passim;

ولرؤية مختلفة، انظر:

Richard Steigmann-Gall, *The Holy Reich: Nazi Conceptions of Christianity, 1919–1945* (Cambridge, 2003), passim.

(139) *Hitler's Table Talk 1941–1944*, ed. H. R. Trevor-Roper and transl. Norman Cameron and R. H. Stevens (London, 1953), X-X (14 October 1941, midday, special guest: Himmler), 60. There is no German version. *Hitlers Tischgespräche im Führerhauptquartier*, ed. by Henry Picker (Stuttgart, 1976) includes no entry on 14 October 1941.

(١٤٠) المرجع السابق.

(141) *Hitlers Tischgespräche im Führerhauptquartier*, 80-82 (13 December 1941, midday), 81.

(142) *Hitlers Tischgespräche im Führerhauptquartier*, 184-189 (4 April 1942, midday), 184.

(143) *Hitlers Tischgespräche im Führerhauptquartier*, 355-356 (5 June 1942, midday), 355.

(144) *Hitler's Table Talk*, X-X (1 August 1942, evening), 606. There is no German version. *Hitlers Tischgespräche im Führerhauptquartier* ends on 31 July 1942.

(١٤٥) المرجع السابق، x-x (مساء الأول من أغسطس/ آب ١٩٤٢)، ٦٠٧.

(146) Albert Speer, *Inside the Third Reich* (New York, 1970), 96.

(١٤٧) مذكورة في المرجع السابق.

(148) Nicolaus von Below, *Als Hitlers Adjutant* (Mainz, 1980), 45;

حذفت الترجمة الإنكليزية لهذا الكتاب، والتي تقل كثيرًا في الحجم عن الأصل الألماني، هذه المقاطع، وعلى الرغم من العنوان، إلّا أنها بدأت باندلاع الحرب في عام ١٩٣٩، انظر:

Nicolaus von Below, *At Hitler's Side: The Memoirs of Hitler's Luftwaffe Adjutant, 1937–1945* (London, 2001).

وفي مذكراته، لم يذكر أغان خان لقاءه مع هتلر إلّا بشكل عابر، انظر:

Aga Khan, *The Memoirs of the Aga Khan: World Enough and Time* (London, 1954), 262.

(149) Hentig, Internal Note ("Aufzeichnung über den Empfang des Sondergesandten von König Abdul Aziz Ibn Saud, des Königlichen Rats Khalid Al Hud al Gargani"), 20 June 1939, Berlin, PA, R 35504.

عرض هينتغ في مذكراته أيضًا للاجتماع، لكن دون ذكر المناقشة الخاصة بالإسلام، انظر:

Hentig, *Mein Leben,* 346–347.

(150) Hermann Neubacher, *Sonderauftrag Südost 1940–1945: Bericht eines fliegenden Diplomaten,* (Göttingen, 1956), 33.

(151) *Tischgespräche im Führerhauptquartier 1941–1942,* ed. Henry Picker and Gerhardt Ritter (Stuttgart, 1951), 16.

لكن لا نجد هذه التعليقات في:

Hitlers Tischgespräche im Führerhauptquartier.

(152) Johann von Leers, "Judentum und Islam als Gegensätze," *Die Judenfrage in Politik, Recht, Kultur und Wirtschaft* 6, 24 (1942), 275–278, 278;

وللترجمة الإنكليزية، انظر:

Johann von Leers, "Judaism and Islam as Opposites," in Andrew G. Bostom (ed.), *The Legacy of Islamic Antisemitism: From Sacred Texts to Solemn History* (New York, 2008), 619–625.

وعن ليرز، انظر:

Gregory Paul Wegner, "A Propagandist of Extermination: Johann von Leers and the Anti-Semitic Formation of Children in Nazi Germany," *Paedagogica Historica* 43, 3 (2007), 299–325, and, on his views of Islam, 305 and 318–320; Zimmermann, "Mohammed als Vorbote der NS-Judenpolitik?," 301; and Herf, *The Jewish Enemy,* 180–181.

أبدى ليرز في البداية آراءً معاديةً للإسلام؛ إذ حطَّ من شأنه بوصفه دينًا ديمقراطيًا ولا يولي الفروق العرقية عناية، انظر:

Johann von Leers, "Mustafa Kemal Pascha," *Zeitschrift für Politik* 24, 1 (1934), 4–27.

وكذلك ألَّف دراسةً جيوبوليتيكية، انظر:

Johann von Leers, *Brennpunkte der Weltpolitik* (Stuttgart, 1941).

(153) Leers, "Judentum und Islam als Gegensätze," 276.

(١٥٤) المرجع السابق، ٢٧٨.

(١٥٥) المرجع السابق.

(156) Johann von Leers, "Islam und Judentum im Laufe der Jahrhunderte," *Der deutsche Erzieher: Reichszeitung des Nationalsozialistischen Lehrerbundes* 5 (1938), 427–429, quotes on 427 and 429.

(157) Else Marquardsen-Kamphövener, "Der Islam und sein Begründer," *Wir und die Welt* 3, 4 (1941), 45–56.

أُعيد نشر المقالة على جزءين في:

Die Auslese, part 1 (September 1941, 612–617) and part 2 (October 1941, 677–682).

وعن المؤلف، انظر:

Ilse Wilbrandt, *Elsa Sophia von Kamphoevener* (Unterwössen, 1969); Helga Moericke, *Die Märchenbaronin: Elsa Sophia von Kamphoevener* (Dortmund, 1995); and Helga Moericke, *Leben und Werk der Märchenerzählerin Elsa Sophia von Kamphoevener* (Aachen, 1996).

(158) Marquardsen-Kamphövener, "Der Islam und sein Begründer," *Die Auslese*, part 2, 678.

(١٥٩) أحلنا في فصول هذا الكتاب إلى المقالات المتنوعة التي ظهرت عن الإسلام في الصحافة الألمانية في أثناء الحرب العالمية الثانية.

(160) Directive of the Press Conference ("Anweisung der Pressekonferenz"), 18 May 1938, Berlin, BAK, ZSg 102/10; and also in Hans Bohrmann and Gabriele Toepser-Ziegert (eds.), *NS-Presseanweisungen der Vorkriegszeit: Edition und Dokumentation*, vol. 6/II (Munich, 1999), 1427.

وقبل عامين، أمرت وزارةُ الدعاية الصحافةَ بتجنب مصطلح «الحرب المقدسة»؛ إذ إن المسلمين كانوا من الفُرقة ساعتها إلى درجة تجعل هذه الحرب أمرًا غير واقعي، انظر:

Directive of the Press Conference ("Anweisung der Pressekonferenz"), 2 November 1935, Berlin, BAK, ZSg 102/1; and also in Bohrmann (ed.), *NS-Presseanweisungen der Vorkriegszeit*, vol. 3/II, 729.

(161) Propaganda Ministry, Instructions ("Die islamische Welt als Kulturfaktor"), *Zeitschriften-Dienst*, no. 7514 (11 September 1942). These instructions were substantiated in great detail in Propaganda Ministry, Instructions ("Die islamische Welt als Kulturfaktor"), *Deutscher Wochendienst*, no. 7514 (11 September 1942).

(162) Propaganda Ministry, Instructions ("Die USA als Feinde des Islam"), *Zeitschriften-Dienst*, no. 7976 (4 December 1942).

(163) Propaganda Ministry, Instructions ("USA auch in Vorderasien"), *Zeitschriften-Dienst*, no. 8435 (26 February 1943).

(164) Propaganda Ministry, Instructions ("Die Verfolgung der Mohammedaner durch die Sowjets"), *Zeitschriften-Dienst*, no. 8577 (26 March 1943). These instructions were further elaborated upon in Propaganda Ministry, Instructions ("Die Verfolgung der Mohammedaner durch die Sowjets"), *Deutscher Wochendienst*, no. 8577 (26 March 1943).

(165) Olzscha to Dolezalek (SS Head Office), 14 December 1944, Berlin, BAB, NS 31/61, referring to Helmut Sündermann, "Wir klagen an: Krieg als Prinzip der Kremlpolitik," *Völkischer Beobachter* (29 November 1944).

(١٦٦) لم يبحث بعدُ أساتذة تاريخ الدراسات الشرقية الألمانية في الرايخ الثالث في النقاشات الأكاديمية المتعلقة بالإسلام. عن الدراسات الشرقية في الفترة النازية، انظر:

Ludmilla Hanisch, "Akzentverschiebung: Zur Geschichte der Semitistik und Islamwissenschaft während des 'Dritten Reichs,'" *Berichte zur Wissenschaftsgeschichte* 18 (1995), 217–226; Hanisch, *Die Nachfolger der Exegeten,* 114–173, esp. 159–166; Ekkehard Ellinger, *Deutsche Orientalistik zur Zeit des Nationalsozialismus 1933–1945* (Neckarhausen, 2006), esp. 319–322 and 362–367; Suzanne Marchand, "Nazism, Orientalism and Humanism," in Wolfgang Bialas and Anson Rabinbach (eds.), *Nazi Germany and the Humanities* (Oxford, 2007), 267–305, esp. 294–296; and Wokoeck, *German Orientalism,* 185–209, esp. 204.

(167) Ernst Kühnel, "Islamische Kunst," in Hans Heinrich Schaeder (ed.), *Der Orient und Wir: Sechs Vorträge* (Berlin, 1935), 54–68.

كان الخطاب حلقة في سلسلة محاضرات نظمتها الأجهزة البحثية الرئيسة في المجال، ومنها جماعة الدراسات الإسلامية، بعنوان: «الدراسات الشرقية الألمانية: علاقتها بالأوضاع الراهنة ومهمّتها»، انظر أيضًا:

Ernst Kühnel, "Nordische und islamische Kunst," *Westdeutsche Zeitung* 10 (19 and 20 February 1935).

(168) Kühnel, "Islamische Kunst," 67.

(169) Hans Heinrich Schaeder, "Bemerkungen zum modernen Islam," *Süddeutsche Monatshefte* 33 (1936), 549–553.

(170) Hans Heinrich Schaeder, "Muhammed," in Hans Heinrich Schaeder, Walther Björkman, Reinhard Hüber, et al (eds.), *Arabische Führergestalten* (Heidelberg, 1944), 1–72; and Franz Taeschner, *Geschichte der arabischen Welt* (Heidelberg, 1944), 45–46.

(171) Johann Fück, "Die Originalität des arabischen Propheten," *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft* 90 (1936), 509–525, 525.

(172) Felix Wiedemann, "Der doppelte Orient: Zur völkischen Orientromantik des Ludwig Ferdinand Clauß," *Zeitschrift für Religions- und Geistesgeschichte* 1 (2009), 1–24, esp. 16–17;

وعن كلاوس بشكل عام، انظر:

Peter Weingart, *Doppel-Leben: Ludwig Ferdinand Clauss: Zwischen Rassenforschung und Widerstand* (Frankfurt, 1995);

وعن عمله لصالح وحدات الحماية، انظر:

Michael H. Kater, *Das "Ahnenerbe" der SS 1935–1945: Ein Beitrag zur Kulturpolitik des Dritten Reiches* (Stuttgart, 1974), 208–211.

(173) Clauß, Report ("Erster Bericht über den Sonderauftrag Clauß 'Die Rassen im Kampf'"), 13 November 1944, Rüthnick, BAB, NS 31/171.

(174) Clauß to Spaarmann, 26 February 1945, Rüthnick, BAB, NS 31/171.

(175) Schmitz, *All-Islam*, 219.

(176) Lindemann, *Islam im Aufbruch*, 3 and 4.

(١٧٧) المرجع السابق، ص ٤.

(178) Reichardt, *Der Islam vor den Toren*, 321.

(١٧٩) المرجع السابق، ص ٣٢٨.

(١٨٠) المرجع السابق، ص ٨٥-٩٢.

(181) Zaki Ali, "Großdeutschland und der Islam," 329–340.

(١٨٢) المرجع السابق، ص ٣٤٠.

(183) Mohammed Sabry, *Islam, Judentum, Bolschewismus* (Berlin, 1938).

أثّر هذا الكتاب أيضًا على كتابات يوهانس فون ليرز حول الإسلام، انظر:

Leers, "Judentum und Islam als Gegensätze," 277;

وكذلك أوصت بـه وزارة الدعايـة لمحرّري المجـلّات والصحفيين الذين يريـدون الكتابة عن الإسلام، مع كتبٍ أخرى من بينها كتابي لنديمان ورايكارت، انظر:

Propaganda Ministry, Instructions ("Die islamische Welt als Kulturfaktor"), *Deutscher Wochendienst*, no. 7514 (11 September 1942); and Propaganda Ministry, Instructions ("Die Verfolgung der Mohammedaner durch die Sowjets"), *Deutscher Wochendienst*, no. 8577 (26 March 1943).

(١٨٤) عن الإسلام والبلشفية، انظر:

Sabry, *Islam, Judentum, Bolschewismus*, 5–21; quotation on 20.

(١٨٥) عن الإسلام واليهودية، انظر المرجع السابق، ص ٢٢-٣٢.

(١٨٦) المرجع السابق، ص ١٥.

(١٨٧) عن تاريخ هذه المؤسسة، انظر:

Antonio Missiroli, *Die deutsche Hochschule für Politik* (St. Augustin, 1988).

وقد كان يوهانس فون ليرز من بين محاضريها.

(188) Saïda Savitri, *L'Islam devant le National Socialisme* (Paris, 1943).

(١٨٩)عن كرّام، انظر:

Umar Ryad, "From an Officer in the Ottoman Army to a Muslim Publicist and Armament Agent in Berlin: Zekî Hishmat Kirâm (1886–1946)," *Bibliotheca Orientalis* 63, 3 4 (2006), 235 268;

وعن علاقته برشيد رضا، انظر:

Umar Ryad, *Islamic Reformism and Christianity: A Critical Reading of the Works of Muhammad Rashid Rida and His Associates* (Leiden, 2009), 14–15 and 49 53;

ولبعض الاقتباسات من وثائق متعلقة بكرّام، انظر:
Umar Ryad, *Watha'iq Tijarat al-Silah al-Almani fi al-Jazira al-Arabiyya: Qira'a fi Arsif Zaki Kiram (Documents on the German Arms Trade in the Arabian Peninsula: Readings in the Archive of Zeki Kiram)* (Cairo, 1432/2011).

وكان كرّام قد أبدى بالفعل إعجابه بالدولة الألمانية في مقاله «مسلمٌ يتحدث عن ألمانيا الجديدة» والذي نشره في عام ١٩٣٨ في (*Moslemische Revue*) [بالعربية: **المجلّة الإسلامية**] الألمانية في برلين، انظر:
Zeki Kiram, "Ein Moslem über das Neue Deutschland: Hitler ist der berufene Mann," *Moslemische Revue* 14, 2 (1938), 59–60.

ولتقارير الشرطة السرية لوحدات الحماية النازية (الغيستابو) عن كرّام، انظر الوثائق المحفوظة في:
)PA, R 60618 and PA, R 60619(.

(190) Martini (Foreign Office), Internal Note, 2 August 1940, Berlin, PA, R 60619.

وقدّم كرّام أيضًا في الوقت نفسه مخطوطةً بعنوان: «السياسة الإنكليزية اليهودية في جزيرة العرب» والتي كانت تتناول النزاع في فلسطين.

(١٩١) للاطلاع على المناقشة التي دارت حول المخطوطة، انظر الوثائق المحفوظة في:
)BAB, NS 21/397(;

وعمّا أبداه مركز الإينينيربه (*Ahnenerbe*) من اهتمام، انظر:
Boehm to Merbach, 15 July 1942, Berlin, BAB, NS 21/397;

وعن تقديم المخطوطة، انظر:
Merbach to Boehm, 18 July 1942, Berlin, BAB, NS 21/397;

وعن النقاش الداخلي الذي دار حول المخطوطة، انظر:
Boehm to Sievers, n.d. (summer 1942), Berlin, BAB, NS 21/397; Schneider, Internal Note, 29 July 1942, Berlin, BAB, NS 21/397; Förster to Sievers, 13 August 1942, Berlin, BAB, NS 21/397; and Sievers to Förster, 13 August 1942, Berlin, BAB, NS 21/397;

وعن الرفض، انظر:
Ahnenerbe-Stiftung Verlag to Kiram, 7 September 1942, Berlin, BAB, NS 21/397.

(192) Schneider, Internal Note, 29 July 1942, Berlin, BAB, NS 21/397; and Sievers to Förster, 13 August 1942, Berlin, BAB, NS 21/397.

(193) Tismer (Foreign Office) to Ettel, 23 December 1942, Berlin, PA, R 27327.

(194) Kurt Fischer-Weth, *Amin Al-Husseini: Großmufti von Palästina* (Berlin, 1943).

وبعد عام واحد، كان هناك كتاب مماثل صُوِّر فيه النبي [ﷺ] وسعد زغلول والهاشميون وابن سعود والحسيني والكيلاني، ذُكِر في:
Schaeder, Björkman, Hüber, et al. (eds.), *Arabische Führergestalten.*

(195) Fischer-Weth, *Amin Al-Husseini,* 8.

(196) Bormann (NSDAP Party Chancellery), Circular Letter ("Zugehörigkeit von Parteig-enossen zum Islam"), 2 September 1943, n.p., BAB, NS 6/342.

***

الفصل الثالث: الإسلام والحرب في شمال إفريقيا والشرق الأوسط

(1) John Darwin, "An Undeclared Empire: The British in the Middle East, 1918–39," *Journal of Imperial and Commonwealth History* 27, 2 (1999), 159–176.

(٢) يقدّم الكتابان التاليان عرضًا عامًّا:

Peters, *Islam and Colonialism,* 39–104, and Keddie, "The Revolt of Islam," 481–485.

(3) Romain Rainero, "La capture: L'exécution d'Omar El-Muktar et la fin de la guérilla libyenne," *Cahiers de Tunisie* 28, 111–112 (1980), 59–74.

(٤) نجد أفضل تحليل في:

Francis R. Nicosia, *The Third Reich and the Palestine Question* (Austin, TX, 1985), 29–49;

وبشكل أعم:

Francis R. Nicosia, "Arab Nationalism and National Socialist Germany, 1933–1939: Ideological and Strategic Incompatibility," *International Journal of Middle East Studies* 12, 3 (1980), 351–372.

ومن الدراسات الأخرى الجديرة بالذكر:

Werner Feilchenfeld, Dolf Michaelis, and Ludwig Pinner, *Haavara-Transfer nach Palästina und Einwanderung deutscher Juden 1933–1939* (Tübingen, 1972); David Yisraeli, "The Third Reich and the Transfer Agreement," *Journal of Contemporary History* 6, 2 (1972), 129–148; Łukaz Hirszowicz, "The Course of German Foreign Policy in the Middle East between the World Wars," *Jahrbuch des Instituts für Deutsche Geschichte, Beiheft* 1 (1975), 175–190; Alexander Schölch, "Das Dritte Reich, die Zionistische Bewegung und der Palästina-Konflikt," *Vierteljahreshefte für Zeitgeschichte* 30, 4 (1982), 646–674; Andreas Hillgruber, "The Third Reich and the Near and Middle East, 1933–1939," in Uriel Dann (ed.), *The Great Powers in the Middle East, 1919–1939* (New York, 1988), 274–282; Avraham Barkai, "German Interests in the Haavara-Transfer Agreement 1933–1939," *Yearbook of the Leo Baeck*

Institute 35 (1990), 245–266; and Basheer M. Nafi, "The Arabs and the Axis: 1933–1940," *Arab Studies Quarterly* 19, 2 (1997), 1–24.

(٥) يقدِّم نصُّ البثّ الإذاعي التالي سياق الأمر:
"Deutsche Rundfunkerklärung vom 5. Dezember 1940," 7 February 1942, Berlin, PA, R 28876 (also in PA, R 261123 and R 261179). Höpp, "'Nicht 'Alī zuliebe, sondern aus Hass gegen Mu'āwiya,'".

(٦) نجد تحليلًا شاملًا للحوادث العسكرية في شمال إفريقيا في:
Martin Kitchen, *Rommel's Desert War: Waging World War II in North Africa, 1941–1943* (Cambridge, 2009).

ومن الدراسات المهمّة الأخرى:
Vincent Jones, *Operation Torch* (New York, 1972); James Lucas, *Panzer Army Africa* (London, 1977); Volkmar Kühn, *Rommel in the Desert: Victories and Defeat of the Afrikakorps 1941–1943* (West Chester, PA, 1991); and Christine Levisse-Touzé, *L'Afrique du Nord dans la guerre, 1939–1945* (Paris, 1998); and Rick Atkinson, *An Army at Dawn: The War in North Africa* (New York, 2002). An overview of the literature is provided by Colin F. Baxter, *The War in North Africa, 1940–1943: A Selected Bibliography* (Westport, CT, 1996).

(٧) عن العالم العربي والشرق الأوسط بشكل أوسع، انظر:
George Kirk, "The Middle East in the War" (Oxford, 1952); Mohamed-Kamal El Dessouki, "Hitler und der Nahe Osten" (PhD diss., Free University of Berlin, 1963); Tillmann, *Deutschlands Araberpolitik im zweiten Weltkrieg;* Hirszowicz, *The Third Reich and the Arab East;* Robert L. Melka, "The Axis and the Arab Middle East 1930–1945" (PhD diss., University of Minnesota, 1966); and, more generally, Schröder, *Deutschland und der Mittlere Osten im Zweiten Weltkrieg.*

ونجد رؤى عامة مختصرة في:
Elias Cooper, "Nazi Policy in the Middle East, 1939–1945," *Midstream* 10 (1964), 61–75; H. M. Nahmad, "The Third Reich and the Arab East," *Wiener Library Bulletin* 21, 2 (1967), 26–29; Josef Schröder, "Die Beziehungen der Achsenmächte zur Arabischen Welt," *Zeitschrift für Politik* 18, 1 (1971), 80–95; and Haim Schamir, "The Middle East in the Nazi Conception," *Jahrbuch des Instituts für Deutsche Geschichte, Beiheft* 1 (1975), 167–174.

(٨) عن التورط الألماني في إيران، انظر:
see Djalal Madani, *Iranische Politik und Drittes Reich* (Frankfurt, 1986);

وعن البعثات السرية بعد احتلالها من قِبل الحلفاء، انظر:
Burkhard Ganzer, "Virtuelle Kombattantenschaft und Cargo-Erwartung: Iranische Stämme und deutsche Agenten 1942–1944," in Höpp and Reinwald (eds.), *Fremdeinsätze*, 189–198;

وانظر مذكرات برنهارت تشولس هولتهوس (Bernhardt Schulze-Holthus)
Frühroi in Iran: Abenteuer im deutschen Geheimdienst (Esslingen, 1952)
وعن تعامله مع المراجع الدينية، انظر ص ٣٠٦-٣٠٧ (الطبعة الثانية).
Bernhardt Schulze-Holthus, *Aufstand in Iran: Abenteuer im Dienste der deutschen Abwehr* (Munich, 1980), 306–307); and, for the English translation, Bernhardt Schulze-Holthus, *Daybreak in Iran: A Story of the German Intelligence Service* (London, 1954), on religious authorities, 275–276; and Ata Taheri, *Deutsche Agenten bei iranischen Stämmen 1942–1944: Ein Augenzeugenbericht: Eingeleitet und übersetzt von Burkhard Ganzer* (Berlin, 2008).
ويقدِّم الكتاب التالي تأملاتٍ رائعة عن أنشطة الألمان في جنوب إيران:
Oberling, *The Qashqā'i Nomads of Fars,* 169–182.

(٩) عن الوجود الألماني في العراق، انظر:
Geoffrey Warner, *Iraq and Syria 1941* (London, 1974); Bernd Philipp Schröder, *Irak 1941* (Freiburg, 1980); and Majid Khadduri, *Independent Iraq 1932–1958: A Study in Iraqi Politics* (London, 1960), 212–243.
(١٠) طُبعت دعوة الحسيني للجهاد ضد بريطانيا التي أطلقها في التاسع من مايو/ أيار لعام ١٩٤١ في ترجمة إيطالية في:
Al-Husseini, "Fetwà di Amin el-Huseini per la Guerra santa del maggio," *Oriente Moderno* 21 (1941), 552–553;

وفي ترجمة إنكليزية في:

Schechtman, *The Mufti and the Fuehrer,* 110–112.

(١١) عن احتلال الحلفاء للشام، انظر:
Warner, *Iraq and Syria 1941*; Anthony Mockler, *Our Enemies the French: Being an account of the war fought between the French and the British: Syria 1941* (London, 1976); and Aviel Roshwald, *Estranged Bedfellows: Britain and France in the Middle East during the Second World War* (New York, 1990);

وعن إيران، انظر:

Miron Rezun, *The Iranian Crisis of 1941: The Actors, Britain, Germany and the Soviet Union* (Cologne, 1982); Richard A. Stewart, *Sunrise at Abadan: The British and Soviet Invasion of Iran, 1941* (New York, 1988); and Jana Forsmann, *Testfall für die "Großen Drei": Die Besetzung Irans durch Briten, Sowjets und Amerikaner 1941 1946* (Cologne, 2010).
(١٢) دُرس التاريخ الأعم للإمبراطوريات الأوروبية في الحرب العالمية الثانية في:
The French Empire at War, 1940 1945 (Manchester, 1998); and Chantal Metzger, *L'empire colonial français dans la stratégie du Troisième Reich (1936 1945)*, 2 vols.

(New York, 2002), for France; and by R. D. Pearce, *The Turning Point: British Colonial Policy, 1938–48* (London, 1982); J. M. Lee and Martin Petter, *The Colonial Office: War and Development Policy: Organization and Planning of a Metropolitan Initiative, 1934–45* (London, 1982); Ashley Jackson, *The British Empire and the Second World War* (London, 2006); Christopher A. Bayly and Tim Harper, *Forgotten Armies: Britain's Asian Empire and the War with Japan* (London, 2004);

ولرؤية عامة موجزة، انظر عن بريطانيا:

Keith Jeffery, "The Second World War," in Judith M. Brown and Roger Louis (eds.), *The Oxford History of the British Empire*, vol. 4 (*The Twentieth Century*) (Oxford, 1999), 306–328.

ويقدّم الكتاب التالي عرضًا عامًا جيدًا عن كفاح العالم غير الأوروبي في الحرب العالية الثانية:

Rheinisches Journalistenbüro (ed.), *"Unsere Opfer zählen nicht": Die Dritte Welt im Zweiten Weltkrieg* (Hamburg, 2005).

(13) *Die Tagebücher von Joseph Goebbels*, ed. Fröhlich et al., part II, vol. 5, 270–278 (8 August 1942), 274–275.

(14) Viton, "Britain and the Axis in the Near East," 370–384, 376.

(15) Pierre Crabitès, "Britain's Debt to King Farouk," *Foreign Affairs* 4 (July 1941), 852–860, 852.

(١٦) درس البحث التالي البروباغندا الموجّهة للجنود المسلمين في الجيش الفرنسي ومسلمي شمال إفريقيا في أثناء معركة فرنسا:

Charles-Robert Ageron, "Contribution à l'étude de la propagande allemande au Maghreb pendant la Deuxième Guerre mondiale," *Revue d'Histoire Maghrébine* 7–8 (1977), 16–32, 21–22;

ويتطابق معه تقريبًا:

Charles-Robert Ageron, "Les populations du Maghreb face à la propagande allemande," *Revue d'Histoire de la Deuxième Guerre Mondiale* 29, 114 (1979), 1–39, 13–18; reprinted in Charles-Robert Ageron, *"L'Algérie algérienne" de Napoléon III à de Gaulle* (Paris, 1980), 167–216; Jamaâ Baida, "Le Maroc et la propagande du IIIème Reich," *Hespéris Tamuda*, 28 (1990), 91–106; and Wagenhofer, *"Rassischer" Feind—politischer Freund?*, 72–82.

(17) Pamphlet "Musulmans" (star shaped), n.d. (1940), BA–MA, RH 45/28; and Pamphlet "Musulmans" (flag shaped), n.d. (1940), BA–MA, RH 45/28.

كلا المنشورين طُبعا في:

Klaus Kirchner, *Flugblätter aus Deutschland 1939/40* (Erlangen, 1982), 74–77,

وانظر: صفحات ٢٧٦-٢٧٧ لمعلومات عن توزيع المنشورين.

(18) Richter (Liaison Officer of the Foreign Office at the Twelfth Army) to Tucher (Foreign Office), 31 December 1939, n.p., PA, R 60754.

(19) Richter to Tucher, 13 January 1940, n.p., PA, R 60754; Tucher to Richter, 28 February 1940, Berlin, PA, R 60754.

وأشارت هذه الرسالة والردُّ عليها إلى كتاب على شكل «راية النبي [ﷺ] الخضراء» الذي يمكن أن يكون -إلى حدٍّ كبير المنشور- الذي أشرنا إليه في الحاشية رقم (١٧).

(٢٠) يقدّم الكتاب التالي أشمل عرضٍ لأسرى الحرب المسلمين من الجيش الفرنسي، والپروپاغندا الألمانية والرعاية الدينية في المعسكرات:

Raffael Scheck, "Nazi Propaganda toward French Muslim Prisoners of War," *Holocaust and Genocide Studies* 26, 3 (2012), 447–477;

ومن الدراسات الأخرى عن الموضوع:

Ageron, "Contribution à l'étude de la propagande allemande au Maghreb pendant la Deuxième Guerre mondiale," 23;

ويطابقه تقريبًا:

Ageron, "Les populations du Maghreb face à la propagande allemande," 19; Baida, "Le Maroc et la propagande du IIIème Reich," 103–105; Belkacem Recham, *Les Musulmans algériens dans l'armée française (1919–1945)* (Paris, 1996), 152–153 and 207–228, esp. 226–227; Recham, "Les Musulmans dans l'armée française," 748–750; Belkacem Recham, "Les indigènes nord-africains prisonniers de guerre (1940–1945)," *Guerres mondiales et conflits contemporains* 223, 3 (2006), 109–125; Höpp, "Der verdrängte Diskurs," 223–231; Wagenhofer, *"Rassischer" Feind—politischer Freund?,* 82–95; and, more generally, Martin Thomas, "The Vichy Government and French Colonial Prisoners of War, 1940–1944," *French Historical Studies* 25, 4 (2002), 657–692, esp. 670–675; and Armelle Mabon, *Prisonniers de guerre "indigènes": Visages oubliés* (Paris, 2010).

(21) High Command of the Wehrmacht, Order ("Religionsausübung der Kriegsgefangenen"), 12 May 1941, Berlin, BA–MA, RH 49/51;

وبالمثل، ولحالة تنطوي على إشارة خاصة للإسلام، انظر:

Schierbrandt (Commander of Frontstalag 204), Instructions ("Merkblatt für die Bewachung franz. farbiger Kriegsgefangener"), 28 December 1942, Charleville, BA–MA, RH 49/67.

(22) High Command of the Wehrmacht, Order ("Beerdigung verstorbener französischer Kriegsgefangener"), 30 January 1942, n.p., PA, R 67004.

(23) Command of North-West France, Order ("Besondere Anordnungen für die Versorgung"), 18 September 1943, St. Germain, BA–MA, RH 49/67.

(24) Regina Clausnitzer, "Eine Moschee in Großbeeren? Kein Hirngespinst: Es gab sie wirklich!," *Amtsblatt Großbeeren* 11 (10 November 1999), 12; and Regina Clausnitzer, "Moschee in Großbeeren: Suche nach einer Fotoaufnahme nun doch noch erfolgreich," *Amtsblatt Großbeeren* 5 (12 April 2000).

وعن تأسيس المساجد وقاعات الصلاة في معسكرات أسرى الحرب في فرنسا، انظر التقارير الموجودة في:
PA, R 40769, R 40770, R 40988, and R 40989.

(٢٥) عن توظيف الأئمة والمرابطين في معسكرات أسرى الحرب في فرنسا وألمانيا، انظر التقارير الموجودة في:
PA, R 40769, R 40770, R 40988, R 40989, and R 67003.

(26) Bran (Foreign Office), Internal Note ("Araberzeitung für Nordafrikanische Kriegsgefangene"), 6 May 1941, Berlin, PA, R 67003.

(٢٧) نجد تأملات عن الحالة المزرية للمعسكرات والتعامل السيء فيها في المصادر الواردة في الحاشية رقم (٢٠).

(28) Raffael Scheck, *Hitler's African Victims: The German Army Massacres of Black French Soldiers in 1940* (Cambridge, 2006);

ولموجز حول الموضوع نفسه، انظر:
Raffael Scheck, "'They Are Just Savages': German Massacres of Black Soldiers from the French Army in 1940," *Journal of Modern History* 77, 2 (2005), 325–344.

(٢٩) عن مسجد باريس وسي قدُّور بن غِبريط، انظر:
Alain Boyer, *L'institut musulman de la mosquée de Paris* (Paris, 1992), 19–33; Michel Renard, "Gratitude, contrôle, accompagnement: Le traitement du religieux islamique en métropole (1914–1950)," *Bulletin de l'Institut d'Histoire du Temps Présent* 83 (2004), 54–69; Michel Renard, "Les débuts de la présence musulmane en France et son encadrement," in Arkoun (ed.), *Histoire de l'Islam et des Musulmans en France du Moyen Age à nos jours,* 712–740, 718–730; as well as the general studies by Pautremat, *La politique musulmane de la France au XXe siècle,* 333–342; Sellam, *La France et ses Musulmans,* 171–184; and Naomi Davidson, *Only Muslim: Embodying Islam in Twentieth-Century France* (Ithaca, NY, 2012), 36–61.

ولدراسات عن سيرة حياة بن غِبريط، انظر:
Jalila Sbaï, "Trajectoire d'un homme et d'une idée: Si Kaddour Ben Ghabrit et l'Islam de France, 1892–1926," *Hespéris Tamuda* 39, 1 (2001), 45–58; and, very sympathetic, Hamza Ben Driss Ottmani, *Kaddour Benghabrit: Un Maghrébin hors du commun* (Rabat, 2010).

(30) Schleier (Embassy Paris) to Foreign Office, 8 February 1941, Paris, PA, R 40747.

(٣١) وافق الخطاب (Sethe (Foreign Office) to Embassy Paris, 6 March 1942, Berlin, PA, R 40747) على مقترح بن غِبريط في البداية، رغم إشارته إلى أنه لا ضرورة لإرسال الأئمة إلى ألمانيا؛ نظرًا لأن غالبية الأسرى المسلمون محتجَزون في معسكرات فرنسا. وأرسل بن غِبريط مقترحًا أكثر تماسكًا إلى مسئولي الڤيشي الذين تواصلوا مع القوات المسلَّحة الألمانية حول هذا الأمر، انظر:

Scapini (Vichy's Diplomatic Servie for Prisoners of War) to Rosenberg (Army), 19 February 1941, Paris, PA, R 40747.

رفضت القوات المسلَّحة الاقتراح بدعوى أن معظم الأسرى المسلمين محتجزون في فرنسا لا في ألمانيا، وبذلك يكون إرسال الأئمة إلى ألمانيا خطرًا أمنيًا. وفي النهاية، رُفِض المقترح رسميًا، انظر:

Wehrmacht to Foreign Office, 7 March 1941, Berlin, PA, R 40747; to Scapini, 15 March 1941, Berlin, PA, R 40747.

وتقول المذكِّرة الداخلية التالية، القائمة على مذكِّرة أحمد بيُّوض، أن الألمان لم يوافقوا على عرض بن غِبريط لشكوك راودتهم في أئمته:

Bürkner (Army), Internal Note ("Behandlung der Araberfragen und Vorschläge von arabischer Seite"), Berlin, 13 March 1942, BA–MA, RH 2/1765, which is based on Biyoud, Memorandum ("Denkschrift zur deutschen Nordafrikapropaganda, insbesondere in den Kriegsgefangenenlagern"), n.d. (March 1942), n.p., BA–MA, RH 2/1765.

(٣٢) ضرب الخطاب التالي والرد عليه مثالًا على التعاون اليومي بين بن غِبريط والسُّلطات الألمانية بتنظيم عيد الأضحى:

Strack (Foreign Office) to Rahn (Consulate Tunis), 12 December 1942, Berlin, PA, R 27767; and, in response, Rahn to Foreign Office, 13 December 1942, Tunis, PA, R 27766.

(٣٣) بدأ الجدل حول دور مسجد باريس في دعم اليهود وأفراد المقاومة بالمقالة التالية:

Albert Assouline, "Une vocation ignorée de la mosquée de Paris," *Almanach du Combattant* (1983), 123–124.

وقد ثبت زيف زعم آزولين (Assouline) القائل بأن ١٧٣٢ مقاوم، كثيرٌ منهم يهود، قد لجئوا إلى المسجد. لكن يمكن، وفقًا لشهادات شفهية، أن يكون بن غِبريط وسي محمَّد بن زواو، أحد كبار أئمة المسجد، قد ساعدا بشكل غير منتظم بعض اليهود من ذوي الأصول الشمال إفريقية عبر منحهم بطاقات هوية إسلامية. أما الوثيقة الوحيدة المعروفة عن هذا الأمر فهي خطاب سُلطات ڤيشي بتاريخ الرابع والعشرين من سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٤٠ عن شكِّ الألمان في أن بطاقات هوية قد صدرت لليهود، لكن دون دليل توثيقي ملموس، انظر:

Robert Satloff, *Among the Righteous: Lost Stories from the Holocaust's Long Reach into Arab Lands* (New York, 2006), 139–158;

ويقدِّم البحث التالي صورةً أكثر تعقيدًا للتعاون والمقاومة والتكيُّف:

Ethan Katz, "Did the Paris Mosque Save Jews? A Mystery and Its Memory," *Jewish Quarterly Review* 102, 2 (2012), 256–287, esp. 270–283.

ويمثل الكتاب التالي أبرز المصادر التي تصور مسجد باريس على أنه مأوًى لليهود:

is Mohammed Aïssaoui, *L'étoile jaune et le croissant* (Paris, 2012).

(٣٤) اقترح الخطاب

Jost (SS Reich Security Head Offi ce) to Altenburg (Foreign Offi ce), 13 April 1940, Berlin, PA, R 60652

منشورًا للپروپاغندا في المغرب الفرنسية. وافقت وزارة الخارجية وطلبت من إيبرهارد فون شتروغر، الذي ساعتها كان سفيرًا إلى مدريد، دعم نقل الپروپاغندا إلى المغرب العربي عبر إسبانيا، انظر:

Altenburg to Stohrer, 23 April 1940, Berlin, PA, R 60652; and, in response, Stohrer to Foreign Office, 25 April 1940, Madrid, PA, R 60652.

(35) Pamphlet "Die Gelegenheit, die nie wiederkommt!" (German translation), n.d. (1940), PA, R 60652;

وللأصل العربي، انظر: منشور «الفرصة، الفرصة، الفرصة التي لن تتكرَّر»، بدون تاريخ (١٩٤٠)، PA, R, 60652.

(36) Altenburg, Internal Note, 6 May 1940, Berlin, PA, R 60652;

وبالمثل:

Simon (Foreign Office), Internal Note, 14 May 1940, Berlin, PA, R 60652,

ولإقرار المنتَج النهائي:

Simon, Internal Note, 18 May 1940, Berlin, PA, R 60652, and, on the dispatch, Simon, Internal Note, 20 May 1940, Berlin, PA, R 60652.

(٣٧) يتضمن (Herf, *Nazi Propaganda for the Arab World*) دراسةً لبعض منشورات الپروپاغندا الألمانية الموزَّعة في شمال إفريقيا والشرق الأوسط. ومن الدراسات الأقدم عن الپروپاغندا الألمانية المطبوعة في شمال إفريقيا والشرق الأوسط:

Ageron, "Contribution à l'étude de la propagande allemande au Maghreb pendant la Deuxième Guerre mondiale," 21–32; and, almost identically, Ageron, "Les populations du Maghreb face à la propagande allemande," 13–39; and Baida, "Le Maroc et la propagande du IIIème Reich," 95–97.

ونجد تأملات في السياق العام لتنظيم هذه الپروپاغندا في:

Peter Longerich, *Propagandisten im Krieg: Die Presseabteilung des Auswärtigen Amtes unter Ribbentrop* (Munich, 1987), 27–148

(38) Schmid (Foreign Office), Internal Note, 18 August 1942, Berlin, PA, R 60748; the list included the *Zeitschrift für Geopolitik*.and *Die Welt des Islams*

(39) Pamphlet "Krieg und Hungersnot" (Draft in German), n.d. (1941), PA, R 60747.

(40) Pamphlet "O Ihr, die Ihr glaubt" (Draft in German), n.d. (1941), PA, R 60747.

(٤١) يبيِّن الخطاب (Neurath to Foreign Office, 17 November 1941, n.p., PA, R 60747) أن المنشورات كانت تُعدُّ في الأيام السابقة على الهجوم البريطاني المضاد في الثامن عشر من نوفمبر/ تشرين الثاني لعام ١٩٤١.

(٤٢) يشير الخطاب (Neurath to Foreign Office, 8 May 1942, n.p., PA, R 29533) إلى طلب

الجيش بتاريخ الثامن من إبريل/ نيسان لعام ١٩٤٢ وتذكير وزارة الخارجية بالأمر. وتفاعلًا مع التذكير، أرسل مغيرل (Megerle)، من وزارة الخارجية باسم ريبّنتروب؛ (Internal Note, 19 May 1942, n.p., PA, R 60649) مطالبًا باقتراحات لمنشورات البروباغندا. وردَّ شميدن (Schmeiden) من وزارة الخارجية في المذكّرة (Internal Note, 29 May 1942, Berlin, PA, R 29533) موصلًا طلب الوزير الرسمي بتكثيف البروباغندا الألمانية الموجّهة لمصر. وتنقل مذكّرة كاپ (Kapp) من وزارة الخارجية (Internal Note, 20 May 1942, Berlin, PA, R 60649) توسع إنتاج المنشورات لمصر. ويبدو أن نُويرات لم يكن على علم بهذه التطورات، فأرسل مرةً أخرى بعد شهر يطالب ببروپاغندا موجّهة لمصر، لكن هذه المرة باسم رومل، انظر:
Neurath to Foreign Office, 25 June 1942, n.p., PA, R 29537 (also in PA, R 60748).

(43) Wüster (Foreign Office) to Neurath, 25 June 1942, Berlin, PA, R 60748.

(44) Wüster to Neurath, 29 June 1942, Berlin, PA, R 60748.

(٤٥) المصدر السابق.

(46) Wüster to Neurath, 30 June 1942, Berlin, PA, R 60650.

(47) Wüster, Internal Note, 2 July 1942, Berlin, PA, R 60651.

(48) Wüster to Neurath, 13 July 1942, Berlin, PA, R 60748.

(49) Wüster, Internal Note, 12 August 1942, Berlin, PA, R 60650.

(50) Pamphlet "O Ägypten" (German translation), n.d. (1942), PA, R 60650;

وللأصل العربي، انظر: منشور «يا مصر»، بدون تاريخ (١٩٤٢)، PA, R 60650.

(51) Kapp, Internal Note, 28 August 1942, Berlin, PA, R 60678.

(٥٢) المصدر السابق.

(53) Kapp, Internal Note, 7 January 1943, Berlin, PA, R 27332.

(54) Pamphlet "England und die Araber" (German translation), n.d., BA–MA, RH 21-5/27;

وللأصل العربي، انظر: منشور «إنكلترا والعرب»، بدون تاريخ، BA–MA, RH 21-5/27.

(55) Postcard "Gewiss wirst Du finden, . . ." (German translation), n.d., BA–MA, RH 21-5/26;

وللأصل العربي، انظر: منشور «تذكرة بريد»، بدون تاريخ، BA–MA, RH 21-5/26.

يختلف رقم الآية المذكورة في نشرات القرآن المتنوعة. فهي الآية رقم ٨٢ في نشرة القاهرة الرسمية للقرآن (١٩٢٥)، لكنها الآية رقم ٨٥ وفقًا لترتيب نسخة شمال إفريقيا التي نشرها بين الباحثين الأوروبيين غوستاف فلوغل (Gustav Flügel) (١٨٣٤). تتبع ترجمة آرثر آربري (Arthur J. Arberry) للقرآن ترقيم نسخة فلوغل. وعادةً ما كان المسئولون الألمان في الحرب العالمية الثانية يحيلون إلى أرقام نسخة فلوغل.

(56) Schmitz, All-Islam, 219; and Sabry, Islam, Judentum, Bolschewismus, 16.

(57) Luther (Foreign Office) to Rahn, 21 November 1942, Berlin, PA, R 27767.

(58) Rahn to Wüster, 4 January 1943, Tunis, PA, R 27766.

(59) Rahn to Wüster, 8 April 1943, Tunis, PA, R 27767.

(60) J. M. Storch de Gracia, "Die Abwehr und das deutsche Generalkonsulat in Tanger," *Die Nachhut* 2 (1967), 7–15;

وعن احتلال إسبانيا، انظر:

Claire Spencer, "The Spanish Protectorate and the Occupation of Tangier in 1940," in George Joffé (ed.), *North Africa: Nation, State, and Region* (London, 1993), 91-107.

(61) Pörzgen (Consulate Tangier), Report ("Tanger: Propagandazelle für Nordafrika"), n.d. (August 1942), Tangier, PA, R 60690.

(62) Pamphlet "O moslemische Freunde!" (German translation), n.d. (1942), PA, R 60660; and, for the Arabic original, Pamphlet "Id muburak sa'id" ("Happy blessed Eid!"), n.d. (1942), PA, R 60660.

ويقدّم الخطاب (Rieth (Consulate Tangier) to Foreign Office, 19 December 1942, Tangier, PA, R 60660) معلومات أوسع عن المنشور وتوزيعه.

(63) Pamphlet "Aux croyants bénis du Maroc très Chéris" (French translation), PA, R 60649;

وللترجمة العربية: «إلى أعزائنا المؤمنين المخلصين من أبناء المغرب»، د.ت (١٩٤٢)، (PA, R 60649). ويقدّم الخطاب (Rieth to Foreign Office, 28 December 1942, Tangier, PA, R 60649) معلومات أوسع عن المنشور وتوزيعه.

(64) Pamphlet "A nos frères musulmans du Maroc très honorés!" (French translation), PA, R 60649;

وللترجمة العربية: «إلى الإخوان المسلمين»، د.ت (١٩٤٢)، (PA, R 60649). ويقدّم الخطاب (PA, R 60649. Rieth to Foreign Offi ce, 28 December 1942, Tangier, PA, R 60649) معلومات أوسع عن المنشور وتوزيعه.

(65) Pamphlet "O marokkanische Brueder!" (German translation), n.d. (1943), PA, R 60649;

وللترجمة العربية: «أيها الإخوان المغاربة»، د.ت (١٩٤٣)، (PA, R 60649). ويقدّم الخطاب (Pörzgen to Foreign Office, 22 March 1943, Tangier, PA, R 60649) معلومات أوسع عن المنشور وتوزيعه.

(66) Doob (US Office of War Information) to Wenner (US Office of War Information), 17 April 1944, USNA, RG 208, Entry 374, Box 434.

(67) Rantzau (Foreign Office) to Consulate Tangier, 3 February 1943, Berlin, PA, R 60650; and, identical, Rantzau to Rahn, 4 February 1943, Berlin, PA, R 27768.

(68) Winkler (Foreign Office), Internal Note, 16 February 1943, Berlin, PA, R 102974;

وعن القائمة المطابقة من المنشورات المرسَلة، انظر:

Langmann (Foreign Office), Internal Note ("Aufzeichnung über die Propaganda nach Nordafrika"), 18 February 1943, Berlin, PA, R 102974.

وعن إرسال موادّ عن المفتي، انظر:

Rantzau to Consulate Tangier, 3 February 1943, Berlin, PA, R 60650; and, identical, Rantzau to Rahn, 4 February 1943, Berlin, PA, R 27768;

وعن منشوراته:

Rantzau to Rahn, 5 February 1943, Berlin, PA, R 27768.

وفي صيف عام ١٩٤٣، أُرسلت موادُّ البروباغندا العربية، متضمنة خطاب المفتي الذي ألقاه في المولد النبوي، إلى تركيا؛ كي تُوزَّع على الدول العربية، انظر:

Winkler, Internal Note, 14 July 1943, Berlin, PA, R 101400.

(69) Winkler, Internal Note, 16 February 1943, Berlin, PA, R 102974; and, identically, Langmann, Internal Note ("Aufzeichnung über die Propaganda nach Nordafrika"), 18 February 1943, Berlin, PA, R 102974.

(70) Langmann, Internal Note ("Aufzeichnung über die Besprechungen betreffend die Koordination der Propaganda nach Nordafrika"), 11 March 1943, Berlin, PA, R 102974.

(٧١) المصدر السابق.

(٧٢) يُشير المقال التالي إلى رحلة قام بها أوتُّو فون هينتغ إلى سورية في عام ١٩٤١.

Anonymous, "3 Reich plotters try to win Syria: Following gains in Iraq, Nazis seek support for Hitler as 'Protector of Islam,'" *New York Times* (7 April 1941).

(73) Pamphlet "Das neue Königreich" (German translation), n.d. (1942), PA, R 60650;

وللترجمة العربية: «هل تعرف هذه الراية أيها العربي؟»، د.ت (١٩٤٢)، (PA, R 60650). وتقدّم المذكّرة (Wüster, Internal Note, 12 August 1942, Berlin, PA, R 60650) معلومات أوسع عن المنشور وتوزيعه.

(74) Brochure, n.d. (1944), BAB, R 55/20712;

ولمعلوماتٍ عن إنتاجه، انظر الوثائق الموجودة في: (BAB, R 55/20712).

(75) Eve Curie, *Journey among Warriors* (London, 1943), 79.

(76) Landau, The Politics of Pan-Islam, 247.

(٧٧) نجد أشمل مجموعة من أعداد **بريد الشرق** في (DNB, ZB 47105). ونجد أعدادًا أخرى في مكتبة برلين الحكومية (Staatsbibliothek zu Berlin, Berlin (SBB), 4 Stabi 670). ولتفاصيل أعم، انظر:

Gerhard Höpp, *Arabische und islamische Periodika in Berlin und Brandenburg, 1915 bis 1945: Geschichtlicher Abriss und Bibliographie* (Berlin, 1994), 66; and Gerhard Höpp, *Texte aus der Fremde: Arabische politische Publizistik in Deutschland, 1896–1945: Eine Bibliographie* (Berlin, 2000), 43.

ونجد تقييمًا جيدًا للمحتوى في:
Munir Hamida, "Amīn al-Ḥusaynī in der deutschen Kriegspropaganda des Zweiten Weltkrieges: Eine Studie zur arabischsprachigen Zeitschrift 'Barīd aš-Šarq'" (MA thesis, Free University of Berlin, 2007);

ولتفاصيل عن توزيع الجريدة وشئونها المالية وتنظيمها، انظر ص ١٢ و١٣، وللكتّاب والمحرّرين، انظر ص ٣٥-٤٢.

(78) Munir Hamida, "Amīn al-Ḥusaynī in der deutschen Kriegspropaganda des Zweiten Weltkrieges," 23–33 and 35–42;

وعن الاضطهاد الديني في الاتحاد السوفييتي (١٩٤١)، انظر ص ٢٦، وعن التوجهات الأنكلو-أمريكية تجاه العالم الإسلامي (١٩٤٣)، انظر ص ٢٨، وعن المعهد الإسلامي المركزي (١٩٤٣)، انظر ص ٣٧، وعن خطابات النخبة النازية، انظر ص ٣٠-٣١، وعن خطبة محمّد مصطفى المراغي (١٩٤٤)، انظر ص ٣١، وعن الرسائل العشر للحسيني التي نُشرت في بريد الشرق، انظر ص ٦٨-١٢٧، وعن مقالة كتبها عبد الرشيد إبراهيم، انظر ص ٤٠-٤١، وعن مقالة لشكيب أرسلان (١٩٤٢-١٩٤٣)، انظر ص ٣٩-٤٠، وعن مقالات فون ليرز (١٩٤٢-١٩٤٣)، انظر ص ٤١-٤٢.

(79) Rahn to Foreign Office, 28 March 1943, Tunis, PA, R 27766;

وعن توزيع هذا العدد الخاص، انظر الوثائق الموجودة في: (PA, R 27766, R 27767, and R 27768).

(80) Nöhring (Consulate Tangier) to Foreign Office, 8 May 1942, Tangiers, PA, R 60660; and, in response, Wüster to Consulate Tangier, 15 July 1942, Berlin, PA, R 60660.

والراجح أن السُّلطات الإسبانية قد دمّرت المنشورات، انظر:
Rieth to Foreign Office, 24 July 1942, Tangier, PA, R 60660.

(٨١) لمّا تكررت مصادرة السُّلطات الإسبانية للجريدة، حاول الألمان تجاوز الرقابة من خلال إرسال الجريدة بشكل غير رسمي عبر السفارة في مدريد. وعن توزيع بريد الشرق ومصادرتها في إقليم طنجة، انظر الوثائق الموجودة في (PA, R 60660).

(82) Stohrer, Internal Note, 18 November 1941, Berlin, PA, R 29533.

(83) Himmler to Reich Security Head Office, 14 May 1943, n.p., BAB, NS 19/3544. On this episode see also Höpp, "Der Koran als 'geheime Reichssache,'" 443–446; and Herf, *Nazi Propaganda for the Arab World,* 202–204.

(84) Kaltenbrunner to Himmler, 3 September 1943, Berlin, BAB, NS 19/3544.

(85) Kaltenbrunner to Himmler, 13 September 1943, Berlin, BAB, NS 19/3544.

(٨٦) يمثل الكتاب التالي أشمل دراسة عن تمرد المهدي السوداني:
P. M. Holt, *Mahdist State in the Sudan, 1881–98: A Study of Its Origins, Development and Overthrow* (Oxford, 1972).

وقد ظلّت المَهدوية قوةً تناضل ضد الاستعمار في فترة ما بين الحربين، انظر على سبيل المثال:
C. N. Ubah, "British Measures against Mahdism in Dumbulwa in Northern Nigeria, 1923: A Case of Colonial Overreaction," *Islamic Culture* 50, 3 (1976), 196–283; Asma'u G. Saeed, "The British Policy towards the Mahdiyya in Northern Nigeria: A Study of the Arrest, Detention and Deportation of Shaykh Sa'id b. Hayat, 1923–1959," *Kano Studies* 2, 3 (1982–1985), 95–119; and Fisher, "British Responses to Mahdist and Other Unrest in North and West Africa."

وعن دور المشيحانية في مناهَضة الاستعمار بشكل أعم، انظر:
Michael Adas, *Prophets of Rebellion: Millenarian Protest Movements against the European Colonial Order* (Chapel Hill, NC, 1979).

(87) Brandt to Berger, 11 September 1943, n.p., BAB, NS 19/3544; and Brandt to Sievers (*SS Ahnenerbe*), 11 September 1943, n.p., BAB, NS 19/3544.

(٨٨) الخطاب (Berger to Brandt, 10 October 1943, Berlin, BAB, NS 19/3544) الذي أُرفِق معه قائمة ببعض مقاطع القرآن الكريم التي تشير إلى الحرب وبعض المقاطع المشيحانية من نصوص إيرانية بهلوية قروسطية.

(89) Sievers to Wüst, 28 September 1943, Berlin, BAB, NS 19/3544; and, for the report, Wüst to Brandt, 31 January 1944, Munich, BAB, NS 19/3544; and, for an earlier progress report, Wüst to Brandt, 14 December 1943, Munich, BAB, NS 19/3544; and, for the response after the submission of the final report, Brandt to Wüst, 8 March 1944, n.p., BAB, NS 19/3544.

(٩٠) الخطاب (Kaltenbrunner to Himmler, 6 December 1943, Berlin, BAB, NS 19/3544) الذي احتوى على التقرير الذي كتبه أوتّو روسلر (Otto Rössler) وڤالتر لورش من قسم أبحاث «الشرق»، وكذلك على المنشور بالألمانية والعربية، من إنتاج القسم نفسه. وكذلك كان التقرير والمنشور لدى ڤالتر ڤوست (Walther Wüst) الذي قدّمهما مع تقريره النهائي، انظر مرفقات خطاب (Wüst to Brandt, 31 January 1944, Munich, BAB, NS 19/3544).

(91) Pamphlet (German translation), n.d. (1943), BAB, NS 19/3544;

وللأصل العربي: «وإنه لعلمٌ للساعة»، د.ت (١٩٤٣)، (BAB, R 55/20712). طُبِعت الترجمة الألمانية في: Höpp, "Der Koran als 'geheime Reichssache,'" 445

والإنكليزية في: Herf, *Nazi Propaganda for the Arab World,* 204.

(92) Brandt to Kaltenbrunner, 28 December 1943, n.p., BAB, NS 19/3544.

(93) Zeischka (Propaganda Ministry), Internal Note ("Druck und Verbreitung von Flugblättern in arabischen Ländern"), 26 January 1944, Berlin, BAB, R 55/20712,

لطلب الطباعة المقدَّم من وحدات الحماية:
Zeischka, Internal Note ("Druck und Verbreitung von Flugblättern in arabischen Ländern"), 17 March 1944, Berlin, BAB, R 55/20712,

لموافقة غوبلز على طباعة مليون نسخة:
Schmidt-Dumont, Internal Note ("Antijüdisches Flugzettel für den arabischen Raum"), 6 April 1944, Berlin,

لمصادقة وزارة الخارجية، والوثائق: (BAB, R 55/20712) لتفاصيل حول إنتاج مليون نسخة من المنشور.

(94) Hentig to Knothe (Propaganda Ministry), 28 March 1938, Berlin, PA, R 104800.

وعن المناقشات المتعلقة بترجمة كفاحي إلى العربية، انظر:

Stefan Wild, "National Socialism in the Arab Near East between 1933 and 1939," *Die Welt des Islams* 25, 1/4 (1985), 126–173, 147–170.

(٩٥) نقلًا عن مقال:

Wild, "National Socialism in the Arab Near East between 1933 and 1939," 166–167;

المنشور في الشرق (*L'Orient*) بتاريخ التاسع من ديسمبر/ كانون الأول لعام ١٩٣٩.

(96) Anonymous, "Faschistische Umtriebe in den Ländern des Islams," *Freie Innerschweiz* (14 April 1939); and Jean Vignaud, "L'esprit de l'empire français," *Le Petit Parisien* (8 May 1940).

وقد سبَّبت المقالة الأخيرة بعض الجدل في الحكومة البريطانية، انظر الوثائق الموجودة في دار المحفوظات البريطانية في كيو

(Kew (NA): FO 395/650).

(٩٧) ظهرت أول ترجمة كاملة للكتاب في بيروت لاحقًا في عام ١٩٦٠. ولمراجعة نقدية، انظر:

Stefan Wild, "'Mein Kampf' in arabischer Übersetzung," *Die Welt des Islams* 9, 1–4 (1964), 207–211.

(98) Wild, "National Socialism in the Arab Near East between 1933 and 1939," 147–170.

كان شكيب أرسلان على تواصل مع السُّلطات الألمانية في وزارة الخارجية، وسيظل كذلك طوال الحرب؛ محاولًا التأثير على سياسات برلين تجاه العالم الإسلامي. وكانت غالبية مراسلاته تنتقل عبر صديقه ماكس فون أوپّنهايم، انظر الوثائق الموجودة في: (PA, Nachlass Hentig, vol. 84) و(PA, R 104812) و(R 104813).

ولخطط وحدات الحماية لترتيب زيارة رسمية لأرسلان إلى ألمانيا في عام ١٩٣٨، انظر: (BAB, NS 19/391).

وعن شكيب أرسلان، انظر:

William L. Cleveland, *Islam against the West: Shakib Arslan and the Campaign for Islamic Nationalism* (Austin, TX, 1985)[1]; Raja Adal, "Constructing Transnational Islam: The East-West Network of Shakib Arslan," in Stéphanie A. Dudoignon, Komatsu Hisao, and Kosugi Yasushi (eds.), *Intellectuals in the Modern Islamic World* (London, 2006), 176–210; and Raja Adal, "Shakib Arslan's Imagining of Europe: The Coloniser, the Inquisitor, the Islamic, the Virtuous, and the Friend," in

---

(١) نُقل إلى العربية، وصدر بعنوان: **الإسلام ضد الغرب: شكيب أرسلان والدعوة إلى القومية الإسلامية**، (الدوحة: منتدى العلاقات العربية والدولية، ٢٠١٧). (المترجم)

Nathalie Clayer and Eric Germain (eds.), *Islam in Inter-War Europe* (London, 2008), 156–182.

(99) Pamphlet "Im Namen Gottes, des Allbarmherzigen! El Emir Ab del Kadirel Djezeiiri" (German translation), n.d. (1944/1945), BAB, NS 19/2637.

(100) Pamphlet "Im Namen Gottes, des Barmherzigen! Hört zu, Ihr tapferen Krieger Nordafrikas!" (German translation), n.d. (1944/1945), BAB, NS 19/2637.

(101) Pamphlet "Aufruf seiner Eminenz des Großmufti Il Sayid Mohammed Amin El Usseini [*sic*]" (German translation), n.d. (1944/1945), BAB, NS 19/2637.

(102) Pamphlet "Arabische Soldaten!" (German translation), n.d. (1944/1945), BAB, NS 19/2637.

(103) Callum A. MacDonald, "Radio Bari: Italian Wireless Propaganda in the Middle East and British Countermeasures 1934–38," *Middle Eastern Studies* 13, 2 (1977), 195–207;

ولعرض عام للسياسات والبروباغندا الإيطالية في شمال إفريقيا والشرق الأوسط قبل الحرب، وفيها ما يتعلّق بالإسلام، انظر:

Wright, "Mussolini, Libya, and the Sword of Islam"; Williams, *Mussolini's Propaganda Abroad;* and Arielli, *Fascist Italy and the Middle East.*

(104) C. L. Sulzberger, "Axis Radio Blankets Islam: American Aid Needed to Fight Propaganda Aimed at Lands of the Middle East," *New York Times* (1 February 1942).

(١٠٥) عن البروباغندا الإذاعية الخارجية لألمانيا النازية، انظر:

Werner Schwipps, "Wortschlacht im Äther," in Deutsche Welle (ed.), *Wortschlacht im Äther: Der deutsche Auslandsrundfunk im Zweiten Weltkrieg* (Berlin, 1971), 13–97, esp. 56–57 (Empire Zone), 58–62 (Orient Zone); Willi A. Boelcke, *Die Macht des Radios: Weltpolitik und Auslandsrundfunk 1924–1976* (Frankfurt, 1977), 405–416 (Arab World) and 416–430 (Iran, Afghanistan, and India); and Horst J. P. Bergmeier and Rainer E. Lotz, *Hitler's Airwaves: The Inside Story of Nazi Radio Broadcasting and Propaganda Swing* (New Haven, CT, 1997), 42–43 and 222–223.

ويقدّم لنا الكتاب التالي مجموعة من وثائق پروپاغندا برلين الخارجية:

Reimund Schnabel, *Mißbrauchte Mikrophone: Deutsche Rundfunkpropaganda im Zweiten Weltkrieg* (Vienna, 1967);

وتجد عرضًا معاصرًا عن تسيزن في:

Herbert Schröder, *Ein Sender erobert die Welt: Das Buch vom deutschen Kurzwellenrundfunk* (Essen, 1940). Longerich, *Propagandisten im Krieg,* 27–148.

(١٠٦) عن مكتب تسيزن ، انظر:

Schwipps, "Wortschlacht im Äther," 58–62; Boelcke, *Die Macht des Radios,* 405–430; Bergmeier and Lotz, *Hitler's Airwaves,* 42–43 and 222–223; and Bernd Trentow and Werner Kranhold, "Im Dienst imperialistischer Weltherrschaftspläne: Zum Orient-Einsatz des faschistischen Rundfunks im Zweiten Weltkrieg," *Beiträge zur Ges-*

chichte des Rundfunks 7, 4 (1973), 22–51.

وقد كتب بوفينغر تقريرًا من أربع ورقات عن عمله في «مكتب الشرق» بعد الحرب، انظر:
Gustav Bofinger, Report ("Entstehung und Geschichte der Zone Orient KWS"), n.d. (post-1945), n.p., German Broadcasting Archive (*Deutsches Rundfunkarchiv*), Frankfurt (DRA), A18/1.

(١٠٧) لقائمة (غير مكتملة) للعاملين بالإذاعة منذ عام ١٩٤٢، انظر:
Telephone Register ("Telefonverzeichnis der RRG"), 1942, DRA, RRG 2/002.

(١٠٨) يقدّم الكتاب التالي رؤية كيسنغر لقسم الإذاعة زاعمًا أنه فعل أقصى ما وسعه لإبعاد الأيديولوجيا النازية عن البروباغندا الإذاعية، وقلّل بشكل عام من تأثير وزارة الخارجية:
Kurt Georg Kiesinger, *Dunkle und helle Jahre: Erinnerungen 1904–1958* (Stuttgart, 1989), 213–264.

(109) Bofinger, Report ("Entstehung und Geschichte der Zone Orient KWS"), n.d. (post-1945), n.p., DRA, A18/1.

(١١٠) عن يونس بحري، انظر:
Lebel, *The Mufti of Jerusalem*, 138, 151–154 and 225.

لجأ بحري إلى لبنان بعد الحرب ونشر مذكراته عن سنواته التي عاشها في برلين في خمسة مجلدات، وهي تحتوي على العديد من المزاعم الكاذبة، وتحتاج إلى قراءة حذرة. انظر: يونس بحري، **هنا برلين! حي العرب!**، ٥مج، (بيروت، د.ن).

(111) Information Sheet on Yunis Bahri, n.d. (July 1939), sent by Lampson (Embassy Cairo) to Halifax (Foreign Office), 6 July 1939, Alexandria, British National Archives, Kew (NA), FO 395/664.

(112) Oppenheim, Memoirs ("Leben im NS-Staat, 1933–1945"), n.d. (1945/1946), n.p. (Landshut), OA, Nachlass Max von Oppenheim, no. 1/14.

(١١٣) يمكن العثور على صورة للعاملين العراقيين في خدمة الإذاعة العربية في:
Anonymous, "Moslems als Deutschlands Gäste," *Signal* (February 1942, 1st issue), 16.

(١١٤) عن تقي الدين الهلالي، انظر: مخلص السبتي، **السلفية الوهابية بالمغرب: تقي الدين الهلالي رائدًا** (الدار البيضاء، ١٩٩٣)؛ و
Henri Lauzière, "The Evolution of the Salafiyya in the Twentieth Century through the Life and Thought of Taqi al-Din al-Hilali" (PhD diss., Georgetown University, 2008); and Mehdi Sajid, "Säkularisierung durch Augenzeugenschaft kontern: Der Bericht von Taqī al-Dīn al-Hilālī (gest. 1987) aus Bonn über die Religiosität der Europäer," in Bekim Agai and Stephan Conermann (eds.), "Wenn einer eine Reise tut, hat er was zu erzählen": Präfiguration, Konfiguration, Refiguration in muslimischen Reiseberichten (Berlin, 2013), 191–228.

(115) Mildenstein, Report, n.d. (1939), n.p. (Berlin), BAB, R 58/783.

ويقدِّم المقال التالي رؤية عامة تقوم على أساس إرشادات الإذاعة الألمانية:

Vera Henssler, "'Für die Propaganda nach dem Orient ist bei weitem die wirksamste Waffe der Rundfunk': NS-Auslandspropaganda in den Nahen Osten und Nordafrika," *Zeitschrift für Geschichtswissenschaft* 59, 11 (2011), 920–937;

ومن بين الدراسات الأولى المهمّة عن البروباغندا الإذاعية الألمانية في شمال إفريقيا والشرق الأوسط:

Ageron, "Contribution à l'étude de la propagande allemande au Maghreb pendant la Deuxième Guerre mondiale," 21–32;

ويكاد يطابقها:

Ageron, "Les populations du Maghreb face à la propagande allemande," 13–39; and Baida, "Le Maroc et la propagande du IIIème Reich," 93–95.

(120) Bofinger, Report ("Entstehung und Geschichte der Zone Orient KWS"), DRA, A18/1; and, similarly, Schwipps, "Wortschlacht im Äther," 60.

(121) Rühle to Rahn, 13 March 1943, Berlin, PA, R 27768; and, in response, Rahn to Rühle, 4 April 1943, Tunis, PA, R 27766.

(122) Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic," 29 July 1942 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 77.

(123) Broadcast Script "Der Freiheitsheld Jusuf Abu Durra" (German translation), 8 February 1941 (sent), BAB, R 901/73039.

(124) Broadcast Monitoring Script "Voice of Free Arabism: Britain and Islam," 6 August 1942 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 77.

وفي يونيو/ حزيران من عام ١٩٤٣، قرأ المذيع من برلين مقالة من بريد الشرق عن المسلمين تحت الحكم البريطاني في الهند، انظر:

Broadcast Monitoring Script "Athens in Arabic," 7 June 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93.

(125) Broadcast Monitoring Script "Voice of Free Arabism: Al Azhar University and the Moslem Cause," 3 September 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93

(126) Fuller (Office of War Information), Report ("Necessary Precautions in Broadcasting to the Arab World"), 6 October 1941, n.d., USNA, RG 208, Entry 373, Box 418.

(127) Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic," 1 July 1942 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 77; and Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: The British Do Not Want to Declare Cairo an Open City," 27 June 1942 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 77.

(١٢٨) عن الخلافة، انظر:

Broadcast Monitoring Script "Voice of Free Arabism: The Mufti of Tripoli," 14 February 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93;

وعن احتفالات عيد الفطر في القاهرة، انظر:
Broadcast Monitoring Script "Athens in Arabic: Bairam and Our Policy," 30 September 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93.

(١٢٩)عن مصر والهند، انظر:
Broadcast Monitoring Script "The Arab Nation: The Pilgrimage," 4 December 1942 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 77;

وعن الهند، انظر:
Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: Pilgrims," 12 January 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93.

وسنناقش الحج بوصفه مثار اهتمام الإمبراطورية البريطانية في وقت الحرب في هذا الفصل.

(130) Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: Pilgrimage," 8 December 1942 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 77.

(131) Broadcast Monitoring Script "Voice of Free Arabism: The Pilgrimage," 14 December 1942 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 77;

وبعدها بيومين، أرسلت إذاعة برلين العربية التهاني بالحج مرةً أخرى، انظر:
Broadcast Monitoring Script "Athens in Arabic: The Pilgrimage," 17 December 1942 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 77.

(132) Broadcast Monitoring Script "Voice of Free Arabism: British Obstacles for Arab Palestinian Pilgrims," 30 September 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93.

(١٣٣) عن سورية والهند، انظر:
Broadcast Monitoring Script "Athens in Arabic: The Pilgrimage," 12 August 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93;

وعن الهند، انظر:
Broadcast Monitoring Script "Voice of Free Arabism: India," 12 August 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93; and Broadcast Monitoring Script "Athens in Arabic: Indian Pilgrims," 15 August 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93.

(134) Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: News of the Arab Countries: The Moslems of the World," 27 October 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93.

(135) Broadcast Monitoring Script "Voice of Free Arabism," 1 July 1942 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 77.

(136) Broadcast Monitoring Script "Voice of Free Arabism: The London Mosque," 16 July 1942 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 77.

(137) Broadcast Monitoring Script "Voice of Free Arabism: The Moslem Fraternity," 27 April 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93; see also Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: Palestine: Talk: Moslem Attention," 17 June 1944 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 112.

(138) Broadcast Monitoring Script, "Voice of Free Arabism: The Jews Have Their Religion and the Moslems Have Theirs," 29 December 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 112.

(139) Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: Talk: Forgiveness in Islam," 12 January 1944 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 112.

(140) Hirszowicz, The Third Reich and the Arab East, 311.

(141) Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: America," 5 September 1942 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 77.

(142) Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: An American Paradise," 4 June 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93.

(143) Broadcast Monitoring Script "Voice of Free Arabism: Bolshevism and Islam," 7 September 1942 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 77.

(144) Broadcast Monitoring Script "Voice of Free Arabism: The Russians and the Qoran," 6 April 1944 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 112;

ولتقارير مشابهة، انظر:

Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: Bolshevik Attrocities [*sic*] against the Moslems," 2 February 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93; Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: Russia," 25 February 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93; and Broadcast Monitoring Script "Athens in Arabic: The Soviets and the Moslems," 23 October 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93;

وكتبت برلين أيضًا عن القمع العام للدين في الاتحاد السوفييتي، انظر على سبيل المثال:

Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: Bolshevik Propaganda and the Freedom of Religion in Russia," 12 January 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93.

(145) Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: Communism and Islam," 12 April 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93.

(146) Broadcast Monitoring Script "Independent Egypt: An Important Historical Document for the Egyptian Public," 15 July 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93.

(147) Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: Stalin's Ambitions in the Near East and Arab Countries," 10 December 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 112.

(148) Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: Talk: Bolshevism and Its Dangers," 22 August 1944 (recorded), RG 84, Entry UD 2410, Box 112.

(149) Broadcast Script "Zur Regierungserklärung für die Araber" (German translation), 12 December 1940 (sent), BAB, R 901/73039.

أُرسل هذا الإعلان بعد أيام قليلة من «التصريح العربي»، انظر:

Broadcast Script "Deutsche Rundfunkerklärung vom 5. Dezember 1940," 7 February 1942, Berlin, PA, R 28876 (also in PA, R 261123 and R 261179).

(150) Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: Islam and National-Socialism," 22 May 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93.

(151) Broadcast Monitoring Script, "Berlin in Arabic: The Axis and the Moslems," 5 August 1942 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 77.

(١٥٢) بدأت هذه التقارير بشكل خاص مع التورط العسكري الألماني في البوسنة والهرسك في أوائل عام ١٩٤٣، انظر:

Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: The Mufti of Jerusalem," 1 May 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93;

وعن الدعم البريطاني للتشيتنيك الصِّرب، انظر:

Broadcast Monitoring Script "The Arab Nation: 'Have You Heard, Ye Moslems?,'" 26 May 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93;

وعن الدعم الأنكلو-أمريكي للپارتيزان الشيوعيين في البلقان، انظر مثلًا:

Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: The Moslems in the Balkans," 31 July 1944 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 112; and "Berlin in Arabic: The Moslems of the Balkans," 4 August 1944 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 112.

(153) Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: Moslem Women in Yugoslavia," 4 February 1944 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 112.

(154) Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: Allied Terror in the Balkans," 27 June 1944 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 112.

(155) Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: Moslem Thanksgivings for Hitler's Safety," 24 July 1944 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 112.

(١٥٦) المرجع السابق.

(157) Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: Palestine," 13 October 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93.

(١٥٨) عن المسلمين في جيوش الحلفاء، انظر:

Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: Talk: Moslem Soldiers Fight in Italy," 22 May 1944 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 112;

وعن المسلمين في الجيوش الألمانية، انظر:

Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: Moslem Soldiers Fight in the Balkans," 22 May 1944 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 112.

(159) Rühle, Internal Note ("Aufzeichnung betr. die Rundfunkpropaganda in dem arabischen Raum"), 5 May 1941, Berlin, PA, R 67482.

(160) Broadcast Script "Religiöser Wochentalk: Die Frömmigkeit" (German translation), 5 December 1940 (sent), BAB, R 901/73039; Broadcast Script "Religiöser Wochentalk: Die Wahrhaftigkeit" (German translation), 26 December 1940 (sent), BAB, R

901/73039; Broadcast Script "Talk: Die gute Behandlung des Dieners, Sklaven und Tieres" (German translation), 23 January 1941 (sent), BAB, R 901/73039; Broadcast Script "Kultureller Talk: Die Wahrhaftigkeit und die Stärke des Glaubens" (German translation), 31 December 1940 (sent), BAB, R 901/73039; Broadcast Script "Religiöser Talk: Die Pilgerfahrt" (German translation), 2 January 1941 (sent), BAB, R 901/73039; and Broadcast Script "Religiöser Wochentalk" (German translation), 19 December 1940 (sent), BAB, R 901/73039.

(161) Broadcast Script "Religiöser Wochentalk: Die Freigebigkeit" (German translation), 12 December 1940 (sent), BAB, R 901/73039.

(162) Broadcast Script "Talk: Die Selbstsucht" (German translation), 16 January 1941 (sent), BAB, R 901/73039.

(163) Broadcast Script "Talk: Wachet auf!" (German translation), 6 February 1941 (sent), BAB, R 901/73039.

(164) Broadcast Script "Talk: Die Wissenschaft und der Unterricht" (German translation), 13 February 1941 (sent), BAB, R 901/73039.

(165) Broadcast Script "Neuerungen und Aberglaube im Islam" (German translation), 20 February 1941 (sent), BAB, R 901/73039.

(166) Office of War Information, Special Daily Propaganda Report, 11 March 1942, USNA, RG 208, Entry UD 577, Box 4.

(167) Broadcast Script "Talk: Glückwünsche zum Beiram-Fest" (German translation), 8 January 1941 (sent), BAB, R 901/73039.

(168) Broadcast Script "Talk: Festglückwünsche und Ausprache eines Mitgliedes der araa bischen Kolonie über die Lebensverhältnisse in Deutschland" (German translation), 10 January 1941 (sent), BAB, R 901/73039.

(169) Broadcast Script "Talk: Glückwünsche zum mohammedanischen Neujahrsfest" (German translation), 28 January 1941 (sent), BAB, R 901/73039.

(170) Broadcast Script "Talk: Über das neue Hedschra-Jahr" (German translation), 30 January 1941 (sent), BAB, R 901/73039.

(171) Broadcast Monitoring Script "Voice of Free Arabism: What Moslems Should Remember," 18 December 1942 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93.

(172) Al-Husayni, Speech (German translation), 19 March 1943, Berlin, BA–MA, RH 45/71;

ولبطاقة دعوة للحدث، انظر:

Einladung Islamisches Zentral-Institut zu Berlin E.V.: Die Rede seiner Eminenz des Großmufti von Palästina anläßlich des Geburtstages des Gottesgesandten Muhameds, n.d. (March 1943), Berlin, PA, R 27327.

(173) Al-Husayni, Speech (German translation), 1 October 1943, Berlin, BAB, NS 19/2637.

(174) Broadcast Monitoring Script "Voice of Free Arabism: Bairam," 19 September 1944 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 112.

(175) Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: Celebration of This Holy Occasion in the Mosque in Berlin," 7 March 1944 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 112.

(176) Schwipps, "Wortschlacht im Äther," 59; and, similarly, Boelcke, *Die Macht des Radios*, 405.

(١٧٧) أبلغت الرسالة التالية سفارة باريس بهذا الاقتراح الذي ورَد من القنصلية الألمانية في طنجة:
Schirmer (Foreign Office) to Embassy Paris, 1 January 1942, Berlin, PA, Paris 1116C;
رحبت السفارة في الرسالة التالية بالمقترح:
Schleier to Foreign Office, 15 January 1943, Paris, PA, Paris 1116C;
ودرست المذكِّرة التالية الوثائقي وأكَّدت أنه تم إرسـاله في السابع عشر من يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٤٣:
Vycichl (Embassy Paris), Internal Note ("Reportage in arabischen Arbeitslagern der Organisation Todt"), 21 January 1943, Paris, PA, Paris 1116C.

(١٧٨) عن الحضور الألماني في تركيا، انظر:
Lothar Krecker, *Deutschland und die Türkei im Zweiten Weltkrieg* (Frankfurt, 1964); Johannes Glasneck and Inge Kircheisen, *Türkei und Afghanistan: Brennpunkte der Orientpolitik im Zweiten Weltkrieg* (Berlin, 1968);
وبصورة أكثر عمومية، انظر:
Zehra Önder, *Die türkische Außenpolitik im Zweiten Weltkrieg* (Munich, 1977); and Selim Deringil, *Turkish Foreign Policy during the Second World War: An "Active" Neutrality* (Cambridge, 2004);
وعن التصورات الأيديولوجية، انظر:
Stefan Ihrig, *Atatürk in the Nazi Imagination* (Cambridge, MA, 2014).

(179) Papen to Foreign Office, 26 April 1940, Ankara, PA, R 67484;
وكذلك:
Papen to Foreign Office, 3 May 1940, Ankara, PA, R 67484;
اشتمل التقريرين كليهما على تقارير صحفية مرفقة.

(180) Papen to Foreign Office, 3 May 1940, Ankara, PA, R 67484.

(181) Rühle, Internal Note ("Deutsche Sendungen in türkischer Sprache"), 18 April 1941, Berlin, PA, R 67483.

(182) Foreign Office, Instructions ("Standardthesen für die Propaganda nach dem Iran"), n.d. (4 January 1942), n.p. (Berlin), PA, R 27329;
ونجد نسخةً مطابقةً في:
Foreign Office, Instructions ("Standardthesen für die Propaganda nach dem Iran"), 4 January 1942, printed in Foreign Office, Instructions ("Zusammenfassung der vom Herrn RAM angeordneten Standardthesen für die deutsche Auslandspropaganda in laufender Nummernfolge"), 1942, Berlin, PA, R 101400;

وكذلك:

Foreign Office, Instructions ("Standardthesen für die Propaganda nach dem Iran"), 27 March 1942, printed in Foreign Office, Instructions ("Zusammenfassung der vom Herrn RAM angeordneten Standardthesen für die deutsche Auslandspropaganda in laufender Nummernfolge"), 1942, Berlin, PA, R 27330.

(183) Ettel, Guidelines ("Richtlinien für die deutsche Propaganda nach dem Iran"), 24 August 1942, Berlin, PA, R 27329 (also in PA, R 27330).

يحتوي الملف التالي على مسوّدات لهذه التوجيهات، بالإضافة إلى ثناء ريبّنتروب على النسخة النهائية:

Sonnleithner, Internal Note, 29 August 1942, Feldmark, PA, R 27329.

وزعمت مسوّدة أخرى للتوجيهات بأن هتلر كان موقّرًا في إيران بوصفه الإمام الثاني عشر، انظر:

Ettel, Guidelines ("Richtlinien für die Propaganda nach Iran"), 11 August 1942, Berlin, PA, R 27329.

(184) Ettel, Internal Note ("Rundfunkpropaganda nach Iran"), 21 December 1942, Berlin, PA, R 27329.

لم ينجُ من الحرب إلّا القليل من نصوص الإذاعة الألمانية الموجّهة إلى إيران، وهي لا تنطوي على شيء ذي بال يتعلّق بالبعد الديني في إذاعات ألمانيا الإيرانية. تتناول النصوص التي نجت من الحرب الدراسات الاستشراقية الألمانية (مرسلة في التاسع والعشرين من يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٤١)، ودور الملاحم القومية الإيرانية في الأدب الألماني (بتاريخ الحادي عشر من فبراير/ شباط في عام ١٩٤١)، والفيلم الدعائي **النصر في الغرب** (*Der Sieg im Westen*) (بتاريخ الرابع عشر من فبراير/ شباط من عام ١٩٤١)، وتلقي الشعر الإيراني في ألمانيا (بتاريخ الثامن عشر من فبراير/ شباط في عام ١٩٤١)، انظر النصوص في: (BAB, R 901/73039).

(185) Ettel to Foreign Office, 2 February 1941, Tehran, PA, R 60690.

(١٨٦) المرجع السابق.

(187) Winkler, Internal Note ("Erfahrungen aus der deutschen Propagandaarbeit in Iran vom November 1939 bis September 1941"), 10 January 1942, Berlin, PA, R 60690.

حول ڤينكلر، انظر الفصل الخامس.

(188) George Lenczowski, Russia and the West in Iran 1918–1948: A Study in Big-Power Rivalry (Ithaca, NY, 1949), 159.

(189) Sulzberger, "Axis Radio blankets Islam," and, similarly, C. L. Sulzberger, *A Long Row of Candles: Memoirs and Diaries, 1934–1954* (London, 1969), 191.

(١٩٠) عن السياسات الألمانية تجاه الهند، انظر:

Reimund Schnabel, *Tiger und Schakal: Deutsche Indienpolitik 1941–1943* (Vienna, 1968); Voigt, "Hitler und Indien;" Milan Hauner, "Das Nationalsozialistische

Deutschland und Indien;" Milan Hauner, *India in Axis Strategy: Germany, Japan, and Indian Nationalists in the Second World War* (Stuttgart, 1981); Milan Hauner, "The Professionals and the Amateurs in National Socialist Foreign Policy: Revolution and Subversion in the Islamic and Indian World," in Gerhard Hirschfeld and Lothar Kettenacker (eds.), *The "Führer State": Myth and Reality: Studies on the Structure and Politics of the Third Reich* (Stuttgart, 1981), 305–328; Eugene J. D'Souza, "Nazi Propaganda in India," *Social Scientist* 28, 5/6 (2000), 77–90; Hans-Bernd Zöllner, *"Der Feind meines Feindes ist mein Freund": Subhas Chandra Bose und das zeitgenössische Deutschland unter dem Nationalsozialismus 1933–1943* (Hamburg, 2000); and Jan Kuhlmann, *Netaji in Europe* (New Delhi, 2012). Johannes H. Voigt, *India in the Second World War* (New Delhi, 1987); and Manzoor Ahmad, *Indian Response to the Second World War: A Political Study* (New Delhi, 1987);

تقدّم هذه الدراسات السياق العام للهند في الحرب العالمية الثانية.

(١٩١) نُظِّم الخطاب بالاشتراك بين ألمانيا وإيطاليا في أثناء إقامة مؤقتة للمفتي في روما. عن تنظيم الخطاب والمشاركة الألمانية، انظر الوثائق الموجودة في: (PA, R 27326 and PA, R 60675). لم يُثِر الخطاب اهتمامًا واسعًا في العالم العربي (Schweinitz to Foreign Office, 27 August 1942, Alexandretta, PA, R 27326) ولا في وسط آسيا (Pilger to Foreign Office, 28 August 1942, Kabul, PA, R 27322). ولا نملك تقييمًا لردّ الفعل على الخطاب في الهند، لكن المسئولين الألمان في تايلاند أشاروا إلى أن الحركات الهندية المنفية هناك استقبلت الخطاب استقبالًا إيجابيًا

(Wendler to Foreign Office, 27 August 1942, Bangkok, PA, R 27322).

ونقل الألمان أيضًا عن الخطاب في إذاعة تسيزن العربية، انظر:

Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: The Grand Mufti Appeals to the Indians," 13 September 1942 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 77.

وعن الخطاب، انظر أيضًا:

Schechtman, *The Mufti and the Fuehrer,* 134; Lebel, *The Mufti of Jerusalem,* 164–171; and Gensicke, *The Mufti of Jerusalem and the Nazis,* 104–106.

أما اقتراح طوكيو بأن يخاطب الحسيني أيضًا مسلمي شرق آسيا عبر محطات موجاتهم القصيرة في اليابان والهند الصينية فلم يُنظَر فيه، انظر:

Ott (Tokyo) to Foreign Office, 3 January 1942, Tokyo, PA, R 60669.

(192) Broadcast Department (Foreign Office), Monitoring Script, 25 August 1942, Berlin, PA, R 60675; and, similarly, German News Agency (Deutsches Nachrichtenbüro), Confidential Report ("DNB-Radioaufnahme"), 25 August 1942, Berlin, PA, R 27326.

(193) Mackensen (Embassy Rome) to Foreign Office, 30 September 1942, Rome, PA, R 27326 (also in PA, R 60675 and in BA MA, RH 2/1785);

لنصّ الإعلان، انظر:

"Mirza Ali Khan," Speech, 2 October 1942, PA, R 27326;

وكذلك نشرت الصحافة الألمانية عن إعلان الفقير، انظر على سبيل المثال:

Anonymous, "Die Bolschewisierung Englands," *Deutsche Allgemeine Zeitung* (1 October 1942).

(194) Mackensen to Foreign Office, 30 September 1942, Rome, PA, R 27326 (also in PA, R 60675 and in BA–MA, RH 2/1785).

(١٩٥) تقدّم المقالة التالية رؤيةً عامة جيدة عن فقير إيبي في أثناء الحرب العالمية الثانية والدعم الذي تلقاه أتباعه من الألمان والطليان:

Milan Hauner, "One Man against the Empire: The Faqir of Ipi and the British in Central Asia on the Eve of and during the Second World War," *Journal of Contemporary History* 16, 1 (1981), 183–212,

ونجد عروضًا أكثر عمومية عن منطقة الحدود الشمالية الغربية وفقير إيبي في فترة ما بين الحربين وفترات الحرب في:

Hauner, *India in Axis Strategy,* passim; J. G. Elliott, *The Frontier 1939–1947: The Story of the North-West Frontier of India* (London 1968), 242–281; Sayed Wiqar Ali Shah, *Ethnicity, Islam, and Nationalism: Muslim Politics in the North-West Frontier Province 1937–1947* (Karachi, 1999), 1–158; Alan Warren, *Waziristan, the Faqir of Ipi, and the Indian Army: The North West Frontier Revolt of 1936–37* (Oxford, 2000); and Christian Tripodi, *Edge of Empire: the British Political Officer and Tribal Administration on the North-West Frontier 1877–1947* (Farnham, VT, 2011), 109–221.

وفي التالي، نجد مقالةً مبكرة عن فقير إيبي كتبها -لاحقًا- عضو مسلم في هيئة الإذاعة الألمانية في الهند:

Habibur Rahman, "Ali Naggar, the Fakir of Ipi," *Living Age* (June 1937), 330–331.

(196) Lenz (Foreign Office), Internal Report ("Die Indische Nord-West-Grenzprovinz"), August 1941, Berlin, PA, R 27501.

(١٩٧) تدل الوثائق المحفوظة في أرشيف وزارة الخارجية الألمانية على تواصل منتظم بين الألمان وميرزا علي خان، ومدفوعات من أوائل عام ١٩٤١، انظر:

PA, R 27326, R 27772, R 29534, and the India files R 60667–77 and R 67660.

(١٩٨) سُجّل نقل الأسلحة والمال والرسائل من البعثة الألمانية في كابول في التقارير الأسبوعية الخاصة بمقر القيادة العامة في الهند:

Report ("Weekly Intelligence Summary of the North-West Frontier and Afghanistan of 1941 and 1942"), NA, WO 208/773.

وتقدّم تقارير الموجز الاستخباراتي الشهري الخاصة بمقر قيادة الجيش البريطاني الهندي أمرًا مشابهًا. وعندما حصل الألمان على تقريرين من هذه التقارير في طريقها إلى شمال إفريقيا في

عام ١٩٤٢، ابتهجوا بأن دعمهم لفقير إيبي قد أزعج السُّلطات البريطانية، انظر:
Trott (Foreign Office), Internal Note ("Zwei Geheimberichte des indischen Intelligence Service"), 5 August 1942, Berlin, PA, R 60674,

مع التقارير الاستخباراتية المرفقة، الموجز الاستخباراتي الشهري في القيادة العامة والجوية للهند (٤ إبريل/ نيسان ١٩٤٢).

A summary gives Woermann to Legation Kabul, 5 August 1942, Berlin, PA, R 67660.

(199) General Headquarters India, Report ("Weekly Intelligence Summary of the North-West Frontier and Afghanistan"), 15 July 1941, 29 July 1941, 13 February 1942, 6 March 1942, and 19 June 1942, NA, WO 208/773.

(200) Pilger to Foreign Office, 10 September 1942, Kabul, PA, R 27326; and, and for details of the content, Pilger to Foreign Office, 28 September 1942, Kabul, PA, R 27326;

وعن التفاعل الألماني الداخلي، انظر الوثائق الموجودة في: (PA, R 27326).

(201) Erhard Tewes, Der Freiheitsheld von Waziristan: Von England gefürchtet, von Indien geliebt (Aalen, 1940).

(202) Stanley Wolpert, *Jinnah of Pakistan* (New York, 1984), 171–246.

(203) H. H. the Nawab of Bhopal, "Islamic Support in the War," *Asiatic Review* 37, 130 (1941), 281–286, calling the war a "Battle of Islam," is an example.

(٢٠٤) تعرضت الرسالة (Pilger to Foreign Office, 24 August 1942, Kabul, PA, R 27326) إلى مسألة التواصل مع كفاية الله، وطلبت رأي الحسيني في الأمر. طُلب رأي الحسيني، الذي كان في زيارة إلى روما ساعتها؛ في الرسالة (Ettel to Embassy Rome, 1 September 1942, Berlin, PA, R 27326)، وجاءت الرسالة (Mackensen to Foreign Office, 9 September 1942, Rome, PA, R 27326) لتوضيح أن الحسيني أعرب عن ثقته الكاملة في كفاية الله ووصفه بأنه «مناهض للإنكليز دون مواربة». وعبّرت المذكّرة (Keppler, Internal Note, 3 September 1942, Berlin, PA, R 27326) عن مخاوف من هذا التواصل، رغم ذلك، طالبت الرسالة (Keppler to Legation Kabul, 5 September 1942, Berlin, PA, R 67660) بخطوات عملية. وأخيرًا، تنقل الرسالة (Pilger to Foreign Office, 10 September 1942, Kabul, PA, R 27326) أن كفاية قد اعتُقل، وبذلك تنتهي هذه المناقشة.

(205) Fuller, Memorandum ("Memorandum on Radio Reception in the Near East and India"), 18 August 1941, n.p., USNA, RG 208, Entry 373, Box 418.

(206) Neurath to Foreign Office, 3 April 1942, n.p., PA, R 60747.

(207) Newton (Embassy Baghdad) to Foreign Office, 17 June 1939, Baghdad, NA, FO 395/664.

أدى ذلك إلى مناقشة في وزارة الخارجية البريطانية حول الكيفية التي يمكن بها حض المفاهي على تشغيل الخدمة العربية لهيئة الإذاعة البريطانية، انظر:

Foreign Office, Internal Discussion Sheet, 17 June–12 July 1939, London, NA, FO 395/664.

وعن فعالية جهود غروبّا، انظر:

Newton to Foreign Office, 5 July 1939, Baghdad, NA, FO 395/664; and Newton to Foreign Office, 21 July 1939, Baghdad, NA, FO 395/664.

(208) Lampson to Halifax (Foreign Office), 6 July 1939, Alexandria, NA, FO 395/664.

(209) Charles (Embassy Rome) to Cavendish-Bentinck (Foreign Office), 1 June 1939, Rome, NA, FO 395/664.

(210) Mackereth (Legation Damascus) to Foreign Office, 10 May 1939, Damascus, NA, FO 395/663.

(211) Galloway (Political Agency Kuwait) to Persian Gulf Residency Bushire, 23 June 1939, Kuwait, NA, FO 395/664;

ثم أُرسل الخطاب لمكتب الهند ووزارة الخارجية.

(٢١٢) تقدِّم الرسالة (Knight (Consulate General Tunis) to Foreign Office, 14 June 1939, Tunis, NA, FO 395/664) مثالًا على الغضب من الاستغلال الدعائي للقرآن.

(213) Gerhard Höpp, "Frontwechsel: Muslimische Deserteure im Ersten und Zweiten Weltkrieg und in der Zwischenkriegszeit," in Höpp and Reinwald (eds.), *Fremdeinsätze*, 129–141.

(٢١٤) لقد حظي تلقّي النازية في العالم العربي بدراسة واسعة. وقد أشار هؤلاء المؤلّفون إلى أن شعبية النازية في العالم العربي في الثلاثينيات والأربعينيات يجب ألا يُبالغ فيها، عن العراق انظر:

Peter Wien, *Iraqi Arab Nationalism: Authoritarian, Totalitarian and Pro-Fascist Inclinations, 1932–1941* (London, 2006).

وعن فلسطين، انظر:

Nezam Al-Abbasi, "Die palästinensische Freiheitsbewegung im Spiegel ihrer Presse von 1929 bis 1945" (PhD diss., University of Freiburg, 1981); Hammad Hussein, "Die Palästinenser und der Nationalsozialismus: Ansichten in den dreissiger Jahren," *Asien, Afrika, Lateinamerika* 28 (1999), 589–600; and René Wildangel, *Zwischen Achse und Mandatsmacht: Palästina und der Nationalsozialismus* (Berlin, 2007).

وعن لبنان وسورية، انظر:

Götz Nordbruch, *Nazism in Syria and Lebanon: The Ambivalence of the German Option, 1933–1945* (London, 2009); Götz Nordbruch, "Bread, Freedom, Independence: Opposition to Nazi Germany in Lebanon and Syria and the Struggle for a Just Order," *Comparative Studies of South Asia, Africa and the Middle East* 28, 3 (2008), 416–427.

وعن مصر، انظر:

Shimon Shamir, "The Influence of German National-Socialism on Radical Movements in Egypt," *Jahrbuch des Instituts für Deutsche Geschichte, Beiheft* 1 (1975), 200–208; Ami Ayalon, "Egyptian Intellectuals versus Fascism and Nazism in the 1930s," in Dann (ed.), *Great Powers in the Middle East,* 391–404; Edmond Cao-Van-Hoa, *"Der Feind meines Feindes . . .": Darstellungen des nationalsozialistischen Deutschland in ägyptischen Schriften* (Frankfurt, 1990); Israel Gershoni, "Confronting Nazism in Egypt: Tawfiq al-Hakim's Anti-Totalitariansim 1938–1945," *Tel Aviver Jahrbuch für deutsche Geschichte* 26 (1997), 121–150; Israel Gershoni, "Egyptian Liberalism in an Age of 'Crisis of Orientation': Al-Risāla's Reaction to Fascism and Nazism, 1933–1939," *International Journal of Middle East Studies* 31, 4 (1999), 551–576; Israel Gershoni and James Jankowski, *Confronting Fascism and Egypt: Dictatorship versus Democracy in the 1930s* (Stanford, CA, 2010); and Israel Gershoni and Götz Nordbruch, *Sympathie und Schrecken: Begegnungen mit Faschismus und Nationalsozialismus in Ägypten, 1922–1937* (Berlin, 2011).

وعن المغرب، انظر:

Mahfoud Kaddache, "L'opinion politique musulmane en Algérie et l'administration française (1939–1942)," *Revue D'histoire de la Deuxième Guerre mondiale* 29, 114 (1979), 95–115; Jamaâ Baida, "Die Wahrnehmung der Nazi-Periode in Marokko: Indizien für den Einfluß der deutschen Propaganda auf die Geisteshaltung der Marokkaner," in Herbert Popp (ed.), *Die Sicht des Anderen: Das Marokkobild der Deutschen, das Deutschlandbild der Marokkaner* (Passau, 1994), 193–196, reprinted in A. Bendaoud and M. Berriane (eds.), *Marocains et Allemands: La perception de l'autre* (Rabat, 1995), 13–19; Mokhtar El Harras, "Die Printmedien und das Deutschlandbild in der spanischen Protektoratszone von Nordmarokko (1934–1945)," in Popp (ed.), *Die Sicht des Anderen,* 197–207, reprinted in Bendaoud and Berriane (eds.), *Marocains et Allemands,* 21–36; and Satloff, *Among the Righteous.*

ولرؤى أوسع لتصور النازية في العالم العربي، انظر:

Fritz Steppart, "Das Jahr 1933 und seine Folgen für die arabischen Länder des Vorderen Orients," in Gerhard Schulz (ed.), *Die große Krise der dreißiger Jahre: Vom Niedergang der Weltwirtschaft zum Zweiten Weltkrieg* (Göttingen, 1985), 261–278; and Wild, "National Socialism in the Arab Near East between 1933 and 1939"; Gerhard Höpp, "Araber im Zweiten Weltkrieg: Kollaboration oder Patriotismus?," in Wolfgang Schwanitz (ed.), *Jenseits der Legenden: Araber, Juden, Deutsche* (Berlin, 1994), 86–92; and Gilbert Achcar, *Arabs and the Holocaust* (London, 2010); as well as the contributions in Höpp, Wien and Wildangel (eds.), *Blind für die Geschichte,* and in the special issues of *Geschichte und Gesellschaft* 37, 3 (2011) and *Orient-Institut Studies* 1 (2012).

لكن بعض المؤلّفين دفعوا بأن البروباغندا الألمانية، وخاصةً المعادية لليهود، كان لها أثر ثابت في الشرق الأوسط، انظر:

Matthias Küntzel, *Jihad und Judenhass: Über den neuen antijüdischen Krieg* (Freiburg, 2002); David Patterson, *A Genealogy of Evil: Anti-Semitism from Nazism to Islamic Jihad* (New York, 2011); and Barry Rubin and Wolfgang G. Schwanitz, *Nazis, Islamists, and the Making of the Modern Middle East* (New Haven, CT, 2014).

ونجد مراجعات تاريخية للكتابات المتعلقة بتصور النازية وأثرها في العالم العربي لدى:

Peter Wien, "Coming to Terms with the Past: German Academia and Historical Relations between the Arab Lands and Nazi Germans," *International Journal of Middle East Studies* 42, 2 (2010), 311–321; and Götz Nordbruch, "'Cultural Fusion' of Thought and Ambitions? Memory, Politics and the History of Arab-Nazi German Encounters," *Middle Eastern Studies* 47, 1 (2011), 183–194.

أما تلقّي النازية في إيران وتركيا ولدى مسلمي الهند البريطانية وأجزاء أخرى من آسيا فما زال مهمَلًا إلى حدٍّ كبير.

(٢١٥) يقدِّم الكتاب التالي هذا الزعم دون أي دليل:

Amir Taheri, *The Spirit of Allah: Khomeini and the Islamic Revolution* (London, 1985), 97–100.

(216) Ruhullah Khomeini, *Kashf al-Asrar* (*The Revealing of Secrets*) (n.p., n.d. (1399/1979 [1361/1942]), 222, 272, and 302;

الترجمة الإنكليزية للمقطع من:

Ruhullah Khomeini, "A Warning to the Nation," in *Islam and Revolution: Writings and Declarations of Imam Khomeini (1941–1980)*, transl. and annot. Hamid Algar (Berkeley, CA, 1981), 169–173, 170.

يقدِّم المرجع التالي عرضًا لأنشطة الخميني في فترة الحرب العالمية الثانية (Baqer Moin, *Khomeini: Life of the Ayatollah* (London, 1999), 57–64)، ويقدِّم المرجع (Vanessa Martin, *Creating an Islamic State: Khomeini and the Making of a New Iran* (London, 2000), 103–112) تحليلًا جيدًا لكتاب **كشف الأسرار**. ومن الجدير بالذكر أن كتاب **الحكومة الإسلامية** للخميني كان طافحًا بالمقاطع المعادية لليهود، انظر: (Ruhullah Khomeini, *Hokumat-i Islami* (*Islamic Government*) (Najaf, 1391/1971)، وللترجمة الإنكليزية: (Ruhullah Khomeini, "Islamic Government," in *Islam and Revolution*, transl. and annot. Algar, 25–166)

(217) Yann Richard, "Ayatollah Kashani: Precursor of the Islamic Republic?," in Nikki R. Keddie (ed.), *Religion and Politics in Iran: Shi'ism from Quietism to Revolution* (New Haven, CT, 1983), 101–124, 107–108.

(218) Shahrough Akhavi, *Religion and Politics in Contemporary Iran: Clergy-State Rela-*

tions in the Pahlavi Period (Albany, 1980), 60–90; Azar Tabari, "The Role of the Clergy in Modern Iranian Politics," in Keddie (ed.), *Religion and Politics in Iran*, 47–72, 59–64; and Majid Yazdi, "Patterns of Clerical Political Behavior in Postwar Iran, 1941–53," *Middle Eastern Studies* 26, 3 (1990), 281–307, 285–288.

(219) Ali Davani, *Ayatollah Burujirdi* (Tehran, 1371/1992).

(220) Yitzhak Nakash, *The Shi'is of Iraq* (Princeton, NJ, 1994), 127 and 133.

(221) Foreign Office, Report ("Activities of the Mufti"), 18 January 1940, London, NA, KV 2/2085.

(222) Foreign Office, Report ("The Mufti's Activities"), 21 February 1940, London, NA, KV 2/2085.

(223) Schwendemann (Embassy Paris) to Foreign Office, 27 April 1942, Paris, PA, R 29533.

(224) Sultan bin Muhammad al-Qasimi, *My Early Life* (London, 2011), 10–11.

(225) Nordbruch, *Nazism in Syria and Lebanon*, 120–122.

مالت بعض الجماعات الإصلاحية الشهيرة إلى معارضة الحكم الإمبريالي للفيشي وفرنسا الحرة كليهما، كجماعة الإخوان المسلمين السورية، انظر:

Johannes Reissner, *Ideologie und Politik der Muslimbrüder Syriens* (Freiburg, 1980).

(226) Anwar El Sadat, *Unterwegs zur Gerechtigkeit: Die Geschichte meines Lebens* (Graz, 1979), 43, these passages were also reprinted in Anwar el-Sadat, "Rommel at El-Alamain: An Egyptian View (1942)," in Bernard Lewis (ed.), *A Middle East Mosaic: Fragments of Life, Letters and History* (New York, 2000), 314–316, 314, and 315.

للنصّ العربي، انظر: أنور السادات، **البحث عن الذات**، (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٩)، ص ٤٢.

(227) Lampson to Foreign Office, 7 April 1941, Cairo, NA, FO 371/27429; and, similarly, Lampson to Foreign Office, 12 April 1941, Cairo, NA, FO 371/27429; and, a few months later, Lampson to Foreign Office, 7 July 1941, Cairo, NA, FO 371/27431.

(228) Rühle, Internal Note ("Aufzeichnung betr. die Rundfunkpropaganda in dem arabischen Raum"), 5 May 1941, Berlin, PA, R 67482.

(229) Charles D. Smith, "4 February 1942: Its Causes and Its Influence on Egyptian Politics and on the Future of Anglo-Egyptian Relations, 1937–45," *International Journal of Middle East Studies* 10, 4 (1979), 453–479, esp., on the pro-German protests, 468.

(230) *The Killearn Diaries 1934–1946*, ed. Trefor E. Evans (London, 1972), 197–201 (1 February 1942) and 206–217 (4 February 1942), and, on the "Long live Rommel" slogan, 209.

ذكر لامبسون هذه الهتافات بعدها بأشهر في تقرير حكومي، انظر:

Lampson to Foreign Office, 28 June 1942, Cairo, NA, FO 371/31573. Schwende-

mann to Foreign Office, 27 April 1942, Paris, PA, R 29533, reported "Heil Rommel" chants.

(231) Lampson to Foreign Office, 28 June 1942, Cairo, NA, FO 371/31573.

(232) Lampson to Foreign Office, 29 June 1942, Cairo, NA, FO 371/31573.

(233) Lampson to Foreign Office , 4 July 1942, Cairo, NA, FO 371/31573.

(234) Lampson to Foreign Office , 11 July 1942, Cairo, NA, FO 371/31573.

(235) Lampson to Foreign Office , 1 February 1943, Cairo, NA, FO 371/35528.

(236) Jakob Skovgaard-Petersen, Defining Islam for the Egyptian State: Muftis and Fatwas of the Dār Al-Iftā (Leiden, 1997), 159–170[أ].

(237) Francine Costet-Tardieu, *Un réformiste à l'Université al-Azhar: Œuvre et pensée de Mustafâ al-Marâghi (1881–1945)* (Paris, 2005), 169–175;

وعن مشيخة المراغي للأزهر، انظر:

Rainer Brunner, "Education, Politics, and the Struggle for Intellectual Leadership: Al-Azhar between 1927 and 1945," in Meir Hatina (ed.), *Guardians of Faith in Modern Times: "Ulama" in the Middle East* (Leiden, 2009), 109–140, 116–124, and 131–137.

(238) List of Personalities in Egypt, 1941, Cairo, enclosed to Lampson to Eden (Foreign Office), 22 July 1941, Cairo, NA, FO 371/27431.

ومنه نسخة مراجعة في:

List of Personalities in Egypt, 1943, Cairo, enclosed in Lampson to Eden, 5 January 1943, Cairo, NA, FO 371/35528.

(239) Richard Capell, "Egypt Has Her Ambitions in the Post-War World," *Daily Telegraph* (3 February 1944).

(٢٤٠) نوقش دور جماعة الإخوان المسلمين في الحرب العالمية الثانية في:

Mitchell, *The Society of the Muslim Brothers,* 19–34; Lia, *The Society of the Muslim Brothers in Egypt,* 256–269;

وعن البنّا خصوصًا، انظر:

Krämer, *Hasan al-Banna,* 61–65.

(٢٤١) عن المساعدة المالية الألمانية للجماعة قبل الحرب، انظر مذكرات الاستخبارات العسكرية البريطانية:

Internal Note ("Note on Wilhelm Stellbogen"), 23 October 1939, n.p., NA, WO 208/502; Internal Note ("Correspondence and Notes of Mr. Wilhelm Stellbogen"), n.d. (1939), n.p., NA, WO 208/502; and Internal Note ("Found among Stellbogen's Papers"), n.d. (1939), n.p., NA, WO 208/502; and also GHQ Middle East Forces,

---

(أ) نُقل إلى العربية، وصدر بعنوان: **إسلام الدولة المصرية: مفتو وفتاوى دار الإفتاء**، (الكويت: مركز نهوض للدراسات والبحوث، ٢٠١٨). (المترجم)

Report ("The Ikhwan al Muslimin Reconsidered"), 10 December 1942, Cairo, NA, FO 141/838.

وكذلك ذُكر التمويل في كتابات مثل:

Lia, *The Society of the Muslim Brothers in Egypt,* 179–180; and Krämer, *Hasan al-Banna,* 62–63.

(242) Naldrett-Jays (Alexandria City Police), Intelligence Note ("Pro-Axis Propaganda"), 31 October 1942, Alexandria, NA, FO 141/838.

(243) GHQ Middle East Forces, Report ("The Ikhwan al Muslimin Reconsidered"), 10 December 1942, Cairo, NA, FO 141/838.

(٢٤٤) المرجع السابق.

(245) Political Intelligence Centre, Middle East (PICME), Report ("The Ikhwan El Muslimeen"), 25 February 1944, Cairo, NA, WO 201/2647 (also in NA, FO 371/41329).

(246) Neurath to Foreign Office, 1 June 1941, n.p., PA, R 60747;

وعن ردود الفعل الإيجابية على هجوم عام ١٩٤٢، انظر:

Neurath to Foreign Office, 3 April 1942, n.p., PA, R 60747;

ولردود الأفعال العدائية والمختلطة، انظر التالي.

Neurath to Foreign Office, 14 October 1941, n.p., PA, R 60747; Hermann, Report ("Reiseeindruecke in Libyen Oktober 1941"), 14 October 1941, n.p., PA, R 60747; and, for the offensive in 1942, Neurath to Foreign Office, 21 March 1942, n.p., PA, R 60747, on mixed responses and hostility.

(247) Claudio G. Segrè, *Fourth Shore: The Italian Colonization of Libya* (Chicago, 1974);

وعن الفظائع الإيطالية في ليبيا زمن الحرب، انظر:

Patrick Bernhard, "Behind the Battle Lines: Italian Atrocities and the Persecution of Arabs, Berbers, and Jews in North Africa during World War II," *Holocaust and Genocide Studies* 26, 3 (2012), 425–446.

(٢٤٨) عن العلاقات البريطانية السنوسية، انظر:

On British-Sanusi relations, see Saul Kelly, *War and Politics in the Desert: Britain and Libya during the Second World War* (London, 2010);

ومع تركيز على السّجالات البريطانية حول دور الإسلام والسياسة، انظر:

Todd M. Thompson, "Covert Operations, British Views of Islam and Anglo-Sanusi Relations in North Africa, 1940–45," *Journal of Imperial and Commonwealth History* 37, 2 (2009), 293–323.

(249) Broadcast Monitoring Script, "Voice of Free Arabism: The Mufti of Tripoli," 14 February 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93.

(250) Hayyim J. Cohen, "The Anti-Jewish Farhūd in Baghdad, 1941," *Middle Eastern Studies* 3, 1 (1996), 2–17.

(251) Michel Abitbol, *The Jews of North Africa during the Second World War* (Detroit, 1989); Michael M. Laskier, *North African Jewry in the Twentieth Century: The Jews of Morocco, Tunisia and Algeria* (New York, 1994), 55–83;

ويقدّم كتاب ساتلوف (Satloff) (Among the Righteous) [بالعربية: بين الصالحين] رؤى عامة عن مصير اليهود في شمال إفريقيا في الحرب العالمية الثانية. ويقدّم الكتاب التالي تأملات في الخُطط الألمانية لقتل اليهود في شمال إفريقيا والشرق الأوسط:

Klaus-Michael Mallmann and Martin Cüppers, Halbmond und Hakenkreuz. Das "Dritte Reich", die Araber und Palästina (Darmstadt, 2006).

(252) Robert Assaraf, Mohammed V et les Juifs du Maroc à l'époque de Vichy (Paris, 1997).

(253) Yves C. Aouate, "Les Algériens musulmans et les mesures antijuives du gouverr nement de Vichy (1940–1942)," *Pardès* 16 (1992), 189–202, esp. 195–198; and, more generally, Henri Msellati, *Le Juifs d'Algérie sous le régime de Vichy* (Paris, 1999).

(254) Jacques Sabille, *Les Juifs de Tunisie sous Vichy et l'occupation* (Paris, 1954); and Claude Nataf, "Les Juifs de Tunisie face à Vichy et aux persécutions allemandes," *Pardès* 16 (1992), 203–231.

(255) Renzo de Felice, *Jews in an Arab Land: Libya, 1835–1970* (Austin, TX, 1985), 168–184; and Rachel Simon, "It Could Have Happened There: The Jews of Libya during the Second World War," *African Journal* 16 (1994), 391–422; and, with a focus on the riots of 1945, Harvey E. Goldberg, *Jewish Life in Muslim Libya: Rivals and Relatives* (Chicago, 1990), 97–122.

(256) Gudrun Krämer, *Minderheit, Millet, Nation? Die Juden in Ägypten, 1914–1952* (Wiesbaden 1982), 154-166.

(٢٥٧) لا توجد دراسة شاملة عن المسلمين في الجيش البريطاني في أثناء الحرب العالمية الثانية. عن الجيش الهندي البريطاني، انظر:

Philip Mason, *A Matter of Honour: An Account of the Indian Army: Its Officers and Men* (London, 1974), 471 527; and the contributions in Alan Jeffreys and Patrick Rose (eds.), *The Indian Army, 1939 47: Experience and Development* (Farnham, VT, 2012).

وعن الفيلق العربي، انظر:

Godfrey Lias, *Glubb's Legion* (London, 1956);

وعن تعليقات من ضابط بريطاني في الوحدة، انظر:

James Lunt, *Glubb Pasha: A Biography* (London, 1984); and James Lunt, *The Arab Legion* (London, 1999);

وعن مذكرات قائد الفيلق، انظر:

John Bagot Glubb, *The Story of the Arab Legion* (London, 1948); and John Bagot Glubb, *A Soldier with the Arabs* (London, 1959).

(٢٥٨) حظي تاريخ الجنود المسلمين في الجيش الفرنسي في أثناء الحرب العالمية الثانية ببحث جيد، انظر:

Recham, "Les Musulmans dans l'armée française," 748–753, 750-751;

وللتركيز على الجنود الجزائريين، انظر:

Belkacem Recham, *Les Musulmans algériens dans l'armée française (1919–1945)* (Paris, 1996), 175–274;

وعن الجنود المغاربة، انظر:

Moshe Gershovich, "Scherifenstern und Hakenkreuz: Marokkanische Soldaten im Zweiten Weltkrieg," in Höpp, Wien, and Wildangel (eds.), *Blind für die Geschichte,* 335–364.

(259) Crabitès, "Britain's Debt to King Farouk," 860.

(260) Anonymous, "Die arabische Welt sammelt ihre Kräfte: Strömungen und Gegenströmungen im ersten Kriegsjahr," *Frankfurter Zeitung* (25 May 1941).

(٢٦١) انظر الرسالة (Leeper (Foreign Office), Minutes, 6 January 1939, London, NA, FO 395/650) لأول اجتماع لموظفي وزارة الخارجية ووزارة الهند ووزارة الاستعمار ووزارة الحرب وهيئة الإذاعة البريطانية والمجلس البريطاني لمناقشة البروباغندا المتعلقة بسؤال «ماذا فعلت بريطانيا للإسلام؟». وفي وزارة المعلومات نجد واحدةً من أوائل المذكرات العامة عن قضية البروباغندا الإسلامية التي ناقشت مسائل أساسية كالإمبريالية البريطانية في الأراضي الإسلامية وقضية فلسطين والعمل التبشيري المسيحي ومسألة الخلافة فيما يتعلّق بإمكانية حرب مستقبلية، انظر:

Gibb (Ministry of Information), Memorandum ("The General Principles of Publicity among Moslems"), 16 August 1939, London, NA, INF 1/407.

(262) Nevill Barbour, "Broadcasting to the Arab World: Arabic Transmissions from the B.B.C. and other Non-Arab Stations," *Middle East Journal* 5, 1 (1951), 57–69.

نجد في المقال التالي دراسةً مقارنة لكل البروباغندا الإذاعية الأجنبية الموجّهة للشرق الأوسط:

Seth Arsenian, "Wartime Propaganda in the Middle East," *Middle East Journal* 2, 4 (1948), 417–429.

(263) Perowne (BBC) to Bigg (Colonial Office), 13 July 1939, London, NA, CO 323/1651/9.

(264) Perowne to Bowen (Foreign Office), 16 May 1939, London, NA, FO 395/664.

وعن المشاورات التي دارت بين الحكومة البريطانية والسفارة المصرية عن تلاوات القرآن، انظر الوثائق الموجودة في: (NA, FO 395/663 and NA, FO 395/664).

(265) Gary Leiser, "Bombs and Leaflets: Allied Propaganda and the Tunisians during the Winter Campaign of 1942-43," *Maghreb Review* 19, 3-4 (1994), 284-318 ...

يحتوي الكتاب على عدد من المنشورات الدينية التي كانت توزّع على القوات الأنكلو-أمريكية في تونس بعد احتلال المحور. وانظر:

Richard Pennell, "Propaganda and its Target: The Venom Campaign in Tangier during World War II," in Driss Maghraoui (ed.), *Revisiting the Colonial Past in Morocco* (London, 2013), 157–183.

(266) Pamphlet "By Order of Hitler the Khanzir Mosques Are Bombed" (English translation), n.d. (1941), NA, HS 6/945; and, for the Arabic original, Pamphlet "Hitlir al-khinzir a'ta al-aydin li-tiyarat mata'ahu bash al-wahu al-bumb 'ala al-juwama'" ("The Pig Hitler Ordered Planes to Drop Bombs on the Mosques"), n.d. (1941), NA, HS 6/945.

وتختلف الآيات القرآنية المشار إليها بين ترقيم نسخة القاهرة (١١٤)، وترقيم نسخة غوستاف فلوغل (١٠٨).

(267) Pamphlet "Truth" (English translation), n.d. (1941), NA, HS 6/945; and, for the Arabic original, Pamphlet "Al-haqq" ("Truth"), n.d. (1941), NA, HS 6/945;

يحتوي الملف أيضًا على توثيق بتاريخ الحادي عشر من نوفمبر/ تشرين الثاني من عام ١٩٤١ بإرسال أربعة آلاف نسخة من المنشورات بالعربية المغربية إلى شمال إفريقيا.

(268) Pamphlet "Lies, Lies, Nothing but Lies" (English translation), n.d. (1942), NA, FO 898/128; and, for the Arabic original, Pamphlet "Al-kdub, al-kdub u ma kayn ghayr al-kdub" ("Lies, Lies and Nothing but Lies"), n.d. (1942), NA, FO 898/128.

(269) Abulafia (Political Warfare Executive), Internal Note, 25 August 1942, London, NA, FO 898/128.

(٢٧٠) المرجع السابق.

(271) Pamphlet "Ten of the Reasons Why Great Britain Will Win this War" (English translation), n.d. (1941), NA, HS 6/945; and, for the Arabic original, Pamphlet "Eshra al-hajat 'lash al-ingliz u-ashabu arjuhu al-harb" ("Ten Reasons why the English and their Friends are winning the War"), n.d. (1941), NA, HS 6/945;

يحتوي الملف كذلك على توثيق بتاريخ الثامن من سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٤١ بإرسال ألفي نسخة بالعربية من المنشور بالعربية المغربية وألفًا بالعربية إلى شمال إفريقيا.

(272) Brochure "Satwa quwwat britaniya al-musallaha" ("The Strength of Britain's Armed Forces"), n.d. (1942), NA, FO 898/128.

(273) Postcard "Bi-l-munasaba d-l-khul d-shehr d-ramadhan" ("On the Occasion of the exalted, blessed, and happy Month of Ramadan"), n.d. (1941), NA, HS 6/945;

ويحتوي الملف أيضًا على توثيق بتواريخ الثامن والحادي عشر والخامس عشر والثاني والعشرين من سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٤١ أنه تم إرسال ثلاثة آلاف نسخة بالعربية الفصحى وخمسة آلاف نسخة بالعربية المغربية إلى شمال إفريقيا.

(274) Pamphlet "On the occasion of the glorious month of Ramadan" (English translation), n.d. (1942), NA, FO 898/128; and, for the Arabic original, Pamphlet "Bi-l-munasaba d-shehr d-ramadhan" ("On the Occasion of the blessed and joyous Month of Ramadan"), n.d. (1942), NA, FO 898/128.

(275) John P. Slight, *The British Empire and the Hajj, 1865-1956* (Cambridge, MA, 2015), 303-306.

(276) Postcard "Friendship for the Arabs" (English translation), n.d. (1941), NA, HS 6/945; and, for the Arabic original, Propaganda Postcard "Quwwa Inglitir fi-l-bahr" ("The Power of England at Sea"), n.d. (1941), NA, HS 6/945;

ويحتوي الملف أيضًا على توثيق بتاريخ السادس من ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٤١ عن نقل ثلاثة آلاف وسبعمئة بطاقة بريدية للحج إلى شمال إفريقيا.

(277) Pamphlet "London Mosque and Mecca" (English translation), n.d. (1942), NA, FO 898/128; and, for the Arabic original, Pamphlet "Al-bawabir ingliz hamlu al-mumi-nin li-l-hajj" ("English Ships Carried the Believers to the Hajj"), n.d. (1942), NA, FO 898/128.

(278) Hajj Souvenir Brochure, 1942, NA, CO 732/87/18; and, for information on the brochure, see Government of Palestine, Report ("Hajj Souvenir Brochure"), December 1942, Jerusalem, NA, CO 732/87/18.

(279) Pamphlet "China" (English translation), n.d. (1942), NA, FO 898/128; and, for the Arabic original, Pamphlet "Bilad al-sin" ("China"), n.d. (1942), NA, FO 898/128.

(280) Nöhring to Foreign Office, 6 May 1942, Tangier, PA, R 60660, which had attached a summary of *Akhbar al-'Usbua* 1 (1 May 1942); and, similarly, Nöhring to Foreign Office, 8 May 1942, Tangier, PA, R 60660.

(281) Vycichl, Internal Note ("Die englische Druckschriftenpropaganda in den islamischen Ländern"), 3 October 1942, Paris, PA, Paris 1116C.

(٢٨٢) أرسلت المذكّرة التالية عينات من هذه المنشورات العربية، ومن بينها تلك المذكورة في الحواشي (٢٧٢) و(٢٧٧) والمنشور المذكور «الأمير عبد الله ملك شرق الأردن»:

Vycichl, Internal Note ("Die englische Druckschriftenpropaganda in den islamischen Ländern"), 3 October 1942, Paris, PA, Paris 1116C,

وقد اضطلع التقرير التالي بتقييم الأعمال نفسها على الأرض:

Pörzgen, Report ("Tanger: Propagandazelle für Nordafrika"), n.d. (August 1942), Tangier, PA, R 60690,

ونوقشت بعد ذلك بشكل مكثف في:

The Foreign Office, Winkler, Internal Note ("Feindliche Drucksachen-Propaganda in Nord-Afrika"), 23 February 1943, Berlin, R 60660.

(283) MacMichael to Colonial Office, 28 January 1942, Palestine, NA, CO 733/439/12.

(284) MacMichael to Colonial Office, 8 September 1942, Palestine, NA, CO 733/439/12.

(285) MacMichael to Colonial Office, 1 October 1942, Palestine, NA, CO 733/439/12.

(286) MacMichael to Colonial Office, 13 March 1942, Palestine, NA, CO 733/439/12.

(287) Film "Courban Bairam Celebration in Benghazi," 19 November 1942, Archive of the Imperial War Museum, London (IWM), Reel AYY 286/5-1;

ومن الجدير بالذّكر أن هذا التسلسل انقطع رغم تنظيمه. وكذلك التاريخ المذكور في هذا المصدر غير صحيح، فعيد الأضحى كان بعد ذلك التاريخ بشهر.

(288) US Intelligence (USAFIME) Report ("Annex no. 3 to Report no. 5"), 19 December 1942, New York, USNA, RG 84, Entry UD 2412, Box 5.

(289) Peel (India Office) to Baggallay (Foreign Office), 26 July 1940, London, NA, FO 371/24549,

حول الاقتراح وتحفظات مكتب الهند ووزارة الخارجية معًا:

Internal Discussion Sheet, 30 June–1 July 1940, London, NA, FO 371/24549; and Baggallay to Peel, 1 August 1940, London, NA, FO 371/24549,

حول تحفظات وزارة الخارجية حول أن المؤتمر قد يتحول إلى مناسبة مُعادية لبريطانيا.

(٢٩٠) النصُّ موجود في:

the Donovan Operation Torch files, US Army War College, Fort Carlisle, Carlisle, PA;

نقلًا عن:

Anthony C. Brown, *Oil, God, and Gold: The Story of Aramco and the Saudi Kings* (Boston, 1999), 104–105.

(291) Hudson (Office of War Information at Beirut Mission) to Office of War Information, 5 September 1943, Beirut, USNA, RG 208, Entry 362, Box 133.

(292) Badeau (Office of War Information), Internal Note ("Comments on Lt. Siblini's proposed memo of September 28th"), 30 September 1943, Washington, USNA, RG 208, Entry 387, Box 614

(293) Office of War Information, Internal Note ("Weekly Program near East Station for Arabic Broadcast from Sunday 6th February 1944 to Saturday 12th"), USNA, RG 208, Entry 387, Box 641.

(٢٩٤) على سبيل المثال، فيما يخصُّ العنصرية الألمانية بوصفها موضوعًا في البروباغندا البريطانية والأمريكية، انظر:

Winkler, Internal Note ("Erfahrungen aus der deutschen Propagandaarbeit in Iran vom November 1939 bis September 1941"), 10 January 1942, Berlin, PA, R 60690;

وعن البروباغندا الأمريكية بالعربية، والتي اعتمدت على عداء النازية للدين وعلى العنصرية الألمانية، انظر:

Index of Press and Pamphlet Material, prepared by the Office of the Press Attaché, British Legation, Beirut, November 1942, USNA, RG 208, Entry 387, Box 625.

ومن الأمثلة الجيدة الأخرى هي برنامج الكارتون الأمريكي:

"The Giha Plan," n.d. (1942/3), USNA, RG 208, Entry 373, Box 426 (also in USNA, RG 208, Entry 387, Box 621); and George Britt, Memo (with attachment of anti-Axis propaganda cartoon poster), 12 August 1943, Beirut, USNA, RG 208, Entry 387, Box 622.

(295) Driss Maghraoui, "'Den Marokkanern den Krieg verkaufen': Französische Anti-Naa zi Propaganda während des Zweiten Weltkrieges," in Höpp, Wien, and Wildangel (eds.), *Blind für die Geschichte*, 191–213.

(٢٩٦) يحتوي E. Rubin, *Le racisme et l'Islam* (Paris, 1939) على رسومات، من بينها صورةً لهتلر وهو يقف بقدميه على كتابين بعنوان: «الإسلام» و«القرآن». وقد فحص المؤلّف نفسه توزيع السُّلطات البريطانية في الشرق الأوسط، انظر:
Rubin to Vansittart (10 Downing Street), 27 July 1939, Paris, NA, FO 395/651; Rubin to Ridgeway (Colonial Office), 27 July 1939, Paris, NA, FO 395/651; and Rubin to Foreign Office, 30 July 1939, Paris, NA, FO 395/651.

كانت وزارة الخارجية مهتمة للغاية وعلى تواصل مع السفارة البريطانية في باريس بخصوص المنشور، وطالبت المسئولين هناك بالتواصل مع وزارة الخارجية الفرنسية أو جيش المستعمرات الفرنسي عن المنشور وإمكانية الحصول على نسخة منه بالعربية الفصحى (بدلًا من دارجة الشمال الإفريقي)، انظر:
Warner (Foreign Office) to Wright (Embassy Paris), 4 August 1939, London, NA, FO 395/651.

(297) Maurice Muret, "Le monde musulman pour la France," *Gazette de Lausanne* (30 April 1940), which refers to a *Mawlid* celebration in Beirut attended by Maxime Weygand; and Anonymous, "Les grandioses fêtes du 'Mouloud' ont eu lieu à Fez malgré les assertions de la propaganda nazie," *Le Petit Marseillais* (5 May 1940), which includes photographs of *Mawlid* celebrations in French North Africa.

(298) Charles de Gaulle, Lettres, notes et carnets, Juillet 1941–Mai 1943 (Paris, 1982), 499–500.

(299) Yaacov Ro'i, *Islam in the Soviet Union: From the Second World War to Gorbachev* (New York, 2000), 113–114,

وعن الجهود السوفييتية المكثفة لاستمالة الفقهاء الشيعة في إيران، انظر:
Lenczowski, *Russia and the West in Iran,* 213–215.

(300) Broadcast Monitoring Script "Voice of Free Arabism: Kill the Jews before They Kill You," 7 July 1942 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 77.

(301) Broadcast Monitoring Script "Berlin in Arabic: Talk: The B.B.C. and the Qoran," 5 August 1944 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 112.

(٣٠٢) المرجع السابق.

(٣٠٣) حظي الاحتلال الألماني لتونس بدراسات معمّقة، ومن أبرزها تلك الدراسة التالية التي تقدّم أشمل سردٍ ممكن:
Waldis Greiselis, *Das Ringen um den Brückenkopf Tunesien 1942/43: Strategie der "Achse" und Innenpolitik im Protektorat* (Bern, 1976);

ومن الدراسات الأخرى المهمة:
Rachid Driss, "La Tunisie sous l'Occupation allemande Novembre 1942–Mai 1943," *Les Cahiers de Tunisie* 27, 109–110 (1979), 455–485; S. El Mechat, "La Tunisie pendant la Deuxième Guerre mondiale (1939–1944)," *Revue d'Histoire Maghrebine*

11, 33–34 (1984), 64–84; and Annie Rey-Goldzeiguer, "L'occupation germano-italienne de la Tunisie: Un tournant dans la vie politique tunisienne," in Charles-Robert Ageron, *Les chemins de la décolonisation de l'empire colonial français, 1936–1956* (Paris, 1986), 325–340.

(304) *Der Islam,* Tornisterschrift des Oberkommandos der Wehrmacht (Ernst Rodenwaldt), Heft 52 (1941); the brochure is stored in BA-MA, RH 53-18/292. Olzscha, Report, 1945, BStU, MfS,

وكذلك تقدّم المذكّرة (HA IX/11, ZR 920, A. 54) بعض المعلومات عن المنشور. وعن التأهيل الثقافي والتلقين الأيديولوجي لأفراد القوات المسلّحة الألمان بوجه أعم، انظر:

Frank Vossler, *Propaganda in die eigene Truppe: Die Truppenbetreuung in der Wehrmacht 1939–1945* (Paderborn, 2005).

(305) *Der Islam,* Tornisterschrift des Oberkommandos der Wehrmacht (Ernst Rodenwaldt), Heft 52 (1941), 5.

(٣٠٦) المرجع السابق، ص ٤٥-٤٦.

(٣٠٧) المرجع السابق.

(٣٠٨) المرجع السابق، ص ٦٣-٦٤.

(٣٠٩) المرجع السابق، ص ٦.

(٣١٠) المرجع السابق.

(٣١١) المرجع السابق.

(٣١٢) المرجع السابق، ص ٦٣ (النقطة الثالثة).

(٣١٣) المرجع السابق. (النقطة التاسعة).

(٣١٤) المرجع السابق.

(٣١٥) المرجع السابق، ص ٤٥.

(٣١٦) المرجع السابق، ص ٦٤ (النقطة العاشرة).

(٣١٧) المرجع السابق. (النقطة الثانية عشر).

(٣١٨) لتقييم معاصر للمشكلة، انظر المقالات الموجودة في:

C. Christine Fair and Sumit Ganguly (eds.), *Treading on Hallowed Ground: Counterinsurgency Operations in Sacred Spaces* (Oxford, 2008).

(319) *Der Islam,* Tornisterschrift des Oberkommandos der Wehrmacht (Ernst Rodenwaldt), Heft 52 (1941), 63 (point 5).

(320) *Der Islam,* Tornisterschrift des Oberkommandos der Wehrmacht (Ernst Rodenwaldt), Heft 52 (1941), 63 (point 6).

(٣٢١) المرجع السابق، ص ٦٤ (النقطة السادسة عشر).

(٣٢٢) المرجع السابق، ص ٦٣ (النقطة الرابعة).

(٣٢٣) المرجع السابق، ص ٥٢-٥٤.

(٣٢٤) المرجع السابق، ص ٦٤ (النقطة التاسعة عشر).

(٣٢٥) المرجع السابق، ص ٤٧.

(٣٢٦) المرجع السابق، ص ٥١.

(٣٢٧) المرجع السابق، ص ٦٤ (النقاط الرابعة عشر والخامسة عشر).

(328) Richard J. Evans, *The Third Reich at War* (London, 2008), 477–478 and 745; and, more detailed, Frank Snowden, "Latina Province 1944–1950," *Journal of Contemporary History* 43, 3 (2008), 509–526.

(329) *Der Islam*, Tornisterschrift des Oberkommandos der Wehrmacht (Ernst Rodenwaldt), Heft 52 (1941), 65; the bibliography of five works included Martin Hartmann, *Der Islam* (Leipzig, 1909); Th. W. Juynboll, *Handbuch des islamischen Gesetzes* (Leipzig, 1910); C. Snouck Hurgronje, *Mekka* (The Hague, 1888–1889); Ignaz Goldziher, *Muhammedanische Studien* (Halle an der Saale, 1889–1890); and Traugott Mann, *Der Islam einst und jetzt* (Leipzig, 1914).

(330) *Tunis*, ed. Deutschen Gesellschaft für Wehrpolitik und Wehrwissenschaften (Glahn), February 1939, BA–MA, RH 53–18/292.

(331) Anonymous, "Muhammed und der Islam I" (15 July 1941), in *Handbuch der Wehrbetreuung*, ed. Luftfahrtführungsstab, 8 vols. (Stuttgart, 1939–1942), vol. 3a, 1–11; and Anonymous, "Muhammed und der Islam II" (15 August 1941), in *Handbuch der Wehrbetreuung*, ed. Luftfahrtführungsstab, vol. 3a, 13–33.

(332) On the *Oase*, see Fischer (*Panzer-Propaganda-Kompanie*), Report ("Tätigkeitsbericht über die geistige Betreuung der Truppe durch die P. K. Afrika im Monat Mai 1942"), 19 September 1942, n.p., BA–MA, RH 19VIII/78; and Fischer, Report ("Tätigkeitsbericht über die geistige Betreuung der Truppe durch die Propaganda-Kompanie Afrika für den Monat April 1942"), 1 May 1942, n.p., BA–MA, RH 19VIII/78. On the *Karawane*, see Mähnert, Report, n.d. (December 1942), n.p. (Tunis), PA, R 60660.

ولأمثلة للملصقات التوجيهية التي تطالب باحترام العادات والأعراف الإسلامية، انظر:
Wehrmacht's Instructions ("Merkblatt über das Verhalten gegenüber der nordafrikanischen Bevölkerung"), n.d., BA MA, RH 21-5/27; and, for Tunisia, the Wehrmacht's Instructions ("Merkblatt für die deutschen Soldaten in Französisch Nordafrika"), n.d., BA MA, RH 21-5/26.

(333) Cremeans (Joint Intelligence Collection Agency Algiers), Report ("Summary of General Conditions in Tunisia"), 27 December 1944, Algiers, USNA RG 226, Entry 16, Box 1258.

(334) Grobba, Internal Note ("38. Sitzung, Arabien-Komitee"), 3 December 1942, Berlin, PA, R 27327.

(335) Jodel, Instructions ("Richtlinien für die inhaltliche Gestaltung der Aktivpropaganda in die feindliche Truppe und in die Bevölkerung der besetzten Gebiete des französ-

sisch-nordafrikanischen Raumes"), n.d., n.p., PA, R 60660; these instructions were part of the general guidelines for the organization of propaganda in Tunis, see Jodel, Order ("Weisung für die Handhabung der Propaganda im französisch-nordafrikanischen Raum"), 20 November 1942, Berlin, PA, R 60660.

(336) US Military Intelligence Division, Report ("North Africa"), 26 August 1943, Regional File of the US War Department/Military Intelligence Division (MID), 1918–1945, USNA, accessed through USHMA, RG 6, Reel 15.

(337) *A Pocket Guide to North Africa,* ed. War and Navy Department (Washington, DC, 1942), quoted in Michael B. Oren, *Power, Faith and Fantasy: America in the Middle East: 1776 to the Present* (New York, 2007), 446–447. Anonymous, "U.S. Troops Learn Moslem Manners," *Moslem World* 32, 2 (1943), 150–151.

يقدّم هذا الملف الأخير تقريرًا صحفيًا معاصرًا لهذه الإجراءات.

(٣٣٨) يقدّم الملف التالي أمثلةً على بعض هذه المشاورات:

Bassewitz (Army), Report ("Bericht über meine Reise zur Oase Siwa vom 9.–20،8،42"), 22 August 1942, n.p., PA, R 60748.

(339) Rahn to Foreign Office, 9 April 1943, Tunis, PA, R 27767.

(340) The mufti offered his services to the Wehrmacht, see Canaris, Internal Note, 9 December 1942, Berlin, PA, R 27332; and to the Foreign Office, see Weizsäcker, Internal Notes, 10 December 1942, Berlin, PA, R 261124.

ويمكن العثور على الملفات المتعلقة بنقاش المقترح في العديد من الملفات، أهمها:

(PA, R 27332, R 27766, and R 27767).

وفي اجتماع انعقد بين الألمان والطليان في روما، في أوائل عام ١٩٤٣، تقرّر تأجيل جولة المفتي لحين استقرار الوضع العسكري، انظر:

Mackensen to Foreign Office, 2 January 1943, Rome, PA, R 27771.

(341) Rahn, Report ("Besuch beim Bey von Tunis"), 19 December 1942, Tunis, BA–MA, RH 19VIII/359.

(342) Rahn to Foreign Office, 22 December 1942, Tunis, PA, R 27766.

(343) B. Wundshammer, "Empfang bei Seiner Kgl. Hoheit," *Signal* (March 1943, 2nd issue), 15.

وهو يحتوي على بعض صور من الزيارة.

(344) Wied (Embassy Stockholm) to Foreign Office, 11 September 1941, Stockholm, PA, R 29533.

ويبدو أن الحكومة المصرية أرسلت مذكّرةً شبيهة إلى حكومات الدول الإسلامية تطالبهم فيها بتقديم شكاوى للألمان، انظر:

Pilger to Foreign Office, 16 September 1941, Kabul, PA, R 29534.

(345) Woermann, Internal Note, 18 September 1941, Berlin, PA, R 29533.

(346) Woermann to Embassy Stockholm, 18 September 1941, Berlin, PA, R 29533.

(347) Neurath to Foreign Office, 14 October 1941, n.p., PA, R 60747; and, for the second quotation, Hermann, Report ("Reiseeindruecke in Libyen Oktober 1941"), 14 October 1941, n.p., PA, R 60747.

(348) Biyoud, Memorandum ("Denkschrift zur deutschen Nordafrikapropaganda, insbesondere in den Kriegsgefangenenlagern"), n.d. (March 1942), n.p., BA–MA, RH 2/1765.

(٣٤٩) المرجع السابق.

(350) Bürkner, Report ("Behandlung der Araberfragen und Vorschläge von arabischer Seite"), 13 March 1942, Berlin, BA–MA, RH 2/1765.

(351) Christian Koller, "Von Wilden aller Rassen niedergemetzelt": Die Diskussion um die Verwendung von Kolonialtruppen in Europa zwischen Rassismus, Kolonial- und Militärpolitik (1914–1930) (Stuttgart, 2001); and Jean-Yves Le Naour, La honte noir: L'Allemagne et les troupes coloniales françaises, 1914–1945 (Paris, 2003).

ويقدّم المرجع التالي سردية متماسكة:

Gisela Lebzelter, "Die 'Schwarze Schmach': Vorurteile, Propaganda, Mythos," Geschichte und Gesellschaft 11, 1 (1985), 37–58.

(352) Klaus Mann, *Der Wendepunkt: Ein Lebensbericht* (Frankfurt M., 1963 [1952]), 76.

(٣٥٣) عن التنميطات السَّلبية عن الجنود الاستعماريين من شمال إفريقيا في البروباغندا الألمانية الموجّهة ضد فرنسا، انظر:

Koller, *"Von Wilden aller Rassen niedergemetzelt,"* 350–361; Naour, *La honte noir,* 236–244; and Wagenhofer, *"Rassischer" Feind—politischer Freund?,* 21–24 and 43–61.

***

الفصل الرابع
الإسلام والحرب على الجبهة الشرقية

(١) في:

Alexander Werth, *Russia at War, 1941–1945* (London, 1964), 573.

(٢) عن السياسات القَيصرية تجاه الإسلام، انظر:

Crews, *For Prophet and Tsar*; Muhammad M. A. Khan, "Islam under the Tsars and the October 1917 Revolution" Journal of Muslim Minority Affairs 12, 1 (1991), 23–40; Elena I. Campbell, "The Autocracy and the Muslim Clergy in the Russian Empire (1850s–1917)," Russian Studies in History 44, 2 (2005), 8–29; and Vladimir Bobrovnikov, "Islam in the Russian Empire," in Dominic Lieven (ed.), Cambridge History of Russia, vol. 2 (Imperial Russia, 1689–1917) (Cambridge, 2006), 202–223;

وعن القوقاز، انظر:

Firouzeh Mostashari, *On the Religious Frontier: Tsarist Russia and Islam in the Caucasus* (London, 2006); and Austin Jersild, *Orientalism and Empire: North Caucasus Mountain Peoples and the Georgian Frontier, 1845–1917* (London, 2006);

وعن القِرم، انظر:

Kelly O'Neill, "Between Subversion and Submission: The Integration of the Crimean Khanate into the Russian Empire, 1783–1853" (PhD diss., Harvard University, 2006); and Kelly O'Neill, "Constructing Russian Identity in the Imperial Borderland: Architecture, Islam, and the Transformation of the Crimean Landscape," *Ab Imperio 2* (2006), 163–192;

وعن آسيا الوسطى، انظر:

Allen J. Frank, *Muslim Religious Institutions in Imperial Russia: The Islamic World of Novouzensk District and the Kazakh Inner Horde, 1780–1910* (Leiden, 2001); and A. S. Morrison, *Russian Rule in Samarkand 1868–1910: A Comparison with British India* (Oxford, 2008), esp. 51–87;

وانظر أيضًا ما كُتب في:

Kemper et al. (eds.), *Muslim Culture in Russia and Central Asia from the 18th to the Early 20th Centuries*.

(٣) وعن المقاومة الإسلامية لروسيا القَيصرية في القوقاز، انظر:
Moshe Gammer, *Muslim Resistance to the Tsar: Shamil and the Conquest of Chechnia and Daghestan* (London, 1994); Anna Zelkina, *In Quest of God and Freedom: Sufi Responses to the Russian Advance in the North Caucasus* (London, 2000); Michael Kemper, *Herrschaft, Recht und Islam in Daghestan: Von den Khanaten und Gemeindebünden zum ğihād-Staat* (Wiesbaden, 2005); and Clemens P. Sidorko, *Dschihad im Kaukasus: Antikolonialer Widerstand der Dagestaner und Tschetschenen gegen das Zarenreich (18. Jahrhundert bis 1859)* (Wiesbaden, 2007).

(٤) عن السياسات السوڤييتية تجاه الإسلام في فترة ما بين الحربين، انظر:
Galina M. Yemelianova, *Russia and Islam: A Historical Survey* (New York, 2002), 99–120; and Alexandre Bennigsen and Chantal Lemercier-Quelquejay, *Islam in the Soviet Union* (London, 1967), 19–163; the general works on religion in the Soviet Union by Walter Kolarz, *Russia and Her Colonies* (London, 1952), 186–188; Walter Kolarz, *Religion in the Soviet Union* (London, 1961), 406–425; and Hans Bräker, *Kommunismus und Weltreligonen Asiens: Zur Religions- und Asienpolitik der Sowjetunion*, vol. I (*Kommunismus und Islam: Religionsdiskussion und Islam in der Sowjetunion*) (Tübingen, 1969), 91--121;

وانظر الدراسات الأكثر تخصصًا في:
Fanny Bryan, "Anti-Islamic Propaganda: Bezbozhnik, 1925–1935," *Central Asian Survey* 5, 2 (1986), 29–47; Michael Kemper, "The Soviet Discourse on the Origin and Class Character of Islam, 1923–1933," *Die Welt des Islams* 49, 1 (2009), 1–48;

وكذلك المساهمات المقدَّمة في:
Kemper et al. (eds.), *Muslim Culture in Russia and Central Asia from the 18th to the Early 20th Centuries*.

وعن الفترة المعتدلة ومحاولات خلق «إسلام سوڤييتي»، انظر:
Alexandre Bennigsen and S. Enders Wimbush, *Muslim National Communism in the Soviet Union: A Revolutionary Strategy for the Colonial World* (Chicago, 1979); Alexandre Bennigsen and Chantal Lemercier-Quelquejay, *Sultan Galiev: Le père de la revolution Tier-Mondiste* (Paris, 1986); Sh. F. Mukhamedyarov and B. F. Sultanbekov, "Mirsaid Sultan-Galiev: His Character and Fate," *Central Asian Survey* 9, 2 (1990), 109–117; and Gabriele Bucher-Dinç, *Die mittlere Wolga im Widerstreit sowjetischer und nationaler Ideologien (1917–1920): Eine Untersuchung anhand autobiographischer und publizistischer Schriften des Wolgatataren Mirsaid Sultan-Galiev* (Wiesbaden, 1997).

وعن السياسات السوڤييتية تجاه الإسلام في القوقاز في فترة ما بين الحربين، انظر:
Robert Conquest, *The Great Terror: Stalin's Purge of the Thirties* (New York, 1968), 300; Robert Conquest, *The Nation Killers: The Soviet Deportation of Nationalities*

(London, 1970), 38 and 98; Chantal Lemercier-Quelquejay, "Sufi Brotherhoods in the USSR: A Historical Survey," *Central Asian Survey* 2, 4 (1983), 1–35, 14–16; Alexandre Bennigsen, "Muslim Guerilla Warfare in the Caucasus (1918–1928)," *Central Asian Survey* 2, 1 (1983), 45–56; Alexandre Bennigsen, "The Qādirīyah (Kunta Hājjī) Tarīqah in North-East Caucasus: 1850–1987," *Islamic Culture* 62, 2–3 (1988), 69–71; Alexandre Bennigsen and S. Enders Wimbush, *Mystics and Commissars: Sufism in the Soviet Union* (London, 1985), 24–29; Abdurahman Avtorkhanov, "The Chechens and the Ingush during the Soviet Period and Its Antecedents," in Marie Bennigsen Broxup (ed.), *The North Caucasus Barrier: The Russian Advance towards the Muslim World* (London, 1992), 146–194, 152–179; Marie Bennigsen Broxup, "The Last Ghazawat: The 1920–21 Uprising," in Marie Bennigsen Broxup (ed.), *The North Caucasus Barrier,* 112–145; Jörg Baberowski, *Der Feind ist überall: Stalinismus im Kaukasus* (Munich, 2003), 420–442, 599–608, 6336–62; Jörg Baberowski, "Stalinismus als imperiales Phänomen: Die islamischen Territorien der Sowjetunion 1920–1941," in Stefan Plaggenborg (ed.), *Stalinismus: Neue Forschungen und Konzepte* (Berlin, 1998), 113–150, esp. 127–137; Jörg Baberowski, "Stalinismus an der Peripherie: Das Beispiel Azerbajdzan 1920–1941," in Manfred Hildermeier (ed.), *Stalinismus vor dem Zweiten Weltkrieg: Neue Wege der Forschung* (Munich, 1998), 307–335, esp. 319–325; and Jörg Baberowski, "Verschleierte Feinde: Die kule turellen Ursprünge des Stalinismus im sowjetischen Orient," *Geschichte und Gesellschaft* 30 (2004), 10–36, esp. 24–36.

وانظر المصادر العامة عن السياسات السوفييتية تجاه الإسلام في وسط آسيا في:

Shoshana Keller, *To Moscow, Not Mecca: The Soviet Campaign against Islam in Central Asia, 1917–1941* (Westport, CT, 2001); Shoshana Keller, "Islam in Soviet Central Asia, 1917–1930: Soviet Policy and the Struggle for Control," *Central Asian Survey* 11, 1 (1992), 25–50; and the more specific studies by G. J. Massel, *The Surrogate Proletariat: Moslem Women and Revolutionary Strategies in Soviet Central Asia, 1919-1929* (Princeton, NJ, 1974); Douglas Northrop, *Veiled Empire: Gender and Power in Stalinist Central Asia* (Ithaca, NY, 2004); and Marianne Kamp, *The New Woman in Uzbekistan: Islam, Modernity, and Unveiling under Communism* (Seattle, WA, 2006).

يجب أن تُقرأ الأدبيات المتعلّقة بالإسلام في الاتحاد السوفييتي، والتي كُتِبت في أثناء الحرب الباردة بشيء من الحذر، رغم أنها تقدّم مواداً وقائعية قيّمة. ولنقد لهذه الدراسات من الناحية المفاهيمية والتحليلية، انظر:

Devin DeWeese, "Islam and the Legacy of Sovietology: A Review Essay on Ya'acov Ro'i's *Islam in the Soviet Union*," *Journal of Islamic Studies* 13, 3 (2002), 298–330.

(٥) اتُّهمت الزَّعامات الدينية بالعَمالة لتركيا وبريطانيا، ثم لليابان وألمانيا، انظر:

Conquest, *The Great Terror*, 300; Alexandre Bennigsen, "The Qādirīyah (Kunta Hājjī) Tarīqah in North-East Caucasus: 1850–1987," *Islamic Culture* 62, 2–3 (1988), 69–71, 70–71; and Alexandre Bennigsen and S. Enders Wimbush, *Mystics and Commissars: Sufism in the Soviet Union* (London, 1985), 28–29.

(٦) عن الهجوم السوفييتي على المساجد، انظر:

Yemelianova, *Russia and Islam*, 114; Jörg Baberowski, "Stalinismus als imperiales Phänomen: Die islamischen Territorien der Sowjetunion 1920–1941," in Stefan Plaggenborg (ed.), *Stalinismus: Neue Forschungen und Konzepte* (Berlin, 1998), 113–150, 128; Jörg Baberowski, "Stalinismus an der Peripherie: Das Beispiel Azerbajdzan 1920–1941," in Manfred Hildermeier (ed.), *Stalinismus vor dem Zweiten Weltkrieg: Neue Wege der Forschung* (Munich, 1998), 307–335, 319–320; Jörg Baberowski, "Verschleierte Feinde: Die kulturellen Ursprünge des Stalinismus im sowjetischen Orient," *Geschichte und Gesellschaft* 30 (2004), 10–36, 24–25; and, on the numbers, Ro'i, *Islam in the Soviet Union*, 58.

(٧) ناقشت المصادر الواردة في الحاشية رقم (٥) حدود القمع الديني السوفييتي في فترة ما بين الحربين. وعن بقاء المحاكم الشرعية والتعليم الديني، انظر بشكل خاص:

Kolarz, *Russia and Her Colonies*, 186–188; and Robert Conquest, *The Nation Killers: The Soviet Deportation of Nationalities* (London, 1970), 38 and 98.

وعن إخفاق الحملة على الحجاب، انظر:

Kolarz, *Religion in the Soviet Union*, 416–419; Jörg Baberowski, *Der Feind ist überall: Stalinismus im Kaukasus* (Munich, 2003), 442–478; Baberowski, "Stalinismus als imperiales Phänomen," 128–134; Baberowski, "Stalinismus in der Peripherie," 320–323; and Baberowski, "Verschleierte Feinde," 17 and 27–36. On the confrontations during Ashura processions, see Baberowski, *Der Feind ist überall*, 427–435; Baberowski, "Stalinismus an der Peripherie," 319; and Baberowski, "Verschleierte Feinde," 17–18 and 25–27.

وعن النّزاع في مزرعة الخنازير بالشيشان، انظر:

Abdurahman Avtorkhanov, "The Chechens and the Ingush during the Soviet Period and Its Antecedents," in Marie Bennigsen Broxup (ed.), *The North Caucasus Barrier: The Russian Advance towards the Muslim World* (London, 1992), 146–194, 166.

(٨) عن ثورات القوقاز في فترة ما بين الحربين، انظر:

Kolarz, *Russia and Her Colonies*, 186–188; Kolarz, *Religion in the Soviet Union*, 414–416; Conquest, *The Nation Killers*, 38, 45–46, and 96; Chantal Lemercier-Quelquejay, "Sufi Brotherhoods in the USSR: A Historical Survey," *Central Asian Survey* 2, 4 (1983), 1–35, 12–16; Alexandre Bennigsen, "Muslim Guerilla Warfare in the Caucasus (1918–1928)," *Central Asian Survey* 2, 1 (1983), 45–56; Bennigsen, "The Qādirīyah (Kunta Hājjī) Tarīqah in North-East Caucasus," 69–71; Bennigsen and Wimbush, *Mystics and Commissars*, 24–29; Avtorkhanov, "The Chechens and

the Ingush during the Soviet Period and Its Antecedents," 152–179; and Marie Bennigsen Broxup, "The Last Ghazawat: The 1920–21 Uprising," in Marie Bennigsen Broxup (ed.), *The North Caucasus Barrier,* 112–145.

(٩) عن ثورات القوقاز في الحرب العالمية الثانية، انظر:

Conquest, *The Nation Killers,* 98; Lemercier-Quelquejay, "Sufi Brotherhoods in the USSR," 16; Bennigsen, "The Qādirīyah (Kunta Hājjī) Tarīqah in North-East Caucasus," 71; Bennigsen and Wimbush, *Mystics and Commissars,* 29; Avtorkhanov, "Chechens and the Ingush during the Soviet Period and Its Antecedents," 181–184; J. Otto Pohl, *Ethnic Cleansing in the USSR, 1937–1949* (Westport, CT, 1999), 73, 75–76, 79, 81–83, and 89; Norman M. Naimark, *Fires of Hatred: Ethnic Cleansing in Twentieth-Century Europe* (Cambridge, MA, 2001), 94–96; Alexander Statiev, "The Nature of Anti-Soviet Armed Resistance, 1942–1944: The North Caucasus, the Kalmyk Autonomous Republic, and Crimea," *Kritika: Explorations in Russian and Eurasian History* 6, 2 (2005), 281–314, 284–299; and Jeffrey Burds, "The Soviet War against 'Fifth Columnists': The Case of Chechnya, 1942–4," *Journal of Contemporary History* 42, 2 (2007), 267–314.

وفي مهمة خاصة سُميت «العملية شامل»، أُنزلت فرقةٌ من القوات المسلَّحة الألمانية وراء الخطوط الأمامية لتنشيط متمردي الشيشان وتوحيدهم، لكنها فشلت في النهاية، انظر:

Julius Mader, *Hitlers Spionagegenerale sagen aus: Ein Dokmentarbericht über Aufbau, Struktur und Operationen des OKW-Geheimdienstamtes Ausland'/'Abwehr mit einer Chronologie seiner Einsätze von 1944 bis 1944* (East Berlin, 1970), 191–192; and Günther W. Gellermann, *Tief im Hinterland des Gegners: Ausgewählte Unternehmen deutscher Geheimdienste im Zweiten Weltkrieg* (Bonn, 1999), 107–127;

وعن تقارير المهمّة، انظر: BA–MA, RW 49/143.

(10) Erich v. Manstein, *Verlorene Siege* (Bonn, 1955), 233;

(حُذفت العبارة من الترجمة الإنكليزية)

انظر: Erich von Manstein, *Lost Victories* (London, 1958).

(11) R. Konrad, *Kampf um den Kaukasus* (Munich, 1954), 22–23; and Helmut Blume to his parents, 28 October 1942, n.p., in Helmut Blume, *Zum Kaukasus 1941–1942: Aus Tagebuch und Briefen eines jungen Artilleristen* (Tübingen, 1993), 138–139, 139, are examples.

(12) Sipo and SD Command, Report ("Meldungen aus den besetzten Ostgebieten"), 6 November 1942, Berlin, BAB, R 58/699; وجاءت تقديرات ميدانية أخرى.

(١٣) كذلك كان لدى حلفاء موسكو بعض المخاوف حول القوقاز، انظر:

Simpson (Mid-Asiatic Bureau, General Headquarters, Middle East Forces), Report ("Separatism in the Caucasus"), 23 August 1942, Cairo, NA, FO 371/32931; and Simpson, Report ("The Caucasus: Probable Consequences of a German Occupation"), 6 October 1942, Cairo, NA, WO 208/1814.

(14) Engelbert Graf, "Die Freiheitskämpfe der Kaukasusvölker," *Deutsche Allgemeine Zeitung* (1 November 1942). On glorifications of the history of the *ghazawat* in the German press, see also Hans Rempel, "Die Völker des Kaukasus," *Völkischer Beobachter* (27 August 1942); Anonymous, "Der Kaukasus: 'Berg der Sprachen,'" *National-Zeitung* (18 August 1942); Wilhelm Ren, "Verfolgung im Kaukasus," *Frankfurter Zeitung* (31 August 1942); and Karl Wenig, "Schamyl lebt in jedem Legionär: Vom Freiheitskampf der Nordkaukasier gegen ihre Unterdrücker," *Deutsche Zeitung im Ostland* (30 May 1944).

وكان لذلك الافتتان الشائع جذوره في فترة ما بين الحربين، انظر:

Karl von Seeger, *Imam Schamil: Prophet und Feldherr* (Leipzig, 1937).

(١٥) عن سياسة الحرب والاحتلال الألمانية في القوقاز والقِرم، انظر الأعمال العامة في:

Dallin, *German Rule in Russia,* 226–252 (Caucasus) and 253–275 (Crimea); Gerald Reitlinger, *The House Built on Sand: The Conflicts of German Policy in Russia, 1939–1945* (New York, 1960), 287–308 (Caucasus) and 185–187 (Crimea); Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 189–193 (Caucasus) and 183–187 (Crimea); Aleksandr M. Nekrich, *The Punished Peoples: The Deportation and Fate of Soviet Minorities at the end of the Second World War* (New York, 1978), 36–65 (Caucasus) and 13–35 (Crimea); Alexiev, *Soviet Nationalities in German Wartime Strategy,* 20–25 (Caucasus) and 32 (Crimea); Timothy Patrick Mulligan, *The Politics of Illusion and Empire: German Occupation Policy in the Soviet Union, 1942–1943* (New York, 1988), 127–130 (Caucasus) and 130–131 (Crimea); Angrick, *Besatzungspolitik und Massenmord,* 545–715 (Caucasus) and 323–361 and 452–544 (Crimea); and Manfred Oldenburg, *Ideologie und militärisches Kalkül: Die Besatzungspolitik der Wehrmacht in der Sowjetunion 1942* (Cologne, 2004), 259–306 (Caucasus) and 57–224 (Crimea).

وعن القوقاز خاصةً، انظر:

Hoffmann, *Kaukasien;* Manfred Zeidler, "Das 'kaukasische Experiment': Gab es eine Weisung Hitlers zur deutschen Besatzungspolitik im Kaukasus?," *Vierteljahreshefte für Zeitgeschichte* 53 (2005), 475-500; Dieter Pohl, *Die Herrschaft der Wehrmacht: Deutsche Militärbesatzung und einheimische Bevölkerung in der Sowjetunion 1941–1944* (Munich, 2008), 299–304; and Hermann Frank Meyer, *Blutiges Edelweiß: Die 1. Gebirgs-Division im Zweiten Weltkrieg* (Berlin, 2008), 82-111.

وعن القِرم خاصةً، انظر:

Luther, "Die Krim unter deutscher Besatzung im Zweiten Weltkrieg"; Kunz, *Die Krim unter deutscher Herrschaft;* and O. V. Roman'ko, *Krym pod piatoi Gitlera: Nemetskaia okkupatsionnaia politika v Krymu 1941–1944 (The Crimea under Hitler's Heel: German Occupation Policy in the Crimea 1941–1944)* (Moscow, 2011);

والمزيد من الإفادات العامة لدى

Fisher, *The Crimean Tatars,* 150–164; and Williams, *The Crimean Tatars,* 376–382.

Crimean Tatars, 150–164; and Williams, The Crimean Tatars, 376–382.

ومع الاستثناء المهمّ للتالي:

Iskander Giljazov, "Die Muslime Rußlands in Deutschland während der Weltkriege als Subjekte und Objekte der Großmachtpolitik," in Höpp and Reinwald (eds.), Fremdeinsätze, 143–148,

ركّزت المصادر المتعلقة بالسياسات الدينية الألمانية في الشرق، في أثناء الحرب العالمية الثانية، على الكنيسة الأرثوذكسية وتجاهلت الإسلام، انظر:

Friedrich Heyer, Die orthodoxe Kirche in der Ukraine von 1917 bis 1945 (Cologne, 1953), 170–227; Harvey Fireside, Icon and Swastika: The Russian Orthodox Church under Nazi and Soviet Control (Cambridge, 1971); Wassilij Alexeev and Theofanis G. Stavrou, The Great Revival: The Russian Church under German Occupation (Minneapolis, 1976); Hans-Heinrich Wilhelm, "Der SD und die Kirchen in den besetzten Ostgebieten 1941/42," Militaergeschichtliche Mitteilungen 29 (1981), 55–99; Michail Škarovskij, "Deutsche Kirchenpolitik auf dem besetzten Territorium der USSR, 1941–1944," in Gabriele Gorzka and Knut Stang (eds.), Der Vernichtungskrieg im Osten: Verbrechen der Wehrmacht in der Sowjetunion aus Sicht russischer Historiker (Kassel, 1999), 69–85; and Michail Škarovskij, Natsistskaia Germaniia i Pravoslavnaia Tserkov: Natsistskaia politika v otnoshenii Pravoslavnoi Tserkvi i religioznoe vozrozhdenie na okkupirovannoi territorii SSSR (Nazi Germany and the Orthodox Church: Nazi Policy toward the Orthodox Church and Religious Revival in the Occupied Territories of the USSR) (Moscow, 2002).

(١٦) ذكرت الوثيقة (Schulenburg to Ribbentrop, 15 May 1942, Berlin, BAB, R 6/22) أن شامل اكتسب بعض الشهرة في العالم الإسلامي في أثناء فترة ما بين الحربين، واحتُفي به في المؤتمر الإسلامي بالقدس في عام ١٩٣١ انظر:

Kramer, *Islam Assembled,* 132.

عرَض شامل، عندما كان مستقرًا في تركيا، خدماته على الألمان بعد العملية بربروسا مباشرة، انظر:

Papen to Ribbentrop, 25 July 1941, Therapia, PA, R 29900;

ثم جاء بعدها بقليل إلى ألمانيا في أوائل عام ١٩٤٢، انظر الوثائق الموجودة في: (PA, R 261175).

(١٧) وعن التوجه «البراغماتي» للقوات المسلّحة الألمانية في القوقاز والقِرم، انظر المصادر الواردة في الحاشية رقم (١٦).

(١٨) انظر المرجع السابق عن التُرك بوصفهم حلفاء.

(١٩) انظر المرجع السابق عن الامتيازات.

(20) Kunz, *Die Krim unter deutscher Herrschaft*, 213–217.

(٢١) عن تاريخ المعارك في القوقاز، انظر المصادر الواردة في الحاشية رقم (١٦).

(22) Otto Bräutigam, *So hat es sich zugetragen: Ein Leben als Soldat und Diplomat* (Würzburg, 1968), 510.

وعلى الرغم من أن الكتاب يقدِّم تأملات في السياسات، إلَّا أنه سيء السمعة؛ لأنه يحاول التعمية على دوره في عمليات الإبادة النازية، انظر:

H. D. Heilmann, "Aus dem Kriegstagebuch des Diplomaten Otto Bräutigam," in H. D. Heilmann et al. (eds.), *Biedermann und Schreibtischtäter: Materialien zur deutschen Täter-Biographie* (Berlin, 1987), 123–187.

(23) Theodor Oberländer, "Dritte Denkschrift," autumn 1942, printed in Theodor Oberländer, *Der Osten und die deutsche Wehrmacht: Sechs Denkschriften aus den Jahren 1941–1943 gegen die NS-Kolonialthese* (Sendorf, 1987), 67–84, 69.

وعن أوبرلندر، انظر:

Philipp-Christian Wachs, *Der Fall Theodor Oberländer (1905–1998): Ein Lehrstück deutscher Geschichte* (Frankfurt, 2000).

شدَّد بالفعل في مذكرته الأولى على أن الإسلام كان فاعلًا قويًا ومهمًّا في شمال القوقاز، مذكِّرًا ضباط القوات المسلَّحة بالقمع السوفيتي للإسلام، ومؤكدًا لهم على الصحوة الدينية الحادثة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، انظر:

Theodor Oberländer, "Erste Denkschrift," October 1941, printed in ibid., 15–50, 28–31, and 38–39.

بل وحثَّ في مذكرته الرابعة قيادة القوات المسلَّحة على إصدار «بيان عام بالدعم النشط للإسلام»، انظر:

Theodor Oberländer, "Vierte Denkschrift," 9 November 1942, printed in ibid., 85–101, 100.

وكذلك كتب أوبرلندر ورقة تعليمات لقوات المحور المنتشرة في القوقاز، انظر:

Wehrmacht Instruction Sheet ("Merkblatt an alle im Kaukasus eingesetzten Truppen"), n.d. (August 1942), Private Family Archive Oberländer (*Familienarchiv Oberländer*), Bonn (FAO).

ويبدو أنها كانت نموذجًا لأوراق التعليمات التي وُزِّعت في سبتمبر/ أيلول (انظر الحاشية رقم ٢٧)، انظر:

Philipp-Christian Wachs, *Der Fall Theodor Oberländer (1905–1998): Ein Lehrstück deutscher Geschichte* (Frankfurt, 2000), 125–126; and Hoffmann, *Kaukasus*, 126–127.

وعن أهمية فرضية الوحدة الإسلامية، انظر: Angrick, *Besatzungspolitik und Massenmord*, 591.

(24) List, Order ("Befehl an alle im Kaukasus eingesetzten Truppen [Bekanntzugeben bis zu den Kompanien]"), n.d. (summer 1942), n.p., BAB, R 6/65.

(25) Wehrmacht Instruction Sheet ("Merkblatt für das Verhalten gegenüber kaukasischen Völkern"), n.d. (11 August 1942), BA–MA, RW 41/7 (also in BA–MA, RH 22/211a).

(26) Kleist, Speech, according to Report ("Schlussbemerkungen des Herrn Oberbefehlshabers, Generaloberst v. Kleist, im Anschluss an den Vortrag des Stabsoffiziers für Propagandaeinsatz"), 15 December 1942, BAB, R 6/65.

(27) East Ministry, Conference Report ("Grundsätzliche Gedanken aus der Aussprache des Reichsministers für die besetzten Ostgebiete mit den Befehlshabern der Heeresgebiete im Osten"), 22 December 1942, n.d. (Berlin), BAB, R 58/225.

(28) East Ministry, Guidelines ("Richtlinien für die Behandlung der Völker Kaukasiens"), 26 August 1942, Berlin, BAB, R 6/143.

(29) East Ministry, Order ("Anweisung für den Bevollmächtigten des Reichsministers für die besetzten Ostgebiete beim Oberkommando der Heeresgruppe A"), October 1942, Berlin, BAB, R 6/66.

(30) Mende, Guidelines ("Richtlinien für die Behandlung der Ostvölker: Kaukasien"), 11 December 1942, Berlin, BAB, R 6/66.

(31) Sipo and SD Command, Report ("Meldungen aus den besetzten Ostgebieten"), 6 November 1942, Berlin, BAB, R 58/699.

(32) Wehrmacht Instruction Sheet ("Merkblatt für das Verhalten gegenüber kaukasischen Völkern"), n.d. (11 August 1942), BA–MA, RW 41/7 (also in BA–MA, RH 22/211a).

وكذلك، أُمِر بإعادة فتح المساجد في أمر سابق لليست، انظر:

List, Order ("Befehl an alle im Kaukasus eingesetzten Truppen"), n.d. (September 1942), n.p., BAB, R 6/65.

(33) Town Command I/920, Report ("Monatsmeldung über die politische und wirtschaftliche Lage sowie Stand der Propaganda"), 27 November 1942, Cherkessk, BA–MA, RH 20-17/709; and, similarly, Field Command 538, Report ("Lagebericht für die Zeit vom 16،10. bis 15،11،1942"), 16 November 1942, Maikop, BA–MA, RH 20-17/709.

(34) Field Command 538, Report ("Lagebericht für die Zeit vom 16،10. bis 15،11،1942"), 16 November 1942, Maikop, BA–MA, RH 20-17/709.

(35) Schütte to Bräutigam, 13 October 1942, n.p., BAB, R 6/65.

(36) Field Command 538, Report ("Lagebericht für die Zeit vom 16،10. bis 15،11،1942"), 16 November 1942, Maikop, BA–MA, RH 20-17/709.

(37) Merk (Headquarters of Army Group A), Report ("Schulwesen im Bereich der Heeresgruppe A"), 21 October 1942, n.p., BAB, R 6/65.

(38) Field Command 538, Report ("Lagebericht für die Zeit vom 16،11. bis 15،12،1942"), 16 December 1942, Maikop, BA–MA, RH 20-17/709.

(39) Himpel (East Ministry), Guidelines ("Richtlinien für die Behandlung der Völker Kaukasiens"), 20 August 1942, Berlin, BAB, R 6/66.

(40) Sipo and SD Command, Report ("Meldungen aus den besetzten Ostgebieten"), 18 December 1942, Berlin, BAB, R 58/699.

(41) Images "Ueberreichung des Koran" and "Efendi Mullah spricht zu den Legionären," *Ghazavat* 29 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 1 September 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(٤٢) اتخذت وزارة الشرق قرارًا مبكرًا بتجنب الإشارة إلى التنظيم السياسي المستقبلي للقوقاز، وركّزت -بدلًا من ذلك- على البروباغندا الدينية وخاصةً الإسلامية، انظر توجيهات البروباغندا في:

PA, R 105165; BAB, R 6/66; and BA–MA, RH 19 III/481. Conradi (Foreign Office), Internal Note ("Sondersprachregelung Osten"), 5 November 1941, Berlin, PA, R 105165 (also in PA, R 60737); Großkopf (Foreign Office), Internal Note, 5 November 1941, Berlin, PA, R 105165; and Baum (Foreign Office), Internal Note, 19 November 1941, Berlin, PA, R 105165.

وعن الإرشادات العامة للدعاية التي أصدرتها وزارة الشرق، انظر:

East Ministry, Guidelines ("Richtlinien des RM f. d. besetzen Ostgebiete für die Propaganda im Kaukasus"), 5 December 1941, Berlin, PA, R 105165 (also in PA, R 261174); East Ministry, Guidelines ("Richtlinien für die Propaganda unter den Kaukasischen Völkern"), 19 February 1942, BA–MA, RH 19 III/481; East Ministry, Guidelines ("Richtlinien für die Propaganda unter den Kaukasischen Völkern"), 20 April 1942, Berlin, PA, R 105165 (also in PA, R 105171); and East Ministry, Guidelines ("Richtlinien für die Propaganda im Kaukasus"), n.d., BAB, R 6/66.

وعن البروباغندا الألمانية في القوقاز بشكل عام، انظر:

Ortwin Buchbender, *Das tönende Erz: Deutsche Propaganda gegen die Rote Armee im zweiten Weltkrieg* (Stuttgart, 1978), 191–198.

(43) Pamphlet "Völker Kaukasiens!" (German translation), n.d. (1942), BAB, R 6/36 (also in BAB, R 6/66 and R 6/277).

(44) Pamphlet "An die Völker des Ostens!" (German translation), 4 August 1942, BAB, R 6/36.

(45) Pamphlet "Aufruf an die Völker Kaukasiens!" (German translation), n.d. (1942), BAB, R 6/36.

(46) Pamphlet "Völker des Kaukasus!" (German translation), 16 April 1942, BAB, R 6/36.

(٤٧) المرجع السابق.

(48) Town Command I/920, Report ("Monatsmeldung über die politische und wirtschaftliche Lage sowie Stand der Propaganda"), 27 November 1942, Cherkessk, BA–MA, RH 20-17/709; and, similarly, Field Command 538, Report ("Lagebericht für die Zeit vom 16.10. bis 15.11.1942"), 16 November 1942, Maikop, BA–MA, RH 20-17/709

(49) Town Command I/920, Report ("Monatsmeldung über die politische und wirtschaftliche Lage sowie Stand der Propaganda"), 27 November 1942, Cherkessk, BA–MA, RH 20-17/709.

(50) Field Command 538, Report ("Lagebericht für die Zeit vom 16،10. bis 15،11،1942"), 16 November 1942, Maikop, BA–MA, RH 20-17/709.

(51) Schütte to Bräutigam, 13 October 1942, n.p., BAB, R 6/65.

(52) Sipo and SD Command, Report ("Meldungen aus den besetzten Ostgebieten"), 18 December 1942, Berlin, BAB, R 58/699.

(٥٣) ذُكِرت الاحتفالات في:

Dallin, *German Rule in Russia,* 246–247; Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 191; Aleksandr M. Nekrich, *The Punished Peoples: The Deportation and Fate of Soviet Minorities at the end of the Second World War* (New York, 1978), 61–62; Alexiev, *Soviet Nationalities in German Wartime Strategy,* 23; Angrick, *Besatzungspolitik und Massenmord,* 634; Hoffmann, *Kaukasien,* 443–444; and Wachs, *Der Fall Theodor Oberländer,* 117–118.

(54) Schiller, Report ("Besuch des Uraza Bairam Festes in Kislowodsk"), 11 October 1942, n.p., BAB, R 6/65.

والوصف التالي قائمٌ على هذا التقرير طالما لم يُشر لغير ذلك.

(55) Sipo and SD Command, Report ("Meldungen aus den besetzten Ostgebieten"), 18 December 1942, Berlin, BAB, R 58/699.

(56) Schiller, Report ("Besuch des Uraza Bairam Festes in Kislowodsk"), 11 October 1942, n.p., BAB, R 6/65.

(٥٧) الشكل ١, ٤. وُصِف أيضًا في:

Schiller, Report ("Besuch des Uraza Bairam Festes in Kislowodsk"), 11 October 1942, n.p., BAB, R 6/65.

(٥٨) عن الإصلاحات اللغوية السوفييتية، انظر:

Guy Imart, "Le movement de 'latinisation' en URSS," *Cahirs du Monde Russe et Soviétique* 8 (1967), 223-239; and Ingeborg Baldauf, *Schriftreform und Schriftwechsel bei den muslimischen Russland- und Sowjettürken (1850-1937): Ein Symptom ideengeschichtlicher und kulturpolitischer Entwicklungen* (Budapest, 1993).

وعن إحراق الكتب العربية، انظر:

Shoshana Keller, "Islam in Soviet Central Asia, 1917--1930: Soviet Policy and the Struggle for Control," *Central Asian Survey* 11, 1 (1992), 25–50, 45;

وعن معارضة الملالي، انظر: Conquest, *The Nation Killers,* 38.

(59) Heinz Grothe, "Tagebuchnotizen aus dem Kaukasus," *Donau-Zeitung* (15 November 1942).

وكذلك أُعجب أحد زملائه بالصلاة، وكتب وصفًا مفصَّلًا عنها في:

Horst v. Kobilinski, "Urasa Bayram 1942: Das mohammedanische Fest der Karatschaier," *Brünner Abendblatt* (23 November 1942).

(60) Schiller, Report ("Besuch des Uraza Bairam Festes in Kislowodsk"), 11 October 1942, n.p., BAB, R 6/65.

(61) Köstring, Report ("Berater für die das Operationsgebiet der Heeresgruppe A betreffenden Fragen"), n.d. (post-1945), n.p., IfZ, ZS 85.

(62) Hans von Herwarth, *Zwischen Hitler und Stalin: Erlebte Zeitgeschichte 1931 bis 1945* (Frankfurt, 1982), 270; and, similar, in English, Hans von Herwarth, *Against Two Evils* (London, 1981), 234.

(٦٣) كتب برويتيغام تقريرًا من صفحتَين عن الاحتفال، انظر:

Bräutigam, Short Report ("Über das mohammedanische Kurmanfest in Naltschik 1942"), 22 December 1942, n.p., BAB, R 6/65; and Bräutigam, Long Report ("Über das mohammedanische Kurmanfest in Naltschik 1942"), 22 December 1942, Stavropol, BAB, R 6/65;

انظر كذلك البرنامج الرسمي للاحتفال في:

Program ("Befreigungsfeier von Kabardino-Balkarien am Kurman-Fest: 18.–20. Dezember 42"), 1942, BAB, R 6/65.

وأطال برويتيغام في وصف احتفال نالتشيك أيضًا في مذكراته، انظر:

Bräutigam, *So hat es sich zugetragen*, 537–541; and Bräutigam, Report ("Als Bevollmächtigter des Ostministeriums bei der Heeresgruppe Süd"), n.d. (post-1945), n.p., IfZ, ZS 400.

ويستند الوصف التالي إلى تقارير برويتيغام، طالما لم يُشر لغير ذلك.

(64) Nekrich, *The Punished Peoples*, 61 and 63.

(65) Bräutigam, *So hat es sich zugetragen*, 539.

(66) Oberländer to Erika Oberländer, 20 December 1942, FAO;

انظر أيضًا: Theodor Oberländer, Diary (Entries of 17 and 18 December 1942), FAO.

(٦٧) عن احتفال غونديليان، انظر:

Bräutigam, Long Report ("Über das mohammedanische Kurmanfest in Naltschik 1942"), 22 December 1942, Stavropol, BAB, R 6/65; and Bräutigam, *So hat es sich zugetragen*, 543–544.

(68) Grothe, "Tagebuchnotizen aus dem Kaukasus."

(69) Kobilinski, "Urasa Bayram 1942."

(70) Grimm-Kastein, "Hirten und Krieger im Kaukasus," *Illustrierter Beobachter* (29 October 1942); and Kaiser, "Kaukasische Miliz," *Illustrierter Beobachter* (10 December 1942).

ومن المرجَّح أن صور الجنود القراتشيين والألمان قد اتُّخِذت في أثناء الاحتفال.

(71) Bräutigam, *So hat es sich zugetragen*, 523.

ولم يحضر برويتيغام نفسه احتفالات كيسلوفودسك؛ لأنه كان ما زال في برلين ساعتها.

(٧٢) عن تاريخ احتلال القِرم، انظر المصادر الواردة في الحاشية رقم (١٦).

(73) Nekrich, *The Punished Peoples,* 13–14; and Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 184, on the percentages.

(74) Manstein, Order, 20 November 1941, reprinted in *Der Prozeß gegen die Hauptkriegsverbrecher vor dem Internationalen Militärgerichtshof,* 42 vols. (Nuremberg, 1947–1949), vol. 34, 129–132, 130 (on "Jewish-Bolshevist system") and 131 (on Tatars); and in Gerd R. Ueberschär and Wolfram Wette (eds.), *"Unernehmen Barbarossa": Der deutsche Überfall auf die Sowjetunion 1941* (Paderborn, 1984), 343–344, 344.

وللترجمة الإنكليزية، انظر:

Trial of the Major War Criminals before the International Military Tribunal, 42 vols. (Nuremberg, 1947–1949), vol. 20, 641–643, 642 (on "Jewish-Bolshevist system") and 643 (on Tatars).

وعن الأمر، انظر:

Oliver von Wrochem, *Erich von Manstein: Vernichtungskrieg und Geschichtspolitik* (Paderborn, 2006), 58–63; and Mungo Melvin, *Manstein* (London, 2010), 240–245.

ولا عجب أن مانشتاين لم يذكر الأمر أو أي شيء عن إبادة اليهود في مذكراته:

Manstein, *Verlorene Siege,* and Manstein, *Lost Victories.*

(75) High Command 11th Army, Instructions ("Merkblatt für die Behandlung der Tataren"), 9 January 1942, n.p., BA–MA, WF-03/10433.

(76) Hürter, "'Nachrichten aus dem Zweiten Krimkrieg,'" esp. 375–377, 381, and 386;

وانظر أيضًا مذكِّراته الشخصية:

Hentig, *Mein Leben,* 349–357.

(77) Hentig to Oppenheim, 11 October 1941, n.p., PA, Nachlass Hentig, vol. 84; and, in response, Oppenheim to Hentig, 31 October 1941, Berlin, PA, Nachlass Hentig, vol. 84.

(78) Hentig, Report ("Tataren auf der Krim"), 10 April 1942, n.p. (Simferopol), PA, R 60739 (also in PA, R 261175).

وبالفعل، شدَّد هينتغ مرارًا على أثر السياسات الألمانية تجاه تتر القِرم على المسلمين خارج شبه الجزيرة، انظر:

Hentig, Internal Note ("Turanismus"), n.d. (November 1941), Berlin, PA, R 28876 (also in PA, R 261179);

وبالمثل:

Hentig, Internal Note ("Stand der sog. Turanischen Frage"), 25 February 1942, Berlin, PA, R 60690 (also in PA, R 261175).

(79) W. K., "Beim Sieger von Sewastopol," *National-Zeitung* (20 August 1942). He expressed the same view in his memoirs, see Manstein, *Verlorene Siege,* 233, 247; the passages were omitted from the English translation, see Manstein, *Lost Victories.*

(80) Hufnagel (Army), Report ("Verwaltungsbericht für Monat Februar 1943"), 6 March 1943, n.p., BA–MA, RH 24-42/225.

(81) Siefers (Army), Report ("Aufstellung von Tataren- und Kaukasierformationen im Bereich des A.O.K. 11"), 20 March 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/108 (also in PA, R 60739); this assessment was based on High Command 11th Army, Instructions ("Merkblatt für die Behandlung der Tataren"), 9 January 1942, n.p., BA–MA, WF-03/10433.

(82) SS and Police Command Crimea, Report ("Lagebericht der SS- und Polizeiführer auf der Krim"), n.d. (August 1943), BA–MA, RH 19V/113.

(٨٣) يدلل التقرير التالي على حالة كهذه:

Military Command Crimea to Town Command Sevastopol, 15 February 1943, n.p., BA–MA, RH 20-17/713; and Town Command Sevastopol to Military Command Crimea, 23 February 1943, Sevastopol, BA–MA, RH 20-17/713.

وقد نوقشت القضية بعد ذلك بشكل أعم بين الجيش والوكالات الاقتصادية، انظر:

Military Command Crimea to Economic Command Crimea, 15 February 1943, n.p., BA–MA, RH 20-17/713; and Economic Command Crimea to Military Command Crimea, 24 February 1943, n.p., BA–MA, RH 20-17/713.

وقد تقرر بداية أن يوم الأحد يجب أن يظل يوم الراحة في شبه الجزيرة كلها، انظر:

Military Command Crimea to Town Commands Crimea, 28 February 1943, n.p., BA–MA, RH 20-17/713.

(84) Military Command Crimea to Town and Field Commands Crimea, 30 March 1943, n.p., BA–MA, RH 20-17/713.

(85) Headquarters of Army Group A, Report ("Verwaltungsbericht für den Monat Juli 1943"), 14 August 1943, n.p., BA–MA, RH 20-17/710.

(86) "Ramadsan und Erntefest," *Azerbaijan* 44 (72) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 31 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239; see also Image: "Nationale Tänze in Simferopol anläßlich des Ramadsan- und Erntedankfestes," *Azerbaijan* 44 (72) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 31 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(87) *Einsatzgruppe D*, Report ("Die Rekrutierung der Krimtataren"), 15 February 1942, n.p., BA–MA, RH 20-11/433 (also in BA–MA, WF-03/10435); and Zinkler (Town Command Karasubazar [Bilohirsk]), Report ("Bericht über die Zeit v. 22.–27.4.4"), 28 April 1942, Seitler, BA–MA, RH 23/90, provide examples.

(88) Buchholz (Field Command 751), Report ("Lagebericht für die Zeit vom 15.5–31.5.1942"), 31 May 1942, n.p., BA–MA, RH 23/90.

(89) Command of Army Rear Area 553, Report ("Tatarenspenden"), 7 May 1942, n.p., BA–MA, RH 23/95.

(٩٠) انظر على سبيل المثال:

Simferopol Central Muslim Committee, Report ("Die Frage der mohammedanischen

Religion in der Krim"), n.d. (1943), Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713.

(91) Herwarth, *Zwischen Hitler und Stalin,* 275; and, slightly varied, in the English version, Herwarth, *Against Two Evils,* 239–240.

(92) *Die Tagebücher von Joseph Goebbels,* ed. Fröhlich et al., part II, vol. 3, 214–223 (30 January 1942), 214.

(93) Edige Kirimal, *Der nationale Kampf der Krimtürken* (Emstetten, 1952), 303–322 and 307.

(94) Simferopol Central Muslim Committee, Report ("Die Frage der mohammedanischen Religion in der Krim"), n.d. (1943), Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713.

(٩٥) المرجع السابق.

(96) Simferopol Central Muslim Committee, Report ("Historische Denkmäler, Museen und Archive der Krim"), n.d., Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713.

(٩٧) عن اللجان الإسلامية، انظر:

Dallin, *German Rule in Russia,* 261; Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 185; Nekrich, *The Punished Peoples,* 19–21; Mulligan, *Politics of Illusion and Empire,* 130–131; Angrick, *Besatzungspolitik und Massenmord,* 469–471 and 473; Oldenburg, *Ideologie und militärisches Kalkül,* 120 and 125; Luther, "Die Krim unter deutscher Besatzung im Zweiten Weltkrieg," 51, 62, 65, 74, and 77–78; Kunz, *Die Krim unter deutscher Herrschaft,* 214; and Roman'ko, *Krym pod piatoi Gitlera,* 137–149 and 195–205; Fisher, *The Crimean Tatars,* 157–158; and Williams, *The Crimean Tatars,* 379.

(98) Nekrich, *The Punished Peoples,* 19.

(99) Statutes of the Simferopol Central Committee ("Statuten des Tatarischen Komitees Simferepol"), n.d. (1942), Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713. On the inaugural ceremony, see Siefers, Report ("Aufstellung von Tataren- und Kaukasierformationen im Bereich des A.O.K. 11"), 20 March 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/108 (also in PA, R 60739). According to Kirimal, the committee was founded in November 1941, see Kirimal, *Der nationale Kampf der Krimtürken*, 307.

(100) Kirimal to Kurkchi, 19 December 1943, n.p., BA–MA, RH 19V/96.

(101) Zapp (SS and Police Command Crimea) to Military Command Crimea, 31 March 1943, n.p., BA–MA, RH 20-17/713.

يحتوي الخطاب على إيجاز لإرشادات المجلس الديني في لجنة سيمفروبول المركزية.

(102) Temporary Statutes for the Muslim Religious Communities ("Zeitweise Statuten für muselmanische Religionsgemeinden"), n.d. (1942), Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713.

(103) Zapp to Military Command Crimea, 31 March 1943, n.p., BA–MA, RH 20-17/713.

(104) Crews, *For Prophet and Tsar,* 31–91.

(105) Statutes of the Simferopol Central Committee ("Statuten des Tatarischen Komitees Simferepol"), n.d. (1942), Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713.

(106) Hentig, Report ("Tataren auf der Krim"), 10 April 1942, n.p. (Simferopol), PA, R 60739 (also in PA, R 261175).

(107) Statutes of the Simferopol Central Committee ("Statuten des Tatarischen Komitees Simferepol"), n.d. (1942), Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713.

(108) Zapp to Military Command Crimea, 31 March 1943, n.p., BA–MA, RH 20-17/713.

(١٠٩) عن هذه النزاعات بين السُلطات الألمانية والقوميين التتر، انظر:
Dallin, *German Rule in Russia,* 261–262; Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 185–187; Nekrich, *The Punished Peoples,* 21; Luther, "Die Krim unter deutscher Besatzung im Zweiten Weltkrieg," 77–78 and 81; and Roman'ko, *Krym pod piatoi Gitlera,* 140–148.

(110) Statutes of the Simferopol Central Committee ("Statuten des Tatarischen Komitees Simferepol"), n.d. (1942), Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713.

(111) Siefers, Report ("Aufstellung von Tataren- und Kaukasierformationen im Bereich des A.O.K. 11"), 20 March 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/108 (also in PA, R 60739).

(112) Simferopol Central Muslim Committee, Report ("Die Frage der mohammedanischen Religion in der Krim"), n.d. (1943), Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713.

(١١٣) المرجع السابق.

(١١٤) عن جريدة القِرم الحرة، انظر:
Dallin, *German Rule in Russia,* 261; Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 184, Luther, "Die Krim unter deutscher Besatzung im Zweiten Weltkrieg," 51; Roman'ko, *Krym pod piatoi Gitlera,* 196–197; Fisher, *The Crimean Tatars,* 158; Mikhail Tyaglyy, "The Role of Antisemitic Doctrine in German Propaganda in the Crimea, 1941–1944," *Holocaust and Genocide Studies* 18, 3 (2004), 421–459, 439–440; and Mikhail Tyaglyy, "Antisemitic Doctrine in Crimean Tatar Newspaper 'Azat Kirim' (1942–1944)," *Dapim: Studies on the Holocaust* 25, 1 (2011), 161–182.

(115) Simferopol Central Muslim Committee, Report ("Die Partisanen und die mohammedanischen Freiwilligenformationen der Krim"), n.d. (1943), Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713.

(116) Kurtiev to Military Command Crimea, 3 January 1943, Simferopol, in Simferopol Central Muslim Committee, Report ("Die Partisanen und die mohammedanischen Freiwilligenformationen der Krim"), n.d. (1943), Simferopol, BA-MA, RH 20-17/713.

(١١٧) المرجع السابق.

(118) Anonymous, "Yeşil cami" ("The Green Mosque"), *Azat Kirim* (22 March 1943). Copies of the paper are stored in the State Archives of the Crimea (*Derzhavnyi Arkhiv v Avtonomnii Respublitsi Krym*), Simferopol (DAARK).

(119) M. Q., "Din ve medeniyet yolunda vazifelerimiz" ("Our Obligations on the Path of Religion and Civilization"), *Azat Kirim* (17 November 1942).

(120) A. Zeni, "Bayramdan maqsadımız" ("What Are the Goals of the Bairam?"), *Azat Kirim* (18 December 1942).

(121) Haberci, "Kefede qurban bayramı" ("Qurban Bairam in Kefe"), *Azat Kirim* (19 January 1943).

(122) Abdulla (oca), "Bayram künlerinde" ("On the Days of Bairam"), *Azat Kirim* (22 December 1942).

(123) Anonymous, "Musulmanlar azatlıq oğrında küreşeler" ("Muslims Are Fighting for Liberty"), *Azat Kirim* (29 December 1942).

(124) Anonymous, "Şarknin kurtuluşu" ("The Liberation of the East"), *Azat Kirim* (16 January 1943).

(125) Sandıqçı, "Qurban bayramı nasıl olmalı?" ("How the Qurban Bairam Should Be?"), *Azat Kirim* (12 December 1942). Sudaqlı, "Kendi asradığıñ yüzümden şarap yapmaq arammı?" ("Is It Religiously Forbidden [haram] to Make Wine from the Grapes One Grows?"), *Azat Kirim* (27 August 1943).

(126) Sudaqlı, "Kendi asradığıñ yüzümden şarap yapmaq arammı?" ("Is It Religiously Forbidden [haram] to Make Wine from the Grapes One Grows?"), *Azat Kirim* (27 August 1943).

(127) Qrım merkezi diniye idaresi (The Central Religious Administration of the Crimea), "Cami cemaat (malle) şuraları için muvaqqat nizamname" ("Temporary Regulations for Congregation [Mosque, DM] Councils"), *Azat Kirim* (25 June 1943), is an example of such a proclamation.

(128) Anonymous, "Qrım merkezi diniye idaresinde" ("At the Central Religious Administration of the Crimea"), *Azat Kirim* (25 July 1942); and, on charitable activities, Ziya (Efendi), "Müsülman Komitesi ve onıñ vazifesi" ("The Muslim Committee and Its Duties"), *Azat Kirim* (17 April 1942).

(129) Anonymous, "Xuddamlarnin vazifeleri" ("The Duties of the Religious Functionaries"), *Azat Kirim* (29 September 1942); and, similarly, Qrımlı, "Bizge medeni, zemane huddamları kerek" ("We Need Modern Religious Functionaries"), *Azat Kirim* (16 October 1942).

(130) Simferopol Central Muslim Committee, Report ("Die Partisanen und die mohammedanischen Freiwilligenformationen der Krim"), n.d. (1943), Simferopol, BA-MA, RH 20-17/713.

(131) East Ministry, Guidelines ("Vorläufige Richtlinien für die Propaganda unter den Tataren"), (22) November 1941, Berlin, PA, R 105165.

وكذلك تدُوِل النص في وزارة الخارجية، انظر:

Conradi, Internal Note, 22 November 1941, Berlin, PA, R 105165; and Baum, Internal Note, 29 November 1941, Berlin, PA, R 105165.

وفي الشهر التالي بُسطت هذه الإرشادات الدعائية لتشمل مسلمي الشرق كافة، انظر:

East Ministry, Guidelines ("Richtlinien für die Propaganda unter den Turkvölkern"), 5 December 1941, Berlin, PA, R 105165 (also in PA, R 261174).

(132) SS and Police Command Crimea, Report ("Lagebericht der SS- und Polizeiführer auf der Krim"), n.d. (August 1943), BA–MA, RH 19V/113.

(١٣٣) المرجع السابق.

(134) Simferopol Central Muslim Committee, Report ("Die Frage der mohammedanischen Religion in der Krim"), n.d. (1943), Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713.

(١٣٥) المرجع السابق.

(١٣٦) المرجع السابق.

(137) Simferopol Central Muslim Committee, Report ("Die Partisanen und die mohammedanischen Freiwilligenformationen der Krim"), n.d. (1943), Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713.

(138) Simferopol Central Muslim Committee, Report ("Die Frage der mohammedanischen Religion in der Krim"), n.d. (1943), Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713; and, similarly, Simferopol Central Muslim Committee, Report ("Die Partisanen und die mohammedanischen Freiwilligenformationen der Krim"), n.d. (1943), Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713; and Simferopol Central Muslim Committee, Report ("Bedürfnisse und Gesuche der Mohammedaner-Komitees"), n.d. (1943), Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713.

(139) Simferopol Central Muslim Committee, Report ("Die Frage der mohammedanischen Religion in der Krim"), n.d. (1943), Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713.

(١٤٠) المرجع السابق. وكذلك:

Simferopol Central Muslim Committee, Report ("Die Partisanen und die mohammedanischen Freiwilligenformationen der Krim"), n.d. (1943), Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713.

(141) Simferopol Central Muslim Committee, Report ("Die Frage der mohammedanischen Religion in der Krim"), n.d. (1943), Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713.

(١٤٢) المرجع السابق.

(١٤٣) عن المؤسسات الوقفية، انظر:

Murat Çizakça, *A History of Philanthropic Foundations: The Islamic World from the Seventh Century to the Present* (Istanbul, 2000); Shaik Abdul Kader, *The Law of Wakfs: An Analytical and Critical Study* (Calcutta, 1999); Jan-Peter Hartung, *Die fromme Stiftung (waqf): Eine islamische Analogie zur Körperschaft?*, in Hans Gerhard Kippenberg and Gunnar Folke Schuppert (eds.), *Die verrechtlichte Religion: Der Öffentlichkeitsstatus von Religionsgemeinschaften* (Tübingen, 2005), 287–313; and R. Peters et al., "Wakf," in *The Encyclopaedia of Islam*, vol. 11, ed. P. J. Bearman, Th. Bianquis, C. E. Bosworth, E. van Donzel, and W. P. Heinrichs (Leiden, 2002), 59–99.

(144) Jamilov, Memorandum ("Memorandum der religiösen Abteilung der Krim des Mo-

hamedanerkomitees der Stadt Simferopol über die Wakufe und das Muftiat in der Krim"), 13 December 1942, Simferopol, in Simferopol Central Muslim Committee, Report ("Die Frage der mohammedanischen Religion in der Krim"), n.d. (1943), Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713.

(145) Simferopol Central Muslim Committee, Report ("Die Frage der mohammedanischen Religion in der Krim"), n.d. (1943), Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713.

(146) Temporary Statutes for the Muslim Religious Communities ("Zeitweise Statuten für muselmanische Religionsgemeinden"), n.d. (1942), Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713.

(147) Zapp to Military Command Crimea, 31 March 1943, n.p., BA–MA, RH 20-17/713.

(148) Riecke (Head of Economic Staff East), Order, 22 May 1942, Berlin, PA, R 27358.

(149) Jamilov, Memorandum ("Memorandum der religiösen Abteilung der Krim des Mohamedanerkomitees der Stadt Simferopol über die Wakufe und das Muftiat in der Krim"), 13 December 1942, Simferopol, in Simferopol Central Muslim Committee, Report ("Die Frage der mohammedanischen Religion in der Krim"), n.d. (1943), Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713.

(150) Simferopol Central Muslim Committee, Report ("Die Frage der mohammedanischen Religion in der Krim"), n.d. (1943), Simferopol, BA–MA, RH 20-17/713.

(151) SS and Police Command Crimea, Report ("Lagebericht der SS- und Polizeiführer auf der Krim"), n.d. (August 1943), BA–MA, RH 19V/113.

(١٥٢) عن دار إفتاء القِرم، انظر:

Dallin, *German Rule in Russia,* 267–270; Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 186; Luther, "Die Krim unter deutscher Besatzung im Zweiten Weltkrieg," 91–93; and Roman'ko, *Krym pod piatoi Gitlera,* 149–153; and Fisher, *The Crimean Tatars,* 162.

(153) Kornelsen, Internal Note ("Einberufung eines Kongresses der von der Sowjetunion unterdrückten mohammedanischen Völker nach Berlin"), 11 November 1943, Berlin, IfZ, NO-3112.

(١٥٤) المرجع السابق. وكانت مذكّرة برغر بتاريخ السابع عشر من نوفمبر/ تشرين الثاني لعام ١٩٤٣.

(155) Kornelsen to Dreysing (Headquarters of High Command of the Army [*Oberkommando des Heeres*]), December 1943, Berlin, IfZ, NO-3113.

وأُرسلت نسخٌ من الخطاب إلى ممثلي وزارة الشرق في القِرم وإلى رؤساء شرطة وحدات الحماية النازية ومكتب أمن الرايخ ومستشارية الرايخ في ميونخ.

(156) Adamovich, Report ("Agenturbericht [*sic*] über den moralisch-politischen Stand der Krimtataren in Rumänien"), 30 June 1944, Berlin, BAB, NS 31/32,

التي تعطينا معلومات عن خلفية أوزبانشلي. حول صراعاته مع الألمان وفراره من جزيرة القِرم، انظر:

Dallin, *German Rule in Russia,* 261–262 and 269–270; Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 127–128 and 185–187; Luther, "Die Krim unter deutscher

Besatzung im Zweiten Weltkrieg," 78 and 81; and Roman'ko, *Krym pod piatoi Gitlera,* 143–145, 151–153 and 420–421; and Fisher, *The Crimean Tatars,* 162.

(157) Headquarters of High Command of the Army to East Ministry, 28 February 1944, Berlin, IfZ, NO-3114.

(١٥٨) تواصلت القيادة العليا للجيش حول هذا الأمر مع المقر الرئيسي لمجموعة الجيش (أ)، التي استشارت مفوضية القوات المسلّحة في سيمفروبول، انظر:

Dellingshausen (Headquarters of Army Group A) to Schumann (Military Commissioner of Simferopol), 27 February 1944, n.p., BA–MA, RH 19V/96.

رد شومان رسميًا برفض مشروع وزارة الشرق، انظر:

Schumann to Dellingshausen, 7 March 1944, Simferopol, BA–MA, RH 19V/96; and Dellingshausen to Jani (Headquarters of High Command of the Army), 12 March 1944, n.p., BA–MA, RH 19V/96.

(159) Dellingshausen to Schumann, 27 February 1944, n.p., BA–MA, RH 19V/96.

(160) SS and Police Command Crimea to SS and Police Command Crimea "Black Sea," 2 February 1944, n.p., BA–MA, RH 19V/96.

(161) Olzscha, Report ("Errichtung eines Muftiats für die Osttürken"), 6 November 1944, Berlin, BAB, NS 31/28.

(162) Mende, Internal Note ("Gespräch mit dem Großmufti von Jerusalem"), 28 July 1944, Berlin, IfZ, PS-1111.

(163) Mende, Internal Note ("Gespräch mit dem Großmufti von Jerusalem"), 28 July 1944, Berlin, IfZ, PS-1111.

(164) Adamovich, Report ("Agenturbericht [*sic*] über den moralisch-politischen Stand der Krimtataren in Rumänien"), 30 June 1944, Berlin, BAB, NS 31/32; and the literature in note 156.

(165) Trampedach (East Ministry) to Mende, 14 October 1944, Berlin, BAB, R 6/179.

(166) East Ministry, Newsletter ("Mitteilungen zur Ostpolitik"), 15 November 1944, Berlin, BAB, R 6/65.

(167) Stamati (East Ministry), Report ("Religiöse Einstellung der Wolgatataren"), 22 March 1945, Berlin, BAB, NS 31/56 (also in BAB, NS 31/60).

(168) Idris, Report ("Die Frage des Muftiats für die Russlandtürken"), 25 March 1945, Berlin, BAB, NS 31/60.

(169) SS and Police Command Crimea to SS and Police Command Crimea "Black Sea," 2 February 1944, n.p., BA–MA, RH 19V/96.

(١٧٠) عن تاريخ المسلمين في شمال شرق أوروبا، انظر:

Islam in the Baltic: Europe's Early Muslim Community (London, 2009); Piotr Borawski, "Religious Tolerance and the Tatar Population in the Grand Duchy of Lithuania: 16th to 18th Century," *Journal of Muslim Minority Affairs* 9, 1 (1988), 119–133; Tamara Bairašauskaitė, "Politische Integration und religiöse Eigenständigkeit der

litauischen Tataren im 19. Jahrhundert," in Kemper et al. (eds.), *Muslim Culture in Russia and Central Asia from the 18th to the early 20th Centuris,* vol. 2 (*Inter-Regional and Inter-Ethnic Relations*), 313–333; Lucyna Antonowicz-Bauer, "The Tatars in Poland," *Journal of Muslim Minority Affairs* 5, 2 (1984), 345–359; György Lederer, "Islam in Lithuania," *Central Asian Survey* 14, 3 (1995), 425–448, esp. 429–438; György Lederer and Ibolya Takacs, "Among the Muslims of Poland," *Central Asian Survey* 9, 2 (1990), 119–131, esp. 119–125; Maciej Konopacki, "Les Musulmans en Pologne," *Revue des Études islamiques* 36 (1968), 115–130; Agata S. Nalborczyk, "Islam in Poland: The Past and the Present," *Islamochristiana* 32 (2006), 225–238, esp. 225–230; Shirin Akiner, *Religious Language of a Belarusian Tatar Kitab: A Cultural Monument of Islam in Europe* (Wiesbaden, 2009), 13–80; and Sebastian Cwiklinski, "Between National and Religious Solidarities: The Tatars in Germany and Poland in the Inter-War Period," in Clayer and Germain (eds.), *Islam in Inter-War Europe,* 64–88, 72–84. Fascinating contemporary overviews are given by L. Sternbach, "The Muhammedans in Poland," *Islamic Culture* 16, 4 (1942), 371–379; C. Bohdanowicz, "The Muslims in Poland," *Asiatic Review* 37, 131 (1941), 646–656; Arsalan Bohdanowicz, "Cultural Movements of Muslims in Poland," *Islamic Review* 31 (November 1942), 372–381; Leon Bohdanowicz, "Muslims in Poland," *Islamic Review* 23 (March 1935), 94–105; (April 1935), 125–131; (May 1935), 164–170; Leon Bohdanowicz, "The Muslims in Poland: Their Origin, History, and Cultural Life," *Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland* 3 (1942), 163–180; and Leon Bohdanowicz, "The Polish Tatars," *Man* 44 (1944), 116–121.

(171) Sternbach, "The Muhammedans in Poland," 379; C. Bohdanowicz, "The Muslims in Poland," 656; A. Bohdanowicz, "Cultural Movements of Muslims in Poland," 379–381; and L. Bohdanowicz, "The Polish Tatars," 120.

(١٧٢) في الواقع، كانت هذه هي المنطقة الوحيدة التي يقطنها التتر المسلمون وتديرها وزارة الشرق، انظر على سبيل المثال:

Hentig, Report ("Stand der sog. Turanischen Frage"), 25 February 1942, Berlin, PA, R 60690 (also in PA, R 261175). On the general context, see Hans-Dieter Handrack, *Das Reichskommissariat Ostland: Die Kulturpolitik der deutschen Verwaltung zwischen Autonomie und Gleichschaltung 1941–1944* (Scheden, 1979).

(173) Rosenberg to Lohse (Ostland) and Koch (Ukraine), 13 May 1942, Berlin, BAB, R 6/206 (also in BAB, R 6/22 and R 6/18).

(174) Rosenberg, Decree "Erlaß des Reichsministers für die besetzten Ostgebiete über die mohammedanischen Feiertage im Jahre 1943," in "SD-Mitteilungsblatt no. 20," 18 August 1943, Berlin, BAB, R 58/225.

(175) Hentig, Report ("Stand der sog. Turanischen Frage"), 25 February 1942, Berlin, PA, R 60690 (also in PA, R 261175).

(176) Kirimal, Report ("Bericht über die vom 28.1. bis 8.2.1942 nach dem Ostland (Litau-

en) gemachte Reise"), 16 February 1942, Berlin, PA, R 261175 (also in BStU, MfS, HA IX/11, RHE 28/88/SU, A. 3).

(177) Eriss to Kapp (Reich Commissariat Ostland), n.d. (summer 1943), Riga, Latvian State Historical Archive (*Latvijas Valsts Vēstures Arhīvs*), Riga (LVVA), accessed through USHMA, RG 18, Reel 1; on Eriss, see Norris, *Islam in the Baltic*, 112–113.

(178) Kapp, Internal Note, 12 October 1943, Riga, LVVA, accessed through USHMA, RG 18, Reel 1.

(179) Eriss to Kapp, n.d. (summer 1943), Riga, LVVA, accessed through USHMA, RG 18, Reel 1.

(١٨٠) المرجع السابق.

(181) Szynkiewicz to Idris, 21 January 1942, Vilnius, PA, R 261175.

(١٨٢) المرجع السابق.

(١٨٣) المرجع السابق.

(184) Reitenbach (East Ministry), Internal Note ("Die 'Nationale Partei' der Krimtataren 'Milli Firka' und die Krimtataren Akcar, Bekir Bey, Yakub, Suleyman Schinkewitsch, Balic Halim Soysal Abdullah und Ortay Selim"), 14 March 1942, Berlin, BAB, R 6/18.

(١٨٥) عن شينكييتش، انظر:

Norris, *Islam in the Baltic*, 78–80; Lucyna Antonowicz-Bauer, "The Tatars in Poland," *Journal of Muslim Minority Affairs* 5, 2 (1984), 345–359, 351, 356; György Lederer, "Islam in Lithuania," *Central Asian Survey* 14, 3 (1995), 425–448, 433–434; György Lederer and Ibolya Takacs, "Among the Muslims of Poland," *Central Asian Survey* 9, 2 (1990), 119–131, 123–125; Maciej Konopacki, "Les Musulmans en Pologne," *Revue des Études islamiques* 36 (1968), 115–130, 119, 122; and Agata S. Nalborczyk, "Islam in Poland: The Past and the Present," *Islamochristiana* 32 (2006), 225–238, 228–229; Akiner, *Religious Language*, 62–63; Cwiklinski, "Between National and Religious Solidarities," 76–84; Kramer, *Islam Assembled*, 148 and 223; Anonymous, "Der muslimische Kongreß von Europa, Genf September 1935," *Die Welt des Islams* 17, 3/4 (1935), 99–104, 100, and 102–104; Sternbach, "The Muhammedans in Poland," 377–378; C. Bohdanowicz, "The Muslims in Poland," 653–655; A. Bohdanowicz, "Cultural Movements of Muslims in Poland," 375–376 and 380–381; L. Bohdanowicz, "The Muslims in Poland," 175–176; L. Bohdanowicz, "Muslims in Poland," 166–170; and L. Bohdanowicz, "The Polish Tatars," 118.

(186) Kirimal to Kurkchi, 19 December 1943, n.p., BA–MA, RH 19V/96.

عن العلاقة بين يديج وشينكييتش، انظر أيضًا:

Cwiklinski, "Between National and Religious Solidarities," 84.

(187) SS and Police Command Crimea to SS and Police Command Crimea "Black Sea," 2 February 1944, n.p., BA–MA, RH 19V/96.

(١٨٨) المرجع السابق.

(189) Kornelsen to Mende, 11 November 1943, Berlin, USNA, RG 242, T454/Roll 109.

(190) Reitenbach (East Ministry), Report ("Die 'Nationale Partei' der Krimtataren 'Milli Firka' und die Krimtataren Akcar, Bekir Bey, Yakub, Suleyman Schinkewitsch, Balic Halim Soysal Abdullah und Ortay Selim"), Berlin, 14 March 1942, BAB, R 6/18.

وعن الإسلام في الحكومة العامة، انظر:

Lederer and Takacs, "Among the Muslims of Poland," 124–125; Akiner, *Religious Language,* 63–65; Sternbach, "The Muhammedans in Poland," 379; A. Bohdanowicz, "Cultural Movements of Muslims in Poland," 379–381; L. Bohdanowicz, "The Polish Tatars," 120; and Jan Tyszkiewicz, "Imam Ali Ismail Woronowicz w Warszawie i Klecku: 1937–1941" ("Imam Ali Ismail Woronowicz in Warsaw and Kletsk, 1937–1941"), *Rocznik Tatarów Polskich* 3 (1995), 7–17.

(191) Wehrmacht Intelligence (Abwehr), Report ("Syrien: Volk und Staat"), 7 July 1942, n.p., BA–MA, RH 2/1790.

(١٩٢) عن الإعدامات والنقاشات الداخلية التي دارت حولها، انظر:

Hilberg, *The Destruction of the European Jews*, 222–223; and, in the revised edition, Hilberg, *The Destruction of the European Jews,* vol. 1, 338–339; Hans-Adolf Jacobsen, "The Kommissarbefehl and Mass Executions of Soviet Russian Prisoners of War," in Martin Broszat et al. (eds.), *Anatomy of the SS State* (London, 1968), 505–535, 529–530; Christian Streit, *Keine Kameraden: Die Wehrmacht und die sowjetischen Kriegsgefangenen 1941–1945* (Stuttgart, 1978), 98; and the memoirs of Bräutigam, *So hat es sich zugetragen,* 390–393; and Herwarth, *Zwischen Hitler und Stalin,* 233; and for the English version, Herwarth, *Against Two Evils,* 205.

(١٩٣) مقتبسة من: Streit, *Keine Kameraden,* 98.

(194) East Ministry, Decree ("Erlass betr. Bestimmung des Begriffs 'Jude' in den besetzten Ostgebieten"), May 1942, Berlin, BAB, R 6/634.

(١٩٥) عن هذه الجماعات، انظر:

Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 49-51; and Angrick, *Besatzungspolitik und Massenmord,* 326–331 and 612; and, on the Karaites and Krymchaks in particular, Kunz, *Die Krim unter deutscher Herrschaft,* 187–194; and Kiril Feferman, "Nazi Germany and the Karaites in 1938–1944: Between Racial Theory and Realpolitik," *Nationalities Papers* 39, 2 (2011), 277–294; and on the Judeo-Tats in particular, Dallin, *German Rule in Russia,* 247; Hoffmann, *Kaukasien,* 439; Wachs, *Der Fall Theodor Oberländer,* 119–121; and Rudolf Loewenthal, "The Judeo-Tats in the Caucasus," *Historia Judaica* 14 (1952), 61-82, 79.

(196) Donner and Seifert, Report ("Bericht über die Erkundung der Siedlungsmöglichkei-

ten in der Nogaischen Steppe (Taurien) und der Halbinsel Krim"), 10 March 1942, Berlin, BA-MA, MFB 4/44423.

(197) Klopfer (NSDAP Party Chancellery) to Brandt, 27 September 1944, Munich, BAB, NS 31/33.

(١٩٨) المرجع السابق.

(199) Bräutigam to East Ministry, 26 December 1942, n.p., BAB, R 6/65; and Bräutigam, Report ("Als Bevollmächtigter des Ostministeriums bei der Heeresgruppe Süd"), n.d. (post-1945), n.p., IfZ, ZS 400.

(٢٠٠) المرجع السابق.

(201) Martin Holler, *Der nationalsozialistische Völkermord an den Roma in der besetzten Sowjetunion (1941–1944)* (Heidelberg, 2009), 78–101 (Crimea) and 101–107 (North Caucasus); and Mikhail Tyaglyy, "Were the 'Chingené' Victims of the Holocaust? Nazi Policy toward the Crimean Roma, 1941–1944," *Holocaust and Genocide Studies* 23, 1 (2009), 26–53.

(202) Holler, *Der nationalsozialistische Völkermord an den Roma in der besetzten Sowjetunion*, 91–101;

ويقدّم المرجع التالي استعراضًا عامًا لتاريخ المسلمين الغجر في القرم، ودور السكان التتر في اضطهادهم، انظر:

Tyaglyy, "Were the 'Chingené' Victims of the Holocaust?," 37–39, 41, and 43–44.

(203) Quoted in Holler, *Der nationalsozialistische Völkermord an den Roma in der besetzten Sowjetunion,* 92; and, in a slightly different translation, in Tyaglyy, "Were the 'Chingené' Victims of the Holocaust?," 37.

(204) Quoted in Holler, *Der nationalsozialistische Völkermord an den Roma in der besetzten Sowjetunion,* 92.

(205) Ohlendorf Testimony ("Extracts from the Testimony of Defendant Ohlendorf"), in *Trials of War Criminals before the Nuernberg Military Tribunals under Control Council Law no. 10,* 15 vols. (Washington, DC, 1949–1953), vol. 4 (*The Einsatzgruppen Case*), 223–312, 290.

(206) Bergmann Battalion, Report ("Bericht vom 25.8.–17.9.42"), 17 September 1942, n.p., BAB, R 6/65.

(207) Wagner (Headquarters of High Command of the Army), Internal Note ("Notiz für Führer-Vortrag"), 23 September 1942, Berlin, PA, R 27358.

(208) Hufnagel (Army), Report ("Verwaltungsbericht für die Zeit vom 21.9.1942 bis zum 20.11.1942"), 23 October 1942, n.p., BA–MA, RH 23/101.

(٢٠٩) عن العنف في القرم، انظر:

Dallin, *German Rule in Russia,* 259–264; Nekrich, *The Punished Peoples,* 23–24; Angrick, *Besatzungspolitik und Massenmord,* 323–361 and 452–544; Angrick, "Die Einsatzgruppe D," in Peter Klein (ed.), *Die Einsatzgruppen in der besetzten Sowjetu-*

nion 1941/42: Die Tätigkeits- und Lageberichte des Chefs der Sicherheitspolizei und des SD (Berlin, 1997), 88–110, 101–102; Oldenburg, *Ideologie und militärisches Kalkül,* 57–224; Luther, "Die Krim unter deutscher Besatzung im Zweiten Weltkrieg," 45–46 and 90; and Kunz, *Die Krim unter deutscher Herrschaft,* 109–178 and 210–211; Fisher, *The Crimean Tatars,* 150–164; and Williams, *The Crimean Tatars,* 380–382.

(210) Kirimal, *Der nationale Kampf der Krimtürken,* 316; and Nekrich, *The Punished Peoples,* 23–24.

(٢١١) عن العنف في القوقاز، انظر:

Dallin, *German Rule in Russia,* 248–249; Nekrich, *The Punished Peoples,* 41–42 and 62; Angrick, *Besatzungspolitik und Massenmord,* 545–715, esp. 601–602; Angrick, "Die Einsatzgruppe D," 88–110, 102–103; Oldenburg, *Ideologie und militärisches Kalkül,* 259–306; Pohl, *Die Herrschaft der Wehrmacht,* 301–304; and Dieter Pohl, "Deutsche Militärverwaltung: Die bessere Besatzung? Das Beispiel Kaukasus 1942/43," *Mitteilungen der Gemeinsamen Kommission für die Erforschung der jüngeren Geschichte der deutsch-russischen Beziehungen* 2 (2005), 51–59.

(٢١٢) وفقًا لنكريتش (Nekrich)، قُتل في أثناء الاحتلال الألماني أكثر من تسعة آلاف مدني في قراتشاي-تشيركيسيا، وخمسمئة آخرون في منطقة البلقار، انظر:

Nekrich, *The Punished Peoples,* 41–42.

ويبدو أن أنشطة الپارتيزان في القوقاز كانت هامشية إذا ما قورنت بنظيراتها في بقية مناطق الشرق، انظر:

Alexander Dallin, "The North Caucasus," in Paul A. Armstrong (ed.), *Soviet Partisans in World War II* (Madison, WI, 1964), 557–632, esp. 628.

(213) Blume to his parents, 6 February 1943, n.p., in Blume, *Zum Kaukasus,* 154–155.

(٢١٤) كانت سياسة موسكو الجديدة تجاه الإسلام في أثناء الحرب جزءًا من تحول عام في السياسات الدينية السوڤييتية. عن الحملة السوڤييتية لتجنيد المسلمين، انظر:

Yemelianova, *Russia and Islam,* 120–124; Bennigsen and Lemercier-Quelquejay, *Islam in the Soviet Union,* 165–174; Kolarz, *Religion in the Soviet Union,* 425–428; Bräker, *Kommunismus und Weltreligonen Asiens,* vol. 1, 121–135; Ro'i, *Islam in the Soviet Union,* 100–107, 113–114, 167, 171–172, and 574; Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 220–221; and Lenczowski, *Russia and the West in Iran 1918-1948,* 213–215. Three early German reports are provided by Bertold Spuler, *Idel-Ural: Völker und Staaten zwischen Wolga und Ural* (Berlin, 1942), 96–97; Bertold Spuler, "Die Wolga-Tataren und Baschkiren unter russischer Herrschaft," *Der Islam* 29, 2 (1949), 142–216, 185–192; and Bertold Spuler, "Die Lage der Muslime in Rußland seit 1942," *Der Islam* 29, 3 (1950), 296–300.

(215) Pohl, *Ethnic Cleansing in the USSR*, 75 and 82 (North Caucasians in Red Army) and 113 (Crimean Tatars in the Red Army).

قررت موسكو في حالة الشيشان فقط إيقاف التجنيد موقتًا في ربيع عام ١٩٤٢، انظر:

Avtorkhanov, "Chechens and the Ingush during the Soviet Period and Its Antecedents," 179–180; Nekrich, *The Punished Peoples*, 56–57; and Naimark, *Fires of Hatred*, 94;

وبشكل أعم، انظر المقالات في:

Alexander R. Alexiev and S. Enders Wimbush (eds.), *Ethnic Minorities in the Red Army: Asset or Liability* (Boulder, CO, 1988).

(216) Rasulaev (Central Muslim Spiritual Directorate), Appeal, 18 July 1941, printed in Stanley Evans, *The Churches of the USSR* (London, 1943), 158.

(217) Rasulaev, Appeal, 7 August 1941, printed in ibid., 159.

(218) Rasulaev, Appeal, 2 September 1941, printed in ibid., 158–159.

(219) Mikhail Dolgopolov, "Soviet Mufti exposes Hitler Mufti," *Soviet War News* (24 October 1942).

(٢٢٠) نقلت إذاعة موسكو العربية، في السابع والعشرين من أكتوبر/ تشرين الأول لعام ١٩٤٣، تقريرًا عن مؤتمر انعقد في طشقند، انظر:

Broadcast Monitoring Script "Moscow in Arabic: Internal News," 27 October 1943 (recorded), USNA, RG 84, Entry UD 2410, Box 93; see also Anonymous, "Soviet Moslem Congress Elects Administration," *Soviet War News* (28 October 1943); and Mikhail Dolgopolov, "Interview with Moslem Leader of Tashkent," *Soviet War News* (24 May 1943).

(221) Y. Gik, "Interview with Sheikh ul Islam of Transcaucasia," *Soviet War News* (11 October 1944), reprinted in *Soviet War News Weekly* (12 October 1944); and Anonymous, "Mohammedans Greet Marshall Stalin," *Soviet War News* (31 May 1944).

(222) Jean Richard Bloch, "Interview with Soviet Mufti," *Soviet War News* (20 May 1942), reprinted in *Soviet War News Weekly* (28 May 1942).

(٢٢٣) مقتبسة من:

Werth, *Russia at War*, 575.

(224) Conquest, *The Nation Killers*, 85–86; and, on changing perceptions of Shamil in Soviet Union in general, ibid., 84–94 and 164–178; and Bülent Gökay, "The Longstanding Russian and Soviet Debate over Sheikh Shamil: Anti-Imperialist Hero or Counter-Revolutionary Cleric?," in Ben Fowkes (ed.), *Russia and Chechnia: The Permanent Crisis: Essays on Russo-Chechen Relations* (London, 1998), 25–64.

(٢٢٥) مقتبسة من: Bräker, *Kommunismus und Weltreligonen Asiens*, vol. 1, 127–128.

(226) Kornelsen, Internal Note ("Evakuierung der Krimtataren") 11 November 1943, Berlin, BAB, R 6/143.

(227) Office of Strategic Services, Report ("German activity in connection with Caucasian groups"), 3 November 1943, Washington, DC, USNA, accessed through USHMA, RG 6, Reel 15.

(228) Wolfgang Koerber, "Der Zug der Hunderttausend," *Völkischer Beobachter* (20 October 1943).

(٢٢٩) عن المناشدات الموجّهة إلى وحدات الحماية، انظر:

Kirimal, Abdullah, and Loysal to Berger, 29 October 1943, Berlin, BAB, NS 31/32; and Schulte (SS Head Office), Internal Note ("Zurücknahme der Krimtataren bei Aufgabe der Krim durch die deutsche Wehrmacht"), 30 October 1943, BAB, NS 31/32,

وعن المناشدات الموجّهة إلى الفيرماخت ووزارة الشرق، وعن الطلب المقدَّم لإجلاء أبرز القادة المسلمين على الأقل، انظر:

Kornelsen, Internal Note ("Evakuierung der Krimtataren"), 11 November 1943, Berlin, BAB, R 6/143

ويقدِّم المصدر التالي سردًا للوضع الفوضوي في أثناء إجلاء القِرم:

Andreas Hillgruber, *Die Räumung der Krim 1944* (Berlin, 1959).

(230) Kirimal, Abdullah, and Loysal to Al-Husayni, 30 September 1943, Berlin, BAB, NS 31/32; and Schulte, Internal Note ("Zukünftiges Schicksal der Krim-Mohammedaner"), 2 October 1943, Berlin, BAB, NS 31/32.

(231) Kirimal to Kurkchi, 19 December 1943, n.p., BA–MA, RH 19V/96.

(232) Al-Husayni to Berger, 20 October 1944, Oybin, BAB, NS 31/32.

ويبدو أنه في شهور الحرب الأخيرة، تمكّنوا من نقل ألف مدني من تتر القِرم إلى ستيريا (Styria) [النمسا –م]، انظر:

Olzscha to Spaarmann, 4 November 1944, Berlin, BAB, NS 31/32.

(٢٣٣) حول ما جرى من إجلاء في القوقاز والقِرم، انظر:

Nekrich, *The Punished Peoples,* 36–65 (Caucasus) and 13–35 (Crimea); Pohl, *Ethnic Cleansing in the USSR,* 73–77 (Karachais), 87–92 (Balkars), 79–86 (Chechens and Ingush), and 109–118 (Crimean Tatars); and Naimark, *Fires of Hatred,* 85-107, esp. 92–99 (Caucasus) and 99–104 (Crimea);

وفي سياق أوسع، انظر الكتاب الكلاسيكي لكونكيست

Conquest, *The Nation Killers;* and Vera Tolz, "New Information about the Deportation of Ethnic Groups in the USSR during World War 2," in Carol Garrard and John Garrard (eds.), *World War 2 and the Soviet People* (London, 1993), 161-179;

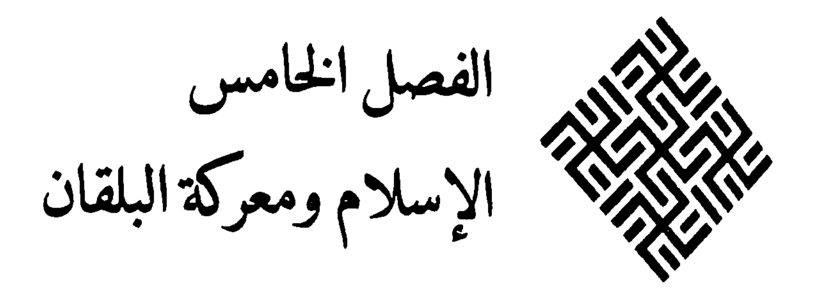
وعن القرم خاصة، انظر:

Alf Grannes, "The Soviet Deportation in 1943 of the Karachays: A Turkic Muslim People of North Caucasus," *Journal of Muslim Minority Affairs* 12, 1 (1991), 55-68; William Flemming, "The Deportation of the Chechen and Ingush Peoples: A Critical

Examination," in Fowkes (ed.), *Russia and Chechnia,* 65–86; Daniel Bohse, "Ahndung einer 'zweiten Front' im Kaukasus? Die Deportation der Tschetschenen und Inguschen in den Jahren 1942–1945 und die Mär von der kollektiven Kollaboration mit dem deutschen Aggressor," *Hallische Beiträge zur Zeitgeschichte* 9 (2001), 37–55; and, on the Crimea in particular, Fisher, *The Crimean Tatars,* 162–179; Williams, *The Crimean Tatars,* 382–90; Brian G. Williams, "The Hidden Ethnic Cleansing of Muslims in the Soviet Union: The Exile and Repatriation of the Crimean Tatars," *Journal of Contemporary History* 37, 3 (2002), 323–347; and Brian G. Williams, "Hidden Ethnocide in the Soviet Muslim Borderlands: The Ethnic Cleansing of the Crimean Tatars," *Journal of Genocide Research* 4, 3 (2002), 357–373.

(234) Nekrich, *The Punished Peoples,* 61–62.

(٢٣٥) مقتبسة من المرجع السابق، ص ٥٨، رغم أن ترجمتها خاطئة.



الفصل الخامس
الإسلام ومعركة البلقان

(1) Fedrigotti to Foreign Office, 27 April 1941, Belgrade, PA, R 60681.

(2) Fedrigotti to Foreign Office, 21 April 1941, Sarajevo, PA, R 60681 (also in PA, R 27363).

(3) Fedrigotti to Foreign Office, 19 April 1941, Ključ, PA, R 60681 (also in PA, R 27363); and Fedrigotti to Foreign Office, 27 April 1941, Belgrade, PA, R 60681.

(٤) عن الإسلام في البلقان، انظر:

Peter F. Sugar, *Southeastern Europe under Ottoman Rule, 1354–1804* (Seattle, WA, 1977);

وعن المرحلة الأخيرة، انظر:

Fikret Karčić, *The Bosniaks and the Challenge of Modernity: Late Ottoman and Hapsburg Times* (Sarajevo, 1999),

والذي يقدّم أيضًا عرضًا عامًّا جيدًا عن الإسلام تحت حكم الهابسبورغ. وعن الإسلام في عهد الهابسبورغ، انظر:

Robert J. Donia, *Islam under the Double Eagle: The Muslims of Bosnia and Hercegovina, 1978–1914* (New York, 1981); Ferdinand Hauptmann, "Die Mohammedaner in Bosnien-Hercegovina," in Adam Wandruszka and Peter Urbanitsch (eds.), *Die Habsburgermonarchie 1848–1918*, vol. 4 (*Die Konfessionen*) (Vienna, 1985), 670–701; Muhamed Mufaku al-Arnaut, "Islam and Muslims in Bosnia 1878–1918: Two Hijras and Two Fatwās," *Journal of Islamic Studies* 5, 2 (1994), 242–253; Rupert Klieber, *Jüdische–Christliche–Muslimische Lebenswelten der Donaumonarchie, 1848–1918* (Vienna, 2010), 157–168; Zlatko Hasanbegović, *Muslimani u Zagrebu, 1878–1945* (*Muslims in Zagreb, 1878–1945*) (Zagreb, 2007), 29–51; and Alexandre Popovic, *L'Islam balkanique: Les Musulmans du Sud-Est européen dans la période post-ottomane* (Berlin, 1986), 269–310.

وعن الإسلام في يوغوسلافيا ما بين الحربين، انظر:

Sabina Ferhadbegović, "Fes oder Hut? Der Islam in Bosnien zwischen den Weltkrie-

gen," *Wiener Zeitschrift zur Geschichte der Neuzeit* 5, 2 (2005), 69–85; Xavier Bougarel, "Farewell to the Ottoman Legacy? Islamic Reformism and Revivalism in Inter-War Bosnia-Herzegovina," in Clayer and Germain (eds.), *Islam in Inter-War Europe*, 313–343; Muhammed Aruçi, "The Muslim Minority in Macedonia and Its Educational Institutions during the Inter-War Period," in Clayer and Germain (eds.), *Islam in Inter-War Europe,* 344–361; Fikret Karčić, "The Reform of Shari'a Courts and Islamic Law in Bosnia and Herzegovina, 1918–1941," in Clayer and Germain (eds.), *Islam in Inter-War Europe,* 253–270; Fikret Karčić, *Šeriatski Sudovi u Jugoslaviji 1918–1941 (Shari'a Courts in Yugoslavia 1918–1941)* (Sarajevo, 1986); Atif Purivatra, *Jugoslovenska Muslimanska Organizacija u Političkom Životu Kraljevine Srba, Hrvata i Slovenaca (The Yugoslav Muslim Organization in the Political Life of the Kingdom of Serbs, Croats and Slovenes)* (Sarajevo, 1974); Musnija Kamberović, *Mehmed Spaho (1883–1939): Politička Biografija (Mehmed Spaho [1883–1939]: A Political Biography)* (Sarajevo, 2009); Hasanbegović, *Muslimani u Zagrebu,* 53–166; and Popovic, *L'Islam balkanique,* 310–336. An insightful German contemporary account is Ingomar Heyer, *Beiträge zur Kenntnis des Islam in Bosnien und der Hercegovina* (Tübingen, 1940).

(٥) درست المصادر المتعلقة بالمعركة الألمانية في أراضي مملكة يوغوسلافيا السابقة السكان المسلمين، على الرغم من عدم بحثها منهجيًا في السياسة الألمانية تجاه الإسلام. ويظل أشمل ما كُتب هو التالي:

Tomasevich, *War and Revolution in Yugoslavia,* esp. 466–510.

وعن البوسنة بشكل خاص، انظر:

Redžić, *Bosnia and Herzegovina in the Second World War,* esp. 4–62 and 164–196; Enver Redžić, *Muslimansko Autonomaštvo i 13. SS Divizija: Autonomija Bosne i Hercegovine i Hitlerov Treći Rajh (The Muslim Autonomist Movement and the 13th SS Division: Bosnia Herzegovina's Autonomy and Hitler's Third Reich)* (Sarajevo, 1987), esp. 81–90 and 149–153; Hoare, *Genocide and Resistance in Hitler's Bosnia;* Hoare, *The Bosnian Muslims in the Second World War;* and Emily Greble, *Sarajevo, 1941–1945: Muslims, Christians, and Jews in Hitler's Europe* (Ithaca, NY, 2011).

ومن بين الدراسات المهمّة عن المعركة الألمانية في المنطقة:

Martin Broszat and Ladislaus Hory, *Der Kroatische Ustascha-Staat 1941–1945* (Stuttgart, 1965); Gert Fricke, *Kroatien 1941–1944: Der "Unabhängige Staat" in der Sicht des deutschen Bevollmächtigten Generals in Agram Glaise v. Horstenau* (Freiburg, 1972); Paul N. Hehn, *The German Struggle against Yugoslav Guerrillas in World War II* (New York, 1979); Klaus Schmider, *Partisanenkrieg in Jugoslawien 1941–1945* (Hamburg, 2002); Meyer, *Blutiges Edelweiß;* Stevan K. Pavlowitch, *Hitler's New Disorder: The Second World War in Yugoslavia* (New York, 2008); and Ben

Shepherd, *Terror in the Balkans: German Armies and Partisan Warfare* (Cambridge, MA, 2012).

(٦) عن الإسلام في دولة الأوستاشا، انظر المصادر الواردة في الحاشية رقم (٥)، وخاصة:
Tomasevich, *War and Revolution in Yugoslavia,* 488–494; Redžić, *Bosnia and Herzegovina in the Second World War,* 68, 85–87, 166–169 and 172; Redžić, *Muslimansko Autonomaštvo i 13. SS Divizija,* 9–20; Hoare, *The Bosnian Muslims in the Second World War;* Greble, *Sarajevo,* esp. 58, 76–81, 84–85, 120–129, 192–195, 213–217, and 253; Hasanbegović, *Muslimani u Zagrebu,* 167–386; and Popovic, *L'Islam balkanique,* 336–342.

(٧) عن المسلمين في الحرب الأهلية، انظر المصادر الواردة في الحاشية رقم)٥)، وخاصةً:
Tomasevich, *War and Revolution in Yugoslavia,* 491–494; Redžić, *Bosnia and Herzegovina in the Second World War,* 63–118 and 169–177; Redžić, *Muslimansko Autonomaštvo i 13. SS Divizija,* 29–62; and Hoare, *The Bosnian Muslims in the Second World War,* as well as Edmond Paris, *Genocide in Satellite Croatia, 1941–1945: A Record of Racial and Religious Persecutions and Massacres* (Chicago, 1961), 119–126; Yeshayahu Jelinek, "Nationalities and Minorities in the Independent State of Croatia," *Nationalities Papers* 8, 2 (1980), 195–210, esp. 200–203; Yeshayahu Jelinek, "Bosnia-Herzegovina at War: Relations between Moslems and Non-Moslems," *Holocaust and Genocide Studies* 5, 3 (1990), 275–292; Tomislav Dulić, "Mass Killing in the Independent State of Croatia, 1941–45: A Case for Comparative Research," *Journal of Genocide Research* 8, 3 (2006), 255–281, esp. 265–270; Damir Mirković, "Victims and Perpetrators in the Yugoslav Genocide, 1941-1945: Some Preliminary Observations," *Holocaust and Genocide Studies* 7, 3 (1993), 317–332, esp. 321–322; Valeria Heuberger, "Islam and Muslims in Bosnia-Herzegovina during World War II: A Survey," in Lieve Gevers and Jan Bank (eds.), *Religion under Siege,* vol. 2 (Leuven, 2007), 175–193, esp. 183–188; and Alexander Korb, *Im Schatten des Weltkriegs: Massengewalt der Ustaša gegen Serben, Juden und Roma in Kroatien 1941–1945* (Hamburg, 2013), passim. For excellent overviews of the Muslims in the civil war in Bosnia, see Noel Malcolm, *Bosnia: A Short History* (London, 1994), 174–192; Marko Attila Hoare, *The History of Bosnia: From the Middle Ages to the Present Day* (London, 2007), 197–308; and Robert J. Donia, *Sarajevo: A Biography* (London, 2006), 168–203. Vladimir Dedijer and Antun Miletić (eds.), *Genocid nad Muslimanima, 1941-1945: Zbornik Dokumenata i Svedočenja* (*Genocide against the Muslims, 1941-1945: A Collection of Documents and Testimonies*) (Sarajevo, 1990), provide a selection of primary documents on the civil war and Četnik violence against Muslims.

(٨) أرسل زيغفريد كاشه (Seigfried Kasche)، المبعوث الألماني في زغرب، في الثامن عشر من فبراير/ شباط من عام ١٩٤٢، إلى برلين عددًا من العرائض المتعلقة بالجماعات المسلمة

المحلية لسُلطات الأوستاشا (المسلمة)، يشكون فيها من اضطهادهم الديني، انظر:
Kasche to Foreign Office, 18 February 1942, Zagreb, PA, R 60608, and, attached, Memorandum ("Beschwerde der muselmanischen Bezirksbeauftragten von Prijedor an einige angesehene Muselmanen"), 23 September 1941, Prijedor, PA, R 60608; and Memorandum ("Denkschrift des Sarajevo Ulema-Verein 'El Hidaja'"), 12 October 1941, PA, R 60608; and Memorandum ("Denkschrift der muselmanischen Vertreter aus Banja Luka"), 12 November 1941, Banja Luka, PA, R 60608.

(9) People's Committee ("Volkskomitee"), Memorandum, 1 November 1942, Sarajevo, PA, R 261144.

قيّم ضباط الجيش المذكرة (المكوّنة من أربعٍ وعشرين ورقة) أولاً ثم أرسلوها لهتلر في أواخر عام ١٩٤٢، انظر:
Wehrmacht Intelligence to Reich Chancellery, 28 December 1942, Berlin, PA, R 261144

ثم تداولت مستشارية الرايخ مع وزارة الخارجية حول المذكرة، انظر:
Stutterheim (Reich Chancellery) to Heimburg (Foreign Office), 4 January 1943, Berlin, PA, R 261144;

وأثار ذلك مناقشةً في الوزارة، انظر الوثائق الموجودة في: PA, R 261144

وعن المذكرة ومناشدات المسلمين للألمان والطليان، انظر:
Tomasevich, War and Revolution in Yugoslavia, 489 and 494–496; Redžić, Bosnia and Herzegovina in the Second World War, 19, 168, and 177–180; Redžić, Muslimansko Autonomaštvo i 13. SS Divizija, 71–79; Greble, Sarajevo, 163–166;

ولترجمة كرواتية كاملة للمذكرة، انظر:
Dedijer and Miletić (eds.), Genocid nad Muslimanima, 249–264.

وقد أرسل بعض الزعماء المسلمين المؤيدين للألمان عرائض مشابهة للألمان بعد الغزو في عام ١٩٤١، انظر:
Kuna to Hitler, 20 April 1941, Sarajevo, PA, R 60681; and Bosnian Representatives (signed by seventeen Muslims) to Command of the 132nd Division, 22 April 1941, Bosanska Krupa, PA, R 60681

وفي الأشهر التالية، تحول دعاة الاستقلال المسلمون إلى الألمان مرارًا. ففي خريف عام ١٩٤١، تواصل رئيس العلماء، فهيم سباهو؛ مع القنصلية الألمانية في سرايفو لطلب المساعدة، وفي أوائل عام ١٩٤٢ أرسل ممثل مسلم من البوسنة والهرسك مذكرة إلى القنصلية الألمانية في زغرب، موجهةً إلى مفتي القدس؛ يطالب فيها باستقلال المسلمين تحت الحماية الألمانية، انظر:
Kasche to Foreign Office, 18 February 1942, Zagreb, PA, R 60608; and, attached, Salihagić (head of the waqf committee for Bosnia and Hercegovina) to Al-Husayni, n.d. (January 1942), Banja Luka, PA, R 60608.

(10) People's Committee ("Volkskomitee"), Memorandum, 1 November 1942, Sarajevo, PA, R 261144.

(١١) المرجع السابق.

(١٢) يقدم ما يلي تأملات في مفهوم كاشه السياسي للإسلام والعالم الإسلامي:

Kasche to Foreign Office, 18 February 1942, Zagreb, PA, R 60608; Kasche to Foreign Office, 22 April 1942, Zagreb, PA, R 60607; and Kasche, Report ("Politische Gesichtspunkte für Propagandaarbeit in Kroatien"), n.d. (1943), Zagreb, PA, R 27795.

(١٣) عن التورط الألماني المكثف في البلقان في الفترة ما بين ١٩٤٢ و١٩٤٣، انظر المصادر الواردة في الحاشية رقم (٥).

(14) Lüters, Report ("Aufstandsbewegung der Cetniks"), 5 May 1943, n.p., BA–MA, RS 3–7/16.

(15) Wurianek (Army), Report ("Bericht über Bosnien"), 10 July 1943, Graz, BA–MA, RH 31III/5; and Wurianek, Speech ("Vortrag vor der Mannschaft der Kampftruppe Ost- und West-Bosnien"), 10 July 1943, Graz, BA–MA, RH 31III/5.

(16) SS Reich Security Head Office, Intelligence Report ("Muselmanenproblem") n.d., n.p., BAB, R 58/92;

ولرؤى مراقبين ميدانيين آخرين، انظر:

NSDAP Organization Croatia, Report ("Monatsbericht"), 31 December 1942, Sarajevo, BA–MA, RH 31III/5, which was forwarded by the *NSDAP Landesgruppenleiter* Rudolf Empting to Horstenau, 13 January 1943, Zagreb, BA–MA, RH 31III/5; and Hille (*Einsatzstab Reichsleiter Rosenberg*), Report, 19 August 1942, Zagreb, Russian State Military Archive (*Rossiiskii Gosudarstvenni Voennyi Arkhiv*), Moscow (RGVA), Special Collection (*Osobyi Archive*), accessed through USHMA, RG 11/ Reel 131.

(17) Meyer, *Blutiges Edelweiß*.

وكذلك وافق ممثلو وحدات الحماية ووزارة الخارجية على استغلال المسلمين، في سبيل إحلال السلام داخل السنجق، انظر:

Gredler (Foreign Office), Internal Note ("Bericht des Ustascha-Kommissars Murat Bayrović über die Lage im Sandschak"), 12 April 1943, Berlin, PA, R 100998.

وتصف المذكرات التالية التعاون مع المسلمين على الأرض:

Karl Wilhelm Thilo, "Der Einsatz auf dem Balkan," in Hubert Lanz (ed.), *Gebirgsjäger: Die 1. Gebirgsdivision 1935–1945* (Bad Nauheim, 1954), 242–277, esp. 253 and 245–246.

(١٨) عن ألبانيا تحت السيطرة الألمانية، انظر:

Bernd J. Fischer, *Albania at War 1939–1945* (London, 1999), 157–256; Bernd J. Fischer, "German Political Policy in Albania, 1943–1944," in Richard B. Spence and Linda Nelson (eds.), *Scholar, Patriot, Mentor: Historical Essays in Honor of Dimitrije Djordjević* (Boulder, CO, 1992), 219–233; Hubert Neuwirth, *Widerstand und*

Kollaboration in Albanien 1939–1944 (Wiesbaden, 2008); Christoph Stamm, "Zur deutschen Besetzung Albaniens 1943–1944," *Militärgeschichtliche Mitteilungen* 30, 2 (1981), 99–120; Noel Malcolm, *Kosovo: A Short History* (London, 1998), 304–313;

وعن الدين في ألبانيا زمن الحرب، يشير المرجع التالي إلى عدم التدخل الألماني في المؤسسات الإسلامية للبلاد أو في عمل العلماء، انظر:

Popovic, *L'Islam balkanique,* 36–42; and Roberto Morozzo della Rocca, *Nazione e religione in Albania (1920–1944)* (Bologna, 1990), 167–246.

(١٩) وعن مسلمي إقليم إيبيروس، انظر:

Mark Mazower, "Three Forms of Political Justice: Greece, 1944–1945," in Mark Mazower (ed.), *After the War Was over: Reconstructing the Family, Nation and State in Greece, 1943–1960* (Princeton, NJ, 2000), 24–41, 24–26; Meyer, *Blutiges Edelweiß,* 151–152, 204, 463–476, 539, and 620–621; and Fischer, *Albania at War,* 70–76, 85, and 168–169;

ولتقدير من منظور المسلمين التشام، انظر:

Beqir Meta, *The Cham Tragedy* (Tirana, 2007), 59–105;

والوثائق في:

Robert Elsie and Bejtullah D. Destani (eds.), *The Cham Albanians of Greece: A Documentary History* (London, 2013), 335–394.

لم يتطرّق هذا الفصل إلى السياسة الألمانية تجاه مسلمي اليونان. ويبدو أن الإسلام لم يلعب دورًا كبيرًا في سياسات الاحتلال في اليونان، على الرغم من أن مسئولي الجيش في بحر إيجه حاولوا استمالة شخصيات دينية، مثل: مفتي رودس، سليمان كاسلي أوغلو، لتحقيق الاستقرار لنظام الاحتلال الألماني، انظر:

Headquarters of Commander East-Aegean, Report ("Stimmungsbericht"), 17 November 1944, n.p., BA–MA, RH 19XI/38.

أخفى كاسلي أوغلو بعض لفائف التوراة التي لا تقدَّر بثمن في منبر مسجد مراد ريس في الجزيرة خلال الحرب، انظر:

Isaac Benatar, *Rhodes and the Holocaust: The Story of the Jewish Community from the Mediterranean Island of Rhodes* (Bloomington, IN, 2010), 22-23 and 84.

وقدّرت السُلطات العسكرية الألمانية أن اليونان المحتلّة يقطنها مائة وثلاثون ألفًا (١٣٠,٠٠٠) منهم، انظر

Headquarters of High Command Army Group E to Headquarters of Commander Southeast, n.d. (March 1944), n.p., BA-MA, RH 19XI/10b.

(20) Neubacher, *Sonderauftrag Südost,* 32–33 and, similarly, 160.

(٢١) المرجع السابق، ص ٣٢.

(٢٢) عن تقاطع الدين والسياسة في المناطق الإسلامية في البلقان، انظر:
Marco Dogo, "The Balkan Nation-States and the Muslim Question," in Marco Dogo and Stefano Bianchini (eds.), *Balkans: National Identities in a Historical Perspective* (Ravenna, 1998), 61–74; Pedro Ramet, "Religion and Nationalism in Yugoslavia," in Pedro Ramet (ed.), *Religion and Nationalism in Soviet and East European Politics* (Durham, NC, 1984), 149–169, 156–158; Ivo Banac, *The National Question in Yugoslavia: Origins, History, Politics* (Ithaca, NY, 1984), 359–378; and, more specifically, Ivo Banac, "Bosnian Muslims: From Religious Community to Socialist Nationhood and Post-Communist Statehood, 1918–1992," in Mark Pinson (ed.), *The Muslims of Bosnia and Herzegovina: Their Historical Development from the Middle Ages to the Dissolution of Yugoslavia* (Cambridge, MA, 1994), 129–153; and Mitja Velikonja, *Religious Separation and Political Intolerance in Bosnia-Herzegovina* (College Station, TX, 2003).

ويقدّم كتاب مارك مازوار (Mark Mazower) عرضًا ألمعيًا لجماعات البلقان قبل الدولة القومية وبعدها.

Mark Mazower, *The Balkans: A Short History* (London, 2000).

(٢٣) عن جولة المفتي في البلقان، انظر:
Schechtman, *The Mufti and the Fuehrer*, 139; Lebel, *The Mufti of Jerusalem*, 181–189; Gensicke, *The Mufti of Jerusalem and the Nazis*, 132–135; Tomasevich, *War and Revolution in Yugoslavia*, 498; Redžić, *Bosnia and Herzegovina in the Second World War*, 34, 39, and 182; Tomasevich, *Muslimansko Autonomaštvo i 13. SS Divizija*, 91–102; Greble, *Sarajevo*, 170–171; Hasanbegović, *Muslimani u Zagrebu*, 192–195, 208, 411,

(وصفحات ٥٠٦–٥٠٧ لتقرير من أمن الأوستاشا عن الزيارة)

(24) Berger to Himmler, 27 March 1943, Berlin, BAB, R 19/2255.

(25) Al-Husayni to Foreign Office, 30 April 1943, Berlin, PA, R 27322 (also in PA, R 100998).

أخفقت محاولات المسلمين لإرسال وفدٍ من البوسنة إلى المفتي في برلين؛ إذ لم يستجب كاشه لالتماس رُفِع إليه بهذا الشأن في أواخر عام ١٩٤١، انظر:

Salihagić (Head of the Waqf Committee of Bosnia and Hercevoina) to Kasche, 18 December 1941, Banja Luka, PA, R 60608.

ويبدو أن مذكّرة كانت قد رُفِعت إلى المفتي بالطلب نفسه في أوائل عام ١٩٤٢ لم تُحوَّل إليه أبدًا، انظر:

Salihagić to Al-Husayni (via German envoy in Croatia), n.d., Banja Luka, PA, R 60608.

عن تقييم كاشه لهذه المطالب، انظر:

Kasche to Foreign Office, 18 February 1942, Zagreb, PA, R 60608; and, on the objections of diplomats in Berlin, Heinburg (Foreign Office), Internal Note, 22 May 1942, Berlin, PA, R 60608.

ويزعم الحسيني في مذكراته أنه تلقى العديد من البرقيات من البوسنة تطلب اللقاء به في برلين، لكن وزارة الخارجية لم تأذن له بذلك، انظر مذكرات الحاج محمّد أمين الحسيني، ص١٣٧-١٣٨. وعن زيارة الوفد لروما، انظر:

Tomasevich, *War and Revolution in Yugoslavia,* 494–495; Redžić, *Bosnia and Herzegovina in the Second World War,* 175–176; and Redžić, *Muslimansko Autonomaštvo i 13. SS Divizija,* 64–67.

(26) Kramer, *Islam Assembled,* 132 and 162;

وعن تقييم الحسيني الخاص لفائدة هذه العلاقات في زمن الحرب، انظر: مذكرات الحاج أمين الحسيني، ص ١٣٧.

(27) Kasche to Foreign Office, 13 August 1942, Zagreb, PA, R 27327.

(٢٨) الاقتباس في المرجع السابق.

(29) Anonymous, "Der Großmufti von Jerusalem," *Völkischer Beobachter* (27 November 1942).

(30) Berger to Himmler, 27 March 1943, Berlin, BAB, NS 19/2255.

(٣١) المرجع السابق.

(32) Berger to Himmler, 19 April 1943, Berlin, BAB, NS 19/2255.

(٣٣) انظر الجدول السابق للمخُطط الزمني للرحلة.

(٣٤) المرجع السابق. وعن اجتماعاته، انظر: Kasche to Foreign Office, 12 April 1943, Zagreb, PA, R 27322; Ettel, Internal Note, 16 April 1943, Berlin, R 27322;

وعن رواية الحسيني نفسه لجولته وللاجتماعات التي عقدها مع الزعامات الدينية، انظر: مذكرات الحاج أمين الحسيني، ص ١٣٨-١٤٠، ص١٤٣.

(٣٥) مذكرات الحاج أمين الحسيني، ص ١٤٣.

(36) Winkler, Report ("Die politische Lage der Mohammedaner Bosniens"), 4 May 1943, Berlin, PA, R 67675 (also in PA, R 261144).

(37) German News Agency, Confidential Report ("Vertrauliches Rohmaterial"), 16 April 1943, Zagreb, PA, R 27327.

(38) Winkler, Report ("Die politische Lage der Mohammedaner Bosniens"), 4 May 1943, Berlin, PA, R 67675 (also in PA, R 261144).

(39) German News Agency, Confidential Report ("Vertrauliches Rohmaterial"), 16 April 1943, Zagreb, PA, R 27327.

(40) German News Agency, Confidential Report ("Vertrauliches Rohmaterial"), 21 April 1943, Zagreb, PA, R 27322.

(41) US Intelligence (FBIS), Report, 22 April 1943, USNA, accessed through USHMA, RG 6, Reel 22.

(42) Al-Husayni to Foreign Office, 30 April 1943, Berlin, PA, R 27322.

(43) Berger to Himmler, 19 April 1943, Berlin, BAB, NS 19/2255; and similarly, ten days later, Berger to Himmler, 29 April 1943, Berlin, BAB, NS 19/2601.

(44) Berger to Himmler, 19 April 1943, Berlin, BAB, NS 19/2255.

(45) Lüters, Report ("Aufstandsbewegung der Cetniks"), 5 May 1943, n.p., BA-MA, RS 3-7/16.

(٤٦) **مذكرات الحاج أمين الحسيني**، ص ١٣٩. وقد شكا الأمر نفسه إلى إيتل بعد عودته إلى برلين، انظر:

to Ettel, Internal Note, 16 April 1943, Berlin, PA, R 27322.

(47) Woermann, Internal Note, 29 April 1943, Berlin, USHMA, RG 71, Box 91.

(48) Berger to Himmler, 19 April 1943, Berlin, BAB, NS 19/2255.

(٤٩) المرجع السابق.

(50) Phleps (Commander of the Seventh Volunteer SS Mountain Division "Prinz Eugen") to Jüttner (Chief of the SS Leadership Head Office), 19 April 1943, n.p., BAB, NS 19/2601; this report was forwarded by Jüttner to Himmler, 27 April 1943, Berlin, BAB, NS 19/2601.

(51) Anonymous, "Der Großmufti in Agram," *Deutsche Allgemeine Zeitung* (3 April 1943).

(52) Berger to Himmler, 19 April 1943, Berlin, BAB, NS 19/2255.

أوضح كاشه أنه لم يستقبل المفتي؛ لأنه اعتقد أن الرحلة كانت ذا «طابع شخصي» بالكامل، انظر:

Kasche to Foreign Office, 12 April 1943, Zagreb, PA, R 27322;

وشكا ڤيرمان من أنه «لا وزارة الخارجية ولا السفارة الإيطالية أُبلِغتا بالرحلة مسبقًا»، انظر: Woermann, Internal Note, 31 March 1943, Berlin, PA, R 27322 (also in PA, R 100999).

وكذلك أشار پروفه إلى أن الحسيني زار كرواتيا بغير علم وزارة الخارجية والطليان، انظر: McKale (ed.), *Rewriting History,* 67-68 (entry 3 April 1943).

وبالفعل، علِم ريبّنتروپ بالجولة وعيَّن الدبلوماسي وقائد الوحدات المحنَّك إرڤن إيتل للتعامل مع المشكلة. وقد كتب إيتل بعض التقارير عن مخطَّط الزيارة وتنفيذه، انظر:

Ettel, Internal Note, 19 March 1943, Berlin, PA, R 27322; Ettel, Internal Note ("Aufstellung einer bosnischen Division"), Berlin, 22 March 1943, PA, R 27322; Ettel, Internal Note, Berlin, 25 March 1943, PA, R 27322; Ettel, Internal Note ("Werbung für die Aufstellung einer mohammedanischen Division in Kroatien"), 26 March 1943, Berlin, PA, R 27322;

والمذكِّرة التالية بناها إيتل على حوار مع الحسيني بعد الجولة:

Ettel, Internal Note, Berlin, 16 April 1943, PA, R 27322.

(53) Kasche to Foreign Office, 28 April 1943, Zagreb, PA, R 100998.

(54) Winkler, Report ("Die politische Lage der Mohammedaner Bosniens"), 4 May 1943, Berlin, PA, R 67675 (also in PA, R 261144).

عن إقامة ڤينكلر في سرايڤو وزغرب في الفترة ما بين الرابع عشر والثاني والعشرين من إبريل/ نيسان في عام ١٩٤٣، انظر:

Kasche to Foreign Office, 28 April 1943, Zagreb, PA, R 100998; and, attached, German Legation in Zagreb, Report ("Unterredungen in Sarajevo"), n.d. (28 April 1943), Zagreb, PA, R 100998.

ونجد تقييمًا نقديًا آخر لزيارة المفتي في:

Veesenmayer (Foreign Office), Internal Note ("Bericht über Kroatien"), 3 April 1943, Berlin, PA, R 261144.

(55) Winkler, Report ("Die politische Lage der Mohammedaner Bosniens"), 4 May 1943, Berlin, PA, R 67675 (also in PA, R 261144).

(٥٦) المرجع السابق.

(٥٧) عن ڤينكلر، انظر:

Horst Junginger, "Ein Kapitel Religionswissenschaft während der NS-Zeit: Hans Alexander Winkler (1900–1945)," *Zeitschrift für Religionswissenschaft* 3 (1995), 137–161; and Horst Junginger, "Das tragische Leben von Hans Alexander Winkler (1900–1945) und seiner armenischen Frau Hayastan (1901–1937)," *Bausteine zur Tübinger Universitätsgeschichte* 7 (1995), 83–110.

(٥٨) عن زيارة الحسيني لڤيينا، انظر:

Berger to Himmler, 19 April 1943, Berlin, BAB, NS 19/2255; and Ettel, Internal Note, 16 April 1943, Berlin, PA, R 27322.

(٥٩) انظر الوثائق المحفوظة في دار محفوظات مدينة ڤيينا عن العلاقات بين السُّلطات الألمانية ومسلمي ڤيينا، وعن مأسسة الجماعة المسلمة في المدينة في أثناء الحرب:

(*Wiener Stadt- und Landesarchiv*), Vienna (WstLArch), M. Abt. 119, A 32, 196/1943, as well as in PA, R 269669.

(٦٠) انظر الوثائق الموجودة في دار المحفوظات الوطنية في جمهورية التشيك عن الجماعة المسلمة في محمية بوهيميا ومورافيا في أثناء الحرب:

Národní Archiv České Republiky), Prague (NAČR), accessed through Center for Modern Oriental Studies (*Zentrum Moderner Orient*), Berlin (ZMO), Höpp Papers, Box 1,20.

(61) Harrison to Hull (Secretary of State), 13 April 1943, Bern, USNA, accessed through USHMA, RG 6, Reel 22.

(٦٢) المرجع السابق.

(63) Propaganda Division South-East, Report ("Lage- und Tätigkeitsbericht für den Mo-

nat August 1942"), 4 September 1942, Belgrade, BA–MA, RW 4/232.

(64) Propaganda Brochure "Život Muslimana u Njemačkoj" ("The Life of the Muslims in Germany"), n.d. (February 1943), BA–MA, RH 45/73.

(٦٥) صحيفة البيانات:

"Islam i Židovstvo" ("Islam and Judaism"), n.d. (February 1943), BA–MA, RH 45/76; and, on the content, Thomas Casagrande, *Die volksdeutsche SS-Division "Prinz Eugen": Die Banater Schwaben und die nationalsozialistischen Kriegsverbrechen* (Frankfurt, 2003), 333; and Lebel, *The Mufti of Jerusalem,* 311–319,

التي تضمنت الترجمة الكاملة للكتيب

(66) Pamphlet "Muslimani!" ("Muslims!"), n.d., BA–MA, RH 45/51; and, for the German translation,

انظر منشور:

"Muselmanen!" (German translation), June 1943, BA–MA, RH 45/51;

للحصول على تفاصيل حول الكتيب وتوزيعه، انظر صحيفة البيانات:

"Muslimani!," June 1943, BA–MA, RH 45/51.

(67) Pamphlet "Kämpfer des NOV!" (German translation), n.d., BA–MA, RH 45/49.

(68) Pamphlet "Braćo muslimani!" ("Muslim Brothers!"), n.d., BA–MA, RH 45/51.

(69) Pamphlet "Muslimani Bosne i Hercegovine!" ("Muslims of Bosnia and Herzegovina!"), n.d., BA–MA, RH 45/59.

(70) Pamphlet "Treba li Staljinov plan da bude stvarnost?" ("Must Stalin's Plan Become a Reality?"), n.d., BA–MA, RH 45/53.

(71) Pamphlet "Borci bosanskih i muslimanskih brigada!" ("Fighters of the Bosnian and Muslim Brigades"), n.d., BA–MA, RH 45/61.

(72) Pamphlet "353 ubijenih Muslimana obtužuju Titu u području Vlasenice" ("353 Murdered Muslims Accuse Tito in the Vlasenica Area"), n.d., BA–MA, RH 45/53.

(73) Pamphlet "Pucaj sa topom u džamiju!" ("Fire at the Mosque with the Cannon!"), n.d., BA–MA, RH 45/59.

(74) Pamphlet "Borci Muslimani" ("Muslim Fighters"), n.d., BA–MA, RH 45/59.

(75) Pamphlet "Braćo Muslimani!" ("Muslim Brothers!"), n.d., BA–MA, RH 45/59.

(٧٦) الملصق (n.d., BA–MA, RH 45/54;)، طُبع من الملصق ثمانية آلاف نسخة في السابع من فبراير/ شباط ١٩٤٤، ووضع في سراييفو وبانيا لوكا ودوبروفنيك، والمدن الأخرى في التاسع من فبراير/ شباط ١٩٤٤، انظر صحيفة البيانات في (BA–MA, RH 45/54)، وللملصق الذي يصور روزفلت: (BA-MA, RH 45/54)، وقد طُبع من هذا المنشور عشرة آلاف نسخة في الأول من مارس/ آذار ١٩٤٤، ووضع في العاشر من مارس/ آذار ١٩٤٤ في سرايفو وبانيا لوكا ودوبروفنيك، والمدن الأخرى، انظر صحيفة البيانات في (BA-MA, RH 45/54).

(77) Pamphlet "Muslimani, Katolici i Pravoslavci Bosne" ("Muslims, Catholics and Orthodox of Bosnia"), n.d., BA–MA, RH 45/48; and, for the German translation, see Pamphlet "Muselmanen, Katholiken, Pravoslaven Bosniens" (German translation), n.d., BA–MA, RH 45/48; Pamphlet "Kroaten und Serben: Muselmanen, Katholiken und Pravoslaven" (German translation), n.d. (October 1943), BA–MA, RH 37/6853; and Pamphlet "Poštenim Hrvatima, Muslimanima i Pravoslavcima u partizanskim redovima!" ("Honest Croatians, Muslims and Orthodox in the Ranks of the Partisans!"), n.d., BA–MA, RH 45/59.

(78) Pamphlet "Muslimani, Katolici i Pravoslavci" ("Muslims, Catholics and Orthodox"), n.d., BA–MA, RH 45/48; and, for the German translation, see Pamphlet "Muselmanen, Katholiken und Pravoslaven" (German translation), n.d., BA–MA, RH 45/48.

(79) Headquarters of Army Group F, Report ("Aktennotiz über Besprechung mit dem Sonderbevollmächtigten des Auswärtigen Amtes, Minister Neubacher, am 30،7،1944"), 31 July 1944, n.d., MA, RH 19XI/29.

(80) Office for Political and Ideological Education of the 13th SS Division, Structure Plan, 2 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(81) Wangemann (Chief of the Office for Political and Ideological Education of the 13th SS Waffen Mountain Division "Handžar"), Report ("Tätigkeitsbericht der Abt. VI"), 4 April 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(٨٢) المرجع السابق.

(٨٣) المرجع السابق؛

Wangemann to Sauberzweig (Commander of the 13th SS Waffen Mountain Division "Handžar"), 10 April 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(84) Propaganda Division (*Waffen-SS Standarte "Kurt Eggers"*) to Brandt, Berlin, 8 November 1943, BAB, NS 19/2601.

(85) Wangemann, Report ("Tätigkeitsbericht der Abt. VI"), 4 April 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(86) Sauberzweig, Propaganda Letter "Moji dragi momci!" ("My dear lads!"), 28 February 1944, n.p., BAB, NS 19/2601; and, for the German translation, see Sauberzweig, Propaganda Letter "Meine lieben Männer" (German translation), 25 February 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(87) Pamphlet (Draft) "An alle Flüchtlinge!" (German translation), n.d., BAB, NS 19/2601.

(88) Pamphlet "Bosniaken und Bosniakinen!" (German translation), n.d., BAB, NS 19/2601.

(٨٩) عن كولينوفيتش وخادجيتش، انظر المصادر الواردة في الحاشية رقم (٦). هاجر كولينوفيتش بعد الحرب إلى دمشق، ونشر كتابًا عن الفظائع الصّربية بحق المسلمين في البلقان، انظر:

Anonymous (Džafer Kulenović), *A Message of Croat-Moslems to Their Religious Brethren in the World* (Chicago, 1949).

(90) Requard (German Legation in Zagreb), Report ("Bericht über Dienstreise nach Sarajevo"), 2 June 1943, Zagreb, PA, R 261144 (also in USHMA, RG 71, Box 237).
بنى ريقوارد (Requard) تقييمه على أساس مشاورات جرت مع زعامات مسلمة، وخاصة علي أغانوڤيتش (Ali Aganović).

(91) Katschinka (German Legation in Zagreb), Report ("Muselmanen"), 27 March 1943, Zagreb, PA, R 261144 (also in USHMA, RG 71, Box 237).

(٩٢) عن تاريخ المؤسسات الإسلامية، انظر:
Donia, *Islam under the Double Eagle,* 19–22; Hauptmann, "Die Mohammedaner in Bosnien-Hercegovina," 685–690; Al-Arnaut, "Islam and Muslims in Bosnia 1878–1918," 250–251; Klieber, *Jüdische–Christliche–Muslimische Lebenswelten der Donaumonarchie,* 159–63; Karčić, *Bosniaks and the Challenge of Modernity,* 124–139; Fikret Karčić, "The Office of Ra'īs al-'Ulamā" among the Bosniaks (Bosnian Muslims)," *Intellectual Discourse* 5, 2 (1997), 109–120; Karčić, *Šeriatski Sudovi u Jugoslaviji 1918–1941;* Karčić, "The Reform of Shari'a Courts and Islamic Law"; Bougarel, "Farewell to the Ottoman Legacy?," 317; Popovic, *L'Islam balkanique,* 273–278, 316–319, and 339; and, for an overview, Ferhat Šeta, *Reis-ul-Uleme u Bosni i Hercegovini i Jugoslaviji od 1882 do 1991 Godine* (*The Reis-ul-Ulema in Bosnia and Herzegovina and Yugoslavia from 1882 to 1991*) (Sarajevo, 1991).

(٩٣) عن سپاهو، انظر:
Tomasevich, *War and Revolution in Yugoslavia,* 467 and 490; Redžić, *Bosnia and Herzegovina in the Second World War,* 78 and 86–87; Bougarel, "Farewell to the Ottoman Legacy?," passim; Greble, *Sarajevo,* esp. 30–37, 64–65, 76–81, 85, 96, 99, 101, 112–113, 115, 124, 126, and 166; Hasanbegović, *Muslimani u Zagrebu,* passim; and Popovic, *L'Islam balkanique,* 339.

(٩٤) عن باشيتش، انظر:
Redžić, *Bosnia and Herzegovina in the Second World War,* 174; Redžić, *Muslimansko Autonomaštvo i 13. SS Divizija,* 91; Greble, *Sarajevo,* 161–162 and 217; Hasanbegović, *Muslimani u Zagrebu,* 293; and Popovic, *L'Islam balkanique,* 339.

(95) Greble, *Sarajevo,* 32 and 166; and note 9.

(٩٦) عن الخانجي، انظر:
Redžić, *Bosnia and Herzegovina in the Second World War,* 189; Bougarel, "Farewell to the Ottoman Legacy?," passim; Greble, *Sarajevo,* 34, 78, 126, and 214; and Hasanbegović, *Muslimani u Zagrebu,* 119, 205–207, 210, and 261.

(٩٧) عن الهداية ومنظمة الشباب المسلم، انظر:
Redžić, *Bosnia and Herzegovina in the Second World War,* 103, 105, and 169; Redžić, *Muslimansko Autonomaštvo i 13. SS Divizija,* 16, 123, 142–143, and 205–206; Karčić, "Reform of Shari'a Courts and Islamic Law," 268; Bougarel, "Farewell to the Ottoman Legacy?," passim; Fikret Karčić, "From Young Muslims to Party of Demo-

cratic Action: The Emergence of a Pan-Islamist Trend in Bosnia-Herzegovina," *Islamic Studies* 36, 2/3 (1997), 533–549; Greble, *Sarajevo,* esp. 33–34, 78, 160–163, 175–176, 184–185, 200–201, 214, 217, and 235; Hasanbegović, *Muslimani u Zagrebu,* passim; Popovic, *L'Islam balkanique,* 321, 328, and 340; and, on Izetbegović, Noel Malcolm, *Bosnia: A Short History* (London, 1994)[(أ)], 208.

(98) Mehmed Handžić, "Palestinski veliki muftija u Sarajevu" ("The Palestinian Grand Mufti in Sarajevo"), *El-Hidaje* 6, 9 (5 May 1943), 250–252;

يتضمن المقال نصَّ الخطاب الذي ألقاه الحسيني عقب صلاة الجمعة في مسجد غازي خسرو بك في سراييڤو (٢٥١)، وطُبعت صورة شخصية للمفتي على الصفحة الأولى من عدد مجلّة الهداية مؤرشفة في مكتبة غازي خسرو بك بسراييڤو:

(*Gazi Husrev-Begova Biblioteka*), Sarajevo (GHB).

(99) German Legation in Zagreb, Report ("Unterredungen in Sarajevo"), n.d. (28 April 1943), Zagreb, PA, R 100998.

(١٠٠) عن أغانوڤيتش، انظر:

Tomasevich, *War and Revolution in Yugoslavia,* 491; Greble, *Sarajevo,* 128; and Hasanbegović, *Muslimani u Zagrebu,* 293, 341,

ولخطابه الذي ألقاه في افتتاح مسجد زغرب، ص ص ٥١٩–٥٢٠.

(101) Requard, Report ("Bericht über Dienstreise nach Sarajevo"), 2 June 1943, Zagreb, PA, R 261144 (also in USHMA, RG 71, Box 237).

(102) German Legation in Zagreb, Report ("Unterredungen in Sarajevo"), n.d. (28 April 1943), Zagreb, PA, R 100998.

(103) British Security Service, Monitoring Intelligence Sheet, 19 December 1942, London, NA, KV 2/2085.

(١٠٤) عن پانچا، انظر:

Tomasevich, *War and Revolution in Yugoslavia,* 411, 495, and 503–504; Redžić, *Bosnia and Herzegovina in the Second World War,* 103, 174, 184–185, and 224; Redžić, *Muslimansko Autonomaštvo i 13. SS Divizija,* 22–23, 139–143, and 147; Bougarel, "Farewell to the Ottoman Legacy?," 324–325; Greble, *Sarajevo,* 173–174, 184–186, 192, and 237; and Hasanbegović, *Muslimani u Zagrebu,* 79–81, 205–210 and 345–346.

ولتقرير مفصَّل عن پانچا قدّمه إمام فرقة الخنجر حسن بايراكتاريڤيتش، انظر:

Bajraktarević to Phleps, 15 November 1943, Mostar, BAB, NS 19/2601.

(١٠٥) عن المرحمة، انظر:

(أ) نُقل إلى العربية، وصدر بعنوان: البوسنة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧). (المترجم)

Tomasevich, *War and Revolution in Yugoslavia,* 409, 411, and 495; Redžić, *Bosnia and Herzegovina in the Second World War,* 174; Redžić, *Muslimansko Autonomaštvo i 13. SS Divizija,* 123 and 142–143; Greble, *Sarajevo,* esp. 34, 106, 139–141, 173–176, 213–217, 235, and 245–246; and Popovic, *L'Islam balkanique,* 285, 287, 321, and 340;

ولنظرة عامة تاريخية نشرتها الجمعية نفسها، انظر:

Uzeir Bavčić, *"Merhamet" (1913–2003)* (Sarajevo, 2003).

(106) Greble, *Sarajevo,* 174.

(107) Langenberger (Headquarters of the 369th Infantry Division), Report ("Niederschrift über eine Besprechung am 17،9،43 mit dem 2. Sekretär der 'Muslimansko Dobrotvorno Društvo: Merhamet Sarajevo' namens Mechmed Tokitsch"), 17 September 1943, n.p., BAB, NS 19/3893 (also in BA–MA, N 756/183b).

(108) Berger to Himmler, n.d. (January 1944), Berlin, BAB, NS 19/319; and similarly, Berger to Himmler, 12 January 1944, Berlin, BAB, NS 19/2601.

(109) Meine (Himmler's Staff) to Berger, n.d. (January 1944), n.p., BAB, NS 19/319.

(110) Langenberger, Report ("Niederschrift über eine Besprechung am 17،9،43 mit dem 2. Sekretär der 'Muslimansko Dobrotvorno Društvo: Merhamet Sarajevo' namens Mechmed Tokitsch"), 17 September 1943, n.p., BAB, NS 19/3893 (also in BA–MA, N 756/183b); this report was forwarded by Phleps (Commander of the V SS Mountain Corps) to Himmler, 5 November 1943, n.p., BAB, NS 19/3893.

(111) Schulte to Brandt, 11 January 1944, Berlin, BAB, NS 19/3893 (also in BA–MA, N 756/183b).

(١١٢) عن حركة التحرير الإسلامية، انظر:

Tomasevich, *War and Revolution in Yugoslavia,* 503–504; Redžić, *Bosnia and Herzegovina in the Second World War,* 103, 184–185, and 224; Redžić, *Muslimansko Autonomaštvo i 13. SS Divizija,* 139–143; Greble, *Sarajevo,* 184–186 and 192; and Hasanbegović, *Muslimani u Zagrebu,* 208–210.

(113) Pandža, Pamphlet (German translation), n.d. (10 January 1944), BA–MA, RH 19XI/10a (also in BAB, NS 19/2601).

(114) Headquarters of the 2nd Panzer Army to Headquarters of Army Group F, 8 January 1944, n.p., BA–MA, RH 19XI/10a; and, for a similar assessment, Bajraktarević to Phleps, 15 November 1943, Mostar, BAB, NS 19/2601.

(115) Kasche, Internal Note ("Unterhaltung mit dem Führer am 29،10،1943 im Hauptquartier"), 11 November 1943, Zagreb, PA, Nachlass Kasche, vol. 23.

(116) Posch (Waffen-SS), Report ("Abschlussbericht über die Tätigkeit als F.O. in Kroatien vom 10،3،1943--1،1،1944"), 30 December 1943, Zagreb, BAB, NS 19/319.

(117) Anonymous, "Les Musulmans de Bosnie et d'Herzégovine meurent de faim: Nahas Pacha accorde 20،000 livres pour leur venir en aide," *La Bourse Egyptienne* (20 June 1944).

بل إن الخارجية المصرية تواصلت مع السفارة البريطانية في القاهرة حول هذا الموضوع، لكن البريطانيون ردُّوا ببرود وألمحوا إلى التحرشات الإسلامية والتعاون مع الألمان، انظر:
letter exchange in NA, FO 141/946.

وانظر الوثائق الموجودة في (NA, FO 536/7)؛ إذ تواصلت الحكومة التركية بالفعل مع البريطانيين في ربيع عام ١٩٤٣ حول فظائع التشيتنيك في حق المسلمين، وخاصةً في السنجق. لكن بعد أن نوقش الأمر بين وزارة الخارجية البريطانية وحكومة يوغوسلافيا في المنفى ومُحاسيلوڤيتش، رفضت لندن الاتهامات رسميًا، وألمحت بدلًا من ذلك إلى مجازر المسلمين في حق الصِّرب الأرثوذكس والتعبئة الألمانية للمسلمين. وعن الدور البريطاني في البلقان في أثناء الحرب، انظر:

Walter R. Roberts, *Tito, Mihailović and the Allies, 1941–1945* (New Brunswick, NJ, 1973); Michael McConville, *A Small War in the Balkans: British Military Involvement in Wartime Yugoslavia, 1941–1945* (London, 1986); M. Deroc, *British Special Operations Explored: Yugoslavia in Turmoil, 1941–1943, and the British Response* (Boulder, CO, 1988); and Simon Trew, *Britain, Mihailović, and the Chetniks, 1941–1942* (New York, 1998).

(118) Kammerhofer to Himmler, 11 January 1944, Zagreb, BAB, NS 19/319.

(119) Sauberzweig to Berger, 5 November 1943, n.p., BAB, NS 19/2601; and, on the second collection, Himmler to Berger and Jüttner, 16 November 1943, n.p., BAB, NS 19/2601.

(120) Berger to Himmler, 12 January 1944, Berlin, BAB, NS 19/2601.

(121) Brandt to Berger, 31 January 1944, n.p., BAB, NS 19/2601; and on the actual transfer, documents in BAB, NS 19/2601.

(122) Berger to Himmler, n.d. (January 1944), Berlin, BAB, NS 19/319.

(123) Wangemann, Report ("Tätigkeitsbericht der Abt. VI"), 4 April 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(124) Krempler to Neubacher and Behrends (Higher SS and Police Leader Serbia), 20 April 1944, n.p., BAB, NS 19/3630.

(125) Muslim Representatives of the Sandžak (Landesausschuss der Muselmanischen Volksvereinigung Sandschak) to Hitler (German translation), n.d. (spring 1944), n.p., BAB, NS 19/3630.

حوّل كرمپلر الخطاب لنيوباخر وبراندس في الرابع والعشرين من إبريل/ نيسان من عام ١٩٤٤:
n.p., BAB, NS 19/3630

ثم حوله براندس إلى برانت في اليوم نفسه في بلغراد، انظر:

BAB, NS 19/3630; Brandt to Behrends, 15 June 1944, n.p., BAB, NS 19/3630;

وقد أمر هملر بإرساله إلى هتلر، مشفوعًا بطلب الإجابة، انظر:

Brandt to Fegelein (Hitler's Staff), 13 June 1944, n.p., BAB, NS 19/3630.

(126) Brandt to Behrends, 7 July 1944, n.p., BAB, NS 19/3630.

(127) Behrends to Himmler, 31 July 1944, Belgrade, BAB, NS 19/3630.

(128) Brandt to Behrends, 18 September 1944, n.p., BAB, NS 19/3630; and Venn (Himmler's Staff) to Propaganda Division (*Waffen-SS Standarte "Kurt Eggers"*), 18 September 1944, n.p., BAB, NS 19/3630.

(129) Sauberzweig, Guidelines ("Richtlinien für die Sicherung des Landfriedens in Bosnien"), 9 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2145 (also in PA, R 100998). On the guidelines, see also Tomasevich, *War and Revolution in Yugoslavia,* 499; Redžić, *Bosnia and Herzegovina in the Second World War,* 45–46; and Redžić, *Muslimansko Autonomaštvo i 13. SS Divizija*, 166–167.

(130) *Die Tagebücher von Joseph Goebbels,* ed. Fröhlich, part II, vol. 12, 184–191 (26 April 1944), 188.

(131) Brandt to Phleps, 20 November 1943, n.p., BAB, NS 19/3893.

أعلن هملر هذا التصريح ردًا على خطاب فيليپ في الخامس من نوفمبر/ تشرين الثاني في عام ١٩٤٣ عن توكيتش والاستقلاليين، انظر الحاشية رقم (١١٠).

(132) Neubacher to Foreign Office, 9 April 1944, Belgrade, PA, R 101101.

(133) Winkelbrandt (Headquarters of the 373rd Infantry Division), Report ("Feindnachrichtenblatt Nr. 7"), 16 July 1944, n.p., BA–MA, RH 37/6931.

(١٣٤) عن الجماعات الإسلامية للدفاع عن النفس والكوادر الخضراء، انظر:
Tomasevich, *War and Revolution in Yugoslavia,* 504; Redžić, *Bosnia and Herzegovina in the Second World War,* esp. 105–110 and 183–191; and Redžić, *Muslimansko Autonomaštvo i 13. SS Divizija,* esp. 120–123, 147–149, 185–186, and 207.

(135) Winkelbrandt, Report ("Feindnachrichtenblatt Nr. 6"), 17 June 1944, n.p., BA–MA, RH 37/6931; and, for a general military assessment of the Muslim militias, see all reports by Winkelbrandt in BA–MA, RH 37/6931.

(١٣٦) عن تجنيد التشيتنيك للمسلمين، انظر:
Tomasevich, *War and Revolution in Yugoslavia,* 494 and 501; Jozo Tomasevich, *The Chetniks* (Stanford, CA, 1975), 105 and 240; Redžić, *Bosnia and Herzegovina in the Second World War,* esp. 97–98, 143–146, and 174; and Redžić, *Muslimansko Autonomaštvo i 13. SS Divizija,* esp. 105–108, 168–169, and 207–211.

(137) *Ein General im Zwielicht,* vol. 3, 284-303 (October 1943). 294.

(138) Quoted in Vladimir Dedijer, *The War Diaries of Vladimir Dedijer,* vol. 3 (from September 11, 1943, to November 7, 1944) (Ann Arbor, MI, 1990), 131 (entry 6 November 1943).

(١٣٩) عن تجنيد تيتو للمسلمين، انظر:
Tomasevich, *War and Revolution in Yugoslavia,* 502–504 and 506–510; Redžić, *Bosnia and Herzegovina in the Second World War,* esp. 170, 183–191 and 206–209; and

Redžić, *Muslimansko Autonomaštvo i 13. SS Divizija,* esp. 108–110, 127–128, 157–159, and 211–212; and, on the propaganda brochure, Popovic, *L'Islam balkanique,* 341–342.

(١٤٠) عن المجازر الألمانية بحق المسلمين والهجوم على المؤسسات الإسلامية، انظر:
Tomasevich, *War and Revolution in Yugoslavia,* 503–504; Redžić, *Bosnia and Herzegovina in the Second World War,* 35 and 188; and Greble, *Sarajevo,* 183 and 213–214.

(141) Quoted in Klaus Latzel, "Tourismus und Gewalt: Kriegswahrnehmung in Feldpostbriefen," in Hannes Heer and Klaus Naumann (eds.), *Vernichtungskrieg: Verbrechen der Wehrmacht, 1941–1944* (Hamburg, 1995), 447–459, 450.

(١٤٢) عن تحول اليهود إلى الإسلام، انظر:
Tomasevich, *War and Revolution in Yugoslavia,* 543–544; Redžić, *Bosnia and Herzegovina in the Second World War,* 78 and 172; Redžić, *Muslimansko Autonomaštvo i 13. SS Divizija,* 20; Jelinek, "Nationalities and Minorities," 201; Jelinek, "Bosnia-Herzegovina at War," 284 and 286–287; and Greble, *Sarajevo,* esp. 17, 93–97, 112–113, 115, 117–118, 120–121, 124–125, and 243; Donia, *Sarajevo,* 174 and 176–179;

ولعرض أكثر عمومية عن سياسة التحول الديني في دولة الأوستاشا، انظر:
Mark Biondich, "Religion and Nation in Wartime Croatia: Reflections on the Ustaša Policy of Forced Religious Conversions, 1941–1942," *Slavonic and East European Review* 83, 1 (2005), 71–116.

(143) Robert J. Donia, *Sarajevo: A Biography* (London, 2006), 178–179.

(144) Fedrigotti to Foreign Office, 21 April 1941, Sarajevo, PA, R 60681 (also in PA, R 27363).

(145) Greble, *Sarajevo,* 106 and 140–141.

(146) Martin Gilbert, *The Righteous: The Unsung Heroes of the Holocaust* (London, 2002), 204–205; Greble, *Sarajevo,* 37–38 and 132; and, on the scripture, Cecil Roth (ed.), *The Sarajevo Haggadah* (London, 1963).

(147) Gilbert, *The Righteous,* 208–209; and Norman Gershman, *Besa: Muslims Who Saved Jews in World War II* (Syracuse, NY, 2008).

(١٤٨) عن المسلمين الغجر في دولة الأوستاشا، انظر:
Tomasevich, *War and Revolution in Yugoslavia,* 609; Narcis Lengel-Krizman, "Prilog proucavanju terora u tzv. NDH: Sudbina Roma 1941–1945" ("A Contribution to the Study of the Terror in the So-Called Independent State of Croatia: The Fate of the Roma 1941–1945"), *Casopis za suvremenu povijest* 1 (1986), 29–42, 33–34; Michael Zimmermann, *Rassenutopie und Genozid: Die nationalsozialistische "Lösung der Zigeunerfrage"* (Hamburg, 1996), 285; Karola Fings, Cordula Lissner, and Frank

Sparing, *"... einziges Land, in dem Judenfrage und Zigeunerfrage gelöst": Die Verfolgung der Roma im faschistisch besetzten Jugoslawien 1941–1945* (Cologne, 1992), 20; Donald Kenrick and Grattan Puxon, *Gypsies under the Swastika* (Hatfield, 2009), 99 and 101; Mark Biondich, "Persecution of Roma-Sinti in Croatia, 1941–1945," in Paul A. Shapiro and Robert M. Ehrenreich (eds.), *Roma and Sinti: Under-Studied Victims of Nazism* (Washington, DC, 2002), 33–47, 37–38; Jelinek, "Nationalities and Minorities," 200; Jelinek, "Bosnia-Herzegovina at War," 286 and 289; and Greble, *Sarajevo,* 17, 90–93, 95, 117–118, 121, and 125; and, on German views of the "white gypsies," Sevasti Trubeta, "'Gypsiness,' Racial Discourse and Persecution: Balkan Roma during the Second World War," *Nationalities Papers* 31, 4 (2003), 495–514, 505–506.

(١٤٩) عن المسلمين الغجر في صربيا، انظر:
Zimmermann, *Rassenutopie und Genozid,* 249; and Fings, Lissner and Sparing, *"... einziges Land, in dem Judenfrage und Zigeunerfrage gelöst,"* 46 and 116–117 (documents).

(١٥٠) عن المسلمين الغجر في ألبانيا ومقدونيا، انظر:
Fings, Lissner, and Sparing, *"... einziges Land, in dem Judenfrage und Zigeunerfrage gelöst,"* 43–46; Donald Kenrick and Grattan Puxon, *The Destiny of Europe's Gypsies* (London, 1972), 119–123; and Kenrick and Puxon, *Gypsies under the Swastika,* 74–77 and 97.

(١٥١) عن المسلمين في مقدونيا زمن الحرب، انظر:
Fings, Lissner, and Sparing, *"... einziges Land, in dem Judenfrage und Zigeunerfrage gelöst,"* 46 and 114–115 (documents);

ولعرض أكثر عمومية عن سياسة صوفيا تجاه المسلمين البلغار في أثناء الحرب، انظر:
Mary C. Neuburger, *The Orient Within: Muslim Minorities and the Negotiation of Nationhood in Modern Bulgaria* (Ithaca, NY, 2004), 48–54 and 183–184.

وكذلك سيطرت القوات البلغارية على مسلمي تراقيا الغربية في اليونان المحتلة، انظر:
Kevin Featherstone, Dimitris Papadimitriou, Argyris Mamarelis, and Georgios Niarchos, *The Last Ottomans: The Muslim Minority Of Greece, 1940–1949* (London, 2011), esp. 91–157.

(١٥٢) عن الإسلام في يوغوسلافيا تيتو، انظر:
Banac, "Bosnian Muslims," 144–146; Popovic, *L'Islam balkanique,* 343–365; Greble, *Sarajevo,* 234–235, 237, and 244; Donia, *Sarajevo,* 215–221; Zachary T. Irwin, "The Fate of Islam in the Balkans: A Comparison of Four State Policies," in Ramet (ed.), *Religion and Nationalism in Soviet and East European Politics,* 207–225, 216; Smail Balić, "Der bosnisch-herzegowinische Islam," *Der Islam* 44, 1 (1968), 115–137, esp. 121–122;

بشأن اعتقال شخصيات إسلامية بسبب التعاون في زمن الحرب، انظر:
Isma'il Balić, "The Present Position of the Muslims of Bosnia and Herzegovina," *Islamic Review* 37 (July 1949), 22–25, 24. Max Bergholz, "The Strange Silence: Explaining the Absence of Monuments for Muslim Civilians Killed in Bosnia during the Second World War," *East European Politics and Societies* 24, 3 (2010), 408–434,
الذي يقدّم وصفًا لمكانة المسلمين في إحياء ذكرى الحرب العالمية الثانية في يوغوسلافيا تيتو.

(١٥٣) عن الإسلام في ألبانيا خوجة، انظر:
James S. O'Donnell, *A Coming of Age: Albania under Enver Hoxha* (Boulder, CO, 1999), 137–144; Raymond Zickel and Walter R. Iwaskiw (eds.), *Albania: A Country Study* (Washington, DC, 1992), 85–87; Popovic, *L'Islam balkanique,* 42–65;
وعن الاعتقالات والإعدامات التي طالت مفتيي تيرانا (Tirana) وديراس (Durrës) وشكودرا (Shkodër)، وغيرهم ممن تعاونوا [مع الألمان] وقت الحرب، انظر:
Irwin, "The Fate of Islam in the Balkans," 212; and Peter Prifti, "Albania: Towards an Atheist Society," in Bohdan R. Bociurkiw and John W. Strong (eds.), *Religion and Atheism in the USSR and Eastern Europe* (Toronto, 1975), 388–404, 391.

(١٥٤) عن طرد أقلية التشام الألبان المسلمين، انظر:
Mazower, "Three Forms of Political Justice," 24–26; and Meyer, Blutiges Edelweiß, 620–621;

ومن منظور تشامي:
Meta, The Cham Tragedy, esp. 59–105;

والوثائق الموجودة في:
Elsie and Destani (eds.), The Cham Albanians of Greece, 335–394.

***



الفصل السادس
تعبئة المسلمين

(1) Himmler, Speech ("Rede des Reichsführers-SS Heinrich Himmler vor den Führern der 13. SS-Freiw. b.h. Gebirgs-Division (Kroatien) im Führerheim Westlager, Truppenübungsplatz Neuhammer am 11. Januar 1944"), 11 January 1944, Neuhammer, BAB, NS 19/4012 (also in BA–MA, SF-01/16263).

(٢) نجد العرض الأكثر شمولًا في:
Hans Werner Neulen, *An deutscher Seite: Internationale Freiwillige von Wehrmacht und Waffen-SS* (Munich, 1992 [1985]).

ونجد خلاصات مركّزة في:
Burkhart Müller-Hildebrand, *Das Heer 1933–1945,* vol. 3 (*Der Zweifrontenkrieg: Das Heer vom Beginn des Feldzuges gegen die Sowjetunion bis zum Kriegsende*) (Frankfurt, 1969), 68–71, 114–115, 140–142 and 183–184; and Mazower, *Hitler's Empire,* 454–470.

وعن غير الألمان في الڤيرماخت، انظر:
Rolf-Dieter Müller, *An der Seite der Wehrmacht: Hitlers ausländische Helfer beim "Kreuzzug gegen den Bolschewismus" 1941–1945* (Berlin, 2007).

عن غير الألمان في وحدات الڤافن – إس إس، انظر:
Gerald Reitlinger, *The SS: Alibi of a Nation, 1922–1945* (London, 1956), 147–166 and 196–206; and George H. Stein, *The Waffen-SS: Hitler's Elite Guard at War, 1939–1945* (Ithaca, NY, 1966), 137–196.

وقد جُنِّد المسلمون من الشرق والبلقان والعالم العربي. عن مجنَّدي الشرق، انظر:
Hoffmann, *Die Ostlegionen;* Hoffman, *Kaukasien,* 42–58 and 82–429; Dallin, *German Rule in Russia,* 258 and 533–612; Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 57–68; Alexiev, *Soviet Nationalities in German Wartime Strategy,* 26–33; and Mulligan, *The Politics of Illusion and Empire,* 146–161.

وعن مجنَّدي البلقان، انظر:
George Lepre, *Himmler's Bosnian Division: The Waffen-SS Handschar Division*

1943–1944 (Atglen, PA, 1997); Redžić, *Muslimansko Autonomaštvo i 13. SS Divizija;* Zija Sulejmanpašić, *13. SS Divizija "Handžar": Istine i Laži* (*The 13th SS Division "Handžar": Truth and Lies*) (Zagreb, 2000); and Laurent Latruwe and Gordana Kostic, *La division Skanderbeg: Histoire des Waffen-SS Albanais des origines idéologiques aux débuts de la Guerre Froide* (Paris, 2004).

وعن المجنَّدين العرب، انظر:
Carlos Caballero Jurado, *La espada del Islam: Voluntarios árabes en elejército alemán 1941–1945* (Madrid, 1990); Tillmann, *Deutschlands Araberpolitik im Zweiten Weltkrieg,* 353–446; Hirszowicz, *The Third Reich and the Arab East,* 250–259 and 298–300; and Schröder, *Deutschland und der Mittlere Osten im Zweiten Weltkrieg,* 215–231.

ونجد خلاصات جيدة في:
Mallmann and Cüppers, *Nazi Palestine,* 185–197; Christopher Hale, *Hitler's Foreign Executioners: Europe's Dirty Secret* (Stroud, 2011), 262–292; and O. V. Roman'ko, *Musulmanskie Legiony vo Vtoroi Mirovoi Voine* (*Muslim Legions during the Second World War*) (Moscow, 2004).

ولا تناقش الصفحات التالية تشكيل الفيرماخت الهندي، رغم أنه اشتمل على عدد معتبر من المسلمين.

(3) Franz Halder, *Kriegstagebuch: Tägliche Aufzeichnungen des Chefs des Generalstabes des Heeres 1939–1942*, 3 vols. (Stuttgart, 1964), vol. 3, 318.

لا نجد تقديرًا لحجم الخسائر في الترجمة الإنكليزية لليوميات، انظر:
The Halder War Diaries, 1939–1942, ed. Charles Burdick and Hans-Adolf Jacobsen (London, 1988), 570.

وفقًا لأوڤرمانس، كانت الخسائر الألمانية أعلى من تلك التي سجلتها القيادة الألمانية، انظر:
Rüdiger Overmans, *Deutsche militärische Verluste im Zweiten Weltkrieg* (Munich, 1999), 276–284, esp. 283; see also Bernhard R. Kroener, "The Manpower Resources of the Third Reich in the Area of Conflict between Wehrmacht, Bureaucracy, and War Economy, 1939-1942," in Bernhard R. Kroener, Rolf-Dieter Müller, and Hans Umbreit (eds.), *Germany and the Second World War,* vol. 5/1 (*Organization and Mobilization of the German Sphere of Power: Wartime Administration, Economy, and Manpower Resources, 1939-1941*) (Oxford, 2000), 787-1154, esp. 1009–1023.

(٤) عن غير الألمان في القوات المسلّحة، انظر المصادر الواردة في الحاشية رقم (٢).

(٥) عن عدد القوات الشرقية، انظر:
Müller-Hildebrand, *Das Heer,* vol. 3, 70, 114, and 141; Müller, *An der Seite der Wehrmacht,* 155; Dallin, *German Rule in Russia,* 536; and Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 60.

(٦) عن غير الألمان في وحدات الڤافن -- إس إس، انظر المصادر الواردة في الحاشية رقم (٢).

(٧) عن عدد غير الألمان في وحدات الحماية، انظر المصادر الواردة في الحاشية رقم (٢).

(٨) كانت الظروف في معسكرات أسرى الجيش الأحمر في شتاء عامي ١٩٤١ و١٩٤٢ شديدة القسوة، انظر:

Streit, *Keine Kameraden*, 128–190.

(9) *Hitlers Lagebesprechungen: Die Protokollfragmente seiner militärischen Konferenzen 1942-1945*, ed. by Helmut Heiber (Stuttgart, 1962), 71-119 ('Mittagslage vom 12. Dezember 1942 in der Wolfsschanze'), 73-4

(١٠) المرجع السابق.

(11) Sodenstern (High Command of Army Group South), Instructions ("Aufstellung von Verbänden aus Angehörigen der Turkvölker"), 19 May 1942, BA–MA, RH 19V/108.

ظهرت العبارات المستعملة هنا بعد ذلك في أوامر وتوجيهات لهادلر:

Halder (2 June 1942) and Niedermayer (4 July 1942), see notes 12 and 14.

(12) Halder to High Command of Army Group South, 2 June 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/108.

(13) High Command of the Army, Instructions ("Merkblatt für das deutsche Personal der Turk-Stammlager und Turk-Btlne"), 2 June 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/109.

(14) Niedermayer, Order ("Grundlegender Befehl über die Aufstellung von Turk-Btlnen"), 4 July 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/79 (also in BA–MA, RH 26-162/16).

(15) Niedermayer, Order ("Grundlegender Befehl über die Aufstellung von Turk-Btlnen"), Annexe 8 ("Die Turk-Völker und ihre Behandlung"), 4 July 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/79 (also in BA–MA, RH 26-162/16) ;

وبالمثل عن موثوقية المسلمين، انظر:

Niedermayer, Order („Grundlegender Befehl über die geistige Betreuung der 162. (Turk) Inf. Div."), 15 June 1943, n.p., BA–MA, RH 26-162/20.

(16) *Hitlers Lagebesprechungen*, 252-268 ('Besprechung des Führers mit Feldmarschall Keitel und General Zeitzler am 8. Juni 1943 auf dem Berghof'), 263

(١٧) عن هذه الوحدات الأولى وقادتها، انظر الرؤى العامة في:

Neulen, *An deutscher Seite*, 323–324; and Müller, *An der Seite der Wehrmacht*, 230–232;

انظر العرض الشامل الذي قدّمه:

Hoffmann, *Die Ostlegionen*, 25–30;

والدراسات العامة الموجودة في:

Hoffmann, *Kaukasien*, 50, 102–159; Dallin, *German Rule in Russia*, 533–538; and Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern*, 58; Alexiev, *Soviet Nationalities in German Wartime Strategy*, 32; and Mulligan, *The Politics of Illusion and Empire*, 148. On the *Sonderverband Bergmann*, see Wachs, *Der Fall Theodor Oberländer*, 96–135;

ولتقارير كتبها مسئولون ألمان عن الوحدة بعد الحرب، انظر:
Albert Jeloschek et al., *Freiwillige vom Kaukasus: Georgier und Tschetschenen auf deutscher Seite: Der Sonderverband Bergmann und sein Gründer Theodor Oberländer* (Graz, 2004).

(١٨) عن ماير-مادر، انظر:
Neulen, *An deutscher Seite,* 323–324; Müller, *An der Seite der Wehrmacht,* 232; Hoffmann, *Die Ostlegionen,* 27; Hoffmann, *Kaukasien,* 139; and Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 58; and the account by Heygendorff, Report ("Die Entstehung des Kommandos der Ostlegionen"), n.d. (post-1945), n.p., IfZ, ZS 407.

(١٩) عن الفيالق الشرقية في الرؤى العامة، انظر:
Neulen, *An deutscher Seite,* 322–334; and Müller, *An der Seite der Wehrmacht,* 227–241;

انظر العرض الشامل الذي قدّمه:
Hoffmann, *Die Ostlegionen;*

والدراسات الأكثر عمومية الموجودة في:
by Hoffmann, *Kaukasien,* 42–58 and 82–429; Dallin, *German Rule in Russia,* 538–541; and Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 57–68; Alexiev, *Soviet Nationalities in German Wartime Strategy,* 31–33; and Mulligan, *The Politics of Illusion and Empire,* 148 and 151–152.

وعن وحدات بعينها، انظر:
Eva-Maria Auch, "Aserbeidschaner in den Reihen der deutschen Wehrmacht," in Höpp and Reinwald (eds.), *Fremdeinsätze,* 167–180, esp. 170–177; Cwiklinski, *Wolgatataren im Deutschland des Zweiten Weltkriegs,* 21–24, 41–42, 44–54, and 70–74; Iskander Gilyazov, *Legion "Idel'-Ural": Predstaviteli narodov Povolzh'ia i Priuralia pod znamenami "Tretego Reikha" (The "Idel-Ural" Legion: Representatives of the Peoples of the Volga-Ural Regions under the Banner of the "Third Reich")* (Kazan, 2005); and, on the 162nd Turkestani Infantry Division, Franz W. Seidler, "Zur Führung der Osttruppen in der deutschen Wehrmacht im Zweiten Weltkrieg," *Wehrwissenschaftliche Rundschau* 20, 12 (1970), 683–702; Seidler, "Oskar Ritter von Niedermayer im Zweiten Weltkrieg;" and Seidt, *Berlin, Kabul, Moskau,* 329–363.

ويقدّم المرجع التالي عرضًا للتجنيد في الفيالق في معسكرات أسرى الحرب:
Camilla Dawletschin-Linder, "Die turko-tatarischen sowjetischen Kriegsgefangenen im Zweiten Weltkrieg im Dreiecksverhältnis zwischen deutscher Politik, turanistischen Aspirationen und türkischer Außenpolitik," *Der Islam* 80, 1 (2003), 1–29, 18–23.

(٢٠) تشكّل الفيلق الأذري من أذريين، والفيلق القوقازي الشمالي من متطوعين مسلمين قوقازيين دارجينيين وشيشانيين وإنغوش وقُمُق وشركس وقبارديين وبلقار وقراتشيين ولزجيّون

وأوسيتيون. وتشكّل الفيلق التركستاني من مجنّدين مسلمين من وسط آسيا من القرقلباغ والكازاخ والقيرغيزيين والطاجيك والتركمان والأوزبك. أما فيلق تتر الفولغا فقد تشكّل من تتر أوفا وقازان والباشكير والماريون والموردڤيون، ومعهم الناطقون بالترية من التشوفاش والأودمورتيون. عن التشكيل العرقي للفيالق، انظر على سبيل المثال:

Niedermayer, Order ("Grundlegender Befehl über die Aufstellung von Turk-Btlnen"), Attachment to Annexe 8 of 30 June 1942 ("Zusammensetzung der Legionäre nach Volksstämmen"), 4 July 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/79 (also in BA–MA, RH 26-162/16); and Heygendorff, Instructions ("Merkblatt über Personalangelegenheiten der Legionäre"), 1 November 1943, n.p., BA–MA, RH 58/62. On the religious composition of the legions, see Niedermayer, Order ("Grundlegender Befehl über die Aufstellung von Turk-Btlnen"), Annexe 8 ("Die Turk-Völker und ihre Behandlung"), 4 July 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/79 (also in BA–MA, RH 26-162/16).

(21) Hoffmann, *Kaukasien,* 51–52, 55–56; and Hoffmann, *Die Ostlegionen,* 39, 76, 171–172.

(٢٢) عن أعداد الفيالق الشرقية، انظر:

Neulen, *An deutscher Seite,* 342; Müller, *An der Seite der Wehrmacht,* 237; Hoffmann, *Die Ostlegionen,* 172; Hoffmann, *Kaukasien,* 56–57, 136–137, 191, 220, 264, 323; Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 60; Alexiev, *Soviet Nationalities in German Wartime Strategy,* 32–33; and Gerhard von Mende, "Erfahrungen mit Ostfreiwilligen in der deutschen Wehrmacht während des Zweiten Weltkrieges," *Vielvölkerheere und Koalitionskriege* 1 (1952), 24–33, 25.

وعلى الرغم من أن الأرقام التي قدّمها هؤلاء المؤلفون تتطابق باختلافات طفيفة، إلّا أنه يجب التعامل معها بحذر.

(٢٣) قُدِّرت خسائر الفيالق مجتمعة بمئة ألف رجل، انظر:

Neulen, *An deutscher Seite,* 333; Müller, *An der Seite der Wehrmacht,* 241; and Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 68. On the losses in the four Caucasian legions, see also Mende, "Erfahrungen mit Ostfreiwilligen in der deutschen Wehrmacht während des Zweiten Weltkrieges," 32.

(٢٤) عن كتائب الأشغال الإسلامية، انظر:

Hoffmann, *Die Ostlegionen,* 39 and 76; and Hoffmann, *Kaukasien,* 51–52 and 56.

(٢٥) عن وحدات تتر القِرم، انظر:

Neulen, *An deutscher Seite,* 325; and Müller, *An der Seite der Wehrmacht,* 237;

ولدراسات أكثر عمومية، انظر:

by Hoffmann, *Die Ostlegionen,* 39–50; Hoffmann, *Kaukasien,* 56; Dallin, *German Rule in Russia,* 258; Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 60 and 184; Alexiev, *Soviet Nationalities in German Wartime Strategy,* 33; Mulligan, *The Politics of Illusion and Empire,* 130 and 153; Angrick, *Besatzungspolitik und Massenmord,* 466–477 and 482–485; and Oldenburg, *Ideologie und militärisches Kalkül,* 121-123;

وللكتابات المتعلقة بالقِرم، انظر:
Luther, "Die Krim unter deutscher Besatzung im Zweiten Weltkrieg," 60–62; Kunz, *Die Krim unter Deutscher Herrschaft,* 207–210; and Roman'ko, *Krym pod piatoi Gitlera,* 165–239; Fisher, *The Crimean Tatars,* 155; and Williams, *The Crimean Tatars,* 378–379.

(26) Ablajef to Hitler (German translation), n.d. (December 1941), Simferopol, PA, R 60738 (also in PA, R 261174). This letter was sent to Berlin by Hentig, Report ("Einstellung der Krimtataren"), 20 December 1941, n.p. (Simferopol), PA, R 60738 (also in PA, R 261174).

ويبدو أن الفيرماخت تلقت عددًا من العروض المماثلة من تتر القِرم، انظر المرجع السابق.
(27) Keitel to Bräutigam, 6 January 1942, n.p., PA, R 261174.

(٢٨) انظر المصادر الواردة في الحاشية رقم (٢٥) لأجل الأرقام. وانظر كذلك:
Siefers, Report ("Aufstellung von Tataren- und Kaukasierformationen im Bereich des A.O.K. 11"), 20 March 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/108 (also in PA, R 60739).

(29) Siefers, Report ("Aufstellung von Tataren- und Kaukasierformationen im Bereich des A.O.K. 11"), 20 March 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/108 (also in PA, R 60739); and, similarly, Command of the 11th Army, Report ("Bericht für die Zeit vom 1،3. bis 31،3،1942"), 31 March 1942, n.p., BA–MA, RH 21–11/415. A similar assessment was given by Hentig, Report ("Erfahrungen mit Tatarischen Kompanien"), 25 April 1942, n.p. (Simferopol), PA, R 60740; and Hentig, Report, 27 April 1942, n.p. (Simferopol), PA, R 60740.

(30) On the *Sonderstab F* and the *Deutsch-Arabische-Lehrabteilung,* see the overview in Neulen, *An deutscher Seite,* 365–367 and 370–374; the comprehensive account by Carlos Caballero Jurado, *La espada del Islam: Voluntarios árabes en elejército alemán 1941–1945* (Madrid, 1990); and the more general studies by Tillmann, *Deutschlands Araberpolitik im Zweiten Weltkrieg,* 353–446; Hirszowicz, *The Third Reich and the Arab East,* 250–259 and 298–300; Schröder, *Deutschland und der Mittlere Osten im Zweiten Weltkrieg,* 215–231; and Greiselis, *Das Ringen um den Brückenkopf Tunesien,* 148–153.

(31) Command of Sonderstab Felmy to Army Ration Supply Office of the 12th Army, 8 July 1941, n.d., BA–MA, RH 24–68/2.

(32) Grobba, Internal Note ("Die politische Vorbereitung des deutschen Vormarsches nach den arabischen Ländern"), 30 May 1942, PA, R 27332 (also in PA, R 261124).

لم ينمُ هذا الرقم إلّا نموًّا ضئيلًا على مرّ الأشهر التالية. فبحلول أغسطس/ آب من عام ١٩٤٢، كان قد جُنِّد مئتان وثلاثة وأربعون متطوعًا، فشكّلوا سريةً واحدة بها أربعة وعشرون عراقيًا، ومئة واثنا عشر سوريًا، ومئة وسبعة جندي من شمال إفريقيا، انظر:
Felmy, Report ("Stellungnahme"), n.d. (summer 1942), n.p., PA, R 261124.

(33) Felmy, Report ("Zusammenfassender Bericht über die Tätigkeit des Sonderstabes F in der arabischen Frage"), 15 August 1942, n.p., PA, R 27325 (also in PA, R 261124).

(٣٤) مذكرات الحاج محمّد أمين الحسيني، ص ١٢١-١٢٢، ص١٤٥.

(35) Felmy, Report ("Zusammenfassender Bericht über die Tätigkeit des Sonderstabes F in der arabischen Frage"), 15 August 1942, n.p., PA, R 27325.

(36) Schnurre (Foreign Office), Internal Note ("Aufzeichnung betreffend deutsch-arabische Lehrabteilung"), 20 November 1942, Berlin, PA, R 27827 (also in PA, R 261125).

(٣٧) المرجع السابق.

(٣٨) تذمّر الحسيني من نشر العرب في القوقاز وطالب بتوظيفهم في شمال إفريقيا، انظر:

Al-Husayni, Memorandum ("Denkschrift über die Verlegung des Lagers Sunion"), 29 August 1942, Rome, PA, R 27325 (also in PA, R 27827 and R 27828), sent by Al-Husayni to Keitel, 30 August 1942, Rome, PA, R 27325 (also in PA, R 27827 and R 27828).

(٣٩) تقدّم الوثيقة التالية رؤيةً عامة شاملة عن هذا الانضمام:

Grote (Foreign Office) to Rahn, 12 December 1942, Berlin, PA, R 27767; and Ritter (Foreign Office), Internal Note, 14 December 1942, PA, R 27827,

وتقدّم الوثيقة التالية تأملات حول تجنيد العرب في العمل والخدمة العسكرية، ودمجهم في طاقم فيلمي الخاص:

Arnim, Order ("Arabereinsatz"), 9 January 1943, n.p., PA, R 27770,

(40) Rahn, Report ("Aufzeichnung über die politischen Vorgänge in Tunesien vom 21. November 1942 bis zum 10. Februar 1943"), 10 February 1943, Tunis, BA–MA, RH 19VIII/358.

(٤١) عن الكتيبة الإفريقية، انظر:

Neulen, *An deutscher Seite,* 368–370; Jurado, *La espada del Islam,* 177–178; Hirszowicz, *The Third Reich and the Arab East,* 300; and Satloff, *Among the Righteous,* 86.

(٤٢) عن وحدات شمال إفريقيا، انظر:

Neulen, *An deutscher Seite,* 365–367 and 373; Jurado, *La espada del Islam,* 171–182; Hirszowicz, *The Third Reich and the Arab East,* 298–300; and Greiselis, *Das Ringen um den Brückenkopf Tunesien,* 148–153.

(٤٣) تقدّم المذكّرة التالية تقييمًا شديد السلبية لأداء العرب:

Schnurre (Foreign Office), Internal Note ("Aufzéichnung betreffend arabischer Lehrabteilung"), 26 June 1943, Salzburg, PA, R 27332

بل وحتى قبل توظيفهم في شمال إفريقيا، تنبأ ران بأن «العرب بلا قيمة قتالية»، انظر:

Rahn to Foreign Office, 21 November 1942, Tunis, BA–MA, RW 5/488.

(44) Horstenau to Löhr (Commander-in-Chief South East), 2 March 1943, Zagreb, IfZ, MA 515.

وكذلك أشـار الجنرال هورسـتناو في مذكراته إلى أن هملر كان «مفتونًا» بتأسيس فرقة الخنجر، وأنه وافق بحماس على فكرة أخذ «الاعتبارات الدينية» في الحُسبان عند توظيف الفرقة. وأشار كذلـك فـي مذكراتـه إلى أن هملر قـد رأى في مـكانٍ ما صورةً لبوشـناق في ڤيينا الهابسـبورغية واعتقد أن هؤلاء الذين يرتدون الطربوش كلهم مسلمون، انظر:

Ein General im Zwielicht, Vol. 3, 182-195 (February 1943), 189-190,

وعـن تصـور هتلـر وهملـر المخطـئ حـول أن الفيالـق الهابسـبورغية القديمة كانـت مكوَّنة من المسـلمين حصرًا، انظر صفحات ٣٠٤-٣٢٥ (نوفمبر/ تشـرين الثاني ١٩٤٣)، ٣٠٨. وأشـار كاشـه أيضًا إلى هذه الأوهام المتعلقة بالفيالق الهابسـبورغية البوشـناقية في محاوراته مع هتلر، انظر:

Kasche, Internal Note ("Unterhaltung mit dem Führer am 29،10،1943 im Hauptquartier"), Zagreb, 11 November 1943, PA, Nachlass Kasche, vol. 23.

وعن الوحدات البوسنوية في جيش الهابسبورغ، انظر:

Richard B. Spence, "Die Bosniaken kommen! The Bosnian-Hercegovinian Formations of the Austro-Hungarian Army, 1914–1918," in Spence and Nelson (eds.), *Scholar, Patriot, Mentor*, 299–314.

(٤٥) مقتبسـة فـي: *The Kersten Memoirs*, 263 (19 March 1945)؛ وانظـر أيضًا: Kersten, *Totenkopf und Treue*, 328 (19 March 1945).

(46) Berger to Kasche, 24 July 1943, Berlin, PA, R 100999,

ألمـح برغـر مـرةً أخرى إلـى القيمـة الدعائية للفرقة بعد أشـهر قليلـة، في تأكيده علـى «الأهمية السياسية الكبرى» للفرقة و«آثارها على العالم المحمَّدي أجمع»، انظر:

Berger to Himmler, Berlin, 25 September 1943, BAB, NS 19/2601.

(47) SS Head Office, Internal Note ("Geschichte und Entstehung der SS-Freiwilligen-b.h.-Geb. Division (13. SS-Division)"), 10 November 1943, Berlin, IfZ, NO-3577; and, similarly, Franje, Interrogation Statement ("Vernehmungsprotokoll"), 6 August 1947, Belgrade, IfZ, NO-4951.

(٤٨) عن فرقة الخنجر، انظر:

Neulen, *An deutscher Seite*, 215–218; Reitlinger, *The SS*, 199–200; and Stein, *The Waffen-SS*, 179–184;

وانظر العروض الشاملة المقدَّمة في:

George Lepre, *Himmler's Bosnian Division: The Waffen-SS Handschar Division 1943–1944* (Atglen, PA, 1997); Redžić, *Muslimansko Autonomaštvo i 13. SS Divizija;* and Sulejmanpašić, *13. SS Divizija "Handžar";*

والدراسات الأعم في:

Redžić, *Bosnia and Herzegovina in the Second World War*, esp. 34–35, 46–50, and 180–184; Tomasevich, *War and Revolution in Yugoslavia*, 496–501; Broszat and

Hory, *Der kroatische Ustascha-Staat,* 155–161 and 171; Casagrande, *Die volksdeutsche SS-Division "Prinz Eugen,"* 331–335; and Holm Sundhaussen, "Zur Geschichte der Waffen-SS in Kroatien 1941–1945," *Südostforschungen* 30 (1971), 176–196, 192–196.

وعن تسمية «الخنجر»، انظر:

Hitler, Order, 15 May 1944, n.p., BAB, NS 19/2601; and Himmler, Order, 15 May 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(49) People's Committee ("Volkskomitee"), Memorandum, 1 November 1942, Sarajevo, PA, R 261144.

(50) Berger to Himmler, 19 April 1943, Berlin, BAB, R 19/2255.

(٥١) بحلول الرابع عشر من إبريل/ نيسان من عام ١٩٤٣، كان قد جُند ثمانية آلاف رجل (منهم ستة آلاف من فصيل حاج أفندي)، انظر:

Berger to Himmler, 19 April 1943, Berlin, BAB, R 19/2255. By 25 April 1943

وخضع اثنا عشر ألف بوسنوي للفحوص الطبية (من بين ثمانية آلاف إلى تسعة آلاف منهم كانوا لائقين). وعلاوةً على ذلك، جُنِّد ثمانية آلاف بوسنوي من الغرب، وما بين ثمانية آلاف إلى عشرة آلاف مسلم من السنجق، انظر:

Berger to Himmler, 29 April 1943, Berlin, BAB, NS 19/2601.

وفي التاسع عشر من إبريل/ نيسان لعام ١٩٤٣، ذكر فيلپس في تقريره أنه قد جُنِد ما بين عشرين ألفًا وخمسة وعشرين ألفًا من المتطوعين، انظر:

Phleps to Jüttner, 19 April 1943, n.p., BAB, NS 19/2601;

وحوَّل يوتنر (Jüttner) هذا التقرير إلى هملر في السابع والعشرين من إبريل/ نيسان من عام ١٩٤٣، انظر: BAB, NS 19/2601. ولغضبه من نشاط وحدات الحماية في البلقان، حاول مفوَّض الرايخ كاشه دائمًا الإيحاء بفشل حملة تجنيد وحدات الحماية، فزعم في صيف عام ١٩٤٣ أنه لم يُجَنَّد إلَّا ثمانية آلاف وخمسمئة رجل، انظر:

Kasche to Foreign Office, 21 June 1943, Zagreb, PA, R 100998;

وتحدَّث بعدها بشهر عن تجنيد عدد يتراوح بين ثمانية آلاف وتسعة آلاف، انظر:

Kasche to Foreign Office, 8 July 1943, Zagreb, PA, R 100997 (also in PA, R 100998).

(52) Hanns Aderle, "Kämpfer gegen Bolschewismus und Judentum," *Deutsche Zeitung in Kroatien* (15 May 1943).

(٥٣) عن رغبة حكومة الأوستاشا استخدام اسمها في تسمية الفرقة، انظر:

Kasche to Foreign Office, 18 February 1943, Zagreb, PA, R 27795 (also in PA, R 100998); Phleps to Himmler, 19 February 1943, n.p., BAB, NS 19/3523; Himmler to Phleps, n.d. (20 February 1943), n.p., BAB, NS 19/3523; and Himmler to Ribbentrop, 20 February 1943, n.p., BAB, NS 19/3523 (also in PA, R 27795 and R 100998).

وكان غليس وهملر يعارضان استخدام «الأوستاشا» في تسمية الفرقة، انظر:

Glaise to Himmler, 25 February 1943, n.p., BAB, NS 19/3523; and Himmler to Glaise, 3 March 1943, n.p., BAB, NS 19/3523.

(٥٤) تقول المذكّرة التالية أنه في النهاية، لم يُجنَّد إلّا ألفان وثمنمئة كاثوليكي، انظر:
Berger to Himmler, 25 September 1943, Berlin, BAB, NS 19/2601.

(55) Winkler, Report ("Die politische Lage der Mohammedaner Bosniens"), 4 May 1943, Berlin, PA, R 67675 (also in PA, R 261144).

بنى ڤنكلر تقييمه هذا على شكاية الأوستاشا من الطابع الإسلامي للفرقة، انظر:
German Legation in Zagreb, Report ("Unterredungen in Sarajevo"), n.d. (28 April 1943), Zagreb, PA, R 100998.

وقد عُزلت وحدات الحماية السرية الكاثوليكية، بغية تشكيل فرقة «إسلامية خالصة»، انظر:
Phleps to Jüttner, 19 April 1943, BAB, NS 19/2601; this report was forwarded by Jüttner to Himmler, 27 April 1943, Berlin, BAB, NS 19/2601.

(56) Phleps to Jüttner, 19 April 1943, n.p., BAB, NS 19/2601; this report was forwarded by Jüttner to Himmler, 27 April 1943, Berlin, BAB, NS 19/2601.

ولشكاوى كاشه من تهميش شولياك، انظر:
Kasche to Foreign Office, 28 April 1943, Zagreb, PA, R 100998;

وعن تقاريره حول تعيين شولياك في البداية، انظر:
Kasche to Foreign Office, 23 March 1943, Zagreb, PA, R 27322 (also in PA, R 100998), and Kasche to Foreign Office, 2 April 1943, Zagreb, PA, R 100998.

(57) Phleps to Jüttner, 19 April 1943, n.p., BAB, NS 19/2601 (this letter was forwarded by Jüttner to Himmler, 27 April 1943, Berlin, BAB, NS 19/2601).

(58) Kaltenbrunner to Himmler, 24 April 1943, Berlin, BAB, NS 19/2601.

(59) Himmler to Kammerhofer, 1 July 1943, n.p., BAB, NS 19/3523.

وقبل ذلك بأسبوع، أعلمت وحدات الحماية وزارة الخارجية باعتقالات الأوستاشا للمجنَّدين المسلمين، انظر:
Riedweg (SS Head Office) to Reichel (Foreign Office), 25 June 1943, Berlin, PA, R 100998.

ولا عجب أن سُلطات الأوستاشا قد أنكرت هذه التقارير، انظر:
Kasche to Ribbentrop, 8 July 1943, Zagreb, PA, R 100997 (also in PA, R 100998).

وفي حالة أخرى، أبلغ موظفٌ مسلمٌ محلي الألمان باعتقال الأوستاشا لخمسمئة مسلم فرُّوا من الجيش الكرواتي للانضمام إلى وحدات الحماية، انظر:
Langenberger, Report ("Niederschrift über eine Besprechung am 17.9.43 mit dem 2. Sekretär der 'Muslimansko Dobrotvorno Društvo: Merhamet Sarajevo' namens Mechmed Tokitsch"), 17 September 1943, n.p., BAB, NS 19/3893 (also in BA-MA, N 756/183b); this report was forwarded by Phleps to Himmler, 5 November 1943, n.p., BAB, NS 19/3893.

وقد أمر هملر بتحرير الخمسمئة رجل فورًا، انظر:
Brandt to Phleps, 20 November 1943, n.p., BAB, NS 19/3893.

لكن بعد تحقيق أوسع، توصل ضباط وحدات الحماية إلى أن هذه قصة مكذوبة، انظر:
Kumm (Chief of Staff of the V SS Mountain Corps) to Himmler, 31 December 1943, BAB, NS 19/3893.

(60) Mirko D. Grmek and Louise L. Lambrichs, *Les révoltés de Villefranche: Mutinerie d'un bataillon de Waffen-SS à Villefranche-de-Rouergue, Septembre 1943* (Paris, 1998);

والمصادر الواردة في الحاشية رقم (٤٨).

ولتقرير عن التمرد كتبه عمدة ڤيلفرانش (Villefranche) لويس فونتاغيس (Louis Fontages)، انظر:
Fontages, Report ("SS et Croates à Villefranche de Rouergue, Aout 1943–Septembre 1943"), n.d., Villefranche, BA–MA, RS 3–13/5.

(61) Berger to Himmler, 25 September 1943, Berlin, BAB, NS 19/2601; and similarly, Berger to Reichel, 11 October 1943, Berlin, PA, R 100998.

(62) Kasche, Internal Note ("Unterhaltung mit dem Führer am 29,10,1943 im Hauptquartier"), Zagreb, 11 November 1943, PA, Nachlass Kasche, vol. 23.

(63) Anonymous, "Der Großmufti von Jerusalem bei den bosnischen Freiwilligen der Waffen-SS," *Wiener Illustrierte* 63, 2 (12 January 1944).

(64) Pamphlet (Draft) "Die große Stunde is gekommen!" (German translation), n.d. (February 1944), BAB, NS 19/2601.

(65) Pamphlet (Draft) "Väter und Mütter! Brüder und Schwestern! Und Ihr, unsere lieben Kinder, Männer und Frauen aus Bosnien und der Herzegowina!" (German translation), n.d. (February 1944), BAB, NS 19/2601.

(66) Himmler to Sauberzweig, 11 February 1944, n.p., BAB, NS 19/2601, on Himmler's approval; and SS Head Office, Internal Note, 5 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601, on Hitler's approval.

(٦٧) يمكن العثور على مجموعة من الوثائق الميدانية لهذه الفترة، تحتوي على قوائم بالأشخاص وملفات قضايا فردية وأوامر تنظيمية وحركية لفرقة الخنجر، في دار المحفوظات العسكرية التشيكية المركزية:
the Czech Central Military Archives (*Vojenský Ústřední Archiv*), Prague (VÚA), Box: N 13. SS-Fr. Geb. Div. "H." 1.

(68) Wilson, Report ("General Report on Situation in Area of 3 Corps between Jan and Sep 1944"), n.d. (September 1944), n.p., NA, WO 202/298.

(69) Franje, Interrogation Statement ("Vernehmungsprotokoll") (English translation), 6 August 1947, Belgrade, IfZ, NO-4951

(70) *Hitlers Lagebesprechungen*, 560.

(71) Wehrmacht Report ("Reisenotizen von der Reise des Chefs Generalstab O.B. Südost vom 12،8.–17،8،44 im Bereich 2. Panzer-Armee und nach Skopije"), n.d. (August 1944), n.p., BA–MA, RH 19XI/17.

(72) Quoted in *The Kersten Memoires*, 260 (25 February 1944); see also the German translation, Kersten, *Totenkopf und Treue*, 324 (25 February 1944).

(٧٣) المرجع السابق.

(٧٤) عن فرقتي إسكندر بك والكاما، انظر:

Neulen, *An deutscher Seite*, 217–218 and 239–240; Reitlinger, *The SS*, 199; and Stein, *The Waffen-SS*, 184–185;

لعرض شامل عن فرقة «إسكندر بك»، انظر:

Laurent Latruwe and Gordana Kostic, *La division Skanderbeg: Histoire des Waffen-SS Albanais des origines idéologiques aux débuts de la Guerre Froide* (Paris, 2004); the more general studies by Tomasevich, *War and Revolution in Yugoslavia*, 154 and 500; Broszat and Hory, *Der kroatische Ustascha-Staat*, 162; Casagrande, *Die volksdeutsche SS-Division "Prinz Eugen,"* 336–337; and Sundhaussen, "Waffen-SS," 193; and the accounts of Albania by Fischer, *Albania at War*, 185–187; Fischer, "German Political Policy in Albania, 1943–1944," 227–228; Neuwirth, *Widerstand und Kollaboration in Albanien*, 125–128 and 134; and Stamm, "Zur deutschen Besetzung Albaniens 1943–1944," 111.

ولتقرير عن تشكيل الفرقة الألبانية «إسكندر بك» وتوظيفها، كتبه قائدها أوغست شميتهوبر، انظر:

Schmidhuber, Report ("Zusammenfassender Bericht über die Aufstellung und den Zustand der 21. Waffen-Gebirgsdivision der SS 'Skanderbeg'"), 2 October 1944, n.p., BA–MA, RS 3–21/1.

(٧٥) يمكن العثور على بعض الوثائق المتعلقة بتجنيد المدنيين الألبان في فرقة إسكندر بك في دار المحفوظات الحكومية المركزية الألبانية:

the Albanian Central State Archive (*Arkivi Qendror Shtetëror*), Tirana (AQSH), in the files F. 158, V. 1944, D. 32; and F. 195, V. 1944, D. 34.

(76) Keitel, Order ("Freilassung albanischer Kriegsgefangener für die Waffen-SS"), 12 February 1944, n.p., PA, R 100984; and, informing Neubacher of the order, Ritter to Neubacher, 17 February 1944, n.p., PA, R 100984.`

(77) Berger to Reichel (Foreign Office), 5 February 1944, PA, R 100984. This letter was prompted by a request by Neubacher, who had tried since autumn 1943 to get the Albanians of Handžar back to Albania, see the documents in PA, R 100984 and R 100998.

(78) Wagner to Ribbentrop, 14 April 1944, Salzburg, PA, R 100679.

(79) Martin Maller, *Die Fahrt gegen das Ende: Erlebnisse aus den Partisanenkämpfen im Balkan*, vol. 2 (Bonn, 1962), 221.

(٨٠) المرجع السابق، ص ٢١٦.

(81) Schmidthuber, Report ("Lagebericht") , 7 July 1944, n.p., BAB, NS 19/2071.

(٨٢) المرجع السابق.

(٨٣) عن فرقة الكاما، انظر المصادر الواردة في الحاشية رقم (٧٤).

(٨٤) عن وحدات تتر القِرم في وحدات الحماية، انظر المصادر الواردة في الحاشية رقم (٢٥).

(85) *Einsatzgruppe D,* Report ("Die Rekrutierung der Krimtataren"), 15 February 1942, n.p., BA–MA, RH 20–11/433 (also in BA–MA, WF-03/10435).

(86) Seibert to Army High Command 11, 16 April 1942, n.p., BA–MA, RH 20–11/488.

(87) Hermann (SS Head Office), Internal Note ("Turkmuselmanen-Division"), 14 December 1943, Berlin, BA–MA, RS 3–39/1 (also in BAB, NS 31/44).

(88) Schellenberg to Berger, 14 October 1943, Berlin, BAB, NS 31/43.

(89) Schellenberg, Report ("Aufstellung einer mohammedanischen Legion der Waffen-SS aus Angehörigen der Fremdvölker der Sowjetunion"), 14 October 1943, Berlin, BAB, NS 31/43, enclosed to Schellenberg to Berger, 14 October 1943, Berlin, BAB, NS 31/43.

(90) Berger to Himmler, 15 October 1943, Berlin, BAB, NS 31/43.

(٩١) عن فرقة وحدات الحماية الإسلامية الشرقية، انظر:

Neulen, *An deutscher Seite,* 332–323; and Stein, *The Waffen-SS,* 188; and the general studies by Hoffmann, *Kaukasien,* 146–155; Dallin, *German Rule in Russia,* 600–602; and Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 147–157; and Alexiev, *Soviet Nationalities in German Wartime Strategy,* 32. The name of the division was repeatedly changed: Ostmuselmanische SS-Division (17 November 1943), Turkmuselmanische SS-Division (11 December 1943), Turkmuselmanen-Division (14 December 1943), Turk-Division (3 January 1944), Muselmanische SS-Division Neu Turkestan (4 January 1944), Ost-Mohamedanische SS- und Polizei-Division (12 January 1944), see Anonymous, Report ("Ostmuselmanische SS- und Polizei-Division"), n.d. (post-1945), n.p., BA–MA, N 756/242b.

ونشير إليها بعد ذلك بتعبير «فرقة وحدات الحماية الإسلامية الشرقية».

(٩٢) عن دمج كتائب القوات المسلَّحة، انظر:

SS Head Office, Report ("Niederschrift über Absprechung der Aufstellung einer muselmanischen SS-Division Neu-Turkestan"), 4 January 1944, Berlin, BA–MA, RS 3–39/1; Schellenberg had already suggested the transfer of the unit in his initial memorandum, see Schellenberg, Report ("Aufstellung einer mohammedanischen Legion der Waffen-SS aus Angehörigen der Fremdvölker der Sowjetunion"), 14 October 1943, Berlin, BAB, NS 31/43.

(93) Berger, Order ("Aufstellung der muselmanischen SS-Division 'Neu Turkestan'"), 14 January 1944, Berlin, BAB, NS 31/44. On the recruitment of Major Mayer-Mader,

see also documents in BAB, NS 31/43, NS 31/45, NS 31/297 and BA–MA, RS 3–39/1.

(٩٤) عن خُطط ماير-مادر لاعتناق الإسلام، انظر:
Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 148.

(95) Anonymous, Report ("1. Ostmuselmanisches SS-Regiment"), n.d. (post-1945), n.p., BA–MA, N 756/242b.

(٩٦) عن فحص وحدات الحماية للعمال المسلمين الشرقيين وتجنيدهم من جميع أنحاء الرايخ في عام ١٩٤٤ وأوائل عام ١٩٤٥، انظر الوثائق الموجودة في:
BAB, NS 31/27 and NS 31/58. For the screening and recruiting order, see Trimm (Office of the General Plenipotentiary for Labour Deployment) to all Presidents of the Gau Labor Offices and Reich Trustees of Labor, 8 May 1944, Berlin, BAB, NS 31/27 (also in BAB, R 6/143).

وأُجيز الأمر في خريف عام ١٩٤٤، انظر:
Sauckel to all Presidents of the Gau Labor Offices and Reich Trustees of Labor, 16 September 1944, Berlin, BAB, NS 31/27.

وكان شلنبرغ قد اقترح بالفعل التفاوض مع زاوكيل حول نقل العمال المسلمين في مذكرته الابتدائية، انظر:
Schellenberg, Report ("Aufstellung einer mohammedanischen Legion der Waffen-SS aus Angehörigen der Fremdvölker der Sowjetunion"), 14 October 1943, Berlin, BAB, NS 31/43.

(٩٧) عن فحص وحدات الحماية وتجنيدهم من أسرى الحرب المسلمين من الجيش الأحمر، انظر الوثائق الموجودة في: (BAB, NS ٣١/٥٧)، وكان شلنبرغ قد اقترح نقل أسرى الحرب المسلمين من الجيش الأحمر في مذكرته الأولية، انظر:
Schellenberg, Report ("Aufstellung einer mohammedanischen Legion der Waffen-SS aus Angehörigen der Fremdvölker der Sowjetunion"), 14 October 1943, Berlin, BAB, NS 31/43.

(98) Berger to Keitel, 17 March 1944, Berlin, BAB, NS 31/57; and, on Terboven's cooperation, Berger to Terboven, 27 March 1944, Berlin, BAB, NS 31/57.

(٩٩) عن احتدام النزاع بين القوات المسلّحة ووحدات الحماية حول تجنيد المسلمين الشرقيين، انظر:
Fürst, Report ("Zersetzung der Wehrkraft durch unzulässige Werbung von Turk-Legionären durch SS Sturmbannführer Mayer-Mader"), 25 June 1944, Berlin, BAB, NS 31/44. For an example of these conflicts in the field, see Command of the Turk-Inf. Btl. 790 to Command Eastern Legions, 11 December 1943, Radzyn, BA-MA, RS 3-39/1; and High Command of the Army to Himmler, 4 January 1944, Berlin, BA–MA, RS 3-39/1.

وفي خريف عام ١٩٤٤، طالبت وحدات الحماية القوات المسلَّحة بتجنب اضطهاد الجنود الذين جُنِّدوا بشكل غير قانوني من بين صفوفها.
Olzscha, Internal Note ("Strafsache gegen Aserbeidshaner Babajew"), 15 October 1944, Berlin, BAB, NS 31/51; and Berger to Köstring, 15 October 1944, Berlin, BAB, NS 31/51.

(١٠٠) عن التمرد على ماير-مادر، انظر التقديرات الثلاثة المختلفة التالية:
Mayer-Mader, Report, 21 February 1944, Berlin, BAB, NS 31/45; Hermann, Report ("Meuterei im Ostmuselmanischen SS-Rgt."), 24 March 1944, Berlin, BAB, NS 31/43; and Fürst, Report ("Vorgänge beim 1. Ostmuselmanischen Regiment"), 11 May 1944, Berlin, BAB, NS 31/43. On Billig's sadistic command, see Hermann, Internal Note ("1. Ostm. SS-Rgt."), 26 April 1944, Berlin, BAB, NS 31/45; Fürst, Report ("Vorgänge beim 1. Ostmuselmanischen Regiment"), 11 May 1944, Berlin, BAB, NS 31/43; and Brucker (1st Eastern Muslim Regiment), Report ("Beleumdung des Hauptmann Billig"), 14 December 1944, n.p., BAB, NS 31/45.

(١٠١) نقلت مجلَّة البروباغندا الخاصة بالفيلق الأذري عن ذلك بالتفصيل في:
"Tapfere Freiwillige aus dem Osten," *Idel-Ural* 40 (97) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 7 October 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(١٠٢) في الثاني من مايو/ أيار من عام ١٩٤٤، أمر هملر بتحويل فيلق وحدات الحماية الإسلامية الشرقية المستخدَم بالفعل إلى أساس لتشكيل الفرقة الإسلامية الشرقية على مرِّ العام، انظر:
Himmler, Order, 2 May 1944, n.p., BAB, NS 31/44, and similarly, Berger, Order, 24 September 1944, BAB, NS 31/27.

وعن نشر الفرقة الإسلامية الشرقية، انظر:
Klumm (SS Head Office), Internal Note, 20 July 1944, Berlin, BAB, NS 31/44; and the employment order by Himmler, Order, 20 October 1944, n.p., BAB, NS 31/44.

(103) Fürst, Internal Note ("Osttürkisches SS-Korps"), 12 May 1944, Berlin, BAB, NS 31/44.

(104) Berger to Himmler, 14 July 1944, Berlin, BAB, NS 31/44, based on Olzscha, Internal Note ("Osttürkisches (muselmanisches) Korps"), 13 July 1944, Berlin, BAB, NS 31/44.

كان أولتسا أول من اقترح اسم هارون الرشيد بك، انظر:
Internal Note ("Politische Zusammenfassung der mohammedanischen Turkstämmigen aus der Sowjetunion. Aufstellung eines Osttürksichen Korps im Rahmen der SS"), 7 June 1944, Berlin, BAB, NS 31/29 (also in BAB, NS 31/43); and again by Olzscha, Internal Note ("Osttürkisches Korps"), 23 June 1944, Berlin, BAB, NS 31/44. On Himmler's decision to employ al-Rashid, see Klumm, Internal Note, 20 July 1944, BAB, NS 31/44.

(105) Al-Rashid, Curriculum Vitae, 7 June 1944, Fürstenberg, BAB, NS 31/45; see also Harun El-Rashid Bey, *Aus Orient und Occident: Ein Mosaik aus buntem Erleben* (Bielefeld, 1954).

(١٠٦) ألّف الرشيد بعد الحرب العالمية الأولى كتابًا عن «أسد غاليبولي»:
H.e.R., *Marschall Liman von Sanders und sein Werk* (Berlin, 1932).
(107) Al-Rashid, Curriculum Vitae, 7 June 1944, Fürstenberg, BAB, NS 31/45.

ألّف الرشيد أيضًا كتابًا عن تجربته في إفريقيا، انظر:
Harun El-Rashid Bey, *Schwarz oder Weiß? Roman nach eigenem Erleben im Afrikanischen Kriege* (Berlin, 1940).

ونجد أيضًا عرضًا موجزًا عن نشاط الرشيد في إثيوبيا، بناءً على سيرته الذاتية، في المرجع التالي:
Burchard Brentjes, "Der faschistische Agent 'Harun al-Raschid' im äthiopisch-italienischen Krieg," *Zeitschrift für Geschichtswissenschaft* 18, 5 (1970), 660–661.
(108) Al-Rashid, Curriculum Vitae, 7 June 1944, Fürstenberg, BAB, NS 31/45.

(١٠٩) المرجع السابق.
(110) Berger to Himmler, 14 July 1944, BAB, NS 19/2838.
(111) Olzscha to Al-Rashid, 18 May 1944, Berlin, BAB, NS 31/44.
(112) Olzscha, Internal Note ("Einziehung von ehemaligen Offizieren zur SS für das aufzustellende 'Osttürkische Korps'"), 13 July 1944, Berlin, BAB, NS 31/45.

(١١٣) عن أمر هملر القاضي باستخدام فيلق الترك الشرقيين احتياطيًا لجميع وحدات الحماية الشرقية الإسلامية، انظر:
Klumm, Internal Note, Berlin, 20 July 1944, BAB, NS 31/44; and Himmler, Order, 20 October 1944, n.p., BAB, NS 31/44.

(١١٤) اقترح منصور داوُد توظيفه هو، انظر:
Al-Rashid to Olzscha, 5 June 1944, Fürstenberg, BAB, NS 31/44; and on Daoud's employment, Berger to Himmler, 14 July 1944, Berlin, BAB, NS 31/44, based on Olzscha, Internal Note ("Osttürkisches (muselmanisches) Korps"), 13 July 1944, Berlin, BAB, NS 31/44; Olzscha, Internal Note ("Osttürkisches Korps"), 23 June 1944, Berlin, BAB, NS 31/44; and Olzscha, Internal Note ("Politische Zusammenfassung der mohammedanischen Turkstämmigen aus der Sowjetunion. Aufstellung eines Osttürksichen Korps im Rahmen der SS"), 7 June 1944, Berlin, BAB, NS 31/29 (also in BAB, NS 31/43).

وعن فرار داوُد من القاهرة إلى إسطنبول من القاهرة إلى إسطنبول في عام ١٩٤٢، انظر الوثائق الموجودة في: (PA, R 29533).

(115) Al-Rashid to Berger, 27 January 1945, n.p., BAB, NS 31/45.

وفي الواقع، حاول داوُد مرارًا الإفلات من الخدمة العسكرية بالإشارة إلى مشكلاته الصحية التي طالب لأجلها بالعلاج في عيادة خاصة في سكسونيا، ملتمسًا تسريحه، انظر الوثائق الموجودة في: (BAB, NS 31/45).

(١١٦) عن عديد فيلق المسلمين الشرقيين، انظر المصادر الواردة في الحاشية رقم (٩٢).

(١١٧)عن لواء سلاح الجبل التتري التابع لوحدات الحماية، انظر التقرير الوارد بلا اسم:
Report ("58. Waffen-Gebirgs-Brigade der SS (tatarische Nr. 1)"), n.d. (post-1945), n.p., BA–MA, N 756/242b.

في الثاني عشر من ديسمبر/ كانون الأول ذكر الرشيد أن لواء سلاح الجبل التتري التابع لوحدات الحماية على وشك الاندماج في الفيالق التركية الشرقية التابعة لوحدات الحماية، انظر:
Al-Rashid to Spaarmann, 12 December 1944, n.p., BAB, NS 31/34.

وكانت فكرة تجنيد تتر القِرم في التشكيل الإسلامي الشرقي الجديد لوحدات الحماية قد طُرحت بالفعل في أواخر عام ١٩٤٣، انظر:
Hermann, Internal Note ("Krimtataren"), 14 December 1943, Berlin, BAB, NS 31/32;

وبالمثل:
Hermann, Internal Note ("Krimtataren"), 16 December 1943, Berlin, BAB, NS 31/32

وكانت الخُطَّة مدعومة كذلك من جانب وزارة الشرق، انظر:
Kornelsen, Internal Note ("Gründung einer krimtatarischen Kavallerieformation im Verbande der Muselmanischen SS-Division"), 21 March 1944, Berlin, BAB, NS 31/32.

(118) Pilot (SS Head Office) to Szynkiewicz, 21 March 1944, Berlin, BAB, NS 31/43.

(119) SS Police Chief Danzig to SS Head Office, 21 November 1944, Danzig, BAB, NS 31/45;

وعن المسلمَين نفسيهما على الأغلب، انظر:
Kirimal to Olzscha, 30 November 1944, Frankfurt an der Oder, BAB, NS 31/45.

(120) Himmler, Order, 11 December 1944, n.p., BAB, NS 31/50 (also in BAB, NS 31/53 and NS 31/327).

وقد استشارت وحدات الحماية أوبرلندر بشأن تشكيل الفيلق القوقازي، انظر:
Arlt (SS Head Office) to Oberländer, 20 January 1945, Berlin, BAB, NS 31/37.

وعن التشكيل المبكر للفيلق، انظر الوثائق الموجودة في:
BAB, NS 31/34, NS 31/37, NS 31/50 and NS 31/53.

(121) Alekberli to Al-Rashid, 9 November 1944, n.p., BAB, NS 31/34. On the decision to leave the Azerbaijanis in the East Turkic SS Corps, see Arlt, Internal Note, 1 February 1945, Berlin, BAB, NS 31/51.

(١٢٢)عن تمرد عليموف، انظر:
Al-Rashid, Report ("Überlauf des Kommandeurs des Waffen-Rgts. der SS Turkistan Nr. 1, Waffen-Obersturmführer Gulam Alimow, mit etwa 500 Männern seines Regiments zu den Partisanen"), 26 December 1944, BAB, NS 31/29 (also in BAB, NS 31/44); and Al-Rashid, Report ("Bericht über die Entwicklung des Osttürkischen

Waffen-Verbandes der SS von Warschau bis Überlauf Alimow und über die aus dieser sich ergebenden Folgerungen"), n.d. (December 1944), BAB, NS 31/29 (also in BAB, NS 31/44).

وقد قدّمت صورة شديدة التفصيل عن التمرد في محاضر التحقيق، انظر:

Interrogation Report of Kuliev, n.d. (December 1944), BA–MA, RS 3–39/2; Interrogation Report of Abugatirov, 1 January 1945, n.p., BAB, NS 31/29 (also in BAB, NS 31/44); Interrogation Report of Abredinov, 5 January 1945, n.p., BAB, NS 31/29; Interrogation Report of Rachmanov and Islmailov, 8 January 1945, n.p., BAB, NS 31/29; Interrogation Report of Chasanov, 10 January 1945, n.p., BAB, NS 31/29 (also in BAB, NS 31/44); Interrogation Report of Atabaev, 10 January 1945, n.p., BAB, NS 31/29; Interrogation Report of Nagibkhojiev (Chief Mullah), 10 January 1945, n.p., BAB, NS 31/29 (also in BAB, NS 31/44).

عن الپارتيزان السلوڤاك، انظر:

Ladislaus Hory, "Der slowakische Partisanenkampf 1944/45," *Osteuropa* 9, 12 (1959), 779–784; and Rudolf Urban, "Der slowakische Partisanenkampf 1944/45: Eine Ergänzug," *Osteuropa* 10, 2/3 (1960), 153–154.

(123) Olzscha, Report, 1945, BStU, MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54.

(124) Hermann, Internal Note ("Turkmuselmanen-Division"), 14 December 1943, Berlin, BA–MA, RS 3–39/1 (also in BAB, NS 31/44).

(١٢٥) المرجع السابق. وفي الوقت نفسه، ألمح هملر إلى «السلوك الطيب والتدين العميق» لدى تتر القِرم، انظر:

Hermann, Internal Note ("Krimtataren"), 14 December 1943, Berlin, BAB, NS 31/32.

(126) Schulte, Report ("Turkmuselmanische SS-Division"), 11 December 1943, Berlin, BA–MA, RS 3–39/1.

(127) Mayer-Mader, Report, 15 December 1943, Berlin, BAB, NS 31/43.

(128) SS Head Office, Report ("Absprechung der Aufstellung einer muselmanischen SS-Division Neu-Turkestan"), 4 January 1944, Berlin, BA–MA, RS 3–39/1.

(129) Olzscha, Internal Note ("Schaffung einer turkotatarischen (osttürkischen) Dachorganisation in Deutschland"), 24 April 1944, Berlin, BAB, NS 31/42.

ولهذه الوثيقة وسياقها، انظر الفصل الثاني.

(130) Olzscha, Internal Note ("Politische Zusammenfassung der mohammedanischen Turkstämmigen aus der Sowjetunion. Aufstellung eines Osttürksichen Korps im Rahmen der SS"), 7 June 1944, Berlin, BAB, NS 31/29 (also in BAB, NS 31/43), and, similarly, Olzsch, Internal Note ("Politische Führung der Turkstämmigen. Abstimmung zwischen SS und OKW"), 1 June 1944, Berlin, BAB, NS 31/29.

وأُرسلت الملحوظتان من أولتسا إلى كلوم في السابع من يونيو/ حزيران من عام 1944 في

برلين، انظر: 29/BAB, NS 31 وحوّلهما الأخير إلى جروثمان من فريق هملر في السابع عشر من يونيو/ حزيران، انظر: 29/n.p., BAB, NS 31.

(131) Olzscha, Internal Note ("Osttürkisches Korps"), 23 June 1944, Berlin, BAB, NS 31/44.

(132) Olzscha, Internal Note ("Osttürkisches (muselmanisches) Korps"), 13 July 1944, n.p., BAB, NS 31/44.

(133) Berger to Himmler, 14 July 1944, Berlin, BAB, NS 31/44, based on Olzscha, Internal Note ("Osttürkisches (muselmanisches) Korps"), 13 July 1944, Berlin, BAB, NS 31/44.

(134) Berger to Himmler, 17 August 1944, Berlin, BAB, NS 31/44.

(135) Berger, Order ("Aufstellung des 'Osttürkischen Korps'"), n.d. (August 1944), Berlin. BAB, NS 31/27 (also in BAB, NS 31/44).

(136) Ulrich, Internal Note ("Osttürkisches Korps"), 7 August 1944, Berlin, BAB, NS 31/44.

(137) Al-Rashid, Report ("Grundsätzliches"), n.d., (1944), n.p., BAB, NS 31/44.

(138) Al-Rashid to Olzscha, 24 July 1944, Fürstenberg, BAB, NS 31/45.

(139) Al-Rashid, Report ("Bericht über die Entwicklung des Osttürkischen Waffen-Verbandes der SS von Warschau bis Überlauf Alimow und über die aus dieser sich ergebenden Folgerungen"), n.d. (December 1944), n.p., BAB, NS 31/29 (also in BAB, NS 31/44).

(140) Al-Rashid to Olzscha, 5 June 1944, Fürstenberg, BAB, NS 31/44.

(141) Al-Rashid to Olzscha, 31 July 1944, n.p., BAB, NS 31/45.

(142) Olzscha, Internal Note ("1. National-Turkestanischen Kongress Wien"), 23 May 1944, Berlin, BAB, NS 31/44.

(١٤٣) المرجع السابق. وكذلك:

Olzscha, Internal Note ("Rücksprache mit SS-Standartenführer Spaarmann und SS-Hstuf. Ullrich"), 12 May 1944, Berlin, BAB, NS 31/42; and SS Head Office, Internal Note ("Besprechung im Auswärtigen Amt mit Sachbearbeiter Idris am 14.11."), 15 November 1944, Berlin, BAB, NS 31/30.

(144) Mende, Internal Note ("Politische Richtlinien für die Turkverbände und die Ostmuselmanische SS-Division"), 12 February 1944, Berlin, BAB, NS 31/42.

(١٤٥) المرجع السابق.

(١٤٦) المرجع السابق.

(147) Mende, Internal Note ("Turkestanischer Kongress in Wien"), 1 June 1944, Berlin, BAB, R 6/143; and, in response, Berger to Mende, n.d. (2 June 1944), Berlin, BAB, R 6/143, based on a draft letter written by Olzscha.

(148) Mende, Internal Note ("Besprechung mit Dr. Olzscha vom SS Hauptamt am 13.9.1944"), 18 September 1944, Berlin, BAB, R 6/143; and, similarly, Olzscha,

Internal Note ("Besprechung zwischen Professor v. Mende, Dr. Arlt und Dr. Olzscha"), 29 September 1944, Berlin, BAB, NS 31/27.

(149) Hermann, Internal Note ("Mobilisierung des Islam"), 28 February 1944, Berlin, BAB, NS 31/42 (also in BAB, NS 31/43).

(١٥٠) المرجع السابق.

(151) Berger to Himmler, 13 November 1943, Berlin, BAB, NS 19/2601.

(١٥٢) المرجع السابق.

(153) Berger to Himmler, 4 December 1943, Berlin, BAB, NS 19/1896.

(١٥٤) عن لواء شمال إفريقيا، انظر:

Neulen, *An deutscher Seite,* 374–375; Jurado, *La espada del Islam,* 183–188; Satloff, *Among the Righteous,* 86–87; Pascal Ory, *Les Collaborateurs 1940–1945* (Paris, 1976), 258–259; and Marcel Hasquenoph, *La Gestapo en France* (Paris, 1987 [1975]), 351–359.

(155) Brandt to Wagner (Foreign Office), 18 October 1944, n.p., BAB, NS 19/2637.

(156) Brandt to Wagner, 23 October 1944, n.p., BAB, NS 19/2637.

(157) Berger to Himmler, 13 April 1944, Berlin, BAB, NS 19/3560.

(١٥٨) عن تفتيش وحدات الحماية وتجنيد سجناء معسكرات الاعتقال في عام ١٩٤٤، انظر الوثائق الموجودة في: (BAB, NS 31/59).

(159) Brandt to Berger, 31 May 1944, n.p., BAB, NS 31/59.

(160) SS Main Economic and Administrative Office, List ("Aufstellung über Häftlinge islamitischen Glaubens"), 1944, BAB, NS 31/59.

(161) Gerhard Höpp, "'Gefährdungen der Erinnerung': Arabische Häftlinge in nationalsozialistischen Konzentrationslagern," *Asien, Afrika, Lateinamerika* 30 (2002), 373–386; almost identically, Gerhard Höpp, "In the Shadow of the Moon: Arab Inmates in Nazi Concentration Camps," in Schwanitz (ed.), *Germany and the Middle East,* 216–240; and, in a more general context, Höpp, "Der verdrängte Diskurs," 246–252.

(162) Olzscha, Internal Note ("Häftlinge islamischen Glaubens"), 16 November 1944, Berlin, BAB, NS 31/59.

(163) Berger to Himmler, 10 December 1944, Berlin, BAB, NS 31/59

بناءً على مسوَّدة خطاب كتبه أولتسا: (BAB, NS 31/59)

***

الفصل السابع
الإسلام والسياسة في الوحدات

(1) Himmler, Speech ("Rede des Reichsführers SS Reichsinnenminister Himmler auf der Tagung der RPA-Leiter am 28. Januar 1944"), 28 January 1944, n.p., BAB, NS 19/4012 (also in BA-MA, SF-01/16263).

قدّم هملر إشارات مشابهة في أحد خطبه في مدينة بوزن (Posen)، انظر:
Himmler, Speech ("Rede vor den Reichs- und Gauleitern in Posen am 6،10،1943"), in Bradley F. Smith and Agnes F. Peterson (eds.), *Heinrich Himmler: Geheimreden 1933 bis 1945 und andere Ansprachen* (Frankfurt, 1974), 162–183, 181.

(٢) عن تكيُّف الأديان والثقافات الأصلية في الجيش الهندي البريطاني، انظر:
David Omissi, *The Sepoy and the Raj: The Indian Army, 1860–1940* (London, 1994), 76–112; John A. Lynn, *Battle: A History of Combat and Culture* (Oxford, 2003), 145–177; Tarak Barkawi, "Culture and Combat in the Colonies: The Indian Army in the Second World War," *Journal of Contemporary History* 41, 2 (2006), 325-355; and, on Islam in particular, Nile Green, *Islam and the Army in Colonial India: Sepoy Religion in the Service of Empire* (Cambridge, 2009).

(٣) هناك العديد من الأدبيات التي تناولت الحياة الدينية في الوحدات العسكرية المسيحية في التاريخ الحديث. مما يجدر بالذكر منها:
Donald F. Grosby, *Battlefield Chaplains: Catholic Priests in World War II* (Lawrence, KA, 1994); and Alan Robinson, *Chaplains at War: The Role of Clergymen during World War II* (London, 2008); and, on the First World War, Aleksandr Senin, "Russian Army Chaplains during World War I," *Russian Studies in History* 32, 2 (1993), 43–52; Duff Crerar, *Padres in No Man's Land: Canadian Chaplains and the Great War* (Montreal, 1995); and Richard Schweitzer, *The Cross and the Trenches: Religious Faith and Doubt among British and American Great War Soldiers* (Westport, CT, 2003); and, on the American Civil War, Sidney J. Romero, *Religion in the Rebel Ranks* (London, 1983); Gardiner H. Shattuck, *A Shield and Hiding Place: The Religious Life of the Civil War Armies* (Macon, GA, 1987); and Drew Gilpin Faust, "Christian Soldiers: The Meaning of Revivalism in the Confederate Army," *Journal of Southern History* 53, 1 (1987), 63–90;

وبصورة أعم في مقالات الكتاب التالي:

Doris L. Bergen (ed.), *Sword of the Lord: Military Chaplains from the First to the Twenty-First Century* (Notre Dame, IN, 2004).

(٤) عن الحياة الدينية لقساوسة الجيش ودورهم السياسي في الوحدات المسيحية بالفيرماخت، انظر:

Manfred Messerschmidt, *Aspekte der Militärseelsorgepolitik in nationalsozialistischer Zeit* (*Sonderdruck aus Militärgeschichtliche Mitteilungen*) (Freiburg, 1969); Georg May, *Interkonfessionalismus in der deutschen Militärseelsorge von 1933 bis 1945* (Amsterdam, 1978); Heinrich Missalla, *Für Volk und Vaterland: Die kirchliche Kriegshilfe im Zweiten Weltkrieg* (Königstein im Taunus, 1978); Heinrich Missalla, *Für Gott, Führer und Vaterland: Die Verstrickung der katholischen Seelsorge in Hitlers Krieg* (Munich, 1999); Johannes Güsgen, *Die katholische Militärseelsorge in Deutschland zwischen 1920 und 1945: Ihre Praxis und Entwicklung in der Reichswehr der Weimarer Republik und der Wehrmacht Nazi Deutschlands unter Berücksichtigung ihrer Rolle bei der Reichskonkordatsverhandlungen* (Cologne, 1989); Hans Jürgen Brandt, "Die katholische Militärseelsorge und Kleriker als Sanitätssoldaten in der großdeutschen Wehrmacht 1939 bis 1945," in Alfred Egid Hierold and Ernst Josef Nagel (eds.), *Kirchlicher Auftrag und politische Friedensgestaltung: Festschrift für Ernst Niermann* (Stuttgart, 1995), 178–193; Doris L. Bergen, "'Germany Is Our Mission—Christ Is Our Strength': The Wehrmacht Chaplaincy and the 'German Christian' Movement," *Church History* 66, 3 (1997), 522–536; Doris L. Bergen, "Between God and Hitler: German Military Chaplains and the Crimes of the Third Reich," in Omer Bartov and Phyllis Mack (eds.), *In God's Name: Genocide and Religion in the Twentieth Century* (New York, 2001), 123–138; Doris L. Bergen, "German Military Chaplains in the Second World War and the Dilemmas of Legitimacy," in Bergen, *Sword of the Lord*, 165–186; and Dagmar Pöpping, "Die Wehrmachtseelsorge im Zweiten Weltkrieg: Rolle und Selbstverständnis von Kriegs- und Wehrmachtpfarrern im Ostkrieg 1941–1945," in Manfred Gailus and Armin Nolzen (eds.), *Zerstrittene "Volksgemeinschaft": Glaube, Konfession und Religion im Nationalsozialismus* (Göttingen, 2011), 257–286.

(٥) عن الأديان المختلفة في الفيالق الشرقية، انظر:

Hoffmann, *Die Ostlegionen*, 144–146.

(6) *Einsatzgruppe D*, Report ("Die Rekrutierung der Krimtataren"), 15 February 1942, n.p., BA-MA, RH 20-11/433 (also in BA-MA, WF-03/10435); and, almost identically, Siefers, Report ("Aufstellung von Tataren- und Kaukasierformationen im Bereich des A.O.K. 11"), 20 March 1942, n.p., BA-MA, RH 19V/108 (also in PA, R 60739). On the meeting, see also Hoffmann, *Die Ostlegionen*, 43–44; Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern*, 184; Angrick, *Besatzungspolitik und Massenmord*, 469–471; and Roman'ko, *Krym pod piatoi Gitlera*, 173 and 200–201.

(7) *Einsatzgruppe D,* Report ("Die Rekrutierung der Krimtataren"), 15 February 1942, n.p., BA–MA, RH 20–11/433 (also in BA–MA, WF–03/10435); and, almost identically, Siefers, Report ("Aufstellung von Tataren- und Kaukasierformationen im Bereich des A.O.K. 11"), 20 March 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/108 (also in PA, R 60739).

(8) Siefers, Report ("Aufstellung von Tataren- und Kaukasierformationen im Bereich des A.O.K. 11"), 20 March 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/108 (also in PA, R 60739).

(9) Pamphlet "Hrvati Herceg-Bosne!" ("Croates of Herzeg-Bosna!"), n.d. (1943), PA, R 67675 (also in PA, R 100998); and, for the German translation, Pamphlet "Kroaten Herzeg-Bosnas!" (German translation), n.d. (1943), PA, R 67675 (also in PA, R 100998).

(10) Winkler, Report ("Die politische Lage der Mohammedaner Bosniens"), 4 May 1943, Berlin, PA, R 67675 (also in PA, R 261144).

أقام ڤينكلر تقييمه هذا على شكوى الأوستاشا من دور الأئمة في حملة التجنيد، انظر:
German Legation in Zagreb, Report ("Unterredungen in Sarajevo"), n.d. (28 April 1943), Zagreb, PA, R 100998.

(١١) عن دور پانچا في التجنيد، انظر:
Kasche to Foreign Office, 28 April 1943, Zagreb, PA, R 100998; and Bajraktarević to Phleps, 15 November 1943, Mostar, BAB, NS 19/2601.

(12) Bajraktarević to Phleps, 15 November 1943, Mostar, BAB, NS 19/2601.

(١٣) المرجع السابق.

(١٤) مقتبسٌ في: ;*The Kesten Memoires*, 259 (25 February 1944)

انظر أيضًا: Kersten, *Totenkopf und Treue,* 324 (25 February 1944).

(15) Sauberzweig to Berger, 30 September 1943, n.p., BAB, NS 19/2601.

(16) Bajraktarević to Phleps, 15 November 1943, Mostar, BAB, NS 19/2601.

(١٧) المرجع السابق.

(18) SS Head Office, Internal Note ("Geschichte und Entstehung der SS-Freiwilligen-b.h.-Geb. Division (13. SS-Division)"), 10 November 1943, Berlin, IfZ, NO-3577.

(19) Kasche to Foreign Office, 2 April 1943, Zagreb, PA, R 100998;

وفوق ذلك، استُخدِمت الراية الخضراء وراية النبي [ﷺ] لجذب المجنّدين، انظر:
Ein General im Zwielicht, Vol. 3, 239-254 (July/August 1943), 241.

(20) Anonymous, "Turkmenen werden deutsche Soldaten," *Brünner Tageblatt* (12 January 1944).

(21) Idris to Schulenburg, 8 June 1942, Berlin, PA, R 261175.

(22) Bräutigam to Schulenburg, 18 March 1942, Berlin, PA, R 261175.

(23) Berger to Himmler, 19 April 1943, Berlin, BAB, NS 19/2255.

(24) Al-Husayni to Berger, 15 December 1943, Berlin, BAB, NS 31/43.

(25) Hermann, Internal Note ("Besuch bei seiner Eminenz dem Großmufti"), 15 December 1943, Berlin, BAB, NS 31/44.

(26) Berger to Himmler, 16 December 1943, Berlin, BA–MA, RS 3–39/1.

(27) Pamphlet "Muselmannen" (German translation), n.d. (1944), BA–MA, RS 3–39/1.

(28) Niedermayer, Report ("Auswertungsergebnis der Fragebogen für Legionäre"), 21 November 1942, n.p., BA–MA, RH 26-162/20.

(29) Heygendorff, Instructions ("Merkblatt für deutsches Rahmenpersonal in ostvölkischen Einheiten über Behandlung der Legionäre"), 1 July 1943, Radom, BA–MA, RH 58/62.

(30) Kunz, *Die Krim unter Deutscher Herrschaft,* 213.

(31) Salihbegovic (Division Imam), Report ("Bericht zur Lage"), 25 September 1943, n.p., BAB, NS 19/2601.

(٣٢) يعرض الفصل الثالث لهذه الامتيازات التي قُدّمت لأسرى الحرب المسلمين من الجيش الفرنسي.

(33) High Command of the Army, Instructions ("Richtlinien für die inneren Verhältnisse in den Ostlegionen"), 24 April 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/108.

وسابقًا في ذلك العام، صدرت أوامر بالفعل باحترام المعتقدات الدينية للمتطوعين التتر الذين جُنِّدوا تجنيدًا منفصلًا في القِرم، انظر:

11th Army, Instructions ("Merkblatt für die Behandlung der Tataren"), 9 January 1942, n.p., BA–MA, WF–03/10433.

(34) High Command of the Army, Instructions ("Merkblatt für das deutsche Personal der Turk-Stammlager und Turk-Btlne."), 2 June 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/109.

(35) Niedermayer, Instructions ("Vereinbarung über islamisch-religiöse Fragen"), 27 August 1942, Mirgorod (Myrhorod), BAB, R 6/247 (also in MA, BA–RH 26-162/16).

(36) Niedermayer, Order ("Grundlegender Befehl über die Aufstellung von Turk-Btlnen"), 4 July 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/79 (also in BA–MA, RH 26-162/16);

وعن احترام التقاليد الدينية، انظر:

Niedermayer, Order ("Grundlegender Befehl über die Aufstellung von Turk-Btlnen"), Annexe 8 ("Die Turk-Völker und ihre Behandlung"), 4 July 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/79 (also in BA–MA, RH 26-162/16); and, similarly a year later, Niedermayer, Order ("Grundlegender Befehl über die geistige Betreuung der 162. (Turk) Inf. Div."), 15 June 1943, n.p., BA–MA, RH 26-162/20.

(37) Heygendorff, Instructions ("Merkblatt für deutsches Rahmenpersonal in ostvölkischen Einheiten über Behandlung der Legionäre"), 1 July 1943, Radom, BA–MA, RH 58/62.

(38) Heygendorff, Instructions ("Merkblatt für deutsche Offiziere über wehrgeistige Füh-

rung der Legionäre"), 1 July 1943, Radom, BA–MA, RH 58/62.

(39) High Command of the Wehrmacht, Newsletter ("Mitteilungen für den deutschen Soldaten in Freiwilligen-Verbänden"), November 1944, BA–MA, MSG 2/18262.-High Command of the Wehrmacht, Newsletter ("Mitteilungen für den deutschen Soldaten in Freiwilligen-Verbänden"), November 1944, BA–MA, MSG 2/18262.

(40) Hoffmann (Army), Report ("Tätigkeitsbericht der Abteilung Ic/A.O. der 162. Inf. Division: 1. Oktober 1942 bis 31. März 1943"), 20 April 1943, n.p., BA–MA, RH 26-162/19; and also Niedermayer, Order ("Grundlegender Befehl über die geistige Betreuung der 162. (Turk) Inf. Div."), 15 June 1943, n.p., BA–MA, RH 26-162/20.

(41) Himmler to Phleps, 13 February 1943, BAB, NS 19/2601; and Brandt to Jüttner, 16 February 1943, n.p., BAB, NS 19/2601.

تتكرر الإشارات للحقوق الهابسبورغية الممنوحة للجنود المسلمين من البوشناق في الوثائق المتعلقة بتوظيف فرقة الخنجر، انظر على الأخص الوثائق الموجودة في: (PA, R 27795 and. R 100998)

(42) Schellenberg, Memorandum ("Aufstellung einer mohammedanischen Legion der Waffen-SS aus Angehörigen der Fremdvölker der Sowjetunion"), 14 October 1943, Berlin, BAB, NS 31/43, enclosed to Schellenberg to Berger, 14 October 1943, Berlin, BAB, NS 31/43,

شدَّدت المذكِّرة على دور الإسلام في وحدات الحماية الإسلامية الشرقية وعلى الحاجة لتعيين أئمة عسكريين. وقد طالب ضباط التشكيل الإسلامي الشرقي بحصول جنود فرقة الخنجر على الدعم الديني نفسه.

Al-Husayni to Berger, 15 December 1943, Berlin, BAB, NS 31/43.

(43) Olzscha, Report, 1945, BStU, MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54.

(44) Niedermayer, Instructions ("Vereinbarung über islamisch-religiöse Fragen"), 27 August 1942, Mirgorod, BAB, R 6/247 (also in BA–MA, RH 26-62/16).

(45) Heygendorff, Instructions ("Merkblatt für deutsches Rahmenpersonal in ostvölkischen Einheiten über Behandlung der Legionäre"), 1 July 1943, Radom, BA–MA, RH 58/62.

(46) Heygendorff, Report ("Wie es zu meiner Ernennung zum Kommandeur der Ostlegionen kam"), n.d. (post-1945), n.p., IfZ, ZS 407.

(47) Niedermayer, Instructions ("Vereinbarung über islamisch-religiöse Fragen"), 27 August 1942, Mirgorod, BAB, R 6/247 (also in BA–MA, RH 26-62/16).

(48) "Die Urasa-Feier im Erholungsheim," *Idel-Ural* 42 (48) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 17 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(49) "Der Festtag Bairam," *Ghazavat* 36 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 20 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238; see also an article a month earlier: "Ramasan," *Ghazavat* 29 (1943), German translation, High Com-

mand of the Wehrmacht, 1 September 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(50) "Die Freude des Mullah Suleiman," *Azerbaijan* 45 (73) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 7 November 1943, Berlin, BA-MA, MSG 2/18239.

(51) "Die Fastenzeit zum Bajramfest," *Azerbaijan* 38 (117) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 25 September 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(52) "Kurban-Bajram," *Idel-Ural* 49 (106) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 9 December 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

كتب أحد القادة الألمان في الوحدات التترية تهاني احتفالية، وحثّ الجنود على الإيمان بـ «نصر مشترك»، انظر:

"Kurban-Bajram," *Idel-Ural* 49 (106) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 9 December 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(٥٣) عن احتفالات كارلسباد، انظر:

"Asarytürkische Einheit im Ort 'T,'" *Azerbaijan* 51 (130) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 25 December 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239;

وعن احتفالات برلين:

"Kurban-Bajram in Berlin," *Azerbaijan* 49 (128) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 11 December 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239;

وعن عيد الأضحى الأذري في عام ١٩٤٤، انظر:

"Kurban-Bajram wurde feierlich begangen," *Azerbaijan* 49 (128) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 11 December 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(54) Office for Political and Ideological Education of the 13th SS Division, Instruction ("Dienstanweisung für Imame der 13. SS-Freiwilligen b.h. Geb. Div. [Kroatien]"), 15 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

وسنناقش هذه التعليمات نقاشًا مفصّلًا فيما يلي.

(55) Bruce M. Borthwick, "The Islamic Sermon as a Channel of Political Communication," *Middle East Journal* 21, 3 (1967), 299–313; Asghar Fathi, "The Islamic Pulpit as a Medium of Political Communication," *Journal for the Scientific Study of Religion* 20, 2 (1981), 163–172; and, more generally, A. J. Wensinck, "Khutba," in *The Encyclopaedia of Islam,* vol. 5, ed. C. E. Bosworth, E. van Donzel, B. Lewis, and Ch. Pellat (Leiden, 1986), 74–75.

(٥٦) نشرت المجلّة الدعائية للفرقة عددًا من الصور الخاصة بالحدث، انظر:

"SS-Brigadeführer und Generalmajor der Waffen-SS Sauberzweig spricht gelegentlich des Bajramfestes zu seinen Männern" ("SS-Brigadeführer i Generalmajor

SS-Oružja Sauberzweig govori prilikom bajramskog blagdana svojim vojnicima"), *SS-Handžar* 7 (n.d. [1943]); and "Die feierlichen Tage des Bajramfestes der Division" ("Svečani bajramski dani u diviziji"), *SS-Handžar* 7 (n.d. [1943]). On the *SS-Handžar* propaganda magazine, see chapter 8.

(57) M. N., "Eine Gemeinschaft auf Gedeih und Verderb: Ansprachen des Kommandeurs und des Divisionsimams zum Bajramfest" ("Zakleta zajednica: Govor zapoviednika i divizijskog imama prilikom bajramske svečanosti"), *SS-Handžar* 7 (n.d. [1943]).

(58) Zvonimir Bernwald, *Muslime in der Waffen-SS: Erinnerungen an die bosnische Division Handžar (1943–1945)* (Graz, 2012), 64, and, on his memories of the celebrations in Neuhammer more generally, see 62–64 and 175–177.

(59) Sauberzweig, Order ("Feier des Geburtstages Mohammeds"), 4 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(60) Office for Political and Ideological Education of the 13th SS Division, Instruction ("Dienstanweisung für Imame der 13. SS-Freiwilligen b.h. Geb. Div. [Kroatien]"), 15 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(٦١) المرجع السابق.

(62) Al-Rashid, Report ("Behandlung der Ostmuselmanen"), 20 September 1944, Warsaw, BAB, NS 31/44, attached to Al-Rashid to Spaarmann, 22 September 1944, Berlin, BAB, NS 31/44; and, on the report, Olzscha, Internal Note ("Bericht des SS-Standartenführers Harun el Raschid über seinen Besuch beim 1. Ostmuselmanischen Regiment"), 24 September 1944, Berlin, BAB, NS 31/44.

(63) Niedermayer, Instructions ("Vereinbarung über islamisch-religiöse Fragen"), 27 August 1942, Mirgorod, BAB, R 6/247 (also in BA–MA, RH 26-162/16).

(64) Arnim, Order ("Arabereinsatz"), 9 January 1943, n.p., PA, R 27770.

(65) Himmler to Berger, 22 July 1943, n.p., BAB, NS 19/2601;

وقد أُرسلت نسخة من الطلب إلى أوسفالد پول رئيس القسم الاقتصادي والإداري الأساسي بوحدات الحماية.

(66) Berger to Himmler, 26 July 1943, Berlin, BAB, NS 19/2601.

(67) Himmler, Order, 6 August 1943, n.p., BAB, NS 19/3285.

(68) Himmler to Berger, 22 July 1943, n.p., BAB, NS 19/2601.

(69) Propaganda Division (*Waffen-SS Standarte "Kurt Eggers"*) to Brandt, 8 November 1943, Berlin, BAB, NS 19/2601.

(٧٠) المرجع السابق.

(71) Maller, *Die Fahrt gegen das Ende*, vol. 2, 216.

(72) Boria Sax, *Animals in the Third Reich: Pets, Scapegoats, and the Holocaust* (New York, 2000), 139–150; for the English translation of the law, see 175–179; Martin F. Brumme, "'Mit dem Blutkult der Juden ist endgültig in Deutschland Schluß zu machen': Anmerkungen zur Entwicklung der Anti-Schächt-Bewegung," in Michael

Hubenstorf et al. (eds.), *Medizingeschichte und Gesellschaftskritik: Festschrift für Gerhard Baader* (Husum, 1997), 378–397; and Shai Lavi, "Unequal Rites: Jews, Muslims and the History of Ritual Slaughter in Germany," *Tel Aviv Yearbook for German History* 37 (2009), 164–184, 173.

(73) Anonymous, "Gefangene, in Frankreich gemacht," *Signal* (15 July 1940), 9-10.

(74) Heygendorff, Instructions ("Merkblatt für deutsches Rahmenpersonal in ostvölkischen Einheiten über Behandlung der Legionäre"), 1 July 1943, Radom, BA–MA, RH 58/62.

(75) Buttlar (High Command of the Wehrmacht) to Köstring, 6 February 1944, n.p., BAB, NS 31/29.

(76) Command Staff of Himmler to High Command of the Wehrmacht, 2 February 1944, n.p., BAB, NS 31/29.

(77) Schnittker (Office of Higher SS and Police Leader East) to SS Head Office, 14 January 1944, Cracow, BA–MA, RS 3–39/1.

(٧٨) المرجع السابق.

(79) Schulte to Schnittker, 19 January 1944, Berlin, BA–MA, RS 3–39/1.

(80) Office for Political and Ideological Education of the 13th SS Division, Instruction ("Dienstanweisung für Imame der 13. SS-Freiwilligen b.h. Geb. Div. [Kroatien]"), 15 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(81) Text printed in *2. Land.Schütz.Btl.411* to *Fü.Arb.Kdo. No. 7902* (Allmendingen), 28 June 1944, Laupheim, Stuttgart General State Archive (*Hauptstaatsarchiv Stuttgart*), Stuttgart (LArchBWSt), E 151/11 Bü55.

(٨٢) المرجع السابق.

(٨٣) وُصفت العملية بكاملها بواسطة:

Landrat of Ehingen, Albert Bothner, see Bothner to interior minister of Württemberg (Stuttgart), 20 Juli 1944, Ehingen, LArchBWSt, E 151/11 Bü55; an officer of the labor unit had sent Bothner the letter of request, see *2. Land.Schütz.Btl.411* to *Fü.Arb. Kdo. Nr. 7902* (Allmendingen), 28 June 1944, Laupheim, LArchBWSt, E 151/11 Bü55.

(84) Schwarz (Reich Interior Ministry) to Interior Ministry of Württemberg, 1 September 1944, Berlin, LArchBWSt, E 151/11 Bü55.

(٨٥) لشارات الفيالق الشرقية، انظر: Hoffmann, *Die Ostlegionen*, 35–36.

(86) N. B. Nemtseva, "Istoki kompozitsii i etapy formirovaniya ansamblya Shakhi-zinda" ("The Origins and Architectural Development of the Shah-i Zinda"), *Iran: Journal of the British Institute of Persian Studies* 15 (1977), 51–73.

(٨٧) عن التسميات، انظر:

Hitler, Order, 15 May 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(88) Hermann, Internal Note ("Ostmuselmanische SS-Division"), 13 November 1944, Berlin, BA–MA, RS 3–39/1; and, similarly, Mayer-Mader to Schulte, 9 January 1944, n.p., BA–MA, RS 3–39/1.

(89) "Legionäre!," *Azerbaijan* 16 (95) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 24 April 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(٩٠) لشارات الذراع في الفيلق التركي الشرقي، انظر:

SS Head Office, Internal Note ("Abzeichen für den osttürkischen Waffenverband"), 12 October 1944, Berlin, BAB, NS 31/42; and SS Head Office, Internal Note ("Abzeichen für 'osttürkischen Waffen-Verband der SS'"), 12 October 1944, Berlin, BAB, NS 31/42;

ولشارات الفيلق التركي الشرقي، انظر الرسومات الموجودة في:

BAB, NS 31/42; and Al-Rashid, Report ("Behandlung der Ostmuselmanen"), 20 September 1944, Warsaw, BAB, NS 31/44;

ولعلَم الفيلق، انظر:

Hermann, Internal Note ("Turkmuselmanische Division"), 15 December 1943, n.p., BA–MA, RS 3–39/1 (also in BA–MA. SF-01/14701 and BAB, NS 31/43); and for drawings of the flag, see

وللرسومات الموجودة على العلَم، انظر:

BA–MA, RS 3–39/1 and BAB, NS 31/44.

(91) Jüttner, Internal Note ("Aufstellung der Kroatische SS-Freiwilligen-Division"), 30 April 1943, Berlin, BAB, NS 19/3523.

(٩٢) عن الطربوش، انظر:

Houchang Chehabi, "Dress Codes for Men in Turkey and Iran," in Touraj Atabaki and Erik J. Züricher (eds.), *Men of Order: Authoritarian Modernization under Atatürk and Reza Shah* (London, 2004), 209–237, 210–211; Margrit Pernau, *Bürger mit Turban: Muslime in Delhi im 19. Jahrhundert* (Göttingen, 2008), 349–355;

وعن دلالة الطربوش في البلقان، انظر:

Ferhadbegović, "Fes oder Hut?" and Bougarel, "Farewell to the Ottoman Legacy?," 338–339.

(93) Himmler to Pohl, 26 November 1943, n.p., BAB, NS 19/2601.

(94) Niedermayer, Instructions ("Vereinbarung über islamisch-religiöse Fragen"), 27 August 1942, Mirgorod, BAB, R 6/247 (also in BA–MA, RH 26-162/16).

(95) Heygendorff, Instructions ("Merkblatt für den deutschen Truppenarzt in ostvölkischen Einheiten"), 1 September 1943, Radom, BA–MA, RH 58/62.

(٩٦) عن تبنّي وحدات الحماية لأوامر القوات المسلَّحة في ذلك الشأن، انظر:

Jüttner, Order ("Beerdigung von gefallenen oder verstorbenen sowjetischen Kriegsgefangenen"), 28 January 1943, Berlin, VÚA, Box: SS-Rekruten Depot Debica 3.

وعن دفن أسرى الحرب الفرنسيين، انظر الفصل الثالث.

(97) Office for Political and Ideological Education of the 13th SS Division, Instruction ("Dienstanweisung für Imame der 13. SS-Freiwilligen b.h. Geb. Div. [Kroatien]"), 15 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(98) Wangemann, Report ("Tätigkeitsbericht der Abt. VI"), 4 April 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(99) Niedermayer, Instructions ("Vereinbarung über islamisch-religiöse Fragen"), 27 August 1942, Mirgorod, BAB, R 6/247 (also in BA–MA, RH 26-162/16). On the military ranks, see Hoffmann, Report ("Tätigkeitsbericht der Abteilung Ic/A.O. der 162. Inf. Division: 15. Mai 1942 bis 1. Oktober 1942"), 20 October 1942, n.p., BA–MA, RH 26-162/19;

وعن الإلغاء التالي لمنصب ملّا الفرقة، انظر:

Hoffmann, Report ("Tätigkeitsbericht der Abt. Ic/A.O. für die Zeit vom 1. April bis 31. Mai 1943"), 5 June 1943, n.p., BA–MA, RH 26-162/19.

(100) Jüttner to Himmler, 10 May 1943, Berlin, BAB, NS 19/2601; and Brandt to Jüttner, 13 May 1943, n.p., BAB, NS 19/2601. On the imams of Handžar, see Redžić, *Muslimansko Autonomaštvo i 13. SS Divizija,* 119–120; and, mostly based on interviews with contemporaries, Lepre, *Himmler's Bosnian Division,* 71–80.

(101) Brandt to Wagner (Foreign Office), 13 May 1943, n.p., BAB, NS 19/2601 (also in PA, R 100998);

ولردّ وزارة الخارجية، انظر:

Wagner to Brandt, 31 May 1943, Salzburg, BAB, NS 19/2601 (also in PA, R 100998). This answer was forwarded to Jüttner, see Brandt to Jüttner, 5 June 1943, n.p., BAB NS 19/2601.

لكن بروفه اعترض على الخطة مباشرةً، انظر:

Reichel (Foreign Office), Internal Note, 21 May 1943, Berlin, PA, R 100998.

وكذلك اعترضت السفارة في زغرب، انظر:

Wagner to Kasche, 15 May 1943, Berlin, PA, R 100998; and Schubert (Embassy Zagreb) to Foreign Office, 23 May 1943, Zagreb, PA, R 100998.

وكذلك لم يُحوّل إلى وحدات الحماية اقتراحُ بروفه الخاص بمنح شارات يد خضراء للأئمة، وإمدادهم بعمامة حول طربوش، انظر:

Reichel to Wagner, 3 June 1943, Berlin, PA, R 100998.

ومع ذلك، قرر برغر في عام ١٩٤٤ منح الأئمة الميدانيين في وحداته المسلمة الشرقية شارات يد عليها هلال أخضر ونجمة، دون استشارة وزارة الخارجية. انظر:

Dolezalek, Internal Note ("Abzeichen für 'osttürkischen Waffen-Verband der SS'"), 12 October 1944, Berlin, BAB, NS 31/42.

(١٠٢) حول إعادة الهيكلة، انظر تقرير ڤانغمان:

("Tätigkeitsbericht der Abt. VI"), 4 April 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(103) Office for Political and Ideological Education of the 13th SS Division, Instruction ("Dienstanweisung für Imame der 13. SS-Freiwilligen b.h. Geb. Div. [Kroatien]"), 15 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601; on the earlier instructions, see Wangemann, Report ("Tätigkeitsbericht der Abt. VI"), 4 April 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(104) Sauberzweig, Order ("Stellung der Imame innerhalb der Division"), 8 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(105) Office for Political and Ideological Education of the 13th SS Division, Instruction ("Dienstanweisung für Imame der 13. SS-Freiwilligen b.h. Geb. Div. [Kroatien]"), 15 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(١٠٦) عن مُحاسيلوڤيتش، انظر:

Lepre, *Himmler's Bosnian Division,* 71–72, 120–123, 184, and 266–267.

(١٠٧) عن چوزو، انظر المرجع السابق، ص ص ٧٢، ٧٧-٧٩، ١٢٤، ١٨٥-١٨٦؛

Bougarel, "From Young Muslims to Party of Democratic Action," 541–542.

(108) On Malkoč, see Redžić, *Muslimansko Autonomaštvo i 13. SS Divizija,* 119–120; and Lepre, *Himmler's Bosnian Division,* 72, 85–90, and 267.

(١٠٩) مذكرات الحاج محمّد أمين الحسيني، ص ١٤٩.

(110) SS Head Office, Structure Plan ("Gliederung des Stabes einer Waffengruppe, osttürkischer Waffenverband"), n.d., n.p., BAB, NS 31/44; and SS Head Office, Service Instruction ("Dienstanweisung für den Stab des osttürkischen Verbandes"), n.d. (1944), BAB, NS 31/44.

(111) Eastern Muslim SS Regiment to SS Head Office, 4 June 1944, n.p., BA–MA, RS 3–39/1.

(112) Al-Rashid to Olzscha, 7 August 1944, Fürstenberg, BAB, NS 31/45.

(١١٣) المرجع السابق؛

Olzscha, Internal Note ("Rücksprache mit Abdul-Gani-Osman"), 15 August 1944, Berlin, BAB, NS 31/31.

وفي الخامس عشر من أغسطس/ آب من عام ١٩٤٤، كتب عثمان عن دلالة الاحتفال بعيد الأضحى في:

"Die Kurban-Bairam-Feier," *Idel-Ural* 47 (104) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 14 October 1944, Berlin, BA-MA, MSG 2/18231.

(114) Al-Rashid to Olzscha, 21 October 1944, n.p., BAB, NS 31/44.

(115) Interrogation Report of Namangani, 10 January 1945, n.p., BAB, NS 31/29 (also in BAB, NS 31/44), indentifies Namangani (though using his middle name as his surname) as "chief-imam."

(116) SS Identification Card of Osman, n.d. (1 November 1944), BAB, NS 31/31; and Unglaube, Internal Note ("Ausweis für Herrn Osman von der Tatarischen Leitstelle"), 27 October 1944, Berlin, BAB, NS 31/31.

(117) Al-Rashid to Olzscha, 31 July 1944, Fürstenberg, BAB, NS 31/45.

(118) Al-Rashid, Report ("Bericht über die Entwicklung des osttürkischen Waffen-Verbandes der SS von Warschau bis Überlauf Alimow und über die aus dieser sich ergebenden Folgerungen"), n.d. (December 1944), BAB, NS 31/44 (also in BAB, NS 31/29).

(119) Heygendorff, Instructions ("Strafrechtsfälle"), 15 May 1943, Radom, BA–MA, RH 58/62.

(120) Heygendorff, Report ("Turkvölkische und kaukasische Verbände im Kampf an Deutschlands Seite im Zweiten Weltkriege"), October 1949, Uelzen, IfZ, ZS 407.

(121) Heygendorff, Instructions ("Behandlung der Legionäre"), 15 August 1943, Radom, BA–MA, RH 58/62.

(122) Heygendorff, Instructions ("Behandlung der Legionäre"), 15 July 1943, Radom, BA–MA, RH 58/62.

(123) Fürst, Report ("Osttürkisches SS-Korps"), 12 May 1944, Berlin, BAB, NS 31/44.

(124) Sauberzweig, Order ("Stellung der Imame innerhalb der Division"), 8 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(125) Lepre, *Himmler's Bosnian Division,* 86–94; and Grmek and Lambrichs, *Les Révoltés de Villefranche,* 177–195.

(126) Interrogation Report of Namangani, 10 January 1945, n.p., BAB, NS 31/29 (also in BAB, NS 31/44).

(127) Al-Rashid, Report ("Bericht über die Entwicklung des osttürkischen Waffen-Verbandes der SS von Warschau bis Überlauf Alimow und über die aus dieser sich ergebenden F.,lgerungen"), n.d. (December 1944), BAB, NS 31/44 (also in BAB, NS 31/29).

(١٢٨) انظر على سبيل المثال تقريرًا من إمام الفرقة في سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٤٣، وصل مع خطابين تلقاهما الإمام من مدنيين بوشناق:

Sauberzweig to Berger, 30 September 1943, n.p., BAB, NS 19/2601; Salihbegovic, Report ("Bericht zur Lage"), 25 September 1943, n.p., BAB, NS 19/2601; and the two forwarded letters from Muslim civilians, Anonymous to Muhasilović, n.d. (autumn 1943), n.p., BAB, NS 19/2601; and Anonymous to Kadia, n.d. (autumn 1943), n.p., BAB, NS 19/2601.

(129) Masic (imam) to Muhasilović, 20 May 1944, Ilijaš, BA–MA, RS 3–7/16; and Masic to Muhasilović, 16 June 1944, Ilijaš, BA–MA, RS 3–7/16.

(130) Office for Political and Ideological Education of the 13th SS Division, Instruction ("Dienstanweisung für Imame der 13. SS-Freiwilligen b.h. Geb. Div. [Kroatien]"), 15 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601; see also Office for Political and Ideological Education of the 13th SS Division, Structure Plan, 2 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601; and Wangemann, Report ("Auszüge aus den Div.-Tagesbefehlen"), 1 April 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(131) Heygendorff, Instructions ("Behandlung der Legionäre"), 15 July 1943, Radom, BA–MA, RH 58/62; and, similarly, Heygendorff, Instructions ("Merkblatt für deutsche Offiziere über wehrgeistige Führung der Legionäre"), 1 July 1943, Radom, BA–MA, RH 58/62.

(132) Rosenberg to Hitler, 26 May 1943, Berlin, BAB, R 6/634.

(133) Jumabaev, Instructions ("An die Legions- und Bataillonsmullahs"), 5 May 1943, n.p., BA–MA, RH 26-162/19.

(134) Berger (Schulte), Decree ("Weltanschaulich geistige Erziehung der muselmanischen SS-Division"), 19 May 1943, Berlin, BAB, NS 19/2601.

(١٣٥) المرجع السابق.

(136) Office for Political and Ideological Education of the 13th SS Division, Structure Plan, 2 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(137) Sauberzweig, Order, 4 April 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(138) Wangemann, Speech ("Dienstbesprechung der Kommandeure und Imame am 8،4،1944 in Brćko"), 8 April 1944, Brćko, BAB, NS 19/2601.

(139) Office for Political and Ideological Education of the 13th SS Division, Instruction ("Dienstanweisung für Imame der 13. SS-Freiwilligen b.h. Geb. Div. [Kroatien]"), 15 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(140) Office for Political and Ideological Education of the 13th SS Division, Structure Plan, 2 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601; and Office for Political and Ideological Education of the 13th SS Division, Instruction ("Dienstanweisung für Imame der 13. SS-Freiwilligen b.h. Geb. Div. [Kroatien]"), 15 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(141) Office for Political and Ideological Education of the 13th SS Division, Instruction ("Dienstanweisung für Imame der 13. SS-Freiwilligen b.h. Geb. Div. [Kroatien]"), 15 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(142) Office for Political and Ideological Education of the 13th SS Division, Structure Plan, 2 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601; Sauberzweig, Order ("Stellung der Imame innerhalb der Division"), 8 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601; and Office for Political and Ideo-logical Education of the 13th SS Division, Instruction ("Dienstanweisung für Imame der 13. SS-Freiwilligen b.h. Geb. Div. [Kroatien]"), 15 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(143) M. N., "Eine Gemeinschaft auf Gedeih und Verderb."

(١٤٤) المرجع السابق.

(145) Heygendorff, Instructions ("Merkblatt für deutsche Offiziere über wehrgeistige Führung der Legionäre"), 1 July 1943, Radom, BA–MA, RH 58/62; and, at the same time, similarly, Niedermayer, Order ("Grundlegender Befehl über die Aufstellung von Turk-Btlnen"), Annexe 8 ("Die Turk-Völker und ihre Behandlung"), 4 July 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/79 (also in BA–MA, RH 26-162/16); and Niedermayer, Order ("Grundlegender Befehl über die geistige Betreuung der 162. (Turk) Inf Div."), 15 June 1943, n.p., MA, RH 26-162/20.

(146) Heygendorff, Instructions ("Behandlung der Legionäre"), 15 September 1943, n.d., BA–MA, RH 58/62.

(147) Wehrmacht Report ("Beurteilung des Nordkaukasus Batl. 801"), 13 November 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/110.

(148) Wangemann, Report ("Tätigkeitsbericht der Abt. VI"), 4 April 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(149) Lepre, *Himmler's Bosnian Division,* 266–267.

(150) Seraphim, Report ("Kaukasische und turkvölkische Freiwillige im deutschen Heer"), 1948, Nuremberg, MA, MSG 2/18298.

(151) Hoffmann, Report ("Tätigkeitsbericht der Abteilung Ic/A.O. der 162. Inf. Division: 15. Mai 1942 bis 1. Oktober 1942"), 20 October 1942, n.p., BA–MA, RH 26-162/19; and, similarly, Hoffmann, Report ("Tätigkeitsbericht der Abteilung Ic/A.O. der 162. Inf. Division: 1. Oktober 1942 bis 31. März 1943"), 20 April 1943, n.p., BA–MA, RH 26-162/19.

(152) Heygendorff, Instructions ("Merkblatt für deutsche Offiziere über wehrgeistige Führung der Legionäre"), 1 July 1943, Radom, BA–MA, RH 58/62.

(١٥٣) عن دورات القوات المسلَّحة في غوتنغن، انظر:

Hoffmann, *Die Ostlegionen,* 139–142; Peter Heine, "Die Imam-Kurse der deutschen Wehrmacht im Jahre 1944," in Höpp (ed.), *Fremde Erfahrungen*, 229–238; and Ha2 nisch, *Exegeten,* 162–163.

وعن دورات وحدات الحماية في بابلسبرغ وغوبن، انظر:

Heine, "Mullah-Kurse"; and Lepre, *Himmler's Bosnian Division,* 71–77 and 185–186.

وعن دورات درسدن، انظر:

Brentjes, "Die 'Arbeitsgemeinschaft Turkestan im Rahmen der DMG,'" 157–158; Peter Heine, "Die Mullah-Kurse der Waffen-SS," in Höpp and Reinwald (eds.), *Fremdeinsätze,* 181–188; and Pieter Sjoerd van Koningsveld, "The Training of Imams by the Third Reich," in Willem B. Drees and Pieter Sjoerd van Koningsveld (eds.), *The Study of Religion and the Training of Muslim Clergy in Europe: Academic and Religious Freedom in the 21st Century* (Leiden, 2008), 333–347.

(154) Bräutigam, Internal Note ("Politische Richtlinien hinsichtlich Turkestan"), 25 November 1941, Berlin, BAB, R 6/247

(١٥٥) عن شبولر، انظر:

Heribert Busse, "Bertold Spuler (1911–1990)," *Der Islam* 67, 2 (1990), 199–205; Werner Ende, "Bertold Spuler," in Hans Günter Hockerts (ed.), *Neue deutsche Biographie,* vol. 24 (Berlin, 2010), 769–770; Werner Ende, Bert Fragner, and Dagmar Riedel, "Spuler, Bertold," in *Encyclopaedia Iranica* (2010), online; and Ellinger, *Deutsche Orientalistik,* passim, esp. 37, 254–256, and 531

في أثناء الحرب، نشر شبولر مقالتي:

Idel-Ural, "Die Wolga-Tataren und Baschkiren unter russischer Herrschaft," and "Die Lage der Muslime in Rußland seit 1942,"

اللتان لم تكن تتناولان الدور السياسي للإسلام في تاريخ المنطقة فحسب، بل تناولتا السياسات السوفييتية المعاصرة تجاه الإسلام كذلك. وكتب المقال التالي قبل الحرب، ربما ردًا على كتاب شميتز **الإسلام كله**.

Volkstumsgedanken im arabischen Orient," *Orient-Nachrichten* 5 (1939), 193–195.

(١٥٦) انتقد المستشرق الألماني ريتشارد هارتمان، الذي شارك في تأسيس مدرسة الملالي التابعة لوحدات الحماية في درسدن، دورات غوتنغن بدعوى قيام غير مسلم على التدريس فيها، انظر:

Olzscha, Report, 1945, BStU, MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54. Part of the report is printed in Drees and Koningsveld, *Study of Religion*, 348–368. Spuler reacted to this criticism in the report on his fifth course, see Spuler, Report ("5. Mulla-Lehrgang"), 21 November 1944, Göttingen, BA–MA, MSG 2/18298.

(157) Spuler, Report ("Die Freiwilligen-Einheiten"), n.d. (post-1945), n.p. (Göttingen), BA–MA, MSG 2/18284; and Spuler, "Muslime in Rußland," 298.

(١٥٨) نُشرت رسالة شينكيتش بالألمانية، انظر:

Jakob Schinkewitsch, "Rabyūzis Syntax," in *Mitteilungen des Seminars für orientalitsche Sprachen zu Berlin* 29 (1926), 130–172; 30 (1927), 1–57.

وأصبحت، بتعبير روبرت دانكوف (Robert Dankoff)؛ من «كلاسيكيّات حقل الدراسات التركية»، انظر:

"Rabghuzi's Stories of the Prophets" (review article), *Journal of the American Oriental Society* 117, 1 (1997), 115–126, 115.

(159) A. Bohdanowicz, "Cultural Movements of Muslims in Poland," 375–376; L. Bohdanowicz, "The Muslims in Poland," 175; and Norris, *Islam in the Baltic*, 79; and Cwiklinski, "Between National and Religious Solidarities," 77.

(١٦٠) أوصى شبولر في البداية ألا «تقل مدة الدورات عن أربعة أسابيع»، انظر:

Spuler, Report ("Mullakurse"), 11 April 1944, Göttingen, BA–MA, MSG 2/18298.

لكن الدورة الأولى استمرت لأسبوعين، وطالب شبولر مرةً أخرى بمدّها إلى ثلاثة أو أربعة أسابيع، انظر:

Spuler, Report ("1. Mulla-Lehrgang"), 19 June 1944, Göttingen, BA–MA, MSG 2/18298.

لكن يبدو أن الجيش لم يلبِّ طلبه أبدًا.

(161) Spuler, Report ("Mullakurse"), 11 April 1944, Göttingen BA–MA, MSG 2/18298.

(162) Spuler, Report ("1. Mulla-Lehrgang"), 19 June 1944, Göttingen, BA–MA, MSG 2/18298; and Spuler, Report ("2. Mulla-Lehrgang"), 5 August 1944,Göttingen, BA-MA, MSG 2/18298.

(197) Olzscha, Report, 1945, BStU, MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54;

وللتفصيل أكثر، انظر: مذكرات الحاج محمَّد أمين الحسيني، ص ١٤٢، ص ١٤٩.

(١٩٨) مذكرات الحاج محمَّد أمين الحسيني، ص ١٤٢.

(١٩٩) المرجع السابق، ص ١٤٢، ص ١٤٩.

(200) Hentig, Internal Note, 4 October 1944, Berlin, PA, R 100998; and Thadden (Foreign Office), Internal Note ("Reise des Grossmufti nach Budapest"), 5 October 1944, Berlin, PA, R 100998;

وعن تحضيرات زيارة المفتي التي أعدها مفوض الرايخ في المجر، إدموند فيسنماير (Edmund Veesenmayer)، انظر:

Veesenmayer to Foreign Office, 5 October 1944, Budapest, PA, R 100998, and Wagner to Veesenmayer, 6 October 1944, Berlin, PA, R 100998.

(201) Schellenberg, Speech (Draft) ("Entwurf für Ansprache zur Eröffnung der osttürkischen Mullah-Schule in Dresden am 26. November 1944"), 26 November 1944, BAB, NS 31/60. A summary of Schellenberg's speech can be found in SS Head Office, Internal Note ("Zusammenfassung der Ansprache von SS-Brigadeführer Schellenberg"), 29 November 1944, Berlin, BAB, NS 31/60.

(202) Victor Klemperer, *Ich will Zeugnis ablegen bis zum letzten: Tagebücher 1941–1945*, ed. Walter Nowojski (Berlin, 1995), 610 (entry of 12 November 1944), about the house, see also 230, 354, and 406.

ولحصول وحدات الحماية على الدارة، انظر الوثائق التالية: (BAB, R 58/305).
وقد واجهت وحدات الحماية بعض المشكلات في إخراج أحد السكّان من المبنى، وتواصلت مع قائد الشرطة ووحدات الحماية الأعلى في درسدن، لدولف فون ألفنسلبن (Ludolf von Alvensleben)، بغية الحصول على المساعدة، انظر:

Olzscha, Leo, and Krallert, Internal Note ("Mullah-Schule in Dresden"), 18 July 1944, Berlin, BAB, R 58/305; and East Ministry, Internal Note, n.d. (July 1944), Berlin, BAB, R 58/305.

(203) Olzscha, Report, 1945, BStU, MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54.

(٢٠٤) المرجع السابق.

(205) East Ministry, Newsletter ("Mittelungen zur Ostpolitik"), 15 November 1944, Berlin, BAB, R 6/65.

(206) SS Head Office, Report ("Bericht über Besprechung im Auswärtigen Amt mit Sachbearbeiter Idris am 14.11."), 15 November 1944, Berlin, BAB, NS 31/30.

(207) Naumann (State Secretary Propaganda Ministry) to Berger, Berlin, 9 January 1945, BAB, NS 31/40.

وعن المفاوضات بين وزارة الدعاية ووحدات الحماية، انظر:

Olzscha, Internal Note ("Prof. Idris und Prof. Steuerwald"), 24 January 1945, Berlin,

BAB, NS 31/40; Berger to Naumann, 24 January 1943, Berlin, BAB, NS 31/40; and Naumann to Berger, Berlin, 21 February 1945, BAB, NS 31/40.

(208) Naumann to Berger, Berlin, 21 February 1945, BAB, NS 31/40.

(209) Olzscha, Report, 1945, BStU, MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54.

(٢١٠) المرجع السابق. ولا نعلم كم بقي إلدر إدريس في درسدن. وعلى الرغم من أن تقرير أولتسا يشير إلى فترة بقاء طويلة، ويشير تقرير لمكتب وحدات الحماية الرئيسية إلى فترة بقاء اقتصرت على بضعة أيام فقط في أواخر نوفمبر/ تشرين الثاني، لحضور احتفالات عيد الأضحى في المدرسة، انظر:

SS Head Office, Internal Note, 24 November 1944, Berlin, BAB, NS 31/45.

(211) Olzscha, Report, 1945, BStU, MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54.

(٢١٢) المرجع السابق.

(٢١٣) عن توظيف الإستانبولي، انظر:

SS Head Office, Information Sheet about Stambuli, n.d. (1944), n.p., NS 31/40; and Schloms (*Arbeitsgemeinschaft Turkestan*) to Olzscha, 26 September 1944, Dresden, BAB, NS 31/40.

وعن تجنيد محمد رسول زاده، انظر:

Olzscha, Internal Note ("Rücksprache mit Professor von Mende"), 12 October 1944, Berlin, BAB, NS 31/62.

ويبدو أن رسول زاده رفض العرض المقدَّم من جانب أولتسا؛ استنادًا إلى تقدُّمه في السن، انظر:

Olzscha, Report, 1945, BStU, MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54.

(214) Idris to Schyia, 6 March 1945, Berlin, BAB, NS 31/40; and Schyia to Idris, 13 March 1945, Berlin, BAB, NS 31/40.

(٢١٥) المرجع السابق.

(216) Class List of the First Course, n.d. (1945), Dresden, BAB, NS 31/60; Class List of the Second Course, n.d. (1945), Dresden, BAB, NS 31/60; and Class List of the Third Course, n.d. (1945), Dresden, BAB, NS 31/60; see also Degree Certificate of the SS Mullah School (Drafts), 1945, Dresden, BAB, NS 31/40.

زعم أولتسا بعد الحرب أنه لم يتخرج في المدرسة إلَّا فصلٌ واحد من أربعين مسلمًا شرقيًا، انظر:

Olzscha, Report, 1945, BStU, MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54.

(217) Idris to Michel (High Command of the Army), 19 January 1945, Berlin, BAB, NS 31/40.

(218) SS Head Office, Report ("Bericht über Besprechung im Auswärtigen Amt mit Sachbearbeiter Idris am 14.11."), 15 November 1944, Berlin, BAB, NS 31/30.

(219) Idris to Michel, 19 January 1945, Berlin, BAB, NS 31/40.

(220) Olzscha, Report, 1945, BStU, MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54.

(٢٢١) المرجع السابق. وفي هذه الحالة، حتى وزارة الشرق دعمت توجه وحدات الحماية المناهض للطائفية، انظر:

Olzscha, Internal Note ("Besprechung zwischen Professor v. Mende, Dr. Arlt und Dr. Olzscha"), 29 September 1944, Berlin, BAB, NS 31/27.

وبعد الحرب، أشار برويتيغام إلى أنه «لم تقع أبدًا أي نزاعات بين السنة والشيعة»، وأن هذه المشكلة قد اختلقها «المدير الألماني شديد الحماس لمدرسة الملالي في غوتنغن»، انظر:

Bräutigam, Report ("Richtigstellung zu den Ausführungen des General Koestring"), n.d. (post-1945), n.p., IfZ, ZS 400.

وكان ذلك ردًا على تقرير لكوسترنغ بعد الحرب لفت فيه الانتباه إلى «الشقاق بين السنة والشيعة» في دورات تدريب الأئمة، انظر:

Köstring, Report ("Erfahrung mit den Freiwilligen aus dem russischen Raum im Kampf mit dem Bolschewismus, 1941–1945"), n.d. (post-1945), n.p., IfZ, ZS 85.

(222) Olzscha, Report, 1945, BStU, MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54.

(223) Idris to Michel, 19 January 1945, Berlin, BAB, NS 31/40.

(224) Olzscha to Al-Rashid, 1 December 1944, Berlin, BAB, NS 31/45; Schyia, Internal Note ("Sachbearbeiter bei DI/5k für islamreligiöse Betreuung den muselmanischen Verbänden"), 23 December 1944, Berlin, BAB, NS 31/40; and Olzscha, Report, 1945. BStU, MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54.

(225) Köstring to Olzscha, 13 September 1944, n.p., BAB, NS 31/31; Olzscha to Köstring, 22 September 1944, Berlin, BAB, NS 31/31; and Olzscha, Report, 1945, BStU, MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54.

(226) Olzscha. Internal Note ("Rücksprache mit Herrn Müller"), 26 September 1944, Berlin, BAB, NS 31/32; Olzscha, Internal Note ("Rücksprache mit Professor von Mende"), 12 October 1944, Berlin, BAB, NS 31/62; Olzscha, Report, 1945, BStU, MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54; and Spuler, "Muslime in Rußland seit 1942," 298.

(227) Mende, Internal Note ("Gespräch mit dem Großmufti von Jerusalem"), 28 July 1944, Berlin, IfZ, PS-1111.

(٢٢٨) أعلم أولتسا المفتي بالخُطط وطلب رأيه في المعلّمين. لكنه أشار داخليًا إلى أنه يجب تجنب مشاركة المفتي، انظر:

Olzscha, Internal Note ("Rücksprache mit SS-Standartenführer Spaarmann und SS-Hstuf. Ullrich"), 12 May 1944, Berlin, BAB, NS 31/42.

وذكر أولتسا بعد الحرب أن إدريس أيضًا لم يكن متحمسًا للعمل مع الحسيني، وأن ريتشارد هارتمان نصح صراحة بتجنب مشاركة المفتي، انظر:

Olzscha, Report, 1945, BStU, MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54.

ومن ثمّ لم يذكر الحسيني معهد درسدن في مذكراته إلّا بشكل عابر، انظر: **مذكرات الحاج محمّد أمين الحسيني**، ص ١٤٢.

(229) Al-Husayni to Himmler, 27 November 1944, Dresden, BAB, NS 19/2637.

(230) Himmler to al-Husayni, 30 November 1944, n.p., BAB, NS 19/2637.

(231) Olzscha, Report, 1945, BStU, MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54; and, similarly, Forr schungsgruppe des Dokumentationszentrum des Ministeriums des Inneren der DDR, Report ("Arbeitsgemeinschaft Turkestan and Mullahschule in Dresden"), 1 August 1968, BStU, MfS, HA IX, No. 21976.

(232) Schyia to Army Command Weissenfels, 23 February 1945, Berlin, BAB, NS 31/40.

(233) Army Command Weissenfels to Olzscha, 28 February 1945, Weissenfels, BAB, NS 31/40.

(234) Schyia to Army Command Weissenfels, 1 March 1945, Berlin, BAB, NS 31/40.

(235) SS Head Office, Report ("Bericht über Besprechung im Auswärtigen Amt mit Sachbearbeiter Idris am 14,11."), 15 November 1944, Berlin, BAB, NS 31/30.

(236) Heygendorff, Report ("Führung fremden Volkstumes"), n.d. (post-1945), n.p., IfZ, ZS 407.

(٢٣٧) المرجع السابق.

الفصل الثامن
الإسلام والبروباغندا العسكرية

(1) Niedermayer, Guidelines ("Anhaltspunkte für den politischen Unterricht in turkvölkischen Einheiten"), 15 January 1943, n.p., BA–MA, RH 26-162/19; and, on the guidelines, Niedermayer, Internal Note ("Anhaltspunkte für den politischen Unterricht in turkvölkischen Einheiten"), 15 January 1943, n.p., BA–MA, N 122/3.

(2) Berger (Schulte), Decree ("Weltanschaulich geistige Erziehung der muselmanischen SS-Division"), 19 May 1943, Berlin, BAB, NS 19/2601.

(٣) عن الضباط السياسيين في الجيش الألماني، انظر:
Jürgen Förster, "Ideological Warfare in Germany, 1919 to 1945," in Ralf Blank, Jörg Echternkamp, Karola Fings et al. (eds.), *Germany and the Second World War*, vol. 9/1 (*German Wartime Society 1939–1945: Politicization, Disintegration, and the Struggle for Survival*) (Oxford, 2008), 485–669, esp. 563–569 and 614–626; Frank Vossler, *Propaganda in die eigene Truppe: Die Truppenbetreuung in der Wehrmacht 1939–1945* (Paderborn, 2005), 154–190; and Omer Bartov, *The Eastern Front, 1941–1945: German Troops and the Barbarisation of Warfare* (London, 1985), 75–76.

(4) "Für den heiligen Krieg!," *Gasavat* 37 (80) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 8 September 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(٥) نظّم قسم البروباغندا في القيادة العليا للقوات المسلّحة دوراتٍ قصيرة لجنود الفيالق التُرك في برلين وبوتسدام (Potsdam). من أجل البرامج والتقارير المتعلقة ببعض هذه الدورات، انظر الوثائق التالية:
BA–MA, RW 4v/237. High Command of the Wehrmacht (Propaganda Division), Program ("Programm für den 5. Lehrgang der Ostlegionäre, 10. August 1942–19. August 1942"), 6 August 1942, Berlin, BA–MA, RW 4v/237; High Command of the Wehrmacht (Propaganda Division), Program ("Programm für den 6. Lehrgang der Ostlegionäre, 24. August 1942–3. September 1942"), n.d. (August 1942), Berlin, BA–MA, RW 4v/237; and High Command of the Wehrmacht (Propaganda Division), Program ("Programm für den 7. Lehrgang der Ostlegionäre, 7. September 1942–16.

September 1942"), 1 September 1942, Berlin, BA–MA, RW 4v/237; and, for the reports on the three courses, High Command of the Wehrmacht (Propaganda Division), Report ("Lehrgang von 60 Ostlegionären in Berlin und Potsdam, 10. August 1942–19. August 1942"), n.d. (August 1942), Berlin, BA–MA, RW 4v/237; High Com2 mand of the Wehrmacht (Propaganda Division), Report ("Lehrgang von 60 Ostlegionären in Berlin und Potsdam, 24. August 1942–3. September 1942"), 3 September 1942, Berlin, BA–MA, RW 4v/237; and High Command of the Wehrmacht (Propaganda Division), Report ("Lehrgang von 60 Ostlegionären in Berlin und Potsdam, 7. September 1942–16. September 1942"), 18 September 1942, Berlin, BA–MA, RW 4v/237; see also High Command of the Army to High Command of the Wehrmacht (Propaganda Division), 12 September 1942, Berlin, BA–MA, RW 4v/237; and High Command of the Wehrmacht, Report ("Lehrgang von 60 Ostlegionären in Berlin und Potsdam"), 29 September 1942, Berlin, BA–MA, RW 4v/237; on these trips more generally, see Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 101; and Hoffmann, *Die Ostlegionen,* 123.

(6) High Command of the Wehrmacht (Propaganda Division), Report ("Lehrgang von 60 Ostlegionären in Berlin und Potsdam, 24. August 1942–3. September 1942"), 3 September 1942, Berlin, BA–MA, RW 4v/237; and High Command of the Wehrmacht (Propaganda Division), Report ("Lehrgang von 60 Ostlegionären in Berlin und Potsdam, 7. September 16. September 1942"), 18 September 1942, Berlin, BA–MA, RW 4v/237.

(7) High Command of the Army, Instructions ("Merkblatt für das deutsche Personal der Turk-Stammlager und Turk-Btlne."), 2 June 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/109.

(8) High Command of the Wehrmacht, Newsletter ("Mitteilungen für den deutschen Soldaten in Freiwilligen-Verbänden"), February 1944, BA–MA, MSg MSG 2/18262.

(9) Siefers, Report ("Aufstellung von Tataren- und Kaukasierformationen im Bereich des A.O.K. 11"), 20 March 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/108 (also in PA, R 60739).

(10) Anonymous (Local Propagandist), Report ("Bericht über Beobachtungen und Erfahrungen über den Lehrgängen für Propagandisten unter den freiwilligen Tataren, Kaukasiern und Kriegsgefangenen, Russen und Ukrainern"), enclosed to Hentig, Report, 6 May 1942, n.p. (Simferopol), PA, R 60740. On the courses, see also Worms (Army), Report ("Propagandistische Schulung der freiwilligen Tataren"), 18 February 1942, n.p., BA–MA, WF 03/10435; and Hentig, Report ("Tataren auf der Krim"), 10 April 1942, n.p. (Simferopol), PA, R 60739 (also in PA, R 261175).

(١١) عن الضباط السياسيين في وحدات الحماية، انظر:

Förster, "Ideological Warfare," 485 669, esp. 568 569.

(12) Handžar, Syllabus ("Lehrplan für den Kurzlehrgang der Einsatzredner"), 5 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(13) Handžar, Service Schedule ("Dienstplan für den Pol.-Kurslehrgang vom 29.3-

1،4،44"), 29 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(14) Handžar, Exam Questions ("Schriftliche Arbeit des 6. We-Kurzlehrgangs vom 29,3.-1،4،44"), 1 April 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(15) Windisch, Exam ("Schriftliche Arbeit, 6. We-Kurzlehrgang"), 1 April 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(١٦) المرجع السابق.

(17) Vukelić, Exam ("Schriftliche Arbeit, 6. We-Kurzlehrgang") (German translation), 5 April 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(١٨) المرجع السابق.

(19) Wangemann, Report ("Tätigkeitsbericht der Abt. VI"), 4 April 1944, n.p., BAB, NS 19/2601; and, on the obligatory participation in these courses, see also Sauberzweig, Order, 9 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(20) Fürst to Olzscha, 27 September 1944, Berlin, BAB, NS 31/44.

(21) Olzscha to Fürst, 28 September 1944, Berlin, BAB, NS 31/44.

(٢٢) المرجع السابق.

(٢٣) عن الكتيب، انظر الفصل الخامس.

(24) Berger (Schulte), Decree ("Weltanschaulich geistige Erziehung der muselmanischen SS-Division"), 19 May 1943, Berlin, BAB, NS 19/2601.

(25) Wangemann, Report ("Auszüge aus den Div.-Tagesbefehlen"), 1 April 1944, n.p., BAB, NS 19/2601; for examples, see Sauberzweig, Propaganda Letter "Moji dragi momci!" ("My dear lads!"), 28 February 1944, n.p., BAB, NS 19/2601; and, for the German translation, Sauberzweig, Propaganda Letter "Meine lieben Männer" (German translation), 25 February 1944, n.p., BAB, NS 19/2601; as well as Sauberzweig, Propaganda Letter "Moji dragi momci!" ("My dear lads!"), 27 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601; and the German translation, Sauberzweig, Propaganda Letter "Meine lieben Männer" (German translation), 27 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(26) Pamphlet "An meine muslimischen Brüder!" (German translation), n.d. (1944), BAB, NS 31/44.

(٢٧) المرجع السابق.

(28) Bräutigam to East Ministry, 3 December 1942, n.p., BAB, R 6/65.

(29) Herwarth, *Zwischen Hitler und Stalin,* 310; and, in the English version, Herwarth, *Against two Evils,* 266.

(30) Arlt, Report ("Fürsorge für die Ostverbände bzw. deren Angehörigen"), n.d. (post-1945), n.p., IfZ, ZS 399.

(٣١) عن التمائم القرآنية، انظر:

Kathleen Malone O'Connor, "Popular and Talismanic Uses of the Qur'ān," in *Ency-*

clopaedia of the Qur'ān, ed. Jane Dammen McAuliffe, vol. 4 (Leiden, 2004), 163–182; Kathleen Malone O'Connor, "Amulets," in ibid., vol. 1 (Leiden, 2001), 77–79; Robert Hoyland and Venetia Porter, "Epigraphy," in ibid., vol. 2 (Leiden, 2002), 25–43, esp. 35–39; Gabriel Mandel Khān, "Magic," in ibid., vol. 3 (Leiden, 2003), 245–252, esp. 248–249; Priscilla P. Soucek, "Material Culture and the Qur'ān," in ibid., 296–330; Venetia Porter, "Talismans and Talismanic Objects," in *Medieval Islamic Civilization: An Encyclopaedia,* ed. Josef W. Meri (London, 2006), 794–796; Constant Hamès, "Le Coran talismanique," in A. de Surgy (ed.), *Religion et pratiques de puissance* (Paris, 1997), 129–160; and J. Ruska, B. Carra de Vaux, and C. E. Bosworth, "Tilsam," in *The Encyclopaedia of Islam,* vol. 10, ed. P. J. Bearman et al. (Leiden, 2000), 500–502.

(32) Spuler, Report ("Mullakurse"), 11 April 1944, Göttingen, BA–MA, MSG 2/18298.

(33) East Ministry, Report ("Besuch von General von Heygendorff beim Aserbeidschanischen Verbindungsstab"), 29 February 1944, Berlin, BAB, R 6/165.

(٣٤) نجد نسخ مجلّة **خنجر وحدات الحماية** في مكتبة زغرب الوطنية ومكتبة جامعة زغرب:

(Nacionalna i Sveučilišna Knjižnica), Zagreb (NSK).

وصدرت بعض الأعداد في:

Bernwald, *Muslime in der Waffen-SS,* 329–412.

(35) Pero Blašković, "Bosnien und die Herzegowina im Weltkrieg" ("Bosna i Hercegovina u Svjetskom ratu"), part 1, *SS-Handžar* 1 (15 July 1943); part 2, *SS-Handžar* 2 (1 August 1943); part 3, *SS-Handžar* 3 (n.d. [1943]); and part 4, *SS-Handžar* 4 (n.d. [1943]); Pero Blašković, "Osman" ("Osman"), *SS-Handžar* 5 (n.d. [1943]), providing an extract from Blašković's book *Sa Bosnjacima u svjetskom ratu* (*With the Bosniaks in the World War*) (Belgrade, 1939); and Sa.-Be., "Vereidigung" ("Prisega"), *SS-Handžar* 2 (1 August 1943).

(36) Sauberzweig, "Soldaten der SS-Freiwilligen Bosnisch-Hercegow. Gebirgs-Division!" ("Vojnici dobrovoljne Bosansko-hercegovačke brdske SS divizije!"), *SS-Handžar* 6 (n.d. [1943]).

(٣٧) عمّا اقتُبس من هتلر، انظر

"Führerworte" ("Rieči Vodje"), *SS-Handžar* 2 (1 August 1943); "Worte des Führers" ("Führero ve rieči"), *SS-Handžar* 3 (n.d. [1943]); "Adolf Hitler" ("Adolf Hitler"), *SS-Handžar* 7 (n.d. [1943]); "Der Führer" ("Der Führer"), *SS-Handžar* 8 (n.d. [1943]); "Adolf Hitler" ("Adolf Hitler"), *SS-Handžar* 9 (n.d. [1943]);

وبعض الاقتباسات من هتلر التي تحتوي على شيء من الإشارات الدينية في:

A. B. (Albert Bauer), "Der Sieg wird unser sein" ("Pobjeda će nama pripasti"), *SS-Handžar* 9 (n.d. [1943]).

وعن الاستشهادات القرآنية والنبوية:

"Worte Muhammeds" ("Rieči Muhameda"), *SS-Handžar* 1 (15 July 1943); "Worte Muhammeds" ("Rieči Muhameda"), *SS-Handžar* 1 (15 July 1943); and "Ku'ran" ("Quran"), *SS-Handžar* 11 (n.d. [1944]).

(38) Office for Political and Ideological Education of the 13th SS Division, Instruction ("Dienstanweisung für Imame der 13. SS-Freiwilligen b. h. Geb. Div. (Kroatien)"), 15 March 1944, n.p., BAB, NS 19/2601, explicitly directs the imams to contribute to *SS-Handžar.*

(39) Husejin Djozo, "Über die Aufgaben des SS-Mannes" ("Zadaća SS-vojnika"), *SS-Handžar* 7 (n.d. [1943]).

(40) Omer Zukić, "Bosnien, du unser Leben" ("Moja Bosno, moje živovanje"), *SS-Handžar* 6 (n.d. [1943]).

(41) Omer Zuhrić, "Das Bataillon Begić greift an" ("Bojna Begić stiže"), *SS-Handžar* 10 (n.d. [1943]).

(42) Anonymous, "Bosna plaća hirove jednog zanešenjaka" ("Bosnia pays for the vagaries of an enthusiast"), *SS-Handžar* 11 (n.d. [1944]); and Anonymous, "Židovi u Bosni" ("Jews in Bosnia"), *SS-Handžar* 11 (n.d. [1944]).

(43) M. N., "Eine Gemeinschaft auf Gedeih und Verderb."

(44) Amin al-Husayni, "Aus der Rede seiner Eminenz des Großmufti von Palästina anläßlich des Geburtstags Muhammeds" ("Iz govora Njegove Preuzvišenosti Velikog Palestinskog Muftije Emin El Husseinia povodom dana rodjenja Božijeg Poslanika Muhameda"), *SS-Handžar* 4 (n.d. [1943]).

(45) Horst Mauersberger, "Der Grossmufti bei der Division" ("Veliki Muftija posjećuje diviziju"), *SS-Handžar* 8 (n.d. [1943]); Omer Zuhrić, "Meine erste Begegnung mit dem Grossmufti" ("Moj prvi susret sa Velikim Muftijom"), *SS-Handžar* 8 (n.d. [1943]); Himmler, "Telegramm des Reichsministers des Inneren und Reichsführers-SS Heinrich Himmler an den Grossmufti Amin El-Husseini" ("Brozojavka državnog ministra nutarnjih poslova i Reichsführera-SS Heinricha Himmlera"), *SS-Handžar* 8 (n.d. [1943]); and Amin al-Husayni, "Der Großmufti an die Division: Männer der SS-Frw. b. h. Geb. Division (Kroatien)!" ("Rieči Velikog Muftije diviziji: Vojnici SS-Drag. b. h. gorske divizije (Hrvatska)!"), *SS-Handžar* 8 (n.d. [1943]).

(46) Title Photograph "Der Grossmufti schreitete die Front der Ehrenkompanie ab" ("Veliki Muftija obilazi počastnu satniju"), *SS-Handžar* 8 (n.d. [1943]); and Photo Series "Drei festliche Tage" ("Tri svečana dana"), *SS-Handžar* 8 (n.d. [1943]).

(47) Title Photograph "Der harte Kampf der Männer ermöglicht der Heimat ein friedliches Weiterleben" ("Odlučna borbenost čovjeka omogućuje domovini daljnji obstanak u miru"), *SS-Handžar* 1 (15 July 1943); Photograph (Mosque) in Photo Series "Aus der Heimat" ("Iz zaviča"), *SS-Handžar* 5 (n.d. [1943]); Photograph (Mosque) in Photo Series "Aus der Heimat" ("Iz domovine"), *SS-Handžar* 8 (n.d. [1943]); Photograph (Mosque) in Abdulah, "Nekad spokojstvo i sreća, a danas palež i umorstvo" ("Once

serenity and happiness, and today murder and arson"), *SS-Handžar* 11 (n.d. [1944]); and, on the Poglavnik mosque, Title Photograph "Auf einem der schönsten Plätze Agrams liess der Poglavnik eine moderne Moschee zum Zeichen der Verbundenheit aller kroatischen Volksteile errichten" ("Na jednom od najljepših trgova Zagreba dao je Poglavnik sagraditi modernu džamiju kao znak povezanos i svih dielova Hrvatskog naroda"), *SS-Handžar* 3 (n.d. [1943]); and Photograph (Poglavnik Mosque) in Anonymous, "Mošeja zapada" ("Mosque of the West"), *SS-Handžar* 11 (n.d. [1944]).

(48) Photo Series "Bosnische Heimat" ("Bosanski zavičaj"), *SS-Handžar* 1 (15 July 1943); this observation was made by Greble, *Sarajevo,* 173.

(49) Wangemann, Report ("Tätigkeitsbericht der Abt. VI"), 4 April 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(٥٠) حول جريدة الاتحاد التركي، انظر:

Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 103; Cwiklinski, "Panturkismus-Politik," 154–158; and Sebastian Cwiklinski, *Wolgatataren im Deutschland des Zweiten Weltkriegs: Deutsche Ostpolitik und tatarischer Nationalismus* (Berlin, 2002), 31–32 and 65–67.

والوثائق المتعلقة بـ **الاتحاد التركي** محفوظة في: (BAB, NS 31/47, NS 31/61, and NS 31/62).

وقد أعطى أولتسا موجزًا عن تاريخ الجريدة في:

Olzscha, Report, 1945, BStU, MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54.

ولقائمة محرِّري **الاتحاد التركي**: (BAB, NS 31/61).

(51) Olzscha, Internal Note ("Herausgabe einer Zeitung für den 'Osttürkischen Verband' "), 1 September 1944, Berlin, BAB, NS 31/62.

(52) Olzscha, Internal Note ("Zeitung für den osttürkischen Waffenverband der SS"), 2 December 1944, BAB, NS 31/62.

وكذلك أُعدَّ خطابٌ لشلنبرغ ليلقيه في مدرسة الملالي في درسدن، لكن لا نعلم إن كان قد ألقاه بالفعل أم لم يُلقِه، انظر:

Anonymous, Article for *Türk Birligi,* n.d. (December 1944), BAB, NS 31/62.

احتفل الخمسة وعشرون عضوًا في هيئة تحرير **الاتحاد التركي** في مكاتبهم ببرلين بعيد الأضحى وصدور أول عددٍ من جريدتهم، وطالبوا وحدات الحماية بسجائر وخمور، انظر:

Wynand (German Staff of *Türk Birligi*) to Olzscha, 21 November 1944, BAB, NS 31/62; and SS Head Office, Internal Note ("Tabak- und Spirituosen-Sonderzuteilung für die Redaktion der osttürkischen Zeitung"), 13 December 1944, BAB, NS 31/62.

(٥٣) ولذلك، لم نتعرَّض بالدرس في هذا الكتاب لجريدة **فيلق تركستان** (*Milli Turkistan*) التي أصدرتها وزارة الشرق، وجريدة **تركستان الجديدة** (*Yeni Turkistan*) التي أصدرها قسم البروباغندا في الفيرماخت.

(٥٤) تأسست **أذربيجان** في صيف عام ١٩٤٢، انظر:

Azerbaijan 22 (101) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 5 June 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

وتأسست غزوات في مارس/ آذار من عام ١٩٤٣، واحتُفِل بمرور عامٍ على التأسيس في الرابع من مارس/ آذار من عام ١٩٤٤، انظر:

Ghazavat 11/12 (54/55) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 15 March 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

أما إيدل-أورال فتأسست في الخامس عشر من نوفمبر/ تشرين الثاني من عام ١٩٤٢، ونُشر العدد المائة في أكتوبر/ تشرين الأول من عام ١٩٤٤، انظر:

Idel-Ural 43 (100) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 28 October 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(٥٥) عن جرائد الفيالق، انظر:

Hoffmann, *Die Ostlegionen,* 128–130; Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 59–60, 78–79, 95–96, 98, 125–126; Cwiklinski, "Panturkismus-Politik," 151, 158; and Cwiklinski, *Wolgatataren im Deutschland des Zweiten Weltkriegs,* 78–104.

(56) Mühlen, Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern, 59–60.

(57) "Die Religion ist ein Grundpfeiler unserer nationalen Moral: Rede des Herrn Gabdullan," *Idel-Ural* 10/11 (67/68) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 19 March 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(58) "Das Volk muß seine religiöse Ueberzeugung behalten," *Azerbaijan* 27 (106) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 10 July 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(59) "Wir werden unserem Volk die Religion erhalten," *Azerbaijan* 24 (103) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 19 June 1944, Berlin, BA-MA, MSG 2/18239.

(60) "Auf dem Weg zu neuem kulturellen Leben," *Azerbaijan* 38 (117) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 25 September 1944, Berlin, BA MA, MSG 2/18239.

غطّت الجريدة أيضًا مؤتمرًا أذريًا انعقد في برلين، ناقش أسس التعليم الديني المستقبلي للشعب، انظر:

"Vom aserbeidschanischen Verbindungsstab," *Azerbaijan* 36 (115) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 11 September 1944, Berlin, BA MA, MSG 2/18239.

(61) "Das Leben unseres Propheten diene uns als Beispiel," *Ghazavat* 39 (82) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 22 September 1944, Berlin, BA MA, MSG 2/18238.

(62) "Ueber unsere Religion," *Azerbaijan* 34 (113) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 28 August 1944, Berlin, BA MA, MSG 2/18239; "Der Prophet und der Islam" (part 1), *Idel-Ural* 40 (97) (1943), German translation, High

Command of the Wehrmacht, 7 October 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231; and "Der Prophet und der Islam" (part 2), *Idel-Ural* 41 (98) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 14 October 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(63) "Der Prophet und sein richtiges Glaubensbekenntnis" (part 1), *Azerbaijan* 35 (114) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 4 September 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239, and "Der Prophet und sein richtiges Glaubensbeks enntnis" (part 2), *Azerbaijan* 36 (115) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 11 September 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(64) On Fatalibejli, see Hoffmann, *Kaukasien,* 215–221, 227, 252, and 320; and Hoffman, *Die Ostlegionen,* 142.

(65) "Wissenschaft im Osten," *Azerbaijan* 48 (127) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 4 December 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239; and "Der Platz der Völker des Ostens im Lichte der Wissenschaft," *Idel-Ural* 30 (87) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 29 July 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(66) "Al-Azhar, tausendjährige Universität," *Idel-Ural* 13 (70) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 1 April 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231; and "Al-Azhar, tausendjährige Universität," *Azerbaijan* 8 (87) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 29 February 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(67) "Porträt Ibn Sauds," *Ghazavat* 19 (62) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 5 May 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238; and "Porträt Ibn Sauds," *Azerbaijan* 18 (97) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 8 May 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(68) "Kampfgruppe 'Freies Arabien,'" *Ghazavat* 35 (78) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 25 August 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238; and "Kampfgruppe 'Freies Arabien,'" *Idel-Ural* 34 (91) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 26 August 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(69) "Unter kroatischen Muselmanen," *Azerbaijan* 33 (112) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 21 August 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(70) Images: "Muselmanisches Leben in Serbien," *Idel-Ural* 33 (39) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 15 August 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(71) "Die Muselmanen sind überzeugt, daß im Sieg Deutschlands die Religionsfreiheit wahr wird," *Ghazavat* 37 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 27 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(٧٢) على سبيل المثال، انظر:

"Wir grüßen unsere Legionäre zum Festtag Urasa," *Idel-Ural* 40 (46) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 3 October 1943, Berlin, BA-MA, MSG 2/18231; "Der Monat Ramadsan," *Idel-Ural* 33 (90) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 19 August 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231; Image: "Glückwunsch zum großen Feiertag Ramadsan-Bairam," *Azerbaijan* 40 (68) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 3 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239; "Aserbaidschanische Legionäre!," *Azerbaijan* 40 (68) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 3 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239; "Glückwunsch zum Ramadsan-BaiG ram-Fest an die nordkaukasische Legion von Fatalibaile," *Azerbaijan* 40 (68) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 3 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239; "Glückwunsch des nordkaukasischen Nationalen Komitees an die aserbaidschanische Legion anläßlich des Festes Ramadsan-Bairam," *Azerbaijan* 40 (68) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 3 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239; Kurban-Bajram," *Azerbaijan* 47 (126) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 27 November 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239;

وانظر كذلك الفصل السابع لمقالات ناقشناها عن الاحتفالات.

(73) "Ramadsan und Erntefest," *Azerbaijan* 44 (72) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 31 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239, and Image: "Nationale Tänze in Simferopol anläßlich des Ramadsan- und Erntedankfestes," *Azerbaijan* 44 (72) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 31 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(74) Image: "Tatarische Emigranten in Finnland feiern das Urasa-Fest," *Idel-Ural* 40 (46) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 3 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(٧٥) نشرت إيدل-أورال في خريف عام ١٩٤٣، على سبيل المثال، تفريغًا لخطبة إذاعية ألقاها المفتي في ختام رمضان.

"Die Rede des Großmufti," *Idel-Ural* 42 (48) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 17 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

وبعدها بعام، في سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٤٤، ستنشر الجريدة الخطبة الرمضانية للمفتي مرةً أخرى، انظر:

"Ein Radioaufruf des Großmufti von Arabien," *Idel-Ural* 38 (95) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 23 September 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

وبعدها بأشهر قليلة، ستنشر غزوات تفريغ خطبة إذاعية ألقاها المفتي في عيد الأضحى، انظر:

"Die Rede des Großmufti anläßlich der Kurban-Bajram-Feier," *Ghazavat* 50 (93)

(1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 8 December 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

ووثّقت أذربيجان وإيدل-أورال مشاركة المفتي بصورة له بين المجنّدين المسلمين في احتفال عيد الأضحى، انظر:

Image: "Der Großmufti beim Kurban-Bajram unter muselmanischen Freiwilligen," *Idel-Ural* 49 (106) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 9 December 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231; and Image: "Der Großmufti und Major Fatalibejli bei einer Freiwilligen-Feier des Kurban-Bajram," *Azerbaijan* 49 (128) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 11 December 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(76) "Die Freude des Mullah Suleiman," *Azerbaijan* 45 (73) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 7 November 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(77) "Das Urasa-Fest verlief schön," *Idel-Ural* 40 (46) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 3 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(78) "Ramasan-Monat," *Ghazavat* 29 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 1 September 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(79) "Muselmanische Festtage," *Ghazavat* 29 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 1 September 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(٨٠) المرجع السابق.

(81) Yemelianova, *Russia and Islam*, 114.

(82) "Moskau verschärft den Kampf gegen die Religion," *Idel-Ural* 47 (104) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 14 October 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(83) "Der Bolschewismus im Nordkaukasus," *Ghazavat* 15 (58) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 7 April 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(84) "Mufti Risaetdin bin Fachretdin," *Idel-Ural* 16 (73) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 22 April 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231. On Fakhreddin, see Mahmud Tahir, "Rizaeddin Fahreddin," *Central Asian Survey* 8, 1 (1989), 111–115; A. Battal-Taymas, *Rizaeddin Fahreddinoğlu* (Istanbul, 1958); and Ro'i, *Islam in the Soviet Union*, 101–102 and 172; and Bennigsen and Wimbush, *Mystics and Commissars*, 38–39,

ذلك رغم أن هذا المرجع الأخير ينقل خطئًا أن فخر الدين مات في سجن سوفييتي. وفي عام ١٩٣٦، كتب شبولر عن موت فخر الدين في:

Bertold Spuler, "Zum Tode des obersten Geistlichen der Mohammedaner in der UdSSR," *Osteuropa* 11, 11/12 (1935/6), 782–783.

(85) "Brüder Legionäre!," *Ghazavat* 29 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 1 September 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(٨٦) المرجع السابق.

(87) "Wodurch kennzeichnet sich der Beginn der russischen Herrschaft in unserem Lande?," *Idel-Ural* 42 (48) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 17 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(88) "Offener Brief an die Legionäre," *Idel-Ural* 35 (41) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 29 August 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(89) "Vor 85 Jahren fiel Imam Schamil in Gefangenschaft," *Azerbaijan* 36 (115) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 11 September 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239; and "Vor 85 Jahren geriet Iman Schamil in GefangenS schaft," *Ghazavat* 36 (79) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 1 September 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(٩٠) المرجع السابق.

(91) "Die Jugend Schamils," *Ghazavat* 37 (80) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 8 September 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238; and "Die Tarichat-Lehre im Nordkaukasus," *Ghazavat* 37 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 27 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(92) "Die Tarichat-Lehre im Nordkaukasus," *Ghazavat* 37 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 27 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(93) Seven images, *Ghazavat* 31 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 15 September 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(94) "Unsere heutige Aufgabe," *Ghazavat* 7 (51) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 16 February 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(95) "Nun wollen die Bolschewiken das Volk im Namen der Religion betrügen," *Idel-Ural* 40 (46) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 3 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(96) "Krieg und Politik," *Idel-Ural* 44 (50) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 31 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(97) "Der alte Betrug," *Idel-Ural* 7 (64) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 20 February 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(98) "Jenseits der Front," *Ghazavat* 36 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 20 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(99) "Die bolschewistischen Winkelzüge werden sich nicht erfüllen," *Azerbaijan* 44 (72) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 31 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(100) "Das englische Blut und der bolschewistische Mullah," *Azerbaijan* 12 (91) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 27 March 1944, Berlin, BA

MA, MSG 2/18239.

(101) "Sind in Aserbaidschan Moscheen eröffnet worden?," *Azerbaijan* 12 (91) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 27 March 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(102) "Wie ist es in der Heimat?," *Azerbaijan* 28 (107) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 17 July 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(103) "Die Sowjets möchten ein Sowjetarabien schaffen," *Ghazavat* 28 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 25 August 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(104) "Stalin entsinnt sich des Koran," *Ghazavat* 30 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 8 September 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238; and similarly, "Das englische Blut und der bolschewistische Mullah," *Azerbaijan* 12 (91) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 27 March 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(105) "Der rote Imperialismus und der Nahe Osten," *Azerbaijan* 48 (127) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 4 December 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(106) "Der rote Imperialismus," *Idel-Ural* 44 (50) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 31 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231; on the congress, see also "Das englische Blut und der bolschewistische Mullah," *Azerbaijan* 12 (91) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 27 March 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(107) "Kommunismus und Islam unvereinbar," *Ghazavat* 9 (52) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 23 February 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238; and "Kommunismus und Islam unvereinbar," *Azerbaijan* 7 (86) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 19 February 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(108) "Kommunismus und Islam sind ewige Gegensätze," *Ghazavat* 15 (58) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 7 April 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(109) "Es gärt in Französisch-Marokko," *Ghazavat* 9 (52) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 23 February 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(110) "Blutige Zwischenfälle in einer Moschee," *Ghazavat* 11/12 (54/55) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 15 March 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

وتلا ذلك تقريرٌ آخر في إبريل/ نيسان، انظر:

"Zusammenstöße zwischen Polizei und Mohammedanern in Marokko," *Ghazavat* 16

(59) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 14 April 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(111) "Engländer verbieten Reise nach Mekka," *Ghazavat* 28 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 25 August 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238; انظر كذلك الفصل الثالث.

(112) "Die Araber wollen nicht Kanonenfutter werden: Die Muselmanen wollen nicht für England bluten," *Ghazavat* 13 (56) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 22 March 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(113) "Moslems, Sikhs und Hindus—gute Kameraden," *Svoboda* 9 (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 1 November 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18235.

(114) "Treffen zwischen Gandhi und Jinnah," *Idel-Ural* 39 (96) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 30 September 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(115) "Die Mohammedaner haben kein Vertrauen zu England," *Ghazavat* 15 (58) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 7 April 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238; and "Aufruf Sahids an die Muselmanen in Indien," *Azerbaijan* 18 (97) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 8 May 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(116) "Machtkampf auf dem Rücken der islamischen Staaten," *Ghazavat* 30 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 8 September 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(117) "Aufruf zur Einigung der Muselmanen," *Ghazavat* 31 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 15 September 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

ظلت غزوات وإيدل-أورال تغطيان المؤتمر حتى عام ١٩٤٤، انظر:

"Nachwirkungen der Panarabischen Konferenz," *Idel-Ural* 43 (100) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 28 October 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231; and "Schwierigkeiten bei den panarabischen Verhandlungen," *Ghazavat* 39 (82) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 22 September 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(118) Cwiklinski, *Wolgatataren im Deutschland des Zweiten Weltkriegs,* 99–100, referring to an article that was published in three parts in *Idel-Ural* 50 (56) (1943); 1 (58) (1944); and 8 (65) (1944); it was not summarized in the Wehrmacht monitoring reports, see BA–MA, MSG 2/18231.

(119) "Unruhen im Nahen Osten," *Ghazavat* 26 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 11 August 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(120) "Chronik: Zusammenstöße in Palästina zwischen Arabern und Juden während des

Ramadsan-Fastens," *Ghaz-avat* 31 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 15 September 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(121) "USA und arabische Länder," *Ghazavat* 13 (56) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 22 March 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238; "Zwischenfälle zwischen Arabern und Juden," *Ghazavat* 39 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 10 November 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238; "Der Kampf um Palästina," *Ghazavat* 11/12 (54/55) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 15 March 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238; "Jüdische Emigrantenregierung in Amerika," *Ghazavat* 28 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 25 August 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238; "Zusammenarbeit zwischen den US-Amerikanischen Imperialisten und den Juden," *Ghazavat* 36 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 20 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238; "Atten2 tat auf den Hohen Kommissar von Palästina," *Idel-Ural* 33 (90) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 19 August 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(122) "Demonstrativer Protest der Muselmanen in Berlin," *Idel-Ural* 46 (52) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 14 November 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(123) "Ibn Saud zur Judenfrage," *Ghazavat* 25 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 4 August 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(124) "Die Rede des Mufti gegen die Balfour-Erklärung," *Ghazavat* 39 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 10 November 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(125) "Die Rede des Mufti," *Idel-Ural* 46 (52) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 14 November 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231; and "Die Rede des Mufti gegen die Balfour-Erklärung," *Ghazavat* 39 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 10 November 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238; and Image: "Großmufti von Jerusalem," *Ghazavat* 39 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 10 November 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

نقلت الجرائد جميعها لقرائها المسلمين خطابات المفتي الفلسطيني، انظر:

"Die Muselmanen zerstören die amerikanischen Pläne gegen die Araber: Aus der Rede des Großmufti in der Palästinafrage," *Ghazavat* 11/12 (54/55) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 15 March 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

نشرت إيدل أورال نص خطبة المفتي الإذاعية على صفحتها الرئيسة:

"Ein Radioaufruf des Großmufti von Arabien," *Idel-Ural* 38 (95) (1944), German

translation, High Command of the Wehrmacht, 23 September 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

وفي أكتوبر/ تشرين الأول من عام ١٩٤٤، نقلت جريدتا **غزوات** و**أذربيجان** أخيرًا عن خطاب المفتي الإذاعي عن تشكيل البريطانيين لجيش يهودي في فلسطين، انظر:

"Rundfunkansprache des Großmufti," *Ghazavat* 41 (84) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 6 October 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238; and "Rundfunkansprache des Großmufti," *Azerbaijan* 40 (119) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 9 October 1940 [*sic;* correct: 1944]), Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(126) "Die Moschee in Paris," *Azerbaijan* 10 (89) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 13 March 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239, and Imtage: "Teilansicht der Moschee in Paris," *Azerbaijan* 10 (89) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 13 March 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(127) "Lied von Iman Gasimmagama," *Ghazavat* 16 (59) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 14 April 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(128) "Die Fastenzeit zum Bajramfest," *Ghazavat* 39 (82) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 22 September 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(129) "Die Moschee," *Ghazavat* 53 (96) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 29 December 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(130) "Euch ruft der heilige Krieg," *Ghazavat* 36 (79) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 1 September 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(131) "Ghazavat (Der Heilige Krieg)," *Ghazavat* 19 (62) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 5 May 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(132) "Unser heiliger Krieg," *Idel-Ural* 32 (38) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 8 August 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(133) "Die Moschee des Chan," *Idel-Ural* 43 (100) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 28 October 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(134) "Festlicher Abend," *Idel-Ural* 40 (46) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 3 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(135) Image: "Al-Azhar-Universität in Kairo," *Ghazavat* 29 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 1 September 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238; Illustrations: "Al-Azhar, tausendjährige Universität," *Idel-Ural* 13 (70) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 1 April 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231; and "Al-Azhar, tausendjährige Universität," *Azerbaijan* 8 (87) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 29 February 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239; Image "Medina," *Ghazavat* 29 (1943), Ger-

man translation, High Command of the Wehrmacht, 1 September 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238; Image: "Die heilige Stadt Mekka," *Idel-Ural* 40 (97) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 7 October 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(136) Image: "Die Moschee in Charbin," *Idel-Ural* 40 (46) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 3 October 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231; Image: "Moschee in der Stadt Kasan," *Idel-Ural* 16 (73) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 22 April 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231; Three images: "Moscheen in Schiita, Rasan und im Dorf Uraslake," *Idel-Ural* 33 (90) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 19 August 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231; Image: "Moschee im Dorf Mantschalli," *Idel-Ural* 7 (64) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 20 February 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231; Image: "Blick in das Innere der Moschee in Irkutzk," *Idel-Ural* 41 (98) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 14 October 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231; Image: "Die Moschee in Kargalle," *Idel-Ural* 10/11 (67/68) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 19 March 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231; Image: "Moschee," *Idel-Ural* 47 (104) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 14 October 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231. On the editor, see *Idel-Ural* 7 (64) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 20 February 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(١٣٧) عن أقتورخانوف، انظر:

Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 126, 228–229, and 231.

(138) See, for instance, Images of the articles "Die Jugend Schamils," *Ghazavat* 37 (80) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 8 September 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238; and "Vor 85 Jahren geriet Iman Schamil in Gefane genschaft," *Ghazavat* 36 (79) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 1 September 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(139) Images "Ueberreichung des Koran" and "Efendi Mullah spricht zu den Legionären," *Ghazavat* 29 (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 1 September 1943, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(140) Image: "Obermullah Paschasade auf einem Heldenfriedhof," *Azerbaijan* 44 (123) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 6 November 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239.

(141) Image: "Wolgatatarische Legionäre in der Pariser Moschee," *Idel-Ural* 9 (66) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 5 March 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

وكذلك نشرت أذربيجان صورةً للمسجد مرفقةً بمقالها عن زيارة جندي الفيلق التتري الزائر،

انظر الصورة في:

"Teilansicht der Moschee in Paris," *Azerbaijan* 10 (89) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 13 March 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18239, and Image: "Blick in die Halle des islamischen Instituts in Dresden," *Idel-Ural* 49 (106) (1943), German translation, High Command of the Wehrmacht, 9 December 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18231.

(142) Schloms to Olzscha, 20 November 1944, Dresden, BAB, NS 31/64; and Olzscha to Grothe (High Command of the Wehrmacht), 23 November 1944, Dresden, BAB, NS 31/64.

(143) See *Ghazavat* 11/12 (54/55) (1944), German translation, High Command of the Wehrmacht, 15 March 1944, Berlin, BA–MA, MSG 2/18238.

(144) Köstring, Report ("Erfahrung mit den Freiwilligen aus dem russischen Raum im Kampf mit dem Bolschewismus, 1941–1945"), n.d. (post-1945), n.p., IfZ, ZS 85; and similarly, Spuler, Report ("Die Freiwilligen-Einheiten"), n.d. (post-1945), n.p. (Göttingen), MA, MSG 2/18284.

(145) High Command of the Army, Instructions ("Richtlinien für die inneren Verhältnisse in den Ostlegionen"), 24 April 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/108.

(146) Field Command 372, Report ("Bericht über Leistung und Verhalten der Turk.Inf. Batl. 782 und 790 für die Zeit vom 16.10. bis 15.11.43"), attachment of Field Command 372, Report ("Monatsbericht für die Zeit vom 16.10. bis 15.11.1943"), 21 November 1943, Lublin, BA–MA, RH 53–23/43.

(147) Oberländer to Erika Oberländer, 20 December 1942, FAO; see also Theodor Oberländer, Diary (entries of 17 and 18 December 1942), FAO.

(148) High Command of the Army, Report ("Aussagen eines neu hinzugekommenen Legionärs"), n.d. (2 July 1942), n.p., BA–MA, RH 19V/109.

(149) Army Postal Service of the 11th Army (Censorship Department), Report ("Tataren: Briefe aus den Monatsberichten der F.P.P."), 24 July 1942, n.p., PA, R 60741.

يمكن الحصول على جميع أمثلة الرسائل الميدانية المذكورة في هذه الفقرة وحتى الحاشية رقم (١٧٠) من هذا التقرير.

(150) Hentig, Report ("Tatarische Freiwillige"), 22 May 1942, n.p. (Simferopol), PA, R 60740. Hentig based this report on field mail abstracts that are included in Army Postal Service of the 11th Army (Censorship Department), Report ("Tataren: Briefe aus den Monatsberichten der F.P.P."), 24 July 1942, n.p., PA, R 60741.

(١٥١) المرجع السابق.

(١٥٢) المرجع السابق.

(153) Hentig, Report ("Auszüge aus der Tatarenpost"), 21 July 1942, n.p. (Simferopol), PA, R 60741 Hentig based this report on field mail abstracts which are included in Army Postal Service of the 11th Army (Censorship Department), Report ("Tataren

Briefe aus den Monatsberichten der F.P.P."), 24 July 1942, n.p., PA, R 60741.

(154) Army Postal Service of the 11th Army (Censorship Department), Report ("Auszug aus dem Tätigkeitsbericht der Feldpostprüfstelle beim A.O.K. 11: Tatarische Soldaten im deutschen Heer"), July 1942, n.p., BA–MA, RW 4v/237.

حَوْل هذا التقرير الرصدي لقسم البروباغندا في القيادة العليا للفيرماخت، انظر:

High Command of the Army to Ellenbeck (Propaganda Section of the High Command of the Wehrmacht), 16 August 1942, n.p., BA–MA, RW 4v/237.

ويحتوي الملف بعض أمثلة من خطابات أرسلها المسلمون إلى أهليهم.

(155) Al-Rashid, Report ("Behandlung der Ostmuselmanen"), 20 September 1944, Warsaw, BAB, NS 31/44, attached to Al-Rashid to Spaarmann, 22 September 1944, Ber9 lin, BAB, NS 31/44; and, on the report, Olzscha, Internal Note ("Bericht des SS-Standartenführers Harun el Raschid über seinen Besuch beim 1. Ostmuselmanischen Regiment"), 24 September 1944, Berlin, BAB, NS 31/44.

(156) Al-Rashid, Report ("Behandlung der Ostmuselmanen"), 20 September 1944, Warsaw, BAB, NS 31/44.

(157) Nasarow to Al-Rashid, n.d. (late 1944), n.p., BAB, NS 31/44.

(158) Alekberli to Al-Rashid, 9 November 1944, n.p., BAB, NS 31/34.

(159) Al-Rashid, Report ("Bericht über die Entwicklung des osttürkischen Waffen-Verbandes der SS von Warschau bis Überlauf Alimow und über die aus dieser sich ergebenden Folgerungen"), n.d. (December 1944), n.p., BAB, NS 31/29 (also in BAB, NS 31/44).

(160) Gabdullan to Islamic Central Institute (German translation), 22 February 1944, n.p., BAB, NS 31/44.

(161) Stamati, Report ("Religiöse Einstellung der Wolgatataren"), 22 March 1945, Berlin, BAB, NS 31/56 (also in BAB, NS 31/60).

(162) Mende, Internal Note ("Politische Richtlinien für die Turkverbände und die Ostmuselmanische SS-Division"), 12 February 1944, Berlin, BAB, NS 31/42.

(163) Heygendorff, Instructions ("Merkblatt für deutsche Offiziere über wehrgeistige Führung der Legionäre"), 1 July 1943, Radom, BA–MA, RH 58/62; and, for the second quotation, Heygendorff, Instructions ("Behandlung der Legionäre"), 15 September 1943, n.p., BA–MA, RH 58/62.

(164) Böhme, Report ("Psychologische Erfahrungen in der Legion, Nr. 2"), 7 December 1943, n.p., BA–MA, RH 58/62.

(165) Olzscha, Report, 1945, BStU, MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54.

(١٦٦) المرجع السابق.

(167) Wangemann, Speech ("Dienstbesprechung der Kommandeure und Imame am 8.4.1944 in Brćko"), 8 April 1944, Brćko, BAB, NS 19/2601.

(168) Sauberzweig to Berger, 16 April 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(169) Himmler, Order, 6 August 1943, n.p., BAB, NS 19/3285.

(١٧٠) المرجع السابق.

(171) Heygendorff, Report ("Der Kampf gegen Windmühlenflügel"), n.d. (post-1945), n.p., IfZ, ZS 407.

(١٧٢) عن أوامر هايغندورف المتعلقة بالتسامح الديني، انظر الفصل السابع.

(173) Heygendorff, Newsletter ("Mitteilungen für die Kommandeure der Osttruppen z.b.V. und Stabsoffiziere für landeseigene Hilfskräfte"), 22 May 1944, n.p., BA–MA, RH 19XI/86.

(١٧٤) عن أوامر نيدرماير المتعلقة بالتسامح الديني، انظر الفصل السابع.

(175) High Command of the Army, Instructions ("Merkblatt für das deutsche Personal der Turk-Stammlager und Turk-Btlne."), 2 June 1942, n.p., BA–MA, RH 19V/109.

(176) Heygendorff, Instructions ("Behandlung der Legionäre"), 15 July 1943, Radom, BA–MA, RH 58/62.

(177) Al-Rashid, Report ("Behandlung der Ostmuselmanen"), 20 September 1944, Warsaw, BAB, NS 31/44, attached to Al-Rashid to Spaarmann, 22 September 1944, Berlin, BAB, NS 31/44; and, on the report, Olzscha, Internal Note ("Bericht des SS-Standartenführers Harun el Raschid über seinen Besuch beim 1. Ostmuselmanischen Regiment"), 24 September 1944, Berlin, BAB, NS 31/44.

(178) Sauberzweig to Berger, 16 April 1944, n.p., BAB, NS 19/2601.

(179) Mende, "Erfahrungen mit Ostfreiwilligen in der deutschen Wehrmacht während des Zweiten Weltkrieges," 27 and 30.

(180) Anonymous, "Erfahrungen eines Betreuungsoffiziers für Freiwillige aus den Völkern der Sowjetunion in der deutschen Wehrmacht," *Vielvölkerheere und Koalitionskriege* (1952), 34–39, 35.

(181) Heygendorff, Report ("Der Kampf gegen Windmühlenflügel"), n.d. (post-1945), n.p., IfZ, ZS 407.

(١٨٢) المرجع السابق.

(183) Ernst Jünger, *Das zweite Pariser Tagebuch,* Werke, Tagebücher, vol. 3 (*Strahlungen, Zweiter Teil*) (Stuttgart, 1962 [1949]), 272 (12 May 1944).

(184) Paul Hausser, *Waffen-SS im Einsatz* (Göttingen, 1953), 106–107.

(185) Schmidthuber, Report ("Zusammenfassender Bericht über die Aufstellung und den Zustand der 21. Waffen-Gebirgsdivision der SS 'Skanderbeg' "), 2 October 1944, n.p., BA–MA, RS 3–21/1.

(186) Hoffmann, *Die Ostlegionen,* 37.

(١٨٧) المرجع السابق، ص ٥٧-٥٨.

(١٨٨) عن العلاقات والزواج من النساء الألمانيات، انظر الوثائق الموجودة في (BAB, NS 31/28)، وعن مشكلة العِرق، انظر الفصل الثاني. وعن الإجهاض الإجباري، انظر:

Horstmann (SS Head Office), Internal Note ("Verbindungen zwischen deutschen Mädchen und fremdstämmigen SS-Angehörigen"), 18 November 1944, Berlin, BAB, NS 31/28.

تكررت التعليمات الرسمية بمنع أي اتصال بين الألمانيات والمتطوعين، انظر على سبيل المثال:

Heygendorff, Instructions ("Merkblatt für deutsche Offiziere über wehrgeistige Führung der Legionäre"), 1 July 1943, Radom, BA–MA, RH 58/62; and High Command of the Wehrmacht, Newsletter ("Mitteilungen für den deutschen Soldaten in Freiwilligen-Verbänden"), November 1944, BA–MA, MSG 2/18262.

(١٨٩) عن الزواج من العمال الشرقيين، انظر الوثائق الموجودة في: (BAB, R 6/129).

(١٩٠) عن الأيام الأخيرة لفرقة الخنجر، انظر المصادر الواردة في الحاشية رقم (٤٨) في الفصل السادس.

(191) Finck (German Staff of Handžar), Interrogation Report of Abdullah Memisevic, 21 August 1944, n.p, VÚA, Box: N 13. SS-Fr. Geb. Div. H. 1; and Finck, Report, 22 August 1944, n.p., VÚA, Box: N 13. SS-Fr. Geb. Div. H. 1.

(١٩٢) يمكن الحصول على تقارير فردية متنوعة عن حالات الهرب في (VÚA, Box: N 13. SS-Fr. Geb. Div. H. 1).

(193) SS Medical Report of Omećević Muhamed, 9 August 1944, n.p., VÚA, Box: N 13. SS-Fr. Geb. Div. H. 1.

(194) Kasche to Foreign Office, 28 October 1944, Zagreb, PA, R 27796 (also in PA, R 100998).

(195) Kasche to Foreign Office, 29 October 1944, PA, R 27796.

(١٩٦) المرجع السابق.

(197) Wagner to Kasche, 14 December 1944, Berlin, PA, R 100998.

(١٩٨) عن آخر أيام «إسكندر بك»، انظر المصادر الواردة في الحاشية رقم (٧٤) في الفصل السادس.

(١٩٩) عن انخفاض أعداد الفارّين من المتطوعين المسلمين في الشرق، انظر:

Neulen, *An deutscher Seite*, 329–334; and, on the military discipline in general, Hoffmann, *Die Ostlegionen*, 146–162, esp. 157.

(200) Julian Amery, *Sons of the Eagle: A Study in Guerilla War* (London, 1948), 139–142 and 271–329, esp. 274; and similarly, Julian Amery, *Approach March: A Venture in Autobiography* (London, 1973), 376–383, esp. 382.

(201) Al-Rashid, Report ("Überlauf des Kommandeurs des Waffen-Rgts. der SS Turkistan Nr. 1, Waffen-Obersturmführer Gulam Alimow, mit etwa 500 Männern seines Regiments zu den Partisanen"), 26 December 1944, n.p., BAB, NS 31/29 (also in BAB, NS 31/44).

(202) Nikolai Tolstoy, "The Klagenfurt Conspiracy: War Crimes and Diplomatic Secrets,"

Encounter 60, 5 (1983), 24–37, on Tito's retaliation more generally.

(203) Srećko M. Džaja, Die politische Realität des Jugoslawismus 1918–1991: Mit besonderer Berücksichtigung Bosnien-Herzegowinas (Munich, 2002), 228.

(٢٠٤) المرجع السابق، ص ٢٢٩.

(٢٠٥) عن ترحيل المسلمين، انظر:

Neulen, *An deutscher Seite,* 333–334; Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern,* 226–229; Jürgen Thorwald, *Wen sie verderben wollen: Bericht des großen Verrats* (Stuttgart, 1952), esp. 572–574;

وبتركيز على ترحيل القوزاق، انظر:

Peter J. Huxley-Blythe, *The East Came West* (Caldwell, ID, 1964); and Nicholas Bethell, *The Last Secret: Forcible Repatriation to Russia 1944–7* (London, 1974);

وعن الدور البريطاني، انظر:

Nikolai Tolstoy, *The Victims of Yalta* (London, 1977), esp. 381–386;

وبصورةٍ أكثر جدلية، وبتركيزٍ على القوزاق، انظر:

Nikolai Tolstoy, *The Minister and the Massacres* (London, 1986);

وعن دور الولايات المتحدة، انظر:

Julius Epstein, *Operation Keelhaul: The Story of Forced Repatriation from 1944 to the Present* (Old Greenwich, CT, 1973); Julius Epstein, "Die Zwangsrepatriierung von antikommunistischen Kriegsgefangenen in die Sowjetunion," *Politische Studien* 196 (1971), 149–156; and Mark R. Elliott, *Pawns of Yalta: Soviet Refugees and America's Role in Their Repatriation* (Urbana, IL, 1982);

ونجد سردًا أكثر حيوية للأحداث، بالتركيز على القوزاق؛ لدى الروائي البولندي جوزيف ماتسكيفيتش، انظر:

Josef Mackiewicz, *Tragödie an der Drau: Die verratene Freiheit* (Munich, 1957).

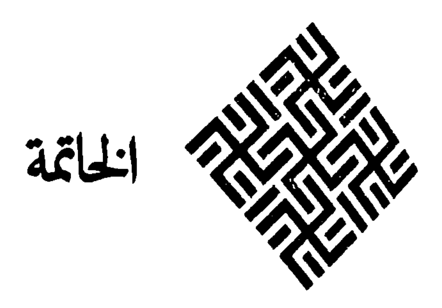
(206) Heygendorff, Report ("Das Schicksal der 162. (Turk.) Inf. Div."), n.d. (post-1945), n.p., IfZ, ZS 407.

(207) Alexander Solschenizyn, *Der Archipel Gulag*, 3 Bde. (München, 1973), Bd. 1, 91.[أ]

(208) George Orwell, "The Prevention of Literature," *Polemic* 2 (January 1946), 4–14, 6.

***

(أ) نُقل إلى العربية، وصدر بعنوان: أرخبيل غولاغ، (دمشق: دار علاء الدين، ٢٠١٣). (المترجم)



الخاتمة

(١) في الأسابيع الأخيرة للحرب، أملى هتلر على بورمان رؤاه النهائية عن السياسة العالمية والأيديولوجيا والحرب. خرجت هذه الإملاءات في صورة:
The Testament of Adolf Hitler.

(انظر الفصل الثاني، الحاشية رقم ١٣٥).
كان الإسلام موضوعًا متكررًا، بل برز في مسرد الكتاب. ولم تخرج النسخة الألمانية من الكتاب إلّا في عام ١٩٨١، انظر:
Hitlers politisches Testament (see chapter 2, reference 135).

(2) *The Testament of Adolf Hitler,* 69–75 (17 February 1945), 70–71;

وللنصّ الألماني، انظر:
Hitlers politisches Testament, 84–90 (17 February 1945), 85–86.

(٣) المرجع السابق.

(4) *The Testament of Adolf Hitler,* 29–37 (4 February 1945), 33–34; and 42–46 (7 February 1945), 45; and 69–75 (17 February 1945), 70–71; and 103–109 (2 April 1945), 107,

تناقش كلها الإسلام، وللنصّ الألماني، انظر:
Hitlers politisches Testament, 42–49 (4 February 1945), 46; and 54–59 (7 February 1945), 56; and 84–90 (17 February 1945), 85–86; and 120–127 (2 April 1945), 123.

(5) *The Testament of Adolf Hitler,* 29–37 (4 February 1945), 33–34;

وللنصّ الألماني، انظر:
Hitlers politisches Testament, 42–49 (4 February 1945), 46;

ولهذه الفقرة، انظر أيضًا:
Joachim C. Fest, *Hitler: Eine Biographie* (Berlin, 1973), 1013;
لا تقدّم الترجمة الإنكليزية لسيرة فيست (Fest) ترجمةً صحيحة لكلمات هتلر؛ إذ تزعم أن فرنسا وإيطاليا قد شاركا في «سياسة صداقة صريحة مع الإسلام»، انظر:
Fest, *Hitler* (London, 1974), 741.

(٦) تمت غالبية الأبحاث المتعلقة بهذا الموضوع في مساحة التاريخ العربي، انظر الفصل الثالث.

(7) Oppenheim, Memoirs ("Leben im NS-Staat, 1933–1945"), n.d. (1945/1946), n.p. (Landshut), OA, Nachlass Max von Oppenheim No. 1/14.

(٨) عن فرار الحسيني من ألمانيا، انظر:

Schechtman, *The Mufti and the Fuehrer,* 164–190; Lebel, *The Mufti of Jerusalem Haj-Amin el-Husseini and National-Socialism,* 268–276 and 277–310; and Gensicke, *The Mufti of Jerusalem and the Nazis,* 181–204.

(9) Hentig, Report ("Eidesstattliche Erklärung"), 6 August 1947, PA, NL Hentig 84; and, on the report, Hentig, Report ("Aufzeichnung über meine Vernehmung durch Dr. Robert Kempner"), n.d. (1947), PA, NL Hentig 84.

(10) Tsilla Hershco, "Le grand mufti de Jérusalem en France: Histoire d'une évasion," *Controverses: Revue d'idées* 1 (2006), 244–273.

(11) Young (Legation Beirut) to Foreign Office, 25 September 1945, Beirut, NA, FO 226/300,

والتي قامت على أساس الخطاب الذي أرسله الدبلوماسي [أحمد] الداعوق (بعثة باريس) إلى رياض الصلح (رئيس وزراء لبنان) في الثالث عشر من سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٤٥، انظر:

Paris, NA, FO 226/300.

(١٢) البنّا إلى لامبسون، ٣ إبريل/ نيسان ١٩٤٦، القاهرة. NA, KV 2/2087.

(13) Anonymous, "Arabs Seek to Aid Soviet Deserters: British-U.S. Captors Said to Agree to Settlement of Caucasian Soldiers," *New York Times* (15 December 1946).

(١٤) **مذكرات الحاج محمَّد أمين الحسيني**، ص ١٤٢-١٤٣.

(١٥) المرجع السابق، ص ١٤٤ للاقتباس الأول، وص ١٤٢ للاقتباس الثاني.

(١٦) المرجع السابق، ص ١٤٤. وعن هؤلاء الجنود في حرب عام ١٩٤٨، انظر:

Seth J. Frantzman and Jovan Ćulibrk, "Strange Bedfellows: The Bosnians and Yugoslav Volunteers in the 1948 War in Israel/Palestine," *Istorija 20. Veka* 1 (2009), 189–200.

(17) Simon Wiesenthal, *Großmufti: Großagent der Achse* (Vienna, 1947); and Maurice Pearlman, *Mufti of Jerusalem: The Story of Haj Amin El Husseini* (London, 1947).

وفي أثناء الحرب، كان قد صدر بالفعل كتيِّب مبكر عن الحسيني في بريطانيا، انظر:

M. P. Waters, *Mufti over the Middle East* (London, 1942).

(18) Anonymous, "Gespräch mit dem Großmufti von Jerusalem," *Zeitschrift für Geopolitik* 22, 12 (1951), 761.

(19) Eckart Conze et al., *Das Amt und die Vergangenheit: Deutsche Diplomaten im Dritten Reich und in der Bundesrepublik* (Munich, 2010), 548.

(20) Spuler, „Muslime in Rußland", 298; und, ganz ähnlich, Olzscha, Bericht, 1945, BStU, MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54.

(21) Olzscha, Bericht, 1945, BStU, MfS, HA IX/11, ZR 920, A. 54.

(22) Mohammad Aman Hobohm, „Neuanfänge muslimischen Gemeindelebens in Berlin nach 1945“, *Moslemische Revue* 1 (1994), 28-40. Zur Geschichte der Displaced Persons allgemein, siehe Wolfgang Jacobmeyer, *Vom Zwangsarbeiter zum heimatlosen Ausländer: Die Displaced Persons in Westdeutschland 1945-1951* (Göttingen, 1985) und Gerard Daniel Cohen, *In War's Wake: Europe's Displaced Persons in the Posto war Order* (Oxford, 2011).

(23) Mühlen, *Zwischen Hakenkreuz und Sowjetstern*, 226–233; Ian Johnson, *A Mosque in Munich: Nazis, the CIA, and the Rise of the Muslim Brotherhood in the West* (Boston, 2010); und Stefan Meining, *Eine Moschee in Deutschland: Nazis, Geheimdienste und der Aufstieg des politischen Islam im Westen* (München, 2011) legen ausführlich dar, wie Deutschlands muslimische Kriegsveteranen die ersten islamische Gemeinden gründeten und im Kalten Krieg die eingesetzt wurden.

(24) Zur „Religiösen Gemeinschaft Islam“, siehe Johnson, *A Mosque in Munich*, 76-8; und Meining, *Eine Moschee in Deutschland*, 60-4.

(25) Zitiert in Meining, *Eine Moschee in Deutschland*, 64.

(26) Zur US-Politik gegenüber der „Religiösen Gemeinschaft Islam“, siehe Johnson, *A Mosque in Munich*, 48-52; 65-66, 70-90 und 130; und Meining, *Eine Moschee in Deutschland*, 64-78.

(27) John Barron, *KGB: The Secret Work of the Soviet Secret Agents* (London, 1974), 312.

(28) M. v. Conta, ‘Sie schauen von München nach Mekka: Opferfest der mohammedanischen Gemeinde – Gebetsteppiche im Deutschen Museum”, *Süddeutsche Zeitung* (30. Juli 1955).

(29) Zu dieser ersten Mekka-Reise, siehe Johnson, *A Mosque in Munich*, 65-6, 70 und 74.

(30) Zitiert in Johnson, *A Mosque in Munich*, 66.

(31) Zitiert in Johnson, *A Mosque in Munich*, 66.

ملحق الصور



أسرى حرب مسلمون في معسكر لأسرى الحرب قرب برلين، يؤدُّون صلاة الجنازة في مقبرة المعسكر، إبريل/ نيسان ١٩١٦. (Ullstein)



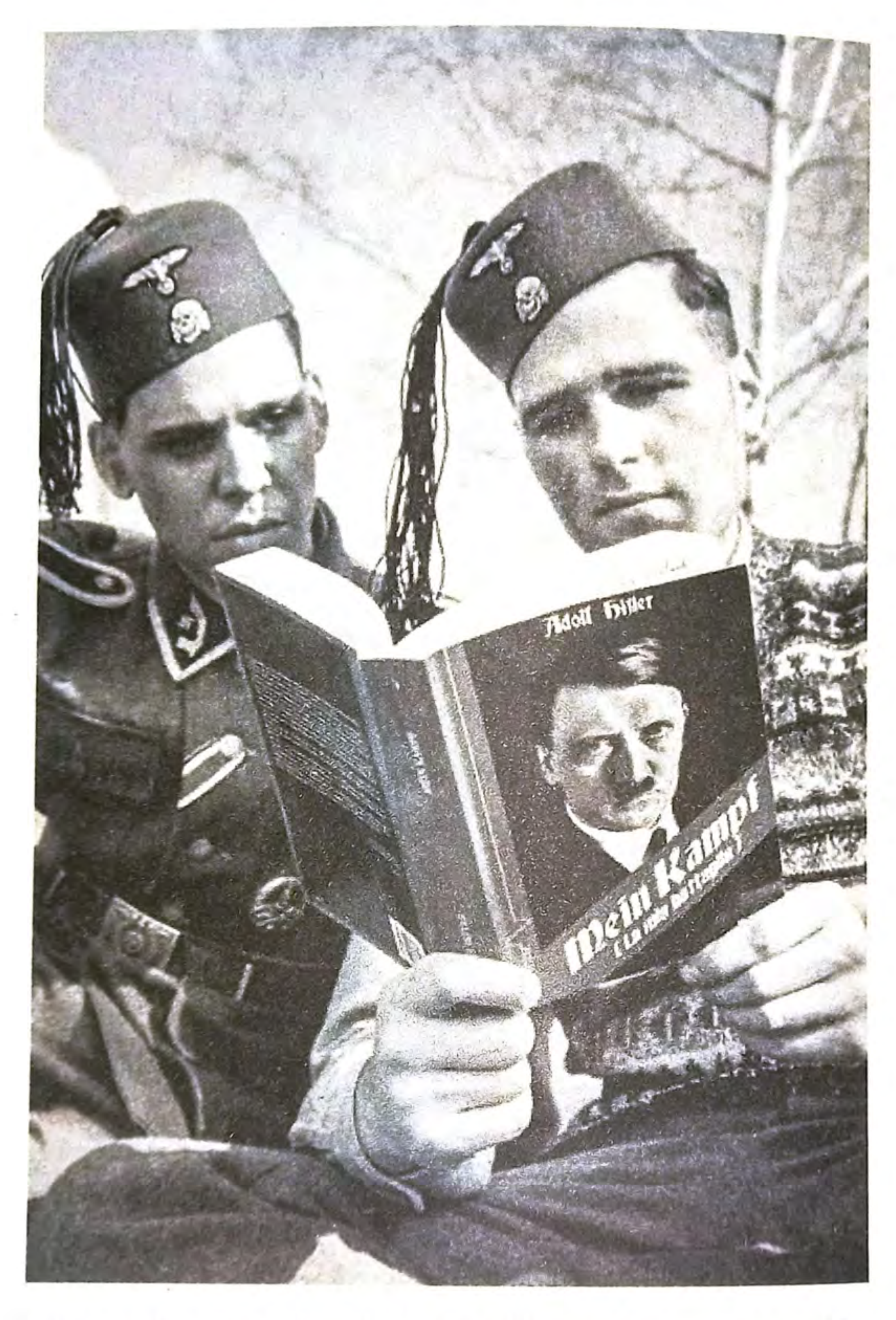
الزعيم الإيطالي موسوليني ممتطيًا جواده، ورافعًا سيفه المرصَّع بالجواهر - «سيف الإسلام» في طرابلس - ليبيا (Ullstein) .١٩٣٧



أمين الحسيني ومجنَّد مسلم في فرقة الخنجر التابعة لوحدات الحماية النازية في ميادين التدريب في قرية نويهامر (Neuhammer) في سيليزيا (Silesia) عام ١٩٤٣.



مجنّدون مسلمون في فرقة الخنجر التابعة لوحدات الحماية يؤدُّون الصلاة جماعة، البوسنة، (Ullstein)١٩٤٤



مجنَّدان مسلمان من فرقة الخنجر يطالعان كتاب **كفاحي** لأدولف هتلر. الطربوش الذي يعتمرانه ليس طربوشًا تركيًّا تقليديًّا ولا طربوشًا مغربيًّا كما يبدو من حجمه. بل هو طربوش جرى تصميمه على يد وحدات الحماية بإشراف هاينريش هملر نفسه، الذي اعترض على هذا الحجم؛ لأنه يظهِره على أنه طربوش مغربي، وجرى تعديله بعد ذلك، كما يظهر في الصورة التالية.



مجنَّدون مسلمون في فرقة الخنجر التابعة لوحدات الحماية النازية في ميادين التدريب في قرية نويهامر (Neuhammer) في سيليزيا (Silesia) عام ١٩٤٣.



جندي من الفيلق التركستاني التابع للقوات المسلَّحة الألمانية
الشارة منقوش عليها: الله معنا (Ullstein).



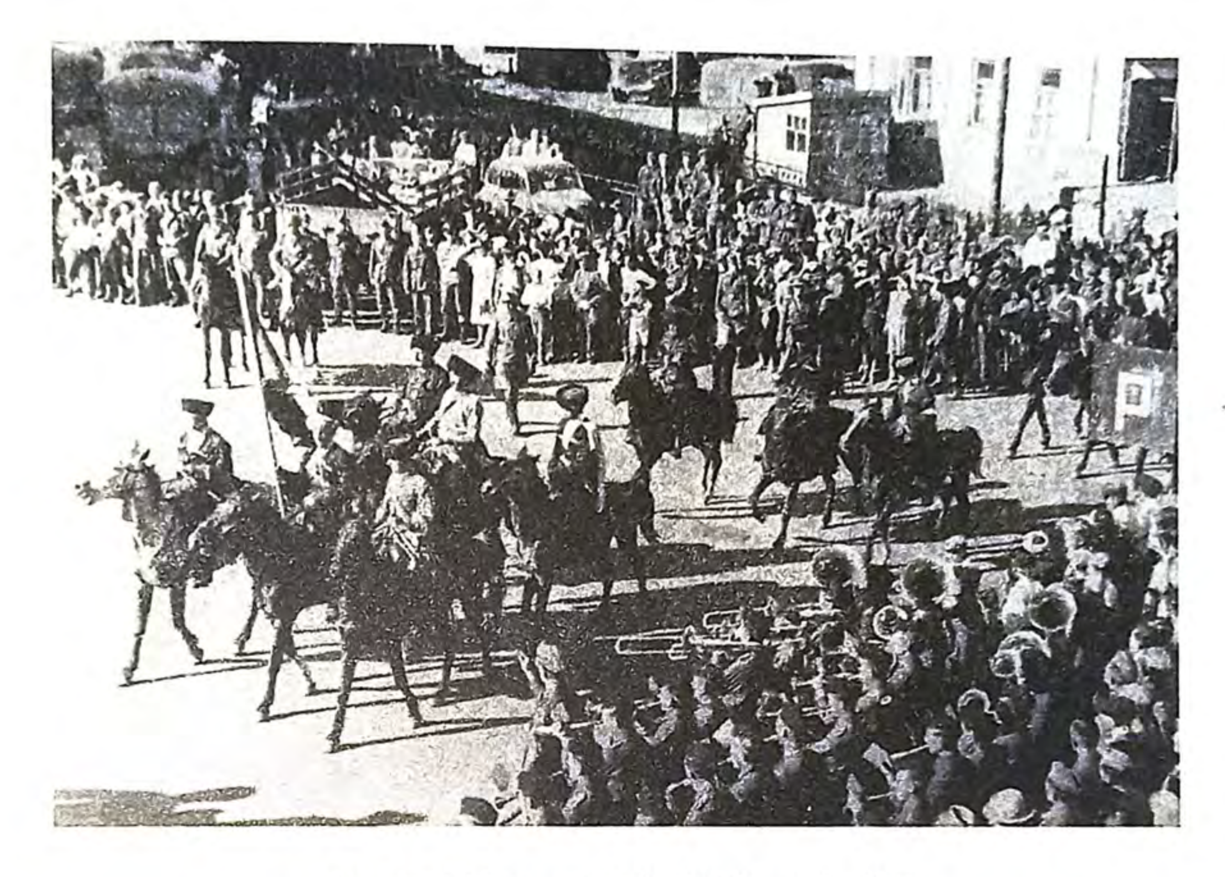
أمين الحسيني متحدّثًا إلى المجنَّدين المسلمين
في فرقة الخنجر التابعة لوحدات الحماية النازية،
في ميادين التدريب في قرية نويهامر
(Neuhammer) في سيليزيا (Silesia)، (Ullstein)١٩٤٣.



عيد الفطر (Uraza Bairam) في كيسلوڤودسك، القوقاز، ١١ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٤٢. خطبة عمدة المدينة، ويقف خلفه الجنرالات ريكه (Riecke) (إلى اليسار)، وپول كورنر (Paul Körner) (الثاني من اليمين)، وكوسترنغ (Köstring) (الثاني من اليسار)، وفون روك (von Roques)، وفون غراينفبرغ (von Greifenberg). (Ullstein)



عيد الفطر في كيسلوڤودسك، القوقاز، ١١ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٤٢. فرقة المتطوعين الخيَّالة القراتشيين. (Ullstein)



فرقة المتطوعين الخيَّالة القراتشيين، ١٩٤٢ (Ullstein).



صلاة جنازة، القوقاز، ١٩٤٢.



فرقة الموسيقى العسكرية التابعة للڤيرماخت تعزف في سراييڤو، الخامس من مايو/ أيار ١٩٤١. (Ullstein).

في سبيل الله والفوهرر

النازيون والإسلام في الحرب العالمية الثانية

في أشدِّ مراحل الحرب العالمية الثانية حسمًا، قاتلت القوات الألمانية في مناطق متباعدة، مثل: صحراء الشمال الأفريقي وجبال القوقاز، وواجهت الحلفاء عبر أراض كانت تاريخيًا في قلب ديار الإسلام وعلى أطرافها. وقد رأى المسئولون النازيون في الإسلام قوة سياسية هائلة تُشارك ألمانيا عداءها للإمبراطورية البريطانية، والاتحاد السوڤييتي، واليهود.

«في سبيل الله والفوهرر» هو أول وصف شامل لمساعي برلين الطموحة لتشكيل تحالف مع العالم الإسلامي. واعتمادًا على الأبحاث الأرشيفية في ثلاثِ قارَّات، يفسِّر ديڤيد مُعتَدِل كيف حاول المسئولون الألمان الدعاية للرايخ الثالث بوصفه نصيرًا للإسلام. ويستكشف سياسات برلين ودعايتها في ساحات الحرب الإسلامية، والعمل المكثَّف الذي قامت به السلطات النازيَّة في سبيل تعبئة المسلمين وتجنيدهم، وتقديم الرعاية الروحية والتلقين الأيديولوجي لعشرات الآلاف من المجنَّدين المسلمين الذين قاتلوا في صفوف القوات المسلحة الألمانية ووحدات الحماية النازية.

ويكشف الكتاب كيف انخرطت القوات الألمانية على الأرض، في شمال أفريقيا والبلقان والجبهة الشرقية، مع جماعات مسلمة متنوعة، بما في ذلك المسلمين الغجر واليهود المتحولون إلى الإسلام. ومن خلال الجمع بين التناول المدروس والتعامل المتقَن مع التفاصيل، فإنه يسلِّط الضوء على التأثير العميق للحرب العالمية الثانية على المسلمين في جميع أنحاء العالم، ويعرض رؤية جديدة لسياسات الدين في أكثر الصراعات دموية في القرن العشرين.



مدارات للأبحاث والنشر

٥ شارع ابن سندر – الزيتون – القاهرة

جمهورية مصر العربية

٠١٠٢٤٤٤٦٣٧٠/١/٢ (+٢)

info@madarat-rp.com

مدارات للأبحاث والنشر